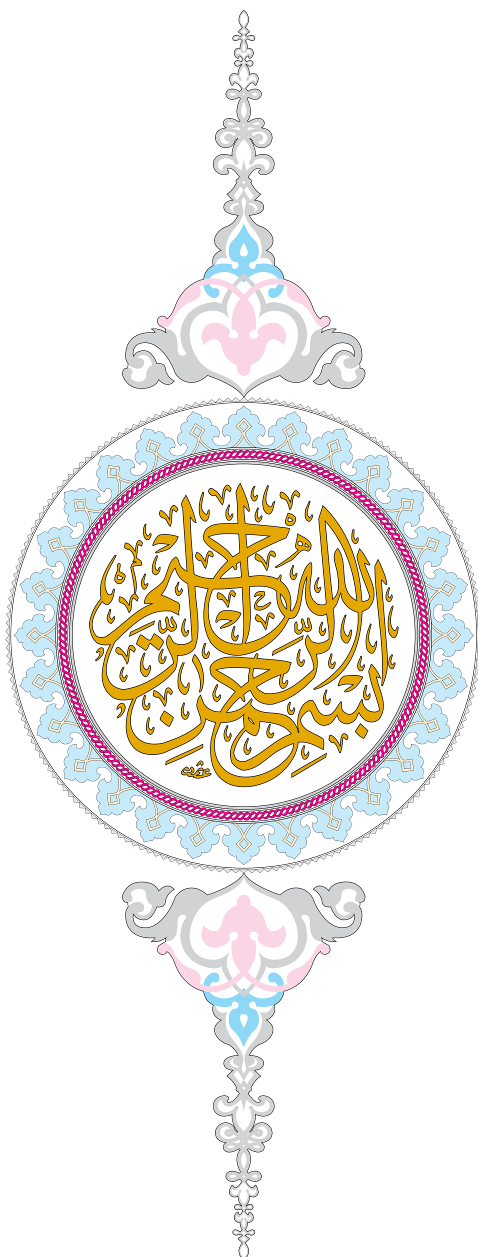
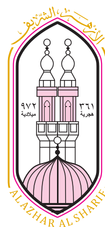




٣٤


بسم الله الرحمن الرحيم





مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

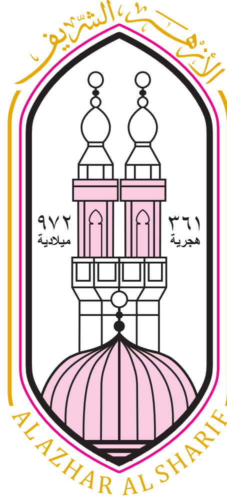
٣٤

المجلد الثالث والثلاثون ـ القسم الأول

السنة ١٣٨١هـ

الأزهر الشريف

سقيفة الصفا العلمية



مشيخة الأزهر الشريف
تليفون : 25899823 / 25907497
فاكس : 25903974 / المحمول : 01114242123
www. azhar. eg

١٤٤٥هـ ـ ٢٠٢٣م

سقيفة الصفا العلمية
SAQIFAT AL-SAFA TRUST
لبوان ـ ماليزيا

www.saqifat-alsafa.org
E-mail : info@saqifat-alsafa.org

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
سكرتير التحرير
محمود الشرقاوي
بدل الاشتراك ٤٠

تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

الجزء الأول — المحرم سنة ١٣٨١ هـ — يونية ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون



الفهرس

صفحة
٢ أوبة الإسلام وتوبة للأستاذ أحمد حسن الزيات
٥ أسباب البدع ومضارها
لإمام المسلمين الشيخ محمود شلتوت
١٧ الحروف والمعاني في اللغة العربية
للأستاذ عباس محمود العقاد
٢١ الإسلام والمجتمع للأستاذ الدكتور محمد البهي
٢٩ أسس التعامل في الإسلام للأستاذ محمد محمد المدني
٣٤ حياتنا الدنيا مرحلة اختبار ... !
للأستاذ عبد اللطيف السبكي
٣٩ الإسلام في أوغندة للأستاذ عطية صقر
٤٠ شاعر أعمى يصف العمى
٤٦ شعر شوقي بعد المنفى للأستاذ على العماري
٥٤ الوحدانية في الأديان الإفريقية
للأستاذ محمد جلال عباس
٥٨ مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر
للدكتور جمال الدين الرمادي
٦٣ رأي الأزهر في الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو للأستاذ أحمد محمد غنيم
٧٣ عاشوراء في تاريخ الإسلام
للأستاذ محمد رجب البيومي
٨٠ التكبير في أواخر السور
للأستاذ محمد محمد الشرقاوي
٨٤ زواج المسلم بالكتابية للأستاذ أحمد الشرباصي
٩٠ المسلمون في الهند أيضا للأستاذ عبد المنعم النمر

صفحة
٩٤ شعر القاضي الفاضل
للأستاذ الدكتور أحمد أحمد بدوي
١٠١ لغويات : فلان كفء للعمل — محمد كاتب أجود منه شاعر — بعتك الدار بما فيها الأثاث — أحبه كما لم يحب والد ولده — الفصلة والفصل؟
للأستاذ محمد على النجار
١٠٦ في ذكرى الهجرة النبوية للأستاذ عباس طه
١١٠ ما يقال عن الإسلام : العلية الجديدة في نيجيريا
للأستاذ عباس محمود العقاد
١١٤ موكب النور « قصيدة »
للأستاذ إبراهيم محمد نجا
١١٦ آراء وأحاديث : من الأستاذ الأكبر للعالم الإسلامي — الرئيس مكاريوس يزور شيخ الأزهر — الأستاذ الأكبر يستقبل وفدا من أساتذة الجامعة الأمريكية
١٢١ النشاط الثقافي للأزهر : إنشاء فصول بمعهد الإعداد لخريجي الجامعات — الأستاذ الأكبر يستقبل عميد كلية التربية بأندونيسيا — رحلة مبعوثي الأزهر في الملايو إلى الفيليبين — عودة مدير الثقافة الإسلامية من مهمته الرسمية بالمغرب
١٢٤ الكتب : للأستاذ محمد عبد الله السمان — السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي — بطولات عربية — بحوث في تفسير القرآن — بين الأدب والصحافة



أوبة الإسلام ونوبته

بقلم: أحمد حسن الزيات

في غرة هذا المحرم من طلعة هذا العام يستطيع الراصد المسجل أن يرى في سموات الشرق الإسلامي تباشير النور المحمدي تبزغ من جديد في الآفاق المظلمة من آسيا وإفريقيا. فتتضح السبل وتستبين المعالم وتتعارف الأوجه وتتلاقى الإخوة، فتهفو نفوس إلى نفوس، وتعطف قلوب على قلوب، وتنضم أيد إلى أيد، وتتصل أوطان بأوطان، ويوم يتم الله نوره مرة أخرى يعود الإسلام كما كان: قومية عربية، ثم جامعة إسلامية، ثم أمة وسطا تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتجاهد في سبيل الله، وتعاون على إقرار السلام.

قال طيب الذكر خالد الأثر الإمام محمد عبده لجبرائيل هانوتو وزير خارجية فرنسا في رده المفحم على مقاله المعروف: «إن الإسلام إن طالت به غيبة، فله أوبة، وإن صدعته النوائب فله نوبة». وقد أذن الله اليوم لدينه أن يثوب من غيابه، ولنوره أن يسفر من حجابه، ولسلطانه أن يعود إلى نصابه.

وكانت غيبة الإسلام في هذه الحقبة الطويلة عن ضمير الفرد وقلب الأسرة وروح المجتمع وسياسة الحكومة، أثرا لصدعات الرأي ونزوات الهوى وشتات الوحدة وعثرات الجد.

والإسـلام دين القوة في حقيقته وطبيعته، وقوته إنما جاءته من الوحدة التي انبثقت من حقيقة التوحيد فيه، ومن الجماعة التي نشأت من طبيعة الدعوة إليه، فإذا أعوزتاه انفرط عقده فلا ينتظم، وتبدد شعاعه فلا يضيء، وإذا ضعف الدين في نفوس أهله تركوا المقطوع به من كلام الله وسنة رسوله وأخذوا بما لفق أولو الزيغ من الأخبار والأحاديث فانقلب في نفوسهم وضعه، وتغير في عقولهم مدلوله، حتى ليحق فيهم قول الإمام علي كرم الله وجهه: «إن هؤلاء القوم لبسوا الدين كما يلبس الفرو مقلوبا» فالإيمان بالقدر زيفوه حتى أهملوا التوقي استسلاما للقضاء، وتركوا السعي اعتمادا على القسمة، والإسلام إلى الله زوروه حتى أسلموا وجوههم للمال والجاه، وآمنوا بالمالك والحاكم، فجعلوا لله شركاء من بينهم سخروهم للهوى، واستغلوهم للشهوة، واستذلوهم للمستعمر، فمزق وطنهم إلى دويلات بين كل منها حدود وجمرك. ولكل منها شعار وعلم، وعلى كل منها حماية أو وصاية

ثم كانت أوبة الإسلام حين ثابت إليه صحته وعادت إليه قوته. وعودة القوة إليه إنما كانت رهنا بإيمان الشعب الذي يتقبله

ويتمثله ، وبصدق الزعيم الذى يرعاه ويمثله . وإيمان الشعب لا يتحقق إلا باستكمال وجوده واستقلال إرادته ، وصدق الزعيم لا يتأتى إلا باستعداد من طبعه وتوفيق من ربه . وهذه السنين الناصرية العشر من تاريخنا الطويل الحفيل كانت خاتمة لاستعمار باغ عطل العقول وأبطل القيم ، وحكم طاغ أفسد الأخلاق وأضعف الهمم ، وفاتحة لاستقلال وطنى حرر النفوس وطهر الأخلاق ، وحكم شعبى قام على قواعد الشعب ودار على مصالح العامة ، واعتمد فى إحياء القديم الصالح ، وإنشاء الجديد المفيد ، على القوى المادية والفكرية والروحية . فسخر العلم للإنتاج ، واسترشد الدين فى العلاج ، ورفع من معنى العروبة بإعداد العدة وتوثيق العقدة ، وأيقن أن الظفر فى الصراع الدولى إنما يكون للقوة الأشد والسلاح الأحد والرأى الأسد ، فوقف من الطامعين فى أرض العرب وأرزاق المسلمين موقف السبع من السبع : مخلبا لمخلب ، ونابا لناب ، أخذا بقول أبى بكر الصديق لخالد بن الوليد حين أرسله إلى حرب اليمامة : « حاربهم بما يحاربونك : السيف بالسيف ، والرمح بالرمح » .

أما علة ارتباط الإسلام بالقوة والسلطان فلأنه دون سائر الأديان ، قائم على ركنين من دين ودنيا : من عبادة تديم الصلة بين المرء وربه ، وقيادة تصلح الأمر بين الحاكم وشعبه ، فهو بركنيه صراط الفرد يصل عليه إلى سلام نفسه ، ودستور الشعب يصل به إلى نظام مجتمعه والدستور لا يقوم إلا إذا قامت أمة ، والأمة لا تكون إلا إذا كانت وحدة ، والوحدة لا تجتمع إلا إذا ألفت بينها زعامة من دين تعتمد على قوة الله ، أو رياسة من دنيا تعتمد على قوة الشعب . فإذا فسد الزعيم بغلبة هواه ، أو ضعف أمره يضعف قواه تشتت الوحدة وتمزقت الأمة وتعطلت الشريعة وحل محلها أمر الطاغية أو حكم المستعمر . وآل أمر الدين فى النفوس الخانعة إلى عبادة صورية لا تتصل بالسلوك ، أو إلى صوفية سلبية لا ترتبط بالدنيا . ومن هنا تنفس صبح الإسلام وبدأت نهضة المسلمين فى الجمهورية العربية المتحدة ؛ لأنها كانت الدولة الإسلامية الأولى التى تجلى لها الله فأظهر فيها المصلح الذى أكمل لها معنى الاستقلال ، وأتم عليها نعمة الحرية ، وجعل سياستها وحدة العرب ، ورسالتها نهضة المسلمين ، ودفعها إلى صف القوة الضاربة فى ميادين السياسة ، ورفعها إلى مستوى القدرة العالمية فى حقول الإنتاج .

ومن هنا أيضاً شعر العرب والمسلمون بكيانهم يتميز ، وبوطنهم يتحرر ، وبسلطانهم يعود ، وبإرادتهم تسود ، فذكروا أنهم كانوا وهم على مثل هذه الحال من الحرية والقوة والمنعة قادة البشرية وأدلاءها ، يهدونها بنور

الله ، ويحكمونها بدستور محمد ، ويسوسونها بعبقرية الجنس ، واعتقدوا أن نوبة الإسلام فى حمل المصباح قد أرهص لها هذا الوعى الدينى الذى اتسع وعمق فى قلوب المؤمنين ، لحملهم على أن يتعاطفوا بأخوة الإيمان كما تتعاطف أبناء الأسرة بقرابة الدم ، وأن يسووا صفوفهم فى الجهاد كما يسوونها فى صلاة الجماعة ، وأن يولوا وجوههم شطر الغاية الجامعة كما يولونها شطر المسجد الحرام ،

فالشعوب الإسلامية فى تضامن وتعاون ، والأقطاب فى تزاور وتشاور ، والحكومات تتنافس فى نشر الثقافة وإحياء التراث بما تنفق من أموال وتقيم من مؤتمرات وتنشئ من مجالس .

والأزهر يجدد ما رث من حبل الدين ويبين ما درس من معالم الشريعة بمن يخرج من دعاة ووعاظ، ويوفد من رسل وبعوث. وينشر من مجلات وكتب ،وينشئ من كليات ومعاهد . والجمعيات الدينية الكثيرة تجاهد بأنفسها وأموالها فى سبيل الرسالة الخالدة ، تدعو إليها بالقدوة ، وتدفع عنها بالحجة . والعلماء والأدباء يغطون المكاتب ويفرشون الأفاريز بنتاج القرائح المؤمنة فى إظهار ما بطن فى العقيدة والشريعة من المبادئ التى وضعها العليم الخبير لتعمر بها الدنيا ويصلح عليها العيش ويعتدل بها الميزان ويجتمع للناس فيها الرخاء والنماء والأمن ، والمنبر فى المسجد والمصوات فى الإذاعة والمطبعة فى الصحافة تذيع بالكلمات المقروءة والمسموعة مزايا الإسلام فى بناء مجتمع صالح على أنقاض هذا المجتمع الفاسد الذى تخلى عنه الله فدمره الشيطان بإثارة النزاع وإدامة الصراع بين كتلتين : شرقية شيوعية ، وغربية رأسمالية ، تزعمتا العالم بقوى المال والعلم والعدد فأضلتاه السبيل وحرمتاه السكينة ، والاتحاد القومى يؤلف اللجان من أصحاب الكفايات والمؤهلات ليقتبسوا الهدى من نور الله فى تربية الأسرة وترقية المجتمع وتنمية الثروة وتقوية الحكومة.

والروح التى انبعثت فى هؤلاء جميعا إنما كانت مددا من تلك الروح التى بثها الله فى هذه الزعامة المؤمنة العاملة فأحيت الموات وضمت الشتات وأزالت الفروق وأوجبت الحقوق وجعلت الثورة لأول مرة فى تاريخ البشرية ثورة سلام ورحمة : للعرق لا للدم ، وللبناء لا للهدم ، وللأيادى لا الصدور ، وللأكواخ لا للقصور ، وللذين استضعفوا فى الأرض على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ، لا لوطن بحدوده ولا لشعب بعينه ثم اجتثت من فوق الأرض أصلى الشقاء وهما الجوع والخوف ؛ قوضت معاقل الإقطاع فوجد المحرومون برد العيش ، وحطمت هياكل الأصنام فلم ير الناس أمامهم غير وجه الله !

أحمد حسن الزيات

أسباب البدع ومضارها

لإمام المسلمين الأستاذ الأكبر

الشيخ محمود شلتوت

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثير من الأحاديث الصحيحة تدور كلها حول التحذير من الابتداع . ومن أشهر تلك الأحاديث :

« من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد » .

وترجع البدعة فى واقعها إلى اختراع عبادة لم تكن معروفة عن النبي صلى الله عليه وسلم ولم يرد بها نقل صحيح ولا تدل عليها أدلة شرعية معتبرة ، فهى أولا خاصة بما يتعبد به . وإذن فلا ابتداع فى العادات ولا فى الصناعات ولا فى وسائل الحياة العامة .

إن الابتداع فى الدين له أسباب توقع فيه ، ومضار تترتب عليه، وشأن العاقل إذا عرف مضاراً لخطة ما ، أن يجتهد فى إبعاد نفسه عنها ، و يجعل بينه وبين الوقوع فى أسبابها المفضية إليها وقاية تعصمه من الوقوع فيها ، وينعقد لذلك فصلان : أحدهما فى بيان الأسباب التى توقع فى الابتداع وفى انتشار البدع ، والآخر فى بيان المضار التى تترتب على الابتداع والعمل بالبدعة .

الفصل الأول

فى أسباب الابتداع

لا بد لكل شريعة يراد لها البقاء كاملة لا يعتريها نقص ، سليمة لا يلحقها تحريف ، من أن تعنى بمعرفة النوافذ التى يتسرب منها الخلل إلى الشرائع فتسدها وتحكم غلقها ، وبخاصة إذا كانت هذه الشريعة قد جاءت على أساس من العموم لتنظم شعوبا تختلف ألسنتها ، وتتباين عاداتها ، وتتعدد دياناتها التى كانت عليها من قبل .

وهكذا فعل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى شريعته المطهرة ، فقدر وهو فى أول مراحله ، عليه الصلاة والسلام ، المداخل التى يمكن أن ينفذ منها الخلل إليها وينتشر فنهى عنها ، وحذر منها وبالغ فى النكير على من حام حولها .

وقد رأينا بعد الاستقراء أن المداخل الموقعة فى البدعة ، منها ما يوقع فى ابتداعها ، ومنها ما يوقع فى العمل بها وانتشارها . وأن

الشريعة عنيت بالأمرين وأشارت إلى أسباب كل منهما ووضعت لهذه الأسباب العلاج الذى لو أحسن استعماله لسلم الدين ونجت الأمة منها وظل الدين نقيا سليما كما شرعه الله، وكما بلغه رسوله ، ودرج عليه الأصحاب من بعده ،

* * *

يرجع الابتداع إلى أسباب ثلاثة :

(١) الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها من مصادرها .

(ب) متابعة الهوى فى الأحكام .

(ج) تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات .

الجهل بمصادر الأحكام وبوسائل فهمها :

مصادر الأحكام الشرعية كتاب الله وسنة الرسول ، وما ألحق بهما من الإجماع والقياس ، والأصل فى هذه المصادر الذى يحكم على سائرها هو كتاب الله وتليه السنة ، ثم الإجماع ، ثم القياس ، والقياس لا يرجع إليه فى أحكام العبادات ؛ لأن من أركانه أن يكون الحكم فى الأصل معلولا بمعنى يوجد فى غيره ، ومبنى العبادة على التعبد المحض والابتلاء الخالص . ومداخل الخلل الناشئة من هذه الجهة ، ترجع إلى الجهل بالسنة ، وإلى الجهل بمحل القياس، وإلى الجهل بأساليب اللغة العربية، وإلى الجهل بمرتبة القياس أما الجهل بالسنة فيشمل الجهل بالأحاديث الصحيحة والجهل بمكان السنة من التشريع ، وقد يترتب على الأول إهدار الأحكام التى صحت بها أحاديث . كما يترتب على الثانى إهدار الأحاديث الصحيحة وعدم الأخذ بها . وإحلال بدع مكانها لا يشهد لها أصل من التشريع ، وقد نبه على ذلك حديث « إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من صدور الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء ، حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا » ، وجاء فيه أيضا حديث « ما من نبى بعثه الله فى أمته قبلى إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون سنته ويقتدون بأمره ، ثم تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون ، ويفعلون ما لا يؤمرون ، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل » .

وأما الجهل بمحل القياس فى التشريع ، فقد نشأ عنه أيضا أن قاس الناس من متأخرى الفقهاء فى العبادات وأثبتوا به فى الدين ما لم ترد به سنة ولا عمل ، مع توفر الحاجة إلى عمله وعدم المانع منه ، ومن ذلك إسقاط الصلاة . فإن أصحابها قاسوها على فدية الصوم التى ورد النص بها ، ولم يقفوا عند هذا الحكم بالجواز بل توسعوا فشرعوا لها من الحيل ما يجعلها صورة لا روح فيها ولا أثر لها .

والابتداع هنا من أغرب أنواع الابتداع، فهو ابتداع لأصل الحكم واحتيال لإسقاط تكاليف الحكم المبتدع، ثم اعتبار الأمرين البدعة والاحتيال فى إسقاطها من الدين - ويجدر بنا تسميته بالبدعة المركبة - يخرجان من عهدة التكليف، ويترتب عليهما ثواب الله الذى أعده للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

وهذا نوع خاص من البدعة:

وأما الجهل بأساليب اللغة العربية، فقد نشأ عنه أن فهمت بعض النصوص على غير وجهها وكان ذلك سببا فى إحداث ما لا يعرفه الأولون. ومن ذلك قول بعض الناس إن حديث. « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على » يطلب الصلاة على النبى من المؤذن عقب الأذان، ولم يطلب منه أن تكون بغير كيفية الأذان، وهى الجهر، فدل على مشروعيتها بالكيفية المعروفة، ووجهوا دلالة الحديث على طلبها من المؤذن بأن الخطاب فى قوله صلى الله عليه وسلم لجميع المسلمين، والمؤذن داخل فيهم. أو بأن قوله (إذا سمعتم) يتناوله لأنه يسمع نفسه. وكلا التأويلين جهل بأساليب اللغة فى مثل هذا، فصدر الحديث لم يتناول المؤذن قطعا، وآخره جاء على أوله فلا يتناوله أيضا. ومن ذلك أيضا مازعمه بعض آخر من أن المحرم من الخنزير لحمه دون شحمه، لأن القرآن إنما حرم اللحم دون الشحم، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن كلمة « اللحم » فى اللغة العربية تطلق على الشحم ولا عكس. ومنه أيضا قول بعض المتكلمين إن لله (جنبا) بدليل قوله تعالى « أن تقول نفس ياحسرتا على مافرطت فى جنب الله »، وهو ابتداع نشأ من الجهل بأن العرب لاتعرف « الجنب » فى مثل هذا التركيب بمعنى العضو المعروف فهى تقول: هذا يصغر فى جنب ذاك تريد بالإضافة إليه.

قال الإمام الرازى فى تفسيره: « القائلون بإثبات الأعضاء لله تعالى استدلوا على إثبات الجنب بهذه الآية، واعلم أن دلائلنا على نفى الأعضاء قد كثرت فلا فائدة فى الإعادة:

وبعد أن ساق المأثور عند المتقدمين عن المراد بالجنب قال: واعلم أن الإكثار من هذه العبادات لا يفيد شرح الصدور وشفاء الغليل فنقول: الجنب سمى جنبا لأنه جانب من جوانب الشىء، والشىء الذى يكون من لوازم الشىء وتوابعه يكون كأنه جانب من جوانبه. فلما حصلت هذه المشابهة بين الجنب الذى هو العضو، وبين ما يكون لازما للشىء وتابعا له صح الإطلاق، ولا جرم من إطلاق لفظ الجنب على الحق والأمر بالطاعة قال الشاعر:

أما تتقين الله فى جنب وامق
له كبد حرى عليك تقطع

هذه جملة من الأمثلة يتضح بها كيف يأتى الابتداع من جهة الجهل باللغة العربية: مفرداتها وأساليبها، وقد أجمع الأولون على أن معرفة ما يتوقف عليه فهم الكتاب والسنة من خصائص اللغة العربية شرط أساسى فى جواز الاجتهاد ومعالجة النصوص الشرعية والاقتراب منها.

وأما الجهل بمرتبة القياس فى مصادر التشريع وهى التأخر عن السنة، فقد ترتب عليه أن قاس قوم مع وجود سنة ثابتة وأبوا أن يرجعوا إليها فوقعوا فى البدعة، والمتتبع لآراء الفقهاء يجد أمثلة كثيرة لهذا النوع، وأقربها ما قاله البعض من قياس المؤذن على المستمع فى الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام عقب الآذان مع وجود السنة التركية التى قد علمت حكمها وأنها مقدمة على القياس، ومع أن حديث «إذا سمعتم المؤذن» يدل بأسلوبه على اختصاص المستمعين بالصلاة عقب الآذان».

متابعة الهوى فى الأحكام:

قد يكون الناظر فى الأدلة ممن تملكهم الأهواء فتدفعه إلى تقرير الحكم الذى يحقق غرضه ثم يأخذ فى تلمس الدليل الذى يعتمد عليه ويجادل به، وهذا فى الواقع يجعل الهوى أصلا تحمل الأدلة عليه ويحكم به على الأدلة، وهو قلب لقضية التشريع، وإفساد لغرض الشارع من نصب الأدلة. ومتابعة الهوى أصل الزيغ عن صراط الله المستقيم «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله»، وقد جاء فى الصحيح (لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به) والابتداع به يكثر عند أرباب المطامع فى خدمة الملوك والحصول على عرض الدنيا وحطامها، ولعل أكثر الحيل التى نراها منسوبة إلى الدين - والدين منها برىء - يرجع إلى هذا، ولا يبعد أن يكون منه الآذان السلطانى ونحوه من البدع التى لم نرها إلا فى صلاة الملوك والسلاطين، وكذلك بدعة المحمل، وبدعة الاجتماع لإحياء بعض الليالى وغير ذلك مما يغلب أن يكون رغبة لملك أو مشورة لمقرب إليه، ثم توارثتها الأجيال. وعمت الجماهير، وصارت عندهم دينا ينكرون على من أنكره.

والمبتدعون بمتابعة الهوى ينتسبون بهذه الخطة السيئة إلى أولئك الذين قال الله فيهم «ولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا وإياى فاتقون»، «إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون فى بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم. أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار. ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق، وإن الذين اختلفوا فى الكتاب لفى شقاق بعيد»، والواقع أنه بمتابعة الهوى تكتسح الأديان

ويقتل كل خير، والابتداع به أشد أنواع الابتداع إثما عند الله وأعظم جرما على الحق. فكم حرف الهوى من شرائع، وبدل من ديانات، وأوقع الإنسان فى ضلال مبين.

تحسين الظن بالعقل فى الشرعيات :

إن الله جعل للعقول حداً تنتهى فى الإدراك إليه، ولم يجعل لها سبيلا إلى إدراك كل شىء، فمن الأشياء مالا يصل العقل إليه بحال. ومنها ما يصل إلى ظاهر منه دون اكتناه. وهى مع هذا القصور الذاتى لاتكاد تتفق فى فهم الحقائق التى أمكن لها إدراكها، فإن قوى الإداك ووسائله تختلف عند النظار اختلافا كثيراً، ولهذا كان لا بد فيما لا سبيل للعقول إلى إدراكه، وفيما تختلف فيه الأنظار، من الرجوع إلى مخبر صادق، يضطر العقل أمام معجزته إلى تصديقه، وليس ذلك سوى الرسول المؤيد عند الله العليم بكل شىء، الخبير بما خلق، وعلى هذا الأصل بعث الله رسله يبينون للناس ما يرضى خالقهم، ويضمن سعادتهم. ويجعل لهم حظاً وافراً فى خيرى الدنيا والآخرة.

وقد شذ عن هذا الأصل قوم رفعوا العقل عن مستواه الذى حدده الله، وجعلوه حجة الله على عباده، وحكموه فيما لا يدركه مما أنزل الله، فرجعوا فى التشريع إليه وأنكروا فى النقل كل مالم يعهد فى إدراكه، ثم توسعوا فى ذلك وجعلوه أصلا فى التشريع الإلهى، واستباحوا بعقولهم فيه مالم يأذن به الله، وما لا نعلم أنه يرضى الله أو يغضبه، ولقد أعانهم على الابتداع فى العبادات أنهم نظروا فيما أدركه العلماء من أسرار التشريع وحكمه، وزعموا أن هذه الأسرار هى المقصودة لله فى تشريع الحكم، وأنها داعية إليه، فشرعوا عبادات على مقتضى هذه الأسرار فى بعض تشريع الله.

وهذا هو الاستحسان الذى ذمه أصحاب الرسول وأئمة الهدى والدين، وأنكروا على الآخذين به. ومن ذلك قول الشافعى: « الاستحسان تلذذ، ولو جاز لأحد الاستحسان فى الدين لجاز ذلك لأهل العقول من غير أهل العلم، ولجاز أن يشرع فى الدين فى كل باب، وأن يخرج كل أحد لنفسه شرعا» وقوله « ومن استحسن فقد شرع » ومعناه كما قال الريانى « أنه نصب من جهة نفسه شرعا غير الشرع» وقد وقع كثير من الابتداع بهذا الطريق، فبحكم العقل القاصر رد كثير من الأمور الغيبية التى صحت بها الأحاديث كالصراط والميزان، وحشر الأجساد والنعيم والعذاب الجسمى ورؤية البارى وما إلى ذلك مما لم يدركه العقل ولا ينهض على إدراكه.

وباستحسان العقل القاصر ترك العمل بكثير من الأحكام الشرعية جريا وراء أن غيرها

أقوى منها فى تحصيل الغرض المقصود من التكليف ، وباستحسان العقل القاصر زيدت عبادات وكيفيات ما كان يعرفها أشد الناس حرصاً على التقرب من الله .

هذا وكما يترتب الابتداع بتحسين الظن على عدم إدراك العقل أو على ظن أن الأسرار مسوغات للتشريع وداعية إليه ، يترتب أيضا على إرادة دفع منكر أو مخالفة لشرع ثابت فتستحسن بدعة يشتغل الناس بها عن مقارفة المنكر بزعم أن البدعة بمشروعية أصلها أولى من ارتكاب المنكر الصريح . ومن ذلك قراءة القرآن بصوت مرتفع فى المسجد ، وقراءة الأدعية كذلك أمام الجنائز دفعا كما يقولون لتحدث الناس بكلام الدنيا فى المسجد والجنائز .

ومنه الابتداع بقصد الحصول على زيادة المثوبة عند الله ، ويظن أن طريق هذا تحميل النفس مشقة فى جنس ما يتعبد الله به ، وهذا تارة يكون بإلحاق غير المشروع بالمشروع ، لأنه يزيد فى المقصود من التشريع ، ومن أمثلة ذلك التعبد بترك السحور لأنه يضاعف قهر النفس المقصود من مشروعية الصوم ، والتعبد بتحريم الزينة المباحة التى لم يحرمها الله لأنه يزيد فى الحكمة المقصودة من تحريم الذهب والحرير . ومن هذا النوع اختيار أشد الأمرين على النفس عند تعارض الروايات مع أن المأثور عنه صلى الله عليه وسلم أنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما . وحمل جميع أفعال النبى صلى الله عليه وسلم على التعبد الذى يجب فيه التأسى مع أن كثيرا منها عادى لا تعبد فيه ولا يطلب فيه التأسى .

وتارة يكون باختيار عبادات شاقة لم يأمر بها الشارع كدوام الصيام والقيام والتبتل وترك التزوج والتزام السنن والآداب كالتزام الواجبات ، وقد جاء تحذير عن ذلك كله كما فى قوله عليه السلام : « ما بال قوم يتنزهون عن الشىء أصنعه ، فوالله إنى لأعلمهم بالله وأشدهم خشية له » ، وقوله عليه السلام : « لن يشاد الدين أحد إلا غلبه » ، وقوله : « لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم » وقد رد النبى صلى الله عليه وسلم على ابن عمر والرهط الذين تقللوا عبادته صلى الله عليه وسلم وأرادوا مشاق الطاعات .

وقد غفل قوم عن هذه التحذيرات واخترعوا لأنفسهم عبادات أو كيفيات فى العبادات أو التزامات خاصة ، وعبدوا بها وعلموها لأتباعهم على أنها دين ودين قوى ، وجهلوا أن القرب من الله إنما يكون بالتزام تشريع الله وأحكامه ، وأن وسائل التقرب إليه محصورة فيما شرعه وبلغه عنه رسوله الأمين فوقعوا بذلك فى البدعة والمخالفة وحرموا ثواب العمل وكانوا من الآثمين .

هذه الأسباب التي أوردناها هنا للابتداع قد أحاط بأطرافها وجمع أصولها حديث: « يحمل هذا العلم في كل خلف عدوله ، ينفون عنه تحريف المغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ». فتحريف المغالين يشير إلى التعصب والتشدد ، وانتحال المبطلين يشير إلى تحسين الظن بالعقل في الشرعيات ومتابعة الهوى ، وتأويل الجاهلين يشير إلى الجهل بمصادر الأحكام وبأساليب فهمها من مصادرها .

الأسباب المفضية إلى ذيوع البدعة :

يرجع ذيوع البدعة وانتشارها بين الناس إلى أمرين شديدي الخطر على سلامة الأديان من التحريف والزيادة والنقص :

أولهما ـ اعتقاد العصمة في غير المعصوم .

والآخر ـ التهاون في بيان الشريعة على الوجه الذي به نقلت عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

وكثيراً ما ترى الأول فيمن ينتسبون إلى طرق التصوف وأنهم يقرءون عن شيخ طريقتهم شيئاً من الأحوال التي تنافي الأحكام الشرعية ، فيعتقدون أنها من التشريع الذي خص الله به عباده المقربين ، وأن شيخهم لا يفعل إلا حقاً ، ولا يقول إلا صدقاً ، والفقه للعموم وهذه طريقة الخصوص ، فيتبعونه في كل ما يؤثر عنه من قول أو فعل على أنه الطريق المقرب إلى الله الموصل إلى رضاه .

وتراه أيضاً في أتباع الفقهاء يقرءون عنهم في كتبهم ، ويعتقدون عصمتهم من الزلل ، فيتمسكون بكل آرائهم وإن وصلتهم الرواية الصحيحة عن رسول الله بخلاف رأي أئمتهم ، وقد أفرط الناس في رفع مستوى العلماء ومؤلفي الكتب بالنسبة إلى ما خلفوه من آراء وأحكام واعتقد كل فريق أن رأي متبوعه هو الحق ، وقالوا : إنه لو كان الدين غيره لما استقر على توالي العصور ، ولأنكره من قبلنا من الشيوخ والأئمة ، وأنه لا حق لنا في التمسك بالحديث يروى بخلاف رأي الأئمة والمدون في الكتب ، لأنهم أعلم منا بالحديث وبمعناه ، فلا شأن لنا به ولا يصح أن نعدل إليه ونترك ما ألفناه من العبادة وكيفيتها .

سرى ذلك في عقائد الناس فعملوا بالبدعة وتركوا السنة ، معبرين أعمالهم بكلمة مأثورة وضعها أرباب الابتداع لتكون سبيلا إلى ترويج بدعهم وهي «من قلد عالما لقي الله سالما» ، وقد فات هؤلاء أن التقليد المباح المطلوب ، شرطه الاستشراف إلى الحق ، والرجوع إليه ببينة وأنه ما من إمام إلا حذر من الاتباع وترك الحديث إذا صح ، وفاتهم أن هذه الطريقة قد أنكرها الله في كتابه الكريم على من جعل اتباع الآباء والأسلاف أصلا في الدين يرجع إليه دون سواه حتى ردوا برهان الرسالة

وحجة القرآن بقولهم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » وفاتهم أيضا أن التعصب لرأى العلماء إلى هذا الحد نوع من اتخاذ غير الله ربا . وكان ذلك سنة أتباع الأحبار والرهبان ، « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله » وفاتهم أن الإجماع الذى عد مصدرا من مصادر التشريع يجب اتباعه ، ويتصل بهذا أيضا الخطأ فى فهم معنى الإجماع الذى عد من مصادر التشريع الإسلامى ، فقد يقع فى أفهام كثير من الناس أن عمل الجمهور وبخاصة إذا اتفق توارثه عن أجيال سابقة ، وعم العمل به جميع الطبقات فى المساجد والمجتمعات وأندية العلماء من إجماع الأمة التى ورد أنها لا تجتمع على ضلالة ، فلا يجوز مخالفته ولو ظهر ما يخالفه ، ومن هنا يشتد تمسكهم بالبدع بل بالمحرمات بحجة أنها أشياء مأثورة وقد رآها العلماء وخالطوا أهلها ولم ينكروها ، فدل على أنها الشرع وغيرها الضلال المبين ، وقد انتشر عن هذا الطريق كثير من بدع المساجد والموالد ، وإحياء الليالى والاستئجار على الختمات والتهاليل والتسابيح إلى غير ذلك مما هو معروف بأنه دين والدين منه برىء .

أما الثانى وهو تهاون العلماء فى بيان الشريعة فإثمه على العلماء الذين أخذ الله عليهم العهد والميثاق أن يبينوا للناس ما نزل إليهم ، وقد أهمل جمهور العلماء من زمن بعيد هذا الواجب الدينى العظيم الذى يتوقف عليه بقاء الشريعة سليمة نقية من الأدران - أهملوه - إما ضعفا وخوفا من تألب العامة وغضب الخاصة ، وإما مجاملة للعظماء والحكام ، وإما تهاونا بأصل الواجب وجريا على قاعدة « دع الخلق للخالق » التى يبررون بها إحجامهم عن البيان ، وإما تواكلا نظراً إلى أن البيان واجب كفائى قيام البعض به يسقط وجوبه عن الباقين .

ولما سكت العلماء وألف الناس منهم ذلك السكوت عن كل ما يفعلون ظن العامة أن ما يفعلونه دين وشرع ، وربما جاراهم بحكم الإلف والعادة العلماء لهم فيما يفعلون وبذلك صار ردهم عما ألفوا من البدع إلى ما تركوا من السنن شاقا على من يحاوله ، لأنهم يرونه إحداثا جديدا فى الدين لم يعرفوه فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ولقد كان للعلماء من تحذير الله ، ترك البيان وإهمال الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ما يدفع بهم إلى مكافحة البدع كلما ذر قرنها ، والعمل على حفظ السنن كلما هبت عليها ريح عاصف ، ونرجو أن يكون عن هذا ما ينبهنا إلى واجبنا وينقذنا من هول ما نحن فيه . هدانا الله إلى صراطه المستقيم .

الفصل الثانى :

فى مضار الابتداع

لو أن مضار الابتداع تقف عند المبتدع

ولا تتعداه إلى غيره لهان الأمر وسهل الخطب؛ ولكن مضار الابتداع منها ما يصيب المبتدع ومنها ما يصيبه ويصيب أتباعه فى العمل بالبدعة، ومنها ما يصيب الدين نفسه، ومنها ما يصيب الأمة التى وقع الابتداع فى دينها.

أما ما يصيب المبتدع فهو اغتصاب حق التشريع الذى لا يكون إلا لله وحده. وذلك أن المبتدع يرى أن الناس مكلفون ببدعة، ولذلك يقوم بالدعوة إليها والحث عليها. وهو من هذه الناحية يضع نفسه موضع المشرع الذى يتعبد الناس بأمره ونهيه، وهذا بعينه اغتصاب حق التشريع الذى لا يكون إلا لله. قصده المبتدع أم لم يقصده.

وقد وقع فيه مشركو العرب كما وقع فيه الأحبار والرهبان من أهل الكتاب، ونعى القرآن الكريم على الفريقين مسلكهم، وقص علينا شيئاً مما شرعه المشركون بغير حق. قال تعالى فى سورة الأنعام: «وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم، وأنعام حرمت ظهورها، وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه، سيجزيهم بما كانوا يفترون. وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا، وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء، سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم». وقال تعالى فى سورة النحل: «ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب، إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون».

وقد ورد فى تفسير قوله تعالى: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله». أنهم لم يكونوا يعبدونهم ولكنهم كانوا يحلون ويحرمون، وهذه الربوبية هى ربوبية التشريع التى تتحقق باغتصاب حق التحليل والتحريم.

ولا شك أن مسلك المبتدع فى تحليل ما يحل وتحريم ما يحرم من غير سند شرعى، وفى دعوة الناس إلى بدعته هو بعينه مسلك هؤلاء الذين اغتصبوا لأنفسهم حق التشريع الذى لا يكون إلا لله.

ولهذا كان المبتدع فى هذه الناحية واضعاً نفسه موضع المغتصب لحق التشريع الذى لا يكون إلا لله، وواضعاً نفسه موضع من يرى أن الحدود التى رسمها الله ليتقرب بها العباد إليه إما ناقصة وهو بابتداعه يستدرك ذلك النقص، وإما أن محمداً صلى الله عليه وسلم قصر فى التبليغ وعجز عن أمته بعض ما يقربها إلى الله. وفى هذا المعنى قال الإمام مالك رضى الله عنه: من ابتدع فى الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمداً صلى الله عليه وسلم خان الرسالة، لأن الله يقول: «اليوم أكملت لكم دينكم»، فما لم يكن يومئذ ديناً فلا يكون اليوم ديناً.

« وجاء فى كتاب عمر بن عبدالعزيز إلى عدى ابن أرطأة عليك بالسنة فإن السنة إنما سنها من قد عرف ما فى خلافها من الخطأ والزلل والحمق ، فارض لنفسك بما رضى به القوم لأنفسهم فإنهم على علم وتقوى » .

فإذا كان المبتدع يرى أن ابتداعه لم يكن إلا الخير الناس فى دينهم فما أجدره بالحزن العميق على نفسه بموقفه من البدعة التى عرف الشارع ما فيها من خطأ وزلل وحمق .

وإذا كان الابتداع يتضمن هذا الوضع السيء من هاتين الناحيتين : « اغتصاب حق الله فى التشريع ، والوقوف من التشريع موقف من يعتقد فيه النقص وعدم التمام ، « فإنه من جهة ثالثة يوقع الناس فى اعتقاد أن ما ليس من الدين دين ، وهو من التلبيس الذى أضل به كثير من أهل الكتاب وصرفوا به كثيراً من الناس عن سبيل الهدى والرشاد : « يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ، وتكتمون الحق وأنتم تعلمون » « ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله له فى الدنيا خزى ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ، ذلك بما قدمت يداك وأن الله ليس بظلام للعبيد » .

ومن هنا كان المبتدع ضالا عليه وزر عمله ، ومضلا عليه أوزار الذين اتبعوه فى بدعته . قال تعالى : « ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم » وفى الصحيحين (ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها) وقد أشار إلى ذلك الحديث (وما من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها لأنه أول من سن القتل) وفيه دلالة واضحة على أن من سن ما لا يرضاه الله ورسوله فهو كابن آدم الأول فى تحمل قتل النفس التى تقتل ظلما لأن الإثم لم يتعلق بالقتل لخصوص كونه قتلا . وإنما لأنه عمل ما لا يرضاه الله وسن سنة لا يقرها الدين وإذا غاب عن المبتدع شىء من هذه المضار التى تحوم حول العقيدة وتوشك أن تمسها فإنه لا يغيب عنه أنه بابتداعه يعمل على إماتة السنن ، فقد ثبت أن من السنة ترك البدعة فلا يمكن إقامة إحداهما مع العمل بالأخرى ، وقد جاء عن حذيفة رضى الله عنه أنه أخذ حجرين فوضع أحدهما على الآخر ثم قال لأصحابه : هل ترون ما بين هذين الحجرين من النور ؟ قالوا يا أبا عبد الله ، ما نرى بينهما إلا قليلا ، قال : والذى نفسى بيده لتظهرن البدع حتى لا يرى من الحق إلا قدر ما بين هذين الحجرين من النور . وعن ابن عباس رضى الله عنه قال : ما يأتى على الناس من عام إلا أحدثوا فيه بدعة وأماتوا فيه سنة حتى تحيا البدع وتموت السنن .

وبهذه المعانى التى تلزم الابتداع فى الدين

صحت الأحاديث فى رد عمل المبتدع عليه وحرمانه من الثواب. وقد ورد عن يحيى بن يحيى أنه ذكر الأعراف وأهله فتوجع واسترجع ثم قال: قوم أرادوا وجها من الخير فلم يصيبوه، فقيل له: يا أبا محمد، أفيرجى لهم مع ذلك لسعيهم ثواب؟ فقال: ليس فى خلاف السنة رجاء ثواب.

والوجه فيه ظاهر، فإن التقرب إلى الله لا ينال إلا بفعل ما شرع الله وعلى الوجه الذى شرعه. أما مالم يشرعه من وسائل التقرب إليه فإنه لا يثيب عليه.

وصحت الأحاديث أيضا فى استحقاقه اللعنة وحرمانه من شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم. قال عليه السلام: (من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) قال الشاطبى فى الاعتصام: «وقد اشترك صاحب البدعة فى اللعنة مع من كفر بعد إيمانه، وقد شهد أن بعثة النبى صلى الله عليه وسلم لا شك فيها وجاءه الهدى من الله والبيان الشافى. وذلك قوله تعالى: كيف يهدى الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق - إلى قوله - أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ... إلخ».

واشترك أيضا مع من كتم ما أنزل الله وبينه فى كتابه وذلك قوله تعالى: «إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ... إلخ».

فتأملوا المعنى الذى أشرك المبتدع فيه مع هاتين الفرقتين. وذلك مضادة الشارع فيما شرع؛ لأن الله أنزل الكتاب وشرع الشرائع وبين الطريق للسالكين على غاية ما يمكن من البيان فضادها الكافر بأن جحدها جحدا، وضادها كاتمها بنفس الكتمان، لأن الشارع يبين ويظهر، وهذا يكتم ويخفى، وضاده المبتدع بأن وضع الوسيلة لترك ما بين وإخفاء ما ظهر.

أما ما يصيب أتباع المبتدع فهو الحرمان من الثواب، لأنهم يعبدون الله بالبدع التى لم يقرها دينا ولم يجعلها طريقا للعبادة، ولأنهم يتركون بكل بدعة يعملونها سنة من السنن التى جاء بها الرسول وحث عليها. ولهم بذلك كفل من العمل فى هدم الدين عليه يجازون وبه يعاقبون، وقد حكى الله لنا شيئا من عاقبة الأتباع الذين أخذوا بأباطيل المبتدعين، وألقوا بأنفسهم فى أحضانهم، وقد كان ميسورا لهم أن يعرفوا الحق من أهله وأن يرجعوا إليه، قال تعالى فى سورة البقرة: «وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار»، وقال فى سورة الأحزاب: «يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا أطعنا الله

وأطعنا الرسول . وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً » .

اما ما يصيب الدين نفسه من الابتداع فهو خفاء كثير من أحكامه وتشويه جماله . والاول سبب من أسباب اندراس الشرائع ، والثانى سبب من أسباب الإعراض عنها وعدم احترامها . ويتجلى هذا فى بدع أهل الطرق وغيرها مما يصور الدين تصويرا يأباه ما للدين من جمال وجلال ، وكثيرا ما تنتشر البدع وتأخذ مكانة الدين فى النفوس وتصبح هى الدين المتبع عند الناس ، وبقدر ذيوعها يكون اندراس الدين ، وهذا هو الطريق الذى اندرست به الشرائع السابقة . وانحرف عنها المتدينون ، ولهذا نعى القرآن الكريم على من حرفوا الكلم عن مواضعه وأخفوا كثيرا من الأحكام .

أما ما يصيب الأمة التى دخلت البدع فى دينها فهو إلقاء العداوة والبغضاء بين اهل الإسلام ، وذلك أن صاحب البدعة ينتصر لبدعته ، والسنة لابد لها من طائفة تبينها وتقوم عليها ، وبذلك تنقسم الأمة على نفسها وتصبح شيعا وأحزابا ، وقد يشتد الخصام بين الفرق فيقع بينهم التكفير واستحلال الدماء وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض ، قالت عائشة : ألا إن نبيكم قد برىء ممن فرق دينه واحترب وتلت قوله تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء . إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون .

وقد جاء فى الوصايا العشر بآخر سورة الأنعام قوله تعالى : « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » .

وروى أحمد والنسائى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط خطا بيده ثم قال : هذا سبيل الله مستقيما ، ثم خط خطوطا عن يمين ذلك الخط وعن شماله ثم قال : وهذه السبل ليس فيها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه ، ثم قرأ « وأن هذا صراطى مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله » .

وقال تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات » .

وقد عنى القرآن كثيرا بتحذير الأمة من التفرق والاختلاف لأنه الداء الوبيل الذى يسرع بالفناء إلى الأمم .

وبعد : فهذا موجز القول فى بيان الأضرار المترتبة على الابتداع نرجو أن يجد فيها المبتدعون ما يردعهم عن خطة الابتداع ، ويدفع بهم إلى تعرف السنن والتمسك بها .

هدانا الله إلى صراطه المستقيم ؟

محمود شلتوت

الحروف والمعانى فى اللغة العربية

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتب إلىّ الشاعر الكبير الأستاذ رشيد سليم الخورى معقبا على رأيى فى دلالة الأوزان ومخارج الحروف باللغة العربية - من كتاب اللغة الشاعرة - فقال حفظه الله :

« ... قد تنبهت بطول المراجعة إلى أن حرف الفاء هو نقيض حرف الغين بدلالته على الإبانة والوضوح : فتح ، فضح ، فرح ، فلق ، فجر ، فسر ، إلخ ... مما يعيى إحصاؤه ويندر استثناؤه ، وأن حرف الضاد خص بالشؤم يسم جبين كل لفظة بمكرهة لا يكاد يسلم منها اسم أو فعل : ضجر ، ضر ، ضير ، ضجيج ، ضوضاء ، ضياع ، ضلال ، ضنك ، ضيق ، ضنى ، ضوى ، ضراوة ضيزى ، وبعكسه الحاء التى تكاد تحتكر أشرف المعانى وأقواها : حب ، حق ، حرية ، حياة ، حسن ، حركة ، حكمة ، حلم ، حزم ، وأرى أنها لهذه المزية ولامتناعها - أو على الأقل مشقتها - دون سائر حروفنا الحلقية على حناجر الأعاجم هى أولى بأن تنسب إليها لغتنا ، فنقول لغة الحاء ، بدلا من قولنا لغة الضاد » .

* * *

والرأى الذى أوجزه الشاعر الكبير موضوع بحث مفيد يتصل ويتفرق بين المشتغلين بأسرار اللغة العربية أو « بذوقياتها » وطرائف تركيبها ، وآخر مناقشة فيه حضرتها كانت بين رجلين من كبار رجال المحاماة عندنا وهما الأستاذ نجيب برادة الذى كان زميلا لنا بمجلس الشيوخ والأستاذ ابراهيم الهلباوى رحمهما الله ، وكان الأستاذ برادة يبحث عن أثر الحروف فى السمع وعلاقة ذلك بالفصاحة والإقناع ، ويعتقد أن « الحاء » أظهر الحروف أثرا فى الإيحاء بمعانى السعة - حسية كانت أو فكرية - ويعمم الحكم فيسوى بين موقع الحاء فى أول الكلمة وموقعها فى وسطها أو آخرها ، ويتمثل بكلمات الحرية والحياة والحلم والحكمة والحلاوة ، وهو - رحمه الله - قد كان فى خلائقه مثلا للحلم والحكمة والأناة ، ولم تكن شدته فى الدفاع أو المناقشة والمناقضة تحول يوما دون ابتسامة اللطف والبشاشة على شفتيه .

ولقد كان زميله الهلباوى - على عادته فى الفكاهة والدعابة - يسخر من فلسفته

« الحائية » كما يسميها ، ويقول له إن اسم « الحمار » مبدوء بالحاء ، وإن أشيع اللفظات على ألسنة النادبات يتردد فيها حرف « الحاء » ..

وإن « حسين فلان » ... ويسمى صاحبا لهما باسمه واسم أبيه « من أضيق أصحاب العقول والصدر ... !

وكنا - إذا ضحكنا من هذه الدعابة - لا نسمح لها أن تخلط بين النكتة والحجة ولا ننسى خطر الفكاهة فى مقام الاستدلال على الجد والحقيقة . إلا أننا كنا نخالف الأستاذ برادة فى تعميم الحكم على الحرف بغير تفرقة بين مواقعه فى الكلمات ومواقعه فى السماع ، وقد ضربنا له المثل بكلمات لا تغيب عن المحامين على التخصيص : وهى كلمات « الحبس والحجر والحرج والحد والحساب والحرس » وغيرها من الكلمات التى تناقض معانى السعة بالحس أو بالتفكير .

ونحب أن نعود إلى هذا البحث لمناسبة الرأى الذى أبداه الأستاذ الخورى فنقول إن : « الحاء » حقا من الحروف التى تصور معنى السعة بلفظها ووقعها فى السمع ولكن على حسب موضعها من الكلمة ومصاحبة ذلك الموضع للدلالة الصوتية ، وليست دلالتها هذه مصاحبة للفظها حيث كانت من أوائل الكلمات أو أواسطها .

فالحكاية الصوتية واضحة فى الدلالة على السعة حين يلفظ الفم بكلمات « الارتياح والسماح والفلاح والنجاح والفصاحة والسجاحة والفرح والمرح والصفح والفتح والتسبيح والترويح ، وما جرى مجراها فى دلالة لفظه على الراحة فى الضغط والقيد فى مخارج الأصوات .

ولا يمتنع مع هذا أن تكون « الحاء » المنفردة حرفا سهلا قليل الحاجة إلى الضغط فى مخارج الصوت ، ولكن يجوز أن يكون البدء بهما مقصوداً به عند وضع الكلمات الأولى أن تتبعه الحركة التى تناقض معنى السعة لتدل على الحجر والتقييد ، فإن الجيم الساكنة بعد الحاء أشبه شىء بعلامة الإلغاء التى توضع على صورة الرجل الماشى على قدميه ، ليستفاد منها « أن المشى ممنوع فى هذا المكان » ... وكذلك الباء الساكنة بعد الحاء فى اسم « الحبس » فإنها تنفى السعة بعد الإشارة إليها فى أول الكلمة ، وهذا - كما قدمنا - فرض يجوز أن يخطر على البال قبل رفض القول بدلالة الحاء على السعة فى أواخر الكلمات ، وهى دلالة يعززها التكرار والإحساس بوقع الكلمات المنتهية بالحاء من الأسماع .

وقد ينفعنا الالتفات إلى دلالة الحكاية الصوتية للتفرقة بين حروف الهجاء فى خصائصها المعنوية . إذ ليست كل الحروف سواء فى حكاية

الأصوات من أصوات الأحياء أو أصوات الجمادات ، وإنما يقع بينها الاختلاف بمقدار صلاحها لحكاية الأصوات المسموعة ، فلا يلزم من مصاحبة بعض المعانى لبعض الحروف أن يكون ذلك شرطا ملازما لجميع حروف الهجاء .

فالميم - مثلا - فى أواخر الكلمات تدل دلالة لاشك فيها عند الاستماع إلى كلمات « كالحتم والحسم والجزم والحطم والختم والكتم . العزم والحزم . القضم والقطم والكظم » ، وأمثالها كلمات لاتخلو من الدلالة على التوكيد والتشديد والقطع الذى يدل على المعانى الحسية كما يستعار أحيانا لمعانى القطع بالرأى والإصرار على العزيمة .

وحرف السين على نقيض الميم لدلالته على المعانى اللطيفة كالهمس والوسوسة والنبس والتنفس والحس والمساس والاقتباس ، ولكنه يتغير إذا تغير موقعه من الكلمة كما يلاحظ فى المشابهة اللفظية والمعنوية بين « السد والشد والصد » ... ولعله سريان العدوى والمقاربة بين الألفاظ يتسرب مع طول الاستعمال إلى المعانى والدلالات .

وربما فعلت المجاورة فعلها عند نقل الحرف من الدلالة على المعانى اللطيفة إلى الدلالة على غيرها كما يحدث فى كلمات الكسر والقسر والعسر والأسر والخسر ومشتقاتها وفروعها ، وهى غير مجاورة الياء والفاء فى التيسير والتفسير .

وقد تكون الدلالة الصوتية مطردة متماثلة بين جميع الكلمات ولكنها تحسب من الاستثناء عند النظر إلى المعنى على اعتبارين غير متماثلين .

فالكتمان من الكتم شبيه بالكظم والقطم فى الحركة الحسية التى نتصورها عند الإكراه على كتمان الصوت والنفس ، ولكن الكتمان يوحى إلى الذهن بالمعنى الطيف حين نريد به الخفاء والسكوت ، ولا شذوذ هنا فى الدلالة الصوتية أو الدلالة الحسية وإنما يعرض للذهن وهم الشذوذ عند النظر إلى المعنى على اعتبارين مختلفين .

كذلك يتشابه السطر والشطر بصوت القطع ومعناه ، ولكننا إذا نقلنا السطر إلى معنى الخط المكتوب فقد يوحى إلى الذهن معنى من معانى النحافة واللطف والنحول ، ويتباعد المسطور والمشطور على هذا الاعتبار ، وهما فى الأصل متقاربان .

ومن الأصوات ما يلوح لنا أنها متناقضة وهى لا تتناقض فى لبابها ولكنها تتناقض فى التقدير لأنها بطبيعتها متوقفة على المعانى التى تقترن بها ، وليست لها معان ثابتة بالنسبة إلى ذواتها .

ومن هذا القبيل كلمة الجليل وكلمة القليل .

فإننا إذا نظرنا إلى اعتبار اللفظ فيهما وجب أن يكون معناهما واحداً لأن القاف لا تقل فى التفخيم وبروز اللفظ عن الجيم .

ولكن العبرة بالشيء الذى تضاف إليه القلة أو الكثرة ، لا باللفظ الذى تسمعه الأذن من إلقاء الكلمة على انفراد .

فالقليل من القوة مثلا كثير من الضعف ، والكثير من المرض قليل من الصحة والخطب إذا جل قل الصبر على احتماله ، والجليل إذا غطى الشيء فالذى يظهر منه قليل .

وليس من العجيب - إذن - أن يأتى وصف الجلل بمعنى الجسامة كما يأتى بمعنى الهوان على الضدين .

* * *

والنتيجة بعد هذه الملاحظات السريعة قد تكون كبيرة الجدوى مع التوسع فيها وتعدد الناظرين إليها من جميع جوانبها ، وخلاصتها :

« أولا » أن هناك ارتباطا بين بعض الحروف ودلالة الكلمات .

و « ثانيا » أن الحروف لا تتساوى فى هذه الدلالة ، ولكنها تختلف باختلاف قوتها وبروزها فى الحكاية الصوتية .

و « ثالثا » أن العبرة بموقع الحرف من الكلمة لا بمجرد دخوله فى تركيبها .

و « رابعا » أن الاستثناء فى الدلالة قد يأتى من اختلاف الاعتبار والتقدير ولا يلزم أن يكون شذوذاً فى طبيعة الدلالة الحرفية .

ولا نعرف بين اللغات الكبرى لغة أصلح من لغتنا العربية لهذا الباب من أبواب الدراسات اللغوية ؛ لأن مخارج حروفها مستوفاة متميزة ، خلافا لأكثر اللغات التى تعوزها الحروف الحلقية أو تلتبس فيها مخارج حروف الهجاء .

عباس محمود العقاد

النصر فى الاتحاد

من كتاب أبى بكر لقواد المسلمين فى واقعة اليرموك :

« اجتمعوا فكونوا عسكرا واحدا ، والقوا زحوف المشركين بزحف المسلمين فإنكم أعوان الله ، والله ناصر من نصره ، وخاذل من كفره ، ولن يؤتى مثلكم من قلة ، وإنما يؤتى العشرة آلاف والزيادة على العشرة آلاف إذا أتوا ، من تلقاء الذنوب ؛ فاحترسوا من الذنوب ، واجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل رجل منكم بأصحابه » .

الإسلام والمجتمع

للأستاذ الدكتور محمد البهى

إن أى مجتمع إسلامى فى أى بلد إسلامى فى الوقت الحاضر تخلى عنه الاستعمار نتيجة لحركة الاستقلال الوطنية فيه ، وأصبح بفضل هذه الحركة مستقلا سياسيا — أخذ يتطلع إلى المجتمعات الأخرى المعاصرة التى تفوقت فى الصناعة وتقدمت فى البحث العلمى ، وبالتالى فى استغلال الثروات الوطنية . وارتفع بذلك مستواها الاقتصادى ودخل الفرد على السواء .

ومن حق هذه المجتمعات الإسلامية أن تتطلع إلى التفوق فى الصناعة والبحث العلمى . ومن حتمها أيضا أن تسعى إلى رفع دخول الأفراد ومستواها فى الحياة الاقتصادية .

ومن حق هذه المجتمعات كذلك أن تفتش عن أسباب الضعف فيها ، وعن عوامل التخلف لتزيلها وتقضى عليها ، ثم تأخذ بأسباب القوة والتفوق .

ولكن أين تكمن أسباب الضعف وعوامل التخلف ؟ .

أتكمن فى البعد عن الإيمان بالإسلام وتطبيق مبادئه ـ كما يصورها القرآن والسنة الصحيحة — فى حياة المسلمين ؟ .

أم تكمن هذه الأسباب وتلك العوامل فى الانتساب إلى الإسلام والأخذ بتعاليمه ؟

إن هناك استعمارا خرج ، واستعمارًا آخر يريد أن يدخل . هناك الاستعمار الذى خرج وهو الاستعمار الذى واجهته الحركة الوطنية الاستقلالية . ولم يخرج هذا الاستعمار إلا بعد أن فرق المجتمع الإسلامى إلى طائفتين رئيسيتين : طائفة أعدها وقت استعماره لمعاونته فى جهاز الحكم الداخلى . وهذه الطائفة بقدر ما أبعدها عن القيم الإسلامية ، بقدر ما قربها إلى أهدافه هو فى الحياة . وطائفة أخرى أهملها وانتقص شأنها ، وهى تلك الطائفة التى احتضنت تلك القيم الإسلامية ودافعت عنها ، وربما كافحها وعمل على إذلالها .

وبذلك وضع القيم الإسلامية فى ميزان الصراع بين الطائفتين فى المجتمع ، إحداهما تواجه الأخرى بالخصومة حول هذه القيم . طائفة ترضى عنها وتريد منها سبيلها فى الحياة وأخرى تنفر منها وتريد أن تبعدها كلية من توجيه الحياة .

وطول فترة الاستعمار يزود المستعمر الطائفة

التى ابتعدت عن القيم الإسلامية وتحاول أن تتجنبها فى توجيه الحياة — بالدراسات الإسلامية التى تصورها مصادر الاستشراق فى أوربا على اختلاف عددها وألوانها ، باللغات الأوربية الحديثة . وهى دراسات تهدف إلى إضعاف صلة المسلمين بالإسلام :

مرة عن طريق تشويه شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم بتصويره ذا ميل حيوانى ، أكثر منه صاحب رسالة للإنسانية ، بسبب تعدد زوجاته وهن أمهات المؤمنين .

ومرة عن طريق تشويه الدعوة الإسلامية ، عن طريق دعوى انتشارها بالسيف ، وليس بالإقناع .

ومرة عن طريق تشويه المبادئ الإسلامية — كمبدأ الجهاد فى سبيل الله ، ومبدأ ولاء المؤمن للمؤمن ، والمؤمنة للمؤمنة ، ومبدأ الطلاق . فيصفون الجهاد فى سبيل الله بأنه حض على الاعتداء ، ويصفون ولاء المؤمنين بعضهم لبعض بأنه حض على العزلة وعدم الاتصال بالأمم والشعوب الأخرى ، ويصفون الطلاق بأنه تفكيك لروابط الأسرة وتمهيد لإشباع الرغبة الحيوانية بالزواج فى حدود الأربع .

ومرة رابعة عن طريق وصف الإسلام كله بأنه دين البدائية ، وأنه لا يتمشى مع الحضارة الإنسانية . لأنه ولد فى الصحراء . وإن صلح فيما مضى فإنه لا يصلح لحياة المدنية والحضارة الإنسانية .

ويقرأ المثقفون على النمط الغربى هذه الأوصاف ولا يستطيعون أن يردوها أو ينقضوها لأنهم لا يعرفون من الإسلام إلا تلك المظاهر التى لمواطنيهم المسلمين . وهى مظاهر تدل فى الجانب الفكرى على جمود فى الفهم ، وتدل فى العادات على حرص على المألوف ، وفى السلوك على تواكل وتراخ فى الأخذ بأسباب الحياة الإنسانية القوية .

بل كثيراً ما يصدقون وصف الغربيين المستشرقين للإسلام ومبادئه ورسوله . ومن أجل ذلك كانت رغبتهم القوية فى تغيير وضع المجتمع على أساس من فصل الإسلام عن التوجيه وجعله عبادة تربط بين الفرد وربه ، دون أن يكون له أثر فى علاقات الأفراد بعضهم ببعض أو فى ربط المجتمع بمجتمع آخر .

ولكن مع ذلك لولا تلك الطائفة الأخرى التى احتضنت الإسلام ودافعت عنه ، وتعرضت لإذلال المستعمر وهجومه واستخفافه لما خرج المستعمر من أى بلد إسلامى احتله فترة طويلة .

إن إيمان هذه الطائفة بالله وبالإسلام —

مع ما قد يكون لها من بعض الأفهام الخاطئة لتعاليم الإسلام - هو الذى أقلق المستعمر فى استعماره ، وهو الذى أيأسه من البقاء ومن ثم آثر السلامة بالخروج من الوطن الإسلامى .

وإن المجتمعات الإسلامية التى تحررت من الاستعمار الغربى لم تتحرر منه نتيجة لجهود المنظمات الدولية ، وإنما تحررت بفضل تضحيات الوطنيين فى سبيل الله . ولولا مبدأ الجهاد فى سبيل الله - الذى هو مبدأ رئيسى فى النظام الإسلامى ، والذى يصفه الاستعمار بالرغبة فى الاعتداء - لما تحررت الشعوب الإسلامية ، ولفنيت فى مجتمعات المستعمرين كطبقة دنيا بين طبقاته .

وإن تلك الطائفة الثانية فى المجتمع الإسلامى لمدينة بوجودها فى صف قيادة المجتمع إلى الطائفة الأولى ، وإلى إسلامها وجودها فى التمسك بالإسلام . ولولاها لبقيت فى تبعية المستعمر وفى خدمته ، ولبقيت مستمرئة هذه التبعية ، بل ربما جعلت من هذه التبعية مجداً وفخراً لها ، بدلا من أن تتخذ من صيانة الوطن والدفاع عن قيمه وأرضه مصدراً للفخر والمجد .

إن الجزائر فى حربها - فى السنة السابعة منها اليوم - ضد الاستعمار الفرنسى لم يكن لها من دافع على هذه الحرب وعلى الاستمرار فيها سوى الإيمان بالله والإيمان بالإسلام وإن هذا الإيمان بالإسلام لولا أن نقله شيوخ الجزائريين إلى شباب الجزائر لما قامت هذه الحرب ولما استمرت ، إذ فعل المستعمر الفرنسى فى الجزائر ما وسعه فى إبادة مقومات الشخصية الجزائرية : فحال دون تعلم اللغة العربية وتعليمها ، وحال دون دخول المساجد والتعبد فيها ، وحال دون الاطلاع على التاريخ العربى والإسلامى المجيد والتأثر بأحداثه فى استقلال شخصية المجتمع الإسلامى . وفى الوقت نفسه قدم فى المدارس التى أنشأها مسخاً شنيعاً للإسلام وتعاليمه ، وتمجيداً لإنسانية فرنسا ومدنيتها . ومع ذلك لولا الإيمان بالله وبالإسلام لما قامت هذه الحرب، فضلا عن أن تستمر .

إن الذين يمارسون اليوم دور القيادة فى المجتمعات الإسلامية عليهم أن يراجعوا تاريخ أنفسهم وتاريخ خصومهم من الذين لا يزالون يحتضنون القيم الإسلامية ويدافعون عنها . وسيعلمون يقينا أن دور خصومهم فى المجتمع أيام الاستعمار هو الذى هيأ لهم الطريق للقيادة فى عهد الاستقلال ، وأن بقاء المجتمع وقوته ليسا فى إبعاده عن تراثه الروحى والفكرى ، وإنما فى صيانة هذا التراث وحده .

الإسلام ليس وضع المسلمين فى سلوكهم :

ولكن مع ذلك لا نريد أن ندافع عن الوضع الحالى للمسلمين فى أى مجتمع ، كما لا نريد أن نشتق منه تعاليم الإسلام على نحو ما يصنع المستشرقون . إن وضع المسلمين فى أى عهد لا يمثل تماما تعاليم الإسلام . والقرآن - وحده ، والسنة الصحيحة بجانبه - هو الذى يصور هذه التعاليم حق تصويرها .

إن الإســلام دين المجتمع البشرى . ومن لا يدرك هـذا فقد أدخل فى مفهوم الإسلام ما ليس منه .

هو دين تناول بناء الفرد ، وبناء الأسرة ، وسياسة الأفراد فى علاقاتهم بعضهم ببعض داخل المجتمع ، وتناول أيضا سياسة لمجتمع قام على الإيمان بالإسلام نحو مجتمع آخر لم يشاركه هذا الإيمان .

إن سياسة بعض الدول الكبرى فى عصرنا الحاضر تسقط اعتبار المواطن الذى لا يؤمن باتجاه الدولة فيها وسياسة البعض الآخر منها تعتبر ما لا يدور فى فلكها وفى اتجاه سياستها الدولية من شعوب أخرى فى حساب الخصوم والأعداء . ولكن الإسلام - لأنه دين الإنسانية - لا يمس كيان مجتمع آخر مقابل له فى الإيمان والنظرة إلى الحياة ولا ينظر إليه نظرة عدائية ، مادام أن هذا المجتمع يجنح إلى السلم وعدم الاعتداء : « وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله إنه هو السميع العليم » . كما أنه لا يجرد الفرد غير المسلم من اعتبار الإنســانية ووجوب الرعاية وبالأخص من ممارسة العدل معه ، ما دام لا يرتكب الظلم والعـدوان : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله » .

ومع اختلاف الإسلام عن النظرات التى توجه المجتمع الإنسانى الحديث فى الموقف تجاه الذى لا يؤمن بالقيم التى يدعو إليها — فرداً أو مجتمعا — فهذه النظرات الفلسفية المعاصرة تحاول أن ترى الإسلام على أنه وجد لحقبة معينة من الزمن هى حقبة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولمكان معين هو شبه الجزيرة العربية ، ، ولقوم خاصين هم القبائل العربية التى لم يكن لها حظ من الحضارة الإنسانية . ومن ثم فالإسلام لا يستطيع أن يسهم فى الحضارة البشرية المتطورة ، ولا فى الاحتفاظ بما حصلت عليه الإنسانية الآن من هذه الحضارة . والتمسك به معناه التمسك ببقاء الإنسانية فى طورها البدائى - وهو الطور الذى جاء فيه - أو معناه إمساك الإنسانية عن أن تسير نحو الأمام . وهذا أو ذاك ضد الطبيعة البشرية المتغيرة المتطورة.

إن المعيار الذى يخضع له الإسلام فى الحكم وتخضع له أيضا الاتجاهات الفلسفية المعاصرة من التقدمية أو الديمقراطية ، ومن الاشتراكية أو الحرية الفردية — هو المستوى الإنسانى الذى تتحقق فيه خصائص الإنسانية . فبقدر قرب المبادئ أو بعدها التى يتكون منها الإسلام أو تدعو إليها الاتجاهات المعاصرة من هذا المستوى ، وبقدر تمثيلها أو عدم تمثيلها إياه — بقدر ما يكون الإسلام أو تكون تلك الاتجاهات صالحة أو غير صالحة للطبيعة الإنسانية ولحياة الإنسان التى يريد أن يصعد إليها فى مراحل تطوره من الطفولة البشرية إلى نضوج الإنسانية .

ولا يختلف اثنان مطلقا فى أن المستوى الإنسانى هو غاية الحياة الإنسانية ، والهدف الأخير للتوجيه باسم هداية الله أو باسم التنوير والتبصير عن طريق المعرفة المستخلصة من واقع الكون أو التى يرسمها العقل البشرى .

ولا يختلف اثنان أيضا على الإطلاق فى أن التجربة التى يمر بها المجتمع الإنسانى فى ظل توجيه معين - مهما بدا فيها التقارب بين سلوك المجتمع ومبادئ التوجيه — لا تعبر تماما عن مبادئ التوجيه نفسها ، على نحو ما توحى هذه المبادئ عندما تستوحى ويطلب إليها الإدلاء بمضمونها أمام العقل غير المتأثر . فالتجربة الإنسانية فى ظل توجيه معين قد يعوقها عدم تفاعل بعض أفراد المجتمع مع المبادئ تفاعلا نفسيا داخليا ولذلك يكون تعبير المجتمع عن هذه المبادى غير صادق تماما .

ومن هنا كان « عمل أهل المدينة » - الذى ارتضاه المالكية دليلا معبراً عن مبدأ إسلامى تضمنته السنة القولية للرسول صلى الله عليه وسلم — غير كاف فى نظر الشافعية ليكون معبراً تماما عن هذا القول ويروى لذلك عن الشافعى أنه يقول : « إذا صح الحديث (القولى) فهو مذهبى » .

وهذا العمل الذى لم يقتنع به الشافعى كمعبر تماما عن السنة القولية هو عمل أهل المدينة ، أى عمل الرعيل الأول الذى باشر صحبة الرسول وعاش فى أحداث الوحى والدعوة إلى الإيمان بما نزل به عليه صلى الله عليه وسلم . فهو ألصق بمبادئ الإسلام وأدنى إليها من أى رعيل آخر بعده ولذلك كان أعلى منزلة ، والمجتمع الذى تكون منه كان أفضل المجتمعات الإسلامية :

(خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم) .

وعلى هذين الأساسين كلما كانت طبيعة

مبادئ التوجيه مساوقة للطبيعة البشرية : فى تكوينها ، وفى تطورها ، وفى غايتها فى الوجود ـ كان النظام القائم على هذه المبادئ أهدى للبشرية وأكثر إيجابية فى تفاعله معها ، لو نقيت هذه الطبيعة من الرواسب التى رسبت فى توجيهها اللاشعورى، وكونت فيها عاملا مضادا أو مصدراً للانحراف عن خصائص الطبيعة النقية الصافية .

والطبيعة البشرية طبيعة حيوانية عاقلة ، طبيعة مادية روحية . فيها الازدواج والتقابل فيها الميل إلى الارتباط بعالم الحس ، وفيها الاتجاه إلى الانفصال عنه والحكم عليه . تتكيف بالوجود الواقعى وتتأثر بما يدور فيه ، وترتفع فوق التأثرية فتؤثر فيه .

إن أريد لها عن طريق توجيه ما أن تظل متأثرة بالوجود الواقعى أو بما يسمى عالم الحس ، فهذا التوجيه قد بعد عن هذه الطبيعة البشرية بمقدار ما نحى عنها جانب الاتجاه فيها إلى الحكم عليه . وإن أريد لها عن طريق توجيه آخر أن تظل فوق هذا الوجود الواقعى لتحكم عليه فهذا التوجيه قد بعد عن هذه الطبيعة بمقدار ما أهمل فيها جانب النزوع إلى الارتباط بعالم الحس والواقع .

والواقعية أو المادية فى التوجيه هى التى تعطى القيمة الأولى والأخيرة لبقاء الإنسان متأثراً بالواقع دون غيره ؛ لذلك ليست بأكثر حظا فى الملاءمة للطبيعة البشرية من المثالية العقلية التى تعطى الوزن الأول لعقل الإنسان وتفكيره دون اعتبار كثير أو قليل للوجود الواقعى الذى يتأثر به الإنسان .

فإذا كان هناك توجيه متوازن ، يرعى التقابل فى طبيعة الإنسان ، ويرعى تأثره بالواقع وحكمه عليه ـ فذلك هو النظام التوجيهى الذى يلائم طبيعة الإنسان وهو الذى يعيش مع الإنسان ، ويصل به المجتمع إلى هدفه فى تحقيق المستوى الإنسانى .

الإسلام هو المصدر الطبيعى للتوجيه الإنسانى

فهل الإسلام هو مصدر ذلك التوجيه المتوازن ؟ . هل الإسلام يدعو الإنسان إلى الارتباط بالواقع والحكم عليه معا ؟ .

الإسلام فى توجيه الإنسان إلى الإيمان بالله دعاه إلى النزول إلى الواقع والتماس الدليل منه : « خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين . والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس، إن ربكم لرءوف رحيم . والخيل والبغال والحمير

لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون ... هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون . ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرت إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون . وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ، والنجوم مسخرات بأمره ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرأ لكم فى الأرض مختلفاً ألوانه ، إن فى ذلك لآيات لقوم يذكرون . وهو الذى سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها، وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون. والتى فى الأرض رواسى أن تميد بكم ،وأنهاراً وسبلا لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم »

وفى الوقت نفسه لم يجعل القرآن طبيعة الإنسان طبيعة انطباعية فحسب، لم يجعلها طبيعة منفعلة بالواقع المحسوس دون أن يكون لها حكم عليه ، بل ناشد العقل والفكر فى هذه الطبيعة وناشد حكمها فقال : إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون ، والعقل لا يحكم حكما صحيحا والفكر لا يستقيم تأمله ثم لا يستقيم تخطيطه إلا إذا كان كل منهما فوق الانفعال والانطباع فى اللحظة التى يحكم و يفكر فيها.

وواضح أن الإسلام ، كما يطلب من الإنسان ألا يغفل واقعه المحسوس ، يطلب منه أيضاً أن يخرج الفكرة فوق واقعه المحسوس . هذا ليحكم عليه حكما صحيحاً - ذلك واضح من قوله تعالى : « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » . والأنفس هى التى شرحها القرآن الكريم : « وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون » . « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . فنظرة الإنسان إلى نفسه ليست نظرته إلى واقعه ، وتأمله فيما زود به من مصادر المعرفة — وهى السمع والبصر والأفئدة — ليس هو تأمله فيما يحيط به من حس ملموس . والإنسان فى عزلته عن واقعه يستطيع أن يدرك الألوهية ، كما يستطيع أن يدركها من واقعه المشاهد .

وهكذا يستطيع الإنسان بفكره أن يكون فوق الواقع ، ولكنه مع ذلك يكون فى صلة بالواقع وليس بعيداً عنه .

ولكى يتمكن العقل من حكمه الصحيح ويتمكن الفكر من تخطيطه وتأمله المستقيم، طالب الإسلام الطبيعة البشرية بألا تكون

تحت سلطان الواقع وحده ومتأثرة به غير مؤثرة فيه . وهنا كان مركز « الزهد » فى تعاليم الإسلام . والزهد ليس تنفيراً من الواقع ، إنما هو تنبيه فقط لعدم الانزلاق تحت طغيانه . فإذا قال القرآن الكريم : « يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد » . وقال : « قل من حرم زينة الله التى أخرج لعباده والطيبات من الرزق » . . — لم يكن منفراً من الواقع إطلاقا . لأن إنكار تحريم الزينة فى هذه الصورة ، ثم طلب الزينة نفسها من الإنسان حتى بين يدى الله — تدل دلالة واضحة على أن الواقع والوجود المادى له قيمته واعتباره فى حياة الإنسان . ولكن الذى يطلب من الإنسان فى نظر الإسلام فى هذا المجال أن لا يؤثر الإنسان الدنيا على الآخرة : « فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق » . بل يكون للآخرة نصيب فيما يهدف إليه : « ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب » .

ومعنى إيثار الإنسان الدنيا على الآخرة إيثاره الوجود المادى وحده على الوجود المعنوى . والوجود المعنوى هو وجود القيم التى يدركها العقل الإنسانى ويتصورها أهدافا لحياة الإنسان من العدل ، ورعاية الحرمات ، والأخوة الإنسانية ...... وتعبير الدين عن هذا الوجود المعنوى بالآخرة سببه أن آثاره باقية مع الإنسان ، والجزاء الأوفى عليها لا يكون بمتع الدنيا المادية وإنما يكون بمتع باقية أخرى . وهذه تكون فى العالم الباقى ، وهو ما وراء ذلك المحسوس المشاهد .

وهكذا تعاليم الإسلام فى توجيهها للإنسان لم تشأ أن تنقله من طبيعته ، ولم تحاول أن تقوم جانباً منها دون جانب آخر . ومحاولتها فى التوجيه هى أن تحقق للإنسان ذاتيته الإنسانية . وهى تلك الذاتية المتقابلة المزدوجة المتفاعلة التى تعش فى الواقع وفوق الواقع ، والتى تحس الشاهد وتفكر فيما وراء الشاهد ، والتى تتأثر بالوجود الواقعى الذى يعيش فيه الإنسان ، وتؤثر فى هذا الوجود بالحكم عليه وبتقديره .

ما دام الإسلام هو المصدر الطبيعى لتوجيه الإنسان فهو دين البشر والإنسانية . ولا انفكاك لمجتمع يريد أن يحقق إنسانيته من الإسلام إيمانا ومنهجاً فى الحياة .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

أسس التعامل فى الإسلام كما يقررها القرآن الكريم

للأستاذ محمد محمد المدنى

١ — « إنى جاعل فى الأرض خليفة » :

« وهو الذى جعلكم خلائف الأرض » .

« وسخر لكم ما فى السموات والأرض جميعاً منه » .

« آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه » .

« وآتوهم من مال الله الذى آتاكم » .

هذه نصوص كريمة من كتاب الله تعالى تقرر الحقيقة فى شأن الإنسان وعلاقته بالأرض التى يسكنها ، وما فيها من أموال وأشياء ذات قيمة يتصرف فيها .

فأول هذه النصوص يدل على أن الله استخلف فى هذا الكوكب الذى نعيش فيه أبا البشر الأول ، وهو آدم عليه السلام ، ومعنى استخلافه فى الأرض أنه خوله إياها ، وجعله صاحب السلطان فيها ، ليعمرها ويثيرها وينتفع بها ما شاء ، وهيأ له كل الوسائل التى تمكنه من تحقيق هذه الخلافة على أكمل وجه ، فعلمه الأسماء كلها ، أى أودع فيه من العقل وأساليب التفكير والتأمل ما يؤدى به إلى علم الأصول والعناصر والمبادئ التى منها تتكون الأشياء والحقائق ، كما أودع هذه الأرض كل ما تكون به صالحة للحياة ، متهيئة للتطور : « ولقد مكناكم فى الأرض وجعلنا لكم فيها معايش » .

والنص الثانى يفيد أن هذا الوضع بالنسبة لآدم قد استمر بالنسبة لذريته ، فقد جعلهم الله أيضا خلائف الأرض كما جعل أباهم ، فالبشر كلهم إلى يوم القيامة خلفاء فى الأرض لهم حق التصرف فيها ، وقد مكن الله لهم كل ما يحقق لهم معنى الخلافة من الأمور التى طبعهم عليها ، ومما ذرأ لهم فى الأرض نفسها .

والتعبير بمادة الخلافة فى تقرير هذا المعنى بالنسبة للأب الأول ولأبنائه الذين جاءوا من بعده يدل على أن تصرف الإنسان فى الأرض وما فيها ليس تصرف المالك بنفسه ، وإنما هو تصرف النائب والخليفة ، فالملك فى الحقيقة لله وما مثل الإنسان فى هذا الملك إلا كمثل العبد الذى أذن له سيده فى التصرف باسمه وفى حدود أمره وما يرسم من خطة ومنهج

والنص الثالث يقرب هذا المعنى أيضا فى جانب التسخير والتيسير والتطويع لكل ما

فى السموات والأرض حيث جعلها الله جميعاً بقوانين إلهيـة وسنن كونية من صنعه هو وحده ، خادمة للإنسان تعمـل من أجله ، وتخضع لنظره وانتفاعه واستغلاله بحسب ما علمه الله ، فهى أيضا برحمة من الله ، والإنسان فى شأنها أيضا لا يعمـل باسمه ولـكن باعتباره خليفة ونائبا عمن خوله هذا العمل ومكنه منه .

والنصان الرابع والخامس يقرران هـذه النيابة أيضا فى شأن المال وكل ماله قيمة فى هذه الحياة فإنما الإنسان فى هذا كله مستخلف فيه وليس مالـكا على الحقيقة ، والمـال كله مال الله الذى آتاه الناس .

والخلاصـة : أنه لا ملك للإنسان على الحقيقة لشىء ما ، وإنما هو قائم بأمر الله على وجه الخلافة والنيابة ، ومن شأن النائب أو الخليفة أن يترسم أوامر من أنابه واستخلفه وألا يحيد عنها قيد أنملة .

* * *

٢ — « وقل اعملوا » :

« من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها » .

« كل نفس بما كسبت رهينة » .

« قل كل يعمل على شاكلته » .

« من يعمل سوءاً يجز به » ، « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة » .

وهذه النصوص كلها تتحدث عن (العمل) وتقرر أنه هو الأساس الذى بنى الله عليـه استحقاق الإنسان للحياة الطيبة والآثار النافعة والجزاء الحسن ، ويغلب على أسلوب هذه النصوص ظاهرة التعليق بالشرط والجزاء أو ما فى معناه ، نريد بذلك الأسلوب الذى يتلخص فى (اعمل تجد ثمرة عملك) .

وهذا يوحى بأن الانتفاع بثمرات الأرض والأموال والأشياء التى استخلفنا فيها مرتبط تمام الارتباط بالسعى والعمل والجـد والاجتهاد ومقدار ما يبذل المرء من نشاط — ذكرا كان أو أنثى — وأن هـذا قانون الله الذى استخلف عباده فى أرضه .

وبهذا يتبين أن الله تعالى يأمر كل فرد بأن يـكون له فى هذه الحيـاة عمل يؤديه ، ولا يرضى لأحد من عبـاده أن يعيش كلا على مجتمعه ، وعبئاً وعالة على من دونه من الناس وأن كلا يجب أن يعمل على شاكلته : فهذا زارع وهذا تاجر وهذا صانع وهـذا معلم وهذا موجه وهـذا موظف على مرفق من مرافق الأمة . وبذلك يتحقق التعاون بين أفراد المجتمع بعضهم وبعض لمصلحة المجتمع ، ثم بين المجتمعات بعضها وبعض والشعوب بعضها وبعض لمصلحة العالم أجمع .

والخلاصة : أنه لا بد لمن استخلفه الله أن يعمل ، وأنه لا يباح لأحد أن يظل كسلان وأن يعيش عالة على من سواه .

٣ — ((لا يستوى الخبيث والطيب)) :

« يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم » .

« ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام، لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون » .

« يمحق الله الربا ويربى الصدقات » .

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين » .

« يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم » .

« لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث » .

« إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون فى بطونهم ناراً وسيصلون سعيرا » .

هذه النصوص الكريمة ، وكثير غيرها فى كتاب الله تعالى ، ترسم النهج السوى والصراط المستقيم فى (الكسب المشروع) عن طريق تحريك المال واستثماره .

وهى تحرم أنواعا من الكسب كالربا والرشوة وأكل مال اليتيم، ومثل ذلك فى غير هذه الآيات تحريم الميسر والبغاء ، وذلك لأن الاكتساب عن هذه الطرق إنما هو ابتزاز للمال بدون مقابل من خدمة عملية أو تجارية فهى أبواب للتبطل وبقاء فريق من الأمة يعيش على كد سواه ولا يقدم عملا يكون به متعاونا مع مجتمعه ، وكذلك الشأن فى الاكتساب من أعمال غير مشروعة كأجر البغى أو الرشوة التى يأكلها المرتشى فى مقابل ما يسهله من عمل أو صفقة أو نحوها فإن من شأن هذا كله أن يوجد فى الأمة لونا من ألوان الاحتراف الباطل فى صورة من الصور .

والقرآن الكريم الذى يمنع هذه الصور من التعامل والكسب الحرام يبيح التجارة ، بل يحث عليها إذ يأمر المؤمنين أن يبتغوا فضل الله ـ أى الربح عن طريق التجارة أو العمل بعد الصلاة ، وينفى الحرج فى ابتغاء فضل الله بالنسبة لمن يلابسون أعمال الحج إذ يقول لهم : « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله » ومثل هذا ما ورد فى سورة الجمعة حيث يقول عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون . فإذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله ، واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون » .

ومعنى هذا أن التجارة يمكن مزاولتها قبيل الصلاة وبعدها ، ويمكن مزاولتها أيضا فى أثناء عبادة الحج .

٤ — « لا تظلمون ولا تظلمون » :

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » .

« ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التى جعل الله لكم قياما » .

« وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم » .

« ولا تبغ الفساد فى الأرض » .

« ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

لكل معاملة من المعاملات أركان طبيعية هى : —

١ — العاقدان .

٢ — والشىء المعقود عليه .

٣ — والصيغة التى يكون بها العقد .

ونرى الشريعة الإسلامية تشترط فى كل ركن من هذه الأركان الطبيعية ما يقطع النزاع ، ويسد أبواب الخصومة والضغائن

فالعاقدان لابد أن يكونا راشدين عاقلين عالمين بما يتعاقدان عليه ، ولا يجوز التعامل مع السفيه ، ولا مع الصغير الذى لا يميز ، ولا مع المجنون ، ولا مع الغافل وذلك لأن التعاقد ما لم يكن على بصيرة وفهم وقدرة على الموازنة بين البذل والأخذ ، فإنه كثيراً ما يكون مثاراً للخلاف المؤدى إلى النزاع والخصام أو الحقد والاضطغان ، وكلاهما يكدر صفو المجتمع ، ويزلزل أمنه واستقراره.

والشىء المعقود عليه يجب أن يكون مملوكا لصاحبه ، وإلا كان تصرفه فيه باطلا ؛ لأنه تصرف فى ملك غيره .

ويجب أن يكون ذا فائدة معتد بها شرعا ، وإلا كان التصرف فيه ترويجا للفساد أو عبثاً.

وبهذا وذاك يصان المجتمع مما يؤدى إلى الخلاف أو يثير النزاع أو يروج للفساد .

والصيغة التى يكون بها التعاقد لا بد أن تكون واضحة فى إفادة معنى الرضا والقبول عادة دون تأثير أو ضغط بإرهاب أو تخجيل ، أو استغلال للفظ على سبيل التلاعب ، أو نحو ذلك .

وقد اعتد الشارع بكل أمارة يتبين بها أن التعاقد صورى أو مشوب بنوع من أنواع الإكراه ، ورتب على ذلك فساد التعاقد ، وعدم استتباعه لآثاره .

تلك هى الشروط التى تشترط فى أركان العقد ، ولهذا نهى الشارع عن كل معاملة تثير نزاعا من أية ناحية فلا مزايدة ولا ملامسة ولا منابذة مما كان يفعله أهل الجاهلية .

ونهى عن بيع ما فى بيعه غرر : كالمجهول والآبق ونهى عن الغش والغبن الفاحش .

وقد كان للناس معاملات قبل الإسلام ، فأقر منها ما لا يؤدى إلى ضرر ، أو يجر إلى محرم ، وأبطل منها أو عدل ما يؤدى إلى ذلك .

وهذا هو أحد الأصول القاطعة فى تحليل ما أحل وتحريم ما حرم.

* * *

٥ - « ولا تنسوا الفضل بينكم » :

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » .

« ولا تجعلوا الله عرضة لأيمانكم » .

« إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا أولئك لا خلاق لهم فى الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم » .

بعد أن يتحقق فى الكسب ما ذكرناه ، نرى الشريعة الإسلامية تسمو فوق هذا المستوى فتنحو بالأمر نحواً خلقياً كريماً ، وترسم للمتعاملين سبيلا مهذباً من شأنه أن يجعل مجتمعهم راقياً فاضلا ، وأن يدع بينهم مع التعاون معنى الحب والمودة والاحترام .

هذه السبيل هى رعاية الجانب الخلقى ، والنظر إلى ما تقضى به الفضيلة حتى لا يكون التعامل جافا غليظا ، أو يكون غرض كل من المتعاملين استغلال مواهبه فى استلاب ما يمكن استلابه من صاحبه .

ويظهر ذلك من الأحكام الآتية :

١ - تستحب الإقالة إذا طلبها أحد المتبايعين ، وذلك أن يندم أحد المتعاقدين على ما التزم ، ويتبين له أن التزامه ليس من مصلحته فيطلب من صاحبه أن يقيله ، وقد ورد فى بعض المأثور .

(من أقال نادما أقاله الله يوم القيامة) .

٢ - يكره أن ينفلت الرجل من مجلس البيع متخفياً قصداً إلى تفويت حق صاحبه فى خيار المجلس .

ومعنى ذلك أن المتبايعين بالخيار ما لم يتفرقا ، فقد يشعر أحدهما بأنه الفائز ، فإذا استمر فى المجلس تبين صاحبه الأمر فرجع فى العقد ، فهو لذلك يغافله ويهرب من المجلس ليثبت العقد تثبيتا نهائياً بالتفرق ، فالشارع ينهى عن ذلك وهو معنى خلقى كريم يلتفت إليه الإسلام هذا الالتفات العجيب .

٣ - نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تلقى الركبان ، وذلك أن يخرج طالب السلعة إلى طريق جالبيها ، فيلقاهم قبل أن يصلوا بها إلى السوق العامة فيستأثر بها دون الناس .

ولا شك أن من يفعل ذلك أنانى يؤثر نفسه وفى النهى عن ذلك تأديب وتهذيب .

٤ - نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أن يبيع حاضر لباد ، وقال :

« دعوا الناس فى غفلاتهم يرزق الله بعضهم من بعض » .

ولا شك أن أهل البادية إذا اعتمدوا فى بيعهم على أهل الحاضرة غلا السعر ، وبطل جانب من المساهلة والمسامحة .

[البقية على الصفحة التالية]

نفحات القرآن

حياتنا الدنيا مرحلة اختبار فى العمل للدين وللدنيا ثم مردنا إلى الله ليجزينا بعدله ..!

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

ا ـ وبلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون
ب ـ والدار الآخرة خير للذين يتقون : أفلا تعقلون ؟

هذا شطر من آية كريمة وردت فى معرض القصص عن اليهود . . . وقد كان من ذلك القصص أن الله اضفى عليهم خيرا كثيرا ، وأصابهم كذلك بشر كثير : فهم يتقلبون

---

٥ ـ يستحب السماحة فى البيع والشراء والأخذ والعطاء . وفى الحديث : « رحم الله رجلا سمحا إذا باع وإذا اشترى » .

٦ ـ يحرم الاكتساب وابتغاء عرض الدنيا بما هو محرم أو بما ينافى الخلق والفضيلة ، كالربا والقمار ، واتخاذ النساء وسيلة ، واحتكار الطعام وما يضر احتكاره من الضروريات .

٧ ـ يحرم البيع ساعة النداء للجمعة ؛ لأن فيه إيثاراً لعرض الدنيا على الآخرة وفيه إلى جانب ذلك ظهور بمظهر الجشع والتلهف ، وهو مظهر ينافى الخلق الكريم .

٨ ـ نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحلف على السلعة لترويجها لأنه نزول باسم الله العظيم إلى موطن المساومة والتغرير .

* * *

هذه هى الأسس التى ينبنى عليها أمر التعامل فى الإسلام ، الأمر فى « التكسب المشروع » ولم نقصد بما أوردناه من الأمثلة استيعابا ولا إفاضة فى البيان وإنما أردنا لفت الأنظار إلى أنواعها بقدر المستطاع .

إن الفقه الإسلامى هو فكرتنا ومنهجنا فى الحياة ، ولكل أمة نظام ونهج وفكرة تدعو إليها ، وتحاول جمع الناس عليها .

فليجمع المسلمون أمرهم على هذا التراث المجيد وليجعلوه منهاجهم الذى عليه يسيرون ، وإليه يدعون ، والله المستعان . والحمد لله رب العالمين ؟

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

بين حسنات وسيئات لتكون لديهم فرصة الرجوع إلى الله إذا كانت فيهم طباع كريمة يستلينها الخير، أو كانت فيهم نفوس لئيمة يقمعها الشر، ويردعها التخويف.

فإن يكن فى اليهود هذا وذاك فقد أتاح الله لكلا النوعين ما يلائم نزعته، وهيأ له سبيل توبته.

فإذا لم يكن منهم تأثر بالخير، ولا عبرة بالشر فإن ذلك يكون امتحانا تتكشف به خباياهم، ويعلم منه اليهود، ومن حولهم، ومن بعدهم ما كان خافيا عليهم من طويات النفوس، وتقوم عليهم الحجة بما جنوا على أنفسهم فى الحياة حتى خذلوا فى الاختبار.

فماذا صنع اليهود إزاء ما ابتلاهم ربهم به من حسنات، وسيئات.

حدثنا القرآن بامتداح نفر منهم آمنوا بموسى من قبل: إيمانا صادقا «ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق، وبه يعدلون».

ثم حدثنا القرآن كثيرا عن الآخرين منهم بغير ما ذكر عن صالحيهم الأولين «فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب، يأخذون عرض هذا الأدنى، ويقولون سيغفر لنا، وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه...!!».

أى لم يكن منهم إيمان وشكر على النعمة، ولا عبرة وازدجار بالنقمة، بل توسع هؤلاء الخلف فى الفتن، وأوغلوا فى الفساد، وخالفوا ما عرفوه من التوراة، وأقبلوا على الدنيا فى غير اعتدال، ولا تعفف: وهم مع ما يرتكبونه من نقائص يزعمون لأنفسهم مكانة عند الله، ويقولون: سيغفر لنا ما ارتكبنا. لأننا أبناء الله وأحباؤه! هم مع إسرافهم فى الانحطاط، وشعورهم بأن وراءهم حسابا ينتظرهم يمللون أنفسهم بأنهم من أهل المغفرة، ولا يكفون أنفسهم عن المخازى، بل يتمادون فيها، وإن يأتهم حطام دنيوى يفتنهم كما فتنهم الحطام الحاضر يقبلون عليه فى كلب وجشع غير ذاكرين ما فى التوراة من توجيهات، ولا مراعين ما بها من مواثيق، ولا مستشعرين ما يقتضيه الإيمان من الوفاء بعهد الله، كما هو شأن المؤمن الصادق فى دعواه. وكما هو مفروض فيمن تصادفه النعمة فتثير فيه نزعة الخير ويشكر، أو تصادفه نقمة فتنبه فيه بلادة الحس، ويثوب إلى رشده، ويخشى بأس الله.

هم سادرون فى غرورهم أو غفلتهم، ومزاعمهم. والله تعالى يزجرهم عن الكذب عليه، ويذكرهم بما فى كتابهم من قبل أن يحرفوه، وينفى كل ما يتعللون به من أمل فى تكريمه لهم «ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب - التوراة - ألا يقولوا على الله إلا الحق، ودرسوا ما فيه - فهم فاهمون له. ولا عذر لهم فى الخروج عنه».

نعم!! فى التوراة عهود أكيدة، بينها الله لبنى إسرائيل، وكلفهم أن يأخذوا بها،

دون عبث فيها ، ولا تنصل منها ، وهم عارفون بها .

ولكن : أين الوفاء عند قوم تحولت ميولهم عن جانب الخير ، وغلبت عليهم خسائسهم ؟ وهنا : يكون اختبارهم بالحسنات أو بالسيئات غير مجد فى تقويمهم ، ومظهراً لما علم الله من طويات نفوسهم : فهم عصاة معادون لله ، لا أبناؤه ، ولا أحباؤه ! .

- والله تعالى - يبعدهم عن الأمل الكاذب الذى يتشبثون به ، ويجعل وعده بالقبول والرضوان لغير من يكون على نمط اليهود ، فيقول :

« والدار الآخرة خير للذين يتقون - أفلا تعقلون » .

فليست الآخرة خيراً للكاذبين على الله ، ولا للناقضين مواثيقه وإنما هى خير للممتثلين لدعوة الله الذين لا يكفرون بنعمته ، ولا يتجهمون عند بلائه .

وهذا مفهوم ، اضح توحى به آيات الله وتهتف به دعوة الرسل ، وهو غاية مقررة يجب أن تفطن إليها العقول ، فاعقلوها قبل أن تتورطوا فى الضلال ، ولا تفرضوا مساواة بين المستجيب ، والمتمرد : فضلا عن أن يكون المسىء خيرا من المحسن كما يتخبط اليهود فى أحلامهم وأوهامهم وقد أخزاهم الله بقوله « فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم . وجعلنا قلوبهم قاسية » .

وهكذا : إذا رانت الشهوات ، وراجت الأباطيل تخلفت البصائر عن إدراك الحق ، والتبست المفاهيم على عقول المسرفين فيجنحون إلى الغواية ، ويعيشون فى بعد عن جانب الهداية ، ولا يفطنون إلى وعد الله ووعيده فيتركهم الله لأنفسهم ، ولا يبصرهم بأمرهم .

ثم هو يطمئن المعتدلين بقوله : « والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة إنا لا نضيع أجر المصلحين » .

ذلك هو الوعد الحق فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا .

وبعد :

فليس الاختبار بالحسنات والسيئات سنة قاصرة على اليهود ، بل البلاء سنة مطردة فى حياة الناس عامة ، وإنما اختص اليهود بذكرها كما فى موضوعنا ، لأنهم تجاوزوا كل اعتبار ، ونقضوا كل عهد ، وتعرضوا للبلاء بالخير والشر كثيراً ، ولم تكن لهم عظة بل تمادوا فى غيهم حتى كان القصص عنهم حافلا بالعجائب ، وتاريخهم زاخراً بالأمثال أكثر من سواهم .

أما ماهناك من بلاء للناس فالقرآن يسوق لنا شواهد كثيرة تقرر أن سنة الله لا تتخلف والفرق أن أناسا يهتدون ، وآخرون يتمردون ويشذون ، والإيمان الشخصى هو الوسيلة التى يتعلق بها المرء فى

اجتياز الاختبار ، فلا تكون النعمة مطغية له ولا النقمة فاتنة موئسة من قبول التوبة والإنابة .

والله تعالى يقول فى ذلك : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة » . . . « ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ، ونبلو أخباركم » « لتبلون فى أموالكم وأنفسكم » . « أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » ؟ « ولنبلونكم بشىء من الخوف ، والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين . . . » .

فالبلاء بالخير وبالشر ضرب من ضروب التربية السماوية ، يصلح به أناس ، وينكشف به أمر آخرين ، والله تعالى يريد أن يميز الخبيث من الطيب ، ليكون الناس على علم بأنفسهم ويكونوا على اطمئنان ويقين من حكمة الله فيهم ، وعدله معهم .

والحق أن المرء فى موقفه أمام النعمة تكون له هزة ابتهاج ، ونشوة غرور بها ، فهل يذكر مصدرها ، ويحمد فضله ، ويرعاها حق رعايتها ، ويضعها بحسن التصرف فيها حيث ينبغى أن يضعها فى سبيل الخير لنفسه ، ولغيره : سواء أكانت نعمة بمال ، أو علم ، أو جاه ، أو صحة إلخ ؛ لتكون هذه النعمة مأمونة العاقبة له ، ولذريته من بعده ؟؟ .

أو تكون النعمة فاتنة لصاحبها عن حسن التقدير لها ، فيبطر على الله بسببها ، وينسى حقها عليه فى الشكر ، وحسن التصرف فتكون فى مهب الزوال ، وتصبح ندما عليه ؟ وذكرى سيئة له ؟ ؟

وكذلك المرء فى موقفه إزاء ابتلائه بالسوء تكون له هزة اضطراب واستياء فهل يستقبل بلاءه هذا بالركون إلى الله ، والرضا عن القضاء ، والاعتصام بالإيمان ؟ وهل يعلق رجاءه بلطف الله ، ويلتمس من فضله تفريج كربه ، ليهون عليه الخطب ، ويكون غير متمرد على القدر ومحسوبا فى الصابرين الذين وعدهم ربهم بحسن الجزاء فى دنياهم وأخراهم أو يجزع عند الحادث المكروه ، والبلاء النازل ، ويضيق لأزمة تلاحقه فى ماله ، أو أهله أو صحته أو جاهه ؟ ؟ .

إن الجزع لا يرد قضاء ، ولا يخفف من هول ، بل يزيد فى الأسى ، ويثير الشجن ويبدد الإيمان ، حتى لينسى الإنسان جانب الله ، وييأس من روحه ولطفه ، وليس وراء ذلك إلا اعتراض على تدبير الله . وخروج عن دينه « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » .

شأن الإنسان أن تغريه النعمة ، وأن تحزنه النقمة . . وقد يشتط فى تفكيره فيخرج عن جادة الاعتدال .

والقرآن ينبهنا إلى الحذر من التطرف « وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض ونأى بجانبه : وإذا مسه الشر كان يئوسا » .

وينبهنا القرآن كذلك إلى أن شأن الدنيا عدم الاستقرار على حال واحدة ، وإنما هى بين خير وشر ، وعسر ويسر « فإن مع العسر يسرا » .

وينبهنا إلى أن اللائذ بجانب الله والمهتدى بهديه ، والواعى لدينه وعقيدته لا يخدعه عنه الحظ إذا أقبل ، بل يجب أن يقرره ، ويشكره ، لتتسع نعمة الله عليه وألا يسئمه الضنك فى حظه حتى يصرف عن حسن ظنه بالله وطمع فى فضله ! ! بل يذكر نفسه بمواقف الصابرين وتجلدهم ، ويؤمن بأن لله فى خلقه تصريفا يجب الاطمئنان إليه . . ويذكر نفسه بما هو عليه فى مسلكه دينا ودنيا ، فلعل ذلك البلاء بسبب من عمله السيء ولعله يستفيد بالعبرة والاتعاظ مما جرى عليه .

هذا — وكما يكون موقف المرء محسوبا عليه ، أو محسوبا له : يكون موقف الجماعة والأمة فى الأحداث العامة .

فأمة تغرها النعمة ، ويتوافر لها الأمن فتنحرف عن جادة رشدها لا تدوم عليها رفاهتها ، ولا يلبث عيشها أن يتبدل سوءا ، وإن طال بها الزمن .

وهذه قصة أهل اليمن فى عصورهم الخالية بلغ بهم نعيم الحياة ما بلغ ، فلما أسرفوا على أنفسهم بدل الله نعيمهم ، وأذهب بهجتهم وشوه تاريخهم ، فكانوا حديثا يذكر بالأسى والتحسر ، وكانت ذكراهم فى القرآن مثلا للآخرين .

وكذلك جرى البلاء على المسلمين حتى فى مطلع تاريخهم المشرق ، وحين وجود النبى الكريم فيهم — صلوات الله عليه وسلامه .

كانوا قلة فانتصروا ، وفقراء فاغتنوا ، وحين ساورتهم الخواطر فاغتروا بكثرتهم يوما ما لم يتركهم الله لغرورهم ، بل هزمهم أحيانا أمام عدوهم ، وذكرهم بأن كثرتهم لم تغن عنهم شيئا فى غزوة حنين وغيرها من غزوات أخرى لحقتهم فيها مهانات الهزيمة ثم تداركهم الله بنصره ورفع رايتهم أخيراً على أعدائهم وعلمهم أن هذا ابتلاء لهم ، ليكفوا عن الغرور ، وليثبتوا عند الاختبار بالسهر على إيمانهم وجهادهم ، والقرآن يردد على مسامعنا قوله تعالى فى كلتا الحالتين : « وسنجزى الشاكرين ـ والله مع الصابرين » .

عبد اللطيف السبكى

الإسلام فى أوغنده

للأستاذ عطيه صقر

تقع أوغندة فى منطقة البحيرات التى تمد النيل بالمياه، وهى تحد شمالا بالسودان، وغربا بالكونغو، وجنوبا بتنجانيقا ورواندا أوراندى، وشرقا بكينيا. وتبلغ مساحتها نحو ٨٠ ميلا مربعا، تغطى المياه منها مساحة قدرها ١٢٫٥ ميلا مربعا. ويبلغ عدد سكانها خمسة ملايين حسب إحصاء سنة ١٩٤٨، يتكونون من عدة قبائل موزعة فى الأقسام الإدارية الأربعة على النحو التالى:

١ — يوجندا: وسكانها ١٫٣ مليونا من شعب الباجندا، الذين هم أرقى الأهالى من الناحية السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتقع فى هذه المديرية مدينة «عنتبة» وهى العاصمة، ومدينة «كامبالا».

٢ — المديرية الشرقية: وسكانها ١٫٥ مليونا من قبائل الباسوجا، وتقع بها مدينة «جنجا».

٣ — المديرية الغربية: وسكانها ١٫٢ مليونا، وأهم القبائل بها البانيور، الأتكولو.

٤ — المديرية الشمالية، وسكانها مليون، وأهم القبائل بها الأتشولى، الماضى.

ويوجد من بين هؤلاء السكان نحو ألف ونصف من العرب، وثلاثة آلاف ونصف من الأوربيين، ونحو أربعة وثلاثين ألفاً من الهنود.

واللغة السائدة فى البلاد هى السواحلية، المنتشرة فى شرقى إفريقيا، إلى جانب ثلاث لغات أخرى من أصل مجموعة لغات البانتو. واللغة الانجليزية هى لغة الحكام ولغة التبشير والتعليم والكتابة، وقد ساعد على انتشارها إنشاء كلية «ماكريرى» فى كامبالا سنة ١٩٢٢، وهى كلية ذات مستوى جامعى عال، تتبع جامعة لندن، وتسمى «كلية شرقى إفريقيا الجامعية» وهى خاصة بمعتنقى الديانات السماوية لا يدخلها الوثنيون.

والديانة السائدة هى الوثنية، ويعتنقها نصف السكان، ويوجد نحو مليون ونصف من الكاثوليك، وثلاثة أرباع المليون من البروتستانت. أما المسلمون فتقدرهم مصادر الأنباء التبشيرية بربع مليون(١)، ويكثرون

---

1 — Fedes. 10 Dec. 1955.

فى المديريات الغربية ، التى يوجد فيها ثمانية سلاطين من المسلمين .

وقد دخل الإسلام هذه البلاد على يد العرب الذين وفدوا إليها من ساحل إفريقيا الشرقية ، كما دخلها عن طريق السودان من الشمال ، فالثابت أن العرب استوطنوا شرقى إفريقيا منذ مئات السنين ، وهم الذين طردوا البرتغاليين فى القرن السادس عشر ، وكونوا هناك سلطنة « بوسعيد » التى عرفت فيما بعد باسم سلطنة « زنجبار » ، وقد أسس العرب على الساحل عدة مدن مثل « مقديشو » فى منتصف القرن العاشر الميلادى ، وصارت محطات عربية تجارية هامة ، شجعت العرب على مواصلة رسالتهم داخل القارة ، وكانت هذه الرسالة ذات شقين ، الأول نشر الإسلام والثانى التجارة ، فكثرت القوافل العربية بين زنجبار وممباسا وبين داخل القارة . وراجت تجارة الملابس والحلى والأسلحة فى أوغندة ، كما أدخل العرب فيها نوعا من العملة وهى « المحار » المنظوم فى عقود متفاوتة القيمة . وشجع الأمراء والزعماء تجار العرب على ارتياد المناطق المجاورة ، لما لمسوه على أيديهم من خير ، ومنح الملك « أميتسا » حرية الاستيطان لهم فى مملكته ، كأساتذة دينيين ، وبهذه الطريقة أمكن للإسلام أن يؤدى مهمته فدخل كثير من الأهالى فى هذا الدين الجديد ، واعتنقه أيضا « أمبوجا » شقيق الملك .

وبانتشار الإسلام والتمكين له ازدهرت حضارة العرب ، وتلقن الإفريقيون منهم دروس الأخلاق العالية ، من الاعتداد بالنفس والحرص على الكرامة ، كما تعلموا منهم النظافة والنظام وحسن المظهر ، حتى لقد قال أحد الأوربيين عن تأثير العرب فى أوغندة : « لقد تمكنت المدنية العربية فى وقت قصير من تغيير اللباس الشائع إذ ذاك تغييراً كاملا ، وهو لباس لا شأن له على الإطلاق ، فأصبح أهل أوغندة اليوم يتخذون الملابس من الرأس إلى القدم ، وكذلك جيرانهم من « الأنيورو » حلت مكان الملابس القديمة المصنوعة من لحاء الشجر » (١) .

وكما دخل الإسلام أوغندة من الطريق الشرقى دخلها من الجهة الشمالية ، من السودان . فقد طلب الملك « أميتسا » من الحكومة المصرية التى كان لها السلطان فى المديرية الاستوائية جنوبى السودان فى أواخر القرن الماضى ، أن تبعث إليه عالمين يعلمان السكان قواعد الإسلام ، وكانت الجماعات التى وصلت إلى بحيرة فيكتوريا بقيادة أمين باشا هى النواة التى تكونت منها ومن سلالاتها الجماعة الإسلامية فى أوغندة .

---

(١) ص ٣١ من كتاب : « أوغندة فى طريقها إلى الاستقلال » .

وقد كان لانتشار الإسلام فى هذه المنطقة عدة عوامل أهمها : —

١ — أن كل مسلم يعد داعية بنفسه ، يرى أن ذلك واجب دينى ، لايحتاج إلى ترتيبات وتنظيمات خاصة كالتى يتخذها المبشرون .

٢ — بساطة العقيدة الإسلامية وسهولة فهمها ، ويسر التكاليف الشرعية وملاءمتها لظروف الإفريقيين وأحوالهم الاجتماعية ، فهم لايرون أن التحول عن وثنيتهم إلى الإسلام يحدث فجوة أو شذوذاً غير مألوف .

٣ — اعتقاد الإفريقيين أن المسيحية هى ديانة البيض المستعمرين ، تحمل معها الظلم والاضطهاد والاستبداد والاستعمار . وهذا أثر من آثار القومية ، التى بدأ الإفريقيون يحسون خطرها فى محيط السياسة الدولية ، ويعملون على ضوئها للتخلص من نير الاستعمار .

٤ — الداعية المسلم عند ما يحل ببلد يعد نفسه مواطنا ، عليه واجبات وله حقوق كبقية المواطنين ، فهو يندمج معهم ويعاملهم ويتزوج منهم ، ويكون سلوكه نفسه عاملا من العوامل التى تجذب قلوب الأهالى نحو هذا الدين الذى يخلق فى أتباعه هذا السلوك الكريم .

٥ — الإسلام يعلم أتباعه الحرية والاعتزاز بالوطن وكراهية المستعمر ، ويبين لهم المآسى التى يلحقها بهم المستعمرون ، والمصير المظلم الذى رسمه لهم هؤلاء الدخلاء ، والذى اتخذوا التبشير وسيلة له أو ستاراً يلعبون من ورائه أدوارهم الخطيرة فى مستقبل البلاد . وهذه النغمة يحبها كل إنسان وتتحرك لها عواطفه ، ويميل نحو من ينادى بها والدستور الذى يقررها ويحترمها .

وقد نتج عن انتشار الإسلام وكثرة أتباعه وتعشقهم لهذه المبادئ الكريمة ، نزاع على النفوذ بين المسلمين والمسيحيين ، شجعه ثالوث الاستعمار : الانجليز والفرنسيون والألمان ، وقد قامت حرب طائفية سنة ١٨٨٩ تغلب فيها المسيحيون بمساعدة المستعمرين ، ومع ذلك فإن الإسلام لم يخرج من قلوب أتباعه ، بل زادهم قوة وتحفزاً للأخذ بالثأر من هؤلاء الذين امتصوا دماءهم عشرات السنين .

لقد دخل الاستعمار هذه البلاد فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، عن طريق تكوين الشركات ، الذى هو أسلوبهم فى استعمار كثير من البلاد . وقد أقنع « ستانلى » الرحالة المشهور ، الجمعية الكنسية للتبشير بإرسال رجالها للعمل فى أوغندة سنة ١٨٧٧ ، فأسرع الكاثوليك بإرسال رجالهم إليها من المركز الذى أقاموه فى الجزائر تحت قيادة « لافيجرى » . وقد أذن الملك « أميتسا الأول » لهذه البعثات أن تزاول نشاطها ، ولما توفى بدأ الملك الجديد « موانجا » يلعب بالألمان

ضد الانجليز ، وساعده المسلمون فى ذلك ليجدوا من نفوذ الانجليز ونشاطهم التجارى . ولما عزل « موانجا » جاء بعده أخوه « كيويو » ، ثم أخوه المسلم « كاليما » غير أن الانجليز أعادوا « موانجا » للحكم فكافأهم على ذلك بإمضاء معاهدة مع الشركة الانجليزية ، قبل بها أخيراً الحماية على أوغندة سنة ١٨٩٤ . وقد حاول هو و « كاباريجا » ملك اليونيور تحرير البلاد غير أن الانجليز تغلبوا عليهما سنة ١٨٩٨ ونفوهما ، وعقدت انجلترا معاهدات مع الملوك والرؤساء لتثبيت حمايتها على البلاد ، وفى سنة ١٩٠٠ بدأت انجلترا توسع رقعة أوغندة ولاسيما على حساب السودان ، الذى صارت لها فيه الكلمة العليا بعد استرداده ، فمدوا حدودها الشمالية إلى « غوندوكرو » التى كانت إلى سنة ١٩١٤ هى الحد الجنوبى الأقصى للسودان .

هذا عمل الانجليز على إضعاف شوكة المسلمين منذ أن وطئت أقدامهم هذه المنطقة ، وذلك شأنهم مع المسلمين فى كل مكان ، فعينوا مبعوثا لهم يسمى « لوجارد » كان يتقن سياستهم التقليدية « فرق تسد » ، فتمكن من الضغط على العرب وإلجائهم إلى السكن فى منطقة بحيث يكونون محصورين فيها بين القوتين الاستعماريتين ، فرنسا الكاثوليكية وألمانيا البروتستانتية ، وذلك لتسهل مراقبتهم ، وليكونوا عامل توازن يحد من أطماع الفرنسيين والألمان . وبعد سفر لوجارد تولى مهمته « بورتال » وسار على نفس الطريقة التى يريد التخلص بها من نفوذ العرب والحزب الإسلامى .

للمسلمين فى أوغندة حوالى ٣٠٠ مسجد ، وهى موزعة على الجمعيات لإدارتها ، والمساجد الرئيسية توجد فى : سوروتى ، بوجمب القريبة من جنجا ، مازاكا ، كايرو . وأجمل المساجد وأوسعها هو مسجد « كامبالا » المقام على ربوة عالية فى وسط قطعة أرض تبلغ نحو ٤١٦ ألف متر مربع ، تبرع بها أحد أعيان المسلمين .

ومذهب الشافعية سائد هناك ، غير أن المسلمين ينقصهم التفقه الدينى الصحيح ، وكثيرا ما تنشب بينهم الخلافات على الفروع الفقهية ، فهناك فريقان : أحدهما يسمى فريق الجمعة ، وهم لا يصلون الظهر بعدها ، والثانى يسمى فريق الظهر ، يتمسكون بصلاتها بعد الجمعة ، ومن الغريب كما يقول أحد كبار المسلمين هناك : إن فريق الجمعة يدعى أنه يتبع فى ذلك قواعد المذهب الشافعى ، مما يدل على أنهم فى أشد الحاجة إلى قيادة دينية رشيدة ، وبين الفريقين خصام دام أكثر من ٢٧ سنة انتهى إلى الاتفاق على صلاة الجمعة فقط ، وزعيم الشافعية هو الحاج أحمد ابن كعب ، ومن كبارهم الشريف عبد القادر أحمد الجفرى العلوى ، وهناك نشاط واسع

للإسماعيلية والقاديانية الأحمدية ، والسلطات الاستعمارية تشجعهم نظراً لقولهم بنسخ الجهاد وعدم قتال المستعمرين .

والتعليم الإسلامى متأخر فى البلاد ، ذلك أن التعليم العام يقوم على عاتق المبشرين، والمسلمون مضطرون إما إلى البقاء على الجهل وإما الالتحاق بمدارس الإرساليات . وقد أدركوا أخيراً خطر هذه الحالة فأنشئوا عدة مدارس ، غير أن المؤسف أن أكثر مدرسيها من المسيحيين وذلك لعدم وجود من يستطيع القيام بهذه المهمة من المسلمين . ويكفى لبيان سيطرة التعليم التبشيرى أن تعلم أن الدراسات الخاصة بتخريج المعلمين وإعداد المدرسين يقوم بها ١٢ مدرسا من الكاثوليك و ٨ من الإنجليكان ومدرس حكومى ، ومدرس مسلم واحد (١) . ومع كل ذلك فالمدارس الإسلامية قليلة لا تفى بالحاجة ، والقرآن يدرس بلغة غير سليمة ، وهم يحاولون ترجمته إلى اللغة السواحلية ، والقاديانية جادون فى ذلك ، وقد انتهوا فعلا من هذه الترجمة ، والمسلمون يشجعون من يحفظ القرآن فيعطونه ٥٠ جنيها .

ومما تجب ملاحظته أن الطائفة الإسماعيلية تبذل جهوداً جبارة فى نشر الإسلام فى أوغندة ومنطقة شرقى إفريقيا على العموم .

وقد اجتذبوا كثيراً من المسلمين ومن الوثنيين إلى مذهبهم المعروف ، وقد وجه زعيمهم الراحل أغاخان فى يونيه سنة ١٩٤٥ نداء إلى أتباعه يقول فيه : « إنكم لا تحاسبون على صلاتكم وصيامكم فقط ، بل لابد من مواجهتكم بهذا السؤال الذى يتوقف على الإجابة عليه فلاحكم أو خسارتكم وهو : ما الذى فعله كل منكم لإنقاذ الإسلام فى وسط إفريقيا ؟ » .

وكان هذا النداء هو بدء الشروع فى تكوين « الجمعية الخيرية الإسلامية بإفريقيا الشرقية » فى ممباسا ، فى ١٦ من يونية سنه ١٩٤٥ ، وقد جمعت التبرعات ودفع الرئيس مبلغا مساويا لها ، وتكون رأس مال الجمعية ، فبنت عدة مساجد ومدارس فى أنحاء المنطقة وبنت أو ساعدت على البناء فى أوغندة وحدها ٣٠ مسجدا ، ٤٨ مدرسة ، مدرسة واحدة للمعلمين ، ٣ مدارس فنية ، وواحدة داخلية. وهى توفد بعض الإفريقيين إلى كلية «ماكريرى» لتلقى دراساتهم العالية ، وتعطيهم منحا سخية . ولهذه الجمعية فروع كثيرة فى المدن والأقاليم .

هذا وتوجد فى أوغندة جمعيات إسلامية كثيرة منها سبع فى مدينة «كمبالا» وحدها لكنها غير منظمة ، وهى تدير المساجد وعدداً من المدارس الصغيرة ، وأشهر هذه الجمعيات هى :

(1) Feds. 10 Dee. 1955.

١ — جمعية مسلمى إفريقيا فى « كامبالا » ورئيسها الحاج أحمد بن كعب .

٢ — جمعية الإسلام ، ورئيسها الشيخ شعيب ، الذى حدث بينه و بين الأمير بدر نزاع كبير على إدارة المساجد وعلى الاختصاص .

٣ — جمعية السودانيين ، ورئيسها الشيخ محمود السودانى .

ومن الشخصيات المعروفة هناك غير رؤساء الجمعيات : —

١ — الأمير بدر ، وهو من أسرة « باجندا » الملكية ، وكان أبوه الأمير « مبوجو » صاحب فضل كبير على الإسلام وانتشاره فى أوائل هذا القرن ، وقد تبرع الأمير بدر بثمانية أفدنة لصالح المسلمين .

٢ — الشريف مبارك على ضاوى ، ممثل سلطان زنجبار ، وهو من الرواد الأول الذين دخل على أيديهم الإسلام فى أوغندة .

٣ — مولانا عبد الله شاه الهندى ، زعيم الهنود الحنفيين فى شرقى إفريقيا .

٤ — الأميرة ماشقة بنت أميتسا الأول ملك أوغندة ، لها أياد بيضاء على المسلمين .

٥ — عبد القادر بن أحمد الجفرى العلوى الشافعى الذى وصل من شرقى إفريقيا واشتغل بالتجارة ، ونشر الإسلام ، ثم استقر به المطاف فى أوغندة بمدينة « ماساكا » وبنى بها مدرسة إسلامية .

هذا وقد زارت مصر بعثة من أوغندة على رأسها « إدريس عامر » الذى كان كاثوليكيا وأسلم ، وترك توصيات وتقريرات عن حالة المسلمين هناك ، كما زار هذه المنطقة الدكتور محمود حب الله موفدا من الأزهر ، والسيد أحمد مراد البكرى ، وقد بينت التقارير أن الحاجة ماسة إلى تقوية القاعدة الإسلامية فى أوغندة ، وذلك لغرضين: الأول مقاومة التبشير الذى يقبع على حدود سودانا الشقيق ، والذى ينفث سمومه فى البلاد المجاورة ويعتمد عليه الاستعمار فى بسط نفوذه فى وسط إفريقيا التى تقوم الجمهورية العربية المتحدة بدور كبير فى تحريرها والنهوض بها ، والغرض الثانى تبصير المسلمين بشئون دينهم ومقاومة أدعياء العلم ، الذين يتصدرون لقيادة السذج ، ويتسلطون على أفكارهم بالشعوذة والتضليل .

وأحسب أن التوسع فى قبول الوافدين إلى الأزهر من هذه الجهات ، وتيسير حصولهم على أكبر قدر ممكن من المعرفة الواعية ، سيكون له أثره البالغ فى القضاء على ألاعيب الاستعمار ، وفى حسم الخلافات الدينية بين أنصاف المتعلمين ، وفى إبراز الصفحة المشرقة الحية للدين الإسلامى ، الذى يعشو إلى ضوئه كل راغب فى المعرفة الصحيحة والإرشاد السليم ؟

عطية صقر

شاعر أعمى يصف العمى

قال الشاعر الأندلسى أبو المخشى يصف عماه :

خضعت أم بناتى للعدا إذ قضى الله بأمر فقضى
ورأت أعمى ضريراً إنما مشيه فى الأرض لمس بالعصا
فبكت وجدا وقالت قولة ـ وهى حرى ـ بلغت منى المدى
ففؤادى قرح من قولها ما من الأدواء داء كالعمى
وإذا نال العمى ذا بصر كان حيا مثل ميت قد ثوى
وكأن الناعم المسرور لم يك مسرورا إذا لاقى الردى
أبصرت مستبدلا من طرفه قائدا يسعى به حيث سعى
بالعصا إن لم يقده قائد وسؤال الناس يمشى إن مشى
وإذا ركب دنوا كان لهم هوجلا فى المهمه الخرق الصوى[1]
لم يزل فى كل مخشى السرى يصطلى الحرب ويجتاب الدجى

---

(١) الهوجل : البطىء الثقيل . والمهمه : المفازة والخرق : القفر والصوى : جمع صوة وهى ما غلظ وارتفع من الأرض .

من شعر شوقى بعد المنفى

للأستاذ على العمارى

فى عام ١٩٢٠م أقيم حفل بدار (الأوبرا) الملكية لإنشاء جمعية لمساعدة الفقراء ، وقد نظم شوقى هذه القصيدة لتلقى فى هذا الحفل ، وهى أول قصيدة قالها بعد رجوعه إلى مصر من منفاه بالأندلس .

ويمكن تجزئة هذه القصيدة ، إلى أربعة أجزاء رئيسية :

(١) مقدمة القصيدة ، وقد بكى فيها الأطلال ونثر الدمع فى الدمن البوالى ، ووقف بها وقوفا طويلا أذهب صبره لأن لها عليه حقوقا فقد ذاق فيها طيب العيش مع أحبابه ، وهو رجل واف لأحبابه ولديارهم ، وقد ساءه ما لقيته هذه الديار من جور الزمان .

(٢) حديثه عن بلاد الأندلس ، وثناؤه عليها ، ووداعه لها ، وإشادته بفضلها عليه ، وأنها كانت جنة تغرب فيها ، وقد شكر الفلك يوم وصل تلك البلاد لأنها أراحته من مناظر كانت قذى فى عينه ومن أناس أهل غدر وخيانة . ثم أشاد بعمران بلاد الأندلس أيام العرب ، وتألم لما جرى عليها بعد ذلك من كدر ، وغاية كل صفو أن يشاب بالكدر .

(٣) فرحته بلقاء وطنه ، ومبالغته فى حبه له ، وقد ذكر أن قصائده سبقته إلى هذا الوطن ، وأنها حملت إليه ثناء يضيف تاجا جديدا إلى تاجه القديم . ووصف جزءا من رحلته ، وصفح عن الزمان ؛ لأنه تاب عما أسلف إليه بصبح اليوم الذى وصل فيه إلى الأسكندرية ، ثم حيا فتيان مصر الذين كسوا عطفيه ثيابا من الفخر ، وأطال الثناء عليهم ، وتواضع فقال : إن أدبه ليس أهلا لما أسداه إليه هؤلاء الكرام ، ولكن من أحب الشىء حابىَ .

(٤) الغرض الرئيسى من القصيدة ، ويتناول الحديث عن وطأة الغلاء ، ووصف التجار الجشعين ، وقلة الخير فى القلوب ، وانصرافها عن أداء الزكاة كأن الزكاة ليست فى كتاب الله ، وفى هذا الجزء من القصيدة رجاء إلى شباب مصر أن يتجهوا بالدعاء إلى الله ليرق قلوب الأغنياء على الفقراء ، وفيه إشادة بما يجنى صاحب الخير

من فعل الجميل ، وتحذير من ترك البائسين يعانون آلام بؤسهم ، فإن هـذه الشاء إذا اشتدبها الجوع انقلبت ذئابا تفتك برعيانها ، وتنتهى القصيدة بهذا البيت :

ولولا البر لم يبعث رسول
ولم يحمل إلى قوم كتابا

محاسن القصيدة :

يمتاز شعر شوقى ـ بعامة ـ بميزتين رئيسيتين ، وهما موجودتان فى هذه القصيدة ، إحداهما ، النغمة الموسيقية التى ترتاح لها الآذان ، وتصغى إليها النفوس ، والأخرى الألفاظ الرقيقة العذبة التى لا نكاد نجد بينها لفظة جاسية، أو عبارة خشنة .

وفى القصيدة أبيات حكيمة تعود شوقى أن يرسل مثلها فى كل شعره ، وقد سار بعض هذه الأبيات ، وجرى على الألسنة أمثالا بارعة ، منها قوله :

وليس بعامر بنيان قوم
إذا أخلاقهم كانت خرابا

وقوله : (وغاية كل صفو أن يشابا) .

وله أبيات لاذعة ، قوية الأداء ، عميقة الإيحاء ، من مثل قوله :

أَمَنْ أكل اليتيم له عقاب
ومن أكل الفقير فلا عقابا

وقوله :

أكلّ فى كتاب الله إلا
زكاة المال ليست فيه بابا؟!

وفى القصيدة أبيات بديعة المعنى والأداء والتصوير من نحو قوله :

وياوطنى لقيتك بعد يأس
كأنى قد لقيت بك الشبابا

وشوقى مغرم بالإشـــارة إلى الأماكن والأشخاص والأحداث التاريخية ، وهى خاصية فى شعره تدل على تمكنه من التاريخ وحبه للعرب والإسلام ، ومنها فى هـذه القصيدة إشارته إلى (حرب البسوس) وإلى (وائل) و (الزهراء) و (بابل) و (المدينـــة المنورة) و (نار الطور) و (يوسف) و (سنية) . إلخ . . .

مآخذ على القصيدة :

إذا كان البارودى صدر فى قصيدته التى درسناها فيما سبق عن عاطفة قوية نحو بنته التى زاره طيفها ، فإن (شوقيا) لم يصدر فى هذه القصيدة عن عاطفة نفسية وإنما خضع لمؤثر خارجى ، وأعنى بالمؤثر الخارجى ما لم يكن نابعا من النفس ، وأكثر شعر المناسبات هو استجابة لمؤثرات خارجية، وشتان بين شاعر يصور لنا عواطفه ويحدثنا عن انفعالاته ،

وشاعر يطفو فوق السطح ، ويستدعى المعانى ، ويتكلفها ليكون منها قصيدة تلقى فى حفل أو تزف إلى أمير أو وزير .

ولا روح فى شعر المناسبات إلا ما يلتفت فيه الشاعر إلى نفسه فيصور خلجة من خلجاته . ولم تخل قصيدة شوقى من هذه النفحات ، ولكنها جد قليلة . أما أكثر القصيدة فهو خال من الانفعال العميق .

والغرض من القصيدة الدعوة إلى إنشاء جمعية لمساعدة الفقراء ، والقصيدة نحو الستين بيتا ، ولكننا لا نجد فى الغرض الأصيل إلا أقل من ثلثها ، وهذا عيب خطير إن دل على شىء فإنما يدل على أن الشاعر يهرب من الموضوع الأساسى لأنه سطحى الشعور به ، ولو ملك عليه الموضوع نفسه لجعل كل قصيدته أو أكثرها فيه .

على أن الروابط بين أجزاء القصيدة من الناحية الشعورية ليست قوية ، فالانتقال من الحديث عن الأندلس إلى الحديث عن الوطن مقبول ، ولكن الالتفات بعد ذلك إلى الشباب ، وطلبه منهم أن يهزوا العرش بالدعوات أشبه بالصناعة منه بالاتحاد فى الشعور .

* * *

من الواجب علىّ - هنا - أن أشير إلى أن هذه القصيدة نقدها الكاتب المهجرى الأستاذ (ميخائيل نعيمة) فى كتابه (الغربال) ، وفى نقده حق وباطل ، وسأنسب إليه ما عابه على شوقى فى هذه القصيدة ، وأعقب عليه .

فمن ذلك عيبه على شوقى بأنه نادى الرسم ، وبكى الدمن البوالى ، وقد أشرت إلى هذا فى مقال سبق عن شوقى ، وخلاصة رأيى ، أن بكاء الدمن ، والأطلال لا عيب فيه ، لأن هذا غرض من غرض الشعر يحس به بعض الشعراء فى كل عصر وفى كل مصر ، بل العيب أن (شوقى) تناول هذا المعنى تناول شعراء الجاهلية ، وجعله مقدمة لقصيدة كما كان يعمل الجاهليون ، ولو جعله غرضا مستقلا ، وتناوله تناولا واقعيا لخلا من الذم .

وقد اتهم شوقى بالتقليد فى هذا الابتداء ، ولكن ليس هذا الابتداء وحده هو الدليل على التقليد ، ففى القصيدة صور جاهلية من مثل قوله عن القوافى إنها (مقلدة أزمتها) فيشبهها بالنوق المقلدة ، ومن مثل تشبيهه الحرب العالمية الأولى بحرب البسوس .

وعاب (نعيمة) على شوقى تسجيله بكاءه من أنه قام ينادى الرسم ، ويجزيه بدمعه ، ويقول : إن العبرات قلت لحقه ، وإنهن - يعنى العبرات - سبقن مقبلات الترب عنه ، وإنه نثر الدمع فى الدمن البوالى ، ثم يقول الناقد : « لو بقيت شهراً بل عاما أقول الناس : يا ناس إنى بكيت ، لما بكى معى

أحد غير أنى لو أدخلتهم قلبى ، وقد خيم الحزن فيه لانقبضت مع قلبى قلوب ، ولتبللت مع عينى عيون ، وهذه كما يقول : هى مهمة الشاعر ، وكم هم الشعراء بيننا الذين يستعيضون عن وصف عاطفة بذكر نتيجتها الخارجية ، فإن حزنوا قالوا بكينا وإن فرحوا قالوا ضحكنا ... كأن لا سبيل لوصف الحزن إلا بالدموع أو لوصف الفرح إلا بالضحك ... قلت : وهذا حق .

وعاب على شوقى إتيانه بهذه الحكمة :

وليس بعامر بنيان قوم ... البيت

ذاكرا أنه من الحشو ، ومن الانتقال الفجائى ، وكان على شوقى — كما يرى — أن يتمم صورة حالة قومه الاجتماعية حتى إذا تجلت أمام أعين سامعيه بكل خطوطها وألوانها قالوا من تلقاء أنفسهم هذه الحكمة .

ولا أرى وجها من الصواب لهذا القول ؛ فإن انتقال الشاعر إلى الحكمة — ولو عن طريق الفجاءة — قد يكون له دلالته العميقة على ما يعتمل فى نفسه .. على أن (شوقى) ذكر قبل هذا البيت بعض الصور التى تنافى الأخلاق الكريمة ، فكان من الطبيعى أن يجىء هذا البيت بعدها ولا شىء فى التصريح بالحكمة ، وإلا لقضينا على أكثر الحكم فى الشعر العربى

وخطأ نعيمة جاء هنا من قياس الشعر على القصة ، فإذا كان مطلوبا من القاص أن يتفادى النطق بالحكمة أو بالموعظة ، وعليه أن يترك الحوادث تتكلم وحدها فإن ذلك لا يطلب من الشاعر ضرورة أن المطلوب فى القصة هو البسط ، والمطلوب فى الشعر إنما هو الإيجاز واللمحة الدالة .

واستحسن الناقد مما استحسن هذين البيتين

ولو أنى دعيت لكنت دينى
عليه أقابل الحتم المجابا

أدير إليك قبل البيت وجهى
إذا فهت الشهادة والمتابا

وأرى أن هذه المبالغة غير محمودة ، وكان للشاعر مندوحة عنها . وأى معنى بديع فى فى أن يستهين الشاعر بدينه للمبالغة فى الدلالة على حب وطنه ، أليست ساعة الاحتضار هى الساعة التى يؤمن فيها الكافر ، ويتقى فيها الفاجر ؟ فإذا أعرض الشاعر فى هذه الحالة عن أن يتجه نحو بيت الله الحرام ، واتجه نحو وطنه لا يكون هذا إلا من الذين يستهينون بالأديان ، ومن واجب الشاعر أن يخلى مقدسات الأديان فلا يتعرض لها ، وبخاصة إذا كان يدعو باسم الدين لتكوين جمعية تساعد الفقراء ، ثم كيف يكون الوطن دينا يقابل عليه الموت ؟ أليس ذلك إمعانا فى تجاهل هؤلاء الذين يخاطبهم باسم الدين ؟ .

بل ، يرى الشاعر أن الرسل إنما جاءوا وجاءت كتبهم للبر بالفقراء ... كان على

شوقي أن يتفادى كل معنى يمس شعور المتدينين خاصة في هذا الوقت ، ولكن لشوقي من مثل هذه المعاني ما كان في غنى عن ذكره كقوله من قصيدة في وصف حريق ميت غمر :

أو أنه ابتلى الخليل بمثلها
ـ أستغفر الرحمن ـ ولى مدبرا

واحتراسه بقوله (أستغفر الرحمن) لم يخفف من شفاعة هذه الجرأة على خليل الله إبراهيم .

وعاب على شوقي تناقضا فاحشا في المعاني — على حد تعبيره — ؛ فشوقي يشكر الغربة لأنها أراحته من كل أنف كأنف الميت ، ومن منظر كل خوان يراه بوجه كالبغي ، وينذر قومه بأن بنيانهم لا يقوم إذا أخلاقهم كانت خرابا ، ثم يعود بعد لحظة يخاطب وطنه وأولئك القوم أنفسهم بهذه اللهجة :

وحيا الله فتيانا سماحا
كسوا عطفى من فخر ثيابا

ويصفهم بأنهم ملائكة ، وأنهم بحور ، وأن الإيمان مؤتلق عليهم ، إلى آخر الأبيات ثم يقول نعيمة : فبلد فتيانه ملائكة ، لا يصح أن يقال فيه : إن أخلاق أهله خراب .

وواضح أن (شوقي) غمز أولا — بعض المصريين الذين يخونونه ، ويكيدون له ، وهذا الصنف موجود في مصر ، وامتدح — ثانيا — بعض الشبان المصريين الذين استقبلوه استقبالا رائعا ، وحيوا أدبه تحية طيبة ، وهذا الصنف موجود كذلك في مصر ، فالشاعر لم يكذب في الأولى ، ولقد صدق في الثانية . وإنما يتناقض الشاعر إذا عمم وحكم على هذا العموم بحكمين مختلفين .

والعيب الذي يمكن أن يوجه لشوقي في نظري هنا هو أنه بنى امتداحه لهؤلاء الفتيان على أنهم كسوا عطفيه من فخر ثيابا ، فقد صدر في مدحه عن شعور خفي ، فهو يجازيهم على امتداحهم له بأن أطال في مدحهم .

وقد سخر نعيمة من شوقي لهذا البيت :

وكل مسافر سيئوب يوما
إذا رزق السلامة والإيابا

وعده من الحشو ، ثم قال : فلا فرق عندي بين هذا البيت ، وبين قول القائل :

الليل ليل ، والنهار نهار
والأرض فيها الماء والأشجار

والحق أن البيت يبدو كذلك ، فإذا لجأنا إلى التمحل لتسويغه ـ كما يفعل بعض أنصار شوقي ـ لم تفلح كثيراً .

ثم نعود فننظر في أبيات القصيدة مفردة لنرى ما فيها مما يعاب .

من ذلك ضرب المثل لصفو الليالي الذي يشاب بالكدر ، وذهاب ملك العرب في الأندلس بالشمس حيث ذكر أنها وقد شيبت القرون ، قد شاب قرنها ، وأنها تنتظر في الأفق يد القدر

تهبط بها ، وأنها وسيلة لعد الحساب على الأمم مع أنها لاتدرى الحساب حيث يقول :

مشيبة القرون أديل منها
ألم تر قرنها فى الجو شابا
معلقة تنظر صولجانا
يخر من السماء بها لعابا
تعد بها على الأمم الليالى
وماتدرى السنين ولا الحسابا

وكل ماقاله فى هذا المثل تافه ، فشيب قرن الشمس مجرد تخيل ، والمهم هنا أن يكون المثل محققا معترفا به حتى يكون شاهد صدق على تكدير الصفو ، ثم إن قرن الشمس شائب منذ رأى الكون هذه الشمس ، والأسلوب هنا من قبيل حسن التعليل ، وهو افتراض علة للشىء غير علته الحقيقية ، والطبع لا يستريح هنا إلا للأمر الواقع .

ومن ناحية أخرى فإن المقابلة بين ماحدث للعرب فى الأندلس ، وما ذكره الشاعر وتخيله مما حدث للشمس ينبىء عن شعور مضطرب للشاعر ، فلاشك أن (شوقى) لايريد أن الدولة دالت على العرب ، كما دالت على الشمس التى أساءت إلى القرون بأن شيبتها .

والسياق الطبيعى هنا أن يقول : إن العرب دالت دولتهم من الأندلس ، وهكذا كل كائن ألا ترى إلى الشمس ، وقد أحسنت الى الأكوان حقبا طوالا كيف دب إلى رأسها المشيب ؟ .

ومع هذا فلاتزال الفكرة ضعيفة لأن ضرب المثل هنا ينبغى - كما قلت - أن يكون بأمر مسلم به ، تقره النفوس ، وتعرفه ، وتؤمن به حقاً .

وأضعف من هذا انتظار الشمس ليد القدر إذ أنه أمر لا يزال طى الغيب وكل الكائنات تنتظر هذا المصير ، وكلمة (لعاب) ثقيلة باردة .

وأما البيت الثالث (تعد بها . . البيت) فهو فضول فى فضول ، وماذا يفيدنا هنا ونحن نتسمع للكلام عن غير الأيام ، وتكديرها كل صفو أن تكون الشمس تجهل الحساب ، وهى وسيلته ؟ !

ولم أستطع أن أفهم قوله عن قوافيه فى خطاب الوطن :

تجوب الدهر نحوك والفيافى
وتقتحم الليالى لا العبابا

فأولا : جعل قوافيه تجوب الليالى ، فما المانع أن تقتحم العباب ، وإذا كان العباب له نهاية قريبة - كما يقول الشراح - فإن الفيافى كذلك ، بل إن الماء فى الكرة الأرضية أضعاف مضاعفة لليابس . وهذه عبارة شارحى القصيدة : « والمعنى أن قصائده باقية بقاء الدهر ، ولذلك نفى اقتحامها للعباب لأنه مهما اتسع فله نهاية قريبة » . وهو - كما يبدو - شرح عجيب ، لا يتفق مع البيت فى شىء .

وثانيا : ما الفرق بين جوبانها الدهر واقتحامها الليالى ؟ وعندى أن الرواية يجب أن تكون (والعباب) وفى البيت :

وإن حملتك أيديهم بحورا
بلغت على أكفهم السحابا

أفهم أن الأيدى التى تبلغ السحاب هى الأيدى القوية لا الأيدى المعطاءة فالمناسبة هنا للقوة لا للجود ، ولو قال (نسورا) بدل بحور لكان أحسن ، لكن الصنعة حكمت عليه أن يذكر البحر ما دام الارتفاع للسحاب ...ويشبه ذلك أن ينادى الشباب فيطلب منهم الدعاء ، والدعاء إنما يقترن - فى الشعور - بالشيوخ والعجائز، أما الشباب فإنما يطلب إليه أن يعمل بقوة لمساعدة الفقراء لا أن يكتفى بهز العرش بالدعوات ، ومن أين جا شوقى أن لهذا الشباب صوتا مستجابا . مع أنه عنى فى وصفهم بالأوصاف الحسية .

ويضعف الشاعر حين لا يجد للحرب العالمية الأولى شبها إلا فى حرب البسوس فماذا عسى أن تكون حرب البسوس هذه ؟! إننا مهما أبعدنا فى التخيل حين نتصورها لا نعدل بها يوما واحدا من أيام الحرب العالمية . ولكنها متابعة الأقدمين والجرى وراءهم ، والاعتراف من معينهم ... أما خوفه من أن يعيد الغلاء إلى مصر السبع الشداد ، وهى سنو يوسف - عليه السلام - فهو معنى جيد ، وأقوى منه قوله :

عبادك رب قد جاءوا بمصر
أنيلا سقت فيهم أم شرابا

وإن كان صاحب (الغربال) سخر من هذا المعنى الأخير زاعما أن الشاعر يعاتب ربه على ما أنزل بمصر .

ولو اقتصر شوقى فى هذا البيت :

وهل فى القوم يوسف يتقيها
ويحسن حسبة ويرى صوابا

على الشطر الأول لاحتفظ بقوة الشعر وروعته ، ولكنه أراد أن يكمل البيت فتهافت بذكر إحسان يوسف الحسبة ، وبصره بالصواب ، ولا ضرورة لهذا بعد قوله (يتقيها) مع هذا الاستفهام الرائع .

وقد سمعت وقرأت اختلافا فى شرح هذا البيت :

هدانا ضوء ثغرك من ثلاث
كما تهدى (المنورة) الركابا

فقال قائل أنه يريد بالثلاث الليالى ، وقال آخر أنه يريد منارات الإسكندرية ، وأرى أن الأول أنسب ، إذا كان شوقى يريد الهداية المعنوية لأن المدينة المنورة لا تهدى الركاب بأضواء محسة . وإنما تهديهم بما فى نفوسهم من أشواق إليها ، ولولا أن (شوقى) ذكر نور المنار بعد ذلك وأنه غشى البحر نورا ، لقلت إنه يريد - قطعا - بالهداية ، الهداية

الروحية ، وهذا المعنى هو المناسب للشعر .

كما اختلف الشراح فى المراد بالتاجين فى قوله عن قصائده وما أسدته لمصر :

وتهديك الثناء الحر تاجا
على تاجيك مؤتلقا عجابا

فقالوا ، المراد بالتاجين (الأهرام وأبو الهول ، أو تاج الوجه القبلى وتاج الوجه البحرى ، أو تاج العروبة والإسلام) .

وشوقى مخطئ فى هذا لأن من الشروط الأساسية للأسلوب الجيد أن يكون الأسلوب واضحا ، ومن دلائل الوضوح ألا يذكر الأديب كلمة لا يعرف معناها إلا عن طريق الحدس والتخمين .

والشراح مختلفون كذلك ـ فلم يقل أحد : إن أبا الهول تاج على جبين مصر ، وتاج الوجهين أمر قد مضى عصره لا ينبغى أن يشير إليه شاعر مصر فى القرن العشرين ، وأما المعنى الثالث فليس فى البيت ولا فى القصيدة ما يشير إليه من قريب أو بعيد .

وقد جمع شوقى فى بعض أبيات القصيدة بائسا على بؤساء ، وأذكر أن المحققين من اللغويين لم يقروا هذا الجمع ، وحجتهم أن فاعلا لا تجمع على فعلاء ، وقد حكموا على شعراء فى جمع شاعر بأن طريقها السماع لا القياس .

وبعد فإنى لا أحكم على شوقى بالحكم على هذه القصيدة ، وإنما أقول : إنها ليست من روائعه ، وإن اختيارها للدراسة على أنها كما قال مختاروها .

(الشوقيه البارعة ، مثال رائع من شعر أمير الشعراء) اختيار غير موفق ، وأن الحكم عليها بالروعة حكم غير مقبول . ؟

على العمارى

من شعر إقبال

من أسكن الحب ظلام التراب فأورق الزرع نضير الأهاب
من رفع الأمواج من بحرها تسقى عطاش القفر برد السحاب
من قلد الورد نسيم الصبا ومن أعاد الشمس بعد احتجاب
من أنبت السنبل حتى غدت جيوبه تحوى النضار العجاب
من قسم العام فصولا لها بكل دور فى الزمان انقلاب

الوحدانية فى الأديان الإفريقية

للأستاذ محمد جلال عباس

« فأقم وجهك للدين حنيفا ، فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » .

آية خاطب الله بها رسوله الكريم ليبين أن رسالة الإسلام العظمى إنما هى رسالة مسايرة للفطرة التى زود الله بها الإنسان فاستقرت فى نفسه وملأته شعورا بأن لهذا العالم خالقا ودفعته إلى التساؤل عن أصل الوجود ومنشأ الخلق ، وهداه عقله المفطور إلى أن الخالق لا بد أن يكون قوة عظمى ، فأعمل فكره ليصل إلى إدراك هذه القوة العظمى إدراكا عمليا يؤيد بها إدراكه الفطرى وشعوره الكامن فى نفسه .

ولقد ظل الإنسان منذ بداية الخليقة يفكر فى أسباب تلك الظواهر الكونية التى أحاطت به، وتلك العجائب التى تميزت بها حياته، ليصل إلى معرفة تلك القوة التى تسير الكون والحياة ومر الإنسان فى تفكيره بأطوار متعددة جاءت فى الآية الكريمة : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا . قال هذا ربى ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال ياقوم إنى برىء مما تشركون . إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا ، وما أنا من المشركين » .

هذا تفكير إبراهيم عليه السلام وهو يمثل حقيقة التطور الفكرى للإنسان . ولا تكاد النظريات العلمية المتعددة التى فسرت أصل العقيدة الإنسانية تخرج عن هذا ، فتايلور وهربت سبنسر قالا بأن الإنسان بعد بحثه وتأمله فى مظاهر الحياة وتفكره فى الأطياف التى كانت تمر به فى منامه ، أخذ يرد مختلف الظواهر إلى أرواح تكمن فيها وتسيرها . وهو فى هذا الطور لم يرق إلى مرتبة فكرية تجعله يصل إلى عقيدة إلهية ، وإنما كانت عقيدته فى هذا الطور روحية خالصة ، أما جيمس فريزر فقد ذكر فى كتابه « عبادة الطبيعة » أن الاعتقاد فى الله عند الإفريقيين إنما يرجع إلى أن عقل الإنسان بطبيعته لم يقبل الظواهر على علاتها إنما أخذ يبحث عن شىء غير مادى فيما وراء هذه الظواهر يجعله يقنع عقله بها كأسباب لها ومن ثم لم يعبد الطبيعة ذاتها إنما كان تفكيره متجها إلى الاعتقاد فى قوة غير ملموسة .

وقد أكد بعض الكتاب والباحثين وجود فكرة الوحدانية فى عقائد الإفريقيين وعلى

رأس هؤلاء الأب شميدت الذى يرى أن العقائد فى إفريقيا قد تطورت من مرحلة تعدد الآلهة إلى مرحلة الاعتقاد بإله واحد، وقد تبعه بعض المبشرين الذين بحثوا فى الأديان الإفريقية وبعضهم قال بأن اعتقادات الإفريقيين الحالية لا بد وأنها تطورت من وحدانية قديمة وقال آخرون بأن الديانات الإفريقية متأثرة بوحدانية اليهود القديمة كما ذكر البعض مثل الدكتور لوكاس أن آلهة إفريقيا الغربية إنما ترجع أصلا إلى العقائد المصرية القديمة وخاصة عقيدة أخناتون.

وأيا ما كانت الآراء فإن ديانات الإفريقيين الأصلية ذات طابع مميز لها فهى لا تدور حول عبادة القوى الطبيعية كما كان الحال عند الإغريق، ولا عبادة الشمس كمصر القديمة، ولا هى عبادة أوثان كالتى كانت عند العرب فى الجاهلية، وهى لا تدور حول تقديس أشخاص لهم اعتباراتهم التاريخية ومبادئهم الأخلاقية كالكنفوشية والزرادشتية والبوذية فى آسيا، كما أنها لا تعتمد على الاعتقاد الروحى وحده.

لا تعتمد العقيدة الدينية عند الإفريقيين على أحد من هذه العناصر التى اعتمدت عليها الديانات الأخرى غير السماوية قديما وحديثا، إنما تتميز بمميزات خاصة أهمها : —

١ — الاعتقاد بإله علوى.

٢ — تقديس أرواح بعض الشخصيات التى لها تاريخها، وأهميتها فى حياة القبيلة.

٣ — الاعتقاد فى خلود الروح بصور شتى إما بحلولها فى أفراد من أبناء الأجيال التالية أو فى عوالم أخرى كالأشجار والأنهار والبحار والغابات أو باطن الأرض أو السماء ولهذا فهم يقدسون أرواح السلف ويقدمون لها القرابين.

٤ — الاعتقاد فى وجود كائنات غير إنسانية وغير مرئية بعضها خير وبعضها شرير والاتصال بها يتم بواسطة السحر.

من هذه المميزات يمكننا أن نقرر أن الديانات الإفريقية ديانات تجمع بين التوحيد والاعتقادات الروحية.

ويعتبر الإله العلوى الذى لاتخلو منه ديانة من ديانات الشعوب أو القبائل الإفريقية مظهراً للوحدانية فى هذه الديانات، وتختلف أسماء هذا الإله باختلاف الشعوب ولغاتها ولكنها جميعاً تؤمن به كخالق للعالم إلى جانب إلمامها بصفات أخرى له لا تكاد تخرج عن صفات الله التى جاءت فى القرآن، ونورد فيما يلى عشر أمثلة نمر بها على أقطار إفريقيا لنثبت هذه الحقيقة.

١ — فى سيراليون تؤمن قبائل الماندى بإله خالق «أنجووى»، وتعتقد أنه وجد بذاته قبل الخلق ثم بث الحياة فى البشر، وملأ العالم بقوى من عنده تسير الرياح وتحدث البرق وتجرى الأنهار فهو مصدر كل قوة،

واسمه يلهج به كل لسان فى التحية والسلام والدعاء . وتؤمن قبائل الكونو المجاورة للساندى أيضاً بأنجووى وتعتقد أنه الأول والآخر وأنه موجود فى كل الوجود ماضيه وحاضره ومستقبله ، وهو الذى يثيب البشر ويعاقبهم بالرعد والبرق والموت الغامض الأسباب .

٢ — جماعات الأشانتى التى تسكن غانا وبعضها لم يعتنق الإسلام ، هؤلاء يعتقدون بإله يسمى نيامى أو نيونمى وهو الإله العلوى الذى وجد قبل الخلق وتتجلى مظاهره فى السموات والأرض .

٣ — قبائل شمال غانا وبعض قبائل وسط نيجيريا تؤمن بالشمس كإيمان المصريين القدماء بها . على أنها مظهر لقوة الإله الواحد وهى نفس الفكرة التى نادى بها أخناتون فى مصر القديمة فالشمس هى مظهر لقوة الإله ، والأنهار تجرى بقوته والثراء منحة منه وأن الأرواح تعود إليه فى النهاية .

٤ — شعب اليوربا فى جنوب نيجيريا يؤمن « بأولورون » ومعناها اللغوى صاحب السموات ويعتقدون أنه خالق كل شىء وأنه هو القوى العزيز العليم القدير ، إليه ترجع الأمور ليقضى فيها بعدله .

٥ — يؤمن شعب الإيبو فى جنوب غرب نيجيريا بإله علوى يماثل إله اليوربا فى صفاته ويعرف باسم « آرو » .

٦ — تعتقد قبائل « انجومبى » فى الكونغو فى إله علوى يعرف باسم « أكونجو » هو خالق الكون لذى سوى الإنسان مثلما تسوى الآنية الفخارية من الطين ، وله أسماء متعددة منها الأول والآخر والقدير الذى يجل عن الوصف ، وهو الحافظ والرازق قريب من كل إنسان يجيب دعوته إذا دعاه دون وساطة .

٧ — لقبائل « الكيكويو » فى كينيا إله علوى يسمى « مورونجو » يعتقدون أنه حال فى أماكن كثيرة وتظهر قوته ووجوده فى الشمس والقمر والنجوم والرياح والأمطار ، والاعتقاد فى مورونجو أو مولونجو ينتشر فى جهات كثيرة من أواسط إفريقيا .

٨ — من أسماء الإله العلوى الواسعة الانتشار ليزا فى تنجانيقا وروديسيا وكاتنجا بالكونغو . ومعناها عند بعض القبائل الحافظ ومعناها عند قبائل التونجا فى تنجانيقا المسبب الأول ، وهو عند قبائل « إلبا - إيلا » فى روديسيا خالق كل شىء فهو المنشىء الذى سوى الأشياء الذى يرسل الرياح وينزل الأمطار .

٩ — فى جنوب إفريقيا ينتشر الاعتقاد أيضا بإله علوى فعند الباسوتلو نجد « موليمو » ومعناها فى لغتهم النور والحافظ والمظهر . وعند الزولو « اونكولونكولو » ومعناها العظيم الأعظم والقدير الأقدم .

١٠ — جميع القبائل النيلية التى تسكن جنوب السودان وأوغنده تؤمن بإله علوى

« هو الجوك » مثل قبائل الشلوك والأنشولى والموتوكو واللانجو ، وهو عندهم موجود عظيم لا يراه الناس وصفاته عندهم يمكن تلمسها فى أغنية من أغانى الشلوك الشائعة تقول:

أنا أصلى لجوك .

الجوك هو المعطى وهو الحافظ .

آمنت بالجوك واستعنت بروح من عنده فأصبحت مخيفا لأعدائى .

وأصبح أعدائى يخشون الاعتداء على .

حينما ينسى الشلوك الجوك يضلون كالبقر .

ولا ينسى الشلكاوى الجوك إلا إذا غرق فى الخمر .

وتقول أغنية أخرى عند الشلوك :

أنا أصلى للجوك وحده .

أصلى له ليسدد سهامى .

أنا لا أرمى السهام وحدى .

ولكن الجوك يوجه سهامى للهدف المصيب .

هذه أمثلة مررنا بها فى أنحاء القارة الإفريقية تعطينا صورة واضحة على أن وحدانية حقيقية تسود فى أديان شعوب هذه القارة متأصلة فى فطرتهم ، ويتضح منها اتفاق كبير مع آيات القرآن الكريم فى خلقه وفى قدرته ، ولئن كانت العقائد الإفريقية مشوبة بمقدسات لا تسلمها من الشرك والزلل والخطأ إلا أن ذلك يرجع إلى عاملين هامين :

الأول : المؤثرات التى انبثقت من صميم الحياة الإفريقية البدائية ووجهت العقيدة إلى مقدسات أفسدت تلك الوحدانية الفطرية.

والثانى : عدم وصول الهداية إلى تلك البلاد أو منع الاستعمار لهم من الوصول إليها فلم يجد الإفريقيون من التعاليم الخالصة السليمة ما ينقى عقيدتهم وتطهر عقولهم من تلك الشوائب .

ولقد قبل الكثير من القبائل التى وصل الدعاة والمعلمون المسلمون إليها الدخول فى الإسلام بعد أن تألفت قلوبها حول هذا الدين القيم الذى يساير الفطرة السليمة . وكان الإسلام يزحف بخطى حثيثة إلى قلب إفريقيا ليجمع الكلمة ويوحد الصفوف وينهض بالشعوب والقبائل إلى مراقى الإنسانية السامية التى تهدف إلى تحقيقها نظم الإسلام ، لولا أن أتاها الاستعمار ، فعمل بكل وسائله على وقف هذا الزحف المقدس الذى آن لنا أن نعيده . . .

آن لنا أن نعيد هذا الزحف المقدس لنحفظ للشعوب الإفريقية فطرتها السليمة التى تتمثل فى التوحيد وهو العنصر الأساسى للعقيدة الإسلامية والأصل الأول لها ، هذا الزحف الإسلامى الذى يأخذ بيد شعوب إفريقيا لتدعم حريتها السياسية التى حققتها بفكر نقى وعقيدة سليمة .

محمد هلال عباس

من تاريخ الصحافة :

مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر

للدكتور جمال الدين الرمادي

هذه مجلة قديمة تحمل اسم الأزهر بيد أنها ليست هي المجلة التي تصدر عن الأزهر الشريف ، أما منشؤها فهو الدكتور حسن بك رفقي الطبيب الشرعي لدى المحاكم الأهلية وإبراهيم بك مصطفى ناظر مدرسة دار العلوم وتاريخ إصدارها عام ١٨٨٧ ، وكانت مجلة علمية أدبية تضم كثيراً من المباحث والفصول في الأدب والسياسة ، والدين والاجتماع . والعلم والفن .

ويحلو لنا في هذا المقال أن نستعرض صفحات هذه المجلة القديمة حتى نستعرض الدور الذي قامت به في خدمة الصحافة والمعرفة .

والشيء الواضح في موضوعات هذه المجلة أنها لم تكن قاصرة على لون واحد من ألوان الثقافة إنما كانت جامعة لأشتات من الفنون وضروب من المعرفة . فعنيت بنشر مباحث في الجغرافيا والهندسة ، والزراعة والعلوم مثل علوم الإيدروليكا أو علم التصرفات وهو العلم الذي يبحث في حركة المياه ، كما نشرت بحوثا في تاريخ العرب وبحثا عن ترعة الخطاطبة وحالة الري فيها منذ الأزمان السابقة ، وعن وسائل تقليل الطمي في الترع وتقريراً عن أحوال السكك الزراعية ، وتقريراً عن ضغط جسور النيل وما إلى ذلك كما ضمت المجلة بحوثاً عن الثروة الحيوانية في البلاد ، وبحثاً قيما عن اللبن ، وعالجت بعض المسائل الطبية في وقت كانت فيه المقالات الطبية شيئاً مستحدثا طريفا . فكتبت عن الحمى والرمد الحبيبي وتناولت بعض الثروات الاقتصادية بالبحث والدراسة مثل البترول الذي نشرت عنه بحثاً في العدد الأول من السنة الخامسة عام ١٨٩١ .

ونشرت بحثا عن جمهورية شيلي وحروبها الداخلية ونظام الحكم فيها ، وكان المقال بقلم الزعيم محمد فريد الذي كتب تحت اسمه « مساعد النيابه العمومية » وبحثا عن تاريخ التعليم في مصر وبلاد بلجيكا وتعرضت المجلة لخزانات النيل ومواضع إقامتها .

والطريف أن مجلة الأزهر نشرت في عدد مارس عام ١٨٩٢ مقالا طويلا بعنوان «أفسحوا للشبان» لتشجيع الشباب على العمل وإفساح المجالات له ، كما نشرت بحثا طريفا

عن وسائل الاحتفاظ بعطرية مشروب القهوة مما يدخل فى باب التدبير المنزلى ، كما بشرت بالعثور على نسيج جديد يقرب فى الأهمية من الكتان والتيل ويغنى عن القطن فى كثير من الأحوال ويستخرج من ساقه الذى يبلغ طوله مترين ألياف يحصل منها على ورق جيد ، ويمكن أن يعمل من الألياف المذكورة الرقيقة اللينة أنسجة حريرية لطيفة الملمس ، ونشرت رأى « كوفمان » فى معالجة لدغ الأفاعى إذ ظهر له أن كلا من برمنجنات البوتاسيوم وحمض الكروميك بمقدار $\frac{1}{100}$ أعظم دواء مضاد لسم الأفاعى إلا أن حمض الكروميك أقل أهمية من برمنجنات البوتاسيوم لأنه يجمد السوائل بسرعة ولا يمنع خاصيه انتشارها مثله .

كما نصحت مجلة الأزهر بتنظيف الزجاجات التى كانت محتوية على زيوت أو على أجسام دسمة ، بمحلول برمنجنات البوتاسيوم فيتكون فوق أوكسيد المنجنيز الإيدراتى ثم يضاف حينئذ حمض الكلورايدريك المركز فيتولد من إضافته تصاعد غاز الكلور الذى يحلل المواد العضوية فيسهل فصلها فغسلها بالماء . كما ذكرت المجلة أن الأطفال لا يصيحون من غير سبب ، إنما يصيحون إذا شكهم شائك أو كانت معدتهم ممتلئة بغازات ، أو كان عندهم عسر هضم أو كانت أرجلهم باردة ، أو كان برأسهم ألم ، كما يصيحون إذا كان بهم عطش أو جوع أو كانوا يريدون النوم أو كان بهم غضب أو كان جسمهم ساخناً أو بارداً .

وصدر العدد الأول فى يناير عام ١٨٩٣ (السنة السادسة) بعبارة الشاعر جون ملتون المشهورة « أعطنى الحرية فى أن أعلم وأتكلم ، وأتباحث حسب ما منحته من الذمة وأعطيته من الحرية ، وإذا كانت كل رياح المذاهب تهب على وجه الأرض ، وكانت الحقيقة موجودة معها فمن العبث أن نمنع ظهورها ونحجزها خوفا من انهزامها . فلنترك الحق يحارب الكذب فإنه لم ير أحد أن الحق انهزم إذا انفتح له المجال . إن أكبر شىء بعد الله هو الحق ، فإنه لا يحتاج فى انتصاره إلى السياسة والحيل بل تلك الأمور هى طرق الدفاع التى يستعملها الكذاب لإخفاء الحق .

ولم تغفل مجلة الأزهر البحوث الإسلامية . ومن ألطف البحوث المنشورة فيها بحث فى المكاييل والأقيسة والأوزان فى الإسلام ، ونقلت رأيا للمقريزى فحواه : أن المصطفى صلى الله عليه وسلم قال: «إن النقود فى الإسلام على ما كانت عليه » ، وأبو بكر لم يتعرض لها وكذا عمر غير أنه فى سنة ثمانى عشرة هجرية ، وضع الجريب والدرهم ، وضرب عمر الدرهم على نقش الدراهم الكسروية وشكلها وأعيانها وجعل وزن كل عشرة دراهم وزن ٦ مثاقيل .

أما عثمان فلم يضرب دراهم فى خلافته، ولما اجتمع الأمر لمعاوية وجمع لزياد الكوفة والبصرة قال يا أمير المؤمنين: إن العبد الصالح صغر الدرهم وكبر القفيز، فضرب معاوية السود الناقصة من ستة دوانق.

ونشرت مجلة الأزهر فى أبريل عام ١٨٩١ مقالا بعنوان «المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه» فسرت به هذا الحديث النبوى الشريف، وقالت: إن النبى صلى الله عليه وسلم كان نبياً كسائر الأنبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام طبيبا بالطب الروحانى الذى هو منصب النبوة الشريف، وليس على الطبيب النطاسى إلا أن يشخص الداء ويصف لصاحبه من الأشفية ما يضاده ويحسمه، كذلك كان نبينا صلى الله عليه وسلم يتفرس فى أحوال الناس ويرى من أمراض قلوبهم وآفات نفوسهم ما لا يرون هم من أنفسهم، فيرشد الإنسان إلى ما يراه أنجع فى علاجه، ويصف له دواء دائه بجمل وجيزة من الرفق والتلطف به حتى يكون لها فى نفسه نفوذ تام، فعرض صلى الله عليه وسلم فى هذا الحديث بمن كان داؤه المخامر أنه يؤذى الناس بلسانه ويده، كما عرض بمن كان يؤذى جاره فى قوله، فليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه، وليس التقييد بالمسلمين فى قوله: من سلم المسلمون لإخراج غيرهم من هذا الحكم، فإن الشريعة الإسلامية تقضى بأن من كان بيننا وبينهم عهد وذمة، فلهم مالنا وعليهم ماعلينا، وإنما قيد فى الحديث بالمسلمين لكونهم جيران المسلم الأقربين وعشيرته الذين أمر بمخالطتهم والارتباط بهم.

وإنما اكتفى الرسول صلى الله عليه وسلم باليد واللسان وآثرهما بالذكر لكونهما أقوم آلات الجسم وأكثرها نفوذاً فى الأعمال إذ لا يخفى أن اليد هى التى تستقل بغالب أعمال البدن من تناول الأشياء وتداولها، وسائر أنواع الكسب والتصرف ولذلك كثر فى الكلام إضافة الفعل إليها مع كون الفاعل غيرها كقوله تعالى: «مما عملت أيدينا»، «وما أصابتكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم»، ونحو ذلك - ولمثل ذلك أثر اللسان بالذكر أو كان ترجمان القلب الذى هو محل الإدراك، وخازن الإنسان وأمينه الذى يحفظ عليه أسراره ويصون ذخائره - فإن قام هذا الخازن بوضع الأشياء فى مواضعها وتصرف بالحكمة، فبذل فيما ينبغى وأمسك عمالا ينبغى كان كصانع الدواء الذى اطمأن الناس إلى حق نظره ومعرفته بمقادير الأدوية وكيفية تركيبها، وأنه لا يعطى الدواء إلا بعد تثبت ووزن وتقدير - فمن أجل ذلك أقبل الناس عليه فنفع وانتفع وعاد عمله بالصحة والنجاح

عليه وعلى غيره ، وإن هو تهاون بما تحت يده ولم يضبط أمر الأدوية التي يعطيها بل باع منها جزافا فقد أودى بنفسه وعبث بحياته وحياة غيره ، كذلك حال اللسان ، وقد قيل الكلام كالدواء إن قل نفع ، وإن كثر صرع ، ورب متكلم فيما لا يعنى . قال له الكلام دعنى .

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه
فليس على شىء سواه بخزان

بهذا الأسلوب طفقت مجلة الأزهر تعالج أمور الدين وتفسر الحديث النبوى الشريف وتضرب النماذج والأمثلة من الحياة الواقعة دون قصور أو تقصير ، ولم تكن تغفل أثناء ذلك كله التراث العربى القديم - فاستعانت ببيت من أبيات الشاعر الجاهلى امرىء القيس فى تفسير هذا الحديث الكريم .

وخصصت مجلة الأزهر القديمة بعض صفحاتها لرجل التربية والتعليم الأول المغفور له على مبارك الذى كتب بعض المقالات التربوية القيمة وفيها مقاله المعنون « مفاتيح الكنوز » الذى نشرته المجلة فى يونيه عام ١٨٩١ الذى جاء فيه « والله سبحانه وتعالى لم يبح لنا من الأفعال إلا ما يهمنا فى صلاح ديننا أو دنيانا . وما لا يهمنا فى شىء منهما إن كان فيه ضرر يلحق أحدهما فحرام ، وإلا فتركه والإغماض عنه أحق وأولى .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه » وإنى طالما فكرت فى الإنسان ومزاياه ، وما أودعه البارى من الحواس المرشدة والنفس المفكرة والعقل المدبر ، والبيان المصور ، واللسان المعبر ، والقوى المنفذة ، والأعضاء العاملة التى بجميعها تصرف فى أنواع العالم ، وبسط يده على كل الكائنات ، وكان له السلطان الأعظم على ما فى الأرض مع ما به من الضعف وتزاحم العلل والأغراض وكثرة الحاجة وقصر الحركة وهو منصرف بجميعها عن وجهتها منحرف بها عما خلقت لأجله ، والبارى لم يركب فيه تلك القوى وهذه الآلات إلا ليجعلها عوامل تحت سلطة التمييز والتدبير يصرفانها بمعيار الحكمة فى مجارى ثمرات ما أحاطه من الكائنات وجعله حوله من كنوز الخيرات .

فعلى الإنسان أن يعمل طبق ما يحقق حكمة البارى فيه مع أنه لم يكلفه أن يأتى إلا بما فى وسعه من العمل ، وسخر له ما تعجز عنه قدرته وتقصر دونه همته ، ولم يبق له إلا ما هو بموازاة إمكانه كما أشير إلى ذلك فى قوله تعالى : « فلينظر الإنسان إلى طعامه . أنا صببنا الماء صبا . ثم شققنا الأرض شقا . فأنبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا . وزيتونا ونخلا ، وقهر جميع الكائنات وجعلها مادة صنع حواسه

التى هى سبل عمله ومجارى تفكيره فى هذا العالم « والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون » . فالشمس والنجوم والهواء والماء والحيوان والنبات والتراب وسائر الموجودات على اختلاف أنواعها وتباين خصائصها مخلوقة ومذللة لفائدة الإنسان ومصلحته ، وقد امتن عليه الخالق بذلك فى مواضع شتى من كلامه المقدس فقال « وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعاً منه » وقال : « وسخر لكم الفلك » وقال : « وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . إن الإنسان لظلوم كفار » .

وهكذا مضى المرحوم على مبارك يعالج موضوع العقل البشرى ، ويرسم سبل الصراط المستقيم كما وضحها الله تعالى فى كتابه العزيز ، ولا سبيل إلى الإتيان بالأعمال الحسنة إلا حيث يتثقف العقل بأنواع المعارف الحقة ويهذب بالتربية والآداب . فإذا تم هذا للمرء أتى بأعمال تامة الحسن رائعة الصنع ، رائعة الإبداع .

ما وهب الله لامرئ هبة
أحسن من عقله ومن أدبه
هما حياة الفتى فإن فقدا
ففقده للحياة أليق به !

وفى العدد الصادر فى يوليو عام ١٨٩١ عاد المرحوم على مبارك ليتحدث عن العدل العام وكيف أنه بالعدل قامت السماء والأرض ، فبالعدل تخصب الأرض ، وتثمر الأموال ، وتنتظم الأحوال وتدر الأرزاق ، ويزول الشقاق ، وبه يستقيم الدين ، ويقوى حبله المتين . وذلك أن الشرع لا يحفظ إلا بالسلطان الذى يحرسه ويذب عن حرمه ، كما أن السلطان لا بقاء له إلا بالدين القويم حيث هو طريق العدل المستقيم .

فالدين بالملك يقوى
والملك بالدين يبقى

فإذا قاد الأمة راعيها بأزمته ، ونهج على شرعته ، اتصلت الأسباب ، وتفتحت الأبواب ، وسهل كل عسير فى الزمن اليسير ، وراجت الأمور ، وذهبت الشرور ، ووافى السرور ، والتأمت القلوب ، وانجلت الخطوب ، وغرست فى الأفئدة محبته ، وحمدت على مر الأيام سيرته .

هذا طرف من سيرة مجلة الأزهر القديمة التى صدرت فى القرن الماضى ، ولم تلبث أن أصدرت مشيخة الأزهر الشريف فى المحرم عام ١٣٤٩ مجلة تعبر عن نشاطها الدينى والثقافى بعنوان نور الإسلام .

وفى فاتحة السنة السادسة لها ، المحرم من سنة ١٣٥٤ ، تغير اسمها إلى « مجلة الأزهر » التى تصدر الآن فى مطلع كل شهر عربى وسنتها ، عشرة شهور ؟

دكتور جمال الدين الرمادى

رأى الأزهر
فى الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو

للأستاذ أحمد محمد غنيم

يسرنى وأنا أحد الذين ربوا فى مدرسة النحو القديمة ، واطلعوا على تعاليم المدرسة الحديثة ، وعاشوا مع نحاة المدرستين طويلا. وعرفوا الكثير من مذاهبهم ، أن أكون ممثل الأزهر فى هذه الحلقة [١] . للمشاركة فى بحث الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو . وكل أملى أن نوفق إلى اتخاذ قرار سديد يساير تطور الزمن ، ويلائم روح العصر ، ويحبب إلى التلاميذ دراسة النحو ، بل يبث فيهم الحرص على التوسع فيه .

إن تيسير النحو على المتعلمين أمر محبوب، وغاية شريفة. وأمنية يحرص عليها المصلحون ولكن ينبغى ألا يكون ثمن ذلك التيسير بتر النحو ، وإهمال بعض مسائله . ينبغى ألا يكون ثمن ذلك التيسير جهل التلميذ بالنحو وحرمانه من الانتفاع بكتب السابقين . وما فيها من كنوز ثمينة ، وثمار طيبة .

وقد حرصت كل الحرص أن أقف موقفا وسطا ، لا متحيزا للقديم، ولا معاديا للجديد، ولكن مؤيدا للحق حيث كان ، والحق أحق أن يتبع .

وكان بودى أن تكون ثورة الثائرين على النحو القديم ثورة غير جامحة تسير مع العقل والحكمة ، وتبقى على كل ما هو صالح من تراث السابقين . مما أنتجته عقولهم ، وأثمرته قرائحهم ، وانتفع به من بعدهم أجيال وأجيال ولا أظن أحدا من الحاضرين ينكر على القدامى أنهم وجهوا نشاطهم الذهنى وعقولهم الجبارة إلى علم النحو ، فقعدوا قواعده ، وفرعوا فروعه ، وثار فيه بينهم الجدل والحوار حتى ليصح القول أنهم فلسفوا هذه المادة ، وتركوا منها تراثا ذهنيا ثقافيا جديرا بالإعجاب والخلود .

ولا يمنعنا هذا أن ننكر من تعاليمهم ما تحتم الضرورة إنكاره . من خطأ قد يقع نتيجة لزلة قلم . أو نبوة فهم ، ومن صواب قد يتعسر على الناشئين فهمه . ولا يسهل عليهم

---

[١] أقيمت فى كلية دار العلوم حلقة استغرقت أسبوعا من ٩ـ ١٤ فبراير ١٩٦١ لدراسة تيسير النحو اشترك فيها عن الأزهر الأستاذ أحمد محمد غنيم وألقى هذه المحاضرة .

تناوله . وهو يعد مما لا تدعو إليه حاجة ماسة ولا ضرورة ملحة . وإن مما نحمده أن أول توصية أوصى بها أعضاء هذه الندوة قالوا فيها :

« يعلن أعضاء الندوة اتفاقهم على ضرورة تيسير النحو العربى للطلاب على ألا يمس هذا التيسير أصلا من أصول اللغة العربية . وألا يقطع صلة الطالب العربى بتراثه القديم » .

وهذا مبدأ سام نبيل جدير ألا نحيد عنه فى كل خطوة نخطوها فى سبيل التيسير .

وقد رأيت أن أناقش أمام حضراتكم فى هدوء بعض المحاولات التى يراد بها تيسير النحو :

المحاولة الأولى :

بتر النحو وإهمال بعض مسائله .

يرى أنصار التيسير الاقتصار على النواحى الضرورية من الأبواب المقررة فى النحو وهكذا يرون إغفال الأبواب التى لا تدعو حاجة الطلاب إلى تعلمها أو لا تتفق مع مداركهم . وإنى أعلن من فوق هذا المنبر تأييدى لهذا الاقتراح على طول الخط لكن فيما يتعلق بدراسة النحو للناشئين وغير المتخصصين، أما المتخصصون وطلاب المعاهد التى تخرج مدرسى اللغة العربية فهم بطبيعة الحال لا يسرى عليهم هذا التيسير فإن المدرس بل الكاتب والشاعر والصحفى والخطيب . كل منهم قد يضطره موقفه إلى التعمق فى البحث ، والإلمام بكل ما قيل فى النحو من دقائق وقضايا ، ولا يفوتنى أن أعلن فى غير تردد أننا معشر القوام على اللغة العربية قد أسرفنا فى تدليل الناشىء ، وأشفقنا عليه فى غير مشفق ، حتى وجدنا فى كلمة فاعل وكلمة مبتدأ وكلمة خبر ما يجرح سمعه ، فى حين أن غيرنا من القوام على المواد الأخرى لم يشفقوا هذا الإشفاق على الناشىء ، ويسردون عليه من قوانين الطبيعة ومبادىء الفلسفة والنظريات الهندسية والقواعد الجبرية ما يصدع الرءوس ، ويشتت الأذهان ، فهل يصح أن نبلغ الاستهانة باللغة العربية إلى هذا الحد ، وهى لغة آبائنا ، ولغة ديننا .

المحاولة الثانية :

اصطلاح المسند والمسند إليه .

يرى الاتجاه الجديد تسمية ركنى الجملة بالمسند والمسند إليه والعدول عن التسمية بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر .

وإن مما لا ينازع فيه أحد أن التلميذ فى مراحل التعلم الأولى إذا ألقى على سمعه نحو أكل محمد ، فإن أسهل عليه وأقرب إلى إدراكه وأكثر مناسبة لما هو مألوف له ويتردد على سمعه أن يستنبط بنفسه ، مع قليل من توجيه مدرسه وإرشاده . أن أكل لفظ يدل على الفعل الماضى وأن « محمد » لفظ يدل على

فاعل هذا الفعل ، فإذا ما جاءت الدراسة تؤيد هذا الذى أمكنه استنباطه بنفسه وهو فى دائرة مألوفة من الكلام ، رسخ فى ذهنه ، وأمكنه القياس عليه . وتلك هى الطريقة التى يفضلها علماء التربية . إنى أجاهر بصوتى عاليا ، أنه إذا أريد من التلميذ الناشئ أن يعرف أن أكل مسند ، وأن «محمد» مسند إليه فإن دون ذلك خرط القتاد ، مهما بذل المدرس من مساعدة وتوجيه . فإنها كلمات غامضة نابية . غريبة على سمعه ، لم تطرق أذنه إلا فى قاعة الدرس ولا سبيل إلى وصوله لمعرفتها ، إلا أن يلقيها المدرس عليه إلقاء ويلقنها له تلقينا .

وهذه طريقة معيبة لا تناسب الناشئين مطلقا ، ولا تؤدى إلى التيسير الذى ندعو إليه ، والمدرسون أنفسهم يعترفون بذلك ولا أكون مغاليا إذا قلت : إنها تنفير وتعسير لا تسهيل فيها ولا تيسير ، وهكذا الحال فى نحو : محمد قائم .

وفضلا عن ذلك ، فإن الكتب القيمة التى تركها لنا السلف ، من المفسرين وشراح الحديث وشراح دواوين الشعر العربى . إنما يسير مؤلفوها فى أساليبهم ، على الطريقة الأولى . والمصطلحات المتوارثة ، ولا شك أن استمرار الدراسة على ما يراه أنصار التيسير من تغيير فى الأسماء والمصطلحات ، يحدث فجوة واسعة بيننا وبين تلك الكتب ، ويؤدى إلى حرمان الأجيال المقبلة ، من الانتفاع بما فيها . من أفكار سامية ، ومعارف رائعة . وذلك خروج على ما أوصى به أعضاء الندوة من ضرورة التيسير على ألا يقطع صلة الطالب العربى بتراثه القديم ، وأعتقد لو أن القدامى جمعوا الفاعل ونائب الفاعل والمبتدأ فى باب واحد تحت اسم المسند إليه ، لكان من مقتضيات التيسير أن ندعو إلى التقسيم والتفصيل ، لزيادة البيان والإيضاح ، وليدرك التلميذ الفرق بين ضُرب زيد وضَرب زيد وزيد ضرب ، فإن زيداً فى الأسلوب الأول مضروب ، وفى الثانى ضارب دون تقرير وتوكيد ، وفى الثالث ضارب مع زيادة التقرير والتوكيد ، وأما اختيار علماء البيان اسم المسند والمسند إليه فذلك ، لأن الأسرار البلاغية لا تختلف بالنسبة لكل منهما مهما كان نوعه ، وكذلك القول فى متعلقات الفعل وهى التكملات فلم تكن هناك حاجة إلى تمييز كل باسمه الخاص ، وإفراده بباب خاص.

أما النحاة فقد وجدوا أن لكل من أنواع المسند والمسند إليه والتكملات تقسيما خاصا وأحكاما خاصة . فلم يكن من المستحسن عندهم جمعها تحت اسم واحد كما صنع علماء البيان على أن الطالب لا ينتقل إلى دراسة علوم البيان ، إلا بعد أن يكون قد نال قسطا

كبيراً من دراسة القواعد ، وعرف الفعل والفاعل ، والمبتدأ والخبر ، والمفعول وغيره من الفضلات ، فمن السهل عليه بعد ذلك أن يقبل ما جمع منها تحت اسم واحد ، دون جهد أو عناء .

وأما ما يقوله بعض أنصار التيسير ، من اتحاد أحكام الفاعل والمبتدأ ، فلا نسلمه له ، وهو نفسه لا يعترف بهذا الاتحاد ، فهو بينما يقول : إن الحكم فى الحالين واحد ، نراه يقول : إذا تقدم المسند إليه كان من أحكامه كيت وكيت . وإذا تأخر تغيرت تلك الأحكام ، تبعا لتقدم المسند إليه وتأخره ، وذلك الذى يعترف به ، هو بعينه ما دعا النحاة إلى إفراد المسند إليه المتقدم بباب باسم المبتدأ ، والمسند إليه المتأخر بباب باسم الفاعل . وقبل أن أترك هذا الموضوع ، أستحسن أن أذكر أمام حضراتكم مثالا لفت نظرى إليه مقال نشر بمجلة الأزهر[1] لبعض زملائى بالكلية ، لتوازنوا بين إعرابه فى الاصطلاح القديم وإعرابه فى الاصطلاح الحديث ، وتتبينوا مقدار ما بين الإعرابين من تفاوت ذلكم المثال هو قول القائل « الطائر مقصوص جناحاه » .

يقال فى إعرابه فى الاصطلاح القديم ، الطائر مبتدأ ، ومقصوص خبر ، وجناحاه نائب فاعل والضمير مضاف إليه ، تلك كلمات لا تتجاوز العشر ، سهلة على اللسان ، ولا تمجها الآذان ويقال فى إعرابه فى الاصطلاح الحديث ، الطائر مسند إليه أول ، ومقصوص مسند ، وجناحاه مسند إليه ثان ، والمسند والمسند إليه الثانى مسند إلى المسند إليه الأول ، تلك كلمات تقارب العشرين وفيها من تكرار كلمة مسند سبع مرات ، ما يصك الآذان ، ويثقل على اللسان ، حكموا أنفسكم وانظروا ، ماذا يكون وقعها على سمع التلميذ المسكين ؟ وكيف يتعثر بها لسانه ثم فاضلوا بين الاصطلاحين ، وبحق يقول زميلى . لو أن علماء البلاغة ، وصل إلى سمعهم مثل هذا الإعراب ، لاستغنوا بالتمثيل به للتكرار المعيب ، وتنافر الكلمات ، عن التمثيل بقول أبى الطيب :

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا
قلاقل عيش كلهن قلاقل

وقول الآخر :

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

المحاولة الثالثة : التيسير فى الضمائر .

يرى الاتجاه الجديد إلغاء الضمائر المستترة ،

---

(١) النحو بين التجديد والتقليد ـ ٣ ـ للأستاذ عبد الخالق عضيمه جزء شعبان ١٣٨٠ .

واعتبار ضمائر الرفع المتصلة البارزة حروفا يشار بها إلى نوع المسند إليه أو عدده . وفيما عدا ذلك من الضمائر ، فالقول كما قال النحاة ويؤدى هذا الاتجاه إلى أمور .

الأول : أن ضمير الرفع البارز المتصل حرف ، بخلاف ضميرى النصب والجر . ففى نحو قوله تعالى : « ربنا إننا آمنا » يكون الضمير الأول والثانى من قبيل الأسماء ، والثالث من قبيل الحروف . وأى بلبلة يقع فيها التلميذ من وراء تلك التفرقة التى لا يدرك لها سببا ؛ فاللفظ فى المواضع الثلاثة واحد . ويؤدى فيها معنى واحدا ، وهل هذا إلا تحكم وترجيح لأحد المتساويين على الآخر بدون مرجح .

الثانى : أن هذا الاتجاه يؤدى إلى أن يكون كل من قمت وأقوم مجرد فعل وليس فيه ضمير ، فالأول صيغة لماضى المتكلم . والثانى صيغة مضارع للمتكلم . واعتقادى أنه لا ينازع أحد فى أن كلا من الصيغتين كلام تام ، والكلام عمل اللسان . وهو ما تألف من ركنين ، مسند ومسند إليه . وكل منهما ملفوظ أو مقدر ، فإذا لم يكن فى اللفظ إلا الفعل ، وليس هناك ضمير فى اللفظ ولا فى النية كما يقولون ، فأين المسند إليه ؟ يقولون إن المسند إليه مفهوم ، وهو المتكلم نفسه فى الصيغتين . وعليه : فيكون نحو قمت وأقوم كلاما مؤلفا من ركنين أحدهما ملفوظ وهو الفعل ، والثانى لا هو ملفوظ ولا هو مقدر . وهو المتكلم نفسه ، المدلول عليه بالتاء فى قمت وبالهمزة فى أقوم . ويكون الكلام حينئذ مؤلفا من لفظ وذات ، ولست أدرى كيف نقبل هذا ؟ . وكلنا يعلم أن موضوع النحو . إنما هو الكلام العربى وليس من شأنه البحث فى الذوات . الحق أن هذا من أعجب ما تمخض عنه الفكر الحديث فى القرن العشرين . ولقد حاولت إقناع نفسى بقبوله بوجه من الوجوه ، فلم أجد لذلك سبيلا . ولا أظن معلما ولا متعلما يستطيع أن يسيغه .

الثالث : أنه يترتب على هذا الاتجاه ، ألا تقع تلك الضمائر بنوعيها متبوعة . ضرورة أن البارز منها حروف ، وأن المستتر ملغى ، وذلك ما لا يمكن قبوله . والشواهد على وقوع كل من النوعين متبوعا أكثر من أن يحيط بها الحصر ، ومن ذلك العطف على الضمير البارز فى قوله تعالى : « يدخلونها ومن صلح من آبائهم » ، وقوله : « لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا » ، وجاء الإبدال منه فى قول النابغة الجعدى :

بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا
وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا

ولا يمنع مانع من وقوعه توكيدا فى نحو قول القائل : أنصتوا كلكم .

وجاء توكيد الضمير المستتر فى قول كثير :

فإن يك جثمانى بأرض سواكم
فإن فؤادى عندك الدهر أجمع

وجاء العطف عليه فى قول جرير :

ورجا الأخيطل من سفاهة رأيه
ما لم يكن وأب له ليـنالا

وقول عمر بن أبى ربيعة :

قلت إذ أقبلت وزهر تهادى
كنعاج الفـلا تعسّفن رملا

وقول بعض العرب فيما حكاه عنهم سيبويه : « مررت برجل سواء والعدم » برفع العدم وإذا ما سلكنا مسلكهم فى أن المسند إليه فى تلك الأساليب إنما هو الأشخاص لا الألفاظ . فلا يسعنا إلا أن نهنئ أولئك الأشخاص ، بأن النحو الجديد ، قد عرف مكانهم ، ورفع توابعهم إكراما لهم .

ومما يدعو إلى العجب ، أن بعض المؤيدين لهذا الاتجاه ، حينما ورد عليه قول جرير وقول عمر ، واستعصى عليه التخريج على المذهب الجديد . قال ما يأتى: «الواقع أن جريراً لم يعطف وأن عمر لم يعطف ، ولكن النحاة هم الذين قدروا معطوفا عليه . ولم يرضوا كلهم عن هذا التخريج . واختلفوا فى مثل هـذين الأسلوبين على آراء كثيرة ، نعفى منها تلاميذنا ونعلمهم ألا يستعملوا مثل هذا الأسلوب إذا صادفهم » .

وإذا كان جرير لم يعطف وعمر لم يعطف . فلماذا لم يبين لنا الأستاذ وظيفة الواو ووظيفة الاسم بعدها فى كلامهما ، وإذا كان الأستاذ يريد أن يعلم تلاميذه ألا يستعملوا مثل هذا الأسلوب إذا صادفهم ، فهل يعلمهم أيضا ألا يستعملوا مثل قوله تعالى: «ما أشركنا ولا آباؤنا » ، وألا يستعملوا مثل قول النابغة « بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا » ، ومن عجيب أمر الأستاذ أن الأسلوب الذى ينهى تلاميذه عن استعماله تدعو إليه ضرورة الكلام ويقع فيه كثيراً . والدليل على ذلك بسيط جداً وواضح جداً . ويتجلى ذلك فى أن الأستاذ نفسه لم يستطع أن يتخلص منه ، وهو ينهى تلاميذه عنه . إذ يقول عن النحاة فى مقاله السابق قريبا ما نصه : « ولم يرضوا كلهم عن هذا التخريج » ، ولا شك أن كلهم توكيد للضمير الذى يزعمونه حرفا . اللهم إلا أن يقول : إنه توكيد لأشخاص الغائبين ، وقد رددنا ذلك قريبا .

الرابع أن هذا الاتجاه يضطر الدعاة إليه أن يقولوا فى نحو شاهدت الخطيب يخطب ، ومررت برجل يكتب ، الفعل فى الأول حال ولا ضمير فيه وهو باق على رفعه ، وفى الثانى نعت . وهو أيضا باق على رفعه ولا ضمير فيه . ومعنى هذا أن الحال قد يجىء منصوبا وقد يجىء مرفوعا ، وقد يجىء مجزوما كما فى قول القائل: غادرت معارضى لم ينبس ببنت شفه . وأن النعت يخالف منعوته فى الإعراب . فقد يكون المنعوت مجروراً ونعته مرفوع أو

مجزوم . بل قد يجيء كل من النعت والحال لا حظ له من الإعراب إذا كان الفعل ماضيا نحو سمعت محاضراً بهر سامعيه ، وسمعت المحاضر قد أخذ بألباب سامعيه ألستم ترون معى أن هذا الاتجاه ، يعارض قولهم : إن الحال من التكملات والحكم العام للتكملة هو النصب إلا أن يكون هناك داع للجر . ألستم ترون أن هذا الاتجاه ، يعارض القانون العام الذى يقضى بموافقة التابع لمتبوعه فى الإعراب ؟ . ألستم ترون أن التلميذ إذا تعلم النحو على هذا النحو ، يصبح فى حيرة مما يراه فى القواعد ، من اضطراب وعدم استقرار؟ .

ولقد أحس بعض أنصار التيسير بضعف هذا الاتجاه الجديد فى الضمائر ، فشمر عن ساعده وبذل فى توجيهه جهودا يستحق عليها الشكر ، وذكر لتأييده ثمانيـة أدلة ، ونحن نناقشها دليلا دليلا .

قال فى الدليل الأول ما خلاصته : أن سيبويه يرى أن الألف فى نحو قاما الزيدان حرف مؤذن بأن الفعل لاثنين : والواو فى قاموا الزيدون حرف مؤذن بأن الفعل لجماعة . فإذا كان سيبويه يعتبر هذه الحروف إشارات وعلامات للاسم قبل النطق به وقبل أن تستوفى الجملة ركنيها ، فمن باب أولى تعتبر إشارات للاسم بعد النطق به .

وإنى أطمئن الأستاذ إلى أن هـذا الرأى ليس رأى سيبويه وحده ، وإنما هو رأى الجمهور ، وليرجع إذا شاء إلى شرح الأشمونى لقول ابن مالك .

وقد يقال سعدا وسعدوا

والفعل للظاهر بعد مسند

ولكن إنما يلجأ النحاة إلى هـذا الرأى ، إذا وردت هذه الأساليب على لسان قوم مخصوصين من العرب هذه لغتهم ، وهى لغة شاذة . فإذا نطق بها غيرهم ، فسيبويه وغيره يجوزون أن يكون المتكلم محاكيا أصحاب تلك اللغة ، فتكون هـذه الملحقات حروفا ، ويجوزون وجوها أخرى تكون فيها ضمائر ، وإذاً فلا سند للاتجاه الجديد من قول سيبويه.

وقال فى الدليل الثانى : « يرى المازنى أن هذه الأحرف علامات وليست ضمائر » .

وقال فى الدليل الثالث : « يرى الأخفش أن الياء فى تضربين ليست بضمير بل حرف تأنيث كما قيل فى هذى » ، ونسب هذين النقلين إلى الرضى ، والذى يرجع إلى شرح الرضى يتبين أن الأستاذ لم يكن أمينا فى النقل ، فقد نقل بعض القول وحذف البعض الآخر ، ليوهم أن الاتجاه الجديد ، ليس وليد اليوم ولكن قال به المازنى والأخفش من قبل ، وإلى حضراتكم نص عبارة الرضى قال : « ومذهب المازنى أن الحروف الأربعـة فى المضارع والأمر ، أعنى الألف فى المثنيات ، والواو فى جمع المذكر ، والياء فى المخاطبة ، والنون فى جمع النسوة ، علامات كألف

الصفات وواوها ،وهى كلها حروف والفاعل مستكن عنده » . وكذلك قال الرضى: «يرى الأخفش أن الياء فى تضربين ليست بضمير ، بل حرف تأنيث كما قيل فى هذى ، والضمير لازم الاستتار » .

ويتبين مما قاله الرضى ، أن الاتجاه الجديد لا يتبع قول المازنى ، ولا قول الأخفش ؛ لأنهما يقولان باستتار الضمير ، والاتجاه الجديد ، لا يعترف بهذا الاستتار ، فهو إنما يأخذ من قول الأئمة طرفا ، ويترك طرفا ، ويذكرنى هذا بدعوى ابن الرومى حل الخمر ، مستنداً إلى أقوال أئمة الفقه حيث يقول :

أحل العراقى النبيذ وشربه
وقال الحرامان المدامة والسكر
وقال الحجازى الشرابان واحد
فحلت لنا بين اختلافهما الخمر
سآخذ من قوليهما طرفيهما
وأشربها لا فارق الوازر الوزر

وقال فى الدليل الرابع : « تقول الجنود مستعدون،والجنود يستعدون. فأى فرق بين الواوين ، وكذلك الألف فى مستعدان ويستعدان » ، ويقول النحاة فى الجواب عن ذلك : إن الفرق بين واضح ، فالواو فى «مستعدون» والألف فى «مستعدان»، حرفان جعلا علامتى إعراب مع دلالة الأول على معنى الجمعية ، والثانى على معنى التثنية ، ولذلك يتغيران فى حالتى النصب والجر ، تقول رأيت جنوداً مستعدين ، ومررت بجنود مستعدين وذلك بخلاف الواو فى يستعدون والألف فى يستعدان فإنهما ضميران. ولذلك لا يتغيران ويثبتان رفعا ونصبا وجزما. نحو لم يستعدوا ولم يستعدا ولن يستعدوا ولن يستعدا .

وقال فى الدليل الخامس : ما خلاصته أن أن مذهب النحاة فى إعراب يقرءون ونحوه، يؤدى إلى الفصل بين الفعل وعلامة إعرابه، وعلامة الإعراب إنما تلحق آخر الكلمة العربية ، وقد أجاب النحاة عن ذلك ، بأن الفعل والفاعل كالكلمة الواحدة ، ولذلك سكن آخر الفعل فى نحو كتبت ، فجاز أن يلى الفاعل ما هو علامة إعراب الفعل ، كما جاز أن يتصل بالفعل ما هو علامة على معنى فى الفاعل ، وذلك تاء التأنيث .

وقال فى الدليل السادس : « يقول العرب الرجال جاءوا ،والرجال جاءت،ويعلل النحاة جواز الصيغتين بأن فى جاءوا ملاحظة الجمع، وفى جاءت ملاحظة الجماعة ، فلو سايرناهم فى هذا التعليل لتبين لنا أن الواو التى ترمز وتشير إلى الجمع ، تناظر التاء التى تشير إلى الجماعة وهذه التاء علامة التأنيث عند جميع النحاة ، أى علامة للنوع . فلم لا تكون نظيرتها الواو علامة للجمع أى العدد ؟ » .

ولإبطال هذا الدليل . أنقل إلى حضراتكم عبارة النحاة التى يستند إليها الأستاذ لتتبينوا منها مبلغ فهمه لكلامهم ، أو مقدار ما يريد من مغالطة .

قال الأشمونى : « تقول قامت الرجال وقام

الرجال فإثبات التاء لتأوله بالجماعة ، وحذفها لتأوله بالجمع ، وترون من هذا أن التعليل المذكور . فيما إذا تقدم الفعل وتأخر الفاعل حيث يتصل بالفعل علامة لنوع فقط . وتمتنع فى اللغة الفصحى علامة العدد وأن الذى يناظر التاء فى قامت الرجال ، إنما هو تجريد الفعل منها فى قام الرجال ، وأما إذا تأخر الفعل ، كما فى الأمثلة التى مثل بها الأستاذ ، فالواجب حينئذ أن يتصل بالفعل مايدل على النوع والعدد جميعا . فى قولنا الرجال جاءت ، لوحظ أمران : الإفراد والتأنيث . ودل على الإفراد بالضمير المستتر ، وعلى التأنيث بالتاء وفى قولنا : الرجال جاءوا ، لوحظ معنى الجمع . ومعنى التذكير . ودل على الجمع بالواو . وعلى التذكير بترك التاء . وبهذا يتبين أن الذى يناظر التاء إنما هو تركها وأن الذى يناظر الواو إنما هو ضمير الإفراد المستتر ، وإذا استبدلنا المضارع بالماضى يظهر ذلك جليا . تقول الرجال يقومون . والرجال تقوم . فالتاء فى تقوم تناظرها الياء فى يقومون . والواو فى يقومون ، يناظرها الضمير المستتر فى تقوم . ويقينى بعد هذا البيان أنه لم تبق أية شبهة فى أن الواو تناظر التاء . فلا تكون مثلها حرفا .

وقال فى الدليل السابع ، نقول البنتان تقرءان . فالألف فى تقرءان تدل على العدد وهو المثنى . ولما كانت الألف مشتركة بين المذكر والمؤنث احتجنا إلى التاء فى أول الفعل للدلالة على النوع وهو المؤنث . ولكننا نقول البنات يقرأن بدون علامة التأنيث فى أول الفعل ؛ وذلك لأن النون علامة على العدد والنوع معا . ولو كانت ضميراً حل محل الاسم الظاهر وكانت فاعلا ، لوجب تأنيث الفعل معها وقلنا البنات تقرأن » .

ونقول فى إبطال هذا الدليل : تقول للرجلين قرأتما وأنتما تقرءان . وللأنثيين قرأتما وأنتما تقرءان . والصيغة واحدة فى خطاب النوعين . ولم تلحق بالفعل علامة التأنيث فى خطاب الأنثيين . ويعلل النحاة ذلك بأن التاء إنما يؤتى بها عند الحاجة إليها . وتمتنع عند وجود مايغنى عنها . كما فى قمت خطابا للمفردة ، وقمنا لمثناها ، وكما فى قول الأنثى : قمت ، والإناث قمنا ، لأن قرينة الخطاب والتكلم يعينان المراد ، وكما فى قمن ويقمن ، لأن النون متعينة للمؤنث فلا التباس . وبهذا يتبين أن امتناع التاء فى نحو البنات يقرأن ، لأن الضمير متعين للمؤنث ، فلا يؤتى معه بالتاء لعدم الحاجة إليها ، ولو كان امتناع التاء لأن النون علامة النوع والعدد معاً لوجبت التاء فى نحو قولنا للأنثيين قرأتما لفقد ما يدل على النوع ، فإن قال قائل : إذا كانت التاء إنما يؤتى بها عند الحاجة إليها ، فلم تلحق الفعل عند إسناده إلى الأسماء الظاهرة ، وألفاظها كافية فى الدلالة على النوع ؟ فالجواب أن كثيراً من الأسماء قد يشترك فى التسمية به المذكر والمؤنث نحو رجاء وضياء ووفاء

وهند وإحسان وسعاد ، فاحتيج إلى التاء فى الفعل عند الإسناد إلى تلك الأسماء الظاهرة المشتركة ، للدلالة على نوع الفاعل وتمييزه إذا كان مؤنثاً ، ثم اطرد فى غيرها .

وقال فى الدليل الثامن : ما خلاصته أن ما نسميه ضميراً فى نحو قرات وأخوانه ، يشبه تماما أحرف المضارعة من حيث الدلالة على المتكلم فى نحو قرأت وأقرأ ، وعلى المتكلمين فى نحو قرأنا ونقرأ ، وهكذا الباقى ولم يجعل النحاة أحرف المضارعة ضمائر ، فكان من حق نظائرها فى الفعل الماضى ألا تكون ضمائر ،

وبقليل من النظر والتأمل ، ندرك فرقا كبيراً بين التاء فى قرأت والهمزة فى أقرأ ، فالتاء كلمة زائدة على الفعل الماضى مدلولها المتكلم والفعل يتحقق بدونها ، وأما الهمزة فهى جزء من الفعل المضارع ومدلولها أن الفعل مسند إلى ضمير المتكلم ولا يتحقق المضارع بدونها ، وهكذا الباقى .

ولا يفوتنى أن أذكر على سبيل الفكاهة كلمتين للأستاذ :

قال فى الأولى : « إن الاتجاه الجديد فيه نوع من التيسير ، ويتجلى ذلك فى إعراب نحو محمد لعب ، فالاتجاه القديم يستدعى من التلميذ ثلاثا وعشرين كلمة . والاتجاه الجديد لا يكلفه أكثر من ست كلمات » .

ولا أظن أحداً ينكر الإطناب فى الشرح للإيضاح والتفهيم ، على أنه من السهل إذا تحقق المدرس من فهم التلميذ القواعد ، ورسوخها فى ذهنه ، أن يكتفى منه فى إعراب الجملة المذكورة بست كلمات أيضاً فيقول ، محمد مبتدأ ولعب وفاعله المستتر خبر .

وأما الكلمة الثانية ، فهى قوله : والاتجاه الجديد يعفى التلميذ من القلق النفسى الذى يستحوذ عليه ويستبد به حينما نريده على أن يفهم أن هناك فرقا بين قتل اللص التاجر ، واللص قتل التاجر ، ففى قتل اللص التاجر ، اللص فاعل ، فهو قاتل مجرم ، وإذا فاقبضوا عليه وخذوا على يديه وفى اللص قتل التاجر ، اللص مبتدأ وليس بفاعل ، وإذا فهو برىء مظلوم ، فأطلقوا سراحه ، وابحثوا عن القاتل الحقيقى ، تجدوه مختفيا ومختبأ ومستترا فى زاوية من زوايا الفعل » ، ألستم تعجبون معى من هذا المنطق؟ ، من ذا الذى قال من النحاة ، إن قول القائل اللص قتل التاجر لا يقتضى كون اللص قاتلا لأنه ليس بفاعل ؟ إن النحاة يقولون فى هذا الأسلوب : إنه يثبت إدانة اللص بالقتل مرتين ، لما فيه من تكرار الإسناد فهو بمثابة قولنا : قتل اللص التاجر ، قتل اللص التاجر ، فهو تقرير للاتهام على وجه لا يدع مجالا لاحتمال الشك ، فهو فى الأسلوب الأول مستحق لقصاص واحد وفى الأسلوب الثانى مستحق لقصاصين ، إن صح هذا فى القانون .

(البقية فى العدد القادم)

أحمد محمد غنيم

ذكرى المحرم :

عاشوراء فى تاريخ الإسلام

للأستاذ محمد رجب البيومى

ليوم عاشوراء فى تاريخ الإسلام دوى رنان وصدى مجلجل ، فكم اهتزت له عروش ، وقامت به ثورات ، وما أعرف محنة من محن الأبطال تركت وراءها أثرها الفاجع عبر الأحقاب والقرون كمحنة الإمام الحسين . وقد يكون فى كوارث التاريخ ما غلبها قوة وعاقبة كهجوم التتار فى المشرق واعتداء الصليبيين ، وسقوط الأندلس وغيرها من الخطوب ، إلا أن أثر هذا اليوم الرهيب قد فاق فى عمقه وروعته كل أثر سواه ، حتى لجاز لشاعر متعقل كأبى العلاء المعرى أن يجعل منه ظاهرة طبيعية تطالع الناس فى الصباح والمساء ، إذ يقول مصورا هول المأساة :

وعلى الأفق من دماء الشهيدين
على ونجله شاهدان
فهما فى أواخر الليل فجرا
ن وفى أولياته شفقان

ولو لم تكن هذه الكارثة الأليمة من حظ هذا اليوم البائس لمر غفلا مهملا بين الأيام ولكنها طبعته بطابع حزين سيقترن به فى تاريخ الإسلام مدى الحياة .

صحيح أن هذا اليوم كان معروفا فى الجاهلية ، فقد روت الآثار أن عائشة رضى الله عنها قالت : « كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصومه ! فلما فرض رمضان كان هو الفريضة وترك يوم عاشوراء ، فمن شاء صامه ومن شاء تركه » ، وأن البخارى ومسلم رويا عن ابن عباس « أن النبى صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : يوم صالح ، نجى الله تعالى فيه بنى إسرائيل من عدوهم ، فصامه موسى ، فقال صلى الله عليه وسلم : أنا أحق بموسى منكم . فصامه وأمر بصيامه » ، وإذن فقد صام الرسول يوم عاشوراء ! ولكن كم صام الرسول من أيام غير رمضان ، ومرت جميعا فى دورات الزمن دون أن تشير

ما أثاره هـذا اليوم منذ مصرع الإمام الشهيد .

قتل الحسين شهيد الظمأ والسيف والقيظ، وأحس شيعته المخلصون أنهم خذلوه فى أحلك ساعاته وأحرج مواقفه ، واندلع بركان الغيظ والأسف والنـدم يلهب الضمائر ويدفع بالأفواج الساخطة إلى الثأر والانتقام ، وأصبح يوم المصرع مأتما معولا تلطم فيه الوجوه . وتهتك الغـدائر المرسلة وتشق الجيوب، وتقام المناحات، وتقدمت الجيوش الثائرة تحارب كتائب الدولة المسيطرة فيتسع ميدان النضال وتتناثر الأشلاء والجماجم فى ساحات فياحة تجرى بها مسايل الدماء ، ونصل السيوف وتصهل الخيول . . . ونظر بنو أميه فوجدوا يوم عاشوراء فى كل محرم يهيج ما كمن من الحـزن ويشب ما خمد من الضرام ، ورأو كربلاء تصير مزارا مقدسا يهرع إليه الثائرون ، ويتدافع من حـوله الناقمون ، وقد أصبحت بركانا يقذف بالحمم وينذر بالثبور ، وكم أرق مضاجعهم أن يروا هـلال المحـرم فى أفق العام الجديد يلوح منذرا بالسخط والحـداد والنواح ! وإنهم ليلتفتون فيجـدون الأسواق فى الكوفـة والبصرة تقفر ، والسواد فيما جاوز العـراق يشيع ويعم ، وقصائد التأبين والرثاء ترن نائحة باكية ، حتى إذا مضت الأيام التسعة وحان اليوم العاشر كان الهول الأكبر ، والزلزال العاصف . ماذا عسى أن يفعلوا أمام هـذا اليوم العصيب؟.

إن الحجاج طاغية العراق وسيف بنى مروان يعمل حيلته ، ويجهد قريحته ، فيرى أن الاحتكام إلى السيف يمد النار بوقود لا ينقطع، وأن من الأصوب أن تخترع الأحاديث الدينية فى فضائل هذا اليوم ، فيكون مجال توسعة فى النفقة ، وسرور للجماعة ، وانتعاش للتجارة ، ويندفع الوصوليون إلى اختلاق الروايات المسندة فى فضائل هـذا اليوم ومزاياه ، ثم تنحر الذبائح وتفرق لحومها على المنازل ليأكل الفقراء مما أباح الله لهم فى هذا اليوم العجيب، ويجد الناس أنفسهم أمام فريقين من الداعين : فريق يذكر بمصرع الحسين فيلتاع ، وفريق يسرد أحاديث النفقة والتوسعة فيسر . . ولم يقف التلفيق عند التوسعة والبسط بل جاوزه إلى اختراع فضائل أخرى جمعت فى هـذا اليوم ! ففى عاشوراء رفع الله إدريس إلى السماء ، ونجى نوحا من الطوفان ، وأنقذ إبراهيم من النار ، ونبذ يونس من قلب الحوت إلى العراء ! ! وكأن هـذا اليوم بالذات كان موعد النجاة لكل نبى أظهره الله ، ولولا أن تاريخ محمد صلى الله عليه وسلم معروف باليوم والشهر ، لقـال قائلهم فى هـذا اليوم هزم المشركون

فى بدر ، واندحرت الأحزاب فى معركة الخندق ، وفتحت مكة بعد طول امتناع !! على أن مغالاة الشيعة فى شعائر الحزن ومراسيم النواح قد دفعت بعض المحايدين إلى مهاجمتهم ، فحبذوا فضائل عاشوراء المختلقة . وصرنا نجد فريقا من أهل السنة يؤمن بها كحق مسلم لا يعترضه الظن بوهم !! وهكذا حار هذا اليوم العجيب بين المسرورين والمحزونين !!

وحين سقطت الدولة الأموية كان مصرع الحسين فى رأى الباحثين أول عامل قوى أدى إلى سقوطها ، إذ ظل لغما هائلا يهدد كيانها بالانفجار ما بين حين وحين ، حتى إذا تحرجت الأمور أدى رسالته المدمرة فتصدع البناء الوطيد تصدعا طاح بالسلطان والمجد والجاه ، وجاءت الدولة العباسية فرأت يوم عاشوراء ينذرها بالويل والدمار ، ورغم ما بذله الخلفاء تحببا إلى الشعراء والمفكرين فلم يستطيعوا أن يسكتوا الألسنة القوية التى أخذت تذكر بهذا اليوم الرهيب ، وسالت مراثى الحميرى والعبلى ودعبل وابن الرومى نادبة نائحة ، فتلهب الأحاسيس وتؤجج الضرام . وقد صدقت فيها العاطفة صدقا أورثها سهولة فى اللفظ وعمقا فى التأثير ونفاذاً إلى القلوب ، وللنفوس ولع هائم بشعر المعارضة والمنابذة ، فكيف إذا ضم إلى ذلك بكاء مريراً على الحسين ، والتياعا محرقا لمضاجع كربلاء وملاحد الطف ، وفجائع آل بيت الرسول !! مهما يكن من شئ لقد أصبحت الدولة العباسية تواجه فى بغداد والكوفة والبصرة ما تحذره وتخشاه ! فكيف تظن بخراسان وما وراء النهر وكل مكان قرب أو بان ! .

وكان ما لابد أن يكون ، فقد خضعت بغداد لبنى بويه وهم شيعيون علويون ، وأصبح الخليفة العباسى لا يملك أمراً أو نهياً مع معز الدولة بن بويه الديلى ، وكان من مبتدعاته فى مدينة السلام أن جعل يوم عاشوراء من أحفل أيام الأسى والنواح ، فأصدر منشوراً حاسما يأمر الناس قاطبة بارتداء ملابس الحزن ، وإغلاق الأسواق ، وإيصاد الحوانيت وتحريم البيع والشراء ، وتعطيل المطابخ والمطاعم ، على أن تكون المناحات عامة شاملة فيخرج النساء مرسلات الشعور ، ملطخات الوجوه ، مشققات الثياب ، صارخات نادبات . ومن عهد معز الدولة ، وشيعة العراق يحتفلون بيوم عاشوراء احتفالا حزينا ، تعلو به المناخ ويلبس فيه السواد . وقد حاول يس باشا الهاشمى أن يمنع هذا التقليد منذ سنوات معدودة فتعرض إلى ثورة صاخبة ضاعت بإزائها شتى الجهود ، وأذكر أن صديقى المرحوم الأستاذ محمد هاشم عطية قد حدثنى عن احتفال نائح شهده هناك إذ كان أستاذاً

للأدب بدار المعلمين العالية ببغداد ، ورأى من الملاطم والمناحم ما لم يكن يتصوره بل إنه اضطر إلى مشاركة النائحين كيلا يرجف به أحد المجتمعين فيتعرض إلى ما لا يحب ! !

وكم يقشعر جسمى حين أطالع تاريخ ابن الأثير فأجده يذكر فى حوادث سنة ٤٤٣ ﻫ أن بعض رجال العباسيين حاول أن يمنع احتفال الشيعة بعاشوراء فأحرق جميع الأسواق والدور بالكرخ وما حوله ، وبلغت ضحاياه سبعة عشر ألف إنسان ! ! يا لله ، يذهب هذا العــدد الضخم فى غير مفخرة تعود على الإسلام ! ويقع بأس المسلمين بينهم فيشب المتهورون حريقا رهيبا يحصد آلاف الأرواح وتهيج الحفائظ فى الصدور فيندفع الموتورون إلى الانتقام ! وكلا الفريقين ممن يتنازعون الرأى على شفا خطر مبيد ! ! ولو عقل رجال الدولة لتركوا الناس يفعلون ما يبتغون بعد أن يدعوا المخالفين إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، ويجادلوهم بالتى هى أحسن كما يأمر الإسلام !

هذه بعض الفظائع الدامية فى بغداد ، ولنا أن نأخذ منها بعض العبر الواعظة كيلا تتكرر المأساة من جديد ! !.

أما يوم عاشوراء فى مصر ، فقد قدر له أن يجد من الدفع والجذب ، والمد والجزر ، بعض ما وجده فى بغداد ، فقد كان الشيعة بمصر قبل ميلاد الدولة الفاطمية يحرصون على إحيائه بالأسف والبكاء ، فكانت طوائفهم يذهبون فى حينه إلى قبرى السيدتين نفيسة وكلثوم ، فيقرءون القرآن ، ويريقون الدموع ، ويصعدون الأنين ، ونفيسة هى بنت الحسن ابن زين العابدين ، وكلثوم هى بنت القاسم ابن محمد بن جعفر الصادق ! فالاجتماع لدى مشهديهما بما توحى به القرابة الدانية والوشيجة المعرقة ، وقد يتهور بعض الصارخين فيندفع إلى قرب السقائين وأوانى البائعين بالتحطيم والتهشيم ، إلا أن العقلاء من المارة يعيدون الأمن ويدفعون التطرف حتى ينصرم اليوم بذكراه المؤسية ، وأسفه اللهيف .

ثم جاءت الدولة الفاطمية وهى من ناحية أولى تبذل اهتماما كبيراً بالمواسم والاحتفالات وتعدها مجالا فسيحا لمشغلة النفوس وانصراف الخواطر ، ومن ناحية ثانية تتخذ الإمام الحسين رمزاً للبطولة الساحرة والفدائية الشهيدة — وهو فعلا كذلك — وتتخذ من مأساته الدامية أساسا لتدعيم كيانها السياسى ووجودها الشرعى ، فلا غرو إذا اهتمت بيوم عاشوراء اهتماما بالغ الحد ففعلت ما يستطاع فعله فى إظهار لواعج الأسف وشعائر الحزن ، إذ أمرت — فى حزم حاسم — بتعطيل الأسواق ، ولبس الممزق من الثياب ، وأذنت للنساء فخرجن مولولات

نادبات ، وقد صبغن الوجوه بالسواد ، وأعلين النواح فى الشوارع والمنازل ، واندفع الشعراء يرسلون قصائد التفجع والتوجع ، والقصاص يروون فصول المأساة ويصفون مشاهد المحنة ، ! ! وإذا كان لا بد من سماط كبير للطعام ينتهى به الاحتفال ويتصدره الخليفة كما يفعل فى المواسم والأعياد ، فإن سماط عاشوراء يتسم بطابع خاص ويسمى سماط الحزن وعليه توضع أنواع كثيرة من الأملاح والجبن والمخللات والمحرقات ، ولا يكون الخبز إلا من شعير مضى عليه الزمن فخشن وصلب. ثم يجلس الخليفة الفاطمى حزينا مطرقا على كرسى من جريد ممتهن دون وسادة أو حشية ومن حوله حاشيته ووزراؤه فى مثل حالته وعليهم ثياب قاتمة تظهر ما بالنفوس من ضيق وانقباض ، وحين أقيم المشهد الحسينى بالقاهرة بعد مجىء الرأس الطاهر صار من الحتم الملزم أن تتحلق الجموع حول المسجد وداخله وأن يذهب إليه الخليفة أو وزيره فى موكب حزين يلفه الأسى وتغشاه الكآبة ليستمع آيات القرآن، وخطب التأبين ، ويتلقى العزاء ثم يعود إلى القصر وقد طويت زخارفه وطنافسه وبسطه ، وفرش بالحصير البالى المتناثر ، وساد الجمع سكون لا يقطعه غير نشيج الباكين وتنهد الملتاعين :

وقد ذكرت بعض كتب التاريخ أن الفاطميين كانوا يذبحون الإبل والبقر والغنم حول مشهد الحسين ! وهذا ما حرت فى تعليله ، لأن الذبائح توحى بالمسرة وارتزاق الناس مع أن اليوم يوم حزين لا يأكل فيه الخليفة ورعاياه غير الشعير الجاف ! وإذا كانت هذه الذبائح صدقة للفقراء ، وتحية لروح الإمام فى هذا اليوم فلم إذن تغلق المطابخ والمطاعم والأسواق ، ويحرم على الناس أن يأكلوا مايشتهون ! أليس ذلك يتناقض مع نحر الذبائح ، وإراقة الدماء ! ! لا أعتقد أن هذه الرواية صحيحة ، وربما وقعت فى غير عهد الفاطميين مما تلاه ، وغفل المؤرخ فسبق بها الزمان !

وكان من الطبيعى بعد سقوط الدولة الفاطمية وقيام الدولة الايوبية أن تزول مظاهر الأسف واللوعة فى مصر حين يفد هذا اليوم ، إلا أن الأيوبيين قد تورطوا فى الأمر تورطا جاوز القصد ، فلم يجعلوا يوم عاشوراء يوما عاديا كسائر الأيام ، بل أحيوا أحاديث التوسعة والنفقة والافتنان فى المطاعم والآكال مع الإغراق فى الحلوى والفطائر ! وذلك تطرف لا يقل خطورة عن تطرف المحزونين البائسين . ومر على مصر عامان متعاقبان كان أولهما مظهرا للترح البالغ والأسى الحزين فى عاشوراء ، وثانيهما

مجالا للفرحة والأنس والاغتباط ، ولو نظر الأيوبيون لهذا اليوم نظرة مقتصدة لاتقوا إثارة الخواطر وانفعال النفوس ! ! وقد ألفت الكتب المبسوطة فى فضائل هذا اليوم ، واندفع الناس إلى الإسراف فى ملذاتهم وما كلهم إسرافا غير مقتصد ، حتى أنشىء نوع خاص من الحلوى يعرف بعاشوراء وحرص الناس على صنعه فى هذا اليوم ، وما زالت مصر تحتفل بالنفقة والتوسعة فى أعوامها المتتابعة أيوبية ومملوكية وعثمانية حتى زارها المستشرق أدورد لين سنة ١٨٢٥ ورأى من مظاهر الاحتفال بيوم عاشوراء وما قبله من الأيام التسعة ما سجله فى كتابه المعروف « المصريون المحدثون فى القرن التاسع عشر » فتحدث بإسهاب عن مظاهر جديدة تعاقبت فى هذا اليوم ، إذ يخرج نساء كثيرات ينتمين إلى أسر محترمة إلى الشوارع المختلفة وكل سيدة تحمل طفلها على كتفها ، وتستوقف من يمر من الرجال ثم تسأله بعض النقد لتشترى به حلوى للطفل فيعيش ويسلم من الأمراض ! وهكذا أصبحت حلوى عاشوراء إكسيرا يمنح الحياة ، ولن يرزق هذه الخاصة المدهشة إلا إذا جاء عن طريق الصدقة والإحسان ! ! وقد بقيت مظاهر التوسعة فى هذا اليوم حتى الآن . وخطباء المساجد فى الريف يثبتون دعائمها بما يلقونه من خطب متوارثة تمتلىء بالموضوعات والمختلقات ، وإذا كان الريفيون يحبون الإمام الحسين حبا جاوز الحد ، ولا يكادون يغادرون الريف إلى القاهرة إلا تبركا بزيارة قبره ، فإنهم حين ينفقون عن سعة فى هذا اليوم لا يصورون أدنى صلة تربط الإمام الشهيد بهذا الزمن المقدور ، وقصارى ما يعلمون أن أحاديث الرسول تحث على النفقة والتوسع فيجب أن تطاع .

أما سائر الأماكن الإسلامية المتشيعة فى العراق وإيران والهند والأفغان وجبل عامل فى لبنان ومحلة الأمن فى دمشق وبعض عشائر الحجاز حوالى المدينة وفى البحرين والكويت وتركستان وغيرها من مهاد التيشع فلا تزال تجلل مساجدها وشوارعها بالسواد فى هذا اليوم حدادا على السبط الشهيد . بل إن مؤرخى المسرحية فى الشرق يرجعون بنواتها البدائية إلى ما كان يصنعه شيعة إيران فى هذا اليوم من تمثيل لمأساة كربلاء إذ يبدءون الرواية بخروج الحسين من المدينة ثم التحامه بجيوش الأمويين فى كربلاء ويعرضون مشاهد للصيال والنضال والبطولة والاستشهاد ، ثم يقوم شيخ يثير شجون الناس بذكر ما لاقاه الحسين فى نغم حزين يهيج العواطف ، ويستدر الدموع ، ويمر بالناس ومعه قطعة من القطن يلتقط

فيها الدموع ثم يقطرها فى زجاجة تحفظ للاستشفاء ويختم التمثيل بحرق أعشاش فى جوانب الساحة ترمز إلى كربلاء ، ويظهر قبر الإمام الشهيد مجللا بالسواد .

هذا فى إيران ، أما القاهرة نفسها فغير بعيدة العهد بموكب الحسين فى الحى الفارسى وقد وصفها الأستاذ الكبير ابراهيم عبد القادر المازنى فى مجلة الرسالة (١) . إذ قال متحدثا عن صديق له تحت عنوان (مصرع الحسين) :

« وقال لنا يوما خذوا وناولنا بطاقات فيها دعوة إلى ما كان يسمى « زفة الحسين » وما هى بزفة ، وإنما هى مأتم ، ولكنها هكذا تدعى على ألسنة العامة ، فذهبنا فى الموعد المضروب إلى بيت رحيب ، فى زقاق ضيق ، فوجدنا هناك كثيرين من رجال مصر المعروفين ، أجلسنا معهم ثم دعينا إلى مائدة مثقلة بالآكال (٢) . الشهية ، وكان الأستاذ البرقوقى إلى جانبى فظمئ على الماء وأسر لى بذلك . فأومأت للخادم ، فناوله كوبا رفعه إلى فمه ، وما كاد يفعل حتى رده عنه : ذلك أنه كان سكرا مذابا لا ماء ، فعجبنا واتقينا أن نشرب .

وانحدرنا إلى صحن الدار وكان فيها منبر ارتقى إليه شيخ فارسى ، وانطلق يقول كلاما لا نفهمه ولكن صوته كان يتهدج ، وكانت الدموع تتسايل على خده ، وتبل لحيته الكثة ، وقيل لنا : « إنه يرثى الحسين ويندب مصرعه ، وكان الذين يفهمون كلامه من بنى جنسه ، يبكون بل يعولون ، ومنهم من كانت تهيج حرقاته فيلطم أو يضرب صدره أو ظهره العارى بسلسلة غليظة من الحديد ، أو يضرب جبينه ببطن سيف مسلول ، ولكن أحدهم اضطرب وهو يفعل ذلك فأصاب حد السيف جبينه فانفجر الدم كأنه من نافورة ، وقد خفوا إليه وضمدوا جراحه وعصبوا له رأسه ، وهال أحدنا منظر الدم ، وظن أن الرجل لا محالة هالك فأغمى عليه وسقط على الأرض كما تسقط الخشبة فأنشقوه شيئا فى زجاجة ، أنعشه ورد إليه روحه » .

هذا ما يرويه بعض المعاصرين فى القاهرة، ولك أن تقيس عليه ما يجرى فى بلاد الشيعة مما يثبت أن هذا اليوم ذو صدى مجاجل لا ينقطع على تتابع الأحقاب ، وإذا كنا قد نظرنا إليه من الناحية التاريخية وحدها فإن الناظرين إليه من الناحية الأدبية ليدهشون لكثرة ما ألهم من آثار وروائع ، وأوحى من تآليف وأسفار .

محمد رجب البيومى

[١] الرسالة ـ العدد الممتاز [١٤٣] .

[٢] هكذا قال المازنى ولا أدرى كيف تكون الآكال الشهية فى مأتم نواح .

التكبير فى أواخر السّور
هل له أساس صحيح ؟

للأستاذ محمّد محمد الشرقاوى

درج القراء لكتاب الله عز وجل على أن يذيلوا أواخر قصار السور ابتداء من سورة « والضحى » حتى نهاية سورة الناس - بالتكبير . . . فمنهم من يقتصر على عبارة « الله أكبر » ، ومنهم من يزيد قبلها عبارة وبعدها أخرى ، فيقول : « لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد » . . وقد شاع ذلك وذاع ، ورددها الصغار حين يحفظون ، والكبار حين يرتلون . . حتى إن بعض السامعين يحسبونها جزءاً من التنزيل ، أو لازمة لا تنفك عن تلاوة أو ترتيل .

وقد صح هذا التكبير عند أهل مكة ، قرائهم ، وعلمائهم ، وأئمتهم ، ومن روى عنهم . . . حتى استفاض واشتهر ، وذاع وانتشر ، وبلغ حد التواتر ، وصار هذا العمل عند أهل الأمصار ، فى سائر الأقطار عند ختمهم فى المحافل ، واجتماعهم فى المجالس وكثير منهم يؤديه فى صلاة رمضان ، ولا يتركه على بحال .

قال أبو عمرو عثمان بن سعيد الدانى من أئمة القراءة : (لقد استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التكبير قبل الهجرة بزمان . . . فاستعمل ذلك المكيون ، ونقل خلفهم عن سلفهم ، ولم يستعمله غيرهم ، لأنه صلى الله عليه وسلم ترك ذلك بعد ، فأخذوا بالآخر من فعله) .

وإذا ناقشنا المسألة من جذورها . وجدنا أن كلمة « الله أكبر » فقط قد روى فيها الحافظ أبو العلاء بإسناده عن أحمد بن فرح عن البزى : أن الأصل فى ذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم انقطع عنه الوحى ، فقال المشركون : قلى محمداً ربه . . فنزلت سورة « والضحى » فقال النبى صلى الله عليه وسلم « الله أكبر » ، وأمر النبى أن يكبر إذا بلغ « والضحى » مع خاتمة كل سورة حتى يختم ، قال العلامة المحقق ابن الجزرى : « فى النشر على القراءات العشر » وهذا قول الجمهور من أئمتنا كأبى الحسن بن غلبون ، وأبى عمرو الدانى ، وأبى الحسن السخاوى وغيرهم من متقدم ومتأخر . . . قالوا فكبر النبى عليه

الصلاة والسلام شكراً لله لما كذب المشركين وقال بعضهم : قال الله أكبر تصديقا لما أنا عليه وتكذيباً للكافرين ، وقيل فرحا وسرورا . . أى بنزول الوحى .

على أننا لا نكاد نفرغ من قراءة هذا الحديث فى كتاب النشر حتى نجد الإمام ابن كثير الحافظ المفسر رحمه الله ، وهو من الأعلام ، فى هذا المقام ، يحكم على هذا الحديث بأنه لم يرتق إلى درجة الصحة ، كما لم ينزل إلى رتبة الضعف ويقول ما نصه : « لم يرو ذلك الحديث بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف ، يعنى كون هذا سبب التكبير ، وأما انقطاع الوحى مدة وإبطاؤه فمشهور » .

ثم نجد أن ابن أبى بزة يروى بإسناده فيما أخرجه أحمد بن فرح عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم أهدى إليه قطف عنب قبل أوانه فهم أن يأكل منه ، فجاءه سائل فقال اعطونى مما رزقكم الله ، فسلم إليه العنقود ، فلقيه بعض أصحابه فاشتراه منه وأهداه للنبى صلى الله عليه وسلم ، فعاد السائل فسأله فأعطاه إياه . فلقيه رجل آخر من الصحابة فاشتراه منه وأهداه للنبى . . فعاد السائل فانتهره النبى وقال : « إنك ملح » ، فانقطع الوحى عن النبى صلى الله عليه وسلم أربعين صباحا : فقال المنافقون : قلى محمداً ربه ، فجاء جبريل عليه السلام فقال : اقرأ يا محمد ، قال : « وما أقرأ » ؟ ، فقال : اقرأ « والضحى » فلقنه السورة . . فأمر النبى أبيا لما بلغ « والضحى » ، أن يكبر مع خاتمة كل سورة حتى يختم . . قال ابن الجزرى عقيب هذا الحديث : ــ وهذا سياق غريب جداً . . وهو مما انفرد به ابن أبى بزة أيضا ، وهو معضل . . وهكذا نجد أن الحديث الثانى فى تقرير التكبير فى خواتيم السور لم يكن فى الصحة أحسن حظا من سابقه . . الأمر الذى يستدعى التثبت والحذر فى معالجة هذه المسألة الدقيقة التى تتصل اتصالا مباشراً بالنص القرآنى الذى يجب أن يجرد عن كل ما ليس منه . . باستثناء ما أوصت به السنة الصحيحة كترديد « آمين » فى ختام الفاتحة ، وكقول السامع والتالى : « بلى » عقيب قوله تعالى : « أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى » .

والعجيب أن بعض القراء كان يزيد التكبير فى أعقاب السور . . ثم يتعجب من نفسه حين يعترف بأنها زيادة لا ينبغى أن تكون ، ومن هؤلاء الإمام أبو عبد الله الكارزينى . . فإنه « كان إذا قرأ القرآن فى درسه على نفسه وبلغ إلى « والضحى » كبر لكل قارئ قرأ له . . وكان يبكى ويقول : ــ ما أحسنها من سنة . . لولا أنى لا أحب مخالفة سنة النقل ــ لكنت

أخذت على كل من قرأ على برواية بالتكبير، لكن القراءة سنة تتبع، ولا تبتدع».

والملاحظ أن جميع الروايات المرفوعة إلى الرسول عليه الصلاة والسلام فى شأن التكبير مدارها كلها على البزى . . . ، والبزى من حيث هو قارئ يعتبر فى فن القراءة إماما ـ لكن من حيث هو محدث ليس بهذه المثابة بعد أن تكلم فيه رجال الحديث : فضعفه أبو حاتم، والعقيلى.

وأما قنبل ـــ أحد مشاهير القراء ـــ فقد اضطرب النقل عنه فى التكبير : فالجمهور من المغاربة على عدم التكبير له كسائر القراء . . وهو الذى فى التيسير وغيره ، وروى عنه العراقيون التكبير.

وأما غير أهل مكة فلم نجد فى ذلك نصا عنهم . . حتى إن أصحاب الشافعى رضى الله عنه لم يرو عنهم فى هذا التكبير نص فى كتبهم المبسوطة أو المطولة الموضوعة للفقه . . اللهم إلا ما ذكره على سبيل الاستطراد الإمامان أبو الحسن السخاوى ، وأبو إسحاق الجعبرى من الشافعية ، ولم يفردا له بابا ، وذلك على الرغم من نسبة هذا التكبير إلى الإمام الشافعى ـــ وإذا عرفنا أن أصحاب الشافعى يحرصون كل الحرص على إبراز ما نسب إلى إمامهم فى إطار من التبويب والتفصيل ـــ لأدركنا إلى أى مدى يتردد النظر الصحيح فى قبول هذه النسبة إلى الإمام الشافعى .

وكان بعض الناس حين يسمعون إمامهم يكبر فى أعقاب السور القصيرة أثناء صلاته بهم فى رمضان ينكرون ذلك على الإمام . وقد حدث ذلك لبعض الأئمة فلما اعترض عليه بعض المأمومين قال : بهذا أمرنى ابن جريج . فلما ذهبوا إلى ابن جريج قال : نعم بهذا أمرته .

وهكذا نجد الأمر ينتهى عند ابن جريج من غير أن يرتفع فى نسبته إلى سنة صحيحة ، وهذا وحده لا يكفى فى باب الاستدلال .

وإذا قلبنا النظر فى كتب الأئمة الأربعة لم نجد فى كتب الحنفية على كثرتها وتنوعها إشارة من قريب أو بعيد إلى هذا التكبير ، وما قلناه عن الحنفية نقول مثله عن المالكية ، وأما الحنابلة فقال الفقيه الكبير أبو عبد الله محمد بن مفلح فى كتابه « الفروع » : « وهل يكبر لختمه من « والضحى » ، أو ألم نشرح آخر كل سورة ؟ .. فيه روايتان، ولم يستحبه الحنابلة لقراءة غير ابن كثير .

هذا . . ولو سلمنا أن عمل أهل مكة حين يكبرون فى ختام السور مأثور عن النبى صلى الله عليه وسلم ، وأن هذا كان قبل الهجرة بأزمان طويلة ، وأنه كان بعد عودة الوحى إليه ، إثر فترته عنه ، وفيما جاور ذلك

من الأوقات - فإن سكوت الرسول صلى الله عليه وسلم عن هذا التكبير ، وتركه له فيما بعد ، يمكن أن يعتبر نسخاً لما تقدم إذ من المعروف فى أصول الفقه أنه إذا علم المتقدم والمتأخر من عملين متخالفين ، فإن المتأخر ينسخ المتقدم .

وما روى عن البزى فى هذا المقام قد أخذ صفة التنوع ، فقد روى عنه الجمهور « الله أكبر » من غير زيادة ولا نقص ، وروى عنه بإضافة التهليل قبل التكبير ، ولفظه : لا إله إلا الله والله أكبر ، وزاد بعضهم عنه رواية التحميد عقب التهليل والتكبير فقالوا : - لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد » . . وهذا الأخير منسوب إلى على رضى الله عنه . . لكن هذه النسبة أيضا مدارها على البزى . . مما يجعلنا نقول : إن كل الآثار والأحاديث الواردة فى هذا الباب لم يروها أحد إلا البزى - ولو كان البزى لم يتعرض للقيل من رجال الحديث لوسعنا أن نعمل بما روى وما نقل .

وثمت من الآثار الصحيحة مايجعلنا نعيد النظر فى هذا التكبير الذى ذاع وشاع . . فقد روى عن ابن مسعود رضى الله عنه قوله : « جرّدوا القرآن » وفى رواية أخرى : « جردوا المصاحف » وإذا كان هذا الأمر متوجها إلى تنزيه كتابة المصحف من الزوائد . . فمن الممكن أن يقال مثل ذلك بالنسبة إلى تلاوة القرآن أيضا إذ أن الهدف من هذا التجريد هو صيانة النص القرآنى من التحريف وغيره حتى تبقى قرآنية القرآن إلى الأبد قائمة على التحدى والإعجاز .

وبعد : فقد تبين مما تقدم : أن هذه الصيغة التى يرددها الصغار حين يحفظون ، والكبار حين يرتلون فى ختام قصار السور وهى « لا إله إلا الله والله أكبر ولله الحمد » من سورة « والضحى » إلى سورة الناس لا تستند أساساً إلى حديث صحيح - على الرغم من كثرة من رددها .

وأن الحنفية والمالكية لايرون هذا التكبير ، وأن الحنابلة يستحبون تركه ، وأن الشافعى وإن نسب إليه التكبير فإن كتب أصحابه قد خلت من النص عليه والتبويب له إلا ما ذكر استطراداً عن السخاوى والجعبرى ، وأن الإمام الكارزينى قد اعترف بأن هذا التكبير بدعة لا سنة ، وتحرج من أخذ كل قارىء برواية بالتكبير محافظة على سنة النقل . . ومن حقنا إذن أن نقول : إن قراءة القرآن الكريم بدون هذا التكبير أدخل فى الحسن والصواب منها به ؟ .

محمد محمد الشرقاوى
المدرس بمعهد الاسكندرية

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٢ —

عرفنا فى بحث سابق أن المسلم لا يجوز له أن يتزوج بالمشركة ولا بالملحدة التى لا تدين بدين [١] ، فما حكم زواجه بالكتابية ، وهى التى لها دين سماوى له كتاب من الله ، وله نبى يبلغه ؟ جمهور العلماء والفقهاء على جواز تزوج المسلم من غير المسلمة إذا كانت كتابية . واستدلوا على ذلك بقول الله تعالى: « اليوم أحل لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم ، وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات ، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم [٢] » .

وبالحديث : « نتزوج نساء أهل الكتاب ولا يتزوجون نساءنا » ، وإن جرير الطبرى يعلق على هذا الحديث بقوله « فهذا الخبر وإن كان فى إسناده ما فيه فالقول به لإجماع الجميع على صحة القول به » [٣] .

ورووا أن طلحة بن عبيد الله وحذيفة ابن اليمان تزوج كل منهما إمرأة كتابية

ورووا أن عمر أراد التفريق بين حذيفة وزوجته ، فقال له حذيفة : « أتزعم أنها حرام فأخلى سبيلها يا أمير المؤمنين » ؟ . فقال عمر : « لا أزعم أنها حرام ، ولكنى أخاف أن تعاطوا المومسات منهن » .

وهناك رواية غير مسلمة تقول : إن عمر فرق بين طلحة وحذيفة وامرأتيهما اللتين كانتا كتابيتين ، وقد تعقب ابن جرير هذا القول بالنقد والتفنيد ، وقال عنه : « لا معنى له لخلافه ما الأمة مجتمعة على تحليله بكتاب الله تعالى ، وخبر رسوله صلى الله عليه وسلم » . ثم روى ابن جرير عن عمر ما هو أصح إسنادا ، وهو قول عمر « المسلم يتزوج النصرانية ، ولا يتزوج النصرانى المسلمة » . ثم يقول : « وإنما كره عمر لطلحة وحذيفة رحمة الله عليهم ـ نكاح اليهودية والنصرانية حذرا من أن يقتدى بهما الناس فى ذلك ، فيزهدوا فى المسلمات ، أو لغير ذلك من المعانى ، فأمر بتخليتهما » [١] .

وآية المائدة : « اليوم أحل لكم الطيبات

---

[١] انظر مجلة الأزهر ، عدد شوال ١٣٨٠ هـ ص ١١٣٦

[٢] سورة المائدة ، آية ٦ .

[٣] تفسير الطبرى ، ج ٢ ص ٣٧٨ .

---

[١] المرجع السابق

وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم، وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم» هي من أواخر آيات القرآن الكريم نزولا، وإذا كان الفقهاء قد استدلوا بها على جواز زواج المسلم بالكتابية، فقد اختلفوا في تحديد المراد بكلمة «المحصنات» فيها، ففريق قال: إنه يجوز للمسلم أن يتزوج الكتابية العفيفة مطلقا: حرة كانت أو أمة حربية كانت أو ذمية، وفريق قال إن الآية عامة في جميع الحرائر من الكتابيات، فنكاح جميع الحرائر من اليهود والنصارى جائز، حربيات كن أو ذميات، من أي أجناس اليهود والنصارى كن، وفريق ثالث قال: إن المقصود هن نساء أهل الكتاب الذين لهم من المسلمين ذمة وعهد، فأما أهل الحرب فإن نساءهم حرام على المسلمين [1].

جمهور الفقهاء يقرر إذن جواز تزوج المسلم من الكتابية، ولكن عبد الله بن عمر كان يحرم نكاح الكتابيات، بدعوى أنهن مشركات، وكان إذا سئل عن زواج المسلم بالنصرانية أو اليهودية يقول: «حرم الله المشركات على المؤمنين، ولا أعرف شيئا من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى، أو ربها عبد من عباد الله» ويقصد بقوله: عبد من عباد الله أن يشير إلى قول اليهود: عزيرا بن الله.

ويعلق النحاس على رأى ابن عمر بقوله: «وهذا قول خارج عن قول الجماعة الذين تقوم بهم الحجة».

وقد أشار «تفسير المنار» إلى ضعف حجة الذين قالوا بتحريم الكتابية على المسلم، ثم قال: «ومنهم من التمس نقلا عن بعض المتقدمين ليجعله حجة على القرآن، فوجدوا في بعض الكتب أن ابن عمر منع التزوج بالكتابية متأولا لآية البقرة [1]، وأنه قال: لا أعلم شركا أعظم من قولها إن ربها عيسى. وهو معارض بما رواه عبد بن حميد عن ميمون بن مهران، قال: سألت ابن عمر عن نساء أهل الكتاب فتلا عليّ هذه الآية: «والمحصنات من المؤمنات، والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم - ولا تنكحوا المشركات» [2] اه من الدر المنثور، وظاهر معنى العبارة أن الله أحل المحصنات من أهل الكتاب وحرم المشركات من العرب. والقول الأول رواه عنه ابن أبي شيبة وابن أبي حاتم، مع التصريح بأنه تأول آية البقرة، فهو إذا صح اجتهاد منه، ولم يقل أحد من الأصوليين إن اجتهاد الصحابي يعمل به في

---

[1] تفسير ابن جرير الطبري، ج ٦ ص ١٠٧.

[1] هي قوله تعالى: «لا تنكحوا المشركات حتى يؤمن...».

[2] جمع ابن عمر هنا بين جزأين من آيتين الاستشهاد بهما.

مسألة فيها نص ، بل منعه الجمهور مطلقا ، ومن قال به اشترط عدم النص ، وألا يكون له مخالف من الصحابة ، أى لئلا يكون ترجيحا بغير مرجح ، وهذا القول مع وجود النص مخالف لما كان عليه سائر الصحابة ، ومنهم والده : عمر أمير المؤمنين ، فقد روى عنه عبد الرزاق وابن جرير أنه قال : « المسلم يتزوج النصرانية ولا يتزوج النصرانى المسلمة » .

وتمسك بعضهم بقوله تعالى : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، وهو جهل عظيم ، فإن هذا نزل فى النساء المشركات اللواتى أسلم أزواجهن ، وبقين على شركهن » [١] .

وكذلك جاء فى بعض الروايات المنسوبة إلى ابن عباس فى تفسير الآية : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمن » قوله : « إن الآية عامة فى الوثنيات والمجوسيات والكتابيات ، وكل من على غير الإسلام حرام » ، ولكن هذه الرواية لم تتأيد ، وفيها كلام .

وذهب بعض الشيعة إلى تحريم نكاح المرأة الكتابية [٢] .

والذين منعوا زواج المسلم من الكتابية يرون أن الكتابية قد غيرت وبدلت وحرفت ، وأنكرت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، فهى داخلة تحت عنوان « المشركات » بعد هذا التحريف وهذا الإنكار ، وإيمانها بالله فقط لا يخرجها عن دائرة الشرك ، لقوله تعالى : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون » .

ويرون أن هناك آيات تفيد التحريض على الابتعاد عن غير المسلمين عموما ، والزواج اقتراب شديد ، فيكون منهيا عنه ، فيكون محرما ، ومن هذه الآيات قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم أولياء بعض » . وقوله : « لا تتخذوا بطانة من دونكم » . وقوله : « لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق » ... إلخ .

ونحب أن نلاحظ أن الفقهاء الذين أجازوا زواج المسلم بالكتابية قالوا فى الوقت نفسه : إنه مكروه كراهة تنزيهية ، فيقول الكمال بن الهمام : « يجوز للمسلم أن يتزوج بالكتابيات ، والأولى أن لا يفعل إلا للضرورة » . ويقول ابن حبيب : « نكاح اليهودية والنصرانية - وإن كان قد أحله الله - مستثقل مذموم » [١] .

لعلهم قد لاحظوا فى تقرير هذه الكراهة وهذا الاستثقال أن الاختلاف فى العقيدة بين الزوج المسلم والزوجة الكتابية - كالنصرانية مثلا - يؤدى إلى زلزلة الحياة

[١] تفسير المنار ، ج ٦ ص ١٩٤ .
[٢] تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥٥ .

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ج ٣ ص ٦٧ .

الزوجية والنظام المعيشى والعائلى ، فالزوج يردد : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويؤمن بعقيدة التوحيد ، والزوجة تقول : الآب والابن وروح القدس إله واحد ، والزوج لا يستطيع أن يتقبل هذا القول ولا يقتنع به ، والزوجة لا تريد أن تترك عقيدتها إلى عقيدة زوجها ...

والزوج مسلم يرى من واجبه أن يصلى لربه خمسة فروض فى اليوم والليلة ، وهذه الصلوات تتطلب منه أن يتوضأ ويتطهر فى جسمه وثوبه ومكانه ، والزوجة النصرانية لها صلاة أخرى تغاير هذه الصلاة ، وقد ينهض الزوج لصلاة الفجر ، وليس على الزوجة النصرانية فرض فى هذا الوقت ، فتستثقل قيام زوجها ، وتعتبره مقلقا لراحتها.

والزوج يرى يوم عطلته هو الجمعة ، ويذهب فيه إلى المسجد ، والزوجة ترى يوم عطلتها الأحد ، وتريد أن تذهب فيه إلى الكنيسة ، والزوج المسلم يصوم رمضان المحدد للصوم من الله ، والمرأة تصوم فى غير هذا الشهر ، والزوج يصوم عن المفطرات كلها من الفجر إلى المغرب ، والزوجة لا تصوم عن المفطرات كلها ، بل عن أنواع خاصة منها .. والزوج إذا حج يحج إلى الكعبة فى مكة ، والزوجة إذا حجت تحج إلى بيت المقدس ...

وهكذا نرى أنهما على الرغم من اتفاقهما فى أصل الإيمان بالله ، قد اختلفا بحسب الدين فى أشياء تتجمع فتسبب متاعب وقلاقل ...

وبينما نسمع مثل هذه الملاحظات ممن يحرمون زواج المسلم بالكتابية . أو ممن يكرهونه وينفرون منه ، قد نجد على الطرف الآخر من يلاحظ لونا من التقارب بين المسلم والكتابية ، فيقول مع صاحب « تفسير المنار » هذه العبارة :

« ولم يجمع الله بين المشركين والمؤمنين فى حكم كما جمع بين المؤمنين وأهل الكتاب فى مثل قوله فى سورة البقرة : « إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » ، وقوله فى سورة آل عمران : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ، ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ، ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » ، الآية ، وقوله فى البقرة ومثله فى آل عمران : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى ، ما أوتى النبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » ، وقوله فيها : « قل أتحاجوننا فى الله وهو ربنا وربكم ، ولنا أعمالنا ولكم

أعمالكم ونحن له مخلصون » ، وقوله : « ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتى هى أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينا وأنزل إليكم ، وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون » .

وأمثال هذه الآيات كثير جدا ، وهى تصرح بأن إله المسلمين وأهل الكتاب واحد وربهم واحد، والذى أنزل عليهم شىء واحد، أى فى جوهره ، والمراد منه وهو الإيمان بالله وتوحيده والبعث والعمل الصالح ، ولكنها فى أواخرها تبين محل الدعوة والفرق ، وهو أننا مسلمون مخلصون ، وأنه طرأ عليهم الانحراف فاتخذوا من أنفسهم أربابا يحلون ويحرمون ، ويشرعون لهم ما لم يأذن به الله ، وأنهم غير مخلصين ولا مسلمين فى أعمالهم [1] » .

والقول الوسط الأمثل هنا هو أن يقال إن الأصل أو الشأن عند المسلم هو أن يتزوج مسلمة مثله ، وأن الشريعة أباحت له التزوج من الكتابية ، وإن نظر الفقهاء إلى هذا التزوج بعين الكراهية والاستثقال ، فينبغى ألا يقع هذا التزوج إلا عندما يدعو إليه داع أو تتطلبه حاجة ، ولذلك روى أن عمر كان ينهى عن الزواج من أهل الكتاب إلا إذا كان هناك داع أو هدف له قيمة من وراء ذلك الزواج ، كالمصلحة السياسية التى يقصد فيها إلى الترابط وتأليف القلوب بين عشيرة الزوج المسلم وعشيرة الزوجة الكتابية .

ومن الواضح أن زواج المسلم بالكتابية مظهر من مظاهر التعاون الإنسانى والتفاهم البشرى . وأن الزواج يكون هنا سفيراً للإسلام ، لأن الزوج مأمور بالمحافظة على أخلاق الإسلام العالية ، وبحسن المعاملة لزوجته ، فقد تطلع على حسن أخلاقه وجمال التعاليم فى دينه ، فيجذبها ذلك إلى الإسلام بلا قسر ولا رهبة ، وقد توجد مصلحة سياسية فى هذا الزواج ، كما إذا تزوج الحاكم من كتابية لإرضاء قومها وإشعارهم بأنهم ليسوا غرباء ، وقد يحب المسلم فتاة كتابية حبا جارفا لا حيلة له فيه ، فهو لا يستريح إلا بزواجها ، وربما لا يجد المسلم لظرف خاص به من لا تصلح له زوجة إلا كتابية ؛ إلى غير ذلك من الدواعى التى تجعل زواج المسلم بالكتابية أمراً مستساغا لا غضاضة فيه .

وقد وضعت الشريعة طائفة من الحوافظ والضمانات التى تتخذ عند زواج المسلم بالكتابية ، حتى لا يساء استغلاله ، وحتى لا يقع فى الزوجية غبن أو حيف ، ولعلنا نستعرض هذه الضمانات فى حديث آخر . ؟

أحمد الشرباصى

[١] تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥٥ .

المسلمون فى الهند أيضا ..!

للأستاذ عبد المنعم النمر

قرأت الكلمة التى نشرتها مجلة الأزهر تحت عنوان « المسلمون فى الهند » للأستاذ الهندى الكبير أبى الحسن على الندوى . وقد كتبها بعد رحلته إلى الشرق الأوسط سنة ١٩٥٠ م وكشف فيها عن حال المسلمين وجهودهم وحضارتهم فى الهند فى القرون الماضية باختصار . ولم يخف الكاتب أسفه لقلة المعلومات عن المسلمين فى الهند لدى المثقفين فى الشرق الأوسط .

وملاحظة الكاتب هذه صحيحة ولعلها هى التى دفعتنى لأن أكرس جهودى لإخراج كتابى « تاريخ الإسلام فى الهند » حين إقامتى فيها مدة سنتين وثلاثة شهور مبعوثا من الأزهر والمؤتمر الإسلامى ، حتى استطعت بحمد الله أن أقدم للمكتبة العربية تاريخا مفصلا عن الإسلام والمسلمين فى الهند منذ ظهر الإسلام حتى انقرض الحكم الإسلامى على يد الإنجليز سنة ١٨٥٧م ، ولم أستطع — وأنا أقدم لهذا الكتاب — إهمال هذه الملاحظة وكتمان ما أحسسته من مرارة لقلة معلوماتنا عن الهند الإسلامية إذ «عز على كثيراً أن يكون هذا التاريخ المجيد مجهولا من قراء العربية ، وأن يجد منا إهمالا تاما فى مناهجنا الدراسية ، فى الوقت الذى نعنى فيه بتاريخ الغرب إلى حد الوقوف على تفاصيله والاهتمام بنهضاته وأبطاله ، مع أن هذا التاريخ الإسلامى الزاهر فى الهند جزء من تاريخنا وصفحة مشرقة من صفحات أمجادنا كأمة واحدة يظلها علم الإسلام » .

« وتعجبت كيف أسدل على هذا التاريخ ذلك الحجاب الكثيف وحيل بيننا وبين معرفته والاعتزاز به قرونا متطاولة ولم يكن تاريخا هزيلا ، بل كان تاريخا عملاقا ، استمر كل هذه القرون وصنع حضارة من أزهى الحضارات الإسلامية التى عرفناها فى عواصم البلاد العربية يوم أن كانت هذه العواصم تصنع التاريخ وتصنع معه الحضارات » .

ولعل هذه المرارة أيضا هى التى دفعتنى — وأنا أقدم كتابى هذا لسيادة رئيس الجمهورية — فى أواخر عام ١٩٥٩ م إلى أن أرفق به رجاء العناية بدراسة تاريخ إخواننا المسلمين فى الهند ضمن دراسة التاريخ فى برامجنا بالأزهر ووزارة التربية والجامعات .

وكان كريما وساراً أن أجد بعد أسبوع صدى هذا الرجاء فى محادثة تليفونية من القصر الجمهورى لمكتب فضيلة الأستاذ الأكبر ولوزارة التربية . . حتى أشير على بأن أقدم هذا الاقتراح مكتوبا لفضيلة الأستاذ الأكبر لتبحثه لجنة تعديل المناهج . وإن كنا لا نزال نرقب الأثر العملى لهـذا كله فى مناهج الدراسة للآن .

ولقد كان من حسن الصدف أن يطلع الأستاذ أبو الحسن على أصول هذا الكتاب فى إحدى زياراته لى بجامعة دار العلوم ـ (ديوبند) فيفرح له ويدفعه فرحه إلى أن يسارع بتقديمه ـ وهو لا يزال جنينا ـ فى مجلته العربية « البعث » التى يشرف على إصدارها من دار العلوم ندوة العلماء فى لكنو . . ويرجو أن يسد هـذا الكتاب الفراغ الذى شعر به حين زيارته لنا . .

ولعل مما يزيد فى غبطة الأستاذ أبى الحسن واطمئنانه أن يعلم حسن استقبال القراء والهيئات الثقافية والصحافة فى البلاد العربية كلها لهذا الكتاب فيعرف أن إخوانه المسلمين العرب يبادلونهم حبا بحب ، وعناية بعناية ، وشغفا بمعرفة تاريخ أسلافهم ، كشغفهم بمعرفة تاريخ المسلمين وتبحرهم فيه ، فنحن جميعا أمة واحدة يظلها علم الإسلام . . ومن الواجب أن يعرف كل منا أخاه ـ ماضيه وحاضره ـ فإن هذه المعرفة هى الوسيلة الأولى للتقريب الطبيعى فيما بيننا . وللتعاون الذى جعله الإسلام شرعة لنا . .

وسيغتبط الأستاذ أبو الحسن وإخوانه فى الهند كذلك حين يعلم أننى لم أقف بالتاريخ لمسلمى الهنـد عند انتهاء الحكم الإسلامى سنة ١٨٥٧ م ، بل إننى عكفت بعد صدور الكتاب الأول على التأريخ لهم فى الفترة التى عاشوها تحت الحكم الانجليزى ؛ فقد لمست كذلك قلة المعلومات لدينا عن المسلمين فى هذه الفترة القريبة ، بل إننى لمست ظلما بينا ، وإجحافا واضحا لجهود المسلمين فى حركة تحرير الهند ، وموقفهم من الاستعمار ، حتى سمعت من أحد المثقفين الذين يتولون توجيه الشباب فى جامعاتنا ومجتمعاتنا اتهاما لهم ، يبرءون ونبرأ إلى الله منه ، ولعل هـذا والكثيرين معه معذورون فى معلوماتهم الخاطئة ؛ لأنه لم تتوفر أمامهم المعلومات الصحيحة عن جهود إخوانهم المسلمين فى الهند ولم يجدوا أمامهم إلا كتبا متعددة تعنى بإلقاء الأضواء التاريخية على شخصيات خاصة من غير المسلمين هناك . . وتجمع فى يدهم كل خيوط الجهاد والعمل لتحرير البلاد مع أنه كان قبلهم ومعهم شخصيات إسلامية نذروا أنفسهم للجهاد من أجل تحرير بلادهم ، وكانوا دائما سباقين إلى التضحية النبيلة من أجل

أهدافهم ، ورحلوا إلى الحياة الآخرة بعد حياة حافلة بالجهاد والتعب ، مقدرين كل التقدير ممن عاصروهم ، ولمسوا كفاحهم ، ولكنهم لم يجدوا بعد ذلك من ينصفهم حين كتابة تاريخ الحركة التحريرية للبلاد ، فاتخذ هذا التاريخ وضعا جانبيا وتحدث عن أشخاص وأهمل أشخاصا آخرين ، وحين تناول بعض الكتاب العرب نشر كتيبات أو بحوث عن هذا التاريخ ، اعتمدوا على تلك المصادر ، فقرأنا عن أشخاص وعرفناهم وقدرناهم ، ولم نعرف أشخاصا آخرين مسلمين ربما كان لهم فى الجهاد والتضحية رصيد يفوق رصيد الآخرين . . !

ومن أجل هذا كله ، ومن أجل إنصاف إخوان لنا أبرار يهمنا معرفة تاريخهم الصحيح ، ويسرنا أن نقرأ صفحات جهادهم اللامعة رأيت من الواجب على أن أقدم لقراء العربية ما عرفته عن بعض هؤلاء ؛ خدمة للحق وإنصافا للتاريخ . . !

وقبل أن أقدم لقراء « مجلة الأزهر » بعض هذه الشخصيات أرى من الواجب أن أمهد لذلك بحديث عام مختصر عن حال المجتمع الهندى عموما والإسلامى بنوع خاص بعد الاحتلال حتى يمكن تكوين صورة عامة عن الجو الذى نبت فيه هؤلاء وعاشوا وجاهدوا ، وحتى يمكن أن نزن أعمالهم ونقدرها حق قدرها .

لقد سلب الإنجليز حكم الهند من المسلمين وتمكنوا فيها بعد ثورة قادها المسلمون ولم يقدر لهم فيها النجاح سنة ١٨٥٧ م ، فكان المسلمون بهذا الوضع الأعداء الألداء للمستعمر هم ينفرون منه ومن نظامه وثقافته ويدبر بعضهم المؤامرات الخفية للتخلص منه ، وهو يعاملهم معاملة الأعداء فيطاردهم فى أرزاقهم وأملاكهم وثقافتهم ، ويضيق عليهم الخناق ـ وهو الحاكم القادر المتسلط ـ فكانت النتيجة الطبيعية لهذا الموقف أن تأخر المسلمون اقتصاديا وثقافيا واجتماعيا ، وانطووا على أنفسهم ، إيثاراً للنجاة بدينهم وتقاليدهم ، والاحتفاظ بثقافتهم بعد ما فقدوا سلطانهم وكثيراً من وضعهم فى المجتمع .

وكان العلماء والصوفيون هم الذين يقودون حركة الانعزال هذه ، معتقدين أنها الطريقة الوحيدة للمحافظة على موروثاتهم الروحية من تيار الثقافة الاستعمارية ، قادوا هذه الحركة كما قادوا من قبل الحركة الشعبية المسلحة لمقاومة المستعمرين .

وإذا كانت الظروف المحيطة بهم لم تساعدهم على النجاح فى الحركة الشعبية المسلحة ، فليعملوا على النجاح فى حركتهم السلمية للاحتفاظ بهذه الموروثات الروحية وليكثروا من فتح المدارس الدينية التى يؤازرها الشعب

المسلم ويمدها بمعونته ؛ لتكون وسيلتهم إلى الإبقاء على دينهم وثقافتهم ، وإلى محاربة الثقافة الغربية الوافدة ، ونجحوا فى هذا المجال إلى حد كبير .

بل إن هؤلاء العلماء والصوفيين كانوا يؤازرون بعض الجيوب الإسلامية التى ظلت تحمل السلاح وتدبر المؤامرات للثورة ضد الانجليز ، ولا سيما فى مناطق الحدود الجبلية التى لم تلن قناتها للمستعمر ، وكانوا يجمعون لها المعونات ويرسلون لها المساعدات من الرجال والمال .

كانت هذه حال المسلمين باستثناء أمراء الولايات والإقطاعيين ، من المسلمين الذين قضت مصلحتهم بالسير فى ركاب المستعمر أو مهادنته .

أما الهندوس وغيرهم من أتباع الديانات الأخرى فى الهند فقد رحبوا عموما بالسيد الجديد وعاونوه وأقبلوا على مدارسه وثقافته التى أهلتهم للعمل فى دواوين الحكومة وكان من الطبيعى أن يثق بهم الانجليز ويحتضنوهم ويملئوا بهم المراكز الصغيرة فى أعمال الحكومة .

كان هذا أمراً طبيعياً بالنسبة لهم ، وذلك لموقفهم الودى من الانجليز ، ولأنهم ـ أى الانجليز ـ كانوا يعتقدون كما قال « لورد ألنبرو » أحد حكام الهند الانجليز : « إن الأمة المسلمة معادية لنا بعقيدتها ، فالطريقة المثلى عندنا أن نبتغى مرضاة الهندوك » .

الأمة المسلمة معادية للانجليز بعقيدتهم ، هذا ما فهمه الانجليز ، ورتبوا عليه سياستهم فى الهند وخارج الهند ، ولقى منه المسلمون البلاء فى كل مكان ، وهم لم يعادوا الانجليز ولا غيرهم بحسب عقيدتهم ، ولكن لما وجدوه فى هؤلاء من روح عدائية لهم ولديهم يتعرفون على ضوئها ؛ ولأن الإسلام يرفض السيطرة والإذلال للمسلمين ، وهؤلاء يعيشون على السيطرة وامتصاص دماء غيرهم وإذلالهم. فكان من الواجب على المسلمين فى الهند أن يقفوا بالمرصاد للوافد المسيطر الطامع فى نهب بلادهم واستغلال خيراتها ولكن هذا لم يرض اللص . . لم يرضه أن يتنبه أصحاب البيت له ويحاولوا منعه من نهبهم وقتل حيويتهم .. فعاملوا المسلمين معاملة الأعداء وتفننوا فى الكيد لهم . وكبت أنفاسهم حتى لا تقوم لهم قائمة ، وكان مما يؤسف له أن يجد المسلمون شريكهم فى البيت يساعد اللص الناهب فى نهبه وإذلاله لمواطنيه . . !

لقد ظل المسلمون قرابة نصف القرن الأول من احتلال الانجليز للهند يعانون أقسى ما تعانيه أمة ضعيفة من حاكم قوى مستبد متعنت ، ولم يحملهم أخيراً على التخفيف

من تعنتهم إلا شعورهم بالخوف من الشبيبة الهندوسية التى احتضنوها وعلموها فى الهند وانجلترا ، وعرفت معنى الحرية وعادت لبلادها تتحدث عن معانى الديمقراطية والحرية والاستبداد والظلم .

وحينئذ بدأ الانجليز ينظرون بشىء من العطف للمسلمين لا حبا فيهم ولكن رغبة فى بعث شىء من الحيوية فى الجسم الهامد ليأخذ له وضعا أمام القوة النامية فى الهندوس ، ويضربوا إحدى القوتين بالأخرى .

ولم يبدأ القرن العشرون حتى كان الانجليز قد أوجدوا فى الهند قوتين : قوة حزب المؤتمر الذى أسسوه تحت رعايتهم سنة ١٨٨٥م وقوة حزب الرابطة الإسلامية التى أسسها المسلمون تحت رعايتهم وبإشارتهم سنة ١٩٠٦م وأخذت القوتان تتصارعان ، وتصرفان أغلب جهودهما فى الخلافات بينهما ، ويلوذ كل منهما بأعتاب الحاكم ليفوز بوجهة نظره ، والحاكم يتلاعب بهذا وذاك ، ويذكى بينهما نار الخلاف ليستريح ويستقر ، ويسود . . !

وفى هذا الجو كان هناك نفر من المسلمين لا يفكرون تفكير الآخرين وإنما كانوا يرفضون أى تفاهم مع المستعمر ، ويرون أنه داء لابد من اجتثاثه ، وأن دينهم الذى ارتضاه الله لهم يحتم عليهم الاستمرار فى الجهاد لطرد الأجنبى الدخيل عليهم ، فكانوا فى أمتهم هناك يشبهون عندنا طلائع الوطنية الصادقة من أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد ورجال الحزب الوطنى .

ولكن هؤلاء الأبرار المجاهدين لم يجدوا من الأقلام العربية ما يكشف دورهم العظيم الذى قاموا به فى خدمة قضية استقلال الهند وتحريرها .

وأود هنا أن أقدم لقراء العربية بعض هؤلاء ، ولعل أولهم وأجدرهم بالكلام أولا هو مولانا الشيخ « محمود الحسن » شيخ الهند وسجين مالطا أو أسير مالطا كما يطلقون عليه فى الهند .

وموعدى معكم العدد القادم إن شاء الله ؟

عبد المنعم النمر

قال الشعبى فى كلام له فى مجلس عبد الملك بن مروان : رجلان جاءونى . فقال عبد الملك : لحنت يا شعبى ! قال : لا يا أمير المؤمنين لم ألحن مع قول الله عز وجل : « هذان خصمان اختصموا فى ربهم » فقال عبد الملك : لله درك يا فقيه العراقيين قد شفيت وكفيت .

شعر القاضى الفاضل

للدكتور أحمد أحمد بدوى

— ٢ —

ما للطيور على الخطى عاكفة
تهز الرزق أعطافا لها سرطا (١)
قد علّمت لقطها للحب لهذمها (٢)
أما تراه لحب القلب قد لقطا

أما الصفات المثالية التى أشاد بها الشاعر فيمن مدحهم من عظماء الدولة فأهمها الشجاعة فى الحرب ، والبسالة فى القتال ، وتلك سمة العصر الذى عاش فيه القاضى الفاضل ، فكثيراً ما تسمع فى شعر الإشادة بها كقوله:

أهـلا بدولة مالك
بكرت لنا هى والربيع
الحصن فى يوم الوغى
من تحته الحصن المنيع
ينشى سما نقع ، ووا
بل مزنها السم النقيع
ووقائع رجفت على
أعدائه ، فلها الوقوع
إن صلّت البيض الرقاق
فللرماح بها ركوع

وقلما أثنى على السياسة التى تحوج إلى امتشاق الحسام كما فى قوله :

وتيقظت لك فى السياسة عزمة
تدع الحسام ، وجفنه وسنان

وإذا كان قد أشاد بالبطولة فى الحرب ، فإنه قد أشاد بحزم الحاكم فى أيام السلم ولعل المثل الأعلى للحاكم الحازم عند القاضى الفاضل ينجلى فى قوله :

أعد لجمع الحرب صفحة فاتك
وسرى لنشر السلم حلية حازم

وأشاد القاضى الفاضل بالجود ، وأكثر من الحديث عنه ، وما كان الأمير يحسن الأحدوثة يومئذ إلا إذا كان جوادا كريما ، يقدم من ماله حق المجتمع عليه ، وينفى عن نفسه سمة الأثرة البغيضة ، وتفنن القاضى الفاضل فى الإشادة بهذه الصفة ، فحينا يقول :

كأنك مخلوق كما شاءت العلا
وفوق اقتراحات المنى والقرائح
وما أشتكى إلا نهوض نداكم
وتقصير ما أتهمته من مدائح

---

[١] سرط : جمع سارطة ، وهى : اسم فاعل من سرطه : ابتلعه .

[٢] اللهذم : القاطع من الأسنة ، والمعنى : هل علمت الطير الأسنة القاطعة كيف تلتقط الحب ؟ لأنا نراها واسعة الدراية بالتقاط حبات القلوب .

تجاوز عفو [1] الفضل أقصى مطامعى
وراض مطيع الجود أقصى مطامحى

وحينما يقول :

لقد سالمتنا صروف الزمان
وما برحت قبلها عاندة
وأمطرت نوء الندى دائما
فهزت به أرضنا الهامدة
وأطفت حرارة آمالنا
مغانم إحسانك الباردة
وبوأك الجود يابن الكرام
نجائب أقوالنا الخالدة
فكم نعمة بعدها مثلها
وفائدة بعدها فائدة

ويطول بى وجه القول إذا أنا مضيت فى التمثيل لهذه الصفة .

وكان يكمل صفة الجود لديه بشاشة الجواد ، وهى مما استرعى انتباه القاضى الفاضل ، كما استرعت قبله انتباه زهير بن أبى سلمى [2] ، فمن ذلك قوله :

إذا ما كسوت الوفد للجود ملبسا
فقد لبسوه بالبشاشة مذهبا

وكان يرى شكر الجواد بمدحه شعراً كفئا لما يبذله الممدوح من إحسان :

الشكر والإحسان فى دين العلا
مثلان ، لكن يسبق الإحسان
رضى الإله به لأفضل نعمة
ثمنا ، فهانت بعده الأثمان

ومما استرعى نظر القاضى الفاضل فى ممدوحيه مقابلة أحداث الدهر بالهدوء والرزانة ، إذ يقول :

تصرف صرف الدهر فى كل ما ترى
سوى ما بذاك الوجه من حلية البشر
ولم يستطع نقصا له وزيادة
عليه إذا ما مر بالحلو والمر

ولم ينس أن يشيد ببلاغة الممدوح إذا كان كاتبا أو شاعراً ، وهو بذلك يلمس موضع غرور الممدوح ، وحين يمدح هذا النوع من الناس يغرب فى أسلوبه ويكثر من الصناعة والألفاظ الغريبة ، ولعله بذلك يظهر مقدرته على القول ، وتفننه فيه ، كهذه القصيدة التى مدح بها أبا الفتح بن قادوس صاحب ديوان الإنشاء ، ومنها فى مدح البلاغة الممدوح قوله :

قصار أقلامه يصنعن فى كتب
بالعقل ما تصنع القضبان فى كثب
كأن أحرفه كأس يدور بها
ساقى يراع ، عليها الشكل كالحبب
فأعجب لذا السكر تزداد العقول به
نعم ، إذا الخمر كانت لابنة العنب

---

[1] العطاء بدون مسألة .
[2] قال زهير بن أبى سلمى :
تراه إذا ما جئته متهللا
كأنك تعطيه الذى أنت سائله

صديقة العقل منها يستفاد ، وما
عداوة العقل إلا لابنة العنب

وهى المعانى التى الأسباب تخدمها
مسلولة ، وهى للألفاظ فى القرب

وبما مدح به أحد الشعراء ، وهو فى هذا المدح يمدح الإيجاز فى اللفظ مع غزارة المعنى ، قوله :

وشعر ما حسبت أخف روحا
وأثقب زهرة (١) ، وأغض (٢) زهرة

جلاه على فى أثواب ليلى
فأبصر منه ليل الهم فجره

ولجرت البلاغة منه بحرا
أردت عبوره ، فخشيت عبره (٣)

ألذ من الرضا من بعد سخط
وأعذب من وصال بعد هجره

قليل اللفظ ، لكن فى المعانى
إذا حصلتها بالنقد كثرة

ويونس ، ثم يونس ، مثل بحر
تراه ، فيستهين الغمر (٤) غمره (٥)

وفى شعر الورى غُر (١) ، ودُهم (٢)
وهذا كل بيت منه غرة (٣)

ومدح الشاعر من اتصل بهم من وزراء الدولة الفاطمية ، وكبار رجالها ، مثل رزيك ابن طلائع ، وشاور وشجاع بن شاور ، ومدح من كتابها ابن قادوس ، والأثير ابن بنان ، وإن لم أستطع أن أعين القصائد التى مدح بها هذا الأخير ؛ فى عصر الدولة الأيوبية مدح صلاح الدين ، وبنى أيوب ، والعزيز عثمان .

ولقيمة الشعر الكبرى عند القاضى الفاضل يرى أصحاب المجد فى حاجة إليه لتسجيل مظاهر مجدهم ، وتخليد آثارهم ، فيقول لبعض من يمدحهم .

كل له حاجة منا بصاحبه
فالمدح عندى ، كما المعروف عندكم

سبقتم بى ، كما أنى سبقت بكم
فالسبق مقتسم بينى وبينكم

الفخر :

وهو قليل فى شعره ، وكان بيانه وبلاغته وشعره موضع فخاره ، ومن فخره ببلاغة قوله :

---

[١] الزهرة : البياض والحسن .
[٢] أغض : أنظر .
[٣] العبر : الشاطئ والناحية .
[٤] الغمر : من لم يجرب الأمور .
[٥] غمر البحر : معظمه .

[١] غر : جمع أغر ، وهو الأبيض من كل شىء .
[٢] الدهم : جمع أدهم ، وهو : الأسود .
[٣] الغرة : بياض فى الجبهة ، يريد به هنا الجمال والشهرة .

ولى قلم منـــه عين الطلا
م تجرى ، فتنظر عين الكمال
يراع تظلّ رياض الطرّو
س منها موشحة بالظلال
وكتْب يفيض بأرجائها
يمين الجدا ، ولسان الجدال
وكم ترّبت ، وانبرت للعد
و، كوتب الشرار، وهد الجبال
فيأطرنه مثل أطر القسى ،
ويبرينه مثل برى النبال (١)

وفخر القاضى الفاضل كذلك بهمته المستطلعة إلى المجد . فقال :

فلى همة قد أكرمتنى همومها
ولم أمتهنها بالطماح إلى الوفر

العتاب والشكوى :

وفى عتاب القاضى الفاضل رقة ووداعة ، وهو يجعل القطعة حيناً خالصة للعتاب ، وحيناً يمزج العتاب بالمدح ، ولا يثور فى عتابه إلا قليلا ، وإذا هدد فبغارة من الشعر ، ولعل من أقسى عتابه قوله :

عد العتاب ، فما أعدت عتابا
وكفيتك الإقلال والإطنابا

وفيه يقول :

ووضعت قدرك أن يكون سحابة
ورفعت قدرى أن يكون ترابا
أنذرتُ من خيل القوافى غارة
تدع القبور وأهلها أسلابا

وأما شعر الشكوى فأغلب الظن أنه كان فى المرحلة الأولى من مراحل حياته ، عند مالم تكن الظروف ممهدة أمامه إلى الحياة الجيدة السعيدة ، فنجده يأسى لحظ الكتاب بعامة ، فيقول :

تعس الكاتب الشقىّ فما
أشقاه بالأمر بين هذى الخليقة
خير أيامه ، ولا خير فيها
يوم يأتى من بكرة وجه ليقة(١)
والداريع (٢) نحره ، وهو منها
فى ثياب من صدره مشقوقة

وحيناً يأسى لحظه من بين الكتاب بخاصة ، إذ يقول :

أرى الكتاب كلهم جميعا
بأرزاق تعمهم سنينا
ومالى بينهم رزق كأنى
خلقت من الكرام الكاتبينا

وقد كان القاضى الفاضل يؤمن بمواهبه ، ولذلك كان يشكو فى الفترة الأولى من حياته أنه لم ينتفع بهذه المواهب ، بل إن الجاهلين

---

[١] الأطر : عطف الشىء . والقسى جمع قوس. وبرى السهم : نحته . والنبال : السهام .

[١] الليقة : صوفة الدواة .
[٢] الداريع : جمع دراعة، وهى جبة مشقوقة المقدم

لم حظ أفضل من حظه ، بينما كانت زيادة حذقه أدعى إلى نقص رزقه، فتسمعه يقول :

ما ضر جهل الجاهلـ
ـين ولا انتفعت أنا بحذقى
وزيادتى فى الحذق فهى
زيادة فى نقص رزقى

وقلت الشكوى بعدئذ فى شعر الفاضل ، إلا هذه الشكوى من بعض منافسيه ، الذين كان يفخر عليهم بأدبه وما له من أثر فى النفوس.

الرثاء :

رثى القاضى الفاضل بعض رجالات الدولة وعزى بعضهم أحيانا ، ورثى أخاه وبعض صحبه .

وهو فى الرثاء يمزج عواطفه الشخصية بالحديث عن آثار المرثى وخلاله .

وخير قصائد رثائه وأقواها تلك التى رثى بها العزيز ، وبكى قصره ، ويحسن بنا أن نقف قليلا عند هذه القصيدة نحللها ، لنرى الانفعالات المختلفة التى لابسته عند إنشائها .

والذى دفعه إلى إنشاء هذه القصيدة هو ما أصاب قصر العزيز من بلى وعناء دفعه إلى ثورة جامحة على الأيام ، وعلى هذه اليد التى امتدت فدمرته ، وحزن على بقائه حتى رأى آثار الأحبة نهبا بيد البلى ، فقال :

وقفنا على قصر العزيز ، وقد عفا
نعيب عليه الدهر ، لما تحكما
سلام عليه من معنى معذب
وقل له من صاحب أن يسلما
بكيت له دمعا ، ولو كنت منصفا
بكيت دما ، والدمع ضرب من الدما
تأخرت من بعد الأحبة مدة
ولو أن لى أمرا لكنت المقدما
لئن صرت فوق الأرض أرضا فربما
عهدناك من فوق السماء لنا سما
عزيز علينا أن نراك على البلى
ترابا نهى المشغوف أن يتيمما
تصدى له من لا يراقب حرمة
ومن ليس يرعى المكارم محرما

وذاك صريح فى أن الذين ولوا الحكم بعد العزيز عملوا على تعفية آثاره ، وتدمير قصره ، فهل هو الأفضل أو العادل ؟ يصمت التاريخ ، ولا يجيب .

وتثور فى نفس الفاضل ذكريات الماضى قوية عنيفة فيقول :

وكم قد حججنا فيك للمجد كعبة
وكم قد أقمنا فيك للحمد موسما
وكم قد وجدنا فيك راحة راحة
تقبل إذ تعطى حطيما وزمزما
كأن لم تكن فيك السعادة طلقة
ووجه ظباها باسماً متبسما
ولا صار ذاك البهو ملكا محجبا
ولا جر ذاك الرحب جيشا عرمرما

ولا كان قصد الوفد غرة كوكب
فلما بدت صلى عليها وسلما

ثم اتجه بعدئذ إلى الدار يناجيها ، متحدثا عما فى قلبه من آلام لما أصابها ، وما يضمره من آمال كان يتمنى تحققها ؛ ليحتفظ البيت الصلاحى بوحدته وتماسكه ، فيقول :

وقل : يا ديار الظاعنين ، برغمنا
وعهدك أن أضحى لك الدهر مرغما
خذوا أدمعى عقداً نثيراً ، فطالما
نظمت له النعماء عقداً منظما
وما نظر الإنسان دنيا يحبها
وليس له فيها حبيب سوى العمى
وإنى لملآن الفؤاد عزائما
لو أنى وجدت اليوم للرأى معزما

وأكاد ألمح أنه لم يكن طيب المقام فى القاهرة يومئذ ، فإنه يتحدث عن الرحيل ومقاطعته بنى آدم ، إذ يقول :

فشد السرى(١) إن أرسل الليل عقربا
وكر الكرى(٢) إن أرسل السوط(٣) أرقما
فقاطع بنا أبناء حوا وآدم
وواصل بنا آل الجديل وشذقما (١)

ولم يرث القاضى الفاضل صلاح الدين بغير هذه الأبيات :

مضى يوسف الإحسان والخير والتقى
فياليت أنى قد مضيت إليه
وخلفها آثار صدق كريمة
بقين علينا ، بل بقين عليه
وقرت به عيناى دهرا ، فخذه
إذاً أصبحت عيناى باكيتيه

وهى مع قلتها ، لا تناسب جلال الموقف ، ولا عظمة المرثى ، وليس أسلوبها بالقوى الأخاذ . ولعل هول المصاب وشدة وقعه على نفس الفاضل لهما دخل فى إلجام لسانه .

ومما يسترعى النظر فى رثائه أنه قد يبدؤه بغزل باك ، كقوله فى رثاء بنى رزيك :

أستودع الله فى أظعانهم قمرا
إليه ، لو ضلت الأقمار ، تحتكم

الهجاء :

وخير هجائه ما ملأه بالصور الزرية ، والتهكم والسخرية ، كقوله :

[١] أى اجعل السرى ، وهو السير ليلا ، مطية تشد سرجها وتمتطيها .

[٢] أى اجعل الكرى جوادا تركبه إن أرسل الليل ثعبانا أرقم واتخذه سوطا يضربك به . يريد : إذا نغصت الدنيا عليك الحياة فاتخذ المطى دارك ، وجانب النوم ، حتى تصل إلى مكان تطمئن فيه نفسك .

[٣] السوط : مفعول به ، و « أرقما » حال ، وفاعل أرسل ضمير يعود إلى الليل .

[١] الجديل : فحل للنعمان بن المنذر وشذقم : فحل له أيضا . يأمر السرى أن يمضى به حتى يقاطع بنى الإنسان ، ويتخذ المطى صديقا يصل بها إلى مكان الاطمئنان .

وجه عليه من القباحة مسحة
ظلم النهار ، وقد رآه ، فأظلما
وعليه أنف قد أجيبت دعوة
فيه من الداعى عليه ، فأرغما
فلو أنه ذنب لكان كبيرة
ولو أنه طود لكان مقطما
برص يرينا منه جلدا أبيضا
وأذى يرينا منه جلدا أسحما (١)
لو شئت أن أرقى لنيل قرونه
لجعلت ذاك الكتف تحتى سلما

ويهجو بخيلا كان أبوه كريما ، فيقول :

إلى كم كل يوم فى حساب
عواقبه تئول إلى العذاب
حساب الناس منك بغير رزق
ورزق أبيك كان بلا حساب

للقاضى الفاضل هجاء مكشوف ، وفيه سخرية وتهكم أيضا .

الوصف :

وهو قليل فى شعره ، وصف السفينة التى ركبها إلى الممدوح ، ووصف الخمر ، ووصف المكان الذى يجلس فيه ، ووصف سيوف صلاح الدين ، ووصف ممسحة الدواة ، وتحدث كثيراً عن الشيب فى مواضع شتى : وصفه فى مرأى العين ، وكما تحس به النفس ،

فهو حينا يحس الشيب ذلا ، ويراه نذيراً للفناء :

ألم يأته أن المشيب نذير
بلى ، وشبيه للردى ، ونظير
وأنا خلعنا الكبرياء مع الصبا
وحسبك ذلا أن يقال : كبير

وهو داء بلا ألم ، وعدو أزرق ، يؤذن قدومه بانقضاء عهد الصبا ، وذهاب أحلام الشباب ، ويرى قدومه شقاء بئس ما تخلف به الأيام عن الشباب :

لا تسأل الدنيا وإن أعطت فلا
تأخذ ، فبعد قدومها هذا الشقا

ولكنه كان يخفف ألم قدومه على نفسه بأن الشيب يزيده وقارا .

الحكم :

وهى منشورة فى شعره ، يوردها فى المكان اللائق بها ، يؤيد بها فكرة ، أو يسجل تجربة ، وقد ينشئ القطعة خالصة للحكمة .

وكانت حكمه كلها تدور حول شئون الحياة.

ومن أصح آرائه دعوة ذوى السلطان إلى الرفق ، مذكراً إياهم بأن الأيام تعطى وتأخذ ، فلا معنى إذاً للغطرسة والكبرياء .

ترفق بنا ما دام أمرك نافذاً
فإنك لا تدرى متى ليس ينفذ
وإن تعطك الأيام ما قد أخذته
فما زالت الأيام تعطى ، وتأخذ

---

[١] الأسحم : الأسود .

ويرى أن الغنى الحق إنما هو فى الاستغناء عن الناس :

أريد الغنى المغنى عن الناس ، والغنى
إذا كان يلجينى إليهم هو الفقر

وكان كأبى الطيب يرى العيش يصفو للجهلاء :

ألا ليت لى جهلا به العيش طيب
ولا عيش إلا عيش من هو جاهل

وربما كانت تلك إحدى نظراته فى أيامه الأولى .

فى رسائله :

والقاضى الفاضل قد بدأ رسائله بالشعر ، أو يأتى به فى أثناء رسالته ، ينفس به عن عواطفه . وأكثر شعر رسائله فى الشوق ، وهو مجيد فى أكثره ، يدل على عواطف حية متدفقة ، ولعل من أجمل شعره فى هذا الباب قوله فى الشوق :

ومن عجب أنى أحن إليهم
وأسأل عنهم من أرى ، وهم معى
وتطلبهم عينى ، وهم فى سوادها
ويشتاقهم قلبى ، وهم بين أضلعى

وقوله فى الاعتذار :

لا تحسبنى للعهـــود مضيعا
حفظى لودك مذهب لا يذهب
عفت الترسل طامعا أن نلتقى
فأبى الزمان يبيح لى ما أطلب
لا عتب أخشاه لقطع كتابكم
واسمع ، فعذرى بعده لا يعتب
مهما وجدتك فى الضمير ممثلا
أبدا تناجينى ، إلى من أكتب

ولكن ينبغى أن أوجه النظر إلى أن الشعر الذى فى رسائله ليس جميعه من إنشاء القاضى الفاضل ، بل قد يتمثل فى رسائله بأشعار غيره من الشعراء .

أحمد أحمد بدوى .
وكيل كلية دار العلوم

لغويات

للأستاذ محمد على النجار

فلان كفء للعمل :

يكثر هذا فى كلام الناس فى الحديث عن مدح المرء بأنه يقوم بالعمل الذى كلفه، وأنه يجيده ويحسنه ، وقد عاب هذا الاستعمال من قبل اليازجى ، فهو يقول فى لغة الجرائد ، ص ٨٠ : « ويقولون : هو كفء هذا الأمر أى أهل له أو قوام به ، وهو من ذوى الكفاءة - بالهمز - . وإنما الكفء النظير ، تقول : هو كفء لفلان أى معادل له . والكفاءة المصدر من ذلك ؛ نقول : لا كفاءة بيننا . وأما المعنى الذى يريدونه فهو من معانى (كفى) المعتل ؛ يقال : استكفيته أمر كذا - أى كلفته القيام به - فكفانيه ، وهو كاف لهذا العمل وكفىّ له ، أى قوام به ، وهو من أهل الكفاية » .

فالوجه أن يقال : فلان كاف لهذا المنصب أو كفى له ، وهم كفاة وأكفياء . وذلك أنَ الكفء إذ كان النظير لا يقرن إلا بمثله ، فيقال : فلان كفء لفلان ، ولا يقال : هو كفء للعمل ، لأنه ليس من جنس العمل حتى تعقد بينه وبين العمل مناظرة ، فكما لا يحسن أن يقال : هو نظير العمل لايحسن أن يقال : هو كفء العمل : وإنما المعنى الصحيح أن يقال : هو يكفى فى العمل أى يقوم به ويغنى فيه غناء . فهو كاف أو كفى ، وكان الصاحب بن عباد يقال له : كافى الكفاة ، وفى معجم الأدباء ٦/١٧٣ فى ترجمة الصاحب : « وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة فلقبه بالصاحب كافى الكفاة » . وفى هذه الترجمة من كلام أبى حيان التوحيدى فى فى الصاحب : « وحقده سار إلى أهل الكفاية » . وكان ابن العميد يلقب ذا الكفايتين ، أى الكفاية لشئون السيف ولشئون القلم ، أو الأعمال العسكرية والأعمال المدنية .

وقد نبهنى الأستاذ الجليل محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة إسكندرية إلى أن الاستعمال المنقود ورد فى شعر لابن الرومى يهجو به المعتز العباسى فهو يقول :

تالله ما كان يرضاك المليك لها
قبل احتقابك ما أصبحت محتقبا
حتى أزالك عنها ثم أبد لها
كفئا رضيا لذات الله منتخبا

والحديث عن الخلافة ، يقول إن الله لم يرض المعتز للخلافة ، وقد نزعها منه وأعطاها بدلا منه كفئا لها ، وهو المهتدى الذى ولى الخلافة بعده فى سنة ٢٥٥ هـ . والكلام عند ابن الرومى على التجوز والتوسع ، فقد جعل الخلافة كالعروس والزوج ، فكان المعتز غير كفء لها ، فلما جاء المهتدى كانت الكفاءة بين الزوجين ، وهذه استعارة مقبولة فى مقام الخلافة، فهل تصلح فى المناصب والأعمال غيرها ؟ إن ما صنعه ابن الرومى هنا فى الخلافة يدخل فيما صنعه الآخر إذ يقول:

أتته الخلافة منقادة
إليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح إلا له
ولم يك يصلح إلا لها

وأيا كان الأمر فإن ابن الرومى أنس هذا الاستعمال وأزال الوحشة عنه . وإنى أقدم شكرى للأستاذ خلف الله أن أفادنى هذه الفائدة ، وقد رأيت أن أشرك فيها غيرى من القراء .

محمد كاتب أجود منه شاعر :

يجرى هذا فى الكلام . والواجب فى العربية نصب (كاتب) فيقال : محمد كاتبا أجود منه شاعراً .

وقد أورد النحويون من هذا الأسلوب المثال المشهور : هذا بسرا أطيب منه رطبا . وعقد له سيبويه فى الكتاب ١ / ١٩٩ بابا . ويقول السيرافى : « هذا الباب لتفضيل شئ فى زمن من أزمانه على نفسه فى سائر الأزمان » . ويحده الأشمونى بأن يقع اسم التفضيل متوسطا بين حالين من اسمين مختلفى المعنى أو متحديه ، مفضل أحدهما فى حالة على الأخرى فى أخرى . ومثال المختلفى المعنى ما جاء فى الألفية : زيد مفردا أنفع من عمرو معانا . ومثال متحدى المعنى : هذا بسرا أطيب منه رطبا .

والمنصوب الأول فى الأسلوب - وهو (كاتب) منصوب على الحال . ويرى سيبويه أنه حال من فاعل (كان) المحذوفة ، والتقدير عنه فى المثال المصدر به : محمد إذ كان عالما . و (كان) هنا تامة . ولم تكن ناقصة لالتزام تنكير هذا المنصوب ، ولو كانت ناقصة لورد معرفا ، وكان على ذلك خبرا لا حالا . وهو يقدر (إذا كان) فى غير المستقبل من الأخبار ، فإن كان الخبر عن المستقبل فالتقدير عنده : إذا كان تقول فى ثوب لم يصبغ : هذا الثوب مصبوغا بالزعفران خير منه مصبوغا بالعصفر ، فالتقدير : هذا الثوب إذا كان مصبوغا بالزعفران خير منه إذا كان مصبوغا بالعصفر ، وحكم المنصوب الثانى حكم المنصوب الأول كما رأيت .

ويرى متأخرو النحاة أن المنصوب الأول حال من ضمير اسم التفضيل أى فاعله ، وقد قدم عليه ، والمنصوب الثانى حال من المجرور .

والذى دعا سيبويه إلى تجنب ما ذهب إليه متأخرو النحاة وجنوحه إلى التقدير أن اسم التفضيل ضعيف فى العمل ، فلا يتقدم الحال على ضميره والمتأخرون استساغوا فى هذا الأسلوب خاصة هذا التقديم لكثرة وروده عن العرب ، ولأن فى تقدير سيبويه تكلفا وعسراً .

هذا ، وقد بدا لبعض الباحثين توجيه الرفع فى الأول على أن يكون خبرا ، واسم التفضيل خبر ثان . والتقدير : محمد كاتب ، وهو أجود منه شاعرا . ولكن المقصود من هذا الأسلوب هو المفاضلة بين الحالين ، فالخبر هو اسم التفضيل فقط ، والاسمان يمثلان الحالين اللذين وقع فيهما التفاضل ، على أن هذا الأسلوب يأتى كما قلنا فى الحديث عن المستقبل ، كما فى مثال الثوب المصبوغ ، ولا يتفق فيه الإخبار بالأول . ففى قولك : هذا الثوب مصبوغا بالزعفران خير منه مصبوغا بالعصفر لا يصح أن يقال : هذا الثوب مصبوغ بالزعفران لأنه لم يصبغ بالزعفران بعد .

بعتك الدار بما فيها الأثاث :

يشيع هذا فى كلام الناس وكتاباتهم . وفى بعض الصحف : لا يمكن أن ننزل عن الجزائر ، بما فيها الصحراء الكبرى ، وفى بعضها : على البرنامج أن يوزع مختار الصحاح على المستمعين بما فيهم الأدباء أنفسهم .

والمعروف فى هذا أن يؤتى بحرف الجر (من) البيانية ، فيقال : بعتك الدار بما فيها من الأثاث ، ولا يمكن أن ننزل عن الجزائر بما فيها من الصحراء الكبرى ، وعلى البرنامج أن يوزع مختار الصحاح على المستمعين بما فيهم من الأدباء أنفسهم . وفى المثال الأخير كان الواجب أن يقال : بمن فيهم من الأدباء ، ولكن « لما » وجهاهنا ، وهو الاتجاه إلى الصفة ، على حد قوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء » .

وقد جاء من هذا الأسلوب فى اللسان قوله فى مادة (غرف) : « والغريف : الأجمة نفسها بما فيها من شجرها » .

وقد يخرج الأسلوب الشائع على البدل . فالمعنى : بعتك الدار بالذى فيها : الأثاث . فالأثاث مجرور بدل من اسم الموصول . وينبغى أن يراعى على هذا التخريج جر ما يقع موقع الأثاث من الأسماء . فتقول : أحب أهل بلدى بما فيهم الأميين ، ولا تقول : الأميون .

أحبه كما لم يحب والد ولده :

يشيع هذا الأسلوب على أسلات كبار الكتاب . والأسلوب العربى لا نرى فيه الكاف . فنى اللسان (هد) : « ما هدنى أحد ما هدنى موت الأقران » وفى الأساس (عقل) « ما ينفع التحصن بالعقول ما ينفع التمسك بالمقول » وفسر المقول فى الجملة الأولى بالمعاقل والحصون :

فالوجه أن يقال : أحبه ما لم يحب والد ولده . وهذا يقال فى مقام المبالغة وتوكيد المعنى وتشديده . وتخريجه فى العربية أن يكون التقدير : أحبه حبا لم يحبه والد ولده ... فما نكرة موصوفة واقعة فى هذا المثال على حب وفى مثال اللسان المراد : ما هدنى موت أحد هدا هدنيه موت الأقران .

وقد قيل فى تصحيح الأسلوب الشائع إن الكاف زائدة ، وهى تزاد كثيراً فى الكلام ، وأورد من ذلك قول رؤبة : لواحق الأقراب فيها كالمقق : أى فيها المقق والمقق الطول . غير أن زيادة الكاف ليس لها قياس فى العربية ، وإنما يقبل منه ، ما ورد به السماع عن العرب .

وقد قيل : إن هذا الأسلوب ترجمة لأسلوب إفرنجى . وهذا أدعى إلى رفضه والتنكر له . وما لنا ندع بزنا ونستعير بز غيرنا ! .

الفصل والفصل :

يتفق فى هذا العصر فى المقالات التى تنشر فى بعض المجلات أن تطبع المقالة التى أدرجت فى المجلة طبعة أخرى على حدة فى كتيب ، فيسمى الكتيب فصلة ، وتجمع على فصل . وقد روعى فى هذه التسمية أن المقالة فصلت عن أخواتها التى ضمنتها المجلة . فقيس على قول العرب . قطعة وقطع ، فقيل : فصلة وفصل .

ولا نجد الفصلة بهذا المعنى فى اللغة . بل فيها الفصلة — بفتح الفاء — وفى اللسان أن الفصلة : النخلة المنقولة المحولة ، وفى عبارة أخرى أنها الفسيلة (الشتلة) المحولة ، وظاهر التفسير الثانى عمومها لكل شجر وعدم اختصاصها بالنخلة . وقد جاء جمعها فى اللسان فى ضبط القلم : الفصلات بسكون الصاد . ويبدو أن هذا من خطأ النساخ ، والصواب فتح الصاد ، كما هو القياس .

واستعارة الفصلة من الفسيلة المحولة للمقالة تنتزع من المجلة وتنشر على حيالها استعارة قريبة .

فأرى أن تضبط الفصلة بالفتح ، وتجمع على فصلات .

وللإمام ابن حزم كتاب «الفصل فى الملل والنحل » ونرى فى ذيل عنوان الكتاب

[البقية على صفحة ١٠٨]

فى ذكرى الهجرة النبوية

للأستاذ عباس طه

كلما أتمت الأرض دورتها وهل شهر المحرم ، ذكرنا الهجرة النبوية من مكة إلى يثرب ، وما ذكرنا هذه الهجرة إلا ذكرنا الانقلاب العالمى الضخم الذى طرأ على الإنسانية فكان فاتحة لتطورات اجتماعية ليست من نوع ما حدث من أمثالها من قبل ولا من بعد .

نعم : لأن كل الانقلابات التى حدثت كانت حربية دعا إليها التزاحم على موارد الحياة ، أو التوسع فى السلطان ، ولكن الانقلاب الذى أحدثه الإسلام كان الباعث عليه أدبيا محضا هو جعل كلمة الله هى العليا فى الأرض .

غرض سام كل السمو لم تتطاول إلى بلوغه همة ، ومطلب عظيم لم تتطلع إلى تحقيقه نفس. فلو أضفت إلى هذا أن موطن نشوئه بلاد العرب حيث كان لا يتوقع أحد أى انقلاب عالمى ، كان العجب منه لا يمكن تقديره ، ولو زدت على ذلك أنه أصبح أمراً واقعا فى سنين معدودة .

جرت السنة البشرية أن تتألف الدول محدودة بالحاجات الحيوية ، فقد توجد قبائل متفرعة من جنس واحد تجد نفسها مهددة بعدو قوى مجاور لها ، فتدفعها الضرورة للتضافر التماسا لمزايا الوحدة . وقد تصادف من صعوبات البيئة ما يدفعها لتطلب زيادة الأيدى العاملة فتضطر للترابط الوثيق للتغلب على ما يصادفها من عقبات المعيشة ، وقد تبلغ درجة حسنة من التهذيب فتطلب زيادة الاستمتاع بنعم الحياة فيندمج بعضها فى بعض لتصبح أمة على شىء من التفكيك ، ثم لا تزال تدفعها الحوادث لإحكام عرى ترابطها فى أجيال متعاقبة حتى تصير وثيقة الربط قوية التماسك

ولكن الأمة الإسلامية قامت على غير هذه السنة الطبيعية فقد تألفت على أصول ومبادىء هى مثل عليا للحياة الشخصية والاجتماعية تصلح لأن تقدم عليها الأمم عامة لا أمة منها خاصة ، فهى أمة عالية بأخص معانى هذه الكلمة ، محقت فيها القوميات والفوارق الجنسية واللغوية ، وجعلت مثالا لما تكون عليه البشرية حين تبلغ درجة النضج فى الأخلاق وأصول الاجتماع .

يقول الذين لا يتعدى علمهم بالشئون العالمية حدود ما ألفوه من رؤية التناحر

بين الأمم ، والتناهب بين الطوائف . والتزاحم على ينابيع الثروات الطبيعية يقولون . ماذا حمل الإسلام للناس غير أنه زاد فى عدد أديانهم ديناً جديدا يستدعى وجوده خلافات جديدة ومنازعات من ضروب شتى ؟.

والحقيقة أن الإسلام ليس بدين جديد ولكنه بنص كتابه دين الله الأول الذى أوحاه إلى أول رسله وحرفته الأمم حتى أخرجته عن أصله ، أرسل الله خاتم النبيين محمدا ، ليثوب إليه الغالى والمقصر ويرجع إليه المفرط والمفرط ، فهو بهذا الاعتبار لم يجىء لنزيد فى عدد الأديان ديناً آخر ولكنه جاء ليعيدها جميعا إلى وحدتها فما كان الله ليذر الناس على ما هم عليه من الفوضى الدينية والخلافات المذهبية حول أديان محرفة يدعى كل قبيل من الناس أنه على دين الله دون أن ينزل إليهم صورة صحيحة من ذلك الدين نفسه « إن الدين عند الله الإسلام ، وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم . ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتو الكتاب والأميين أأسلمتم ، فإن أسلموا فقد اهتدوا ، وإن تولوا فإنما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » .

وقد شرع الإسلام لوضع الخلاف بين الناس لا للتفريق بينهم قال تعالى : « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم فى شىء » .

بل ذهب الإسلام إلى ما لا مذهب بعده فى العمل على رفع الخلاف من بين البشر ، بحذف جميع عوامل الشقاق من بينهم ، فاعتبر الدين وحدة لا تقبل التجزؤ ، قوامها الإيمان برسل الله كافة من غير تفرقة بينهم فقال تعالى : « إن الذين يكفرون بالله ورسله ، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا . أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهينا » .

فى هذه الآية من القوة فى رفع الخلاف ما ليس لشىء ما ، يعمل فى هذا السبيل فإن الناس متى آمنوا بجميع المرسلين — سهل تفاهمهم على ما عسى أن يبقى بينهم من الخلاف .

هذه الآية فوق ما تدل عليه من عمل الإسلام على حسب الخلافات بين الناس تشير إلى المهمة السامية التى شرعه الله لأدائها ، وهى أن يكون ديناً عاماً للبشرية كلها . وبجرد التأمل فى مدلول هذه الآية يرى أن أفضل وسيلة للوصول إلى هذه الغاية البعيدة هى ما اشترطه على من يقبله ديناً له أن يؤمن برسل الله كافة ، فإن الأمم المؤمنة بالأديان المختلفة متى آنست أن فى الأرض ديناً يعترف بأنبيائها ، ولا يبخسها حقها ، لا تجد فى نفسها غضاضة من الدخول

فيه إذ لا يستتبع ذلك تسفيه أحلام آبائها ولا الحط من كرامة أسلافها . وليس فى دين من أديان الأرض هذه الميزة .

نعم : إن الإسلام لم يراع ذلك مع الأمم الوثنية لأن الوثنية لا تستند إلى نبوة ولا تتقدم على أصل من العقل أو النظر ، فما هى إلا عصارة من الأهواء والأوهام ،

أما بقية الأمم فقد أثمر فيهم أسلوب الإسلام فى الدعوة إلى الإيمان بالمرسلين كافة بغير استثناء فدخل منها فى الإسلام عدد لا يروى التاريخ أنه دخل مثله فى دين من الأديان فى مثل هذه المدة القصيرة .

أليس من آيات الله الكبرى أن تدخل فى الإسلام أمم كالفرس والرومان والتتار وغيرهم ، أجانب عن العرب والعربية ، ويكون لها القدح المعلى فى رفع علم الإسلام إلى أعلى ما يصل إليه ، وفى خدمة لغة القرآن وآدابها إلى حد أن كان منه أكابر أئمته وأئمتها مما لم يصادف مثله فى تاريخ جماعة من الجماعات الإنسانية ؟

إن هذه الديمقراطية التى أتى بها الإسلام فى عهد لم يكن لهذه الكلمة غير الاسم يعتبر مثالا حيا لما نبهنا إليه مراراً من أن هذه الأصول هى المثل العليا التى ليس بعدها مثل ويدل دلالة قاطعة على أن مصدر الإسلام إلهى محض لم تختلط أصوله بكدور البشرية ولم تؤثر فيها الفروق الوهمية التى تواضع عليها البشر وأراقوا دماءهم فى سبيلها .

ليعرف المسلمون مكانة دينهم من هذه النواحى العلمية ، فلا يوجد فى جميع الأسلحة الجدلية ما يعدلها فى جذب النفوس له وجمع القلوب حوله .

عباس طه

(بقية المنشور على صفحة ١٠٥)

فى النسخة المطبوعة ما يأتى : « الفصل - بكسر ففتح جمع فصله بفتح فسكون ؛ كقصعة وقصع : النخلة المنقولة من محلها إلى محل آخر لتثمر ، فتراه يجعل المفرد الفصله بفتح الفاء وإن كان المتبادر من الجمع أن يكون المفرد الفصلة بكسر الفاء ، ولكن لما لم يوجد ذلك فى اللغة اقتصر على ما وجد . غير أن جمع فَعْلَة على فِعَل جمع عزيز منه ما ذكره : قصعة وقصع ، ومنه حلقة وحلق وفلكة وفلك وبدرة وبدر ولم نره لفصلة والظاهر أن هذه الكتابة من ابن حزم ، وقد كان ابن حزم أديبا واسع الاطلاع فى اللغة فلعله اطلع على هذا الجمع لفصلة

وأذكر هنا أن أدباء الإقليم الشمالى يطلقون على الفِصْلة فى الاصطلاح المصرى الفسيلة ، وهو إطلاق صحيح .

محمد على النجار

ما يقال عن الإسلام

العلية الجديدة فى نيجيريا

للأستاذ عباس محمود العقاد

ألف هذا الكتاب الأستاذ هيوسميث مدوس علم الاجتماع وعلم الأجناس البشرية بكلية بروكلن ، وساعدته فى تأليفه الأستاذة مابل سميث مدرسة علم الاقتصاد بكلية مدينة نيويورك ، واسم الكتاب « العلية الجديدة فى نيجيريا » يشير إلى موضوعه ، وهو استقصاء تاريخ الطبقة المتعلمة التى تستولى الآن على مقاليد الحكم فى بلاد نهر النيجر بعد إعلان استقلالها منذ شهر اكتوبر من السنه الميلادية الماضية (١٩٦٠) .

وقد تناول المؤلفان دراسة أحوال النيجريين المسلمين بمقدار مساسها بهذا الموضوع فى حدوده الواسعة ، فهما لا يبحثان فى الدين الإسلامى ولا فى شعائر الإسلام الدينية . ولكنهما يبحثان فى الأحوال الإسلامية التى كان لها أثر اجتماعى سياسى فى تكوين طبقة الرؤساء والقادة بين النيجيريين ، ولا سيما أبناء الشمال من بلاد نهر النيجر ، لأنها مقر العشائر المسلمة هناك .

ألمع المؤلفان فى مقدمة البحث ، إلماعا خفيفا إلى الفارق بين الشمال والجنوب فى عناصر الدراسة العامة التى تحيط بأطراف هذا الموضوع . فإن استجماع هذه العناصر فى الجنوب سهل ميسور من الوجهتين الجغرافية والاجتماعية ، لأن مواصلاته الطبيعية كثيرة مفتحة الأبواب ، وشئونه الاجتماعية لا تخفى على الأوربيين بعد انتشار التبشير بين العشائر الوثنية وتحويل بعض أبنائها إلى المذاهب المسيحية ، ومنهم من ارتقى إلى مناصب القساوسة والاساقفة ، ومن أهلته معلوماته الحديثة التى استفادها من مدارس المبشرين لولاية الوظائف الحكومية والاختلاط بالرؤساء البريطان وسائر النزلاء .

أما بلاد النيجر الشمالية فمواصلاتها الطبيعية غير ممهدة ، ولم يذكر المؤلفان أن الحكومة الاجنبية أهملت تذليل صعوباتها لحذرها من التقريب بين عشائرها وقلة اطمئنانها إلى رؤسائها الدينيين المسلمين وندوة الموظفين

من أبنائها لإعراضهم عن مدارس التبشير ، ولكن هذا الإهمال من جانب الحكومة ملحوظ من مراجعة فصول الكتاب وإن لم يذكره المؤلفان .

ويضاف إلى صعوبة المواصلات صعوبة أخرى اجتماعية هي انتظام العلاقات السياسية والحكومية فى أنحاء الشمال على قواعد العادات الإسلامية ، ومنها الحجاب وشرائع الزواج والطلاق والميراث ، وقد يكون منها قلة الاختلاط بين قادة المجتمع ورؤساء الدواوين ، وندرة العارفين باللغة الإنجليزية من أبناء الشمال فى أول عهد الاستعمار ، خلافا للجنوبيين الذين أقبلوا على هذه اللغة وغيرها من اللغات الأوربية واستخدموها لتفاهم بينهم عند تعذر التفاهم باللهجات الوطنية .

ويرجع المؤلفان إلى أقوال المؤرخين عن أصول العلية الأولين فيذكر أن أقوال المرجحين لقدومهم من بلاد البربر وأقوال الآخرين الذين رجحوا أنهم طوائف من أبناء صعيد مصر هاجروا إلى المغرب ثم إلى الجنوب منذ ستة قرون ، ولكن المحقق فى العصور التاريخية القريبة أن قبائل زغاوة زحفت خلال القرن السابع للميلاد إلى وادى النيجر فاستولت على مقاليد الحكم حول بحيرة شاد وما جاورها من الأقاليم الزراعية ، وأشاعت بين هذه الأقاليم لغة وطنية تمتزج فيها العربية والبربرية وتستخدم الآن لتبادل المعاملات التجارية من غانة إلى بلاد القمرون . وقد كانت ذبابة مرض النوم حائلا دون القبائل المغيرة التى تعتمد على الخيل فى غزواتها ، لأنها تصيب الخيل كما تصيب الإنسان .

وقد اطلق اسم « الفلانية » على المسلمين الوافدين ومن دخل معهم فى الإسلام ، وظهر منهم من تسمى باسم أمين المؤمنين ، وهو « ساركن مسلمى » فى تلك اللغة الممزوجة بكثير من الألفاظ العربية والبربرية ، وتعتبر عشيرة « الهوسا » الفلانية أقوى طوائف النيجر الشمالية ، تعيش معها أكثر من عشرة بطون صغيرة يدين معظم أبنائها بغير الإسلام .

والفوارق بين الشمال والجنوب - كما تدل عليها معلومات المؤلفين - تتلخص فى فارق واحد يشملها وقد يغنى القارىء العجلان عن تفصيلها : وذلك أن الآداب الدينية فى الشمال أقوى وأعم من الآداب الوطنية أو النزعة القومية ، وعلى نقيض ذلك تشتد المطالب الوطنية فى الجنوب وتضعف المقاومة الدينية ، وهو أمر معقول يوافق المنتظر من أناس ليست لهم ديانة ذات « دعوة » تقاوم دعوة المبشرين ، وليس بينهم عشيرة

واحدة تستطيع أن تعمم عقائدها الدينية أو أساطيرها الموروثة ، بين جميع القبائل التى بقيت على الوثنية ... ويأتى بعد هذا الفارق الشامل فارق آخر يشمل الأقاليم الشمالية ويكاد أن يضم الاعتبارات المحلية الجغرافية إلى اعتبارات العقيدة والألفة الاجتماعية ، وذلك أن طوائف المسلمين المعروفة باسم الفلانية تعودت أن تأوى إلى المدن المسورة وهى على الأغلب الأعم تخلق أسباب الوحدة « المدنية » بين سكانها ولو كانوا من نحل متعددة ، فإذا كان الدين الغالب هنالك بين أبناء المجتمع المدنى ديناً قويا يقابل دعوة التبشير بالمقاومة أو يقابلها بدعوة تماثلها فمن الطبيعى المنتظر فى هذه الحالة أن تسودها الآداب الدينية الغالبة وأن تسرى غيرة الكثرة العظيمة على عقيدتها إلى شركائهم فى الوطن من قبائل الوثنيين ، دفاعا عن كيانهم الاجتماعى أو السياسى مع جيرانهم من أبناء الكثرة القوية ، أو المسلمين .

وقد أحس الشماليون بما يتعرضون له من هضم الحقوق الوطنية وجرائر الابتعاد عن وظائف الدولة إذا طال اعتزالهم لمدارس التعليم الحديث ، فنهضوا لتدارك هذا النقص وأسسوا (سنة ١٩٢٣) جماعة أنصار الدين ثم نشروا فروعها فى المدن الكبيرة وتمكنوا من الإشراف على المدارس الحكومية وغير الحكومية ، ونشطت منهم هيئة - على مثال النقابات - لجماعة المعلمين ، فأصبحت نواة للحركة السياسية وأسهم القائمون بها فى الحركة الوطنية سواء إلى جانب الحكومة أو إلى جانب المعارضة ، بعد قيام الحكم الدستورى وإعلان الاستقلال .

وتتألف العلية الشمالية من جماعة المتعلمين ومن كبار التجار وأصحاب المزارع والموظفين وربما سرى إليهم شئ من وعى « الطبقة » على اعتبارهم جميعا حكاما أو مرشحين للحكم قبل إعلان الاستقلال أو بعد إعلانه ، ولكنهم على الرغم من وحدة الطبقة لا ينفصلون عن قبائلهم ولا يزال أدب التوقير والرعاية بين شيوخهم وشبانهم ، وبين كبارهم وصغارهم ، يجرى على سنة الأسرة العريقة ولا يسمح للنزعات المتطرفة بالظهور .

ومن الأحاديث التى نقلها المؤلفان فى هذه المسألة ، وفيما يرتبط بها من مسائل الدرجات الاجتماعية - حديث منسوب إلى زعيم تنقل بين البلاد الأوروبية بضع سنوات وسئل عن آثار حياة المدنية فى آداب قومه فقال : « إن الناس يفدون إلى المدن طلبا للعلم أو طلبا للمال أو رغبة فى المعيشة على مثال أفضل وأيسر من معيشة القرية الريفية العتيقة » . ولكنهم يظلون على الرغم من هذه الشواغل مستمسكين بعادات الاحترام والرعاية لكبراء

السن والمقام ... ويحبون أن يحتفظوا بالتراث القديم ».

وقال زعيم آخر من أسرة حاكمة : « إن الشعور بأواصر العشيرة يتغلغل فى أعماقنا . وتقوم عليه قواعد حياتنا السياسية ، وهو القوة المسيطرة فى البلاد النيجيرية الآن » .

* * *

والمؤلفان ينسبان إلى التقاليد الإسلامية تخلف الشمال فى حركة المقاومة ، أو حركة المعارضة للحكم الأجنبى ، ويقولان بعد الإشارة إلى النظام الإقطاعى : « إن بلاد الشمال الاقطاعى يندر فيها المتعلمون من الطبقة العالية وهم - على الجملة - حذرون متأدبون ، بل خاضعون احيانا فى علاقتهم بالحكام البريطانيين ومما يؤخر ظهور النزعة المستقلة بينهم أن المناصب الكبرى هنك يشغلها البريطانيون . وقد عودتهم مأثوراتهم الإسلامية عادات الاحترام من التسليم والسجود والانحناء وخلع النعال ، حتى ليغلب عليهم دون التفات منهم إلى مايصنعون أن يبادروا إلى توقير كل من هو أرفع مقاما كيفما كان »

وأغرب ما فى هذا التعليل أن يفهم المؤلفان أن خشوع المسلم فى صلاته يعوده أن يسجد لغير الإله المعبود ، وقد كان الأحرى بهما أن يعلما حقيقته فلا يفوتهما أن هذا الخشوع فى موقف العبادة خليق أن يذكر الإنسان باجتناب عبادة الإنسان ويحذره من التورط فى الكفر بالتسوية بين الصلاة للخالق والصلاة للمخلوق ، ولكنهما لو ذكرا للخضوع أو للخشوع سببا آخر لكشفا عن سبب لا يرضيهما أن يعترفا به وفيه ما فيه من المساس بالحكم الأجنبى ونظام التبشير وعلاقته بالسياسة الاستعمارية فى البلاد الأفريقية والبلاد الإسلامية منها على التخصيص .

فالسياسة البريطانية تقوم فى المستعمرات على الحذر من أصحاب الدولة الأقدمين وعلى الحذر قبل ذلك من الثقافات الاجتماعية التى تقاوم ثقافة الأجنبى وتوحى إلى أبنائها مذهبا من مذاهب الحكم والنظام يعارض المذهب الطارئ عليهم من أساسه ويستطيع أن يزود المحكومين بنظام يناظره ويتحداه . وقد صرح أساطين الاستعمار البريطانيون بخطتهم السياسية — الهندية — هذه غير مرة ، فقال لورد ألنبرو « ليس يسعنى ان أغمض عينى عن اليقين بأن هذا العنصر الإسلامى عدو أصيل العداوة لنا وأن سياستنا الحقة ينبغى أن تتجه إلى تقريب الهنديين » .

وهذه الخطة بعينها هى الخطة التى جرت عليها السياسة الاستعمارية بين الأفريقيين كلما صادفتهم كثرة إسلامية تجاورها قلة متفرقة

من الوثنيين أو غير المسلمين على العموم ، فإنهم يتعمدون إقصاء الرءوس المطاعين بين العشائر المسلمة ولا يبالون أن يتبعوا خطة السماحة والإغضاء مع القبائل الوثنية المتفرقة ، لأنها لا تستطيع أن تقابلهم بإجماع متجانس يخافون عقباه . فإذا تولى وظائف الدواوين من أهل نيجريا الشمالية أناس مستضعفون لا يجدون لهم رءوسا من أبناء جلدتهم يطيعونها ويأتمرون بأمرها فهذه هى ذلة المستضعف أمام السادة الأجنبيين ، ولا حيلة للواحد أو الاثنين أو الثلاثة من علية الوطنيين المقبولين عند أولئك السادة غير الخشوع والاستسلام . وقد يكون الخشوع والاستسلام ديدناً معروفا عنهم قبل أن يظفروا برضوان المستعمر واطمئنانه فيعهد إليهم بالوظيفة المرموقة ولو كانت ذات شأن خطير يخشاه المستعمر إذا تولاه المحكومون غير المأمونين .

واطردت هذه الخطة السياسية إلى ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ثم تقرر نظام الوصاية والانتداب فاضطر الحكام الأجانب إلى اتباع النظم الدستورية والتعاون مع الزعماء الوطنيين الذين تنتخبهم شعوبهم ولا يتأتى للحاكم الأجنبى أن يتخطاهم مهما يبلغ من تلفيق الدساتير وتزوير الانتخابات ، فكان الاعتراف بزعماء المسلمين قضاء محتوما لا سبيل إلى اتقائه بغير الحيلة والمحاسنة ، وكان من أساليب هذه المحاسنة أنهم أخذوا يرحبون بأبناء العلية الأولين ويشجعونهم على إتمام دروسهم بالجامعات الانجليزية ، وثابروا عدة سنوات على اختيار أربعة من طلاب الجامعات فى كل سنة يتكفلون بهم ويسندون إليهم كبار المناصب بعد عودتهم إلى بلادهم ، ومنهم السيد أبو بكر طفاوة أول رئيس وزارة تولى رئاسة الحكومة الاتحادية بعد إعلان الاستقلال منذ ستة شهور .

وقد أراد الاستعمار أمراً وأراد الله غيره ، فكان أسبق النيجريين إلى ولاية الحكم بين أبناء وطنهم أولئك الذين أقصاهم المستعمرون عنه ودبروا بالأمس تدبيرهم الطويل لنفيهم عن الكبير والصغير من وظائف الدواوين؟

عباس محمود العقاد

مختار من الشعر القديم والحديث

من وحي الإيمان :

موكب النّور

للأستاذ محمد ابراهيم محمد نجا

إلى السائرين نحو بيت الله ومسجد الرسول ، يحملهم الحب ويدفعهم الإيمان . . أهدى هذه القصيدة :

موكب هز خاطرى وجنانى ... وأثار الحنين فى وجدانى
ودعانى إلى البيان ، فهذا ... ذَوْبُ قلبى سكبته فى بيانى
موكب الحب للذى خلق الحب (م) ... وحلى به بنى الإنسان
موكب الحب للرسول الذى جا ... ء لنا بالهدى وبالفرقان
صاغه الله من سناه شعاعا ... باهر النور ، ساحر الألوان
لم تجد مثله القلوب ، ولم تنـ ... ـظر إلى مثله العيون الروانى
وبراه من رقة وصفاء ... وسلام ورحمة وحنان
فهفت نحوه القلوب سراعا ... كطيور تجد فى الطيران
ثم حامت عليه وهى ظماء ... فسقاه من نبعه الريان
ومضت نحوه الجموع تعانى ... من هواها وشوقها ما تعانى
موكب حاشد الوفود رحيب ... هو رمز لعزة الإيمان

وقلوب مرنحات من الشـو ق ، سكارى بغير بنت الدنان
شربت خمرة « الحقيقة » ، واهتزت على « ذكر » مبدع الأكوان
كل من ذاقها فقـد عاش ما عا ش ، بعيداً عن حرقة الظمآن
ووجوه تـكاد تنطق بشراً حين نالت ما تشـتهيه الأمانى
والدفوف التى ترن رنينا هو أشجى من رنة العيـدان
هادئ الوقع فى القلوب ، مثير حين نصغى إليه بالآذان
يملأ النفس بالخشوع ، فتبكى بدموع لم تبدها العينان
والزغاريد وهى تأسر قلبى والأغانى ، وما أرق الأغانى !
موكب هزنى ، فغنى فؤادى وشـعورى بأعذب الألحان
كل لحن فيـه ضراعات مشتا ق ، وأشواق ضارع ولهان
موكب جر الحنين بقلبى ومضى فى رعاية الرحمن
ليت من جمع المواكب ليلا ودعاها إليه كان دعانى

* * *

يا ديار « الحبيب » قلبى يناجيـ ـك ، وروحى ومهجتى وكيانى
يا ديار الحبيب قد شفنى النأ ى ، فقولى : متى يكون التدانى !
يا ديار الحبيب هل يأذن اللـ ـه ، فألقاك مرة فى زمانى ؟
حيث أقضى شعائر الله مسرو را بما نلته من الرضوان
وأرود الصحراء وهى لقلبى موطن الشعر والهدى والأمان
صاعدا فى الجبال حينا ، وحينا هابطا فى السهول والوديان

* * *

ذاك حلم لو نلتـه فى حياتى قلت : حسبى ما نلته وكفانى
يا ديار الحبيب زرتك بالرو ح ، وإن كنت ثاويا فى مكانى

ابراهيم محمد نجا

آراء وأحاديث

من الشيخ الأكبر إلى العالم الإسلامي:

لقد أراد المولى سبحانه أن يجعل لنا من عيدنا الأكبر ذكرى للمسلمين تعيد إليهم صورتهم يوم أن أكمل الله لهم دينهم وأتم عليهم نعمته ، وقد جاء ذلك فيما أوحى إلى النبي صلى الله عليه وسلم « اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتي ، ورضيت لكم الإسلام دينا » هذه الآية الكريمة تسجل ماضي الأمجاد وتبسط الحياة في مستقبل المسلمين، وتركز المثل العليا في قمتها، والمبادئ العالية على أعلى درجة فيها. هذه الآية الكريمة التي ما كاد يهودي يسمعها إلا ويقول لمن يحدثه من المسلمين : « إن في كتابكم لآية لو نزلت علينا - معشر اليهود - لاتخذنا يوم نزولها عيدا ألا وهي « اليوم أكملت لكم دينكم » فقال عمر بن الخطاب مدرك أسرار التنزيل (ومن أنت يا هذا ؟ ما يدريك أننا لم نتخذ يوم نزولها عيدا ؟ لقد اتخذناه) واليوم الذي بعده عيدا (يومي عرفة والنحر).

وفي الواقع أن هذا العيد في تاريخ المسلمين هو يوم الإكمال والإتمام للنظم والقوانين الشرعية التي أراد الله أن يبني جماعة المسلمين على أساس منها .

وقد كان عيد الفطر هو اليوم الأول الذي يذكرنا بوضع حجر الأساس للبناء الشامخ لصرح هذه الأمة الإسلامية ، فقد وضع هذا الأساس بقوله تعالى : « اقرأ باسم ربك الذي خلق » يوم أنزل القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ليكون للعالمين نذيرا . وهكذا كان عيدنا الأكبر بما اشتمل عليه من الأسس القويمة والمبادئ العالية هو اليوم الذي وصل فيه المسلمون إلى أرقى درجات الكمال وإلى أعلى قمم المجد الاجتماعي ، ففيه تلكم الذكريات التي تسجل الماضي ، وتشرح الصدر للمستقبل .

فهنا وهناك في عرفات يستمع المسلمون بآذان القلوب إلى صوت محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يخطب آباءهم وهم في أصلابهم يحمل لهم رسالته ويحثهم على صدق الإيمان وكمال المعرفة بحقوق الله وحقوق العباد ، ثم يستشهدهم فيشهدون أنه بلغ ، وأدى ، ونصح ، ويرفع إصبعه السبابة إلى السماء ثم يشير بها اليوم وهو يقول : « اللهم اشهد ، اللهم اشهد ، اللهم اشهد » .

ولا شك أن الرسول قد أشهد علينا مولاه أنه بلغنا ، بلغنا المبادئ والمثل ، بلغنا أن

نكون أمة متحابين فى الله متعاونين متراحمين ، فى صف واحد وفى قوة واحدة ، ننصر الله فى أنفسنا فنتجرد عن الشرك ، ونخلص عقيدتنا لله وحده ، ونكون يدا قوية على من عادانا ، نقهر كل ظلم وطغيان ، ونرد كل بغى واستعباد ، لأننا أبناء الدين الذى بث الحرية فى نفوسنا ، وثبت دعائمها فى حياتنا ، لا نعبد إلا إياه سبحانه ، ولا نستعين إلا به .

إن قوتنا نستمدها من كتاب الله ، فلا نبقى فى أراضينا الطيبة خبثا من هؤلاء المستغلين ، ننصر الحرية فى كل مكان ينشدها ويطلب حقه منها فيعود أبناؤنا وإخواننا إلى فلسطين التى ما زالت ولا تزال عنوانا صارخا على ظلم هؤلاء الطغاة الآثمين الذين شردوا الآلاف المؤلفة .

وبعد : فما أجدر المسلمين أن يتخذوا من هذا اليوم فى كل حين أجمل الذكريات التى تنبه وعيهم وتحيى ضمائرهم وتجرى فى أجسادهم وقلوبهم وعقولهم مجرى الدم فى العروق ، فتدفعهم إلى العمل والتعاون والوحدة فى ثوب من التعاطف والتراحم ليكونوا أمة واحدة على قلب رجل واحد ، فيظفروا بحريتهم الكاملة ، ويتخلصوا من براثن الشرك التى ورثهم إياها الاستعمار ، وليتحرروا من سلطان الأجنبى الذى يهاجمهم فى كل آن فى عقائدهم وشرائعهم وشئونهم الاجتماعية .

ما أجدر المسلمين أن يتخذوا من هذا اليوم ذكريات تشد أزرهم لإعلاء شأنهم والرمى بالضلال والبهتان فى غياهب الأرض ، وبذا تطمئن الإنسانية ، وتنعم بالسلام عامة . ويتحرر كل راغب فى الحرية ، وتصبح إفريقيا للإفريقيين ، وآسيا للآسيويين ، وهكذا يتم الله نعمته على الخلف كما أتمها على السلف .

فسيروا على سنة آبائكم تصلوا إلى درجة المجد الذى وصلوا إليه ، والله يهيئ لنا ولكم سبل العزة والكرامة ، ويمنح الإنسانية جمعاء أمنا وطمأنينة حتى تهدأ الضمائر وتسكن القلوب ، وتطمئن النفوس للحياة الطيبة الكريمة ، حياة التعاون والتراحم والمحبة .

حقق الله لنا ولكم الحرية والمجد ، وأذل قوى البغى والطغيان « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » ، اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها ، قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون » .

وإننا لنبعث إلى إخواننا المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها بالتهنئة الصادقة . والدعوات الخالصة ، أن يعيد الله عليكم هذا العيد باليمن والرخاء والأمن والسلام .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

محمود شلتوت

الرئيس مطر بوس يزور شيخ الأزهر :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه

فى الخامسة من مساء الاثنين ٥/ ٦ / ١٩٦١ سيادة الرئيس مكاريوس رئيس جمهورية قبرص ، يرافقه الدكتور كمال رمزى استينو وزير التموين ، والسيد وزير خارجية قبرص والسيد سفير قبرص فى القاهرة ، والأستاذ عبد الحميد الحاج أمين القصر الجمهورى ، والسيد مدير المكتب السياسى للسيد الرئيس.

وقد رحب فضيلة الأستاذ الأكبر بالضيف الكبير قائلا : « لقد سر الأزهر بزيارتكم ، وإن الأزهر هذا الذى ظل عشرة قرون يدعو للسلام والحرية ، يرحب بكم ، ويدعو لكم بالنصر فى مستقبل حياتكم كما نصركم الله فى ماضى حياتكم ، أنتم ورؤساء الجمهوريات الذين يعملون من أجل البشرية جمعاء .

هذان شعبان متحابان ، على رأسهما رئيسان متحابان : الرئيس مكاريوس رئيس جمهورية قبرص ، والرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، إن الأزهر يرحب بكم ، وعلماء الأزهر يرحبون بكم ، ويأملون أن تستمروا فى كفاحكم من أجل الإنسانية ولتقفوا دائما هكذا » .

« وتعاونوا على البر والتقوى ، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » .

فقال الضيف الكبير : « إننى جد سعيد بهذه النهضة الطيبة ، وهذا الاستقبال الرائع الذى يعبر عن عميق ثقة وإيمان .

إننى أشيد بجهود الأزهر ، وأذكر بكل فخر مدى الجهود التى يبذلها الرئيس جمال عبد الناصر من أجل دعم السلام العالمى ، ومن أجل صالح الإنسانية — وخاصة فى منطقة البحر الأبيض المتوسط ، لقد عرفت فيه قائداً عظيما ومصلحا كبيراً وأكرر لكم شكرى وامتنانى على هذا الاستقبال الرائع وأعاهدكم على أن نعمل من أجل البشرية ومن أجل السلام فى أنحاء الأرض .

وإننا ندعو الله أن يمنحكم الصحة والعافية لتظلوا فى خدمة الأزهر تخدمون هذه الجامعة كما خدمتموها فى الماضى » .

فقال الأستاذ الأكبر هذا عهدى معكم — وتصافح الضيف والمضيف — هذا عهدى معكم لنتعاون ونعمل من أجل الإنسانية الكاملة ، عهدى معكم لنعمل على تحقيق السلام العالمى ومن أجل الحرية فى كل مكان.

إن الإيمان بالله يقضى بخدمة الإنسانية ونحن جميعا مؤمنون بالله ، والإيمان بالله يقضى بالعمل على تأكيد الحرية ، حرية الملك : حرية البيت ، حرية الرأى : كل نوع من أنواع الحرية التى خلق الله الإنسان عليها .

عاونونا على هذا لننقذ الإنسانية من ورطتها يكن لنا ولكم الفضل الأكبر عند الله يجب أن نتكتل وننظر إلى الإنسان المعذب . أين هو :

فى الجزائر إنسان معذب ، فى فلسطين

إنسان معذب ، فى كل جهة من جهات الأرض إنسان معذب .

إن الأديان السماوية كلها تدعو إلى الحرية والتعاون وإلى استئصال الظلم والطغيان حيثما كانا .

فلنعمل جميعاً على هذا العهد إن شاء الله .

« إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » ، « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم » .

قال السيد الزائر إن هذه الزيارة ستظل فى سجل حياتى ؛ لأنها قد هزت أوتار قلبى ، فقد سررت بهذا الاستقبال من علماء أقدم جامعة يعرف فضلها المسيحيون كما يعرفه المسلمون . ثم انصرف شاكراً الأستاذ الأكبر على هذه الحفاوة البالغة معبراً عن عظيم سروره وسعادته .

الأستاذ الأكبر يستقبل وفداً من أساتذة الجامعة الأمريكية :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر وفداً من أساتذة الجامعة الأمريكية بالقاهرة لمناسبة عودتهم إلى بلادهم ، يرافقهم الدكتور عبده الخولى أستاذ علم الاجتماع المساعد بالجامعة الأمريكية ، ومدرس اللغة الإنجليزية بمعهد الإعداد والتوجيه ، وهؤلاء الأساتذة هم : ـ

دكتور روبرت فرنيا وزوجه ، دكتور كارل ليدن وزجه ، مستر جيزى ستيوارت وابنته ، دكتور . و . كون وزوجه ، مستر تشارلس لويس وزوجه ، دكتور م . ل . شين وزوجه ، مستر روبرت مودى وزوجه ، مستر جوليمان وزوجه ، مستر لندى وزوجه ، دكتور ملدرد هاوارد وزوجه ، دكتور جين هاسلدن وزوجه .

وقد رحب بهم فضيلة الأستاذ الأكبر وشكرهم على هذه الزيارة ، قائلا : إن الأزهر إذ يستقبل فيكم ممثلين للعلوم على اختلاف أنواعها فى الجامعة الأمريكية ليسره أن يفتح صدره لكل زائر حتى يتعرف العالم على مدى نشاط الأزهر الثقافى والدينى ، وما يشعه من معرفة على العالم أجمع .

فقال مستر مودى أحد أعضاء الوفد : لقد سرنا أن لمسنا نشاط الأزهر فى مدينة البعوث الإسلامية . وعجبنا لأنها تضم أكثر من خمسين جنسية من مختلف بلاد العالم ، وسعدنا بحسن نظامها وتنسيقها ، وتوفيرها كل أسباب الراحة والاستقرار لطلاب البعوث الإسلامية ، كما سرنا ما شاهدناه فى الجامعة الأزهرية وكلياتها من تقدم وخاصة فى قاعة المحاضرات الأزهرية الكبرى وما تؤديه من رسالة ثقافية لشعب الجمهورية العربية . كما زاد من إعجابنا المكتبة الأزهرية وما تضمه من ذخائر الكتب فى جميع العلوم والفنون .

فقال فضيلة الأستاذ الأكبر : إن ما شاهدتموه

لهو ثمرة التعاون الوثيق بين رجال الأزهر، وثمرة توجيهات الرئيس جمال عبد الناصر، واهتمامه بالأزهر وطلاب البعوث الإسلامية.

ثم أضاف فضيلته: إن الأزهر منبع إشعاع إنسانى للعالم بأسره، فله مراكز ثقافية فى الولايات المتحدة، وكندا، ولندن، وغيرها ويتطلع الآن لتعميم مراكزه الثقافية فى جميع أنحاء العالم.

ثم سأل أحد أعضاء الوفد فضيلة الأستاذ الأكبر عما إذا كان الأزهر يقبل الطلاب الذين يدرسون المذهب الشيعى فى رحابه.

فأجاب الأستاذ الأكبر: كان الأزهر من قبل لا يقبل إلا من يدرسون أحد المذاهب الأربعة، ولكننا رفعنا هذا الشرط المذهبي الذى ليس من ورائه إلا التفرقة المذهبية. أما دراسة المذاهب على اختلافها فى الرأى ووجهات النظر فالغرض منها الاطلاع على أفكار العلماء وآرائهم ووجهات نظرهم الباحثة المتعمقة، وليس من شك فى أن الإسلام ليس فيه مذهبية ولا طائفية، ولكن المذهبية قد تعددت بتعدد الأفهام. والمرجع الأول لهذه الأفهام والآراء الكتاب والسنة.

وسأل عضو آخر من أعضاء الوفد فضيلته قائلا: هل هناك علاقات ثقافية بين الأزهر والجامعات الأخرى.

فقال الأستاذ الأكبر: إن الأزهر يحرص على إقامة علاقات ثقافية بينه وبين الجامعات الأخرى فيما يخدم البشرية، ويقودها إلى سلام دائم واستقرار أكيد، كما يرحب بتبادل الأساتذة والكتب الثقافية مع جامعات العلم.

وسأل أحد الأعضاء فضيلته عن أثر الرحلة التى قام بها إلى الملايو وأندونيسيا والفيلبين.

فقال فضيلته: لقد كان الغرض من الرحلة توطيد العلاقات الودية والثقافية بين المسلمين، ليفهموا ألا حواجز تفصل بين العالم الإسلامى، وأن المسلم فى الجمهورية العربية أخ لكل إنسان فى أى بقعة من بقاع العالم، تحقيقا لدعوة الله إلى عباده فى قوله: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

ثم قال عضو آخر: إننا جد سعداء بهذه الزيارة الطيبة التى تفضلتم بإتاحتها لنا، كما نشكر الظروف التى هيأت لنا الدكتور عبده الخولى وهو من خريجى الأزهر، نشكره لأنه يمثل الأزهر فى الجامعة، وبذلك صار فاتحة لإقامة علاقات ثقافية وودية بين الأزهر والجامعة الأمريكية فى القاهرة.

فقال الأستاذ الأكبر: إنه ليسرنى أن يكون حلقة اتصال بين الأزهر وبين الجامعة الأمريكية، فالأزهر يسعده دائما أن تقوى الروابط بينه وبين جامعات العالم. وليعلم الناس أن الأزهر تتسع أروقته لكل من يشاء الانتهال من منهله، بغض النظر عن الجنس واللون والطائفية وغيرها.

النشاط الثقافي للأزهر

إنشاء فصول جديدة للدراسات الإسلامية :

ملحقة بمعهد الإعداد والتوجيه
لخريجي الجامعات

وافق فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر على إنشاء فصول جديدة تلحق بمعهد الإعداد والتوجيه بالأزهر لقبول دارسين جدد ممن يحملون مؤهلات دراسية عالية من الجامعات أو من المعاهد العليا .

ويتيح إنشاء هذه الفصول الفرصة لراغبي التعمق فى الموضوعات الإسلامية من خريجي الجامعات والمعاهد العليا رجالا ونساء ، ولمن يريد أن يتمكن من فهم الدين ورسالة الإسلام فهما صحيحاً . وتتناول هذه الدراسات الدراسة الموضوعية واللغوية والفقهية والفلسفية ، وستقرب هذه الفكرة بين الاتجاهين الدينى والعلمى ، كما تتناول دراسة المجتمع الإسلامى المعاصر فى شتى جوانبه الجغرافية والتاريخية والسياسية والأدبية وغيرها .

وقد تقرر إنشاء هذه الفصول لما لوحظ من أن بعض المتخرجين فى الجامعات الأخرى لهم رغبة أكيدة فى الكتابة عن الإسلام ومعرفة الكثير عنه ، والإحاطة بالمذاهب الإسلامية المعاصرة حتى يخلق منهم دعاة صالحين للإسلام أينما كانوا .

وبذلك يتيح الأزهر لكل المثقفين من أبناء الجمهورية العربية المتحدة ، لحمل مشعل الثقافة الإسلامية المستنيرة ، ونشر القيم الإسلامية الفاضلة ، وزيادة فى تعميم هذه الفرصة أبيح الالتحاق فى هذه الفصول للراغبين فى الدراسة من الجنسين . كما تقرر أن تكون مواد الدراسة مستمدة من التراث الإسلامى الصحيح ، وأن يكون الهدف من دراسة المواد الجديدة هو مساعدة الدراسين على تفهم الفكر الإسلامى والقيم الصحيحة ومن ضمن هذه المواد :

التاريخ الإسلامى .
تاريخ الفكر الإسلامى .
المذاهب الإسلامية المعاصرة .
مقارنة الأديان .
صلات الإسلام بعالم اليوم والغد .
موضوعات منتخبة من الفقه الإسلامى .

كما تقرر إنشاء فصل للدراسات الإسلامية

وتعليم اللغة العربية ضمن هذه الفصول لرجال السلك السياسى على أن يلاحظ قوة العناية بأمر اللغة العربية وتجويدها حتى يمكن الاستعانة بها على التعرف الدقيق إلى المفاهيم الإسلامية . فإن فضيلة الأستاذ الأكبر ليرى أن تعلم اللغة العربية فرض لازم ؛ لأنها السبيل الوحيد إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله واستنباط الأحكام الإسلامية .

وقد رشح الأزهر لذلك نخبة ممتازة من رجال الفكر والقانون لإلقاء محاضرات لتوضيح الجوانب الثقافية المشار إليها .

الأستاذ الأكبر يستقبل عميد كلية التربية

في الجامعة الإسلامية الحكومية

في جاكرتا بأندونيسيا

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر بمكتبه السيد / محمود يونس - عميد كلية التربية في الجامعة الإسلامية الحكومية في جاكرتا بأندونيسيا يرافقه الدكتور محمود هدايت - المستشار الثقافى لسفارة أندونيسيا فى القاهرة .

وقد عبر الضيف عن عظيم شكره وشكر أبناء أندونيسيا لفضيلة الأستاذ الأكبر على زيارته لأندونيسيا التى وثقت علاقات الود والإخاء بين المسلمين ، وكانت ثورة علمية إسلامية فى بلاد الشرق الأقصى ، ويضيف الزائر بأن بعض المسلمين فى أندونيسيا أسفوا لأنهم لم تتح لهم الفرصة لرؤية الأستاذ الأكبر نتيجة لقصر المدة التى قضاها فضيلته فى أندونيسيا وهم يأملون أن تتكرر هذه الزيارة حتى يتمكنوا من لقاء الأستاذ الأكبر والتحدث إليه .

وقد طلب الزائر من فضيلة الأستاذ الأكبر بيانات عن الأزهر ، والمناهج التعليمية التى تدرس بالأقسام الابتدائية والثانوية والجامعة الأزهرية وجميع الكتب المقررة . وقد أجابه فضيلته إلى طلبه فى الحال ثم حمله خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى جميع أبناء أندونيسيا متمنيا التوفيق للجامعة الإسلامية الحكومية فى جاكرتا .

مبعوثو الأزهر بأندونيسيا

(يلقون محاضرات فى الملايو)

وافقت مشيخة الأزهر على أن يزور الأساتذة مبعوثو الأزهر إلى أندونيسيا الكلية الإسلامية العليا فى الملايو ، وعلى أن يتحمل الأزهر نفقات سفرهم من أندونيسيا إلى الملايو ذهابا وإيابا . وكانت هذه الدعوة بناء على طلب الأستاذ محمد عبد الرءوف عميد الكلية الإسلامية ومبعوث الأزهر فى الملايو لإلقاء بعض المحاضرات هناك .

وهؤلاء الأساتذة هم :

١ — الشيخ حسن محمد حسن بيومى .
٢ — « محمد أحمد السنباطى .
٣ — « على على الخنانى .
٤ — « أحمد مرغنى محمد عيسوى .

رحلة مبعوث الأزهر فى الملايو إلى الفليبين

قام الأستاذ محمد عبد الرءوف مبعوث الأزهر بالملايو وعميد الكلية الإسلامية العليا هناك برحلة إلى الفيليبين بناء على دعوة السيد السناتور أحمد ألونتو رئيس الهيئات الإسلامية فى الفليبين لحضور حفل التخريج لكليات كامل الإسلام وفروعها فى مدينة مرواى عاصمة منطقة لاناد بجزيرة مندناو بالفليبين .

وقد غادر الأستاذ محمد عبد الرءوف كوالا لمبور بالطائرة إلى مانيلا وألقى حديثا على جمع كبير من المسلمين هناك كان موضوعه « العناصر الأساسية للعقيدة الإسلامية » وقد تبع الحديث مناقشة طويلة أجاب فيها الأستاذ محمد عبد الرءوف عن كثير من الأسئلة .

وقد زار أيضا المناطق الإسلامية الآتية :

سامبوانجا، جزيرة باسيلان ، جزر صولو . وقد ألقى محاضرة بجامعة الفيليبين فى مانيلا فى ٤ أبريل سنة ١٩٦١ .

عودة مدير الثقافة الإسلامية من مهمته الرسمية فى المغرب :

وجهت الجامعة المغربية الدعوة إلى السيد الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلامية بالأزهر لإلقاء عدد من المحاضرات الإسلامية والثقافية على طلبتها وعلى جمهور المغرب الشقيق فى المدن الكبرى . وقد استجابت مشيخة الأزهر لهذه الدعوة ، ووافقت على سفر سيادته إلى المغرب توثيقا لعرى المحبة ووشائج القربى ودعما للروابط الثقافية والروحية بين الجمهورية العربية المتحدة والمملكة المغربية الشقيقة .

وقد سافر سيادته فى ١٩ من شوال سنة ١٣٨٠ ﻫ الموافق ٥ من أبريل سنة ١٩٦١ م تلبية لهذه الدعوة، وألقى كثيراً من المحاضرات فى الجامعة المغربية وجامعة القرويين ومدن : الرباط ، وفاس ، وطنجة ، وغيرها ، وكانت محاضراته حديث الأوساط العلمية والدينية ، وحديث جمهور المغرب الذى استمع إليها . ثم عاد سيادته فى ٢١ من ذى القعدة سنة ١٣٨٠ﻫ الموافق ٦ من مايو سنة ١٩٦١ م بعد رحلة موفقة فى خدمة الثقافة الإسلامية والوحدة العربية .

الكتب

نقد وتعريف

بقلم — محمد عبد الله السمان

١ — السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى

للدكتور مصطفى السباعى

المؤلف ليس بحاجة إلى تعريف ، فهو رئيس قسم الفقه الإسلامى ومذاهبه فى جامعة دمشق ، وأستاذ الأحوال الشخصية فى كليتى الشريعة والحقوق هناك . وكتابه هذا هو الرسالة التى تقدم بها لنيل الشهادة العالمية من درجة أستاذ .

هذه الدراسة تتناول فى الباب الأول : معنى السنة وتعريفها وموقف الصحابة منها ، كيف نشأ الوضع فيها ومتى وأين ؟ جهود العلماء لتنقيتها وتصحيحها ، وتتناول فى الباب الثانى : ما تعرضت له السنة من شبه وخصومة ، قام عليها قديما فرق كالشيعة والخوارج والمعتزلة ، وحديثا آخرون كالمستشرقين والمرحوم الأستاذ أحمد أمين . والأستاذ أبى رية ، وتتناول فى الباب الثالث والأخير : مرتبة السنة فى التشريع الإسلامى .

وقد مهد للبحث برد ومناقشة لما كتبه الأستاذ محمود أبو رية فى كتابه أضواء على السنة كما ختم الدراسة بترجمة مركزة لكبار علماء الإسلام من مجتهدين ومحدثين : كالأئمة المجتهدين الأربعة ، وأصحاب كتب الحديث المشهورين . .

الكتاب دراسة واسعة شاملة ، بدا فيها الجهد الشاق الذى بذله فضيلة المؤلف ، فالموضوع دقيق له خطورته ، وأنت إذا قرأت كلمة المستشرق « جسب » : إن الإسلام مبنى على الأحاديث أكثر مما هو مبنى على القرآن . ولكننا إذا حذفنا الأحاديث الكاذبة لم يبق من الإسلام شىء . !

إذا قرأت هذا ، وضح لك أية نظرة خبيثة يسلطها الأعداء على كيان التشريع ، وأى واجب يفرضه الإسلام على المسلمين ليبلوا بلاء حسناً فى الدفاع عن السنة ، المصدر الثانى للتشريع الإسلامى . .

وفى الكتاب ظهر جهد المؤلف فى مناقشة الآراء القديمة للشيعة والخوارج والمعتزلة ، والآراء الحديثة للمستشرقين والمبشرين والكتاب المسلمين المحدثين . . كما ظهر جهده

فى مناقشة آراء علماء الإسلام المخلصين التى يأتى بعضها جانبا من الشبهة أو شبه الشبهة . . .

ولكن لنا ملاحظتين :

إحداهما : أن المؤلف حين ترجم لأصحاب كتب الحديث ، كانت ترجمته غاية فى الإيجاز ، وما كنا نطلب إسهابا فى دراسة شخصياتهم ، بقدر ما كنا بحاجة إلى توسع فى دراسة كتبهم .

وأما الملاحظة الأخرى ، فهى تتعلق برده على الشيخ أبى رية ، فالمؤلف بنى رده عليه على أساس إساءة الظن به ، وهذا ما لم نكن نتوقعه من عالم يملك علما وحجة ومنطقا ، فالشيخ أبو رية قال فى إهدائه الكتاب لابنه : « ما قصدت بتأليفه إلا وجه الحق . . » وابنه فى جوار الحق ، كما ختم بحثه بقوله : وما دام عملنا قد جعلناه خالصاً لوجه الله تعالى فإنا لا نطلب عليه من غيره أجراً . . وهذا يكفى لحسن نية الشيخ أبى رية ، والله وحده يتولى السرائر . . .

٢ — بطولات عربية :

للأستاذ محمود الشرقاوى : سكرتير تحرير مجلة الأزهر .

جال الأستاذ الشرقاوى بنا جولة تاريخية ، جاءت فى أسلوب قصصى طريف ، أبرز فيها معالم البطولة العربية لعدد من الكهول والشباب ، أدوا أدوارا خالدة فى الكفاح والنضال ، خلد التاريخ البعض ، وأهمل البعض الآخر ، وهدف المؤلف من دراساته كما ذكر فى مقدمته أن يوفى هذا البعض المهمل قدرا من الوفاء ، « فعشرات الكتب ألفت فى تاريخ وطننا العربى منذ مئات السنين ولكن السمة الغالبة عليها جميعا أنها تؤرخ للملوك والحكام والوزراء والعلماء وأصحاب الذكر والوجاهة والتصدر ، ولكنها لا تحفل بسواد الناس وعامتهم . . . »

فوق أرض المكسيك سجلت فرقة مصرية سودانية فى القرن التاسع عشر قصة من قصص البطولة ، أرسلها خديو مصر سعيد باشا لتعين نابليون الثالث فى حربه ضد المكسيك . . . ورجال حاميتى حصن « الأطة » و « الاسبتالية » خلال عدوان انجلترا على مصر فى معركة عرابى ، سجلوا موقفا خالدا رائعا فى الدفاع عن الحصن فى الإسكندرية . . وفى أواسط القرن الثالث الهجرى سجل صاحب الزنج دورا من البطولة مشرفا فى تحرير العبيد ، وكانت ثورته شيئا فريدا نادرا .

وعلى يد « على بك الكبير » حققت مصر استقلالها ، ووحدت البلاد العربية ، وإن لم يكن مصريا إلا أنه وغيره من المماليك كانوا فى ذاك العهد يعتبرون أنفسهم مصريين(١) .

والمعلم يعقوب زعيم القبط . . والجبرتى ،

[١] كان المصريون يرون هذا الرأى فى المماليك أيضا . والجبرتى — مؤرخ العاطفة المصرية — يسمى المماليك : الأمراء المصرية « مؤلف الكتاب » .

أدى الأول دورا سياسيا والآخر دورا أدبيا حيث أرخ بشجاعة وبطولة لفترة من الفترات الحالكة ...

والأمير محمد الكيلانى قاد من طرابلس كتيبة ليدافع عن مصر خلال غزو نابليون وسجل دورا من البطولة النادرة .

و « أبو نضارة » أدى دورا من البطولة بقلمه ، كتب المسرحيات اللاذعة التى ترمى إلى غايات سياسية وإصلاحية ، ولقى ما يلقاه قادة أصحاب الفكر الحر من الاضطهاد .

ومن الشباب : أسامة بن زيد ودوره فى غزو الروم ، والمقداد بن الأسود الذى قال للرسول فى غزوة بدر : يا رسول الله امض بنا إلى ما تريد ، وعبد الله بن جحش ودوره فى غزوة مؤتة ، وسعد بن أبى وقاص فى معركة القادسية ، ومحمد بن القاسم فى غزو الهند ، وموسى بن نصير فى فتوحاته بشمال إفريقيا ... وغيرهم .

الأستاذ الشرقاوى . . قدم دراسة تاريخية لا غبار عليها من حيث مقاييس الكتابة التاريخية ، ولكننا نختلف معه فى مقاييس البطولة التى اعتبرها فى بحثه .

فالفرقة المصرية السودانية التى ذهبت - مرغمة - لتسند بغيا [1] وتناصر عدوانا فوق أرض غريبة عن أرض الوطن ، لا يمكن أن تلحقها البطولة إلا من زاوية ضيقة ، هى احتمالها المشاق فى قتالها تحت راية عدوان أثيم ... ولا يمكن أن نضع هذه الفرقة بجانب فرقة الأبطال المغاربة التى قادها الأمير محمد الكيلانى إلى مصر لتقف بجانبها ضد عدوان فرنسا .

ثم المعلم نقولا الترك أى زاوية من زوايا البطولة يمكن أن نضعه فيها ، وقد قدم من لبنان ليعمل لحساب فرنسا ، ولا يمكن لعبارة سجلها وأشاد فيها ببطولة المصريين أن تؤهله للبطولة بحال من الأحوال (١) .

والأستاذ الشرقاوى فى تمهيده للبحث عاب التاريخ لأنه سجل للملوك والوزراء والقادة ، وكنا نود أن تقتصر دراساته على المجهولين الذين أهملهم التاريخ ، ولكن يظهر أنه نسى

---

[١] بطولة هذه الفرقة أمر لا شك فيه تسجله سيرتها التى فصلتها وقد أجمعت عليها كل الوثائق الخاصة بها والاعتبارات التى جعلت سعيدا يرسلها = إلى المكسيك شرحتها فى الكتاب - ص ١٠ - ولا تعارض بينها وبين ما أبدت هذه الفرقة من البطولة والشرف . المؤلف

(١) لم أصف نقولا الترك بالبطولة ، ولا يمكن أن يكون ذلك . وقد ترجمت له ترجمة وافية فى الكتاب : « ص ١٦٤ - ١٦٦ » . والفصل الذى يشير إليه الأستاذ الناقد عنوانه : « الفضل ماشهدت به الأعداء » ، والأعداء هنا هم نقولا الترك والفرنسيون الذين يتشيع لهم ويمدح قائدهم نابليون . والبطولة هى فى الأعمال التى قام بها المصريون بعامة والقاهريون بخاصة ضد نابليون وجنوده ، وهذا كله واضح مما كتبت فى هذا الفصل المؤلف

نفسه قليلا ، لحفل بالعظماء من أمثال عرابى وطومان باى وعلى بك الكبير وغيرهم .

٣ — بحوث فى تفسير القرآن :

للأستاذ محمد جمال الدين عياد

المؤلف شاب باحث تخرج فى الجامعة الأمريكية ، قدم لنا دراسة مستفيضة فى تفسير « سورة العلق » مناسبة نزولها ، والترتيب التاريخى لها ، وناقش آياتها آية آية ، مستعينا بكتب التفسير المعتمدة ، القديم منها والحديث والآراء العلمية أيضا .

وهو يقرر فى مقدمته أنه التزم فى هذه الدراسة القواعد المتبعة فى إعداد البحوث والرسالات الجامعية أيا كان موضوعها ، فالباحث فى الدين كالباحث فى العلم وفى الأدب وفى الفن . . كما قرر أن البحث ليس للعامة بل للخاصة ليكون مرجعا ، وقد قرر الواقع فى الفقرة الأخيرة ، إذ أن بحثا استوعب أكثر من مائة وستين صفحة من القطع الكبير ، فى تفسير سورة بلغت بضعة أسطر هذا البحث الطويل لا يفيد منه إلا من له وله بالبحث والدراسة .

المؤلف بذل مجهودا ضخما مضنيا فى تجميع الروايات المتعددة ، وناقشها مناقشة واسعة ومحصها تمحيصا ، ورجح منها ما رجح ، وأثبت مرجع كل عبارة أوردها ، واستعان بالرسوم الموضحة فيما يتصل بالأجنة .

والذى يضفى على البحث جانباً من التقدير هو تجميع المؤلف للروايات المتباينة ومناقشتها وعرضها عرضا سليما ، ولكن الذى لا نكاد نلمسه إلا فى القليل من أبواب هذه الدراسة أن يكون المؤلف قد أتى بشىء جديد ، فترجيحه مثلا لكون سورة العلق أول القرآن نزولا بعد عرض الروايات الكثيرة ، معظم التفاسير قد سبقه إليه ، وفى مقدمتها تفسير الإمام القرطبى .

والمؤلف ناقش لفظة « العلق » ونفى أن تكون « دما جامدا » كما أشارت إلى ذلك تفاسير القرآن ، بل العلقة طور يلى النطفة وذكر أن تفسير العلقة بالدم الجامد تفسير تسمح به اللغة ولا يسمح به الطب أو علم الأجنة خاصة ، واستشهد لتأييد رأيه بدراسات لويس وهارتمان من العلماء ، وهى دراسات لها قيمتها العلمية .

أما قول المؤلف : إن تفسير لفظة « العلق » بالدم الجامد مما ذهب إليه المفسرون قديما وحديثا ، فما لا نقره عليه ، لأنه اتضح من المراجع التى أثبتها أنه لم يستوعب كل التفاسير القديمة ، والتفاسير الحديثة لم يرجع إلا إلى عدد يسير جدا منها . وعلى كل فالأدلة الشرعية كما لا تناقض قضايا العقول — كما يقول الشاطبى — فإنها أيضا لا تناقض نظريات العلم المجمع على صحتها .

وفى نهاية البحث ناقش آراء الدكتور

وصفى التى وردت فى مؤلفه «القرآن والطب» عن النطفة والعلقه ، وذكر المؤلف أن الدكتور يتفق معه فى أن العلقه ليست الدم الجامد والدكتور منذ ربع قرن دائب على نشر بحوثه ، وبقى أن نقرر نحن تقديرنا لجهود المؤلف فى هذا البحث القيم .

٤ — بين الأدب والصحافة :

للأستاذ فاروق خورشيد

المؤلف — كبير المذيعين بالقاهرة — أديب دارس ، وباحث متعمق ، أصيل التفكير ، وحر الرأى ، وكتاباته هذه فى مؤلفه الجديد دراسات عميقة تناولت : أزمة الأدب ، وأدب الصحافة ، وأزمة المجلات الأدبية ثم الصلة بين الأدباء والصحفيين .

أزمـــة الأدب فى صحافتنا قضية مسلمة لا جدال فيها ، فالصحافة التى كانت من قبل كاهنة فى محراب الأدب تستمد منه وجودها وبقاءها . . كتاب الأدب والنقد هم العمد الأساسية فى بناء أى صحيفة ، وقارئ الأدب هو المستهلك الأول للصحيفة وكانت الصحف تصطرع فى احتكار أكبر عدد ممكن من الأسماء اللامعة فى دنيا الأدب ، تفرد لهم أهم صفحاتها وتخضع هذه الصفحات لاحتياجاتهم التى توضع فى الاعتبار . .

أما اليوم فقد غدا الأدب غريبا فى صحافتنا . يحس الجميع أنه ضعيف ثقيل ينبغى التخلص منه ، فهو تارة يهمل إهمالا تاما ، وهو مرة أخرى يبعد إلى ركن قصى بعيد حيث يتوارى فى خجل وحياء . .

الشعر خسر المعركة . . والقصة تصمد فى المعركة . . ولكن إلى أجل ، وهى اليوم قصة صحفية لا تعبر دائما تحكى ، وبقى أدب الصحافة الذى أضر بقضية الأدب نفسه أيما ضرر ، وأما أزمة المجلات الأدبية فهو مما لا يحتاج إلى تعليق .

وقدم الأستاذ فاروق خورشيد دراسة مركزة بعد ذلك تناولت :

الخبر ، والريبورتاج ، والشعر ، والدراما ، والرواية ، والدراسة الأدبية ، والقصة القصيرة ، والمقال ، والنقد الأدبى ، قدم المؤلف الأديب هذه الدراسة لتوضيح العلاقة والرابطة بين الأدب والصحافة .

والحق . . أن المؤلف كأديب متقن ، أخلص للأدب فى دراساته ، وبدت على قلمه الغيرة على الأدب من أن تجرفه الصحافة ، لا سيما وقد أصبح أدب الصحافة يمثل مكانا مرموقا ، وهو أدب من شأنه أن يجعل من صورة حياتنا مسخا مشوها لا جدية فيه ، والأمل الوحيد هو الرعيل الذى يمثل خط الدفاع الأخير من أصحاب الأقلام الذين لا زالوا يرفعون القلم فى تشبث وإصرار ؟

محمد عبد الله السمان

in seclusion in its strictest from. The rise of modern society in Europe tended to create a change in this system, and the establishment of convents and nunneries served to ameliorate their conditions to some extent.

In the early days of Islam, till the extinction of the Saracenic Empire in the East, women continued to occupy an exalted position as in modern society. There are several women who have distinguished themselves and whose names remain outstanding. Zubaida the wife of Haroon, was well accomplished and played an important and prominent part in the history of the age. Humaida, the wife of Faruk and the mother of Rabya-ar-Ray, one of the most distinguished jurisconsults of the day, was the sole guardian of her son and educated him whilst Faruk was away for many years engaged in battles in Khoraasan. Further we could see in Sakina the grand-daughter of Ali, the most brilliant and accomplished and virtuous woman of her time. Besides them, the ladies of the family of the Prophet were famed for their knowledge virtues and strength of character. Sheikha Shuhda in the 5th century Hijra was called "FAKHR-Un-Nisa", lectured at the Cathedral Mosgue of Baghdad to multitudes on poetry, literature and rhetoric. Her name and glory has a revered place in the annals of Islam together with with the most distinguished "Ulema"

Besides these there are several instances of women who have distinguished themselves in Islam and "The short History of the Saracens" - Macmillan - deals with in more detail.

The improvement of the status of women in Islam by the Prophet cannot be doubted by any except the prejudiced. Under the laws as they exist at present, the legal position of the Muslim females compare favourably with that of their European counterparts. She remains under the parental roof only so far as she remains unmarried, and until she attains majority she is subject to parental control. On her coming of age the law vests in her all rights of an independent human being. As regards inheritance, she enjoys her right to her share although the proportion is different. As regards marriage, a woman who is a major cannot be forced to accept a marriage contract and upon her marriage she does not lose her individuality nor does she cease to be a separate member of society. The husband has no power over her person beyond limits specified by law and her goods and property are her own. Where she is a major, she acts in all matters relating to her person and property in her own individual right without intervention by the husband, or her father. She is considered in all respects a person SUI JURIS.

It must be considered that in many respects she occupys a better position than her European counterpart and if there is any backwardness it must be attributed to the cultural backwardness of the community as a whole.

of proper maintenance and unless proper cause was shown for a separation she lost her dower.

It must be borne in mind that in Islam, marriage is considered an insitituttion to which sanctity is attached so that human beings may guard themselves from unchastity and evil actions. Divorce therefore is detested and there are frequent admonitions in the Quran against separations and urging reconciliation between the parties.

The seclusion of women in Islam was an ancient system which was borne out of certain circumstances in uncertain and uncultured communities, and had its advantages. It has been frequently argued that this system tended to degrade the status of the women. But on the contrary it must be noted that this argument is incorrect and that it was borne out of necessity and that this system apart from being practised by the Muslims was also in force amongst the Persians, Chinese and the Spanish peoples in South America. The prophet, in view of the Laxity of morals which was widespread among all classes of people, recommended this system of observance of privacy but he did not intend that this observance must be as rigid as one finds it today amongst certain Muslims in countries such as India, Pakistan Ceylon and other oriental countries. As a matter of fact the strict seclusion of women is wholly contrary to the reforms the Prophet introduced and the Koran itself does not warrant he complete and strict or rigid sec-- tlusion. It is therefore a mistake to conceive that there is anything in law to perpetuate such a custom whose growth was geographical and dependant upon circumstances.

There are several instances of immunity of seclusion enjoyed by the members of the family of the Prophet. Ayesha who was the daughter of Abu Bakr, married Mohammed on Khadija's death and she led ihe insurrection against Ali. She led the troops at the famous "Battle of the Camel ". The Prophet's daughter Fatima often took part in deliberations regarding the succession to the Caliphate. Mohammed's grand-daughter, Zainab, shielded her nephew from the Ommayyads after the massacre of Karbala.

The Prophet's advice regarding the observation of privacy was to check the depravity of morals and the tide of immorality which had seeped into the foundation of society amongst the pre-Islamic Arabs, the Christians and the Jews, and which chaotic state of affairs needed some correction. Till the time of his admonition to observe seclusion, there existed among the pagan Arabs a custom of polyandry and his counsel only served and was intended to insulate his followers from this evil influence.

The position of women in Christianity was at its lowest. The orthodox church excluded women from the exercise of religious functions and from society. They were prohibited from appearing in public and from attending feasts and banquets, They were directed to remani

neglect and the whims and fancies of the man. This stringent condition has been subject of severe criticism by Sir William Muir who terms it as a "revolting condition". He erroneously thinks in citing a proverb that Islam positively supports or sanctions the hiring of a temporary husband, to legalize a remarriage with a thrice divorced wife. The idea of having the wife who had been divorced married to a third person, on an express understanding that he would divorce her in favour of her former husband, was denounced by the Prophet and hence the stringent condition imposed by Him. Its very existence demonstrates how strongly the principles of Islam are opposed to a dissolution of the marriage by divorce. The object of such a stringent condition was solely to avoid a definite dissolution of the marriage by appealing to the sense of honour of the people. Muir ignores, that amongst a proud, jealous and sensitive race such as the Arabs, such a condition was one of the strongest deterrents for the evil. The proverb itself denotes what a disgrace it would have been to a husband to suffer his wife to go through a "Shameful process" if he repudiated her finally and intended to get her back.

As stated earlier it was the habit and constant practice, widespread amongst the Jews and the pagan Arabs and with the Christians too, of repudiating the wife on every slight occasion, at every moment of senseless passion and caprice. This stringent measure was intended to check one of the most sensitive nations of the earth, by acting on the strongest feeling of their nature, their sense of honour.

On the other hand M. Sedillot speaks of the rule in full agreement with the Mohamedan jurists, in thinking that this rule was laid down with the sole object of restraining the frequency of divorce in Arabia where moral depravity amongst the Jews, pagan Arabs and Christians was rife. Sedillot speaks of the condition as a very wise measure which rendered separation more rare, by imposing a check on its constant practice among the Jews and pagan Arabs. Sautayra says that this check was intended to control a jealous, sensitive, but half cultured race, by appealing to their sense of honour.

The reforms of Mohammed therefore restrained the power of divorce of husbands and gave women the right of obtaining a separation on reasonable grounds, and towards the end of his life he practically forbid its exercise by men without the intervention of arbitors or a judge. To Him, " the pronouncement of Talak was to be the most detestable before God of all permitted things " for it thwarted conjugal happiness and constituted an interference with the upbringing of the children.

As much as the husband posseses the right to divorce his wife, Islam permits the wife to obtain a divorce from her husband for some serious cause such as Ill-usage, lack

Divorce had been recognized as a necessary corollary to marriage amongst all nations of antiquity. This right subject to exceptions was exclusively reserved for the man, and the woman was disentitled to claim a divorce. With the progress and advancement of civilization there began a partial amelioration of her condition and she acquired a qualified right of divorce.

The ancient Hebrew Law permitted the husband to divorce his wife for any cause which made her disagreeable to him and there were few or no checks to the arbitrary or capricious exercise of the husband's rights of dissolution of the matrimonial ties. The women on the other hand were deprived of the right to demand a divorce for any reason whatsoever. At the time of the advent of the Prophet, the doctrines of the school of Hillel were in force amongst the Jewish tribes of Arabia and repudiations by husbands were as common as amongst the pagan Arabs. This practice was followed by the Athenians too, whose rights were unrestricted in as much as amongst the ancient Israelites.

Divorce amongst the Romans was exercised since earliest times. The Laws of the Twelve Tables recognized divorce. The wife had no right to sue for a divorce and should she choose to do so, she was liable to punishment.

Amongst the Arabs, the husband had an unlimited power of divorce and they recognized no rule of humanity or justice in the treatment of their wives. Mohammed disapproved the custom of divorce and regarded its practise as calculated to undermine the foundation of society. Conditions at this time were such that it was difficult to abolish the custom In Toto. He was to mould the mind of an uncultured and semi-barbarous community to a higher development so that with the passage of time his lessons might change their hearts.

Although it being an undesirable custom he permitted the exercise of the right of divorce subject to conditions. In order to ensure reconciliation between the parties he permitted three periods and failing all attempts at reconciliation, the final separation was to take effect on the third period. He encouraged and prescribed arbitration as a mode of solution to matrimonial disputes rather than have recourse to the evil of exercising a divorce. It was further laid down that where the parties have been irrevocably separated after the third and final repudiation, the parties cannot reunite unless and until the wife had undergone her period of Idda and married another man and thereafter was divorced by him after consummation of the second marriage, and had undergone Idda thereafter.

It is therefore obvious that from the aforesaid condition regarding a reunion between parties after final repudiation, divorce has been discouraged and protection was afforded to the woman against willful

far as to destroy and burn alive many female children and this custom which was predominant among the tribes of the Koreish and Kindah was denounced by Mohammed in no uncertain terms and prohibited under severe punishment. The sacrificial offering of children to gods was also prohibited.

The reforms introduced by Mohammed was at a time when the social structure was falling apart on all sides and older systems were found wanting. The Prophet of Islam enforced " Respect for Women" as one of the essential teachings of his creed.

The laws which he promulgated strictly prohibited conditional marriages and though he at first tacitly permitted temporary marriages, later these were forbidden in the 3rd year of the Hijra. Mohammed in his system secured to women rights and previleges which they had been deprived of and never before possessed· Women were placed on a perfect footing of equality with men in the exercise of legal powers and functons. The practice of polygamy was restrained by limiting the maximum number of contemporaneous marriages and equity towards all was obligatory upon man. The Koran gives the permission to contract four contemporaneuos marriages.

This permission is however subject to the proviso contained in the following Koranic verse.

It is therefore clear that while one verse grants the right to contract a polygamous marriage, the succeeding proviso by imposing conditions merely restricts its exercise. The subsequent condition or proviso which is based on equity not merely limits to the requirements of food, clothing and shelter but also to complete equity in love, affection and esteem. It would obviously therefore seem that as abolute equity in affection is impossible, the proviso to the permission in the Koran for four contemporaneous marriages is merely a prohibition.

The existence of polygamy which was dependant upon circumstances of society such as the absolute necessity for the preservation of women from starvation or utter destitution—the greatest proportion of the mass of immorality in the west arises from absolute destitution — is fast disappearing in all advanced Moslem communities and the conviction is now being held that polygamy is as much opposed to the teachings of Prophet Mohammed as it is to the progress of a civilized state and society. The progress of human thought coupled with the changing conditions in the present world has caused a drift away from polygamy and its tacit abandonment.

With regard to the Koranic laws relating to treatment of women in divorce, it is manifestly clear that they are of better regard for justice than those of any other scripture. The subject of Divorce in Islamic Law has been a fruitful source of misconception and controversy.

this view has been incorrect. In point of fact it has been said that the greatest adviser of Justinian was an aetheist and a pagan. The Law of Justinian prohibiting polygamy although it represented a marked advancement of thought, failed to check the tendency of the age and was considered by the masses as a dead letter.

The upheaval of the barbarians in Western Europe and the intermingling of their ideas with those of the people amongst whom they settled tended to degrade the relations between man and wife. The Theodoric Code of Laws attempted to deal with polygamy but the monarchs who practised plurality of wives were quickly followed by the people. Despite the oath of perpetual celibacy held out to them by the Church, the clergy practised plurality of wives.

It is therefore undoubtedly clear that the institution of polygamy existed prior to Prophet Mohammed and the greatest error committed by the Christian writers is to state that Mohammed adopted or legalized polygamy. The notion entertained by most writers that Mohammed introduced it is either a display of crass ignorance or a deliberate attempt to distort facts.

Mohammed found polygamy practised not only among his own people but of the neighbouring people too where it was most degrading. The Laws of the Christian Empire had failed in its efforts to correct it and consequently polygamy flourished.

The corrupt and deplorable morals in Persia led to no recognized system of law of marriage and the Persians indulged in a multitude of marriages without taking into consideration the innumerable concubines they had in their possession.

Amongst the ancient Arabs and the Jews, besides the system of plurality of wives, there existed customs pertaining to conditional and temporary marriages and such loose morality had a disastrous effect on society.

The reform instituted by Mohammed in fact created a vast change and marked improvement in the position of women whose condition amongst the Jews and non-nomadic Arabs was degraded. The daughter of a Hebrew was in the position of a servant capable of being sold, if a minor, and also could be disposed of by will or testament. She inherited nothing except in the absence of males. Even among the settled pagan Arabs who were influenced very much by the neighbouring corrupt empires a woman was a mere chattel and she formed an integral part of the estate of her husband or father. The widows of a man descended to his son or sons by the right of succession and inheritance by patrimony. Thus we get the frequent unions between step-sons and step-mothers which were subsequently forbidden by Islam. Polyandry too was practised by the half-Jewish half-Saebaean tribes of Yemen.

The aversion towards women by the pre-Islamic Arabs went so

the subject of an ordinary sale or testamentary disposition. The Athenian was permitted to possess any number of wives and Dollinger in "The Gentile and the Jew" states that Demosthenes gloried in the possession by his people of three classes of women, two of which furnished the legal and semi-legal wives.

On the contrary it should be noted that while the Spartans were prohibited from adopting this practice unless for special circumstances, the women enjoyed the right, and always exercised the right to have more than one husband.

Plurality of marriage was a previleged custom amongst the Etruscans too. Amongst the Romans the sanctity of marriage was a mere byword and this was due to the constant contact for centuries with the other Italian states and principalities, the wars and conquests and the desire for luxurious habits engendered by success. Marriage became a simple practice of promiscuous concubinage. Concubinage recognized by the state laws acquired the force of a previleged institution. Consequently the loose marital ties that existed between the husband and wife and the frequency with which wives were changed or transfered made marriage a polygamous relationship and society became promiscuous where maternity was a fact while paternity was a matter of opinion.

The Laws introduced by Justinian prohibiting polygamy did not bring about a change in the moral ideas of the people but on the other hand continued till its condemnation by modern society. The wives of a person, with exception of the first wife, suffered severe disabilities and were deprived of any rights and safeguards. The children were considered illegitimates and deprived of any right of inheritance to their father and further, were ostracised from society.

This chaotic state of affairs was not merely confined to the aristocracy alone but even extended to the clergy who forgetting their vows of celibacy contracted more than one legal or illegal union. Until very recent times, polygamy was not considered so reprehensible as it is today. St. Augustine found no intrinsic immorality in it and declared that polygamy was not a crime where it was the legal institution of a country.

Hallam points out that the German reformers as late as the 16th century acquiesced in the validity of a second or third marriage contemporaneous with the first, in the absence of issue and other similar causes.

Emperor Valentinian II, by an Edict, permitted his subjects to marry several wives if they chose to do so, and the ecclesiastical churches and Bishops raised no objection to this law. All the succeeding Emperors practised polygamy and the people followed them likewise. These laws lasted till Justinian who brought to an end the prevailing state of affairs. It has been said that the laws of Justinian were largely due to the influence of Christianity, but

"Polygamy and the Status of women in Islamic Society"

BY

A. M. M. SALMAN

Polygamous marriages in Islam and the status of women in Islamic society have been the subject of much discussion by many writers. It has led to an abundance of criticism some of which have been founded unjustifiably. Certain writers amongst the Orientalists have spared no pains to portray to their readers that the women in Islam enjoy an inferior position to that of their counterparts in the West and that they were treated as chattels. As a matter of fact this subject has not been treated in a just and equitable manner but on the contrary viewed with religious bias and prejudices.

The Holy Quran has dealt with this subject and it clearly indicates that women in Islam enjoy as much rights as they are subject to duties.

It is necessary at the outset to consider briefly the various stages of social development and upon a consideration of them, one is inevitably led to conclude that polygamy was an unavoidable circumstance. The system of polygamy must be attributed to the constant feuds that had arisen in society resulting in the decimation of manpower and the consequent increase of women in society.

Polygamy was a recognised institution in ancient times amongst the nations in the East and was largely practised by the Emperors who professed a divine right to rule and thus making the observance of such practice a sanctimonious one.

In as much as there was no restriction in ancient times among the Hindus as regards polygamy, this practice was followed by the ancient Persians, Assyrians and Babylonians as well, whose rights to possess as many wives as they wished were unrestricted. Even among the Israelites too, polygamy existed before the time of Moses, who continued such a custom without restricting the right of the Hebrew husband to contract as many marriages as he thought fit. Later the Talmud of Jerusalem restricted the number to the ability of the husband to maintain his wives properly. The custom of plurality of marriages was practised to an unlimited extent among the Thracians, Lydians and the Pelasgian races in Europe and Central Asia, and dwarfs all comparison with the practice prevalent elsewhere.

The Athenians, who were the most civilized and cultured amongs the nations of antiquity, considered the wife as a mere chattel capable of being

outcome of the Crusades. Sheikh Muhammad Abdu says : 'There is no other nation that detests the Moslem because he is a Moslem, not for any other reason, except France. Whenever I had an interview with a Frenchman to discuss the conditions of the East with him, I felt disgusted and all my body quivered. In case a Frenchman praises Islam and mentions some thing about its merits, he is certainly after a French benefit." when he states this, Muhammad Abdu gives a vived discription of the French mentality which was much more influenced, than any other western mentality, with the defeats of the Crusaders by the Moslems in the East during three centuries.

Bold as it has always been to stand the imperialistic challenge in general and the French one in particular, and because, despite this defiance, it has managed to exist and to preserve the Arabic and Islamic heritage which it has always cared for throughout its long history, Al-Qarawiyeen Mosque is, in fact, a fortress on the solid rocks of which are crushed all the attempts of the French imperialism to erect a barrier between the past and the present of the Arab community in Morocco and to induce the generations brought up within its sphere to forget the fundamentals of their original community. It is also regarded as a source of protection of the Islamic and Arabic revival motives with which it has pushed the Arabic awakening forward so as to ensure sovereignity of the Aarbs over themselves and superiority of Islamic values in their midst. In this way the independence of Morocco has been realised, so has the independence of Egypt, Libya and Tunis, and so will the independence of Algeria take place sooner or later, owing to the fact that it is but a portion of the Arab nation, and because the real fundamentals of the Algerian commnnity are only represented in the Arabic Language, Islam and in the common history of the Arabs. These are the factors that have led to victory over, liberation from, and defiance to, the imperialistic authority, and that have helped the Moslem Arabs in their struggle for victory and liberation.

Not only has Al-Qarawiyeen Mosque kept the spiritual, mental, Arabic and Moslem heritage and the Arabic Language from harm and decay, but it has also preserved the Arab nation in Morocco from dispersion, subordiancy and annihilation.

Notwithstanding the mockery, scorn and belittlement to which they may be exposed and regardless of the stagnation, conservatism and back, wardness of which they are sometimes accused, the learned Qarawiyeen have to feel proud, simply because they are the valiant soldiers who have deprived themselves of enjoying a comfortable life for sheer exaltation of the Arab nation and to ensure the stability, purity and ever lastingness of the Islamic mission.

education of native children in the countries where they are founded· these French schools do not try to make the best use of the national energy to educute the natives, nor do they aim at instructing the national characteristics. On the contrary, they spare no effort to 'make' the native children whom they teach (whether in Morcco, Egypt, Iran or Indo China) exactly the same as the french students in France in appearnce, language, way of thinking and adoration of france as a colonial country"(1).

Al-Snyed Abdel Meguid Ibn Galwin in his book 'This is Morocco' describes the double-edged scheme of imperialists. Here we quote him. His description (translated into English) runs as folows : " The French and the Spanish have managed to bring the National Education Department under the imperialists' adminisration, thus utilising it as a political instrument. In this way, education has become restricted, controllable and exploitable, as the new governing authority has come to believe that the spread of learning is apt to menace it to the very root. Hence, education in the country is destined to be carried out according to imperialistic principles that aim at realising the following.

1) The upbringing of a certain class of narrow-minded officials who will be mentally unfit but will only serve as 'mere instruments'.

2) At school, students should be given but very little knowledge lest those who acquire more should grow up into beings endowed with such a mentality as will enable them to have a good and thorough understanding of life.

3) The use of the Arabic Language in education should be brought to a minimum. Education should be devoid of all that creates national pride or inspires it, such as history and literature; it should on the other hand be admirably overfilled with the glories of the French aud the Spanish.

4) Establishing French and Spanish schools.

5) Reviving the barbarian language and making it fit for writing.

6) Prevention of any contact with Egypt and bringing the cultural relations between the two countries to a stop. (1)

Well, if the French imperialists differ from other Westren imperialistic powers in the fact that they take wider and quicker steps in the execution of the common scheme devised by imperialism in the Arab countries, this is perhaps due to the abhorrences that were the natural

(1) 'Preachership and Imperialism in the Arab countries' : by Omar Faroukh & Mustapha El-Khalidi, Page 114.

(1) 'This is Morocc' : by Abdel-Meguid Ibn Galwin, Pages 141-142.

the rules of which they assumed themselves to be strongly related.

It is important to note, however, that the imperialistic challenge which the Qarawiyeen Mosque faced and the fight raged against the values included in the Islamic and Arabic heritage (which the aforesaid mosque cared for and for the preservation of which it held itself responsible) were much more vigorous than any other fight or challenge faced by any other part of the Arab nation.

Similarly the bitterness of mockery and spite, to which the learned men of the Qarawiyeen Mosque and its students were exposed, as well as the bitterness of sectarianism that was created by imperialists under the pretext of 'old-fashionedness', was far greater and more deeply felt than in any other part of the Arab nation. In a description of the scheme devised by imperialists to ensure the forementioned challenge and to undermine values and mock at their adherents or those who boast of them, Monsleur Collièze, the French protectiun delegate says :

"When we signed the protection contract we were faced by an existent state of things. In Fez there was the Qarawiyeen University which, during ten centuries, kept supplying the African Moslem countries with eminent men of learning and genius. In towns as well as in the desert there were a large number of 'Kuttabs' for teaching the Quran. These 'Kuttabs' were provided with all they needed by the Sultan, the Wakfs or by common individuals. As a matter of fact there was a lively and charming collection of big and small schools in which teaching was carried out under the shade of tents in town qwarters. The protection waged war upon such cultural institution in Morocco by locking a large number of the schools that ware the remnants of the old-fashioned system of education. The protection also made continuous hostile attacks on Al-Qarawiyeen University and its branches in Morocco, Meknes, Rabat, Tangier and Wagda. and on all the Koran tutors". (1)

Concerning the aims of the schools established by imperialists especially the French ones, Ustaz Omar Faroukh (Ph. D) and Ustaz Mustapha El-Khalidi (Ph. D) state the following :

"The French schools follow one constant policy and, as a rule, one leadership of 'headquarters'. Wherever they open their gates for the

1) Morocco Since the First world war : by Alla El-Frssy, Pages 69 & 70.

exaggeration or promptness of action. What happened in Morocco after the French occupation in 1912 and in Tunisia in 1881 exactly resembled that which took place in Libya after the Italian occupation in 1912. It was a true copy of that occupation in Egypt after the English occupation in 1682. After occuptation no heed was paid, in any of the occupied countries, to the Arabic Language, the Arabic and Islamic heritage or to the characteristic ideals and values which prevailed among the Moslems and the Arabs and distinguished them from other communities.

At the time when there was but neglect of all the above-mentioned, so much care was increasingly and gradually given to the values and ideals of western life, and to the European culture and ways of thought, that the natives, wherever they were in any of the occupied Arab countries, were about to forget their past and boast of nothing but their present. There was neglect not merely of the Arabic Language and the Arabic and Islamic heritage whether spiritual or mental, but there was also sarcasm, mockery and belittlement of the language and of all those who had to deal with it. Furthermore, the natives who did nothing but mention the bare values of the language or boast of being related to or adherents of, it were met with mockery and belittlement whether in whispers or in public.

Consequently, Al — Qarawyeen Mosque in Morocco, Az—Zeitoonah Mosque in Tunisia, the Sinousian one in Libya and Al-Azhar Mosque in Cairo had to face this challenge which was sometimes hidden but mostly open. These mosques also had to oppose and resist this destructive assault which was directed to the dearest of the Arab nation's possessions the only thing on which its renaissance depended when time allowed it. This dearest property is represented in its mental and spiritual heritage, its values and ideals in life, and in its language and history which is full of glories, heroisms and deeds that inspire pride and exaltation.

The learned men of Al-Qarawiyeen, Az-Zeitoonah, the Senousian and Al-Azhar mosques had to shoulder the burden of struggle and endure the bitterness of contempt and mockery to which they were exposed under the pretext of either 'progress' or "western civilisation". It was their duty, then, to stand in the face of sectarianism which grew strong and which had been created by the imperialists aud given the name 'modernism as opposed to 'old-fashionedness' a modernism according to

selecting some 'tools' from the occupied country.

In order to ensure continuity of occupation, an easy exploitation of the economical resources of the occupied country and making use of the human energy of the occupied people, imperialism relies on undermining all relations between the past and the present : between the newly occupied generations and the mental and spitiual heritage, the past glory and the former pevailing values and ideals of their forefathers.

In order to guarantee such undermining of relations between the past and the present, imperialists follow various vile means !

A — Firstly imperialists do their utmost to weaken the national language. With this end in view they neglect teaching it to the youngsters, underappreciate its characteristics and look down upon those who, in their conversation, pronunciation, writings and authorism, are bold enough to show their pride in it.

B — Secondly they do their best to find out faults and weaknesses in the works and thoughts of former writers and then seize the opportunity to belittle the whole heritage.

C — Thirdly the imperialists rewrite the history of these predecessors, depriving it of the heroic tales and all that incites pride and valour. Besides, they deliberately distort history by new false additions of various incidents and by wrong, misleading interpretations of some of the events that did happen.

d) Simultaneously, the imperialists present their language, mental heritage, ways of thinking and their history in such a way as can induce the reader to accept them with pleasure, care for them and admire their values. Imperialists also set the curriculum of the schools founded after the occupation so that their values, ideals and behaviour in life are deeply and strongly impressed in the minds and lives of young children. In this way the new generations that are doomed to live or be born after the occupation find no objection whatsoever to be subordinates of the occupying imperialists. Owing to the fact that these new generations are ignorant of their past, they fail to find any support if they want to be rather unfettered by this subordinacy or if they wish to restore, at a certain time, their independence in personality and administration.

What imperialists have been doing since the nineteenth century is always the same. They do not differ from one another except in

time, as regards life and religion. It might, as well, be due to the fact that they would rather remain within the circle religious culture, so as to devote all their time to care for it and to ensure its preservation from deterioration or decay.

Yet, had it not been for the sacredness of religion and the nature of faith in it, there would not have been any care for the Islamic Law, for the Prophet's sayings and traditions, for interpretation and all that has something to do with the explanation of religion nor for the study of the Arabic Language which is the only means to a keen and deep grasp of the principles of religion. Now, if the nature of religion means unchangeability of its maxims a matter which may be reflected on those working on the field, being in some period less responsive or less sensitive to the other revolutioary changes taking place either in their own community or in the outside world if this is so, then the very nature of religion and its main bases, namely, holiness and faith are the chief causes of the survival not only of the subjects related to it but also of the studies connected with the Arabic Language which serves as a means to the study of religion. We then come to the conclusion that Al-Qarawiyeon Mosque is the chief factor in the preservation of the Arabic and Islamic heritage owing to the fact that it is a 'mosque' and that all the diverse types of subjects taught in it did have a relationship with religion, though as a matter of fact, the people of this mosque, irresponsive as they were keep to the external events, could not pace with the outside world in the tremendous changes brought about in thought, authoring, research and types of representation. Thus the preservation of the Arabic and Islamic past culture was, throughout its long history, one of the characteristics of the Qarawiyeen Mosque though this preservation and the care for what was to be preserved took different forms.

After the French Occupation in 1912.

Since the nineteenth century Imperialism has primarily depended upon the establishment of chaos in the economy of the country which it intends to occupy, as a preliminary step to its intervention in the internal affairs. It has also depended on laning armed forces to occupy positions of strategic importance in the administration of the most important and sensitive parts in the machinery of the government by some of the men of the occupying country and by

the list are the following : Ibn Baja (a philosopher), Lessan Ed-Din Ibn-el-Khateebthe well-known minister, Abul-Ala Zuheir and Abu Muhammed El-Qasem Ibn Muhammed El-Ghassani (men of medicine), and Ash-Sheif El-Edreecy(1) (a vegeterian geographer).

Owing to the mingling of these learned immigrants with the learned people and students of the Qarawiyeen Mosque, the cultural revloution in the Islamic heritage flourished and covered nearly all the fields of culture previously known to the early Moslem learned people, such as religion, study of the universe, physics, philosophy and mathematics, besides the Arabic Language and all the studies related to it. That is why this very period is considered to be the golden era in the history of Al-Qarawiyeen Mosque. It reveals on the one hand, the vigour of scientific life and, on the other, the vast and deep understanding of what is termed " the Islamic heritage" and of its survival and Protection.

This state of affairs did not, however, last for long. The scientific movement which once flourished in the Qarawiyeen Mosque soon deteriorated even before the French occupation took place in 1912. This was not wholly due to the deterioration of the Islamic Arabic communiy in Morocco ; it was mainly ascribed, as we have already indicated, to the isolation of the Qarawiyeen learned men away from life and the events that occurred in it. They were, perhaps, not to blame because of the close relation that exists between their cultural profession and mission on one side and the characteristics of the nature of religion on the other.

The principles of religion, exactly the same as other principles of life, are unchangeable. A principle, in the true sense of the word, cannot be so called unless it has attained a certain degree at which it is to be considered both as a model and a goal which everyone tries hard to reach or approach. Again, learned people whose scientific and cultural work is confined within the limits of sacred important and unchangeable maxims are not so much influenced by the events of the outside life, contrary to those who are fully engrossed in the events of life, the latter have got the chance to watch, study scrutinise and judge.

So if the learned Qarawiyeen laid aside the study of mathematics, philosophy and natural sciences away from the field of the Islamic Arab heritage this might be due to their own way of thinking, at that

(1) Lévi-Provençal, Initiation au Maroc.

people who preserved in their hearts the principles of their past culture, the defenders who protected their values through their own logic and thought, and, last but not least, they were the teachers who, through orally handed down this heritage to the generations to come. In this way, they proved to be the sole supporters of this heritage that could not have survived without their efforts.

The following is a translation of an extract quoted from an essay written by Lévi-Provençal in a book entitled : Initiation au Maroc. (P. 172):

I should like to draw the attention to Fez which has become an important centre of culture since the beginning of the fourteenth century in particular that is to say, after many Moslem learned people immigrated to Morocco, immediately after the Iberian Peninsula (Spain and Portugal) had fallen anew under the rule of Christianity. This occurred almost exactly in the fourteenth century. Thus, the fact that Fez has become an important centre of culture is mainly ascribed to the prominent role played by this ancient university : Al-Qarawiyeen Mosque".

Obstacles and Difficulties :

Al-Qarawiyeen Mosque throughout its long history is more or less like a living creature whose growth may, at a certain stage, be hindered owing to an internal factor which is closely connected with its own bodily construction. The hindrance may as well be due to an outside factor that resists its growth and prevents it from proving its own existence.

The Qarawiyeen Mosque was, as a matter of fact, influenced by both factors. If suffered from its own weakness as well as from foreign attack. If, at a certain period, the Arab community in Morocco was, to some extent, held responsible for the weakness that befell the mosque, the responsibility fell more heavily upon the learned Qarawiyeen themselves who were in charge of it. They were but little influenced by the events of life on account of the fact that they thought it better not to take any part in what was going on among the Arab community in Morocco and, at the same time, preferred to be isolated from the social and revolutionary ideas and events that occurred in the outside world.

We all know that after the fall of Andalusia under the reign of Christianity in the fourteenth century emigrated a large number of the Mohammedan eminent learned men who specialised in different fields of science and knowledge. Leading

at Fez* in the year 245 after the Hejira, if we want to trace back the influence of this mosque on the culture of various successive generations from the beginning of the first half of the fourth century of the Hejira up till now, if we want to determine exactly its job (which was sometimes so difficult that it did but very little and sometimes so easy that much was achieved). If all this is taken into consideration, we shall soon come to the conclusion that the mission of the Qarawiyeen Mosque has been closely connected with the Arabic Language, with Islam, with the Islamic and Arabic knowledge handed down from father to son, and generally with what we call "the Islamic and Arabic characteristic past culture".

Moreover, if we look upon Morocco as a nation, we shall soon notice that it is an Arab one, that the language of the inhabitants is Arabic, that their religion is Islam and that the history of their culture and knowledge is closely connected with that of their ancestors whether they inhabited this very land or any other part of the Islamic Arab world.

Thus we see that the chief mission of the Qarawiyeen Mosque was to lay the foundations of the Arab community and the Arab nation in Morocco. It is therefore regarded as the centre of this national characteristic past culture that serves as a nucleus round which rotates the life of the Arabs whether in their guidance or in their struggle for existence in Morocco.

Al-Qarawiyeen Mosque, having achieved such a misson, or, in the least, preserved it from ruin or decay, has rendered an invaluable service to this Arab nation and simultaneously, to the Arabic and Islamic characteristic past culture in general.

It is not a disadvantage, however, that the Qarawiyeen Mosque, at a certain period, slowed down' remained stationary or was even confronted with obstacles and difficulties which it failed to overcome at times but succeeded to surmount many a time. This is not a disadvantage merely because this mosque did not slow down or remain stationary, nor was it at times overcome in the challenge, except for the good of this Arab nation and for the sheer benefit of the Islamic heritage. It does not matter either that the people of the Qarawiyeen Mosque were, and are perhaps still, exposed to bitter criticism and some defects pointed out. Suffice it that they were the force that helped the Qarawiyeen mosque to withstand the challenge, the

* If phonetically spelt. it is to be written thus : "Fass" according to the Arabic pronunciation.

AL-QARAWIYEEN UNIVERSITY
AND HOW FAR IT HAS PARTICIPATED

In the preservation of the characteristic past culture of Islam.

BY

Dr. Muhammad El Bahay

Director General of The Islamic Culture Administration

Foreword :

It is taken for granted that the chief cultural fundamentals, of any community or of any nation, are mainly represented in the language of the people, the prevailing religion and in the common inherited humanities. The language, through words and expressions, conveys the highest types of values advocated by the religion of a community or a nation. It conveys, as well the facts of human knowledge bequeathed to the individuals of this community or nation, through the ages, by their ancestors. It was these high values, preached by the religion of the community or nation, that bound the guidance of the individuals, limited the mutual relations amongst them, and, at last, determined the common target which the individuals of the community tried hard to attain in their struggle in life.

Without a languague, without a religion, without inherited humanities, there would be no community, nor could a community or a nation be distinguished or characterised from another. The community which we mean here is the community of man, and by the word 'nation' we mean the 'home' of man. Taking this into consideration, a community or a nation is apt to be influenced by man's own characteristics. These characteristics which differentiate between one person and another are confined to his language, his way of thinking, his logic, his heart, his beliefs and his behaviour in life.

Al-Qarawiyeen Mosque and its influence on the Arab community culture

Now, if we seek to give a vivid idea of the part played by the Qarawiyeen Mosque which was founded

including the moorish strugglers and the upholders of justice from West Africa and from United Arab Republic. We urge you to hasten in putting an end to the Imperialism by being united and by responding to the Call of Allah to be joined together in the mutual teaching of truth and patience: "By declining Day, Lo! Man is in a state of ioss, save those who believe and do good works and exhort one another to truth and exhort one another to endurance".

We hope that you will banish away from the muslim society all the factors which dishearten the Muslim community, such as elements of relationship and tribalism, yielding to lusts, and supporting both, enemies of God and enemies of humanity.

O Brothers! Amongst you there are rulers, kings, scholars; and it has been destined that they will be brought before God, and they will be asked about their duties towards God, duties they did not perform and their duties towards humanity, duties they did not undertake.

"O ye who believe obey Allah and the Messenger when he calleth to that which quickeneth you". "O ye who believe choose not my enemy and your enemy for friends".

This is the word of Allah to which we call you hoping that you may respond, and hold fast to. If you do so, and keep doing good for humanity, God will reward you.

We ask God to give us his guidance and to give his guidance to the leaders of muslim Nation, so that justice and religion of Islam may prevail.

Peace may be upon you.

Mahmoud Shaltout.

Ibrahim Banias

Muhammad Abdul-Karim Al-Khattabi.

Muhammad Abd Allah Al-Khattabi.

8th Thel-Keada 1380

23 April 1961

In the name of Allah, the Beneficent, the Merciful

Joint Statement to the Islamic World

From

The Rector of Al-Azhar University, the Leader of Muslims in West Africa and the Prince Abdul-Karim El-Khattabi.

Praise be to God, the Lord of the worlds, and peace and blessing be upon the Prophet Muhammad and his followers.

Our Muslim brothers. Peace be upon you.

In the name of God and in the name of brotherhood, we, Abdul-Karim Al-Khattabi, Ibrahim Banias, Mahmoud Shaltout, and Muhammad Al-Khattabi, have held a meeting on the occasion of the departure of our brother in Islam, Shaykh Ibrahim Banias after his visit to the United Arab Republic.

Reviewing muslims'affairs and considering their present situation and what they have suffered from the opressive Imperialists, we are of the opinion that the one single call through which muslims can resume their illustrious past, is to give them the Word of Allah, which their predecessors were given in His saying: "And hold fast, all of you together, to the cable of Allah, and not separate". "O Ye who believe Take not for intimates other than your own folks, who would spare no pains to ruin you, they love to hamper you. Hatred is revealed by (the utterance of) their mouths, but that which their breasts hide is greater".

We all have already seen what the Imperialists have done, and we still see what they are doing, for the purpose of parting, scattering the peoples, and some other acts of such kind, which the honour and dignity of Islam cannot bear. The sufficient evidence we can simply give for their flagrant deeds and their bad faith, lies in what they are doing now at Algeria, in what they have lately committed in Palestine and in what they are preparing to suppress any voice rising for natural freedom bestowed by God.

O Brothers ! This is a call coming to you from such a group

within and from without, which the term "Colonialsm" includes. Nothing will put an end to this colonialism save the Arab Unity and Islamic League. So, the sustenance of this Bloc depends in realizing this Unity and, in strengthening this league.

As regards realizing Arab unity, it rests solely on the Arab freeman, and faithful reformer, Gamal Abdel-Nasser; who, for this mission was well-prepared by nature, and for its sake he devoted his soul, mind, and endeavour. And sooner or later the covetous greedy, and the supercilious colonialist will be banished away, and the Arab Nation will remain integral and strong.

As for trengthening the Islamic League, it will be due to the policy of the Islamic cqngress, which made legal by God, on the same day He ordained Pilgrimage. The congress that was prevented from being held in the past because of the stupidity and the conspiracy of foreigners, and because of division due to dependncy, relaxation, weakness and ignorance; which made the united nation disintegrate into so may small states; each has its own boundaries, custom-house, and policy: and each is being under command and patronage of foreigners.

But when God willed that His Nation (of Islam) which He created to follow the Via media amongst nations, so as to enjoin what is right and forbid what is wrong, He reminded it with His saying "And hold fast, all together by the rope which God (stretches out for you), and be not divided amongst yourselves; and remember with gratitude God's favour on you; for ye were enemies and He joined your hearts in love, so that by His grace, ye became brethren". Then, the hearts of the muslims inclined to one another; the hands of them held together; and the situation demanded the voice which should awaken and excite people; and of the congress which would pay response and guidance. The Nation of Muhammad responded to the Call of Truth and abandoned false and dishonest leaders, who misled the nation, directed it to the mirage and, push it into the abyss.

Now there is no alternative for these so-called leaders, except to come back to their position in the line, and return to the right way. By so doing, the Unity will be fulfilled and the parts of the community will be welded; then it will be able for the Islamic Bloc to realize the meaning of "Middle way" by which, it was described by God in His Book; and then the Islamic Bloc will be a measure of peace between the East and the West, and a mercy for the whole world.

League. Through this Unity and this League, the Third Bloc will be so powerful that it can retrieve with God's help, the world which was dispersed by greediness and war. It would then repair the world and its wounds. That, is because this Third Bloc which was based upon the unmixed beliefs, occupies the most blessed place on the earth, includes millions of people, watches over the first resources of economy, has faith in the ideal spiritual morals of society, and has brilliant deeds in the pages of history. With its religious rules and secular principles, the Third Bloc is the most suitable measure to inculcate love in hearts, and estab-ishing peace on earth. This is because its political and social systems were made by God who put them by His saying "The believers are but brothers." For, these systems, god ordained the Pilgrimage to be a congress; to make them fast; and made the Califate as an eternal bond to fasten them. These systems are suitable for every time and place. They resolve disputes arising between peoples; profess the Unity of god, placing no partner to Him; include all revelations ordained by god, without differentiation between the prophets; and finally fraternize all people in the spirit and in the faith; not in race nor in nation. They equalize all brethren in rights and puties so that there will be no dis-tinction between classes, races, and colours. They appropriate the wealth of the rich, recognized dues which he must pay, willing or unwilling, so as to adjust the balance of justice. They submit the government to the mutual consultation between intellig-ent persons so that no tyrant could rule and no obstinate could halt any progress. They set free the mind, soul and spirit. They do not confine notion nor consideration. They do not accept the traditionalism or slavery. They ordered their followers to be just and tolerant with those who disagree with them in their religion or in their opinion. They connect the relig-ions with the life to make consciou-sness, the superior force in the dealings; the belief, the creative influence in the conducts.

The Islamic Bloc is a force for peace

In short, these systems referred to, are the systems which would realize human Unity, for, it does not acknowledge party-spirit, racialism, nor nationalism. Instead. it does create brotherliness in belief, superiority in doing well, and co'operation in no-thing but righteousness and piety.

The Islamic Bloc exists by virtue of the unity of its nations, the joint history, the one single religion and the prevailing language. And if it happened that parts of this Bloc grew weak or disintegrated, that, would be due to some factors from

East, so as to assert their supremacy. The Americans constitute obstructions before the Russians, to appropriate the East for themselves only. The muslims and Arabs of Asia and Africa are raising their voices complaining of injustice, raging for the sake of dignity, struggling for their rights and calling for freedom struggles; but their call for struggle is drowned in the noise of the other Blocs just as a gentle breeze when it goes in the sad jungle.

It is amazing that the outbreak of colonial war and the struggle of the great Blocs, have no field to take place on except where the Arab own and the muslim live; as if the Arab and muslims became a pillage to every marauder. Are not these people the ancestors of these former invadors for whose reign the age was subjected, and in their empire the world was included? It is not that the Islam which they are embracing now, is the same Islam of that former Abbasid caliph who, once, looked at the rain clouds driven by the wind to the extremities of the earth, then he said: " Rain where you wish, your fruit will be of mine." ? The muslims of today are indeed the ancestors of those predecessors; but the Islam they are now professing is no longer the Islam of that caliph. It is a remainder of the first Islam decayed and ended to be silly mysticism, who intoxicated with it, do not awake from their nap nor do they get rid of indolence. He does not care, to reach his object whither he was ridden upon his back or pulled on his pace.

The mean-spirited and narrow-minded, exploited and misinterpreted religions and seiences to suit their own ends, and they placed much reliance on superstitution belief, And thus we saw that the evolution of chemistry, has appointed its research to seek for what so-called Philosopher Stone; and the evolution of astronomy turned it to be something like sorcery and fortelling events via observing the stars and their positions. This change which has affected these two sciences, is similar to that which has happened to Islam. In Islam, we saw that the belief of Fate has been misinterpreted, until the people while yeilding to Destiny, neglected the precaution. They gave up endeavouring themselves depending upon this verse: "Verily never God change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls). But when (once) God willeth a people's punishment there can be no turning it back, nor will they find beside Him, any to protect".

Then, the return to the orijinal Islam, is the one single way which leads to establishing and ensuring the Arabic Unity, and this is the chief cause for founding the Islamic

THE ISLAMIC BLOC IS A FORCE FOR PEACE AND MERCY

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

The struggle for sovereignity and supremacy in the world has led to the excistence of two great Blocs, namely the Eastern Block or Commuism led by Russia and the Western Bloc or rather Capitalism led by the United State of America. These two Blocs hold contradictory views to each other and thus in their goals. As a matter of fact there is nothing in common between them except that they compete with each other to dominate the world and seek to conquer space. In their endeavour to conquer space and be unique in this feat, the two Blocs are preparing space rockets and spaceships, using their enormous resources of wealth and science, exploiting people, controlling nature and spreading terror.

Today there is no other Bloc which stands dignified, between these two Blocs except the third Bloc which obtains its guidance from the Light of God. This light is neither limited by a certain area nor concealed behind a veil, but it spreads a permanent brilliance, and is well illustrated by the following verse:

God is the Light of the heavens and the earth, the parable of His Light is as if there were a Niche, and within it a Lamp: The Lamp enclosed in Glass: The Glass as it were a Brilliant Star: Lit from a blessed Tree, an Olive neither of the East nor of the West, whose Oil is well-nigh luminous, though fire scarce touched it: Light upon Light! God doth guide whom He will to His Light".

It is quite apparent, when one nowadays listens to the Radio or reads the newspapers, that this struggle has reached immense proportions and the Part played by the three Blocs have been spotlighted into prominence. The rest of the nations are merely witnessing the struggle that is taking place in an arena, just as spectators, jesters, or gamblers.

The Russians are desiring to spread out in the open fields of the

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر

مجلة شهرية جامعة

تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

يشترك فى التحرير
عباس محمود العقاد

بدل الاشتراك
٤٠ فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثانى — صفر سنة ١٣٨١ هـ — يولية ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون



بسم الله الرحمن الرحيم

الثورة الرابعة تتحقق

بقلم : أحمد حسن الزيات

قلت فى عدد جمادى الأولى من سنة ١٣٨٠ أن الجمهورية العربية المتحدة تعيش اليوم فى ثورات ثلاث : ثورة سياسية تحقق الحرية وتثبت الاستقلال على الوحدة والحيدة، وثورة اجتماعية تحقق الديمقراطية وتبنى المجتمع على المساواة والتآخى ، وثورة اقتصادية تحقق الاشتراكية وتقيم الثروة على العدل والتعاون . وهذه الثورات الثلاث هى جماع القوى العاقلة العاملة للشعب أخرجتها من الكمون والسكون والتعطل يد مصرفة حازمة ، تحكم لتصلح ، وتهدم لتبنى ، وتحرث لتزرع : ولكن هذه القوى الثائرة المعمرة لا تستطيع وحدها مهما تنشئ وتنتج أن تكفل لابن آدم المتمدن المجتمع الذى يجدر به ويليق له . نعم تستطيع الثورة أن تلين الحديد وتزرع الصخر وتقهر النيل وتنشر المعرفة وتبسط الرخاء ، وتيسر الأداة والحياة للعامل والفلاح ، وتوفر القوة والعدة للجيش والشرطة ؛ ولكنها لا تستطيع أن تضع التقوى فى القلب الأغلف ،

ولا أن تبعث الحياة فى الضمير الميت ، بدليل أننا أصبحنا فى مدى تسع سنوت أمة على وجه الأرض وفى جبهة الركب ، نقول فنسمع ، ونطلب فنجاب ، ونعمل فنجد ، ونزرع فنحصد ، فى ظل حكم ديمقراطى عادل ، ونظام اشتراكى معتدل ، يضمنان للفرد مساعدة الكل ، ويكفلان للكل مساندة الفرد . ثم لا يزال فينا المرتشى والمختلس واللص والمزور والمستهتر والهدام والمنافق والخائن ، فلا بد إذن لهذه الثورات الثلاث من ثورة رابعة تقوم لهن مقام الروح الملهم والشعاع الهادى ، هى الثورة الدينية .

وليس لفظ الثورة نابيا على معنى الدين ولا مجافيا لروحه ؛ فإن الإسلام فى حقيقته وطبيعته ثورة مستمرة : ثورة على الفساد والشر ، وحرب على البغى والعدوان ، وما دامت هذه الكبائر فى الأرض فالثورة دائمة والحرب قائمة . إنما نريد إذكاء شعلتها وإعلاء سناها ، لتجد فيها ثورتنا العامة القبس الذى يحييها بحرارته ويهديها بنوره .

وهذا المصلح الناصر الذى أرسله الله على فترة من المصلحين ليجدد ما اندرس ، ويبين ما انطمس، ويقيم ما انهار، هو الذى يستطيع أن يرفع الإعجام عن كلمة الله ، ويدفع الإبهام عن رسالة محمد ، بإذكاء هذه الشعلة ووضعها فى مخطط السنين الخمس من سنى الإصلاح الثورى ؛ فإن النص فى الدستور على أن الإسلام دين الدولة لا يتحقق معناه إلا إذا كان للدين الأثر الفعال فى التربية والتعليم والتشريع والسلوك . والأزهر بفضل ما مكن الله له فى التاريخ ، وهيأ له من الموضع ، وأتاح له من الكفاية ، أقدر وراث النبوة على تبليغ الرسالة العظمى ، وتوحيد الأمة الكبرى ، إذا تسنى له أن يؤدى رسالته على المرسوم الذى رسمته الثورة ، وبالمفهوم الذى أعلنه الاتحاد القومى فى مؤتمره العام للسنة الماضية [1] .

كنا على هذا النحو العلمى المأمول نفكر ، وكان الرئيس جمال على نحوه العملى الواقعى يدبر ، فرأى كما رأى المصلحون من قبل ، أن العالم لا يصلح إلا بالدين ، وأن الدين لا يتجدد إلا بالأزهر ، وأن الأزهر

---

(١) وهذا هو نص القرار : « يعلن المؤتمر — إيمانا بالدور الخطير الذى يؤديه الأزهر الشريف فى معركتنا المقدسة دفاعا عن عروبتنا وقيمنا الروحية — تمسكه بضرورة العمل على دعم هذا المعهد الإسلامى الجليل حتى يستمر منارة ترسل أشعتها العلمية والروحية إلى أرجاء العالم — وتمكينا له من مسايرة تطورنا الحاضر — يوصى المؤتمر بضرورة العمل على أن تؤمن للأزهر الوسائل ليكون أداة صالحة لخدمة أهدافنا الروحية والقومية من تحرير الوطن العربى وتحقيق وحدته الشاملة فى إطار مفهومات القومية العربية » .

متى استكمل أداة التعليم وساير حاجة العصر، نهض بالشرق نهضة أصيلة حرة، تنشأ من قواه وتقوم على مزاياه وتتغلغل فى أصوله. ذلك لأن ثقافته المشتقة من مصدر الوحى وقانون الطبيعة متى اتصلت بتيار الفكر الحديث تفاعلت هى وهو، فيكون من هذا التفاعل ما يريد به الله تجديد دينه وكفاية شرعه وإدامة ذكره.

ثم رأى كما رأى المصلحون من قبل أن خمسة وأربعين ألفاً من شباب الأمة فى الأزهر، فيهم مواهب وعليهم تكاليف ولهم مستقبل، فمن حقهم أن يتعلموا ليعيشوا ما دام الإسلام لايتبنى الرهبان ولا يبتنى الأديرة. ولن يستطيعوا أن يعيشوا إلا إذا نزعوا بأنفسهم عن معرة التخلف، وشاركوا فى علوم الحضارة وسايروا عقلية العصر وأرادوا الدين للدنيا، وطلبوا العلم للحياة، ثم وضع على أساس ما رأى وعلم قانون الأزهر الجديد الذى تقرأه فى مكان آخر من هذا العدد، فجعل به الجامع جامعة، والدين سبيلا، والعلم دليلا، والعلماء قادة. ثم مكن له بإنشاء المجمع العلمى للبحوث الإسلامية أن يحرر العقل من التقليد الأعمى والتسليم العاجز، وأن يطهر السنة من الأحاديث المكذوبة والأقوال المشوبة؛ وأن يطور الشريعة فى حدود ما أنزل الله وبلغ الرسول؛ وأن ينقى العقيدة من المذاهب الباطلة والبدع الضارة، وأن ينشر الإسلام الصادق الصافى على الناس فى معرض واضح ومظهر جاذب ومنهج قويم.

ثم أتاح له بما أضاف إلى كلياته الإسلامية والعربية كليات مدنية أخرى للمعاملات والإدارة والهندسة والصناعات والزراعة والطب أن يسند بيد الله أيدى العاملين فى بناء المجتمع الصالح، ويشارك بتقوى الله فى تفريج أزمة الضمير، فيخرج العالم المجتهد الذى يجعل من فقهه رسالة ومن بيانه دعوة، والطبيب الذى يجعل من عيادته عبادة ومن مرضاه إخوة، والمهندس التقى الذى يجعل من عمله جهاداً ومن خلقه قدوة، والموظف المتدين الذى يؤثر رضا ربه على رضا نفسه فى كل نزعة أو نزوة. وهذا هو الإصلاح الجوهرى الشامل الذى تمنى بعضه أئمة الأزهر الأربعة المصلحون من الإمام محمد عبده، إلى الإمام محمود شلتوت، فلم يجدوا من أصحاب الحكم والسلطان سبيلا إليه ولا معينا عليه، وكأن الله رب الأزهر قد ادخر نعمة تحقيقه لرئيس الدولة جمال، ونعمة تطبيقه لشيخ الأزهر شلتوت. ذاك لإخلاصه وصدقه وجهاده، وهذا لعلمه وورعه واجتهاده، وهما نعمتان

سيكون لها فى تاريخ الإسلام شأن أى شأن ، وفى مستقبل العروبة أثر أى أثر ، وستكون مشيخة شلتوت للأزهر عنوانا بارزا فى تاريخه ، يفصل بين ماض كان محدود الأفق محصور المجال ، لا يجد أهله ميسور الرزق ولا موفور الكرامة ، وحاضر سيكون رحب الجوانب واسع المضطرب ، يتمتع فيه أبناؤه بالمساواة فى الحق والواجب ، ويتكرم به علماؤه بالمشاركة فى الخدمة والإنتاج . يندمجون فى الشعب ولا يعيشون على هامشه ، ويتغلغلون فى البيت ولا يقفون ببابه ، ويتقدمون الركب ولا يسيرون فى ساقته .

لم يعد للمصلحين ما يرجونه ، ولا للأزهريين ما يشكونه . لقد ظفروا لجامعتهم الخالدة فى يوم وليلة بما طالما استرسلوا بآمالهم إليه وحاموا بنفوسهم عليه : ظفروا بالأصل الذى يرسو فى أعماق الغابر ، وبالفرع الذى يتشعب فى آفاق الحاضر . بالقديم الذى يحفظ التراث فلا يتبدد . وبالجديد الذى ينمى الموروث فلا يتضاءل .

لم يبق إلا أن يثبت الأزهريون - وسيثبتون على ما أعتقد - أنهم أجدر بهذا النظام وأذكر لهذه النعمة وأشكر على هذا الفضل . وخير الذكر والشكر ما صدرا عن يقين ووردا على فعل . والقول المؤمن إذا صحبه العمل الصالح لا يدع محالا إلا أمكن ، ولا بعيدا إلا دنا ، ولا ناقصا إلا استكمل .

فنجاح هذا النظام أوله وآخره فى أيديهم . هم الذين سيضعون المنهج ويؤلفون الكتاب ، وهم الذين سينفذون القانون ويطبقون اللائحة . فإذا ساروا بالإصلاح الجديد على الخطة القديمة ، فلم يغيروا إلا فى الصور ، ولم يبدلوا إلا فى العناوين ، كان قانون الأزهر بين أيديهم أشبه بدستور ما قبل الثورة بين الأحزاب ، جمع أحدث الآراء من دساتير الأمم ثم كان بين حقيقة وضعه وباطل تطبيقه كالمصحف فى بيت الزنديق ، أو كالمصباح فى غرفة الأعمى « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » .

إن قصارى ما أقوله اليوم فى هذا التطوير الشامل الكامل للأزهر أنه يحقق ما تمنيناه وتمناه معنا المخلصون لدين الله ولغة كتابه وسنة نبيه وفقه شريعته : به يحتفظ الأزهر بقديمه ويشارك فى جديد الناس . وبه تمحى الفروق المعنوية والمادية بين طلابه وسائر الطلاب . وبه تتحقق وحدة الثقافة وتتقطع أسباب الفرقة ويسهم الأزهر فى شركة المدنية وقيادة العالم ؟

أحمد حسن الزيات

من وحى الهجرة

للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

أيها المسلمون :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :

فإن أعظم الذكريات وأقوى الأحداث التى كانت سببا فى انتشار النور الإلهى وإشراق الحق واحتجاب الباطل هو حادث الهجرة الذى قام به سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحبه الأخيار من مكة مهبط الوحى إلى المدينة رباط العزة وحلف الجهاد الحق والعمل الصالح .

هذه الهجرة التى صار لهم بها جوار غير الجوار عقدوا معه معاهدة الأمن والسلام ، وبذا اكتملت لهم عناصر الوجود الدولى فيما بينهم ، بتشريعات داخلية بنت مجتمعهم على عمد قوية ثابتة ونظمت معاملاتهم على أساس من العدل والمساواة فيما بينهم وبين غيرهم .

لقد كانت الهجرة هجرة قلوب قبل أن تكون هجرة أبدان . وعند الله سبحانه وتعالى لا تقع هجرة الأبدان موقعها إلا إذا كانت تلبية لهجرة القلوب ، وهكذا كانت هجرة الرسول وصحبه .

ولقد نوه القرآن الكريم بحادث الهجرة : فذكر الدرجات التى أنعم الله وينعم بها على المؤمنين ، واعتبر الهجرة فرضا دينيا ، وواجبا كان مصير من تخلف عنه - مع قدرته عليه - مصير من ترك الفروض الدينية من عقائد وعبادات : « إن الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم ، قالوا فيما كنتم ، قالوا كنا مستضعفين فى الأرض ، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم ، وساءت مصيرا » .

والهجرة فى واقعها ضم للعناصر المجاهدة بعضها إلى بعض ، فهى نوع من التكتل الذى تنجح به الأمم وتقوى ، ولقد تكتل المهاجرون ، أبناء مكة ، مع الأنصار سكان المدينة ، وكونوا جميعا كتلة واحدة قوية ، زعزعت حصون الشرك ، وثلت عروش الوثنية ، وأقامت الحق على قواعد مستقرة

راسخة فى أجواف الأرض ، لا تتزعزع ولا تضعف ، وكانت الهجرة فى القرآن الكريم نصرا من الله لرسوله والمؤمنين .

وفى هذا يقول الله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله ، إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار ، إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا » .

أجل لقد كانت إيواء ونصرا وتأييداً وفتحا مبينا .

إن الهجرة تملى على دعاة الخير والفضيلة ـ دعاة الإيمان والحرية ، دعاة الحق والعدالة ، دعاة الأمن والسلام ـ واجبهم فى مكافحة الشر والعدوان ومحاربة الوثنية والعبودية ، ما دام فى البشرية قلوب تنبض بالإيمان ، ولسان يلهج باسم محمد بن عبد الله .

إن حادث الهجرة صدّ اتجاه الناس عن سبيل الشر والشقاء إلى سبيل الخير والسعادة وإنه لمن نتائج الهجرة أن نبذت قلوب المؤمنين عبادة الأوثان والأصنام ، واتجهت إلى عبادة خالقها ، والاستعانة بباريها ، وأخذت تتلمس النجاة والتحول إلى الحق بعد الضلال ، وإلى النور بعد الظلام ، وإلى الحرية بعد الاستعباد والاستغلال ، وإلى القوة بعد الضعف ، وإلى الغنى بعد الفقر ، وهكذا إلى كل مبدأ من مبادئ الحياة الطيبة ، وإلى كل عنصر من عناصر الأمن السائد .

إن الداعى إلى الجديد لابد أن يعادى ، خصوصا إذا كان ذلك الجديد مما يمس العقيدة والخلق والعادة ، فإن النفوس البشرية قد أشربت حب ما نشأت عليه وتوارثته عن الآباء من عقائد وأخلاق وعادات .

وهكذا كانت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم مثار العداء من قريش لأنه حطم الوثنية التى كانوا يؤمنون بها ، والعقائد التى ساروا فى ظلالها . ومن واجب التأمل فيما كان من عمل الرسول أن نحذو حذو هذه النفوس العالية التى أبت أن تقيم على ضيم وأن تعيش فى ذل وخافت على غرسها الذى غرسته فى أرض لم تستطع أن تخرجه فتحولت بهذا الغرس إلى الأرض الطيبة الصالحة التى ينمو فيها النبت ويزكو فيها الزرع ، اقتداء بقوله تعالى : « والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا » .

وهكذا تبدت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم عامة . لم تكن خاصة بقبيل دون قبيل ، ولا بمكان دون مكان ، بل كانت دعوة للناس

كافة فى الغرب وفى الشرق. كانت دعوة لأبناء مكة ولأبناء المدينة ، دعوة الأقطار جميعا . وإذن فما على أصحاب دعوة الحق إلا أن يعملوا على نشر دعوتهم وتثبيتها على دعائمها الطبيعية القوية بأن يهيئوا للمبادئ والمثل المجتمع الصالح الذى يعى ويتقبل ويفهم ، فيؤمن ويعمل ويعمق فى الإيمان فيبذل ويضحى .

وهكذا تنجح المبادئ وتقوم على دعائم قوية وأسس سليمة .

هذا — والمعانى التى يجب أن تمتلئ بها نفوس المؤمنين كلما ذكروا الهجرة وقلبوا التاريخ وعرفوا الأسباب وفهموا الآثار التى ترتبت عليها — هى أن ينظروا إلى المبادئ وما حوت ، وإلى المثل التى تحتاجها الإنسانية كلما حزبها أمر ، أو اشتد بها ضيق أو نزل بها عنت أو تحكم فيها مستبد .

فيأيها المسلمون — حرروا قلوبكم من تعظيم غير الله يضعف أمامكم الجبارون ، حرروا أخلاقكم من كل ما يشينها تملكوا على الناس قلوبهم ، حرروا نفوسكم من الملل والجزع واليأس وانشروا دعوة السلام فى الأرض تسلم لكم الدعوة ويستقم لكم الأمر ؛ فكم من دعوة حق اضمحلت وزالت بفقد أسلحة القوة ، وكم من دعوة ظالمة راجت سوقها بالصبر المادى والتمويه العالمى ، وما راج سوق الاستعمار والبغى إلا بالاعتماد على الصبر وإن كان ماديا ، ولكن البقاء الدائم لا يكون إلا لدعوة توافرت فيها هذه الأسلحة جميعا كما توفرت فى شخص صاحب الهجرة محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أشبه عيد الهجرة اليوم بأصله بالأمس ، فقد تجمعت فى أصله قوى الإيمان فزعزت قوى الشرك والباطل وها هى اليوم تتجمع قوى الحرية بتزاور الداعين إلى الحرية وتعاهدهم فتزلزل قوى الاستعمار والظلم « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » .

والله الموفق والمستعان .

محمود شلتوت
شيخ الجامع الأزهر

الظرفُ في اللغةِ العربيّة

للأستاذ عبّاس محمود العقاد

يستخدم الظرف فى اللغة – كما يدل عليه اسمه – لبيان الظروف التى تحدث فيها الأفعال والتمييز بين « كيفيات » وقوعها أو توقيعها .

ويستدل علماء اللغات ، بكثرة الظروف فى لغة من اللغات ، على أن المتكلمين بها يدركون الحوادث على كل صورة من صورها ويديرون النظر على كل وجه من وجوهه ، ولا يقصرون إدراكهم للحادث على صورة واحدة يكتفون بها ثم لا يخطر لهم أن يحيطوا بها على حسب تعدد جوانبها وتفاوت وجهات النظر إليها .

وقياسا على هذا يقارنون بين كثرة الظروف فى اللغات الهندية الجرمانية وقلتها فى اللغات السامية – وعلى رأسها اللغة العربية – فيرجعون بذلك إلى اختلاف أصيل بين المتكلمين بهـــذه اللغات فى النظر إلى الأمور والإحاطة بجوانب الحوادث واحتمال الظروف الممكنة لكل حادث منها غير ظرفها الواقع الذى هى فيه .

ولا جدال فى كثرة الظروف فى اللغات الهندية الجرمانية وقلتها فى اللغة العربية .

أو الصواب – على الأصح – أن تكوين الظروف فى اللغات الهندية الجرمانية سهل مستطاع لكل متكلم بها ولو لم تكن لتلك الظروف كلمات خاصة بمعناها ، فإن الظرف يتكون من الاسم ، أو من الصفة ، بإضافة مقطع صغير إليه ، ويوشك أن يكون عدد الظروف – من ثم – مساويا لعدد الأسماء والصفات .

وليس الأمر كذلك فى ظروف اللغة العربية ، فإن الكلمات التى تسمى ظروفاً محدودة معدودة للزمان والمكان ، ولا خلاف فى قلة هذه الظروف بالنسبة إلى الظروف التى يتيسر للمتكلم أن يستخدمها فى بعض اللغات الهندية الجرمانية .

ولو وقف الأمر عند ذلك لصح – فعلا – أن قلة الظروف دليل على ضيق أفق التفكير وعجز العقل عن تصور « الكيفيات » والأشكال التى تحيط بالحادث وتجعله قابلا لكثير من الأوضاع تختلف قوة وضعفاً ، وظهوراً وخفاء ، واستقامة والتواء ، واطراداً

وشذوذا ، على حسب الفاعلين ، وحسب الأوقات ، وحسب الأحوال على الإجمال .

ولكن هل حقٌّ ما يقررونه من الفارق الكبير بين عدد الظروف فى لغتنا وعدد الظروف فى اللغات الهندية الجرمانية ؟ .

نقول ، عن ثقة ، إنه غير حق ، وإن الخطأ هنا فى أسلوب المقارنين لا فى قواعد المقارنة الصحيحة بين اللغات . وقد أشرنا فى مقالنا الآخر بهذا العدد إلى علة الخطأ فى أساليب بعض المقارنين بين الأديان ، ونرى من الفرصة الحسنة أن نشير بهذا المقال إلى خطأ يماثله عند بعض المقارنين بين اللغات ، وكلاهما يرجع إلى سبب واحد : وهو الأخذ بالظواهر والعناوين وإغفال الجوهر الثابت وراء الأعراض والقشور .

إن الكلمات التى تسمى ظروفا فى إعراب اللغة العربية قليله بالقياس إلى اللغات الهندية الجرمانية ما فى ذلك خلاف .

ولكن الوسائل اللغوية التى تؤدى معنى الظرف أوفر وأوسع فى لغتنا العربية من كل لغة هندية جرمانية نعرفها أو نستطيع مراجعتها .

إحدى هذه الوسائل أن اختلاف كيفيات الفعل ودرجاته متحقق من وفرة الأفعال التى تؤدى معنى كل فعل على أشكاله .

فإذا تحدث المتحدث عن هبوب الريح فى وسعه أن يقول : إنها نسمت أو خفقت أو سرت ، أو هبت ، أو عصفت ،أو قصفت ، أو تهزمت ، إلى أشباه هذا الترتيب فى القوة والتأثير . . فيستغنى عن قول القائل بلغة هندية جرمانية : إنها هبت بقوة ، أو هبت بلطف ، أو هبت بصوت عنيف ، سواء أدى هذا المعنى بإضافة علامة الظرف أو بإلحاق الجار والمجرور .

وإحدى هذه الوسائل أن التضعيف والزيادة عندنا يؤديان معنى الفعل على درجات وأشكال يستغنى بها المتكلم عن الظروف ، فعندنا - مثلا - فتح وفتح بتشديد التاء ، وافتتح ، واستفتح . وفاتح ، وما يلحق بها من الأفعال المطاوعة تغنى المتكلم العربى عن أداء درجات الفعل وأشكاله بإضافة علامات الظرف إلى الصفات أو إلى الأسماء .

ومن وسائلنا أن صيغ التفضيل عندنا معروفة بأوزانها ولا حاجة بها إلى العلامات التى تؤدى معانيها باللغات الهندية الجرمانية .

فعندنا « جميل وأجمل والأجمل » تغنى المتكلم عن better, most, more, best, وما يماثلها أو يقابلها من أدوات المفاضلة بين الصفات أو الأفعال .

وعندنا الفرق بين مفضول ومفضل تغنى عن بعض الظروف ، كما يغنينا عن بعضها كل فرق عندنا بين اسم المفعول والصفة

المشبهة وبين الفعل الذى يدل على الأخلاق الملازمة والفعل الذى يدل على التخلق أو الأخلاق العارضة .

ومن وسائلنا « الحال » مفردا أو جملة - أو جاراً أو مجروراً متعلقين بمحذوف أو مذكور .

فأنت تقول « أقبل مبتسما » وأقبل يبتسم وأقبل وهو يبتسم ، وأقبل فى ابتسام ، وتترقى بالابتسام - مع قوة الفعل - من ابتسم إلى هش ، إلى استبشر ، إلى تهلل ، إلى ضحك إلى قهقه ، إلى أغرب ضاحكا ، كما نستطيع أن تحقق هذا التعبير فى ألوف من الكلمات غير كلمات هذه المادة قابلة مثلها للتعبير عن مختلف الظروف والدرجات والأشكال .

ومن وسائلنا « المفعول معه » وهو ظرف بكل معانى الظرفية فى اللغات الهندية الجرمانية ، وقولك « سار والجبل » أو سار والليل هو تعبير عن ظرفية المكان والزمان يؤديه أبناء اللغات الهندية الجرمانية بظروف عدة لا تزيد على معنى هذا المفعول .

ومن وسائلنا المفعول المطلق موصوفا وغير موصوف ، ففى وسعنا أن نقول : « اندفع اندفاعا » لتوكيد قوة الاندفاع ، وأن نقول « اندفع اندفاعا شديداً » أو اندفع اندفاعا موقتا أو مضطرداً أو متلاحقا للتعبير عن معانى الظروف التى يعبرون عنها بالمقاطع والإضافات .

وليس باللازم فى لغة من اللغات أن يكون الظرف باب واحد من أبواب الأجرومية ، أو عـلامة واحدة من علامات النحت والاشتقاق وكل ما يلزم اللغة ويحسب عليها أن تؤدى معنى « الظرفية » بعبارة من عباراتها الصحيحة وأن تعطى العربى كلاما بلغة أخرى فينقله إلى العربية نقلا سليما يطابق مدلوله ولا يقصر عنه ، وقد تكون سعة الوسائل وتنويع الأدوات والعلامات أدل على ثروة اللغة ومرونتها ومطاوعتها لمواضع التعبير على مقتضى الحال .

ولست أذكر فى اللغة الأجنبية - التى أفهمها فهما أفضل من فهمى لغيرها - وهى الانجليزية أننى قرأت عبارات الظروف نثراً أو شعراً ولم أجد لهـا مقابلا يطابقها أحسن مطابقة بوسيلة من الوسائل التى أشرنا إليها .

فالمعول إذن على قوة التعبير اللغوى وليس على عنـوان باب من الأبواب فى كتب الأجرومية ، وقد نرى أن نظرة عاجلة إلى قصة يقصها عربى عن إنسان أو حادث أو مكان تكفى لتصحيح الخطأ السريع فى مقارنات بعض اللغويين الآخذين بالقشور والعناوين ... فإننا لا نقرأ إحـدى هذه القصص إلا أدركنا من كلماتها الأولى مبلغ حرص الراوية على تحقيق « الظرفية » بجميع ملابساتها وعوارضها الزمنية أو المكانية

(البقية على الصفحة التالية)

الحضارة الإسلامية

تقاس بالكيف دون الكم

للأستاذ الدكتور محمد البهى

ليس كل عمل فكرى أو تصورى أو فنى أوسلوكى يصدر من الإنسان يسهم فى الحضارة الإنسانية ، وإنما ذلك العمل وحده الذى يصدر من الإنسان ممثلا لخصيصة من الخصائص الإنسانية ويتميز به الإنسان لأنه إنسان ، هو الذى يكون أو ينمى رصيد الحضارة البشرية .

فالعمل الفكرى الدقيق ، والتصور الرفيع والفن فى صورته العاليه ، والسلوك فى رشده واستقامته ، هو أساس الحضارة الإنسانية والعامل فى نمرها أو تقدمها ؛ لأن فى كل واحد منها يتجلى جهد الإنسان ، وتتجلى إرادته ، كما يبدو فيه أن الانسان ذا فاعلية ، خرج عن التأثر وأضحى مؤثراً : مؤثرا بفكره وبتصوره وبفنه وبسلوكه فى التوجيه والتعبير معا . والتوجيه والتعبير عندئذ له صلاحية تتجاوز الدائرة التى وجد ونشأ فيها المفكر أو الفنان أو صاحب السلوك الإنسانى .

(بقية مقال الظرف فى اللغة العربية ص ١٣٨)

أو النفسية . فهو يتكلم عن بطل القصة ويذكر هيئة لقائه ومنهج حديثه وملامحه وهو يقبل أو يعرض أو يتجهم أو يطرق إطراق التأمل أو الارتياح ، ولا نذكر أن قصة رويت بلسان عربى لم تشتمل على جملة من الكلمات التى إذا نقلت إلى اللغات الأجنبية نقلت « ظروفا » كأحسن الظروف فى تلك اللغة دلالة على الأحوال والأشكال . وضمان المقارنة الصحيحة فى هذه الحالة أن تترجم الكلام العربى إلى كلام أجنبى فترى أن « الظروف » طرأت على الترجمة لتحل فيها محل المعانى العربية ولا تزيد عليها شيء أصيل فى لباب الكلام .

وعلى مثل هذه المقارنة « الجوهرية » يصح الحكم على نقد اللغات والموازنة بين القواعد والأجروميات : ولا لوم على المقارنة بين اللغات ولا بين الأديان ، وإنما اللوم على المقارنين كلما تركوا الحقائق ووقفوا عند العناوين ؟

عباس محمود العقاد

وهنا يمكن أن يقال : إن الحضارة الإنسانية هي مجموعة من القيم الإنسانية وضعها الإنسان بخالقيته أو توصل إليها بالجانب الإنسانى فيه وحده، ولها الصلاحية والاعتبار فيما وراء المجتمع أو البيئة التى وجد فيها صاحب الخالقية أو ذلك الذى بنى وأسهم فيها .

وكلما كان تفكير الإنسان ، أو تصوره ، أو فنه ، أو سلوكه أوسع شمولا فى الاعتبار والصلاحية فى التوجيه ، كلما كان أدخل فى الإسهام فى الحضارة البشرية أو فى تقدمها ونموها .

وإنتاج إنسان — لهذا — يتميز أو يختلف عن إنتاج إنسان آخر ، سواء فى الفلسفة أو الشعر أو الرسم والتصوير والنحت والتمثيل والموسيقى ، أو فى القانون . وأساس الاختلاف أو التميز حينئذ ليس هو كم الإنتاج ، بل نوعه وكيفه .

ويمكن أن يقال أيضا : إن الفلسفة التى توجه نحو العنصرية وتفضل جنسا من البشر على جنس آخر منه ، وتلك الأخرى التى تدعو إلى الحيوانية والسخرية من القيم الإنسانية لا تقوم عليها حضارة بشرية أوهى أقل فى الإسهام فى هذه الحضارة من فلسفة أخرى تدعو فى توجيهها إلى تقويم الخصائص الإنسانية أينما وجدت فى أفراد أو فى شعوب. والشعر الذى يمجد أمة أو فرداً أو أفرادا لأنها أمة بعينها أو فرد بذاته أو أفراد فى مجموعتهم — وليس لخصائص أو لقيم إنسانية تتمثل فى تلك الأمة أو ذلك الفرد أو أولئكم الأفراد — قليل الحظ فى بناء الحضارة الإنسانية ، وربما كان من عوامل ضعفها أو فنائها ، والفن فى أنواعه العديدة الذى يثير الإنسان ويدفعه نحو تقويم الجانب الحيوانى فيه ، أو نحو تقويم الشعوبية هو فن بعيد عن مقياس الحضارة ، وبالتالى بعيد عن الاتصال بها فى قيامها أو استمرارها . والقانون الذى لا يؤسس على الحرية الفردية والعدل بين أفراد المجتمع ورعاية السلوك الإنسانى الرشيد فيه — وكلها قيم إنسانية — شأنه ألا يتجاوز دائرة واضعه ، وليست له الصلاحية فى التوجيه الإنسانى العام ومن ثم ليس له الطابع الحضارى الإنسانى .

* * *

وإذا انتقلنا من هذه المقومات إلى الإسلام - كمصدر فى توجيه الإنسان - نجده يقدر الكيف والنوع ، أكثر مما يقدر الكم ، نجد صلاحيته فى التوجيه لا تقف عند قبيلة أو شعب أو جنس بعينه ، وإنما للإنسان أينما وجد ، وللشعوب مهما كان بينها من فوارق اللون ، أو المكان ، أو الزمان .

نجده يقدر الكيف والنوع فى قول الرسول عليه الصلاة والسلام : « المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف » . وقوة المؤمن ليست فى قوة عضلاته بقدر ما هى فى قوة قلبه بالإيمان ، وقوة عقله بالمعرفة ، وقوة إرادته بالسلوك المستقيم . وهنا يمكن أن يكون قول الله تعالى : « إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ؛ بأنهم قوم لا يفقهون » . موضحا لهذه القوة ؛ فالصبر الذى جعل أمارة على القوة حتى يكون العدد القليل المتحلى به أشد تفوقا على العدد الكثير الذى لم يكن له هذا الوصف ــ هو قوة نفسية وليست قوة مادية.

ونجد الكيف أيضا واضحا فى تقدير الرسول عليه الصلاة والسلام عندما يقول : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قالوا أمن قلة نحن يا رسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل » . إذ لا شك أن الكم هنا قليل الاعتبار فى مواجهة النوع.

وبعد ذلك نجد القرآن الكريم فى قوله تعالى : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ــ يحدد أن الطبيعة البشرية هى الطبيعة البشرية فى أى شعب أو مكان أو زمان ، وليس بين طبيعة وأخرى فضل وتميز من حيث إنها طبيعة بشرية . وإنما التفاوت الذى يقع بين فرد وفرد أو بين مجموعة من الأفراد ومجموعة أخرى منهم ، يقع وراء إمكانيات هذه الطبيعة ، ويرجع إلى مدى ما تحقق من هذه الإمكانيات فى دائرة الطبيعة البشرية نفسها . فكل طبيعة بشرية فردية لها القوى النفسية التى تتمثل فى الإدراك والوجدان والإرادة ، واختلاف طبيعة فردية عن طبيعة أخرى لا يعود إلى الزيادة أو النقص فى هذه القوى ، وإنما إلى الإفادة من هذه القوى فى التوجيه والتقوى التى جعلت فى القرآن سبب المفاضلة فى قوله : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » ــ هى حسن توجيه هذه القوى النفسية بإدارك الله وحده ، وبالمحبة والأخوة بين الناس ، وبالعمل الصالح لخير الفرد والبشرية كلها . فإدراك الإنسان فى أصله يمكن أن يتجه به إلى الإيمان بالله الواحد أو إلى إنكاره ، ووجدانه يمكن أن يتجه إلى المحبة أو إلى ما يقابل المحبة من بغض وكراهية . وإرادته يمكن أن تحمله على كبت الهوى ، أو على الاسترسال فيه ، وهنا يتصور فى الإنسان ــ من حيث أن طبيعته البشرية ذات قوى نفسية ثلاث ــ أن يكون ذا تقوى وأن يكون غير تقى .

وبما يروى عن الرسول ويذكر فى القرآن

فيما سبق - نجد الإسلام بقدر ما هو توجيه للبشرية مصدرا للحضارة الإنسانية فى الوقت نفسه .

ودعوته هى دعوة لبناء الحضارة ولبقائها. وتعاليمه لا تتجه الى تكتيل الأفراد لغزو أو اعتداء ، وإنما تتجه إلى « النوعية » فى الإنسان ، وهى إنسانيته، وأخص ما يمثل هذه النوعية فى الإنسان صفتان : العدل والإحسان .

فالعدل هو موازنة فى الفرد بين ما يشتهى أن يحصل عليه وما يجب عليه أن يفعله ويؤديه ، وفى أفراد المجتمع بين ما يؤدى من قبل كل فرد وما يؤخذ له، ليس هناك حرمان فى دائرة الفرد ولكن هناك اعتدال، وليست هناك أنانية فى دائرة المجتمع ولكن هناك اشتراك فى الوجود وفى حق الحياة وتوازن فيهما ، ومن ثم ليس هناك مجال للطبقات ولا سبب للاحتكاك. وإنما هناك حق للجميع . والعدل كما يكون فى الفعل يكون فى القول ، وكما يكون بين مشتركين فى هدف واحد فى الحياة يكون بين اثنين لا يربطهما هدف واحد ولكن تجمعهما خصائص الإنسانية . يقول الله تعالى : .

« أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين . وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الأرض مفسدين » . ويقول : « وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا » .. ويقول : « ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا ، هو أقرب للتقوى » .

والإحسان - بدوره - فوق العدل والموازنة ، لأنه ليس الإعطاء المادى لمحتاج ، وإنما هو التهذيب فى أخص صوره . هو المنح بلا مقابل ، والرد الكريم عند عدم الاستطاعة على الإعطاء . والمعاملة الإنسانية فى العشرة والمفارقة على السواء ، والقول الجميل فى الحادثة . يقول الله تعالى : « قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى» . ويقول : « فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان » . ويقول : « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » ويقول : « ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة ، وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » .

ولمنزلة العدل والإحسان فى المستوى البشرى وبين الخصائص النفسية طلبهما القرآن فى صورة الأمر الجازم فى قوله : « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » . فإذا تحقق العدل الفردى والجماعى وأصبح التوازن ظاهرة فى تصرفات الفرد والمجتمع على السواء - تحققت صورة من صور « النوعية » الإنسانية . وإذا وجد الإحسان بالمعنى الذى قدمنا وجدت الصورة الأخيرة لهذه النوعية ، وأضحى الفرد

ذا إنسانية وأصبح المجتمع مجتمع الإنسان فيما تؤدى إليه كلمة الإنسان من معنى أصيل وخاص بها .

* * *

وما جاءت به دعوة الإسلام فيما وراء العدل والإحسان لايعدو أن يكون دفعا لتحقيق العدل والإحسان أو خلقا لجو ييسر أمرهما على الإنسان كفرد وكعضو فى مجتمع. فصنوف العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج قصد منها حمل الإنسان على أن يرى نفسه ووضعه فى الحياة كما يرى غيره معه فى الوجود ويشركه فى أسباب الاستقرار . فتكرار الصلاة فى الحياة اليومية عدة مرات والوقوف فيها بين يدى الله ، والسيطرة على النفس بالصيام مدة شهر فى السنة ، وإخراج الزكاة عن إيمان قلبى بها كل عام ، والالتقاء فى بيت الله وفى مكان له حرماته مع تحمل المشقة فى الوصول إليه أو البقاء فيه ـ كل ذلك سيخلى فى حياة الإنسان مكانا للغير ويجعل لديه احتمالا قويا للتعاون مع الآخر ، وربما يصل هذا التعاون للتآخى بعد ذلك .

وكذا ما جاء فى دعوة الإسلام من تحديد فى المعاملات المالية والتجارية وفى العلاقات الأسرية ـ لايخرج عن كونه دفعا غير مباشر للبقاء فى دائرة العدل أو الارتقاء إلى دائرة « الإحسان » . أى إلى الصورة الأخيرة لنوعية الإنسان .

لم يكن الإسلام فى واحد من تعاليمه مقدراً للكم لأنه كم ، ولم يكن مقدراً الإنسان لمظاهر جسمه ، ولم يكن مقدراً الحياة لزينتها وبريقها مما يقاس بالامتداد أو العمق . ولكنه دائما يقدر النوع ويهدف إلى النوع ، ويحمل على السعى إلى معرفته ثم تقديره وتحقيقه فى حياة الإنسان .

الإسلام مصدر للحضارة الإنسانية . وقد أسهم المسلمون ـ عندما حققوا مبادئ الإسلام ـ فى بناء تلك الحضارة . ولعل ما أسهموا به كان أروع ما فى هذه الحضارة. وقد انقطعوا عن الإسهام والمشاركة فيها يوم أن ابتعدوا عن القيم الإسلامية فى حياتهم واكتفوا بانتسابهم إلى الأمة الإسلامية دون أن يصنعوا صنيع المسلم المعبر فى سلوكه عن الإسلام .

ويقظة المسلمين فى حاضرنا حين تبتدئ من تقدير النوع دون الكم ، ومن تقديم المبدأ دون الشخص ، ومن الإيمان بالإسلام دون الاحتراف به ، أو الاكتفاء بالانتساب إليه ، يومئذ تبتدئ فى الإسهام فى الحضارة البشرية بالنوع الرفيع منها .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدني

— ٦ —

١ — روى أحمد ، والبخاري ، والترمذي ، والنسائي ، وغيرهم ، عن ابن عباس قال : سمعت عمر يقول : لما توفي عبد الله بن أبي دعي رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام عليه ، فلما وقف قلت : أتصلي على عدو الله عبد الله ابن أبي القائل كذا وكذا ، والقائل كذا وكذا ـ أعدد أيامه ـ ورسول الله صلى الله عليه وسلم يبتسم ـ حتى إذا أكثرت قال : « يا عمر أخر عني ، إني قد خيرت : قد قيل لي « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة ـ فلو أعلم أني إن زدت على السبعين غفر له لزدت عليها » ، ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشى معه حتى قام على قبره حتى فرغ منه . فعجبت لي ولجراءتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ورسوله أعلم ، فوالله ما كان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » ، فما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على منافق بعده ، حتى قبضه الله عز وجل .

٢ — وروى البخاري ومسلم وغيرهما من حديث ابن عمر رضي الله عنه قال : لما توفي عبد الله بن أبي بن سلول ، جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه فأعطاه ، ثم سأله أن يصلي عليه ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يا رسول الله : أتصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنما خيرني الله فقال : استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة ، وسأزيده على السبعين ! » ، قال : إنه منافق ، قال : فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره » ـ زاد مسلم في رواية أخرى : فترك الصلاة عليهم .

٣ — وذكر ابن حجر العسقلاني في ترجمة أبي عطية من الجزء الرابع من (الإصابة) أنه قد أخرج البغوي وأبو أحمد الحاكم من طريق إسماعيل بن عياش ، وروى الطبراني

من طريق بقية ، كلاهما عن بجير بن سعد عن خالد بن سعدان ، عن أبى عطية : أن رجلا توفى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم - وسيرد فى آخر الرواية ما يدل على أن هـذا البعض هو عمر - : يارسول الله ، لا تصل عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « هل رآه أحد منهم على شئ من أعمال الخير ؟ » ، فقال رجل : حرس معنا ليلة كذا وكذا ، قال فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم مشى معه إلى قبره ، ثم حثا عليه وهو يقول : إن أصحابك يظنون أنك من أهل النار ، وأنا أشهد أنك من أهل الجنة ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : إنك لا تسأل عن أعمال الناس ، وإنما تسأل عن الغيبة ... الحديث ...

لم يزل العلماء يروون هـذه الروايات وأمثالها فى شأن الصلاة على المنافقين ، وموقف كل من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وعمر رضى الله عنه من ذلك

ونراهم يوردون عليها استشكالات كثيرة ، ثم يحاولون الإجابة عنها ، أو يقفون دون ذلك فى عجز وحيرة ، وقد عد بعضهم وجوه الإشكال والاضطراب فيها ، فكان منها :

١ — أن هذه الروايات تقرر أن الصلاة على ابن أبىّ كانت سببا لنزول آية النهى ، مع أن سياق القرآن صريح فى أن آية النهى « ولا تصل على أحد منهم » إلخ نزلت فى سفر غزوة تبوك سنة ثمان ، وإنما مات ابن أبىّ سنة تسع .

٢ — وقول عمر للنبى صلى الله عليه وآله وسلم : « وقد نهاك ربك أن تصلى عليه » يدل على أن النهى عن هـذه الصلاة سابق لموت ابن أبىّ — وقوله بعده : « فصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » صريح فى أنه نزل بعد موته والصلاة عليه .

٣ — وقوله : إنه صلى الله عليه وسلم قال: إن الله تعالى خيره فى الاستغفار لهم وعدمه ؛ إنما يظهر التخيير لو كانت الآية كما ذكر فى الحديث ، ولم يكن فيها بقيتها ، أى التصريح بأنه لن يغفر الله لهم بسبب كفرهم ، وأن الله لا يهدى القوم الفاسقين ، ومن ثم كان المتبادر من « أو » فيها أنها للتسوية بين ما بعدها وما قبلها ، لا للتخيير ، وذلك هو ما قرره المحققون ، وهو فهم عمر .

والواقع أن الإشكالين الأولين مبنيان على أن النهى الذى قصده عمر حين قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال ، هو النهى الوارد فى قوله تعالى: « ولا تصل على أحد منهم » ، مع أن الروايات تدل على أنه يريد النهى الذى فهمه من قوله تعالى: « استغفر لهم

أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ... » إلخ كما سيأتى بيانه .

ولذلك يعد الإشكال الثالث هو أهم الإشكالات فلنقصر حديثنا عليه فنقول :

لنا أن نتساءل أولا من أين عرف عمر أن الصلاة على المنافقين منهى عنها ، ولنا أن نجيب بأنه عرف ذلك استنباطا من آية : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

والذى يدل على أن عمر فهم هذا من الآية هو أن رسول الله قال له : (إنما خيرنى الله فقال : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة » وسأزيده على السبعين) .

والخلاصة : أن عمر رضى الله عنه فهم من هذه الآية :

أولا : أن المراد بيان استواء الاستغفار وعدمه فى عدم القبول من الله .

قال ابن المنير : « هذا كقول كثير عزة :

أسيئي بنا أو أحسنى لا ملومة .

كأنه يقول لها : امتحنى محلك عندى وقرة محبتى لك ، وعامليني بالإساءة أو الإحسان ، وانظرى هل يتفاوت حالى معك مسيئة أو محسنة ، وكذلك معنى الآية « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم » ، وانظر هل يغفر لهم فى حالتى الاستغفار وتركه ، وهل يتفاوت الحالان أولا ؟

قال : وقد ورد بصيغة الخبر فى الآية الأخرى فى قوله تعالى : « سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم ، لن يغفر الله لهم » اهـ كلام ابن المنير (١) ، وهو التعبير الواضح عن فهم عمر ، ثم تأتى مقدمة أخرى لتمام حجة عمر ، وهى أن يقال : ما دام الأمر فى استغفار الرسول وتركه على سواء فلا محل لاشتغال الرسول بالاستغفار لهم ، وهو أمر لا يؤدى إلى المقصود منه ، وكل ما كان كذلك يحرم الاشتغال به ، وإذن فالاستغفار لهم حرام ، ولما كانت الصلاة على الميت من المنافقين ما هى إلا استغفار له ، فإنها تحرم لأنها فرد من أفراد الاستغفار .

ثانيا : أن عمر فهم من قوله تعالى : « إن تستغفر لهم سبعين مرة » ، أنه مبالغة فى بيان عدم القبول حتى مع الكثرة ، وعدد السبعين لا مفهوم له ، بل هو جار فى كلامهم مجرى المثل لإفادة الكثرة كما قال الشاعر :

لأصبحن العاص وابن العاصى
سبعين ألفا عاقدى النواصى

وهنا يبرز إشكال ، فيقال : كيف خفى هذا على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وهو

---

(١) ص ١٦٤ هامش الجزء الثانى من تفسير الكشاف - الطبعة الأولى لمصطفى محمد سنة ١٣٥٤ هـ بمصر .

أفصح العرب ، وأخبرهم بأساليب الكلام وتمثيلاته - والذى يفهم من هذا العدد كثرة الاستغفار ، كيف وقد تلاه بقوله : « ذلك بأنهم كفروا » الآية ، فبين الصارف عن المغفرة لهم - حتى قال قد رخص لى ربى فسأزيد على السبعين » (١) . ويقال : « لا يعقل أن يكون فهم عمر أو غيره أصح من فهم رسول الله لخطاب الله » (٢) .

وقد حاولوا الإجابة على هذا الإشكال .

فأما ابن المنير فقال : « إن مفهوم هذه الآية قد زلت فيه الأقدام حتى أنكر القاضى أبو بكر الباقلانى صحة الحديث وقال لا يجوز أن يقبل هذا ، ولا يصح أن الرسول قاله اهـ . ولفظ القاضى أبى بكر الباقلانى فى التقريب : هذا الحديث من أخبار الآحاد التى لا يعلم ثبوتها ، وقال إمام الحرمين فى مختصره : هذا الحديث غير مخرج فى الصحيح ، وقال فى البرهان : لا يصححه أهل الحديث ، وقال الغزالى فى المستصفى : الأظهر أن هذا الخبر غير صحيح ، وقال الداوودى الشارح : هذا الحديث غير محفوظ ، والسبب فى إنكارهم صحته ما تقرر عندهم ، وهو الذى فهمه عمر من حمل « أو » على التسوية لما يقتضيه سياق القصة وحمل السبعين على المبالغة . قال ابن المنير : ليس عند أهل البيان تردد أن التخصيص بالعدد فى هذا السياق غير مراد . اهـ (١) .

ولكن الحافظ فى فتح البارى لم يرتض حل الإشكال على هذا الوجه بإنكار صحة الحديث ، فقال : « لقد أقدم هؤلاء الأكابر على الطعن فى صحة هذا الحديث مع كثرة طرقه واتفاق الشيخين وسائر الذين خرجوا الصحيح على تصحيحه ، وذلك ينادى على منكرى صحته بعدم معرفة الحديث وقلة الاطلاع على طرقه » (٢) .

وأما صاحب الكشاف فلا يجيب بإنكار صحة الحديث ، ولكن يخرجه تخريجا فيقول : « لم يخف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ، ولكنه خيل بما قال إظهاراً لغاية رحمته ورأفته على من بعث إليه ، كقول إبراهيم عليه السلام ، ومن عصانى فإنك غفور رحيم ، وفى إظهار النبى صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لأمته ودعاء لهم إلى ترحم بعضهم على بعض » (٣) .

ويتلخص هذا الرأى فى أن الرسول صلى الله عليه وسلم مع علمه صحة ما استنبطه عمر ، وأنه الموافق لكلام العرب الذى لا يمكن أن يفهم غيره ، لكنه تغافل عن ذلك ، وخيل بما قال ، أى أظهر أنه مستمسك بوجه قد يفهم ، وذلك لأنه يريد أن يصل

(١) ص ١٦٤ من الكشاف - الطبعة المذكورة ج ٢ .
(٢) ص ٥٧٦ من الجزء العاشر من تفسير المنار.

(١) ص ٥٧٧ ج ١٠ من تفسير المنار .
(٢) المصدر والموضع السابق ذكرها .
(٣) الكشاف فى الموضع السابق ذكره .

فى مظهر الرأفة والرحمة إلى أبعد حد ، لطفا بالأمة ، وتعليما لهم إلى أى حد يتراحمون .

وقد ذكرنى هذا بكلام قرأته فى بعض كتب الأدب ، وهو أن شاعرا اسمه « النجاشى » هجا بنى العجلان بشعر أوجعهم ، فشكوه إلى عمر بن الخطاب، فقالوا : يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال عمر : وما قال ؟ فأنشدوه :

إذا الله عادى أهل لؤم ورقة
فعادى بنى العجلان رهط ابن مقبل

فقال عمر : إنما دعا عليكم ولعله لا يجاب! فقالوا إنه قال :

قُبَيِّلة لا يغدرون بذمة
ولا يظلمون الناس حبة خردل !

فقال عمر : ليتنى من هؤلاء ، أو قال : ليت آل الخطاب كذلك ، أو كلاما يشبه هذا، قالوا : فإنه قال :

ولا يردون الماء إلا عشية
إذا صدر الوراد عن كل منهل !

فقال عمر : ذلك أقل للشكاك يعنى الزحام، قالوا : فإنه قال :

تعاف الكلاب الضاريات لحومهم
وتأكل من كعب بن عوف ونهشل!

فقال عمر : كفى ضياعا من تأكل الكلاب لحمه ، قالوا فإنه قال :

وما سمى « العجلان » إلا لقولهم
خذ القعب واحلب أيها العبد واعجل

فقال عمر : كلنا عبد، وخير القوم خادمهم! فقالوا يا أمير المؤمنين هجانا ، فقال : ما أسمع ذلك ، فقالوا : فاسأل حسان بن ثابت ، فسأله ، فقال : ما هجاهم ولكن سلح عليهم !

قال ابن رشيق فى كتابه « العمدة » بعد أن أورد هذه القصة : « وكان عمر رضى الله عنه أبصر الناس بما قال النجاشى ، ولكنه أراد أن يدرأ الحد بالشبهات، فلما قال حسان ما قال سجن النجاشى ، وقيل إنه حده » (١) .

ولا شك أن التغافل مع الفطنة مسلك قد تقضى به المصلحة ، فهذا تقريب لما أراده الزمخشرى حين قال : « إن رسول الله لم يخف عليه ذلك ، ولكنه خيل بما قال » .

ونحن إذا نظرنا إلى سياق القرآن وحده ، بعيدين عن الروايات المروية ؛ وجدنا أن سورة التوبة ، قد عنيت بالحديث عن أصناف المنافقين ، وأساليب نفاقهم ، معطية لكل لون حكمه ، وذلك مثل قوله تعالى : « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى » ، « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن » ، « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » « ومنهم من يلمزك فى الصدقات » ، « وممن حولكم من الأعراب منافقون » . . . إلخ ، فقوله تعالى فى هذه السورة : « فرح المخلفون

(١) العمدة لابن رشيق ص ٢٧ ـ ٢٨ من الجزء الاول طبع مصر سنة ١٣٢٥ هـ ١٩٠٧ م .

بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله » إلخ. إنما هو حديث عن صنف من أصناف المنافقين بعينه ، وهم الذين تخلفوا عن واجب الجهاد والخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك ، فهم ليسوا مجرد منافقين لهم مظهر المسلمين وباطن الكافرين ؛ ولكنهم خرجوا على المظهر الإسلامى ، حين تخلفوا عن الجهاد ، فاعتبروا بذلك كفاراً صرحاء ، وعوملوا على هذا الأساس ، فقيل للرسول فى شأنهم : « فإن رجعك الله إلى طائفة منهم ، فاستأذنوك للخروج ، فقل لن تخرجوا معى أبدا ، ولن تقاتلوا معى عدوا ». وهذا طبيعى لأنه لا يمكن أن يتكون جيش الجهاد من مسلمين صرحاء وكافرين صرحاء ، وقيل له : « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره » وذلك لأن الصلاة إنما تكون على المؤمن باعتبار الظاهر ، أما هؤلاء فتقول عنهم الآية : « إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ».

وبذلك يتبين أن هذه الآيات عن فريق معين من المنافقين ، ظهر كفرهم بعد أن كان خافيا ، وأعلنوا أمرهم ، فكان لابد من معاملتهم معاملة الكافرين الواضحين .

ويقال مثل ذلك فيمن قصد بقوله تعالى : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله » فإن احتجاز الزكاة والبخل بها ، إعلان لمظهر من مظاهر الكفر ، ولذلك قيل للرسول : « استغفر لهم أولا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ، ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » .

وأحب أن أنبه فى هذا المقام إلى أن القرآن وصف كلا من هذين الصنفين من المنافقين ، مع الكفر بالله ورسوله ، بوصف الفسق حيث يقول عن المخلفين : « وماتوا وهم فاسقون » ، وعمن منع الزكاة : « والله لايهدى القوم الفاسقين » ، والفسق الخروج عن مقتضى الإيمان فى إعلان وإظهار ، وفى اللغة : فسقت الرطبة ، إذا خرجت عن قشرتها ، فكأنهم بتخلفهم وبمنعهم الزكاة ، أعلنوا ما كان مستخفيا من حقيقة أمرهم وظهروا بدون حجاب يسترهم ، فاستحقوا أن يعاملوا معاملة الأعداء الصرحاء .

وإذا كانت هذه دلالة القرآن فى سياقه ، فليس فى الأمر مشكلة ، إنما المشكلة فى الجزء الأخير من الحديث الذى يقرر : أن عبد الله ابن أبى من المنافقين الذين لا تجوز الصلاة عليهم ، وفى الجزء الذى يقرر أنه داخل ضمن المقصودين بقوله تعالى : « استغفر لهم أولا تستغفر لهم » .

والواقع أن عبد الله بن أبى بن سلول ، لم يكن من هؤلاء ولا هؤلاء ، فلم يكن من المخلفين ولا من المانعين للزكاة ، وإنما كان من

المنافقين المستخفين الذين لم يرتكبوا ظاهراً يفصح عن حقيقتهم ، فوجب معاملته بمبدأ الإسلام المعروف « أمرت أن أحكم بالظاهر والله يتولى السرائر » ، ولذلك صلى عليه الرسول ، وكفنه بقميصه وقام على قبره وله فى ذلك غرض بعيد المدى ، بفعل هذا الذى يباح له بحكم قواعد الإسلام أن يفعله مع أبى ، وهو أن يقرب أتباعه وأهله ، والمستظلين بلواء زعامته ، ولا شك أنه يجوز لكل إمام أن يجامل فى سبيل المصلحة العامة بفعل لا يتعارض مع أحكام الشريعة .

تلك هى نظرة الرسول صلوات الله وسلامه عليه وهى نظرة الصواب والحق والنظرة التى توافق طبيعته صلى الله عليه وسلم باعتباره رسول الرحمة ، ومربى الأمة ، والحريص على أن يلين للناس ليستل من النفوس عوامل النفور والاستكبار ، ولو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، امتنع عن الصلاة على ابن أبى وهو لم يعلن كفره ، لبقى ذلك عاراً يدمغ به أهله وأتباعه أبدا ، ولكان هناك مثار للشك فى نفوس كثير ممن لا يعرفون حقيقة ابن أبى ، ولا يأخذون إلا بظاهر أمره .

وقد قيل له صلى الله عليه وسلم : لم وجهت قميصك إلى ابن أبى يكفن فيه ؟ فقال : إن قميصى لا يغنى عنه من الله شيئا ؛ وإنى أؤمل أن يدخل بهذا السبب فى الإسلام خلق كثير ، فروى أنه أسلم بهذا السبب ألف من الخزرج .

فنعم ما فعل رسول الرحمة صلوات الله وسلامه عليه .

أما عمر رضى الله عنه ، فإن ما ترويه عنه الروايات ، شبيه بما يعرف من شدته وقوة شكيمته ، فهو ينظر إلى ابن أبى بعينه هو ، وبما يعرفه من خباياه ، فتنسيه تلك النظرة المظهر الذى يتستر به ابن أبى ، ولا يذكر إلا أن هذا منافق وكفى .

وشتان بين من ينظر إلى الأمر من جميع الزوايا ، ويعطيه الحكم اللائق به حسب المبادئ المقررة فى الحكم بالظاهر وفى « هلا شققت عن قلبه » وفى « إنك لا تسأل عن أعمال الناس وإنما تسأل عن الغيبة — أى عما تعمله أنت » شتان بين نظرة محيطة كهذه ونظرة من أفق فى ناحية واحدة كهذه النظرة التى نظرها عمر .

ولكن المولعين بإكثار الروايات أو القصص عن قوة الشخصية العمرية ربما أغراهم ذلك الولوع بمثل هذا اللون الذى يتضمن أن رأى عمر كان أوفق من رأى رسول الله ، وإن هذا الحكم خطير ، فلا ينبغى أن نعجل به دون أن نتأمل وندرس الأمر من جميع جوانبه .

والله المستعان .

محمد محمد المدنى

عميد كلية الشريعة

الوحدة العربيّة

للأستاذ عارف النكدى

إن هذه الانتفاضة الجبارة التى ابتعثتها مصر الخالدة ثورة بناءة لا قتل معها ولا سحل ، وما بالعهد أن تكون الثورات إلا حمرا ، هذه الثورة أيقظت العرب ، بل المستضعفين فى كل بقعة من بقاع الدنيا ، وتركت دويا أفزع المستعمر فى كل بلد من بلاده ، وفى كل أرض من استعماره . وجعلت الحديث عن العرب والعروبة وعن الوحدة العربية حديثا عذبا مستطابا . وكان من آثار هذه الثورة : هذه الوحدة خصت مصر وبعض الشام ، وستعم غدا المشرق والمغرب ، فتضم العرب فى كل مكان ، تحيى ما كاد يموت من آمالهم ، وتنشر ما كان انطوى من سلطانهم وأعلامهم .

وبعد : فهل هذه الوحدة ومبادئها ، وما سيكون بعدها بدعة لم يعرفها التاريخ ، قامت على نزعة جامحة ، اقتضتها مصلحة عارضة ، أم هى حقيقة ثابتة مستلة من صلب التاريخ ، يؤيدها منطق الأحداث ومتطلبات الحياة ؟ .

إن الوحدة العربية هى الحقيقة التاريخية ، والأمل المنشود ، قضى فى سبيلها من قضى ، وصلب من صلب ، واستشهد من استشهد ، وعيناه شاخصتان إليها ، مطمئن قلبه أنها آتية لا ريب فيها .

إنها الحقيقة لا خيال فيها ، قامت على وحدة الأصل ، ووحدة اللغة ، ووحدة التاريخ ، ووحدة الأدب ، ووحدة الاشتراع ووحدة السياسة والإدارة ، ووحدة الرأى والمبدأ ، ووحدة العقيدة والإيمان ، ووحدة المصالح والأهداف . هى الرغبة فى أن نعيش أمة واحدة فى وطن واحد ، إلا من أضله الله وما له من هاد . وبحسب الجماعات بعض هذا ليكونوا أمة واحدة . فكيف بالعرب وقد اجتمعت لهم هذه العوامل والروابط كلها .

ولا نقف عند قولة نقولها ، وإن كانت الحق وصوت التاريخ ، فنرجع إلى من قبلنا وما قالوا فى تكوين الأمة وشرائط بنائها .

يقول لاون بورجوا :

« الأمة : حيث الناس وهم روح واحدة ووطن واحد ، ورغبة فى أن يحتفظوا بالحياة المشتركة التى ورثوها عن آبائهم وأن يورثوها أبناءهم من بعدهم » .

وأقدم من هذا وأوضح منه ، ما قاله

(أرنست رينان) : الأمة روح ، أو هى مبدأ روحى يتألف من شيئين اثنين هما فى الحقيقة شىء واحـــد . أولهما إرث مشترك غنى بالذكريات . وثانيهما رضاء بالحاضر ، ورغبة فى الحياة المشتركة ، والعمل على أن نجعل لهذا الإرث القـديم الذى انتهى إلينا شائعاً ، شأنا وقيمة .

وكما أن الرجل لا يرتجل ارتجالا ، فكـذلك هى الأمـة ، نتاج ماض بعيد ، معمور بالإخلاص ، مملوء بالمساعى والضحايا » .

هذا بعض ما قاله بعض الغربيين عن الأمة عامة . أما الجاحظ فيقول عن العرب خاصة ما هو أبين وأبلغ ، يقول : « فأما الخواص الخاص فإنهم قالوا : العرب كلهم شىء واحد ؛ لأن الدار والجزيرة واحـدة ، والأخلاق والشيم واحدة . وبينهم التصاهر والتشابك ، والاتفاق فى الأخلاق والأعراق ، وبينهم الخئولة المرددة ، والعمومة المشتبكة .

ثم المناسبة التى بنيت على غريزة التربة ، وطابع الهواء والمـاء . فهم فى ذلك شىء واحد فى الطبيعة ، واللغة ، والهمة ، والشمائل ، وفى الرأى والرابة ، والصناعة والشهوة .

فإذا بعث الله نبيا للعرب ـ نقول : أو زعيما ـ فقد بعثه إلى جميـع العرب . كلهم قومه ، وهم جميعا يد على العجم ، وعلى كل من حاربهم من الأمم .

قالوا : والمشاكلة من جهة الاتفاق فى الطبيعة والعادة ، ربمـا كانت أبلغ وأوغل من جهة الرحم . نعم ! حتى تراه أغلب عليه من أخيه لأمه وأبيه . وربمـا كانت أشبه به خلقا وخلقا ، وأدبا ومذهبا » .

ولقد كانت الوحـدة العربية قائمة على عصبية قومية صحيحة : متينة الأواصر ، متسلسلة الحلقات ، متصلة الموجات والهجرات منبعث بعضها عن بعضها الآخر ، متولد آخرها عن أولها ، فى حياتيها : الروحية والمدنية جميعاً . فلولا مكة ما كانت المدينة ، ولولا هذه لمـا كانت دمشق وبغداد ومصر ، وسائر العواصم العربية الـكبرى فى المشرق والمغرب . ولولا هذه كلها ، وما كان فيها من مدارس ودور العلم ، وما أخرجت من فلاسفة ومحـدثين وعلماء وأدباء وشعراء ومؤرخين لمـا كانت هذه الحضارة العربية الزاهرة الخلاقة الولود المؤلفة لهذه المجموعة من الحضارة ، متمم بعضها للبعض الآخر ، عروة متماسكة لا انفصام لها ، ولا ينهض منها جناح إلا بجناحه الآخر . ثم إنها كانت بعد ذلك حلقة الاتصال بين ماضى الحضارات وحاضرها . حضارة أصلها ثابت وفرعها فى السماء . قامت فى كل بلد عربى ، أو دخل فى حكم العرب . وتركت آثاراً وضاءة لا يزال العـلم فى كثير من شئونه يستنير بها ، ويستقى من معينها الثر الفياض .

وأى عربى صدقت وطنيته ، وصح تفكيره ، يرضى لنفسه أن ينكمش فى وكره متخليا عما فى الأقطار الأخرى من كرائم ومقومات ، خارجا عن حقه فى ملك هو ملكه ، وعن إرث هو إرثه ، خلفه له آباؤه الأولون فى كل قطر من أقطارهم .

ورجالات العربية فى العلم والأدب ، كان الوطن العربى كله ، وطنهم كلهم ، فكانوا حتى بعد ما أصيبت أوطانهم بما أصيبت به من تجزئة وانفصال ، قضت بها المنافع والمآرب الشخصية ، كانوا يتنقلون من جانب إلى جانب ومن دولة إلى دولة ، وهم يرون فى كل وطن نزلوه من المشرق أو المغرب وطنهم ، يتقلدون مناصبه ويتمتعون بخيراته . ظل ذلك إلى أن احتل الأجنبى ديارهم ، فتخرج به وعلى يديه جماعة عدوا كل طارئ عربى على قطر عربى غريبا عنه ، دخيلا فيه .

وقد يتساءل متسائل بعد هذا الذى بسطناه : وما الذى يمنع هذه الوحدة أن تتم كاملة شاملة ؟ نقول : يمنعها شيئان اثنان هما فى الحقيقة شىء واحد : الاستعمار والاستئثار أو الاستثمار :

أما الاستئثار : فيقوم بأن يستخدم الأجنبى المستعمر ، نفراً من أبناء البلاد ، ضعاف الإيمان واسعى الذمة ، يتخذهم أعوانا له على أبناء وطنهم ، فيكونون أسياداً بسيفه فى الظاهر ، عبدانا له فى الواقع ، فلا يزال يقاتل الوطنية والوطنيين باسمهم ، حتى إذا هو انتهى منهم ، وفرغ من حاجته إليهم ، نبذهم والتفت إلى غيرهم . هذا هو المعروف والمشاهد إلى يومنا هذا ، فى كل بلد اجتله الأجنبى ، فى الشرق أو الغرب .

والقضاء على أمثال هؤلاء الخارجين على أمتهم ، المارقين من صفوفها ، له فرص تنتهز : ليست ميسورة كل حين . وقد يجوز أن يطلق على هذا الوضع الاستعمار المستتر ، وإن كان فى كثير من الأحيان يكون مكشوفا مفضوحا .

الاستعمار : أما الاستعمار الصريح ، فهو السياسة التى يتبعها الأجانب فى الدول والبلدان التى يطمعون فى استذلالها ، أو فى دفع شرها أو استنزاف ثرواتها ، أو فى ذلك جميعه .

وهى تقوم على تمزيق وحدة الوطن الواحد ، وتحريض الناس بعضهم على بعض ، والتحريش بينهم لإبقاء على سلطانه عليهم ، وتحكمه فيهم . وهى سياسة قديمة قائمة على قاعدة : اقسم تحكم ، أو فرق تسد . فصلها أرسطو فى جواب بعث به إلى الإسكندر - بعد تغلبه على بلاد فارس واستعلائه عليها - قال له فيه :

« واعمد إلى من قبلك من العظماء والأحرار ، فوزع بينهم مملكتهم ، وألزم اسم الملك

كل من وليته منهم ناحية ، واعقد التاج على رأسه ، وإن صغر ملكه . فالمنعقد له التاج لايخضع لغيره . ولا يلبث ذلك أن يوقع بين كل ملك منهم تدابرا ، وتغالبا على الملك ، وتفاخراً بالمال ، حتى ينسوا بذلك أضغانهم عليك ، وتعود بذلك حربهم لك حربا بينهم ... فإن دنوت منهم كانوا لك ، وإن نأيت عنهم تعززوا بك ، حتى يثب كل منهم على جاره باسمك . وفى ذلك شاغل لهم عنك ، وأمان لأحداثهم بعدك . ويعقب على ذلك فيقول : ولا أمان للدهر » .

والاستعمار ضد كل نهضة وعدو كل إصلاح . وهذا مثال من آلاف الأمثلة نضربه على ماوقع بين مصر والشام .

« لما دخلت مصر الشام. فى أواسط القرن التاسع عشر اصلحت فيه ما أفسدته السياسة التركية إصلاحا عاما شاملا . أترك وصفه للمستر برنت قنصل انكلتره بدمشق فى كتاب بعث به إلى سفيره فى الأستانة تاريخه ٦/١٤ سنة ١٨٥٨ هذا بعض مافيه :

لما كانت الإيالة - يريد ولاية الشام - تحت حكم الدولة المصرية ، عاد كثيرون إلى سكنى المدن والقرى المهجورة ، واستأنفوا حراثة الأرض المهملة . وهذا ماحدث فى حوران ، وفى النواحى الواقعة حوالى حمص وفى كل الجهات على حدود الصحراء . وقد أكره العربان على احترام سلطة الحكومة وصار السكان فى مأمن من اعتداءاتهم . وبحسن إدارة هذه الحكومة وطد الأمن ، فاطمأنت النفوس ، فسار الأهلون فى طريق التقدم ، وحسنت الحالة المالية ، وأما ما يشكو منه بعضهم من تشدد الحكومة فى إجراءاتها فشىء لم يكن منه بد ، ولم تكن الحكومة تستطيع أن تفعل غير ذلك . فقد كان عليها أن تصلح كثيراً من الأمور المختلة ، وأن تقضى على القلق والاضطراب اللذين كانا سائدين ، وتستبدل بهما الأمن والسكينة والعدل .

وأكثر أولئك الشاكين ، هم أصحاب المقامات العالية والأفندية والأغوات الذين كانوا يثرون من نهب أموال أصحاب التجارة والصناعة ، وسائر المستضعفين من أبناء الطبقات العاملة .

غير أن هؤلاء سروا كثيراً لخلاصهم من الظلم الذى رزحوا تحت عبئه زمناً طويلا ، »

إلى أن يقول :

« والفلاحون الذين عادوا إلى قراهم ، وكانوا هجروها ، أسلفوا مالا لإصلاح بيوتهم وتموينها وأعفوا من الضرائب ثلاث سنوات .

وبذلت جميع المساعدات لتزييد الحاصلات وكانت الجنود المصرية تقوم بنفسها لإتلاف بيوض الجراد ، والقضاء على ما نقف منها . وبفضل هذا الحكم الحازم والعادل ، الذى احترمه الجمهور أخذت البلاد ترقى وتسير فى طريق النجاح والنماء ، فلو طال عليها

الحكم المصرى لاستفادت سورية منه استفادة عظيمة ، وازداد سكانها ، وأصابت حظا كبيراً من النجاح ، ومن الثروة التى كانت لها فى الماضى . بيد أنه ما كاد المصريون يخرجون من البلاد ، ويتقلص ظل سطوتهم ، حتى عاد القوم إلى مثل ما كانوا عليه من نبذ الطاعة . وعمت الرشوة ، وفشا التبذير فى إدارة المالية وفقدت النزاهة ، ومنى الدخل بالنقصان ، واضطرب حبل الأمن ، وعاد البدو إلى ما كانوا عليه من الغارات والتخريب . فأخلى الأهلون قراهم ومزارعهم فلا أمن على مال ، ولا على حياة .

ثم يقول :

« وكان الدخل أيام الحكم المصرى يدار بنزاهة واقتصاد . ولدى الحكومة المصرية جيش وافر العدد ، وهى تقوم بنفقات الإيالة المتوقع ازديادها تدريجاً . أما الحالة اليوم بعد جلاء القوات المصرية فهى على العكس تماما من جميع الوجوه . فالضرائب عبء ثقيل لا يطاق ، والأمن مفقود والدخل يقل يوما بعد يوم ، لإهمال القرويين حراثة الأرض . وكل ما يجمع ينفق بإسراف أو يسرقه الموظفون » .

هذا ما شهد به رجل كان يمثل دولة كانت فى تلك الأيام ، وكانت تزعم - فيصدقها الناس فيما تزعم - أنها تمثل العدل بروحه ، والنزاهة بكل معانيها .

فماذا كان موقف تلك الدولة ، من تلك الإصلاحات التى تعترف بها بلسان ممثل رسمى يمثلها؟ كان أن كانت أسرع الدول فى مقاومة هؤلاء المصلحين ، والقضاء على إصلاحاتهم ، والعودة بالشام من حكم صالح لم يكن فى مصلحتها أن يكون ، إلى حكم فاسد من مصلحتها أن يكون .

وهى سياسة صريحة واضحة لا تحتاج إلى تفسير ولا شرح ، تنادى على نفسها بأن الاستعمار والمستعمرين أعداء لكل نهضة وتقدم فى كل بلد يطمعون فيه ، أو يريدون أن يكون لهم عليه سلطان .

هذا الاستثمار ، وهذا الاستعمار هما اللذان جعلا اليوم من ألمانية ألمانيتين ، ومن الكونغو كنغوين ، ومن كورية كوريتين ، ومنا نحن العرب هذه الدول والدويلات ، والإمارات والأميرات ، يورثون بينهن الأحقاد ويحركون الضغائن ، ثم يدفعون الواحدة إلى الاعتداء على شقيقتها .

وإذا كانت هذه التجزئات غير الصحيحة لم يقرها التاريخ فتعيش ، فتوحدت إيطالية بعد تجزئتها ، واتحدت ألمانية بعد تمزيقها ، وكذلك فعلت روسية وأمبركة واليابان ، وغيرهن من الدول والدويلات قبلهن وبعدهن اتحد كل من أراد أن يتحد .

فكذلك - نحن العرب - سنتحد ، نعم سنتحد ، ولن تقوى قوة استعمارية ولا قوة استثمارية

أن تقف سيرنا ، فتحول دون وحدتنا وهى حقنا ، ومطلبنا ، وغاية أمرنا فى هذه الحياة.

إن الوحدة هى اليوم من حقوق الشعوب لا من حق الرؤساء ، وإن الحكم للشعب نفسه لا لمن يقوم على رأسه ، وإذا غلبت الشعوب على أمرها اليوم ، فهم بعد غلبهم سيغلبون .

يقول التاريخ : إن البوربون هم الذين خلقوا فرنسة ، ولكن فرنسة نفسها عادت فطاحت برءوس للبوربون أنفسهم .

لا بقاء فى عصرنا هذا للملوك والرؤساء ولا حياة لهم ، إلا إذا هم ماشوا الشعب فى مصالحه وسايروه وكانوا لسانه الناطق فى التعبير عن آماله وأمانيه .

حاول أربعة من كبار ملوك أوربة وقياصرتها أن يمضوا فى استبدادهم ، ويقضوا على كل حركة تحررية فى بلادهم ليطفئوا نور الحرية من قلوب الشعوب ، ويخفوها عن عيونهم ، فعقدوا سنة ١٨١٥ حلفا اقترحه عليهم مترنيخ ، وزير النمسة : العدو اللدود للمبادئ الثورية ، أسموه الاتحاد المقدس ، أجمعوا أمرهم فيه على أن يكونوا رأيا واحدا وكلمة واحدة على شعوبهم ، توطيدا لعروشهم وتوكيدا لسلطانهم ، وإبقاء على أنظمتهم أن يثور عليها ثائر ، أو ينتقص من حقوقهم منتقص ، ليظلوا على عروشهم والتيجان من فوق رءوسهم . حكم راسخ ، وملك خالد كل منهم ملك الأملاك . غلاب القدر .

وما هى إلا سنوات حتى قامت الثورات ، فدكت تلك العروش دكا ، فى فرنسة ثم فى روسية وفى ألمانية وفى نمسة : الدول التى عقد ملوكها اتحادهم المقدس .

وعاد الحكم فيهن وفى غيرهن من الدول التى سارت سيرتهن إلى صاحب الحق : إلى الشعب نفسه .

نعود متسائلين :

هل هذه الوحدة بين مصر وبعض الشام ، فورة جاشت ، وشقشقة هدرت ، أم هى وضع متين قائم على أسس صحيحة راسخة ، ورغبة تاريخية أكيدة متبادلة ؟ .

إن مصر والشام لم يعرفهما التاريخ منذ عرف الإسلام إلا وطنا واحدا ، تجمعهما دولة واحدة إلا فى فترات متقطعة كان للسياسة وللدسائس يد فيها . هذا من حيث التاريخ

أما من حيث واقعنا اليوم فإذا نحن نظرنا إلى هذه الوحدة نظرة ثاقبة صادقة رأينا أن كل قطر من القطرين كان له نصيب فى العمل لهذه الوحدة .

مما لا شك فيه أن سورية كانت فى هذه الفترة الأخيرة أخلص الأقطار العربية للوحدة العربية . وبذلك كان لها فى هذه الوحدة وجه أظهر وأشرق ، كما كان لها فى مصر أساس أعمق وأعرق .

كان لكل من الإقليميين وجهة تختلف عن وجهة شقيقه الآخر.

كانت مصر قد بلغت شأوا بعيدا فى نهضتها، وخطت خطوات واسعة إلى استقلالها الناجز، وكانت وحدتها الداخلية متماسكة متراصة، لا تجزئة ولا تمزيق، وكانت الشام وغيرها من بلاد العرب ترزح تحت نير انتداب أو استعمار، تنزى فى قيود لا تستطيع معها حراكا ولا منها فكاكا، فأى مصلحة كانت لمصر فى وحدة لو تمت - وكان مستحيلا مع سلطان الأجنبى أن تتم - لعادت بمصر مراحل الى الوراء.

كان سعد : زعيم مصر يومئذ - ولم يكن غريبا عن الفكرة العربية وقد صرح بها مرارا، وساندها أحيانا، كان إذا سئل فى شئ من وحدة أو اتحاد أجاب، إذا جمعت صفرا إلى صفر، كان المجموع صفرا.

فالاستقلال أولا.

هذا ما جعل مصر تعمل فى يومها لنفسها فى معزل عن القضية العربية، وهذا مما جعل بعض من فى مصر وفى غير مصر لغرض أو لمرض يزعمون أن مصر بعيدة عن القضية العربية غريبة عنها.

وأما سورية فكان أمرها غير هذا، كان الانتداب عليها شر انتداب عرفته البلاد العربية: أحكام عسكرية غالبة، وثورات دموية متعاقبة، واستبداد مطلق مزق البلاد كل ممزق. جعل عشر دولات وحكومات فى قطر واحد لا يزيد عدد سكانه فى ذلك الحين على ثلاثة ملايين.

ذلك الوضع السيئ كان يحمل سورية على على أن تتلاءمت إلى قطر عربى تتحد معه فتتقوى به.

نعم إن الشام بحدوده الأصلية الطبيعية : داخله وساحله، وجنوبه وشماله، علق منه على المشانق وتساقط فيه تحت قنابل المدافع، فى سبيل القضية العربية ووحدتها، عدد لم يكن مثله، ولا مثل بعضه فى جميع الأقطار العربية ولكن هؤلاء الشيوخ والشبان - ولاسيما رعيلهم الأول - الذين قضوا شهداء العرب والعروبة أين تلقوا دروسهم فى الوطنية العربية، ومن قلدوا فى حركاتهم التحررية القوميه ؟.

مصر قلدوا، وبها تشبهوا، وعنها أخذوا، وإليها لجئوا، وفيها عقدوا مؤتمراتهم، ومنها ارتفعت صياحاتهم وصرخاتهم، ولو لم تفتح مصر للعرب أبوابها، لتعذر عليهم فى ذلك الحين أن يجدوا لأنفسهم المفزع الأمين.

إن رجالات العرب الأولين، هم تلاميذ شيوخ المصريين، أو تلاميذ الذين أقاموا بمصر من زعماء العرب اللاجئين.

كان شباب العرب يحفظون ما خطته أقلام جمال الدين ومحمد عبده فى العروة الوثقى، ويتدارسون مقالات للطويرانى، ومكتوب

مصطفى كامل إلى مدام « آدم » الفرنسية ، ويعجبون بمقالاته فى اللواء ، ويطربون لخطبه الوطنية ، وكان كتابا الكواكبى : الحلبى موطنا والمصرى مقاما : أم القرى ، وطبائع الاستبداد ، زادهم فى خلواتهم كما كانت خطب سعد غذاءهم ومادة مذاكراتهم ومسامراتهم . إلى ما لا يعد ولا يحصى من هؤلاء الشيوخ والزعماء الذين كانت كتاباتهم وأقوالهم مادة العرب فى ثوراتهم .

وتتبع العرب حركات مصر الاستقلالية ، منذ عمر مكرم ، إلى ثورة عرابى إلى حوادث سنة ١٩١٩ وما بعدها إلى أن كانت الثورة الأخيرة العظمى فغطت على كل ما سبقها من ثورات وحركات .

هذه هى المبادئ الفكرية ، والنزعات الثورية التى ألقتها مصر أم العرب على أبنائها العرب . أفيقال بعد هذا : إن مصر لم تشارك فى القضية العربية ! ومصر كانت للعرب مدرستهم الكبرى ومحجتهم المثلى . وكانت قصائد شعرائها فى الحرية ومهاجمة الاستعمار ، المعلقات التى كانت تعبر عن شعور شبان العرب فيحفظونها ويتناشدونها فى منتدياتهم ومجتمعاتهم .

وقد طال بنا نفس الكلام فنقف وفى النفس بعد حاجات ، ونختم كلمتنا فنقول : إن الوحدة العربية لا تزال فى نأنأتها ، وفى أول مرحلة من مراحلها ، فعلى رجال العلم وفى طليعتهم أشياخ المجامع العربية تلقى التبعة الكبرى والرسالة الأولى فى هذا الميدان .

إن مهمة أهل العلم والقلم هى تقوية هذه اللغة وبعث ما كان لأهلها من تاريخ وأمجاد ، والعمل على نشر العلوم فيها ، وتوحيد مصطلحاتها وتقريب الخلف بين العامية والفصحى إلى أن تكون كلمة هذه هى العليا .

فنعود ولساننا فى الجملة واحد ، فوحدة اللغة ، والنهضة الأدبية واللغوية كانت فى كل عصر وفى كل أمة المقدمة الممهدة للوحدة السياسية ، والوحدة لا تكون صحيحة ما لم تكن قائمة على دعائم راسخة ثابتة مستمدة من واقعنا التاريخى والاجتماعى ومن مصلحتنا العامة ، تتقبلها نفوسنا راضية مختارة . هذا هو السبيل الصحيح إليها والعمل الصالح لها .

والدعوة - دينية كانت أم سياسية - لا تفلح ، مهما كان صاحبها على حق ، إلا إذا صادفت هوى فى النفوس .

هذه آمالنا نحن العرب : ماض زاهر زاخر نريد إحياءه وإبقاءه ، وحاضر نعمل له صادقين مخلصين ، ونورثه بنينا صالحين .

ماض مشرق لحاضر مورق ، لغد محقق ، يكفله الزعيم الموفق ، مؤيدا بنصر من عند الله ؟

عارف النكدى
عضو مجمع اللغة العربية

نفحات القرآن

سوء الاختيار مهلكة

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

ا ـ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين .

ب ـ ولو شئنا لرفعناه بها ، ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب : إن تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون .

١ ــ كثيراً ما يعتمد القرآن على ضرب الأمثال فى بيان قضاياه ، وتنبيه الوعى الإنسانى إلى ما يكون غافلا عنه .

ولأن الحواس أقرب الطرق إلى العلم ، وأقوى الوسائل فى الإقناع والاقتناع ، كانت حكمة الله أن يختار أمثلة من الواقع الذى نحسه ، لتبصيرنا بما نحن عليه فى مسلكنا العملى . . وكان من هذا القبيل أن يحدثنا الله فى كتابه عمن يخاطب بالدعوة إلى الهدى ، وترسم له معالم الطريق ، ثم لا يكون منه إلا إهدار عقله فلا يحتكم إليه . وإهمال الآيات فلا ينظر فيها ، والاستهانة بالمصير المشئوم فلا يحسب له حسابا فى حاضره .

وحينما يستبد المرء بنفسه ، ويشتط فى غوايته لا يكون مبقيا على كرامته ، ويكون نازلا إلى المنزلة الدون .

وهذا ما نقف أمامه بالآيات التى معنا الآن .

فالله ـ تعالى ـ يحدثنا فيها عن رجل من عباده هبط من مشارف الكرامة إلى مساقط المهانة ، حتى صار مثله فى قصص القرآن مثل الكلب ، وقد تعارف الناس أن الكلب من الخساسة والهوان بمكان .

رجل سمع دعوة رسوله ، وبلغته آيات ربه ، فلم يكلف نفسه أن يستمع ، ولم يسهل عليه أن يتبصر ، ويفطن .

بل تنحى عن جانب الدعوة ، وتنصل من الآيات كما لو كانت شيئا يضره ، أو مهلكة تحدق به .

أيكون ذلك الرجل من بنى إسرائيل : هو بلعم بن باعوراء ؟ ؟ .

أم يكون من أمة محمد : هو أمية بن أبى الصلت ؟ ؟ أم غيرهما ؟ ؟

القرآن لا يعنى بشخصية رجـــل تخبط فى ضلاله ، وإنمـا يعنى بقصته فى نفسها ، ويسوقها فى أسلوب جدير بها ، ويصورها لنا فى صورة مجلوة لنأخذ منها العبرة .

وهو على أى حال شخص من أولئك الذين كان لهم فى القوم شأنهم ، وحولهم أنظار ترمقهم ، ووراءهم أتباع يتعلقون بهم ، ولكنهم غرتهم دنياهم ، وفتنتهم مظاهرهم ، فغلبت عليهم ضلالتهم ، وكانوا مثل الخيبة فى عصورهم ، وأسوأ ذكرى فيمن بعدهم .

حصل هذا من كثيرين فى الأمم السابقة ، وحصل من أناس فى أمة محمد عليه الصلاة والسلام ولكن رجالا منهم تجاوزوا فى إسرافهم ، وانخرطوا فى شر ما يختاره الحمق لأنفسهم فعمد القرآن إلى ذكر قصة تمثل أيهم فى صورة الكلب ، وأمر الله رسوله أن يتلو على النـاس نبأه لمـا فى ذكره من تشنيع عليه ، وتحقير له ، ولمـا فى قصته من هـول الموقف وبشاعة الحـال . يقول الله لرسوله مامعناه « واتل على الناس نبأ ذلك الرجل الذى بلغته آياتنا فانسلخ . منها ، وطرحها كما تسلخ الشاة من جلدها ويطرح عنها ، فتصير وكأنه لم يكن منها ولم تسكن فيه .

وما دامت للإنسان مدارك ، وله اختيار فى مسلكه فبطرحه للآيات ، وابتعاده عن تفهمهما يكون قد أسلم نفسه للهوى ، وأقبل راضيا على دعوة الشيطان .

والشيطان فى حرص على اجتذاب الغـواة إلى مصاف جنوده ، يزين لهم كل سوء ، وينفرهم من كل خير ، ويهون عليهم تكذيب الآيات ، والاستهانة بالنذر ، فيعيشون فى ضلال متراكم ومآثم متلاحقة .

وما كان عزيزاً على الله أن يهدى بآياته ذلك الضال ، وأن يرفع من شأنه بسببها ! ! ولكن : غلبت على الضال شقوته ، فأخلد إلى الهبوط كالنازل إلى الأرض ، وحاد عن مستواه الكريم .

والله يعلم من شأنه أنه لا يهتدى لسوء اختياره فتركه فى عمايته ، بين موجات من الفكر المضطرب ، تقذفه يمينا وشمالا بين ملاذه ينهمك فيها ، وتكالبه على جمع الحطام ، وحرصه على مظهره بين الملتفين حوله .

وبين خوفه على شىء من هذا أن يفلت من يده ، ومن طوارئ تنغص عليه متاعه ، فهو بين شواغل وهموم تساوره وعلى غـير قرار فى شأنه .

ولو أنه انتفع بالآيات فى توجيهاتها ، ورضى بمـا لديه ، وترك الأمر لتدبير الله بمشيئته وسلطانه لكان أسعد حياة ، وأهدأ بالا ، وأحظ عاقبة .

ولكن الرجل ـ وقد رضى لنفسه ما رضى ـ صار كالكلب الذى يجهد نفسه دائمـا فى تنسم الهواء فهو يلهث فى التنفس بشدة ، ويخرج لسانه من شدة ما به من إعياء فى إخراج تنفسه

ساخنا من جسمه ، والتماس الهواء الرطب .

ولا يستطيع الكلب أن يتخلص من هذا السبب يلازمه فى جهاز تنفسه الضعيف .

مجهود الكلب لا يريحه ، ومنظره لا يزايله وهو على حاله تلك : سواء أحمل عليه الإنسان ليبعده ، أم تركه قريبا .

كذلك الكافر المتحدث عنه ، وشأنه شأن أمثاله من المكذبين بالدين .

ولبئس هذا المثل الذى يتمثلون فيه بالكلب ، وقد كرمهم الله فلم يكرموا أنفسهم ، ودعاهم فلم يستجيبوا لدعوته .

فليعيشوا كما أحبوا لأنفسهم مقاطعين لله ، ولن يفلتوا مما أعد لهم من عذاب مقيم .

هذا قصص لا يراد منه تصحيح وضع سابق بعد أن تردى فيه أولئك الجاحدون .

وإنما يراد بهذا تذكير من غفل ، وتدارك الأحياء منا بالنصيحة أن تزل أقدامنا فيما زلت فيه أقدامهم .

وتشخيص النبأ فى صورة واقعية لا يقبل تكذيبا ، ولا ريبة .

وأن تكون هذه الصورة تمثيلا بالكلب أبلغ ما يضرب من الأمثال فى بيان شأن الكافرين بالله ورسوله وآياته .

والله تعالى يضرب المثل بما يليق بحالنا ، ويرجى منه أن يفيد فى توجيهنا ، وهو ـ سبحانه ـ لا يستحى أن يضرب مثلا ما !!

وإن يكن ظاهر القصص فى موضوعنا تهذيبا دينيا ، فالقصد تثقيف أعم وأوسع : مما يتصل بالحياتين .

وليس من صواب الفهم دائما أن نقصر الإرشاد على ناحيته ، ونقطع الصلة بين الإرشاد للدين والدنيا .

فإن الهدف الأكمل تربية المسلم تربية مثلى فى كل جانب من جوانبها .

وحض الإنسان على حسن الاختيار فى تصرفاته عامة يكفل فلاحه ، وطيب عيشه فى دنياه ، وبهذا يكون أكثر قدرة على الاحتفاظ بدينه ، وأكثر قوة فى المجتمع . .

والمؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف .

والله تعالى يختم آية الموضوع بتوصيتنا أن نفكر ، ونفطن ، حتى لا يكون النبأ الذى أمر الرسول بتلاوته علينا مجرد خبر عار عن الغاية منه . فيقول : « فاقصص القصص لعلهم يتفكرون » .

وتلاوة الآيات ، أو سماعها دون الاستمداد منها والاهتداء بها يكون أشبه بانسلاخ الكافرين منها لما فى الحالتين من إعراض واستهانة بمقاصدها ، والله نرجو أن يكون عونا لنا على الوفاء بما يحبه منا ، ويرضاه ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

من أعلام الفقهاء :

شيخ الإسلام ابن تيمية

للأستاذ ابراهيم عبد الباقي

فى كل عصر وجيل يظهر أفذاذ من علماء نابغين ، وعباقرة مصلحين يشيدون من المجد صروحا ، ويقيمون للعلم والفضيلة بنيانا أى بنيان ، فمن هؤلاء الأفذاذ الذين ذاعت محامدهم ، وانتفعت الدنيا بمواهبهم ، شيخ الإسلام والمسلمين أحمد تقى الدين أبو العباس ابن الشيخ شهاب الدين ابن تيمية .

ولد فى اليوم العاشر من شهر ربيع الأول سنة إحدى وستين وستمائة للهجرة ، وكان مسقط رأسه (حران) معهد العلم والعلماء من أقدم عصور الإسلام وقد شاء الله ـ جلت حكمته ـ أن ينزح من هذا البلد هو وأسرته إلى دمشق على أثر الغارات التى شنها عليها التتار فى وقت كانت سنه لا تزيد على سبع سنين ، وهذه أولى المحن التى انتابته ، سنة الله فى المصلحين أن يحميهم من الترف والنعيم ، حتى يستطيعوا أن يصمدوا أمام ما يواجههم من كوارث الحياة وأحداثها .

كان أبوه ـ رحمه الله ـ من رجال الحديث فلزمه واتصل بعلماء الحديث بعد أن حفظ القرآن الكريم فأخذ يدرس ما جاء فى صحيح البخارى ومسلم ، وجامع الترمذى ، وسنن أبى داود ، وابن ماجه ، والنسائى ، والدارقطنى وبخاصة مسند الإمام أحمد ، حتى فاق أهل عصره فى فن الحديث وروايته .

ولما أغار التتار على الشام تقدم إلى ملكهم بالقول فكفوا عن دمشق ولكنهم عادوا إلى عدوانهم . فلحق الناس رعب شديد ، ولكن قام فيهم هذا البطل وخطبهم خطبة أهاجت فيهم نيران الغيرة ، وقاد الجيش : جيش مصر ، وجيش الشام ، وأقسم بالله أن النصر حليفهم ، لأن الله وعدهم النصر والله لا يخلف وعده ، وما جاء اليوم الرابع من شهر رمضان حتى كبت الله عدوهم وولوا مدبرين ، يتحصنون بالجبال والتلال ، ومن هذا الحين بلغت مكانة ابن تيمية الذروة ،

وصار اسمه فى كل مكان ؛ لأنه كان العامل الأول فى هذه الانتصارات الرائعة ، وكان من السهل أن يتقلد منصبا من مناصب الدنيا ولكنه أبى ورضى أن يكون الواعظ المرشد. لم يكتف ابن تيمية بتجريد السيف على المعتدين ، بل أخذ يحارب المبتدعين الذين شوهوا جلال الدين بما أدخلوا فيه من بدع وترهات ، ومواسم وأعياد ، وزيارات شركية وبخاصة الصوفية ، وإمامهم محى الدين ابن عربى الذى انتهت فلسفته إلى وحدة الوجود وهو مذهب ظاهر البطلان والفساد، ويستلزم أنه لا حلال ولا حرام . يقول شاعرهم :

أصبحت منفعلا لما تختاره

منّى ففعلى كله طاعات

ولقد توالت المحن على ابن تيمية وعصفت به الفتن حتى عذب عذابا شديدا وذاق مرارة السجن الذى يضم بين جدرانه حثالة الناس وهو صابر على ما أصابه ، رموه بالزيغ والإلحاد والخروج على الأئمة الأعلام ليصرفوا الناس من حوله ، ولما لم ينالوا مآربهم سلطوا عليه يد الظلم العاتية فحبسته فى قلعة دمشق ليقيدوا من علمه ، و ليطفئوا نوره ، ولكن الله غالب على أمره ، فكان يبعث علمه من طاقات السجن وتلاميذه ورواد منهله يجلسون تحت القلعة بمحابرهم وأوراقهم ، وهو يملى عليهم من حفظه .

منهجه فى فهم القرآن الكريم :

جعل لتفسير القرآن الكريم ثلاث مراتب :

المرتبة الأولى : تفسير القرآن بالقرآن ، فما أجمل فى آية يفصل فى أخرى ، ولنضرب لذلك مثلا واحدا : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء [1] » ، وجاء فى سورة (طه) « وإنى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى [2] » ، فالأولى مجملة ، والثانية مفصلة وهكذا .

المرتبة الثانية : السنة فإن لم يجد فى القرآن ما يفسر القرآن اتجه إلى السنة ، لأنها شارحة للقرآن الكريم ، قال سبحانه : « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ، ولعلهم يتفكرون » وكما أنها شارحة للقرآن الكريم ، فهى تلى القرآن فى مرتبة الحكم ما دامت صحيحة .

المرتبة الثالثة : إذا لم يكن هناك قرآن ولا سنة يفسران القرآن الكريم يرجع إلى أقوال الصحابة ؛ لأنهم أدرى الناس بعلم القرآن حيث شاهدوا الرسول وتلقوا الشرح منه .

---

(١) : ١١٦ النساء .

(٢) : ٨٢ طه .

منهجه فى العقائد :

يرى أنه لاسبيل لمعرفة العقيدة والأحكام وكل ما يتصل بها إجمالا وتفصيلا إلا من القرآن والسنة المبينة له ، فما يقرره القرآن ، وما تشرحه السنة يقبله كما ورد ، ولا يجعل للعقل سلطانا فى تأويله أو تفسيره أو تخريجه إلا بالقدر الذى تؤديه العبارات، وتضافرت به الأخبار عن النبى صلى الله عليه وسلم ؛ لهذا شدد النكير على الفلاسفة ومن تبعهم كحجة الإسلام الغزالى فى أن علم البرهان هو الميزان لكل العلوم ؛ ذلك بأن إدراك البشر محدود ، وحواسه مقصورة على عالم الماديات وما وراء ذلك غيب ، والغيب قد استأثر الله بعلمه ، قال سبحانه : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله[١] » لهذا جاء الكثير منها فى صورة حسية لندرك منها فى عالمها ما ندركه فى العالم المادى. وعلى هذا فإنه سلك مسلك السلف الصالح فى أن الله تعالى لا يوصف إلا بما وصف به نفسه أو وصفه رسوله من غير غلو ولا تعطيل ، ولا كيف ولا تمثيل ، فكل ما جاء فى القرآن الكريم والحديث الشريف من الصفات التى يخالف ظاهر لفظها المراد منها كالفوقية والاستواء والنزول والغضب والحب واليد وغير ذلك يؤمن به ويفوض حقيقته إلى الله تعالى كما قال سبحانه : « وما يعلم تأويله إلا الله[١] » ولنضرب لذلك مثالين: الأول قوله سبحانه وتعالى : « الرحمن على العرش استوى[٢] » الثانى : « وهو القاهر فوق عباده[٣] » فليس استواءه على عرشه كاستواء الملوك على عروشهم ، ولا علوه على خلقه كعلو بعض الأجسام على بعض، يدل على ذلك قول الإمام مالك رضى الله عنه لما سئل عن الاستواء : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » .

كذلك الفوقية يؤمن بها ، ويفوض حقيقتها إلى الله تعالى ، والمحذور فوقية المكان المعروف الذى يستلزم الإحاطة والجرم والجهة ؛ لأن هـذا من صفات الحوادث .

منهجه فى التشريع :

يرى رضوان الله عليه أن التشريع نوعان : نوع يتعلق بالله تعالى وهو العبادات ، ونوع يتعلق بعباده وعلاقة بعضهم ببعض وهو

---

[١] سورة النمل الآية ٦٥ .

[١] سورة آل عمران ٧ .

[٢] سورة طه ٥ .

[٣] سورة الانعام ١٨ .

المعاملات فأما العبادات فهى حق لله تعالى، وقد جاءت تامة أصلا وفرعا، فلا يجوز فيها تبديل ولا تغيير، ولا نقص ولا زيادة، كما أنها من خواص الربوبية فمن زاد فيها فقد أشرك مع الله فى التشريع، ويلزمه نقصان دين الصحابة. وأنه مكمل لشريعة الله تعالى، قال الإمام مالك رضى الله عنه: (من زعم أن هناك بدعة حسنة فقد اتهم الرسول بأنه خان الأمانة، لأن الله تعالى يقول: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام دينا»)(١).

وقال الإمام الشافعى رضى الله عنه: (من ابتدع فقد شرع).

وبدهى أن العبادة ليست مقصورة على الصلاة والصوم والزكاة والحج فحسب، بل هى فوق ذلك من إنابة، وخشوع. واستعانة فى غير الأسباب المسخرة، ونذر، وطواف، وما إلى ذلك مما اختص الله به سبحانه.

منهجه فى المعاملات الدنيوية:

لقد وقف منها موقف المصلح الاجتماعى الرشيد حيث إن أحكامها جاءت كلية ولم تنص على الجزئيات ليستنبط منها الأحكام الجزئية العلماء العارفون بمقاصد الدين التى تناسب كل زمان ومكان، والتى تحدث للناس مراعين فى ذلك درء المفاسد وجلب المصالح، وعرف الناس، وعاداتهم وطباعهم، لأنها جاءت للبشرية جمعاء؛ فكانت له نظريات فى استخراج الأحكام من تلك الكليات خالف فيها معاصريه فاتهموه بالزيغ والإلحاد لا عن دليل أقاموه أو علم عرفوه سوى التقليد الممقوت الذى هو آفة القديم والحديث.

من ذلك: عدم وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد، وتحريم المحلل، وشد الرحال إلى المساجد الثلاثة فقط ومنع جميع التوسلات إلا بثلاث: أولا ـ بالله أو بصفة من صفاته ثانيا: بعمل الشخص نفسه لا بغيره، ثالثا: بدعاء الحى لا الميت ولا الغائب نبيا كان أو غيره من الصالحين.

هذه النظريات التى كانت ولا تزال شجى فى حلاقيم الذين تنقصهم سعة الاطلاع، ولو أنهم ـ عفا الله عنهم ـ اطلعوا على أدلته، وحكموا العقل والصالح العام، لما شنوا الغارة عليه، ووضعوا أيديهم فى يده، وعلموا أنه على الحق المبين، وضل عنهم ما كانوا يفترون. وحسبى أن أبين شيئا من فقهه لعل هؤلاء يثوبون إلى رشدهم فيكفوا ألسنتهم عن المصلح الكبير، والعالم الزاهد الجليل، جزاه الله خيرا بقدر ما أسداه للإسلام من جميل.

(١) الطلاق الثلاث بلفظ واحد.

يرى شيخ الإسلام أنه يقع طلقة واحدة.

---

(١) سورة المائدة الآية ٣.

ويرى الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب أن الطلاق الثلاث يقع بلفظ واحد ، متبعين فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ لأنه قد ثبت فى الأحاديث الصحيحة ، أن الطلاق الثلاث بلفظ واحد كان يقع طلقة واحدة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وفى عهد أبى بكر ، وفى سنتين من خلافة عمر ، غير أن عمر وجد الناس قد أكثروا منه فعاقبهم بأن أوقعه ثلاثا تأديبا لهم، يؤيد ذلك حديث مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة ، فقال عمر بن الخطاب: (إن الناس قد استعجلوا فى أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم فأمضاه عليهم) . والتأويلات التى تحاول إيقاع الطلاق بلفظ واحد لا تنهض دليلا على النسخ، لأنه لا يصح أن يبقى الحكم إلى خلافة عمر وهو منسوخ ، وليعلم هؤلاء أن عمر لم يكن مشرعا ، وإنما كان معاقبا ؛ لأن الشرع الشريف أباح للحاكم الشرعى أن يسن عقوبة على الذين يتمادون فى المباحات حتى تصير دينا من الأديان .

ومن الأدلة أيضا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا فقام فغضب فقال : « أيلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم » فأنت ترى من غضب الرسول صلى الله عليه وسلم أن وقوعه دفعة واحدة ينافى قاعدة التيسير التى اختصت به الشريعة الإسلامية وينافى ما جاء عن الرسول من أنه بعث ميسرا لا معسراً ، وأنه ما خير بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما ، وقوله كذلك « بعثت بالحنيفية السمحاء » .

هذا ولقد تنبه بعض الأمم الإسلامية فى السنين الأخيرة إلى تطبيق هذه النظرية فى الأحـــوال الشخصية وصار معمولا بها فى المحاكم الشرعية والأهلية فى الجمهورية العربية لما فيها من اليسر .

ابن تيمية والمذهبية :

كان ابن تيمية منتسباً للحنابلة ، ولكنه كان حراً فى آرائه . خالف مذهبه بل خالف الأئمة الأربعة عن بينة وعلم فى مسائل مرّ بعضها ، منها أن الطلاق البدعى ، والطلاق الثانى من غير أن تتخلله رجعة لا يقعان ، وكذلك الطلاق الذى يقصد به الحمل على فعل شىء أو الامتناع عنه ، ولم يقصد الطلاق فإنه لا يقع ، وقد أقام الأدلة على صحة آرائه من الكتاب والسنة مستشهداً على ذلك بآراء السلف الصالح ممن كانوا فى القرون الثلاثة الأولى . كما أنه يرى أن الغضب الشديد

الذى يستولى على الإنسان فيغلق عليه قصده ويفقده وعيه — لا يقع فيه الطلاق لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم « لاطلاق فى إغلاق » وأن الله تعالى لم يعتب على موسى لما ألقى الألواح على الأرض ، ومن أراد التفاصيل فليطلع على كتابه : الفتاوى حتى يعلم علم اليقين أن ابن تيمية كان على نور من ربه ، وبينة من العلم .

ومن آرائه السديدة أن المحلل لم يحل فى شريعة من شرائع الله تعالى ، لأن أضراره جسيمة ولم يحقق المعنى الذى أراده الله تعالى فى قوله : « فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره » إذ أن المقصود من الآية والله أعلم: أن المرأة التى أنذرها زوجها لترجع عن غيها بالطلاق الأول ، ولم يفدها هذا الإنذار ، فأنذرها ثانيا بالطلاق الثانى ، فلم يؤثر عليها ، فالحكمة تقضى بألا ترجع إليه ثالثاً إلا بعد أن تقترن بغيره وتتزوجه زواجا شرعياً وتعيش معه ليتبين لها الفرق بين الزوجين ، أكانت ظالمة ، أو مظلومة ، فإن كانت ظالمة ترجع إليه صاغرة إذا ما طلقها الثانى. وقد دلت التجارب الكثيرة على أن كثيراً من اللاتى تزوجن ثانيا يرغبن فى الرجوع إلى أزواجهن الأوائل؛ لأن العشرة الثانية أعطتهن درسا عمليا . وعلى هذا فإن زواج المحلل الذى يقصد به التحليل لا الزواج لم يحقق هذا المعنى ، ومن الأدلة التى ساقها على ذلك ما جاء فى الحديث الذى روى (١) عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ألا أخبركم بالتيس المستعار قالوا : بلى يا رسول الله قال : هو المحلل . لعن الله المحلل والمحلل له » وقال عمر : لا أوتى بمحلل ومحلل له إلا رجمتهما .

وجاء رجل إلى ابن عباس رضى الله عنهما فقال له : « إن عمى طلق زوجته ثلاثا أيحلها رجل ؟ فقال : « من يخادع الله يخدعه » . وقد سئل ابن عمر رضى الله عنهما عن رجل طلق زوجته ثلاثا ، فيتزوجها أخ له من غير مؤامرة بينهما ليحلها لأخيه ، هل تحل للأول؟ قال لا : إلا نكاح رغبة ، كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ومما خالف فيه ابن تيمية أهل عصره تحريم إنشاء سفر إلى غير زيارة الأحياء إلا لله تعالى مستدلا على ذلك بحديث الصحيحين : أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: « لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ومسجدى هذا » رأى ابن تيمية أن شد الرحال فيه من التعظيم ما لا يكون إلا لله وحده ، وهذه الثلاثة بيوت الله تعالى ، فالصلاة فيها تعظيم لله وحده

(١) رواه ابن ماجة .

كصلاة تحية المسجد فإنها لرب المسجد لا للمسجد نفسه .

ومما احتج به ابن تيمية عليهم حديث البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم زار قبر أمه فبكى وبكى من معه ثم قال : إن الله قد أذن لى أن أزور قبر أمى ، ولم يأذن لى أن أدعو لها ، زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة . رواه ابن ماجه عن أبى هريرة .

والحق أن ابن تيمية لم يكن فى ذلك مغالياً ، ولا متجنيا على أولياء الله تعالى ، وإنما كان محافظا على توحيد الله تعالى ، وتحقيق معنى قول : لا إله إلا الله ، قولا وعملا وتصديقا ، وليس من شك فى أن الأوضاع التى درج عليها الكثيرون من الناس فى تشييد القبور ، وخلع الزينة فوقها ، ووضع العمائم وغيرها ، وإيقاد السرج عليها - هى التى ورطت دهماء الناس فى هذه الضلالات ، وصرفتهم عن التوحيد الذى من أجله أرسلت الرسل ، وأنزلت الكتب ، وجردت سيوف الجهاد ، وقسمت الخليقة إلى أبرار وفجار ، وأقيمت الجنه والنار ، إن الوثنية لا تنحصر فى حجر فقط ، بل تعم كل ما صرف الناس عن الله تعالى ، قال عمر رضى الله تعالى عنه : (إنما ينقض الإسلام عروة عروة) إذا نشأ فى الإسلام من لا يعرف الجاهلية ، وهذا يطابق ماقيل : إن من لا يعرف الشر أحرى أن يقع فيه ، وقد جاء فى التاريخ الصحيح أن عمر كان يقبل الحجر الأسود ، ويقول : (إنى لأعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولو لا أنى رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك) . فيبدو لنا من كلام عمر أن تقبيل الحجر الأسود لا لدفع شر ، ولا لجلب نفع ، وإنما هو مظهر من مظاهر الخضوع لأمر الله ورسوله ، وهذا معنى العبودية ، لأنها لا تتحقق فى العبد إلا بالتسليم والإذعان ، والانقياد والطاعة ، ولقد تتابعت آيات القرآن الكريم تبين لنا أن مشركى العرب الذين حاربهم الرسول صلى الله عليه وسلم لم يجحدوا الخالق . ولم يشركوا بربهم ، وإنما كان إشراكهم فى الألوهية فقط : أعنى فى العبادة لا فى الربوبية ، وليس أدل على ذلك من أن كلمة التوحيد التى أسس عليها الإيمان : لا إله إلا الله ، (والإله المعبود بحق) ، ولم تكن لا رب إلا الله ، لأنها لم تكن موضع جحود .

قال الله تعالى : « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم (١) » .

كتب ابن تيمية :

كتاب موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول

---

[١] سورة الزخرف ٩ .

تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل كتاب الإيمان ، استوعب فيه جميع نواحى الايمان . كتاب الصراط المستقيم ، شرح الأصبهانية ، مجلدات ضخمة فى الرد على الفلاسفة ، وله رسائل كثيرة عرف منها الواسطية ، الحموية ، التدمرية ، الكيلانية ، البغدادية ، البعلبكية ، الإكليل ، الأزهرية ، مراتب الإرادة ، القضاء والقدر ، بيان الهدى من الضلال ، معارج الوصول ، السؤال عن العرش ، بيان الفرق الناجية ، منهاج السنة ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح .

ويقع هذا الكتاب فى أربع مجلدات ضخام بين فيها الكتاب حقيقة المسيحية التى زكاها القرآن الكريم وما اعتراها من تغيير وتبديل ، وبيان الأسباب التى جعلتهم يحرفون الكلم عن مواضعه ، وإذا ما ذكر القرآن الكريم الإنجيل فى مقام الثناء ، فليس هو الإنجيل الذى بين أيديهم ، كما أنه ذكر فيه مسائل لا تتفق والعقل السليم والدين الصحيح ، وأن عيسى بعثه الله تعالى ليتمم شريعة موسى كما جاء عنه : « ما جئت لأنقض الناموس الذى جاء به موسى ولكن جئت متمما » .

أما كتبه فى الفقه فقد بلغت عدداً عظيما بعضها منشور وبعضها غير منشور ، فمن المنشور فتاواه المختلفة التى كان بعضها فى مصر ، وبعضها فى الشام ، وقد طبعت منها المجلدات الضخام ، وقد اشتملت هذه الفتاوى على قواعد كثيرة فى الوقف ، والوصايا والاجتهاد والتقليد ، وقاعدة شمول النصوص ، وقاعدة القياس ، ولعب الشطرنج ، وأحكام الكنائس ، ورجوع المغرور على من غره ، والضمان ، وطهارة سؤر ما يؤكل لحمه وبوله ، والجهاد والترغيب فيه ، وغير ذلك مما لا يحصى عددا .

وله كذلك رسائل كثيرة وكتب جليلة منها كتاب فى نكاح المحلل وكتاب العقود ، وله تعليق على كتاب المحرر فى الفقه لجده الشيخ مجد الدين فى عدة مجلدات ، وله كتاب شرح فيه قطعة من كتاب العمدة فى الفقه للشيخ موفق الدين فى مجلدات أيضا ، ومن رسائله رسالة الحسبة فى الإسلام ، وإيضاح الدلالة فى عموم الرسالة ، ورسالة وضع الحوائج ، ورفع الملام عن الأئمة الأعلام ، وغـــيرها .

ابراهيم عبد الباقى
من علماء الأزهر الشريف

الإسلام فى سيلان

للأستاذ عطية صقر

فى المحيط الهندى وإلى الجنوب من شبه القارة الهندية تقع جزيرة كانت متصلة بها قديما بجسر عرف بجسر آدم تعرف بجزيرة سيلان ، دخلها الهنود فيما قبل التاريخ ، ثم تعرضت فيما بعد لعدة غزوات حتى عرفها الغربيون فى مطلع القرن السادس عشر عندما نزل البرتغاليون إلى سواحلها سنة ١٥٠٥ ميلادية ، للتجارة فى خيراتها الوفيرة واستمروا بها مدة طويلة حتى نافسهم الهولنديون وغلبوهم عليها ، ثم كانت الجولة الاستعمارية الأخيرة لبريطانيا التى ظلت تحكمها كمستعمرة حتى استقلت أخيرا فى سنة ١٩٤٨ ، وأصبحت عضواً فى المجموعة المعروفة بالكومنولث .

يسكن هذه الجزيرة - حسب إحصاء سنة ١٩٥٣ - ٨٠٩٨٠٦٠٠ نسمة ، وهم يقربون الآن من نحو عشرة ملايين ، منهم ٨٩ ٪ من أصل هندى ، ٦ ٪ من الملايويين ، ٣ ٪ من عرب شمالى إفريقيا ، ٢ ٪ من الأوربيين والعناصر المولدة ، والعنصر الغالب فيها هم السنهاليون ثم يليهم التاميليون .

والديانة السائدة فى الجزيرة هى البوذية ، وقد دخلت إليها قبل خمسة قرون من الميلاد ثم انتشرت فى القرن الثالث قبل الميلاد ، ويدين بها الآن نحو ستة ملايين ، ويوجد نحو مليون ونصف يعتنقون الدين الهندوكى ونحو ثلاثة أرباع المليون يدينون بالمسيحية التى نشرها الرهبان الوافدون إلى الجزيرة مع الاستعمار .

أما المسلمون ويعرفون بالمورو ، وهو اللقب الذى أطلقه عليهم البرتغاليون ، فقد اختلفت النقول فى تقدير عددهم ، وهذه التقديرات دائرة بين نصف المليون وثلاثة أرباع المليون ، وهم موزعون فى أطراف الجزيرة من أقصى الشمال فى : جفنا Jaffna وفى جالى galle فى أقصى الجنوب ، وفى كولمبو Colombo العاصمة الحالية للبلاد ، وفى كاندى Kandy العاصمة القديمة ، وفى القرى المجاورة لها التى تسكنها غالبية مسلمة . وقرية « أقرنو » جميع سكانها من المسلمين من سلالة عربية ، ويعلل بعض المؤرخين ذلك بأن ثلاثة من العرب المسلمين نزلوا الجزيرة وأرادوا التزوج منها فطلبوا من الملك أن يسمح لهم بذلك فأجابهم إلى طلبهم ، لحاجته إلى جنود يدافعون عن مملكته ولما يعلمه عن هؤلاء من البأس والشجاعة . فتزوج

كل منهم ثلاث نساء أنجبن ذرية كانت النواة لقرية صغيرة ، ما زال يكثر عددها حتى أصبحت الآن تعد بالآلاف ، وكان فى هذه القرية داعية مخلص نشر الدعوة وعلم الأحكام وهدى إلى الحق ما زال قبره يزار إلى الآن واسمه الشيخ إبراهيم عبد الله بن خفيف .

ويؤخذ من مجموع الروايات التاريخية أن الإسلام وصل إلى هذه الجزيرة فى زمن مبكر جدا ، يبالغ بعض المؤرخين فيرجعه إلى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ، فمن الثابت تاريخيا أن العرب كانوا يعرفون سيلان وسواحل الهند الجنوبية قبل الميلاد بعدة قرون ، وكانت لهم صلات تجارية بالمدن الشهيرة فى مياه المحيط الهندى والهادى ، وقد أطلقوا على هذه الجزيرة اسمها المعروف الآن « سيلان »

لسيلان أنهارها الكثيرة كما عرفت فى بعض الأزمان ببلاد السمن والعسل لكثرة خيراتها ، وكان اسمها قبل معرفة العرب لها « لنكا » ، والذى حمل لواء النشاط التجارى فى تلك الأزمان هم العرب الحضارمة وسكان جنوبى الجزيرة العربية ، المعروفون بأسفارهم ومغامراتهم البحرية ، ومن الثابت أن هؤلاء دخلوا فى الإسلام فى العام التاسع والعاشر من الهجرة ، حيث جاءت وفودهم إلى النبى صلى الله عليه وسلم معلنة إسلامها ، وأرسل إليهم البعوث الدعوة والتعليم ، ولا شك أن هؤلاء التجار ذكروا الإسلام فيما ذكروه ودعوا إليه وهم يمرون بالبلاد التى اعتادوا مزاولة نشاطهم التجارى فيها ، فى سيلان وسواحل الهند وجاوا والصين التى أسسوا فيها مستعمرة إسلامية فيما بعد فى « كانتون » . ويقول الملاح الفارسى « بزرك بن شهريار » فى كتابه الذى وصف فيه رحلته البحرية سنة ٤٠٤ هـ :

« لما سمع أهالى سيلان عن الرسول العربى أوفدوا رجلا ممتازاً إلى جزيرة العرب لاستطلاع حال الرسول ودعوته ، فوصل إليها فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه « ١٣ - ٢٣ هـ » فتشرف بمقابلته وتحدث إليه فيما جاء من أجله ، وعند عودته مات فى الطريق ، وكان معه خادم هندى هو الذى بلغ أهل الجزيرة ما شاهده وما حمل من معلومات ، وتفاصيل الحادثة التى جرت بينهما وبين عمر » (١) .

ويقول البلاذرى فى بيان أسباب فتح السند : « كان التجار العرب يذهبون إلى سيلان للتجارة واستوطن هناك بعض التجار المسلمين مع أسرهم ، وقد لاقى بعضهم حتفه فيها ، فلما أصبحت الأسر بدون عائل أرسلهم الملك الذى كان يحكم سيلان إلى الحجاج بن يوسف الثقفى بالكوفة بطريق البحر ، وزودهم

(١) ص ١٥٦ عجائب الهند ، بتصرف .

بهدايا قيمة على حسابه الخاص ، ولما وصلت السفينة التى تقلهم إلى بلدة « ديبل » بالسند أغار عليها جماعة من القراصنة واستولوا على الهدايا ، ولما سمع الحجاج هذا النبأ المؤلم قرر الهجوم على السند انتقاما من هؤلاء الظالمين ، وقد جرت هذه الوقائع فى عصر الوليد بن عبد الملك « ٨٦ - ٩٦ هـ » (١) .

وهذه الروايات تدلنا على قدم الإسلام فى هذه البلاد ، وأنه قد وصل إليها فى القرن الأول الهجرى وزاد اتصال المسلمين بها بعد ذلك فى فترات متتابعة من التاريخ .

يشتغل أكثر المسلمين بالتجارة التى ورثوها عن أسلافهم وبعضهم يشتغل بالزراعة ، وقد أدخل الملايويون مهنة صيد الأسماك إليها عندما جاءوا كجنود فى الجيش الألمانى ، وما يزال كثير منهم يعمل فى إدارة البوليس والخدمات العسكرية .

والمسلمون جميعا سنيون ، ويؤدون عباداتهم على مذهب الإمام الشافعى إلا قليلا منهم يتبع أبا حنيفة ، وهم النازحون من الهند وباكستان ، والعادات المحلية المتوارثة ومظاهر الديانات القديمة لها أثر واضح فى الحياة الإسلامية ، ويقول السيد محمد علوى أبو الحسن عضو بعثة سيلان فى الأزهر سنة ١٩٥٢ : « إن الطرق الصوفية الوافدة منتشرة فى البلاد ، ولها طابعها المميز لها فى الوسط الإسلامى من الحرص على زيارة المقابر ، وقراءة المولد النبوى فى شهر ربيع الأول إحياء لذكراه الكريمة ، وفى شهر المحرم لذكرى الحسين ، وفى ربيع الآخر لذكرى محيى الدين عبد القادر الجيلانى ، وفى جمادى الآخرة لذكرى شاه عبد الحميد الهندى .

والمساجد موجودة فى كل مكان فيه مسلمون ، وتكثر فى « كاندى » حيث توجد هناك خمسة مساجد ، وفى القرى المجاورة لها حيث يكثر المسلمون .

وقبل وصول البرتغاليين إلى البلاد فى مطلع القرن السادس عشر كان للمسلمين شأن عظيم فيها حيث أسسوا لتعليم أولادهم مدارس « كتاتيب » ، تدرس فيها مبادئ العلوم والشريعة ، ولكن الاستعمار البرتغالى والألمانى أضعف من شأن التعليم وأهمل المدارس الأولية فى القرى فصار التلاميذ يتعلمون فى المساجد .

وأهم المدارس الموجودة هناك :

١ - الكلية الزاهرة أو كلية الزهراء التى أسست سنة ١٨٩٢ وكانت مدرسة صغيرة فأصبحت اليوم كلية لها فروع فى المدن الهامة ، وتدرس فيها العلوم العصرية للشهادات الابتدائية والثانوية ، ويتخصص فيها الطلبة لدخول الجامعة ، تلك الجامعة الوحيدة التى

---

(١) ص ٤٣٦ فتوح البلدان بتصرف .

أقيمت مبانيها الحديثة فى « بارديتيا » على بعد مائة كيلومتر من كولومبو ، غير أن التعليم الإسلامى فى الكلية الزاهرة ضئيل جداً ، ومما يجدر ذكره أن الزعيم أحمد عرابى ، الذى نفى من مصر إلى هناك عقب الاحتلال البريطانى ، كان له الفضل فى إنشاء هذه الكلية ، وهو الذى اختار لها هذا الاسم ، ولعله اقتباس من اسم الجامع الأزهر ، وكان يتعهدها بالزيارة والتوجيهات القيمة .

٢ — المدرسة الغفورية العربية ، التى أنشأها المرحوم الحاج عبد الغفور نور الدين فى ضواحى العاصمة ، على نفقته الخاصة ، ويتلقى التلاميذ فيها العلم بالمجان إلى جانب إسكانهم والإنفاق عليهم .

٣ — كلية البنات المسلمات فى كولومبو ، وقد ساهمت مصر بعشرة آلاف روبية لاستكمال بنائها .

- مدرسة البهجة الإبراهيمية فى « فورت جالى » .

ولغة الدراسة فى هذه المدارس ، كمدارس الحكومة والمدارس الأخرى ، هى السنهالية والتاميلية . أما اللغة العربية فتدرس كعلم ، وفى سنة ١٩٤٨ كانت جمعية الثقافة العربية — برياسة السيد عبد الرحمن عبد الرازق — تجرى امتحانات سنوية فى اللغة العربية وتمنح الناجحين فيها شهادة تعادل الثانوية العامة المصرية وتسمى المولوى Moulvi ، تؤهل الحاصلين عليها لتدريس اللغة العربية بمدارس الحكومة ، وقد أنشئ فى السنوات القريبة كرسى للغة العربية فى جامعة سيلان .

ونفقات التعليم قائمة على التبرعات والهبات وفى رمضان من كل عام يفتح باب التبرع ، وينشط الأفراد والهيئات فى جمع هذه التبرعات ، التى كان يقدم بعضها باسم منح ، تحمل اسم صاحبها ، أو اسم أى إنسان عزيز عليه ، ولها صندوق خاص ومجلس إدارة يرأسه السيد ا . م . ا . عزيز .

وقد أنشئ مؤخرا مركز ثقافى إسلامى فى سنة ١٩٥٨ يتكون من مكتبة ضخمة وصالات للعرض وللمحاضرات ، وافتتحت فيه فصول لدراسة اللغة العربية ، يشرف عليها أستاذان من كلية الزاهرة ، أحدهما متخرج من كلية أصول الدين بالأزهر ، والآخر من قسم اللغة العربية بجامعة سيلان ، والدراسة لمدة عامين بحيث تكفى لقراءة القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وفهمهما .

وتوجد رابطة إسلامية لمسلمى سيلان ، وأخرى للملايويين ، وهناك فروع لجمعية الشبان المسلمين ، وفى المسلمين شخصيات بارزة منها :

بديع الدين محمود وزير التربية والتعليم الذى زار القاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٦٠ ،

وشهاب الدين عز الدين سكرتير مجلس النواب وسكرتير عام الشبان المسلمين ، الذى ألقى محاضرة فى القاهرة بجمعية الشبان المسلمين فى مايو سنة ١٩٥٧ ، والحاج جوبا عضو مجلس النواب وأحد زعماء المسلمين ، والحاج فريد عبد الرازق وقد زارا الأزهر فى يوليو سنة ١٩٥٩ .

وليس للمسلمين حزب سياسى معين ، وكان لهم فى مجلس الشيوخ سنة ١٩٥٢ عضوان من بين ٣٠ عضوا ، وفى مجلس النواب ٧ أعضاء من ١٠٣ .

وللمسلمين آثار طيبة فى سيلان أشار إليها السير « ادوين ويجراتن » ممثل سيلان فى الهند، حين ألقى خطابا فى جامعة « عليكرة » فى نوفمبر سنة ١٩٥٥ (١) ، منها عنايتهم بالطب وكان علماء المسلمين موضع احترام وتقدير من الحكام الذين أقطعوهم أراضى دليلا على مكانتهم عندهم ، وما يزال اسم أحد هؤلاء يذكر على مر الزمن ، وتعرف ذريته الآن بأعضاء أسرة « بيتج موديانس » Betge Mudiyanse ، وفى مبدأ الحكم الانجليزى عين أحد المسلمين فى وظيفة « الرئيس الوطنى للقسم الطبى » وكان لهذا العالم مجموعة فريدة من كتب النباتات الطبية المحلية، وبإشرافه أنشئت الحديقة النباتية الملكية فى سيلان سنة ١٨١٠ .

وذكر السير ادوين أن الزعيم أحمد عرابى كان يعتبر ملكا غير متوج على مسلمى سيلان ، وكانوا يحبونه كثيرا واتخذوه مستشارا لهم ، حتى إنهم قلدوه فى ملبسه ، فالطربوش الأحمر والبنطلون الأوربى صارا زيا شعبيا لأنه زيه المختار .

وبعد فهذه لمحة خاطفة عن أحوال المسلمين فى سيلان ولا بد قبل أن أختم الحديث من الإشارة إلى أن هناك اتجاهين مطبوعين بطابعى الدين واللغة ، الاتجاه الأول بوذى سنهالى ، يعتمد على الكثرة العدديه والعصبية الدينية ، ويتزعمه الكهنة الذين كثروا كثرة فاحشة ، نظرا لسهولة الحصول على ما يؤهلهم لهذا العمل ، فى الوقت الذى يغشون فيه دور اللهو والمجون ويتنافى سلوكهم تماما مع المهمة التى ألقيت عليهم ، والاتجاه الثانى يتزعمه التاميل والمسلمون والعناصر المولدة ، ويعتمد على ثقافته ونفوذه ، ويجتهد الكهنة فى جعل اللغة السنهالية هى اللغة الرسمية للدولة ، بدل الانجليزية التى لا يعرفونها ، والتى يتقنها الآخرون ، كما يجتهدون فى جعل البوذية هى الديانة الرسمية ، وكل ذلك لإقصاء الموظفين من الجهة المقابلة ،وعدم مزاحمتهم مع قلتهم للكثرة الغالبة ، التى لم يكن لها من الثقافة والنشاط ما يمتاز به الآخرون .

(البقية على صفحة ١٨٠)

---

(١) مجلة مجلس الجامعة التى صدرت فى سيلان سنة ١٩٥٥ — ١٩٥٦ .

تأثير العقيدة الدّينية :

الإسلام فوق كلّ اعتبار

للأستاذ محمد رجب البيّومي

لم أكن أعلم شيئا عن تاريخ البطل الإفريقي الإمام أحمد ساموري توري ، حتى قدم حفيده الرئيس أحمد توري زعيم غينيا المتحررة إلى القاهرة ، فأفاضت الصحف والإذاعات في مآثر الجد والحفيد ، وراعني أن ألم بغرائب نادرة في دنيا البطولة الإسلامية سجلها كفاح هذا المسلم الخطير ، وغفل عن تسطيرها مؤرخو الحركات الإسلامية على كثرة ما ألفوا من أسفار ، وأذاعوا من أحاديث ، وإذا كنا في عهد المطبعة والصحافة والمذياع لا نعرف شيئاً من أمجاد إخواننا في العقيدة والجهاد ، فمن الذي يقدر على استرجاع ما نسيته الأحقاب الغابرة من روائع التضحية وخوارق التفدية في عهود حالكة أظلم فيها مصباح البحث والتنقيب ، ! ! إن التاريخ الإسلامي ليهيب برجاله أن دعوا المطروق الممهد من أبواب البحث في تواريخ الدول والملوك ، وعليكم أن تولوا أقلامكم شطر بلاد تدين بالإسلام وتأتلق بالبطولة ثم لا تجد تضحياتها الباسلة قلما يرصد ، وكتاباً يذيع ! ! .

لقد كان الإمام أحمد ساموري توري بطلا منقطع النظير حين اعتنق العقيدة الإسلامية عن يقظة وإيمان ثم مضى ينشرها في قبائل الوثنية في جنوب السنغال وغامبيا ، وعلى شواطىء نهر النيجر الأعلى وروافده حتى ألف بحجته الباهرة ودليله المقنع أمة إسلامية مؤمنة تهيم بالإسلام عن دراسة واقتناع ! ، فمن مبلغ هؤلاء الذين يزعمون أن السيف قد مهد الطريق لدين الله أن فيما قام به الإمام أحمد دليلا مقنعا على أن الإسلام دين الفطرة ، تنجذب إليه الضمائر المخلصة عن رغبة لا تعرف الرهبة ، وطواعية لا يشوبها إكراه ! !

أجل لقد كافح الإمام في ميدان الدعوة حتى انتصر ، ثم حمل السيف مع شيعته لينازل المستعمرين الفرنسيين حين قدموا إلى بلادهم يحملون الصواعق والقذائف . ويسلطون على الأبرياء الآمنين كوارث العدوان ، وفظائع الإرهاب ، وجعل الإمام الأعزل يجمع الصفوف ، ويلهب العزائم ، ويجمع الذخيرة مما ينهبه من سلاح المعتدين ، حتى كتب في سجل النضال صحيفة ناصعة تعبق بأريج العزة ، وتضىء بنور الإيمان ، ولسنا نسرد الآن تاريخه الحربي ، ولكننا نمهد لحادثة

خارقة كان بطلها المُـعْـلِمَ ، ولها من سمو الدلالة وبالغ العظة ما تخشع له القلوب روعة وإكباراً ، وهى وحدها جديرة أن تبوئه مقعد صدق فى الدنيا والآخرة من ناحية ، وأن تمد الباحث المحلل بفيض دافق من المعانى الكاشفة السافرة من ناحية ثانية ، ولها - مع ذلك - فى سجل الإسلام نظائر وأشباه ! !

لقد التحمت كتائب البطل الباسل بشراذم الفرنسيين فى كفاح مرير ضاق به القائد الفرنسى « أرسيناد » ومرت ست سنوات دون أن يتقدم شبراً واحداً فى ميدانه ، ومن قبله قاسى الكولونيل « برنى دى بورى » كئوس الهزيمة مترعة قاتلة ، ورأى المعتدون أن القتال وحده لا يفضى إلى نصر سريع ، فأعملوا الحيلة حتى اختطفوا نجل الإمام ، ليفتوا بذلك فى عضد أبيه ، ولكنه قال لمن ساوموه على افتدائه : إن ولدى لن يزيد عن مسلم عادى كهؤلاء الذين تحصدون أرواحهم دون حياء ، فإذا كنتم تتوهمون أن اعتقاله سينهى الحرب فقد أسأتم التقدير ، ثم واصل الرجل جهاده مستميتاً فى الكفاح ، ويئس الفرنسيون من النصر السريع فاحتالوا ثانية على اكتسابه ، وعمدوا إلى النجل الأسير فاستمالوه بلذائذ النعيم ، وطرائف الرفاهية ، وبعثوا به إلى باريس ليرى البهجة والنضارة واللذة والعربدة فينتشى بما زين الشيطان من إثم ، ويستكين لما أبدع الباطل من خداع ، حتى إذا قطع الشوط إلى نهايته ، ساوموه على مخالفة أبيه ، والعمل على إنهاء الحرب ، ليصبح الوالد ملكا مشمولا بالحماية الأجنبية ، ثم ليكون الابن من بعده ولى العهد وحليف الاستعمار ، ورجع الشاب المغرور متحمسا للخيانة النكراء ، وبدأ بالسعى إلى استمالة الضعفاء لوجهته ، فأدرك الإمام حقيقة ما كان !! والتهبت فى صدره عاطفتان قويتان : عاطفة الأبوة ذات الحنان والسماح ، وعاطفة الإسلام ذات القمع للباطل والانتقام للحق ، فآثر دينه ووطنه ثم حكم على ابنه بالإعدام السريع جزاء خيانته ومروقه ، وبادر فأوقع الجزاء على رءوس الأشهاد فى ثقة وإيمان ...

هذا الموقف وحده يعلن أن البطل الثانى قد جعل الإسلام فوق كل اعتبار سواه ، ولو لم نعرف من تاريخ حياته غير هذا العمل الجرىء لفهمنا بسهولة أن الإسلام قد صار دما ينبض فى عروقه ، ويجرى فى مهجته ، فهو الذى يسيطر على مشاعره ، ويقهر كل عاطفة مضادة تحاول أن ترضى غريزة جامحة أو ميلا مغرضا ، وكأنى بالبطل الخالد وقد درس القرآن الكريم دراسة مستنيرة ، فعرف أن الله عز وجل يقول : قل إن كان

آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره ، والله لا يهدى القوم الفاسقين » . بل كأنى به وقد طالع سير السابقين الأولين من أصحاب محمد ورجاله فرأى من سلوكهم البصير ، وسموهم النادر ما دفع به إلى القدوة الحسنة والاحتذاء النبيل ! إن هذا الرعيل الأول من كبار المجاهدين قد جعل الإسلام صلة عريقة تهون معها صلات الدم والأسرة والقرابة ، فإذا صدع الإسلام بأمر يعارض ما جبلت عليه بعض النفوس المتذبذبة ، كان أمره حبيبا مرغوبا ، فهو وحده النافذ المتحكم ، وهو وحده الحق الصريح ! ! هذا أمين الأمة أبو عبيدة الجراح رضى الله عنه يخف مع المسلمين من المدينة يوم بدر فيكافح الطغاة فى معركة الإسلام الأولى ، ويتعرض لأقسى امتحان عاطفى حين يجد والده أمامه ، فيحاول ألا يكون بينهما قتال مبيد ، فيولى وجهه شطر مشرك سواه ، ولكن الوالد الغاضب يتتبعه ليقول المشركون: إنه عاقب نجله الصابئ شر عقاب ، فيحاول أبو عبيدة أن يتفاداه حتى إذا وجد التصميم الغادر من أب شاذ مريض ، اندفع مخلصا إلى منازلته وسيطر الإسلام على مشاعره فكان وحده الأب الأول دون هذا المعترض الآثم ، وينتهى الموقف العاصف بمصرع الأب على يد النجل الباسل فلا يحرك فى قلبه غير عاطفة الرضا والارتياح ، ويبارك الله هذا السلوك المثالى من أبى عبيدة فيقول فى محكم كتابه : لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادُّون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب فى قلوبهم الإيمان ، وأيدهم بروح منه ، ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أولئك حزب الله ألا إن حـــزب الله هم المفلحون » ! !

وإن الناظر لهذا الموقف العصيب ليعجب من تيارين مختلفين ، فالوالد المتعاظم يبغى هلاك ولده ، لا لعقيدة ينافح عنها ، أو إله يبغى ثوابه وعدله . بل لينتشر ذكره فى الملأ من قريش فيقال: إن فلانا قد عاقب نجله يوم بدر إذ فر مع محمد إلى المدينة دون رضاه ، والابن الإنسانى الرحيم يرى أن يغمض العين عن غضب أبيه ، فيحاول أن يبتعد عنه ، وله فيمن حوله من المشركين مدد لا ينفد ! وإن إحساسه الإنسانى وشعوره الدينى معا ليوجبان هذا الابتعاد ، إذ ليس فى الموقف المشترك ما يدفع إلى التصادم الشخصى بين أب وابن

مع وجود البعداء ممن يتصارعون على أمر جلل ، حتى إذا حزبه الخطب وأدرك أن الموقف موقف انتقام متعمد ، تغير الوضع فى عينه وأقدم على مصرع أبيه راضى النفس مرتاح الضمير ! وقد استجاب فى الحالتين لتعاليم الإسلام معرضا ومقبلا ، ولنا أن نقدر منه هذا الاعتدال الحميد !!

ولم تكد تنتهى معركة بدر حتى جد من الحوادث مايثبت أن الإسلام فوق كل اعتبار سواه ، فقد وقع فى الأسر جماعة من أقرباء المسلمين ، فتقدم عمر بن الخطاب إلى رسول الله ليقول : مكنى من أخى زيد بن الخطاب لأقتله ومكن على بن أبى طالب من أخيه عقيل ابن أبى طالب ! ولكن محمداً قد آثر العفو الشامل عن القريب والبعيد ، وهو سلوك نبيل لا يفرق بين مشرك ومشرك حتى يقال إن عواطف القربى قد وجدت منفذا تتسرب منه ، على أن موضع العبرة هنا هو قول عمر فلو لم يكن يرى أن الإسلام وحده الجدير بالتقدير فى هذا المأزق ما اندفع إلى هذا الاقتراح .

ثم ما عسى أن نقول فى سعد بن أبى وقاص وقد امتنعت والدته عن الطعام والشراب حتى يرجع عن الإسلام إلى الشرك فقال لها فى حدة لو أن لك ألف نفس ، وقد جعلت كل نفس تهلك فى يوم ، ما رجع بى ذلك عن اعتقاد أهواه !! وفيه نزل قول الله : « وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما ، وصاحبهما فى الدنيا معروفا » .

بل ما عسى أن تقول فى الصحابى المخلص عبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول حين قال لرسول الله : إن والدى قد آذاك وأذاع السوء عن أصحابك فإن كنت قاتله فمرنى بقتله ، كيلا أجد من يقتله سواى ! ! إن هذا النظر الأسمى إلى الإسلام ومنزلته المتمكنة من النفوس ليظهر فى أبسط دلائله أن من اعتنقوه قد آمنوا به عن حب وهيام ! فأصبح المهيمن على المشاعر ، النافذ الأمر فى المآزق مهما اختلفت البواعث والرغبات .

ولا يمكن أن نقف بهذه الخوارق النادرة عند الوعظ الخطابى وحده بل لا بد أن يجد فيها العمل الفنى ميدانا للتحليل والتصوير ، فتكون حادثة الإمام أحمد ساموری مثلا نواة لمسرحية شائقة تصطرع فيها الرغبات وتتعارض الأحاسيس ، ولها من خاتمتها المؤسية ما يكسبها ألوانا مثيرة من الانفعال والدهشة ، ووراء كل مشهد من مشاهدها النادرة عبرة بالغة ولمحة وامضة ! وإذ ذاك نعرض حوادث التاريخ الصادق عرضا مؤثراً وهو بواقعيته الملموسة يغنى عن التلفيق والاختلاق .

أذكر أن الكاتب الفرنسى الشهير

(فرانسوا كوبيه) قد اختلق رواية فى سبيل التاج التى لخصها المنفلوطى رحمه الله ليصور صراعا حاداً بين العاطفة والواجب إذ جعل الشاب الباسل قسطنطين يتحدى رغبة والده الأمير ميشيل برانكو مير حين هم بخيانة وطنـــه مستجيبا لرعونة حبيبته الحمقاء (بازيليد) ! ! فثارت فى النجل الأبى عواصف الكرامة والوطنية وأقدم على قتل والده مرتاح الضمير ، وقد أبدع الكاتب الفرنسى حقاً فى التصوير والتشخيص مما جعل أعلام الأدب الفرنسى مثل أناتول فرانس ، وإميل فاجيه ، وجول لومتر يسهبون فى الثناء عليها إسهابا جاوز الوصف حتى ألحق بعضهم مؤلف الرواية بكورنى ورسين وهيجو ،وفى مقدمة الترجمة العربية للرواية الخالدة تفصيل واف لذلك ! ! وأساس هذا التوفيق المبدع هو اختلاق التعارض بين الواجب والعاطفة فى نفس البطل الشاب قسطنطين ! ! فليت شعرى هل تعجز هذه الخوارق الإسلامية السالفة عن إيجاد مثل هذا التأثير إذا وجدت المسرحى المبدع الحصيف ؟ ! إنى لأجزم أن واقعة الزعيم الإفريقى المسلم - وهى الحق الصادق - تفوق فى تأثيرها واقعة البطل الخيالى قسطنطين ، لأن المؤلف الفرنسى قد جعل الابن يقتل والده ، أما حادثتنا تلك فقد قتل فيهـا الأب فلذة كبده ، وكلنا يعلم أن حب الوالد لولده أقوى بكثير من حب الابن لأبيه ، حتى سئل أرسطو عن ذلك فقال : إننا نحب أبناءنا أكثر من حبهم إيانا ، لأنهم قطع منا ولسنا قطعا منهم !! فعناصر التأثير إذن مكتملة دافقة لا ينقصها غير القلم الصناع !

وإذا كان الإسلام دينا ودولة ، فكل بطولة وطنية لديه تعتبر بطولة دينية إسلامية ، ولا كذلك فى بطولات الأمم الغربية التى تفرق بين الدين والدولة فتجعل الأول علاقة خاصة بين العبد وربه ! ثم تناقض نفسها فتؤلف الأحزاب السياسية وتلحقها بصفة مذهبية دينية ، فلا ندرى إذا كان هؤلاء يضحكون على أنفسهم أم يخدعوننا بما يدعو إلى فصل الدولة عن الدين ، ولهم رغم تناقضهم السافر فى كل دولة أذناب وأبواق .

وفى التاريخ المصرى حادثة فذة يمكن أن تضاف إلى ما أسلفناه من غرائب التضحية فى الإسلام ، فقد كان شاور الوزير الفاطمى رجل خيانة وحليف غدر وإسفاف ، وقد غلبته شقوته فتآمر مع الصليبيين على جنود الإسلام ، وحاك مؤامرة شائنة تفضى إلى مصرع أسد الدين شركوه وصلاح الدين الأيوبى ثم إلى وقوع مصر جميعها فى قبضة الملك الصليبى الغادر (مورى) صاحب بيت المقدس ، ولكن نجله الباسل الأبى (شجاع ابن شاور) قد وقف على أسرار المؤامرة

فواجه والده بالرأى الحاسم ورماه صراحة بالخيانة والانحطاط ، ثم أعلن أنه لن يصبر على مكروه يفد على بلاد الإسلام فاضطر الوالد الخبيث لمجاراته فى الظاهر ، ووالى اجتماعات المؤامرة ، ورسم طرق الخيانة ، فلما تأكد شجاع من دناءته بادر بمقابلة أسد الدين وأوقفه على ما يعتزم والده المجرم من غدر وعقوق ، وهو يعلم أنه يعرض أباه إلى موت محقق : ولكن النفس الشريفة التى هذبها الإسلام وأنارها اليقين قد تخطت رغبات الهوى ، فآثرت الباقية على العاجلة ، وأنقذت مصر والإسلام من شر موبق لا يدرى أحد ما كان يعقبه من الكوارث الماحقة لو سيطر المستعمر الغادر على ربوع آمنة مطمئنة لم تواجه أحدا بشر ، ولكن دهمها العدوان الآثم بوجهه الوقاح .

وبعد : فالإسلام خاتمة أديان سماوية شريفة متفقة الجوهر ، نظيفة اللباب ، واضحة الهدف وهو إذ يعتبر العقيدة الدينية أعز وأغلى ما يحرص عليه المؤمن الصادق إنما يكرر تعاليم نوح وإبراهيم وغيرهما من أنبياء الله ! ! فقد قال الله تعالى مخاطبا نبيه نوحا حين سأله الرحمة بولده العاق : « يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألنى ما ليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين » ، كما تحدث عز وجل عن استغفار ابراهيم لأبيه فقال تعالى « وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه ، إن ابراهيم لأواه حليم !! » ، وهو بمثاليته الرائعة ، وتعاليمه الباهرة فوق كل اعتبار دون نزاع ؟

محمد رجب البيومى

(بقية المنشور على صفحة ١٧٤)

ولعل من الخير أن نساعد المسلمين فى هذه المنطقه ، ونأخذ بيدهم فى وسط هذا المعترك ، ولقد كان للأزهر دوره فى هذه الناحية فوفدت إليه البعوث لتلقى العلم ، ولكنها من القلة بحيث لا تكفى للوفاء بحاجة المسلمين ، والأمل أن تكون هناك مساعدة من نوع أكبر تقدمها جمهوريتنا الحريصة فى عهدها الجديد على كسب ود العالم الإسلامى فى آسيا وإفريقيا ، ولا شك أن المبعوثين الذين يختارون اختيارا خاصا يمكنهم أن يقوموا بدور إيجابى فى هذا الميدان ، إلى جانب الكتب والنشرات ووسائل التثقيف الأخرى ، التى تحمل الزاد الطيب المعبر بصدق عن الفكرة الإسلامية والمثل العليا ـ التى يقدر قدرها المؤمنون المخلصون للدين والوطن .

عطية صقر

موقف عمر بن الخطاب يوم السقيفة

للعلامة الهندى شبلى النعمان

ترجمة محمد لقمان الأعظمى

شبلى النعمانى علم من أعلام الهند وعالم من كبار العلماء واسع الاطلاع والمعرفة . ومؤرخ من عظماء المؤرخين ، وقد ألف فى السيرة النبوية والتاريخ الإسلامى . ومؤلفاته هى خير ما ألف إلى الآن للجيل الجديد ولا يزال كتابه سيرة النبى فى ستة مجلدات كبار أعظم مؤلف فى السيرة النبوية وتعليمات الإسلام ، لا يوجد له نظير فى مكتبة الإسلام الحديثة وغير ذلك من الكتب القيمة منها : « الجزية فى الإسلام » ، و « شعر العجم » و « الانتقاد » على التمدن الإسلامى لجرجى زيدان . وهذه المقالة جزء من كتابه القيم « الفاروق » ، تلقى ضوءاً على شخصيته العظيمة وتعطى فكرة عن مدى قوته وعمقه ومنهجه فى التحليل توفى سنة ١٩١٤ .

الصورة التى تصورها كتب التاريخ والسيرة عن قضية المسلمين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم صورة غريبة جداً ، بل هى صورة تثير الدهشة والحيرة فى النفوس ، فما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتحق بالرفيق الأعلى حتى بدأ المسلمون يتنافسون ويتنازعون فى أمر الخلافة ، كل يسعى لنفسه ولمصلحته .

وأغرب من ذلك أن المسلمين تركوا أمر دفن الرسول وشغلوا بأمر الخلافة والحكم ، كأن كل واحد يخاف أن يفلت زمام الحكم ، من يده ، ويتمكن الآخر منه ، وكأنهم كانوا يرون أن قضية الحكومة والخلافة أهم وأخطر وأولى بالاهتمام والعناية من دفن الرسول والاهتمام بجسده المبارك ، وكأن نفوسهم كانت تتشوف إلى الخلافة . وتطمع فى الإمارة ، وأعرضت عن حق النبى عليه الصلاة والسلام ـ هؤلاء الذين كانوا يدعون حبهم للرسول وإخلاصهم له ، بل كانوا يدعون الفدا. والتضحية فى سبيل الرسول هم الآن ينحرفون وراء السلطة والسلطان .

وتتضاعف الدهشة والحيرة حين نرى الصحابة : صغارهم وكبارهم يهتمون اهتماما بالغا بالخلافة حتى إن الذين كانوا يعتبرون النجوم اللامعة فى سماء الإسلام ، مثل أبى بكر وعمر ابن الخطاب هم ايضا يتركون جسد النبى عليه

ألف سلام ويسرعون إلى أمر الخلافة والسيطرة عليها .

وصورة القصة تزداد غرابة وشناعة حين نرى الذين كانوا يمتون إلى الرسول بصلة الرحم ولا تربطهم إلا أواصر القرابة والدم، هم فى غمار الحزن والهم ، وتشغلهم قضية دفن الرسول عن كل شىء حتى لا يجدوا فرصة ليفكروا فى أمر الخلافة

هكذا تصور لنا كتب التاريخ والسيرة هذه القصة ولا شك أن القصة صحيحة ، وأن الروايات فى هذا الصدد قوية الأسانيد ، وموثوقة الرواية وكلها توحى بهذه الفكرة .

ولكن حقيقة القضية ، غير ما يتصورها الناس ، وغير ما يفقهون من خلال هذه الروايات التى تروى هذه القصة . لا شك أن أبا بكر وعمر بن الخطاب تركا أمر دفن الرسول وذهبا إلى سقيفة بنى ساعدة ، حيث اشتركا فى المناقشة الحادة التى دارت بين الأنصار والمهاجرين، لأجل الخلافة بل جعلا يزاحمان الأنصار ، ويحاولان إزاحتهم وإبعادهم عن الخلافة، كأنهما فى نشوة الحكم والخلافة نسيا أمر دفن الرسول ، وكأن الرزيئة لوفاة الرسول لم تؤثر فيهما .

وصحيح أنهما أخذا أمر الخلافة بالحزم وأقنعا الأنصار أن ينسحبوا من الميدان كما فرضا سيطرتهما على بنى هاشم وأقنعاهم أيضا ألا يفكروا فى أمر الخلافة ، وبنو هاشم لم يخضعوا ويستسلموا إلا بعد محاولة شديدة، بل لم يخضعوا إلا بعد ما رأوا العنف والشدة وإلا لم يكن من السهل الميسور أن يسكت بنو هاشم عن الخلافة .

أرى أن هذه القضية تتطلب منا المناقشة والبحث فى الأمور الآتية .

١ — هل أثار قضية الخلافة عمر ابن الخطاب وأنصاره ؟

٢ — هل ذهب عمر بن الخطاب وأنصاره إلى سقيفة بنى ساعدة لحاجة فى النفس ؟ .

٣ — هل كان على وبنو هاشم يفكرون فى أمر الخلافة ؟ .

٤ — هل كانت الأمور والأعمال التى صدرت من عمر بن الخطاب فى محلها ؟ .

ونحن ننقل هنا نصا قيما من كتاب مسند أبى يعلى : وهو يوضح لنا صورة القضية ويكشف عن حقائقها ويكون جوابا عن السؤالين الأولين ، يقول عمر بن الخطاب : بينما نحن فى منزل رسول الله صلى عليه وسلم ، إذا رجل ينادى من وراء الجدار : أن اخرج إلى يابن الخطاب . فقلت إليك عنى فإنا عنك مشاغيل ، يعنى : بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال له : قد جدت أمور فإن الأنصار اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة ، فأدركوهم قبل

أن يحدثوا أمرا يكون فيه حرب . فقلت : لأبى بكر انطلق (١) .

هذا النص يوضح أن عمر بن الخطاب وأنصاره لم يثيروا قضية الخلافة ولم يذهبوا إلى سقيفة بنى ساعدة إلا بعد ماطلبوا للذهاب وأنذروا من حدوث الفتنة والحرب .

أما السؤال الثالث فهو : هل فكر بنو هاشم فى أمر الخلافة ؟ .

بعد دراسة أحوال المسلمين فى تلك الفترة يمكن أن نقسمهم إلى ثلاثة أقسام :

(١) بنو هاشم وكان فيهم على بن أبى طالب .

(٢) المهاجرون وكان يرأسهم أبو بكر وعمر بن الخطاب .

(٣) الأنصار وكان رئيسهم وشيخهم عبادة ابن الصامت .

وهذه الفرق الثلاث كلها كانت تفكر فى أمر الخلافة وتبحث عنها ، أما الأنصار فإنهم أعلنوا رغبتهم فى الخلافة وصرحوا بما كانوا يريدون ـ وأما بنو هاشم فيمكن أن نفهم من خلال نص نورده هنا فى صحيح البخارى (٢) :

أن على بن أبى طالب خرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال أصبح بحمد الله بارئا . فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب ، فقال له أنت بعد ثلاث عبد العصا وإنى لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سوف يتوفى من وجعه هذا . إنى لأعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت . اذهب بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلنسأله فيمن هذا الأمر؟ إن كان فينا علمنا ، وإن كان فى غيرنا علمناه فأوصى بنا ، فقال على : والله لئن سألناها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمنعناها لا يعطينا الناس بعده ، وإنى والله لا أسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

هذه الرواية توضح تماما فكرة العباس ابن عبد المطلب عن الخلافة وتعبر عما فى نفسه . أما على بن أبى طالب فإنه إلى الآن لم يكن على يقين أن رسول الله يتوفى فى هذا المرض ؛ لذلك لم يثر موضوع الخلافة كما أنه لم يكن على ثقة تامة أن رسول الله سيرشحه للخلافة .

بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم اجتمع بنو هاشم مع أتباعهم فى بيت فاطمة بنت الرسول ، وكان على بن أبى طالب يرأس هذه الجماعة ـ كما يظهر من رواية فى البخارى يرويها عمر بن الخطاب (١) .

« كان من خبرنا حين توفى الله نبيه أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم فى

[١] فتح البارى ص ٧٣ ج ٧ .

[٢] فتح البارى ص ١٠٩ ج ٨ باب مرض النبى .

[١] فتح البارى ص ١٠٩ ج ٨ باب مرض النبى .

سقيفة بنى ساعدة وخالفنا على والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر، لقد قال عمر بن الخطاب هـذا الـكلام فى خطبة ألقاها أمام جمع كبير من الصحابة فلا يتسرب الشك إلى صحتها، وتزداد هذه الرواية وضوحا وصراحة برواية عن مالك رضى الله عنه، يقول: إن عليا والزبير ومن كان معهما تخلفوا فى بيت فاطمة بنت رسول الله - أما الطبرى فروايته هكـذا (١) :

وتخلف على والزبير واخترط الزبير سيفه وقال لا أغمده حتى يبايع على. بعد دراسة هـذه الروايات المختلفة نصل إلى عـــدة نتائج وهى - :

١ — أن الصحابة بعـد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام انقسموا فى قضية الخلافة إلى ثلاثة أقسام.

٢ — المهـاجرون يريدون أبا بكر. وبنو هاشم كان ضلعهم مع على بن أبى طالب، كما أن عمر بن الخطاب وأنصاره جاءوا إلى سـقيفة بنى سـاعدة وتركوا الرسول فى بيتـه.

نرى أن على بن أبى طالب أيضا خرج من بيت النبى وجاء إلى بيت فاطمة حيث كان بنو هاشم مجتمعين. أما عدم ذهاب على بن أبى طالب إلى سقيفة بنى ساعدة فلا يدل على مدى تأثره بالفاجعة وتأسفه على ذلك، بل كان السبب الأساسى أنه لم ير الجو ملائما له ولا لترشيحه هناك.

بقى السؤال الأخير وهو أن الأعمال التى صدرت من عمر بن الخطاب هل كانت فى محلها ؟.

أعتقد أن من له أدنى إلمام بأسس الحضارة والسياسة والتاريخ يعرف تماما أن المدينة كان فيها عدد كبير من المنافقين الذين كانوا يتربصون بالإســلام والمسلمين الدوائر، وينتهزون كل فرصة ليتغلبوا فيها نظام الحـكم ويهدموا كيان المسلمين وكانت حادثة وفاة الرسـول أكبر فرصـة لتحقيق أغراضهم وآمالهم. ففى مثل هـذه الظروف القاسرة والأوضاع الشديدة، وللساعة الحرجة هل كان من المناسب أن يظل المسلمون قلقين نائحين، تسودهم الفوضى ويعمهم الاضطراب. أم كانت الحاجة تتطلب منهم أن يجتمعوا تحت راية الخليفة وقيادة الأمير ويلموا شعثهم وينظموا أمور دولتهم.

ومن جهة ثانية أن الأنصار زادوا الأمور اضطرابا بإثارة قضية الخلافة قبل أوانهـا وإثارة الجدل والمناقشة حولها.

ونحن نعرف أن قريشا لم تكن تقيم وزنا للأنصار، فحينما كانت معركة بدر الحاسمة وخرج جماعة من شبان الأنصـار لمقاتلة قريش،

---

[١] الطبرى ص ١٨٢٠.

لم يملك عتبة نفسه وكشف عما فى طويته وقال مخاطبا محمداً عليه السلام فى لهجة الاستنكار كيف يطيب لنا القتال مع هؤلاء (يعنى الأنصار) ونحن قوم لانحارب إلا الأكفاء؟.

ثم من ناحية ثانية بقية العرب أيضاً ماكانت ترضى مثل قريش أن يكون الخليفة أو الأمير فى الأنصار حتى إن أبا بكر لما خطب فى سقيفة بنى ساعدة صرح بهذه الحقيقة: « إن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش ».

ثم نرى أيضا أن الأنصار أنفسهم كانوا منقسمين بين أوس وخزرج وماكانوا على وفاق ولا اتفاق.

ففى هذه الحالة الخطيرة كانت الحاجة ماسة لأن يقضى على دعوة الأنصار للخلافة ويبحث عن شخص جدير بتحمل أعباء الخلافة عن جدارة وإخلاص، وكان أبو بكر أكثر الناس جدارة لحمل هذه الأعباء الثقيلة، كما كان أكثر الناس احتراما وإجلالا بين المسلمين، وأرسخهم علماً بأمور الدين وأشدهم تحملا لمشقات الحكم؛ لأجل ذلك كان أصلحهم للخلافة، وكاد انتخابه أن يتم بسرعة لولا قضية الخلافة التى أثارها الأنصار حيث وقع الناس فى حيرة وقلق وأدرك عمر بن الخطاب خطورة الموقف. فأسرع إلى أبى بكر ووضع يده فى يده وبايعه صراحة وعلنا، وتتابع الناس بعده فتقدم عثمان بن عفان، وأبو عبيدة ابن الجراح وعبد الرحمن بن عوف، واحدا بعد الآخر، ثم تهافت الناس على مبايعة أبى بكر . . ، وهكذا استطاع عمر بسياسته الحكيمة وبصيرته النافذة، أن يوقف التيار الذى كاد أن ينجرف فيه المسلمون وانسد باب الفتنة التى كادت تزعزع كيان المسلمين وعادت الأمور سيرتها الأولى، وهدأت العاصفة وانصرف الناس إلى أمورهم، اللهم إلا فئة من بنى هاشم كانت تجتمع فى بيت فاطمة بنت الرسول حينا بعد حين، تتكلم فى أمر الخلافة.

وحاول عمر أن يقنعهم باللين والحكمة ولكنه لم ينجح، وقد ذكر ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرى فى تاريخه رواية فيها:

أن عمر بن الخطاب ذهب إلى بيت فاطمة بنت الرسول عليه السلام، ووقف على الباب وقال مخاطبا إياها: (يابنت الرسول أنت أحب الناس لدى، ومع ذلك لو استمر الناس فى الاجتماع عندك والتحدث فى أمر الخلافة، لأحرقن هذا البيت بسبب هؤلاء).

أنا لا أبدى رأياً فى صحة الرواية ومدى قوتها وإن كنت لا أرى حرجا فى قبولها لأن عمر بن الخطاب كان معروفا بين الناس بطبعه، ولا يستبعد أن تصدر منه هذه الكلمة أو أمثالها، ولكنه لايغيب عنا أنه لولا حكمة عمر وشدته لحدثت حروب أهلية بينهم كما حدثت بين معاوية وعلى، وكأنهم كانوا يفتقدون حكمة عمر وسياسته الممزوجة باللين حينا وبالشدة حينا آخر؟

شبلى النعمانى

رأى الأزهر
فى الاتجاهات الحديثة إلى تدريس النحو

للأستاذ أحمد محمد غنيم

« تتمة ما نشر فى العدد الماضى »

المحاولة الرابعة :

إلغاء متعلق الظرف والجار والمجرور

جاء فى قرار مؤتمر المجمع اللغوى مانصه : « يجب إرشاد المبتدئين إلى أن المتعلق العام للظرف والجار والمجرور فى نحو زيد فى الدار ، وزيد عندك محذوف ، وإن كانوا لا يكلفون كل مرة تقديره عند الإعراب . بل يقبل منهم تخفيفاً عنهم أن يقولوا فى إعراب زيد فى الدار . فى الدار جار ومجرور مسند » ، وهذا تيسير مقبول . لايخالف ماقاله القدامى إلا فى إبدال كلمة مسند بكلمة خبر .

أما مايراه مؤلفو الكتب المدرسية ، من أنه لامتعلق للظرف ولا للجار والمجرور مقلدين فى ذلك ابن مضاء ، فذلك ما لا يقره النظر السليم . وإذا كانوا يعترفون بأن المتعلق الخاص هو المسند فى نحو قولنا : زيد مخلص فى عمله . فأى ضرر فى ملاحظة المتعلق العام حتى تكون الأساليب كلها على نمط واحد ومن طراز واحد ؟ ويحتج النحاة لتقدير المتعلق العام بقول كثير .

فإن يك جثمانى بأرض سواكم
فإن فؤادى عندك الدهر أجمع

فإن فؤادى توكيد مرفوع ، وليس فى الكلام المنطوق مايصلح أن يكون متبوعا ، فكان لامفر من تقدير أن الأصل كائن عندك ، وأن فى كائن ضميراً مرفوعا انتقل إلى الظرف حين حذف الوصف وجاء لفظ أجمع مرفوعا على نسقه توكيداً له . هذا من ناحية الصناعة ، وأما من ناحية المعنى فالخبر حكم على المبتدأ ووصف له . والوصف يدل قطعا على معنى فى الموصوف . فلابد إذن أن يدل الخبر على معنى فى المبتدأ . فإذا قيل فى زيد عندك . زيد مبتدأ والظرف خبر . وجب أن يدل الظرف على معنى فى زيد . والظرف من حيث هو ظرف مدلوله المكان . وزيد مدلوله الذات ولا ارتباط بينهما إلا على جهة حلول الذات فى المكان . وذلك هو مايرشد إليه المتعلق

الذى يلاحظه النحاة . ولو لم يلاحظ هذا لم تكن لإحدى الكلمتين صلة بالأخرى .

وكذلك القول فى نحو زيد فى الدار . وإذن فلا وجه لما يقولون من أنه لامتعلق للظرف ولا للجار والمجرور .

المحاولة الخامسة :

إلغاء الإعراب التقديرى والمحلى

يرى مؤتمر المجمع ضم الإعراب التقديرى إلى المحلى . فيقال فى نحو جاء الفتى والقاضى . الفتى والقاضى مرفوعان محلا . ويرى مؤلفو تحرير النحو العربى . الإعراض عن تكلف الإعراب التقديرى والمحلى والاكتفاء ببيان وظيفة الكلمة فى الجملة وصلتها بما معها ، ولست أرى مبرراً للعدول عما يقوله القدامى . بل ينبغى الرجوع إلى قولهم لما يأتى :

أولا : ليتبين التلميذ كيف يضبط التوابع إذا كان المتبوع مما يعرب محلا أو تقديراً نحو جاء القاضى الفاضل وغلامى المطيع والفتى النشيط وهؤلاء المخلصون .

ثانياً : ليدرك المتعلمون الفرق بين ماهو مبنى كمن ، وما هو معرب تقديراً كالفتى والقاضى ؛ فإن المانع من إعراب الأول قائم بجوهر الكلمة ، والمانع من ظهور الإعراب على الثانى قائم بالحرف الأخير . ولذلك كان القاضى فى حالة النصب منصوبا بالفتحة الظاهرة لخفة الفتحة على الياء .

ثالثاً : ليطمئن التلميذ إلى أن الحكم الإعرابى الذى تقتضيه وظيفة الكلمة فى الجملة مطرد دائما لا يتخلف . وإذا تخلف فى الظاهر فإن ذلك يعود لسبب من الأسباب . ولو لم يفهم التلميذ ذلك لسوغ لنفسه أن يقول جاء زيد ورأيت زيد بالجر قياسا على جاء هؤلاء ورأيت هؤلاء وجاء غلامى ورأيت غلامى .

المحاولة السادسة :

إعراب التكملة

يرى أنصار التيسير أن يقال فى إعراب أكرمت زيداً : زيداً مفعول به تكملة . وفى قمت إجلالا لك : إجلالا تكملة الفعل لبيان السبب إلى آخر ماجاء فى القرار . ولا أستطيع أن أفهم وجه التيسير فى زيادة كلمة تكملة ، بعد أن أضافوا إليها كل ماذكره النحاة من مصطلحات مع بعض التغيير . وإذا كان غرضهم من زيادة تلك الكلمة بيان مكانتها فى الجملة . فالنحاة لم يغفلوا هذا ، فقد ذكروا أن كل ماسوى المرفوع فهو فضلة . إلا أنهم لم يروا التعرض لذكرها عند الإعراب تسهيلا على المتعلمين ، وإيثاراً للإيجاز . لهذا أستحسن الإبقاء على المصطلحات القديمة ، فهى أوضح وأيسر وأوجز .

المحاولة السابعة :

إعراب المستثنى

يرى أنصار التيسير فى إعراب المستثنى بإلا إذا كان الكلام تاما منفيا . الاقتصار على تعليم التلاميذ ، أنه يكون منصوبا دائما ، ونحن نقرهم على أن النصب فى هذه الحالة عربى كثير ، ولكن لا نزاع فى أن أكثر كلام العرب نظما ونثرا إنما جاء على الإتباع ومن شواهد ذلك قوله تعالى : « ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم » وقوله « ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك » فى قراءة من رفع . وقوله « ومن يغفر الذنوب إلا الله » .

وقول الشاعر :

عشية لا تغنى الرماح مكانها
ولا النبل إلا المشرفى المصمم

وقول الآخر :

وبلدة ليس بها أنيس
إلا اليعافير وإلا العيس

وقول سعد بن مالك :

والحرب لا يبغى لجا
حمها التخيل والمراح
إلا الفتى الصبار فى الـ
نجدات والفرس الوقاح

وإذا كانت شواهد الإتباع من الكثرة كما نرى ، والتلميذ لا يعرف إلا النصب ، فلا شك أنه يقف أمام تلك الشواهد الكثيرة حائرا مشدوها ، لا يدرى كيف يوفق بينها وبين معلوماته الناقصة .

المحاولة الثامنة :

إعراب المنادى

يرى جمهور النحاة أن المنادى إذا كان مضافا أو شبيها به أو نكرة غير مقصودة ينصب لفظا نحو : يا عبد الله . يا رحيما بالعباد . ونحو قول الشاعر :

فيا راكبا إما عرضت فبلغن
نداماى من نجران أن لا تلاقيا

وإذا كان مفردا علما ، أو نكرة مقصودة فإنه يبنى على ما يرفع به ، ويكون منصوبا محلا نحو يا داود ، يا جبال أوبى معه ، وإنما يبنى فى هذين لوقوعه موقع كاف أدعوك وكونه مثلها إفرادا وتعريفا ، ولم يبن المضاف والشبيه به ؛ لأنهما ليسا كالكاف فى الإفراد ولم تبن النكرة غير المقصودة ، لأنها ليست كالكاف فى التعريف ، ولم تقع موقعها . وبالتأمل فى هذا التوجيه ، نجد أنه من الدقة والإحكام بحيث يقدره ويعترف به كل منصف ، ولا عسر فى فهمه وتفهيمه .

وفى الاتجاه الجديد يجعلون للمنادى ثلاثة أحوال :

ينصب إذا كان مضافا ، وهم فى ذلك موافقون للقدامى .

ويرفع ويمنع التنوين إذا كان علما غير مضاف .

وفيما عدا ذلك . إذا نون المنادى نصب وإذا منع التنوين رفع هذا كلامهم ويدخل فى هذا القسم الأخير النكرة غير المقصودة والنكرة المقصودة والشبيه بالمضاف ، ويلاحظ أنهم لم يبينوا للتلميذ متى ينون فينصب ، ومتى يترك التنوين فيرفع . وكأنهم يتركون له حرية الاختيار ، فينون وينصب إذا أراد . ويمنع التنوين ويرفع إذا أحب . وإذا فله أن يقول : يارحيم بالعباد . وهو ينادى شبيها بالمضاف . ويا شرطيا أمامك اللص ، وهو ينادى معينا . وللأعمى أن يقول يا رجل خذ بيدى ، وهو ينادى غير معين ، ولا نزاع أن استعمال الأساليب المذكورة ، على هذا الوجه يخالف ما جاء عن العرب .

وبالمقارنة بين المذهب القديم والمذهب الجديد يتبين لنا ما يأتى :

أولا : يرى القدامى أن المنادى منصوب دائما إما لفظا وإما محلا ، لأنهم يرون موضعه فى الكلام موضع الفضلة والتكملة ويراه المذهب الجديد تارة مرفوعا وتارة منصوبا مع أن موضعه فى الكلام واحد فى الحالين . فعلى أى أساس رفع ، وعلى أى أساس نصب ، لم يبينوا لنا ذلك ، ولا يجدى استنادهم فى هذا الاتجاه إلى بعض مذاهب القدماء فإنها مذاهب ضعيفة ، لا تنهض حجة للتيسير الذى يريدون .

ثانيا : يرى القدامى أن المنادى يكون مبنياً ، ويكون معربا : وقد عللوا ذلك بما يكفى للإقناع . ويرى أنصار التيسير أنه معرب دائما ، ولم يبينوا لنا سبب ترك التنوين فى حالة رفعه ، والمعروف أن التنوين لا يترك من المعرب إلا للإضافة أو للاقتران بأل ، أو للمنع من الصرف .

ثالثاً : عند نداء النكرة ، يعين القدامى للتلميذ متى تعرب ومتى تبنى ، وأنصار التيسير يعطونه الحرية المطلقة ، فإذا بدا له أن ينون نصب ، وإذا بدا له ترك التنوين رفع ولم يحددوا له معنى مقصودا .

المحاولة التاسعة :

دراسة التراكيب

فى دراسة التراكيب يرى أنصار التيسير دراستها على أنها أساليب تبين معانيها وطرق استعمالها ، والمناسبات التى تستعمل فيها . ويعيبون على القدامى أنهم أتعبوا أنفسهم فى تحليلها وتخريجها .

وإذا كان القدامى قد أتعبوا أنفسهم فيما ذهبوا إليه فى تلك التراكيب من تأويلات فإن لهم كل العذر . فقد أرادوا أن يخضعوها للقانون العام فى تأليف الكلام من ركنين

أساسيين . حتى لا يراها المتعلمون غريبة على الكلام العربى ، لا تدخل فى إطاره ، ولا ينطبق عليها نظامه .

ومع هذا فلا بأس من مسايرة أنصار التيسير، فى ترك هذه التخريجات ، إذا صح أن الجدوى من ورائها لا توازى ما يبذل فيها من مجهود . على أن يكون هذا مقصورا على الناشئين .

المحاولة العاشرة

كيفية تثنية المقصور الثلاثى

يرى واضعو المنهج أنه إذا أريد تثنية ما آخره ألف تقلب ألفه ياء دائما . إلا فى كلمات لا تتجاوز العشرين . وعدوا ثمانى كلمات قالوا إنها المشهور من هذا القبيل وهى « الحجا . الجدا . الخنا . الرضا . العصا . الصبا القرا . القفا » .

وجاء فى النحوا نهجى أن الألف الثالثة التى أصلها واو بشبه إجماع لا تكاد تعدو عشر كلمات وهى « الشذا . الشفا . الصلا . الطلا . العشا . العصا . القرا . الفنا . القفا . المها » وفى تحرير النحو العربى عدل مؤلفوه عن التحديد ، ورجعوا إلى قول القدامى فقالوا : « المقصور الثلاثى تقلب ألفه ياء إلا إذا كانت منقلبة عن واو فإنها ترد إلى أصلها كالعصا والقفا» .

وأعتقد أنهم سلكوا الطريق الأسلم . فإن تحديد الكلمات الثلاثية الواوية بعشرين أو بعشر ، وتحديد المشهور منها بثمان أو بأكثر أو بأقل ليس من السهل إثباته . ويحضرنى الآن بعض كلمات أراها أشهر وأكثر استعمالا من بعض ما ذكروا وهى « العلا . الربا . الضحا » فهذه الكلمات الثلاث أشهر من كلمة القرا التى ذكروها ومعناها الظهر .

وفى رأيى أن تترك القاعدة القديمة كما هى . وإن كانت تشبه الإحالة على مجهول ، فإنها فضلا عن كونها أسلم ، تلجىء التلاميذ إلى الاطلاع على كتب اللغة والاستفادة منها .

ولست أدرى لم لم ينهجوا هذا النهج فى طريقة جمع الاسم بالألف والتاء فيعدوا لهم ما تقلب ألفه واوا نحو قطاة وقناة وأداة وفلاة .

ملاحظتان جديرتان بالذكر :

وقبل أن أختم كلامى أبدى ملاحظتين جديرتين بالذكر :

الأولى : أن اللغة العربية ليست وقفا على الجمهورية العربية المتحدة وحدها ، وإنما هى لغة جميع الناطقين بالضاد ، وهم لا يزالون يدرسون قواعدها على الطريقة المعروفة ، والمصطلحات المألوفة التى ورثوها عن أسلافهم ، وتواطأت عليها كتبهم ، وهى إحدى الروابط التى تربط بيننا وبينهم ، فلو قدر للثورة على النحو القديم أن تنجح فى ما تدعو إليه كما رسمه زعماؤها ودعا إليه القائمون بها ، لكننا قد أحدثنا ثغرة

فى بناء الجامعة التى تجمعنا ، وأعملنا معاولنا فى أساس الوحدة التى ندعو إليها ، ونحرص عليها ، وذلك ما ينبغى أن نفكر فيه ، قبل أن نخطو خطوة فى هذا السبيل .

الثانية : يقول أنصار التيسير : إنهم كانوا يترددون فى إظهار آرائهم ، ويخشون الرأى العام ، حتى جاءت الثورة المصرية ، فبعثت فيهم الجرأة ، وسهلت لهم مواجهة الناس بمذهبهم الجديد ـ ولست أدرى ماذا يريدون بهذا ـ وكأنهم يريدون الاحتماء بالثورة ، ويوهمون أن ثورتهم على النحو القديم ، من قبيل الثورة المصرية المباركة ، وأيا كان مرادهم ، ففرق كبير بين الثورتين ، فالثورة المصرية ثورة على الحكم الفاسد ، والاستعمار الغاشم ، والإقطاع المقيت ، ولذلك ظفرت بتأييد الجميع ، وكتب لها النجاح التام ، والنصر المؤزر ، وأما الثورة على النحو ، فهى ثورة على الكتب النافعة ، والآراء السديدة ، التى أثبتت الأيام صلاحيتها ، وأقرها العلماء فى جميع البلاد العربية ، وفى جميع العصور ، منذ قرون .

والثائرون أنفسهم يحسون بحرج موقفهم فيرجعون إلى القدامى يلتمسون منهم التأييد ، ويذكرون أنهم لم يخرجوا على آراء المتقدمين ، وأن كل ما يدعون إليه ، لهم فيه سند ممن قبلهم ، على أن هذا الاستناد لا يجديهم فتيلا ، فمن المعروف أن علم النحو ، كثير الخلافات ، متعدد الآراء ، وإنما يبقى من هذه الآراء ، الرأى القوى الراجح ، الذى يستطيع أن يصارع الزمن ، ويثبت أمام الجدل والنقاش .

أما الآراء الضعيفة التى يستندون إليها ، فقد تنوسيت على مر الزمن ، ولم تجد من أحد القبول ، وكفى بهذا دليلا على وهنها وسقوطها عند ذوى النظر « فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض » .

والآن يمكننى تلخيص رأيى فى أمرين :

الأول : الرجوع إلى الآراء المتواضع عليها فى تسمية ركنى الجملة بالفعل والفاعل والمبتدأ والخبر ، والاعتراف بالضمائر المرفوعة المتصلة ، والإعراب التقديرى والمحلى ، وإعراب التكملة ، وإعراب المستثنى والمنادى وكيفية التثنية .

الثانى : الموافقة على الأخذ بالتيسير فى دراسة التراكيب للناشئين ، وعدم التعرض فى علامات الإعراب إلى أصلية وفرعية . والتخفيف من المصطلحات القديمة فى الإعراب : واعتبار متعلق الظرف محذوفا دون تكلف تقديره فى كل مرة وأسأل الله التوفيق . وأن يهدينا سواء السبيل ؟ .

أحمد محمد غنيم

التعليق على صفحة (٢٠٨)

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

تبين لنا فى بحث سابق فى هذه المجلة ، أن جمهور الفقهاء متفقون على جواز زواج المسلم من الكتابية التى لها دين سماوى له كتاب وله نبى بعث به . وقد يظن ظان أن هذا الزواج يجعل الزوجة فى مقام الظلم لها أو الهضم لحقوقها ، ولكن الشريعة أقامت الضمانات لتحقيق العدالة مع هذه الزوجة ، ومنها :

أولا : حسن العشرة من الزوج لها ، لأن هذا حقها ، وحينما استشهد الفقهاء على حسن العشرة بقوله تعالى « وعاشروهن بالمعروف » وقول الرسول : (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) قالوا إنه : لا فرق فى هذا بين المسلمة والكتابية ؛ وإذا كان للكتابية ضرة مسلمة وجب على الزوج أن يعدل بينهما فى النفقة والبيتوتة وغيرهما من أمور تقبل القسمة والعدل ، ومقتضى العدل والمساواة هنا أن الزوج لو أحب زوجته الكتابية أكثر من المسلمة لما عيب عليه ذلك ؛ لأنه لا يملك التحكم فى قلبه . ولا حيلة له فيه ، ولقد كان النبى صلى الله عليه وسلم يعدل بين نسائه فيما يمكن العدل فيه من أمور الحياة كالبيتوتة والكسوة والطعام ، ولكنه كان يحب بعض نسائه أكثر من بعضهن الآخر فكان يدعو ربه ويقول : (اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فاغفرلى ما تملك ولا أملك) ؛ يريد ميل القلب ، لأن الله مقلب القلوب .

ثانيا : ألا يرغم الزوج زوجته الكتابية على ترك دينها ، أو يحرضها على ذلك ، وعليه أن يمكنها من القيام بشعائرها الدينية إذا بقيت على دينها وارتضته لنفسها ، وله أن يقيم لها كنيسة فى بيته لتصلى فيها إذا رأى عدم ذهابها إلى الكنيسة ورضيت بذلك .

ونلاحظ هنا أن الزوجة غير المسلمة لن تتزوج المسلم إلا بالرضى والموافقة ، فليس هناك إرغام ، وفى هذه الحالة سيكون هناك أمان من سوء المعاملة .

ثالثا : إذا استقر رأى المسلم على أن يتزوج كتابية فإن هناك إجراءات خاصة بهذا الزواج فيها مزيد من الاحتياط والتبصير ، فعقد الزواج فى هذه الحالة يكون فى وثيقة خاصة ، ولا يتولى المأذون عقد العقد ، بل يتولاه القاضى الشرعى ، وبعد إلغاء المحاكم

الشرعية صار يتولاه المأذون المختص فى وزارة العدل . وفى لائحة المأذونين جاءت هذه المادة « ليس للمأذون أن يباشر زواج من لا ولى له من الأيتام ، ولا العقود التى يكون فيها أحد الطرفين تابعا لدولة أجنبية ، أو كان غير مسلم إنما ذلك كله من اختصاص القضاة » .

وهذا نوع من الاحتياط ، حتى لا يقال : إن هناك تغريراً من الزوج المسلم بالزوجة الكتابية .

وفى وثيقة الزواج بين المسلم والكتابية جاء تبصير واضح للزوجة بحقيقة الموقف وتبعات الزواج التى تتعرض له حتى لا تؤخذ فيه على غرة ، فنص فى هذه الوثيقة على الأمور التالية التى يجب أن تعلم بها الزوجة وتوافق عليها :

١ ـ للزوج أن يتزوج مثنى وثلاث ورباع ، ولا يتوقف ذلك على رضاها .

٢ ـ للزوج أن يطلقها حينما يشاء ، ولا يتوقف ذلك على رضاها .

٣ ـ للزوج أن يراجعها إذا طلقها طلاقا رجعيا ، ولا يتوقف ذلك على رضاها .

٤ ـ إن طلقها قبل الدخول فلها نصف المهر ، وإن دخل بها فلها مهرها .

٥ ـ من الواجب عليها أن تطيعه ، وألا تخرج إلا بإذنه ، وأن لها النفقة فى وقت الزواج وفى العدة .

٦ ـ الأولاد الذين سيرزق بهم منه سيكونون مسلمين كأبيهم ، لأن الأولاد فى الشريعة الإسلامية يتبعون خير الأبوين دينا .

٧ ـ لا توارث بينهما ، فإذا مات فلن ترثه ، وإذا ماتت فلا يرثها .

٨ ـ لها حق الحضانة ، إلا إذا رأى القاضى غير ذلك لمسوغ شرعى (١) .

يقول الشيخ أبو زهرة : « واتحاد الدين بين الحاضنة والطفل ليس بشرط ، فإذا كان مسلم متزوجا مسيحية وله بنت منها وافترقا ، فإن الخلاف الذى بينها وبين بنتها لا يمنع حقها فى الحضانة ، إذ تكون البنت مسلمة تبعاً لأبيها ، وذلك لأن سبب ذلك الحق هو وفرة الشفقة . ولا يؤثر فيه اختلاف الدين ، ويستمر حق الحضانة ثابتا للحاضنة مع اختلاف الدين إلا أن يضر ذلك الطفل ، ولذلك ينزع الطفل من يدها إذا خيف على الطفل إفساد دينه ، وذلك فى حالتين :

إحداهما : إذا كان الطفل فى سن التمييز ، فيعقل الأديان ويفهمها ، ويخشى من تأثره بدينها ، إذا رآها تقوم بصلواتها وطقوسها الدينية .

ثانيهما : إذا لم يبلغ الطفل سن التمييز ، ولكن ثبت أنها تحاول تلقينه دينها ، وتعويده عاداته وتنشئته عليه ، فإنه فى هذه الحالة ينزع من يدها ، إذ تصبح غير أمينة

(١) كتاب الأحوال الشخصية ، قسم الزواج ، للأستاذ محمد أبو زهره ، ص ١٠١ .

على دينه ، وقد علمت أن الأمانة شرط[1] .

ويصح فى زواج المسلم بالكتابية أن يكون شاهدا الزوج غير مسلمين ، ولو كانت الزوجة مسلمة لوجب أن يكونا مسلمين ، وكأن هذا أيضا نوع من إطلاع قوم الكتابية على حالتها ، وإشعارا بأن الزواج يتم فى حالة رضا وإعلان ، لأن الزوجة إذا اختارت شاهداً فستختاره غالبا من قومها وأهل دينها . مسيحية كانت أو يهودية .

ومن مظاهر سماحة الإسلام هنا أنه إذا تزوج المسلم مسيحية وانتقلت إلى اليهودية ، أو يهودية وانتقلت إلى المسيحية ، لا يضر ذلك الزواج ، ولكنها لو كانت كتابية وصارت مشركة أو بلا دين لزم التفريق بينهما .

وإن أسلم الزوج وبقيت زوجته على دينها ، فإن كانت غير كتابية عرضنا عليها الإسلام ، فإن استجابت له بقى الزواج ، وإن رفضت فرقنا بينهما ، وإن كانت كتابية جاز له إبقاؤها .

والأولاد الذين يكونون بين الزوج المسلم والزوجة غير المسلمة يكونون على دين أبيهم ، ويرثون منه ، ويرث منهم ، ولكن أمهم لا ترث منهم وهم لا يرثون منها ما دامت غير مسلمة لأن شرط التوارث اتفاق الدين .

ومما يتصل بالموضوع حكم نكاح أهل الكتاب إذا كانوا حربا ؛ وهذا النكاح لا يحل ، وقد سئل ابن عباس عن ذلك فقال :

(١) المصدر السابق ، ٤٠٨

لا يحل ، وتلا قوله تعالى : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » .

وقد أعجب بذلك إبراهيم النخعى ، وكره الإمام مالك تزوج الحربيات لعلة ترك الولد فى دار الحرب ، ولتصرفها فى الخمر والخنزير[1]

وفى تفسير البيضاوى أن ابن عباس قال : لا تحل الحربيات[2] أى لا يحل زواجهن للمسلم .

ومن المتصل بالموضوع أيضا زواج المرتدة ، وقد نص الفقهاء على أن المرتدة لا تعتبر صاحبة دين ، سواء ارتدت عن الإسلام إلى الإشراك والوثنية . أو ارتدت إلى دين كتابى ، وحكم المرأة إذا ارتدت أن تحبس وتستتاب ، ولا يجوز للمسلم أن يتزوج امرأة مرتدة ، فحكمها فى ذلك حكم المشركة . أو من ليس لها دين سماوى .

وبمناسبة الحديث عن إسلام الزوج أو الزوجة ، يتحدث الفقهاء عما يلزم وجوده لنعتبر الشخص قد أسلم فعلا ، فلابد من النطق بالشهادتين : لا إله إلا الله ، محمد رسول الله ، وأن تظهر منه الدلائل على اقتناعه بكل ما جاء فى الكتاب والسنة ، وكل ما ثبت من الدين بالضرورة ، وألا يظهر منه ما يدل على مناقضته لما أعلنه من الإسلام ، فلو أعلن إسلامه

(١) تفسير القرطبى ، ج ٣ ص ٦٩ .

(٢) تفسير البيضاوى ، ص ١٤١ .

وبقى يعمل عمل دينه الذى كان عليه من قبل ، كان هذا دليلا على أنه غير صادق فى إسلامه وغير جاد فيه ، فلو فرضنا أن شخصا نطق بشهادتى الإسلام ، ولكنه بقى يصلى صلاة غير المسلمين أو يتخذ شعارهم ، فإنه لا يعد مسلما .

ومن هنا نستطيع أن نحدد موقف أولئك الذين يتخذون النطق بشهادتى الإسلام وسيلة التخلص من مأزق أو صعوبة ، أو لتحقيق مأرب من المآرب ، وهم لم يقتنعوا بالإسلام حقا ، يقول الشيخ أبو زهرة : « وإنه يجب أن يتنبه القضاء لذلك ، ويتحققه إن بدرت بوادر تعلن مستور أمره ، وأنه يخفى ما لا يبديه ، فإن فريقا من الناس قد اتخذوا الأديان ذريعة لإشباع الرغبات المادية ، كإعلان الإسلام ليتزوج مسلمة ، ويقضى منها أربا كما ذكرنا ، أو يعلن الإسلام ليطلق امرأته ، ولا يسهل الطلاق فى دينه ، أو يعلن الإسلام كيداً الأمة ، وليسهل عليه تدبير الشر .

وفى الشرع الإسلامى ما يقطع على أمثال هؤلاء الطريق ، وإنه ليحدث للناس من الأقضية بمقدار ما يحدثون من شر ، ولقد أغنانا ما عندنا من أحكام عن أن نحدث للعابثين بالمبادئ الدينية فى هذا الزمان جديدا ، فلنتبع ما عندنا بكل ما فيه ، لكى نمنع ذلك الشر الجديد [1] » .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أن انتشار زواج المسلمين بالأجنبيات غير المسلمات يؤدى إلى أخطار كثيرة ، وفى « تفسير المنار » هذه العبارة :

« فتن كثير من الشبان المصريين بنساء الإفرنج ، فتزوجوا بهن فأفسدن عليهم أمورهم الدينية والوطنية ، واضطر بعضهم إلى الطلاق ، وغرم كثيرا من المال ، ومنهم رجل غنى قتلته امرأته الفرنسية ، وجاءت تطالب بميراثها منه ، وقليل منهم من اهتدت به زوجته وأسلمت ، وقد سرت العدى إلى المسلمات ، فمن الغنيات منهن من تزوجن بمن عشقن من رجال الإفرنج بدون مبالاة بالدين الذى لا تعرف عنه غير اللقب الوراثى ، وقد عظمت الفتنة وقى الله البلاد شرها ، ولن يكون إلا بتجديد التربية الإسلامية وإصلاح الحكومة [1] » .

ويقول الأستاذ الأكبر الشيخ شلتوت : « الإسلام يرى أن المسلم إذا شذ عن مركزه الطبيعى فى الأسرة بحكم ضعفه القومى ، وألقى بمقاليد أمره بين يدى زوجته غير المسلمة وجب منعه من التزوج بالكتابية ، ويوجب فى الوقت نفسه على الحكومة التى تدين بالإسلام ومبادئه فى الزوجية ، وتغار على قوميتها وشعائرها فى أبنائها - أن تضع لهؤلاء الذين ينسلخون

(١) الأحوال الشخصية : قسم الزواج ص ١٠١ .

(١) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥٧ .

عن مركزهم الطبيعى فى الأسرة ، حدا يردهم عن غيهم ، ويكفى فى المنع العام أن ترى الحكومة أكثرية الذين يتزوجون بأجنبيات يضعون أنفسهم من زوجاتهم هذا الوضع الذى يفسدون به أسرهم وقوميتهم .

إن حفظ مبادئ الدين ، وحفظ سياج القومية لمن أوجب الواجبات على الحكومات الإسلامية ، وما ضعف المسلمون وانحلت روابطهم إلا بهذا الذوبان الذى كثيراً ما كان منشؤه الافتتان برقى الأجنبية وتقدمها فى تنظيم البيوت وتربية الأبناء ، وهى فى الواقع تعمل على هدم الكيان وتقويض القومية ، وقد كاد يتم لها الأمر على أيدى هؤلاء السفهاء ، ضعاف الإيمان والقومية ، يؤازرهم فى ذلك من يقرءون عليهم - من غير فهم ولا تدبر ، ولا إدراك لحكمة التشريع - قوله تعالى : « والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم » . وكم لعبت الزوجة الكتابية من أدوار فى خدمة أمتها وحكومتها ، وهى مقيمة فى بلاد الإسلام ، ترزق بخيراتها ، وتنعم بحياتها تحت رجل مسلم غر ، خدعته واتخذت منه جسراً تخطو على ظهره إلى نكبة بلاده ، والعمل على تركيز قومها فيها [1] » .

ويشير كتاب « الإبداع » إلى حكمة النهى عن زواج المسلم بغير المسلمة ، وهى أن هذا قد يؤدى إلى تضييع المسلمات وتركهن بلا زواج ، فيذكر الكتاب أن زواج المسلم بغير المسلمة كان محرما فى أول الأمر ، وأن ابن جرير روى الحديث : (نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أصناف النساء إلا ما كان من المؤمنات المهاجرات ، وحرم كل ذات دين غير الإسلام) . ويعلق صاحب الكتاب المرحوم الشيخ على محفوظ على ذلك بقوله : (لأن الرجال كانوا قلة ، وكان النساء المؤمنات كثيرات) [1] ! .

ونجد أيضا « تفسير المنار » يشير إلى حكمة الإباحة لزواج المسلم بالكتابية ، ثم يعود فيقول : (ولا يخفى أن هذا الأمر يختلف باختلاف الأشخاص ، فرب مسلم مقلد يتزوج بكتابية عالمة فتفسد عليه تقاليده ، ولا عوض له عنها ، فينبغى أن يعرف هذا) [2] .

قد يقال بعد هذا : إذا كان الإسلام قد أباح للمسلم أن يتزوج الكتابية ، فلماذا حرم على غير المسلم - سواء أكان كتابيا أو غير كتابى - أن يتزوج المسلمة ؟ وتفصيل الجواب عن هذا السؤال يحتاج إلى حديث مستقل قابل بمشيئة الله .

أحمد الشرباصى

(١) كتاب الفتاوى ص ٢٥٤ .

(١) كتاب الإبداع فى مضار الابتداع ص ٢٧٢ .

(٢) تفسير المنار ج ٢ ص ٣٥٧ .

زعماء المسلمين فى الهند

وموقفهم من الاستعمار الانجليزى

للأستاذ محمد اسماعيل الندوى

وطىء الاستعمار أرض الهند فى القرن السابع عشر حينما أسس فيها شركة الهند الشرقية . وفى هذه الأيام وقعت الفتنة بين أبناء (أورنك زيب) آخر امبراطور إسلامى فى الهند ، فتفرقت البلاد وقامت فى كل ناحية دول الطوائف ، وانتهزت الشركة الانجليزية هذه الفرصة فتدخلت فى الشئون السياسية لهذه البلاد واحدة بعد أخرى بمكرها وخداعها حتى أصبحت لها سلطة كبرى فى سنة ١٧٩٩ حينما انهزم الشهيد البطل تيبو سلطان فى معركة ميسور فى جنوب الهند .

ولكن المسلمين لم يرضوا بهذا الوضع ، فقد فقدوا امبراطورية إسلامية ظلت فى الهند أكثر من سبعة قرون . وكانوا يتألمون لذلك ألما شديدا ، وكان الإنجليز يعرفون ان المسلمين ما داموا فى وعى بما صاروا إليه فلن يستطيعوا أن يوطدوا أقدامهم فى الهند ، فالمسلمون وإن كانوا قد فقدوا حكومتهم فإنهم لم يفقدوا الشعور والوعى والصلاحية الإدارية والنبل والذكاء ، فمن الناحية الاقتصادية كان المسلمون هم الغالبين عليها ، ولم يفقدوا شيئا من المهارة فى الصناعة والزراعة ، ولكن الانجليز لم يستطيعوا الصبر على هذه الحال ، فأغلقوا المدارس وصادروا ممتلكاتهم وقطعوا أيدى الصناع فتغيرت حالهم وأصبحوا فقراء بعد أن كانوا ملوكا وأمراء ، وحرموهم الوظائف الرسمية أيضا ، وشغل الهندوكيون الموالون للانجليز وظائفهم حتى أظلمت الدنيا أمامهم (١) ، لقد كتب السر وليم هنتر (Sir willium Hunter) أحد دبلوماسى الانجليز فى كتابه « مسلمو الهند » أنه لا يكاد يوجد مسلم فى الوظائف الرسمية . وإذا وجد واحد منهم فهو إما أن يكون بوابا أو فراشا . ففى سنة ١٨٥٨ وظف ١٢٤ هنديا فى وظائف المحاكم ، ولم يكن بينهم إلا مسلم واحد . وفى الوظائف الأخرى فى العام نفسه كان هناك ٩٢ مسلما من بين ١٣٣٨ هندوكيا .

---

(١) نقش حياة للشيخ حسين أحمد المدنى ج ١ ص ١٣٦ .

لقد فكرت صفوة من العلماء فى هذه الحالة وكان على رأسهم الشيخ عبد العزيز الدهلوى ابن الشاه ولى الله صاحب حجة الله البالغة ، فأفتى عبد العزيز بأن الهند أصبحت الآن دار حرب ، فوجب على المسلمين أن يحاربوا الاستعمار الطاغى الغاشم الكافر ، فقام العلماء من الفقهاء والمحدثين والمتصوفين يجاهدون فى سبيل الله وفى سبيل إجلاء الانجليز من بلادهم ، وتكون منهم جيش كبير كان يقوده الشهيد الشيخ أحمد والشهيد الشيخ إسماعيل وغيرهم ، وكان هؤلاء من تلاميذ الشاه عبد العزيز ، وقد وقعت حرب دامية بينهم وبين الاستعمار وحلفائه وفتحوا مدنا كثيرة ورفعوا فيها راية الإسلام حتى سمى الشيخ أحمد بأمير المؤمنين، ولكن حدث فى سنة ١٨٣١ بمقاطعة بالاكوت فى بنجاب أن انهزم هؤلاء الأبرار على يد الخونة من المسلمين أنفسهم ، وكانت هذه أول ثورة ضد الاستعمار .

ولكن شعلة الجهاد وحماسة الثورة لم تنطفىء بهذه الهزيمة ، بل اضطرمت نيرانها وزادت قوة على قوة فى كل يوم وليلة ، لأن حالة المسلمين زادت سوءا على سوء ، فقد قبض الاستعمار على العلماء الذين اشتركوا فى الجهاد وألقاهم فى السجن وعذبهم أشد العذاب ، وبدأ يشدد على المسلمين جميعا فى معيشتهم وتعليمهم ، فألغيت جميع المدارس والمجلات الثقافية حتى تفشى فيهم الجهل والفقر وسوء الخلق ، وحرموا من الاشتراك فى جميع الهيئات الرسمية حتى لم يبق لهم أى نشاط [١]

عند ذلك تهيأ تلاميذ الشاه عبد العزيز مرة ثانية لمقاومة الاستعمار ، ولقد خرج هذه المرة المسلمون والهندوكيون وغيرهم لمقاومة الطغاة ، وهذه الثورة هى التى سميت بالثورة الكبرى فى سنة ١٨٥٧ ، ولكنها لم تنجح أيضا بل كتب عليها الفشل ، ولقد أوقع الاستعمار العلماء فى محنة شديدة فقتل منهم الكثير وعذب كثيرون عذابا لم يسمع به فى التاريخ البشرى ، ونفى كثيرين إلى جزيرة « اندومان » والبحر الأسود ، وألغى الاستعمار هذه المرة بقايا النشاط الدينى للمسلمين حتى طال عليهم الأمد وقست قلوبهم .

وقد أنشأ الاستعمار من سنة ١٨٥٨ إلى سنة ١٨٨٧ خمس جامعات فى مدن الهند الكبيرة : كلكتة وبمباى ومدراس ولاهور وإله آباد . وبدأت تدرس فيها المواد الحديثة باللغة الانجليزية . كانت الحرب الدامية تقع بين الاستعمار والعلماء المسلمين كما سبق القول ، وكان العلماء دائما فى طليعة الثورات والمعارك وهم الذين كانوا يقودون المسلمين . فلم يسترح العلماء لهذه الجامعات التى أراد بها الاستعمار

---

[١] نقش حياة للشيخ حسين أحمد المدنى ، ج ٩ ص ٢٠٧ .

القضاء على المدارس الدينية والنشاط الدينى فى الهند فامتنع المسلمون من دخول هذه الجامعات عملا برأى علمائهم . وكان هذا بغضا وعداوة للاستعمار ولم يكن عن ضيق نظر أو جمود كما شهر به أعوان الاستعمار ، وإن كان الجيل الذى جاء بعد هؤلاء العلماء قد وقع فعلا فى التزمت والرجعية وضيق الفكر .

لقد أنشأ هؤلاء العلماء من بقايا تلاميذ الشاه عبد العزيز مدرسة دينية عربية سموها دار العلوم بديوبند . وقد أنشئت هذه المدرسة لكى يحافظ فيها المسلمون على تراثهم المجيد ويتخرج فيها الدعاة والزعماء كى يقودوا المسلمين ويكافحو ضد الاستعمار ويرفعوا راية الإسلام فى الهند .

والذين أنشأوا هذه المدرسة هم الشيخ محمد قاسم النانتوى والشيخ رشيد أحمد الكنكوهى والشيخ حاجى إمداد الله وغيرهم من العلماء . وتخرج على أيديهم صفوة من العلماء الذين سلكوا مسلكهم فى الجهاد والكفاح ، وهم الشيخ محمود الحسن ، والشيخ محمد أشرف على التهانوى ، والشيخ حسين أحمد المدنى، وغيرهم من العلماء الأبرار فى القرن العشرين .

لقد كانت هناك طائفتان من العلماء لم تشتركا فى الثورة الكبرى . الأولى طائفة الحياد . والثانية طائفة المسالمة أما طائفة الحياد فكان يتزعمها الشيخ محمد الذى كان يقول : إن المسلمين لا يجب عليهم الجهاد ، لأنهم ضعفاء وليست فى أيديهم القوة ولا السلطان . والجهاد لا يجب على المسلمين إلا إذا كانت لهم قوة وسلطة (١) .

والثانية طائفة المسالمين وكان يرأسها « السيد أحمد خان » الذى ولد فى سنة ١٨١٧ وكان من أسرة أرستقراطية نبيلة محترمة ، وأجداده كانوا يتقلبون فى مناصب كبرى فى أيام المغول . وكان موظفا فى شركة الهند الشرقية فى بداية عمره . ولذلك لم يشترك فى الثورة الكبرى بل بعكس ذلك كان صديقا للانجليز وأنصارهم . وقد رأى السيد أحمد بعد الثورة الكبرى فى سنة ١٨٥٧ أن المسلمين قد تخلفوا فى جميع الميادين فى الثقافة والتعليم والسياسة والاقتصاد .

ووجد أن الانجليز يشددون عليهم ويرهقونهم ويحرمونهم من جميع المجالات الرسمية . ووجد أن العلماء أيضاً قد منعوا المسلمين من الدخول فى الجامعات الرسمية حتى تخلفوا عن إخوانهم الهندوكيين فى جميع الميادين وحتى تفشى فيهم الجهل والفقر والقلق والاضطراب . ورأى أن الانجليز أصبحت لهم قوة وسلطان فى الهند ولهم القوة المادية من الأسلحة والذخائر فى البر والبحر والقوة

(١) نقش حياة للشيخ حسين أحمد المدنى ج ١ ص ٤٣ .

العلمية والسياسية بحيث لايستطيع أحد مقاومتهم ، فالأولى بالمسلمين مسالمة الانجليز والتفاهم معهم وأخذ ما يستطيع منهم لخير الشعب، وأن يفهموا الانجليز أن عليهم واجب النهضة بالشعوب التي يحكمونها، وأنهم مسئولون عن جهل هذه الأمة كما أنهم مسئولون عن فقرها وقلقها . ورأى أن التعليم والثقافة الحديثة فى مصلحة المستعمِر والمستعمَر . ولنأخذ من الانجليز ما نستطيع أن نأخذه من طريق الإقناع والمسالمة . وبعد الثورة كتب كتابا أظهر فيه أسبابها قائلا بجرأة : إن الانجليز هم الباعث لهذه الثورة، لأنهم أوقعوا المسلمين فى أنواع العذاب، وأرهقوهم فى جميع الميادين، وضيقوا عليهم فى السياسة والحرية . ولم يكن أحد يستطيع أن يجهر بهذا القول إلا السيد أحمد خان ، لأنه لم يكن من أعداء الانجليز . وقد طالب الانجليز أن ينشئوا مجلس القانون ويضموا فيه الهنود من المسلمين والهندوكيين وطالب أن تنشأ المحافظات والبلديات فى أنحاء البلاد ، وتتاح للهنود فرصة لكى يشتركوا فى أمور السياسة ويتدربوا على شئونها . فوافق الانجليز على هذا بعد سنين وعملوا كما أشار به السيد احمد خان . فكافح هذا من أجل المسلمين ومستقبلهم ورفع مستواهم من الناحية الاقتصادية والثقافية .

ولقد رأى أن الجامعات التى أنشأها الاستعمار لايدخلها المسلمون ، لأن العلماء يعارضونها ووجد أن الهندوكيين وحدهم يفيدون من هذه الجامعات وهم الذين يتولون الوظائف الكبرى فى الحكومة ، أما المسلمون فليس أمامهم أى مجال يضمن مستقبلهم ومستقبل أبنائهم ورأى أن هذه الطريقة فى المقاومة لن تفيد الأمة الإسلامية فى الهند أبداً ، لأن المسلمين إذا ابتعدوا عن هذه الجامعات فإنهم لن يتخلفوا اقتصاديا وسياسيا فحسب ، بل يتخلفون كذلك عن موكب الحضارة والثقافة التى تمدهم بها البلاد الغربية المتحضرة . إن الجامعات العصرية التى تدرس فيها المواد الحديثة لم تخطر على بال أجدادنا ، وإن التراث المجيد الذى احتفظ به علماؤنا فى مدرسة ديوبند وتمسكوا به لاشك أنه تراث حبيب إلينا ولكنه لن يكفى حاجاتنا فى حياتنا المعاصرة . فلن تتطلع أمتنا إلى المستقبل بهذا التراث المجيد وحده ولابد لنا من أن نأخذ من العلوم الحديثة لكى نسير مع الشعوب المتحضرة . لذلك أنشأ السيد أحمد خان فى سنة ١٨٧٧ كلية محمدية لكى يدرس فيها المسلمون ويتثقفوا ثقافة حديثة . وقد أضاف إلى المنهج بعض مواد دينية أيضا لكى لا يبقى جيل المستقبل جاهلا بثقافته القديمة وديانته . وهذه الكلية هى التى تقدمت بمرور الأيام وأصبحت الجامعة الإسلامية

بعليكرة . إن جامعة عليكرة، يعتبرها المسلمون فى شبه القارة حصنا إسلامياً ومنارة للثقافة الإسلامية . ولو لم تكن هذه الجامعة لما ظهرت شخصيات فذة مثل محمد على ومحمد إقبال والزعماء المسلمين الكبار الذين قادوا الأمة الإسلامية فى الهند فى منتصف القرن العشرين .

ونحن نشكر المرحوم الأستاذ أحمد أمين الذى وفى حق هذا الزعيم الإسلامى فى كتابه « زعماء الإصلاح » ، وعده من زعماء المسلمين فى العصر الحديث ، ولكن أحمد أمين قد خفف من شأن علمائنا الذين قاموا بالثورة ضد الانجليز لنصرة سيد أحمد خان وإظهار بطولته . وفى رأينا أن أحمد أمين قد اطلع فقط على المصادر الانجليزية التى وضعها الاستعمار وأعوانه واعتمد عليها كل الاعتماد وأخطأ فى فهم الحركات السياسية والدينية فى الهند . والباحث الذى يريد أن يكتب عن النهضات والحركات الإسلامية فى الهند وفى الباكستان لابد له من أن يطلع على المصادر التى توجد باللغة الأردية التى تعتبر اللغة المشتركة الثقافية فى شبه القارة .

ومن الغريب أن أحمد أمين سلك مسلك التقريظ والثناء على السيد أحمد خان وغالى فى هذا كثيراً . وأما الدكتور محمد البهى فإنه يعد السيد أحمد خان من عملاء الاستعمار وقادة الإلحاد والتفرقة ، ويعتبره من الحلقة الأولى للحركة القاديانية ، وهذا أيضاً مغالاة شديدة من ناحية أخرى . ولعل الدكتور محمد البهى تأثر بالمقال الذى كتبه الشيخان محمد عبده وجمال الدين الأفغانى فى مجلة العروة الوثقى والذى نقل منه بعض الاقتباس فى كتابه « الفكر الإسلامى الحديث » . إن جمال الدين الأفغانى مع جلالة قدره لم تتح له فرصة طيبة لكى يطلع على الحركة والدعوة التى قام بها معاصره فى الهند السيد أحمد خان . ولاشك أن جمال الدين الأفغانى أقام فى الهند فى مدينة حيدر آباد إلى مدة وجيزة ، ولكن فى هذه الإقامة البسيطة لم يطلع جمال الدين على دعوة السيد أحمد خان ، لأن مدينة حيدر آباد تبعد عن دهلى وعليكرة أكثر من ألف ميل ، ولم تكن المواصلات سهلة فى تلك الأيام كما هى اليوم . لقد سمع جمال الدين من عامة الناس والفقهاء فى حيدر آباد أقوالا كثيرة ضد السيد أحمد خان وسماه هؤلاء ملحداً وطبيعياً ونسبوا آراءه وأفكاره إلى الإلحاد ومخالفة الدين والشريعة الإسلامية ، ولذلك كتب جمال الدين « الرد على الدهريين » باللغة الفارسية وعنى بذلك الرد على السيد أحمد خان مع أن السيد أحمد خان كان بريئاً من هذه الآراء والأفكار التى أبطلها جمال الدين فى كتابه .

« البقية فى العدد القادم »

محمد إسماعيل الندوى

شيء من النقد :

مناجاة الهلال لحافظ ابراهيم

للأستاذ على العمارى

كان من التقاليد الجميلة فى مطلع هذا القرن ، وإلى عهد غير بعيد، أن يتخذ كبار الشعراء ، والكتاب من المناسبات الدينية مجالا لنشر آرائهم فى حياة المسلمين : الدينية والسياسية ، والاجتماعية ، وكان (هلال المحرم) أو بدء العام الهجرى الجديد من أبرز هذه المناسبات ، وربما اقتصر بعض الشعراء على الناحية الدينية ، يصف ما عليه المسلمون الآن ، وما كانوا عليه فى العهود الزاهرة الماضية ، وقد يمدون إلى الحديث عن هجرة الرسول إلى المدينة ، وما كان لها من نتائج غيرت وجه التاريخ ولكن أكثر الشعراء كانوا يتخذون مناجاة الهلال فى أول العام الجديد مجرد مناسبة للحديث فى السياسة وفى الوطنية ، ومن هؤلاء حافظ إبراهيم .

ولعل من أسباب ذلك أن يتحاشى هؤلاء الشعراء الحديث المباشر فى السياسة ، فقد كان مجرد (العنوان السياسى) لقصيدة من القصائد كافيا للسؤال والمحاسبة ، فكانوا يبثون الهلال آمالهم وآلامهم ، لعل ذلك يبعد عنهم عين الرقيب .

وليس معنى ذلك أن الشعراء من أمثال حافظ لم يكونوا يخوضون فى السياسة خوضا فى بعض الأحايين ، ولكن معناه أن (الوقت) كان يتحكم فيهم ، والظروف السياسية توجههم ، فمرة يجدون متنفساً فيقولون ، ومرة تضيق بهم مذاهب القول ، فيلتمسون له الوسائل التى تباعد بينهم وبين السجن والتعذيب .

فى سنة ١٩٠٧ م نجد حافظا ينشر قصيدتين سياستين ، يودع بإحداهما اللورد كرومر ، ويستقبل بالأخرى السيرغورست ، وفى كلتا القصيدتين يعنف فى بعض الأبيات إلى حد يجعلنا نعتقد أن حافظا لم يكن يخشى بطش الانجليز وجبروتهم ، فيقول - مثلا - فى وداع كرومر :

يناديك قد أزريت بالعلم والحجى
ولم تبق للتعليم يا (لُورْدُ) معهداً
وإنك أخصبت البلاد تعمداً
وأجدبت فى مصر العقول تعمداً
قضيت على أم اللغات وإنه
قضاء علينا أو سبيل إلى الردى

ووافيت والقطران فى ظل راية
فما زلت بالسودان حتى تمردا
وأودعت تقرير الوداع مغامزاً
رأينا جفاء الطبع فيها مجسدا
فما عهد إسماعيل ، والعيش ضيق
بأجدب من عهد لكم كسال عسجدا(١)

ولا يخفف من عنف هذه المغامز ، ما ملأ به حافظ قصيدته من الثناء على اللورد ، فقد كان مضطرا لأن يلف ويدور حتى يتقى (القوم) ؛ ويكفى أنه استطاع أن يعدد مثالب (كرومر) وأن ينشرها على الناس ، وعلى رأسها تذكير الأمة بحادثة (دنشواى) .

ويقول فى استقبال غورست ، والخطاب للانجليز :

أذيقونا الرجاء فقد ظمئنا
بعهد المصلحين إلى الورود
ومنوا بالوجود فقد جهلنا
بفضل وجودكم معنى الوجود

ثم يعود إلى اللورد كرومر فيرميه بالظلم ، ويذكر أنه أنبت فى نفوس المصريين جفاء للانجليز ، وأن الوحشة بلغت — بحادثة دنشواى — مداها ، ويطعن سياسة (دنلوب) فى المعارف ، ثم يختم هذه القصيدة بهذين البيتين :

أجئت تحوطنا وترد عنا
وترفعنا إلى أوج السعود
أم اللورد الذى أنحى علينا
أتى فى ثوب معتمد جديد ؟ !

وبعد ذلك بسنتين يقول قصيدة فى (تحية العام الهجرى) ويبتدئها بالحديث عن الهجرة ، ويقول : إن الهلال ذكر المسلمين بيوم أغر محجل هو اليوم الذى هاجر فيه خير داع الهدى . وبعد ثمانية أبيات يسير مع طبعه من الحديث فى شئون مصر والعالم الإسلامى ، فيذكر أن العام السابق مضى ميمون الشهور ، وإن ذكروا له هنات ، فطبع الدهر الصفاء والكدر ، ويذكر من إحسان ذاك العام أن بعض الشعوب هبت تطالب بحريتها ، وأن (الترك) أدركوا بعض آمالهم ، وذلك بما حصلوا عليه من حياة دستورية بفضل (نيازى) و (أنور) وأن (الفرس) تنبهوا فيه إلى ما هم فيه من ظلم الشاه وطغيانه ، وبعد أن يعدد أحداثا راقته ، فى بلاد المغرب وفى الأفغان ، وفى الهند وفى (جاوة) و (الجزائر) يرجع إلى مصر فيقول: إنها سرت فيها روح جديدة ، ولكن حديثه يجرى هادئا حذرا ، فزمن التنويم مضى وانقضى ، والمصريون شعروا بحاجات الحياة ، وأنهم محتاجون إلى قادة تبنى وشعب يعمر ، وإلى عالم يدعو ، وعلم يقرر ، وإلى حكمة تملى ، وكف

---

(١) الديوان جـ ٢ ص ٢٨ ، ٢٩ .

تحرر ، وإلى رجال الغد المأمول ، يسدون النقص ، ويشمرون عن ساعد الجد ، فعليهم أن يكونوا رجالا عاملين ، وأن يصونوا حمى أوطانهم ، ويشير إلى المطالبة بالدستور ، ويحذر من اليأس فى هذه المطالبة . ثم يبلغ به الحذر أشده ، فينهى عن التهور ، ويأمر بالسداد فى النطق .

فلا تنطقوا إلا صوابا فإننى
أخاف عليكم أن يقال تهوّروا

ويدعو إلى الثقة بالأمير القائم . ويدعو له ألا يزال محروس الأريكة .

وهكذا نرى أن الروح الهادئة تسرى فى القصيدة ، وأن التهيب والحذر يملكان على الشاعر ناصية القول ، ولا تفسير لهذه الظاهرة إلا أن للزمن حكمه .

ففى سنة ١٩٠٧ م كانت حركة مصطفى كامل على أشدها ، وكانت نفوس المصريين تشتعل حماسا ، فكان حافظ صدى لهذه الروح ، فلما مات هذا الزعيم بعد ذلك بعام أصيبت الوطنية المصرية بنكسة ، وكان من ذلك الخوف الذى تمكن من نفوس الناس عامة ، وشعراء الوطنية خاصة .

وفى العام التالى ، أى فى سنة ١٩١٠ م وفى مطلع عام ١٣٢٨ هـ نظم حافظ قصيدته الثانية فى (تحيـــة العام الهجرى) . وهذه القصيدة هى موضوع حديثنا ، لأنها التى تدرس لطلاب المعاهد الدينية على أنها من روائع حافظ .

وقد ناجى حافظ بهذه القصيدة الهلال ، فأعلن ـ من أول بيت ـ أن له عنده أملا يسأل الله أن يتحقق ، ويسجل على هلال العام السابق أنه كان مشئوم المنازل ، فقد جر على مصر أحداثا ، ومآسى ، فى حين نالت بعض البلاد حريتها ، ويتحدث عن الصحافة وما لقيته فى عام ١٣٢٧ هـ من تقييد لحريتها ، وتضييق على رجالها ، كما يتحدث عن المساومة فى مد امتياز شركة قناة السويس أربعين سنة أخرى ، ثم يوجه نصائحه إلى الشباب فيدعوهم إلى اطراح اليأس ، وإلى اقتحام العظائم فى سبيل المجد ، وإلى التعلم ، فالسعادة فى العلم ، وأن يكونوا يقظين حذرين ، يزنون كلامهم ، ويتنبهون إلى المزالق التى يخبؤها لهم أعداؤهم (الانجليز) . وعلى الشباب أن يتحينوا فرص الجهاد ، وأن يسلكوا إليها طرق الحيلة والدهاء .

ولا ينسى فى أثناء ذلك أن يتحدث عن المستعمرين ـــ ولكنه الحديث الهادئ الحذر ـــ وما كان من قصهم حواشى الصحافة ، واستعانتهم ببعض المصريين ، وعن انتهازهم فرص أحداث الزمان ، واتخاذها وسيلة للنيل من المصريين ، ومن يقظتهم وتنبههم لكل ما يقال وما يعمل ، وقد نصبوا الفخاخ فى كل طريق يسلكه المصريون .

فن حافظ :

يقول بعض من كتبوا عن حافظ : « إن حافظا كان قريب الغور، لا يضرب فى سموات الخيال بسهم بعيد الرمية ولا يحلق إلا بأجنحة متكسرة، ولابد للشاعر الفحل من الخيال السامى الجوال، الملتفت إلى المعانى، والمتغلغل فى ضمائر الأشياء، الباحث فى أكنافها، وعن خباياها، والمستنبط الدقائق، والمستخرج الدفائن، ثم عرضها بعد ذلك فى صور فنية أنيقة، تستهوى نفوسا كانت تحس هذه الأشياء، ولا تستطيع التعبير عنها، فهى مستغلقة فى هذه النفوس حتى يأتى الشاعر الملهم فيعرضها للناس مفتحة الجوانب، فتصيب غرضا كانوا ينشدونه، ولا يستطيعون إبرازه فيبرزه لهم هذا الشاعر المعبر. ولم يكن حافظ من هؤلاء السحرة، بل كان شاعرا قريب التعبير، سهل المتناول، لا يجد قارئه فى شعره ما يرضى خفاياه، ولا ما يشبع هواه وخياله، ولكنه رزق عطف القلوب، ولم يرزق عطف الأخيلة.

كان شعره لا يمله القلب، فإن روحه الحلوة تنساب فيه، فقد كان ينظم بقلبه لا بخياله.

وهذا الحكم يصدق على كثير من شعر حافظ، ويصدق الجزء الأول منه على هذه القصيدة، فهى قصيدة فقيرة من الخيال، لا تعدو أن تكون نظما لمقال صحفى، وفقيرة من الروح الثائرة التى تجذب القلوب، وتثير النفوس، وما هششت قط لقراءة هذه القصيدة، وهى لا تختلف عندى عن قراءة نص فى كتاب على، إذا استثنينا بعض أبيات منها.

وليست روعة الشاعر فى دقة التصوير، ولا فى صحة النظم، وصدق التوجيه وإنما روعته فيما يثيره فى نفوس القراء من انفعالات تكون صدى لحرارة عاطفته، وقوة روحه.

ولا نزاع فى أن حافظا كان ذا ديباجة ناصعة، وأسلوب محكم، وألفاظ متخيرة حتى يقل أن نجد له لفظا ينبو به موضعه، ويبدو أنه كان ينظم شعره وهو يترنم به فيأتى الشعر وفيه روح الخطابة، وقد يروعك حين تسمعه ينشد، أوحين تترنم به أنت، فإذا فكرت فى معانيه، وألقيت موسيقاه جانبا لم تجد فيه ما يروعك، فلا عمق ولا خيال، ولا انفعال يهز عواطفك. ويبدو هذا واضحا فى هذه القصيدة. اقرأ قوله ـ مثلا ـ عن هلال العام السابق :

لو كنت أعلم ما يخبئه لنا
لسألت ربى جاهدا أن يمحقا
أولى الأعاجم منة مذكورة
وأعاد للأتراك ذاك الرونقا
توغيرت فيه الخطوب بفارس
حتى رأيت الشاه يخشى البيدقا

وأدال من (عبد الحميد) لشعبه
فهوى ، وحاول أن يعود فأخفقا
ورمى على أرض الكنانة جرمه
بالنازلات السود حتى أرهقا

فأى روعة فى هذا الشعر ؟ أليست كل هذه الأبيات تحكى حكاية عادية ؟ .

الفرس نالوا حريتهم ، وعبد الحميد سقط ، وحاول الرجوع فلم يستطع ، ومصر نزلت بها خطوب سود .

وليس كل شعر حافظ بهذه المثابة ، فإن فى مراثيه من صدق العاطفة وتأججها ، وفى شكاواه من دم القلب ، وانفعالاته ، وفى بعض شعره الاجتماعى من أسى الألم أو روح الفكاهة ما يروع ويعجب .

وإنا لنجد هنات فى نظم هذه القصيدة ، فمن ذلك أن القافية اضطرته فى غير موضع إلى أن يأتى بلفظين مترادفين ، أو متقاربين ، يمكن الاكتفاء بأحدهما عن الآخر ، وهذا ما يسميه علماء البلاغة تطويلا مفسدا ، ومثلوا له بقول الشاعر (وألفى قولها كذبا ومينا) . ومن ذلك فى هذه القصيدة ، عن الهلال :

فنأى بجانبه وخص بنحسه
مصراً ، وأسرف فى النحوس وأغرقا

فأى فرق بين الإسراف والإغراق ؟ ومن ذلك قوله عن الصحافة :

فإذا دعوت الدمع فاستعصى بكت
عنا أسى حتى تغص وتشرقا

فلا فرق بين الغصص والشرق ، وفى كتب اللغة : غص بالطعام وبالشراب كفرح إذا شرق . ومن ذلك قول الشاعر :

لو بغير الماء حلقى شرق
كنت كالغصان بالماء اعتصارى

وفى قوله (ماذا ألم بها وماذا أحدقا) لا أرى داعيا لذكر الإلمام مع الإحداق ، إلا ما يتمحل به من أن الصحافة تارة تلم بها بعض الأحداث ، وتارة يحيق بها بعض آخر . على أن الذى نزل بها وأحدق هو شىء واحد ذاك تقييد حريتها ، ولكن القافية ـ كما ذكرت ـ هى التى اضطرته إلى هذه الركة . وكذلك قوله فى النيل : (فلكم أفاض عليكم وتدفقا) فالإفاضة والتدفق شىء واحد ، والقافية كذلك هى التى اضطرته إلى الابتذال فى قوله :

وأتى يساوم فى القناة خديعة
ولو أنها تمت لتم بها الشقا

وإلى التعبير عن نهب الانجليز لخيرات بلادنا ، وإعمالهم فى ذلك الحيل ، إلى التعبير عن ذلك (بالتأنق) (فتأنقوا فى سلبنا وتأنقا) . واعتراضى على هذه اللفظة أن فيها رقة لا تناسب مكر المستعمرين .

وإلى أن يجعل الخنادق مما يتقى به الأعداء فى هذا العصر ، فى قوله يخاطب الشباب :

وابنوا حوالى حوضكم من يقظة

سورا ، وخطوا من حذار خندقا

وقد يأتى بالمترادفات دون أن تضطره القافية كقوله عن طريق الحرية :

الموت فى غشيانه وطروقه

والموت كل الموت ألا يطرقا

فلا فرق بين الغشيان والطروق .

ولكن فى القصيدة أبياتا ، وأنصاف أبيات جميلة من ذلك قوله : (إن القوى بكل أرض يتقى) وقوله ، والاستفهام فيه رائع حقا .

أو كلما قالوا تجمع شملهم

لعب الشقاق بجمعنا فتفرقا ؟ !

ويبدو التفاوت واضحا إذا وضعنا بجانب هذا البيت قوله :

فتحينوا فرص الجهاد كثيرة

وتعجلوها بالعزائم والرقى

ومهما قيل إن هذه العزائم ، وتلك الرقى ليست سوى قوة الدهاء والتلطف فى الحيلة وحسن التأتى إلى المقاصد ، فإن الضعف والركة ظاهران فى هذا الشطر حتى ليبلغ إلى درجة الإسفاف .

ولا تعجبنى فى القصيدة هذه الأوامر والنواهى المتتابعة (لا تيأسوا فتجشموا — فتدفقوا — فتعلموا — وابنوا — وزنوا وسددوا — وامشوا — وتحينوا — واخلقوا) وذلك أن الشاعر المنفعل لا يسير على درب واحد ، ولا يجمد على أسلوب خاص من أساليب الكلام ، وإنما يخلط الأمر ، بالاستفهام ، بالخبر بالتمنى .

وبعـــد :

فالقصيدة سجل حافل بحوادث مصر وآلامها فى تلك الحقبة من الزمن ، وفيها تظهر وطنية حافظ ، ولكنها وطنية متحفظة حذرة ، تقدم رجلا ، وتؤخر رجلين .

ويظهر فى هذه القصيدة اعتزاز حافظ ببنى وطنه ، فأبن النيل سباق الورى والشباب جددوا العهد الذى قد أخلق ، والصحافة أحذق من المستعمرين ومن أعوانهم ، وهى المواسية فى الآلام ، والسوابق التى تملكها مصر يوم اللقاء ، والأسهم التى ترمى بها فى الشدائد ، وهى صواعق على المستعمرين وأذنابهم .

وهذا يدلنا على أن نظرة حافظ للمصريين بدأت تتغير ، وبدأ هو يعدل عن أسلوبه فى تنقص بنى قومه ، والنيل منهم ، ورميهم بالخمول والتواكل .

وكم ذا بمصر من المضحكات
كما قال فيها أبو الطيب
وشعب يفر من الصالحات
فرار السليم من الأجرب
وصحف تطن طنين الذباب
وأخرى تشن على الأقرب

ألم يقل بعد حادثة دنشواى فى سنة ١٩٠٦ وهو يخاطب اللورد كرومر .

وإذا سئلت عن الكنانة قل لهم :
هى أمة تلهو وشعب يلعب

وربما كان هذا أسلوبا من أساليب حافظ فى استنهاض قومه ، وتقريعهم على سكوتهم عن المستعمرين ورضاهم بما هم فيه من ذل ، ولكننا على كل حال نجد النغمة قد تغيرت ، والأسلوب قد سالم بنى الكنانة :

عار على ابن النيل سباق الورى
مهما تقلب دهره أن يلحقا

* * *

أهلا بنابتة البلاد ومرحبا
جددتم العهد الذى قد أخلقا
لا تيأسوا أن تستردوا مجدكم
فلرب مغلوب هوى ثم ارتقى

على العمارى

بقية المنشور على صفحة (١٩١)

وبعد إلقاء هذه المحاضرة علق عليها رئيس الحلقة شيخ الأدباء الأستاذ الكبير أحمد حسن الزيات فوصفها بأنها كلمة علمية واعية تمثل الأزهر أصدق تمثيل .

وقد أوحت هذه الكلمة الكريمة إلى الدكتور صالح الأشتر أستاذ الأدب العربى بجامعة دمشق ، أحد مبعوثى الإقليم السورى فى حلقة التيسير بالأبيات الآتية :

تحية وإعجاب

الشيخ غنيم أمتعنا
بحديث عذب كالكوثر
قد زاد عن النحو السلفى
تيسيراً كالداء الأصفر
ولى التيسير ولم تثبت
قدماه كما ولى شرشر
ورئيس الحلقة قال لنا
قد أحسن تمثيل الأزهر
فيحق إذا لفضيلته
أن يزهى بالنصر الأكبر

ولما اطلع على الأبيات المذكورة الدكتور مهدى علام عميد كلية الآداب بجامعة عين شمس أضاف إليها البيت التالى :

قسما بالله لقد صدقت
كلمات الحق من الأشتر

الجريمة والعقاب
في الشريعة الإسلامية والشرائع الوضعية
للأستاذ محمد سرحان

عنيت الشريعة الإسلامية ببناء المجتمع على أسس راسخة قوية ودعائم ثابتة مستقرة. وحرصت على تمكين أسباب الأمن والطمأنينة للأفراد والجماعات. وسنت أمثل الطرق وأقومها فى مكافحة الجريمة والضرب على أيدى العابثين والمنحرفين كى يسلم الناس من أذاهم. وتحفظ عليهم دماءهم وأموالهم وأعراضهم. وقد جعلت لكل جريمة عقابا يتكافأ مع نوعها ومقدار جسامتها وأثرها فى حياة الأمة ونظامها ومثلها، وأهابت بالمسلمين ألا يتهاونوا فى تنفيذ هذه العقوبات وألا تأخذهم بالجانى شفقة أو رحمة.

وقد طبقت الشريعة الإسلامية فى بيئات مختلفة، وضرب على يد جماعات مردت على السطو والنهب واستباحت الدماء والأعراض، فاجتثت جذور الشر من أصولها. وانصرف المسلمون فى ظلالها إلى العمل والكفاح فى سبيل رفعة بلادهم وإسعاد أنفسهم وأوطانهم. واستطاعوا أن يقيموا مجتمعا فاضلا نزيها. وأن يضربوا أروع الأمثال فى التعاون والتراحم والإيثار والتضحية والفداء. وكانت لهم العزة على من عداهم من الممالك والدول. وأثبتت التجارب الطويلة أن التشريع الإسلامى هو وحده العلاج الناجع لأدواء المجتمع ومشاكله فى شتى الأزمنة والأمكنة والأحوال. وليس الأمر كذلك فى التشريعات الوضعية التى خضعت فى وضعها لاعتبارات تتصل بالبيئات المحلية والأحداث الطارئة. ومالت فى كثير من الأحيان مع الأهواء وإباحة كثير من نوازع النفوس وملذاتها - ومثل هذه التشريعات إن كتب لها بعض النجاح، فإنها لا تصلح فى بيئة غير التى نبتت فيها ولا بعد زوال الأحداث التى سيطرت على عقول واضعيها.

ولذا نرى التشريع الجنائى الوضعى قد تقلب فى أطوار عدة وامتدت إليه يد التغيير والتبديل فى كل حين. وبقى قاصرا عن إقامة مجتمع قوى سليم. ونمت فى ظلاله الجريمة وكثر المجرمون فى البلاد التى تزعم أنها قد بلغت الغاية فى المدنية والحضارة، فضلا عن الانحدار الخلقى الذى هوت إليه هذه البلاد وكان مثار الشكوى والألم من بعض النابهين من أبنائها.

وقد فتن المسلمون عن أحكام دينهم ومبادئ شريعتهم بعد انهيار دولتهم وقضاء المستعمرين على مجدهم وعزتهم، واستطاع هؤلاء فى غمرة الأحداث التى طغت على البلاد الإسلامية أن يزعزوا عقائد المسلمين فى مبادئ دينهم ويصرفوهم عن مثلهم وأنظمتهم إلى الأخذ بالتشريعات الغربية باسم المدنية والحضارة. وخلقوا جيلا يظاهرهم ويروج لمبادئهم وشرائعهم. وبذلك انفرط عقد الحياة الفاضلة وفشت الجرائم فى بلاد الإسلام بصورة بشعة.

وهذه الجمهورية العربية وهى قلب الإسلام النابض وفؤاده الخفاق وهى بحق أعظم بلاد الإسلام قاطبة فى قوتها وحضارتها وثقافتها واستكمال نظمها وأجهزتها التشريعية والتنفيذية ما تزال برغم الجهود الصادقة التى تبذلها فى مكافحة الجريمة والمجرمين تلاقى كثيراً من المتاعب فى سبيل القضاء على هذا الخطر الوبيل. ولاسبب لذلك سوى القانون المجتلب والعقوبات اللينة التى فرضها.

إن هذه الجمهورية الفتية هى مركز الحضارة والإشعاع العلمى فى الشرق كله. وقد رسمت لنفسها سياسة وطنية استقلالية تنبع من واقع حياتها وأحوال أهلها. وهى تسير بخطوات واسعة نحو العزة والمجد وتطهير البلاد من أدران الاستعمار وألوان الفساد التى بدرها فى بلادنا ولوث بها عقول كثير من رجالنا وأبنائنا. فلم لا تكون جمهوريتنا كذلك منبعا لتشريع شامل تستمده من دينها ومثلها ومقدساتها وأحاسيس أبنائها، ويكون علاجا حاسما لعللها وأمراضها، وتأخذه عنها جميع البلاد التى تترسم خطاها وتعلق الآمال الكبار على عونها ورعايتها؟ وبذلك نضع الأساس المكين لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية.

ها هى ذى جرائم السرقات على اختلاف ألوانها تمثل نسبة كبيرة بين الجرائم فى بلادنا. ومن أراد الوقوف على مدى استشراء هذا الخطر فى مجتمعنا فليذهب إلى ساحات المحاكم ليرى جرائم السرقات تمثل جانبا مخيفاً بين القضايا التى تنظرها وتأخذ من وقت القضاة الثمين قدرا يبلغ بهم غاية الجهد ويعوقهم عن النظر فى القضايا الأخرى فتظل أمامهم سنين طوالا.

المسئول عن ذلك هو التشريع الوضعى العقيم. والاستهانة بالعقاب الذى قرره. فاللص يقدم على جريمته وهو مطمئن إلى أن أقصى ما يتعرض له إن ظفر به هو السجن شهورا أو سنوات. وحياة السجن فى نظره ليست مما يخاف ويخشى. فوراءه من اللصوص من يعول أسرته ويرعاها. ويقضى هو هذه الفترة بين مجرمين يوثق صلته بهم ويعقد معهم الاتفاقات لاستئناف العمل بعد الإفراج عنهم وسجلات الشرطة مليئة بأسماء مجرمين عادوا إلى السرقة فى اليوم الذى خرجوا فيه من سجنهم.

ومع هذا كله لم نر أحدا من القائمين على شئون التشريع يفكر فى التماس العلاج الحاسم لهذه الحالة الخطيرة من مبادئ التشريع الإسلامى ، لأن الاستعمار قد لقن الناس أن هذا التشريع ينافى المدنية والحضارة . وأن قطع يد السارق قسوة ونكال . والعقوبة قد شرعت للتقويم والتهذيب والإصلاح .

حقا إن العقوبة قد وضعت للتهذيب والردع والإصلاح ولكن أين هى العقوبة الرادعة المصلحة ؟ ومتى رأينا لصا تاب وصلحت حاله بعد توقيع عقوبة الحبس عليه ؟ لا : بل إن هذه العقوبة اللينة هى التى ساقته وساقت غيره إلى ارتكاب هذه الجريمة وأشباهها فأين التهذيب وأين الإصلاح ؟ .

فلماذا لا نطبق الشريعة الإسلامية ونقطع يد السارق لينجو الناس من شره ويرتدع غيره عند ما يدرك أنه صائر إلى هذا المصير .

إن قطع يد السارق علاج ناجع وتشريع رادع يقضى قضاء مبرما على هذه الآفة الخطيرة . ولن يتجاوز عدد من ينفذ فيه هذا العقاب بضعة أفراد فى كل عام . وبذلك ينصرف الناس إلى حياة كريمة شريفة وتوفر الدولة جهود أجهزتها المختلفة للبناء والتعمير فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ حياتها .

لقد طبقت بعض الدول الشقيقة هذه العقوبة فى بلاد كانت قد تأصلت فيها بذور هذه الجريمة وعزت مكافحتها . فاستتب الأمن بين ربوعها . ولم يعد أحد يسمع بأى نوع من أنواعها إلا فى النزر اليسير .

ونستطيع نحن فى فترة الانتقال أن نعطى للقاضى الحق فى الحكم بالحبس مدة لا تقل عن ثلاث سنوات إذا بدت له اعتبارات تقضى بالتخفيف وتستوجب الشفقة والرحمة، وكانت هذه أول جريمة من نوعها يرتكبها المجرم . لقد فشل القانون الوضعى فشلا ذريعا فى مكافحة جريمة السرقة . وهو أشد فشلا فى مكافحة الزنى والجرائم الخلقية . وإذا نحن راجعنا نصوصه فى جريمة الزنى رأيناه يجعل الأصل فيها الإباحة ولا يفرض عقابا عليها إلا فى حالات خاصة وبشروط وقيود أضاعت الغرض المقصود منها وفتحت أمام الزناة عددا من النوافذ للإفلات من العقاب .

فالزانى لا يعاقب إلا إذا زنى بقاصر أو امرأة متزوجة ، أو كان الزنى بالإكراه أو فى منزل تقيم فيه زوجته — والزانية لا تعاقب إلا إذا كانت متزوجة وتمسك الزوج برفع الدعوى العمومية عليها ، ومعنى ذلك أن القانون الوضعى لا يفرض على الزنى فى ذاته عقابا . وإنما يفرض العقاب على ما يقترن به من تغرير أو إكراه أو اعتداء على حق فرد معين لم يتنازل عنه . ولا عقاب على الزانية المتزوجة إذا رضى زوجها أو اصطنعت لها زوجا يعلن عدم رغبته فى محاكمتها . وبذلك تخرج هذه الجريمة عن نطاق

الدعاوى العمومية إلى الحقوق الفردية التى لا تعتبر فى ذاتها جريمة . أما المجتمع فلاحق له قبل هذه الجريمة النكراء التى تلطخ شرف الأسرة وتزلزل كيان الجماعة وتدمر الكرامة الإنسانية وتورث الولد من غير ذويه وتنسبه إلى غير أبيه . ومن ثم فشت هذه الجريمة الخلقية وانبث فى المجتمع عدد كبير من الفجار والساقطات يرتكبون هذه الرذيلة المدمرة فى حماية القانون وفى غير ما حياء ولا خجل . وكثيراً ما يمتد هذا المرض الوبيل بطريق العدوى إلى أسر سعيدة آمنة فيحطمها ويقوض هناءتها وسعادتها .

سيقولون أيضا : إن الشريعة الإسلامية قد فرضت على الزنى عقوبة صارمة عنيفة تتراوح بين الجلد ، والرجم ومدنيتهم الزائفة وحريتهم الحمراء تأبى أن يتعرض الزانى للقسوة والنكال ، ويتناسون أن هذه الجريمة تدمر أخلاق الأمة وتقضى على معنوياتها وأن جميع الشرائع السماوية والوضعية لا تأخذها رأفة بمن يعرض سلامة أمته للدمار والانهيار ، على أن الشريعة الإسلامية قد أحاطت إثبات هذه الجريمة بضمانات قوية لا يقام الحد إلا بها ، رعاية لما يترتب على ثبوتها من مساس بكرامة الأسر والجماعات ، وتركت للقاضى حرية الحكم بأية عقوبة أخرى متى قام لديه الدليل المقنع بصحة الاتهام ولم تستوف الشروط المعتبرة لإقامة الحد ، وإذن فلن يطبق الحد إلا فى القليل النادر ولكن وضع هذه العقوبة فى القانون واعتبار الزنى جريمة ذاتية مهما كانت صورتها ، سيردع الناس عنها ويحمى المجتمع من شرورها وأوزارها إن على رأس البلاد الآن رجلا مؤمنا بربه ودينه ووطنه وقد آلى على نفسه أن يطهرها من أدران العهود الماضية ومباذلها وأن يحميها من الأمراض الفتاكة التى بذرها الاستعمار بين صفوفها . وقد نصره الله فى جميع خطواته وأيده بعنايته ورعايته . وهو لا يرضى أبدا ببقاء هذا الداء ينخر فى عظام الأمة ويفتك بأخلاقها وليس بعزيز عليه أن يأمر بحذف هذه النصوص الشاذة من قانوننا والإسراع بالتماس العلاج الشافى من مبادىء شريعتنا وأحكام ديننا .

لقد آن لنا أن نتحرر فى تشريعنا كما تحررنا فى سياستنا ، وأن نكون القدوة الصالحة للأمم المتطلعة إلينا وهى تضم سكان القارتين الكبيرتين آسيا وإفريقيا . وبذلك نحتفظ بزمام القيادة الحقة لهذه الشعوب . ونخلق فيها مجتمعا راسخ الأركان قوى البنيان . ويعود للشرق مجده وعظمته . ويربط حاضره الباسم بماضيه المشرق . ويغدو مصدراً للهدى والعرفان كما كان فى عهد النبوات .

حق علينا فى هذه المرحلة الحاسمة من مراحل

حياتنا أن نخطو خطوات جريئة فى سبيل إصلاح تشريعنا مستلهمين أحكامه من مبادئ ديننا فنقطع يد السارق ونعاقب على الزنى فى جميع صوره وأحواله . ونحرم الخمر ونحد شاربها . ونضرب بيد قوية على المقامرين الذين يفتكون بالثروات وتدفعهم الموائد الخضر إلى السرقة والاختلاس . وقد ثبت بالدليل القاطع أن معظم الجرائم الكبرى يرتكبها السكارى ، وأنهم يتخذون من شرب الخمر عونا على المضى فى جرائمهم بلا خوف ولا تردد . وأن القمار كان سبباً فى أكثر حوادث الاختلاس من الأموال الحكومية وغير الحكومية .

إن أهم المصادر التى استقينا منها تشريعنا الجنائى هو القانون الفرنسى الذى صدر فى أعقاب الثورة الفرنسية . وامتلأت قلوب واضعيه بالحقد والضغينة على الكنيسة ورجال الدين ، لأسباب تاريخية معروفة . فمالوا فى تشريعهم إلى الإباحة والتحلل والتفلت من القيود الدينية والخلقية تملقا لعواطف الجماهير وإرضاء لنزواتهم وشهواتهم ، وخدعوا الناس باسم مبادئ الحرية والإخاء والمساواة . وهى حرية فاجرة وإخاء كاذب ومساواة فى القشور دون اللباب . فلماذا لا نتحرر من التبعية التشريعية كما تحررنا من التبعية السياسية ؟ .

لقد جربنا دستورهم فى بلادنا فرقها شيعا وأحزابا . وصرف الأمة عن أمانيها وأفسد الأخلاق والضمائر ونظام الحكم وأسلم البلاد للمستغلين والنفعيين وتجار السياسة وكاد يقضى على مقوماتها المادية والمعنوية حتى امتدت إليه حكمة الثورة فألغته واستبدلت به دستوراً نابعاً من صميم حياتها ومتوخيا مصالح أبنائها وجمع كلمتهم والربط بين قلوبهم ؛ ليقيموا بناء حضارتهم وينهضوا بمرافق بلادهم . واستطاعت الأمة فى ظل النظام الجديد أن تحقق المعجزات وأن تتوالى انتصاراتها فى الداخل والخارج . فلماذا لا نلجأ إلى هذه الطريقة نفسها فى إصلاح تشريعنا فنلغى النصوص التى لا تتفق مع ديننا ومبادئنا وواقع حياتنا ونستبدلها بنصوص أخرى تعين على دعم قوتنا وصيانة مجتمعنا . وتكفل لأمتنا الحياة الجادة الكريمة وتحفظ أخلاقنا من السقوط والتدهور والانحلال . وينصرف أبناؤنا إلى العمل المثمر والكفاح النافع . والجمهورية الآن موشكة أن تصدر قانونا موحداً يطبق فى إقليميها والفرصة سانحة للإصلاح والتعديل . ومن الخير أن نغتنمها ولا ندعها تفلت من أيدينا « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب » .

محمد سرحان

الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية

رأى للمناقشة :

المسرح والتوجيه الدينى

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

فكرة راودتنى منذ سنوات ، ولا تزال تراودنى حتى اليوم ، وقد آمنت بها منذ راودتنى وازداد هذا الإيمان قوة وعمقا على مر الأيام ، وتوالى السنين .

كان ذلك حين أسند إلىّ الإشراف على التمثيل فى إحدى المدارس الثانوية ، فألفت بعض المسرحيات الدينية والوطنية ، وشاركت فى إخراجها على مسرح هذه المدرسة ، وحينئذ أدركت ما للتمثيل من أثر كبير فى التوجيه والإرشاد ، لأنه يوجه النفوس إلى معانى الخير والحق والفضيلة توجيها تلقائيا لا أثر فيه للضغط الذى يولد المقاومة ، والقسر الذى يثير العناد .

وأنا بطبيعة نشأتى الدينية من جهة ، وبحكم ميولى الفنية من جهة أخرى ، أحب أن تتغلغل النزعة الدينية فى كل نفس ، فتؤثر فيها تأثيراً عميقا ، وتوجهها توجيها واعيا ، وأحب أيضا أن تكون وسيلتنا إلى ذلك غاية فى اللطف والرفق ، ولا توجد وسيلة ألطف لطفا ، وأرفق رفقا من الوسيلة الفنية التى تتسرب إلى النفس فى رقة ويسر فتملؤها بأنبل المشاعر ، وأجمل الأحاسيس .

وهكذا آمنت بأن فكرة المسرح الدينى يجب أن تبرز إلى حيز الوجود ، إذا أردنا أن نقوى فى النفوس ما ضعف فيها من معانى الدين ، وأن نرد إلى طريق الهداية ما انحرف منها عن هذا الطريق .

وقد يقول قائل: إن الوعظ والإرشاد على النمط المألوف يؤدى هذه المهمة ، ويوصل إلى تلك الغاية ، ولكننا نقول : إن تقوية النزعة الدينية ، وهدايه النفوس العصية ، هما أسمى غاية يجب من أجلها أن تتضافر كل الجهود ، وتتعاون كل الهيئات ، وتتخذ كل الوسائل .

ومن المسلم به أن النفوس معادن ؛ فمنها ما لا يؤثر فيه غير الوعيد الشديد أو الوعد الأكيد ، فى لفظهما المباشر ، ومعناهما الصريح ، ومنها الذى لا يلين إلى بالمثل الذى يوحى ، والصورة التى ترمز . ولكل نفس حالات تختلف وتتباين ، فما يلائمها فى حال ، قد لا يلائمها فى حال أخرى .

والعليم الخبير ، جل شأنه ، وتقدست حكمته . يقول فى محكم كتابه مخاطبا نبيه

الكريم : « ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة » . والمراد بالحكمة فى الآية الكريمة ، الدعوة إلى سبيل الله بالوسيلة الناجحة ، والعمل الصائب . والحكيم من لا يخرج عن الصواب فى قوله أو فعله . ومن الموعظة الحسنة ألا نتخذ العنف وسيلة دائمة إلى الهداية والإرشاد ، وصدق الله حيث يقول : « ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك » .

ونحن حين نتخذ المسرح الدينى وسيلة من وسائل الهداية والإرشاد ، نجعل تاريخنا الإسلامى المجيد يتمثل أمامنا زاخرا بالحركة نابضا بالحياة ، ونستحضر شخصياته العظيمة بأخلاقها القويمة ، وأعمالها الكريمة ، ومثلها العالية ، فيملؤنا ذلك كله إيمانا بديننا ، واعتزازاً بتاريخنا ، ويحفزنا إلى العمل الدائب لنصرة دين الله ، وإعلاء كلمته . وإذا كانت قراءة التاريخ تجعل وقائعه تنفذ إلى النفوس ، فتؤثر فيها تأثيراً عميقا ، فإن تمثيل هذه الوقائع هو من غير شك أبعد نفاذاً ، وأعمق تأثيراً .

وأنا لا أنسى الأثر الكبير الذى أحدثه فيلم « الرداء » الذى يمثل تاريخ المسيح عليه السلام كما تؤمن به المسيحية أو فيلم «صياد الجليل» الذى يعرض حياة بطرس أحد الحواريين ، أقول لا أنسى الأثر الذى أحدثه هذان الفيلمان فى نفوس المسيحيين ، فقد ألهبا مشاعرهم الدينية ، وأذكيا وجدانهم المسيحى ، وكانا دعاية واسعة للمسيحية فى كل بلد عرضا فيه .

ولا أنسى كذلك فيلم « ظهور الإسلام » ، وما كان له من تأثير عميق فى نفوسنا معشر المسلمين ، على ما تجلى فيه من نقص فى الوسائل المادية ، والكفاية الفنية .

وهنا نلمس المسألة الشائكة فى هذا الموضوع ، فنسأل هذا السؤال :

هل يباح تمثيل الشخصيات الإسلامية ذات القداسة والإجلال ؟

وأنا أستثنى شخصيات الرسل والأنبياء عليهم السلام . ثم أقرر أنى لا أجد مبرراً للامتناع عن تمثيل أية شخصية دينية أخرى ، ما دام هذا التمثيل لن يغض من قداستها ، أو ينقص من جلالها .

إن تمثيل الشخصية هو فى جوهر أمره ، تجسيم حى لصفاتها النفسية ، وسلوكها العملى وهذا التمثيل لا يخلط شخصية الممثل والشخصية التى يمثلها ؛ لأنهما فى واقع الحياة شخصيتان متميزتان . وهل يكون الممثل فى حقيقة أمره نفس الشخصية التى يمثلها ؟ لو حدث ذلك لما رأينا ممثلا يرضى أن يمثل شخصية مارق من المجتمع ، أو خارج على القانون .

فنحن إذاً نحتفظ للشخصية الدينية بكل ما لها من قداسة وإجلال حين نمثل على المسرح حياتها كلها ، أو قطاعا من هذه الحياة ، ومع ذلك كله ، فعندنا من أصحاب الاحتراف

أو الهـــواية فى التمثيل من يتصفون بكمال الإيمان ، وسلامة الأخلاق ، وحسن السلوك إلى جانب ما يمتازون به من مقدرة فى الفن ، وبراعة فى التمثيل ، فلنجعل تمثيل الشخصيات الدينية مقصوراً عليهم ، فلا يقوم اعتراض من هنا ، أو نقد من هناك .

وما ذا يبقى بعد ذلك ؟

تبقى الشخصيات النسائية التى قد توجد فى بعض الوقائع التاريخية .

ونحن حين نتعمق هذه المسألة ، لا نجد فيها ما ينافى الدين ، ويجافى الخلق ، ما دمنا سنحرص على أن يكون مظهر الممثلة وسلوكها فوق المسرح بعيداً كل البعد عما يخدش الحياء ويجرح الفضيلة . وعندنا من الكرائم من يجدن التمثيل ويزاولنه هواية لا احترافا وقد شاهدت بعضهن فى أدوار تاريخية على مسرح جمعية الشبان المسلمين ، فكن موضع التقدير والاحترام من الجميع .

والآن أظن أننى أستطيع أن أقترح على المسئولين فى الأزهر ووزارة الثقافة تكوين فرقة للمسرح الدينى تزاول نشاطها إلى جانب الفرق المسرحية الأخرى ، كفرقة المسرح القومى ، وفرقة المسرح العسكرى ، وغيرهما من الفرق .

وبطبيعة الحال ستختص هذه الفرقة بتقديم نوع من المسرحيات لا تتعداه إلى سواه ، وهو المسرحيات الدينية المستمدة من تاريخنا الإسلامى . وعندنا من كتاب المسرح من يستطيعون أن يمدوا هذه الفرقة بالمسرحيات التى تلاقى النجاح ، وتحقق الغاية . ولا أشك فى أن وجود هذه الفرقة سيدفع الكثيرين من المؤلفين إلى العناية بالأحداث الجليلة التى يحفل بها تاريخنا الإسلامى المجيد والانصراف عن الموضوعات الضئيلة الشأن ، أو المنحرفة القصد ، التى تقوم عليها مسرحياتهم الرخيصة الهزيلة ولا بد من الإشراف الواعى الحكيم على هذه الفرقة حتى لا تنحرف عن القصد وتضل عن الغاية ، وينبغى أن تقوم بهذا الإشراف لجنة مختارة من رجال الأزهر ووزارة الثقافة وهذه اللجنه تراجع نصوص المسرحيات وتشهد تجاربها ، ولا تسمح بعرض مسرحية حتى تطمئن إلى سلامتها من ناحية الأداء الفنى ، والهدف الدينى على السواء .

إن تيار المادية يوشك أن يطغى على العالم الذى نعيش فيه ، ومن هذا التيار نشأ تيار آخر هو تيار الانحراف عن الدين والأخلاق فلنقاوم ذلك بكل وسيلة ممكنة ؛ لنحفظ للدين جلاله ، وللخلق جماله . وللروح منزلتها فى شئون الحياة ، وسلوك الإنسان .

وبعد : فهذا رأى أعرضه للمناقشة ، لا أبتغى به غير الخير للدين والنفع للمجتمع والله الموفق إلى الصواب ؟

ابراهيم محمد نجا
المدرس الأول بوزارة التربية والعليم

أصول التشريع الإسلامى وفلسفته

للأستاذ عباس طه

يأمر كثير من السلف والخلف بالاجتهاد ويمدحونه ويحضون عليه ، لما يترتب عليه من حماية الوطن الإسلامى من احتلال الشرائع والقوانين الأجنبية له ، ولضمان حفظ الشريعة الإسلامية وسرمديتها واستمرارها ، وجدتها ونشاطها فى كل زمان ومكان ، ولسد حاجات البشرية فى التشريع وكفاء أحكام الحوادث والوقائع التى تتجدد وتحدث فى كل يوم ، ولتكون غنية المجتمع الإنسانى فى أقضيته ، ومرافعاته ، وعقوده وتوثيقاته وجميع معاملاته وتصرفاته التى تحتاج إلى تشريع وقوانين إلى يوم الدين .

ولعظم فوائد الاجتهاد ، وجليل آثاره عول عليه الصحابة رضى الله عنهم بعد أن استأثر الله برسوله صلى الله عليه وسلم ، وسدوا به حاجات المسلمين فى كل شأن من شئون الحياة الداخليه والخارجية التى تحتاج إلى تشريع ولم يرد لها نص خاص .

قال ولى الله الدهلوى : « لما انقضى عصر الرسول الأعظم ، وتفرق الصحابة فى البلاد ، وصار كل صحابى مقتدى به فى ناحية من النواحى ، وكثرت الوقائع ، ودارت المسائل ، واستفتاهم الناس فيها ، أفتى كل صحابى حسب ما رآه من عبادات الرسول ، وبما حفظه وعقله من فتاواه وأقضيته صلى الله عليه وسلم ، أو بما استنبطه من ذلك ، وإن لم يجد فيما حفظه أو استنبطه ما يصلح للجواب اجتهد برأيه ، وعرف العلة التى أدار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها الحكم فى منصوصاته ، فطرد الحكم حيثما وجدها لا يألو جهداً فى موافقة غرضه عليه الصلاة والسلام » .

وقال الأستاذ أحمد أمين فى « فجر الإسلام » : « توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانقطع الوحى ، واتسعت المملكة الإسلامية اتساعا عظيما ، فواجه المسلمون بهذا الفتح مسائل كثيرة ، فى كل شأن من شئون الحياة ، تحتاج إلى تشريع ، فى جميع الشئون الداخلية والخارجية ، ولم يدع أحد أن القرآن والسنة الصحيحة نصا فى المسائل الجزئية على كل ما كان وما هو كائن فنتج عن هذا أن كان أصل آخر من أصول التشريع ، وهو (الرأى) الذى نظم بعد ذلك وسمى (القياس) .

جرى على كثير من الصحابة ، فكانوا يستعملون رأيهم حيث لا نص . وقد نقل

إلينا المؤرخون ، والمحدثون والفقهاء ، جملة صالحة من المسائل التي استعمل فيها الصحابة رأيهم . فلم يكد يتوفى الرسول الأعظم حتى رأوا أنفسهم أمام أكبر مشكلة قانونية وهى : من يتولى الأمر بعده : أمن المهاجرين ، أم من الأنصار ، أم من هؤلاء أمير ومن هؤلاء أمير ؟ وإذا فصل فى ذلك ، فمن هو خير من يتولاها ؟ لم يرد فى كل ذلك نص من كتاب ولا سنة .

فلم يكن إلا أن يستعملوا رأيهم ، وقد كان ، فالمحضر الذى ذكره المؤرخون لاجتماع السقيفة يدلنا على كيفية استعمال رأيهم ، وتقليب الأمر على وجوهه .

ولم يفرغ أبو بكر من مبايعة الناس له حتى واجه مسألة الردة ، فاجتهد فيها ، واجتهد عمر .

وعرضت له مسألة الجد مع الأخوة : هل يرث الإخوة ؟ فالقرآن لم ينص على هذه المسألة إنما نص على الأب مع الإخوة ، فذهب ابن عباس وأبو بكر إلى أنه يحجبهم وذهب آخرون ومنهم زيد بن ثابت ، وعلى ، وعمر ، إلى إرثهم معه .

وأرادوا أن يعطوا العطاء ، أعنى الغنائم التى يغنمونها فى الحروب ، فاختلفوا : هل يسوى بين المهاجرين والأنصار ؟ فقال عمر : لا نجعل من ترك دياره وأمواله مهاجرا إلى النبى صلى الله عليه وسلم كمن دخل فى الإسلام كرها . فقال أبو بكر : إنما أسلموا وأجورهم على الله ، وإنما الدنيا بلاغ . وكان أبو بكر يعمل برأيه فيسوى بينهم ، ولما أفضت الخلافة إلى عمر فرق بينهم ، ووزع على تفاوت درجاتهم .

والمتتبع لما روى عن العصر الأول فى (الرأى) يرى أنهم كانوا يستعملون كلمة (الرأى) بالمعنى الذى نفهمه الآن من كلمة (العدالة) ، وبعبارة أخرى ؛ ما يرشد إليه الذوق السليم مما فى الأمر من عدل وظلم ، وفسره ابن القيم « بأنه ما يراه القلب بعد فكر وتأمل وطلب لمعرفة وجهة الصواب » .

وكان سيدنا عمر رضى الله عنه يجتهد فى تعرف المصلحة التى لأجلها كانت الآية ، أو الحديث ، ثم يسترشد بتلك المصلحة فى أحكامه ، وهو أقرب شىء إلى ما يعبر عنه الآن ! بالاسترشاد بروح القانون لا بحرفيته .

فالاجتهاد كان سببا فى نماء الفقه الإسلامى ذلك النحو الفريد ، حتى أصبح بحراً زاخرا لا ساحل له ، وأضحى فى سعته وثرائه وشموله لا نظير له فى جميع الشرائع والقوانين القديمة والحديثة .

هل ورد فى كل حادثة نص :

تعرض القرآن الكريم لجميع ما يصدر عن الإنسان من أعمال : إلى العبادات من صلاة وصوم ، إلى النظم الاجتماعية من زكاة وحج ، وأحوال الأسرة من زواج وطلاق وميراث ، إلى الأمور المدنية كبيع وإجارة وربا ، إلى

الأمور الجنائية من قتل وسرقة وزنا وقطع يد ، إلى الشئون الدولية كالقتال وعلاقة المسلمين بالمحاربين وما بينهم من عهود وغنائم الحرب، وهو فى كل هذا يتعرض غالباً للأمور الكلية ، ولا يتعرض كثيراً للتفاصيل والأمور الجزئية ، فهو قد نص على الأصول وترك معرفة الحكم فى الجزئيات إلى النظر والاستدلال، ولذلك قال ابن برهان : البارى سبحانه قادر على التنصيص على حكم الحوادث والوقائع ، ولم يفعل ، ولكنه نص على أصول ، وورد معرفة الحكم فى الفروع إلى إلى النظر والاستدلال .

وقال الشهرستانى : نعلم قطعا ويقينا أن الحوادث والوقائع فى العبادات والتصرفات مما لم يقبل الحصر والعد ، ونعلم قطعاً أنه لم يرد فى كل حادثة نص ، ولا يتصور ذلك ، والنصوص إذا كانت متناهية ، والوقائع غير متناهية ـ وما لا يتناهى لا يضبطه ما يتناهى ـ علم قطعاً أن الاجتهاد والقياس واجب الاعتبار ، حتى يكون بصدد كل حادثة اجتهاد.

وقال ابن سراقة فى كتابه إعجاز القرآن :لم ينص الله تعالى على جميع الحوادث مفصلا، وقال الإمام النووى فى شرح مسلم : إن النصوص الصريحة لا تفى إلا باليسير من المسائل الحادثة .

وقال العلامة ابن خلدون : نظرنا فى طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة فإذا هم يقيسون الأشباه بالأشباه منهما ، ويناظرون الأمثال بالأمثال بإجماع منهم وتسليم بعضهم لبعض فى ذلك ، فإن كثيراً من الواقعات والحوادث بعده صلوات الله وسلامه عليه لم تندرج فى النصوص الثابتة ، فقاسوها بما ثبت ، وألحقوها بما نص عليه بشروط فى ذلك الإلحاق تصحح تلك المساواة بين الشيئين أو المثلين حتى يغلب على الظن أن حكم الله تعالى فيهما واحد ، وصار ذلك دليلا شرعياً بإجماعهم ، وهو (القياس) وهو رابع الأدلة . واتفق الجمهور من العلماء على أن أصول الأدلة هى : الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، وإن خالف بعضهم فى الإجماع والقياس ، إلا أنه شذوذ .

وقال إمام الحرمين فى البرهان: لم يخل أحد من الصحابة من اجتهاد. ومن أنصف لم يشكل عليه إذا نظر فى الفتاوى والأقضية أن تسعة أعشارها صادرة عن الرأى المحض، والاستنباط ، ولا تعلق لها بالنصوص ولا بالظواهر .

ومما ذكر يتبين أنه لم يكن لكل حادثة جزئية أو واقعة فرعية ، نص خاص ، لذلك عول الصحابة والتابعون وتابعوهم والأئمة والعلماء على جواز الاجتهاد فى دائرة الكتاب والسنة والإجماع والقياس ، فسدوا بهذا حاجات الناس فى التشريع .

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

خطأ المقارنين لا خطأ المقارنة

للأستاذ عباس محمود العقاد

تصدر باللغة الانجليزية مجلة كبيرة تسمى «تاريخ اليوم» History Today تختار أصحاب الشهرة بالمباحث التاريخية للكتابة فى المبحث الذى تفرغوا له وتوفروا عليه وتعرض المناسبة للكلام عنه تعليقاً على حادث مشهور من حوادث العصر الحاضر ، وقد كانت قضية فلسطين إحدى المناسبات التى دعت هذه المجلة إلى اقتراح الكتابة فى تاريخ الخليفة عمر رضى الله عنه ، فندبت لكتابة هذا التاريخ الأستاذ سوندرز Saunders المحاضر الأول لدروس التاريخ بجامعة كانتربرى بزيلانده الجديدة ، ونشرت له فى عددى شهر مارس وشهر أبريل الماضيين مبحثا مطولا فى هذا الموضوع بعنوان «الخليفة عمر المستعمر العربى !» يخرج منه القارئ بنتيجة من أغرب النتائج عن الدعوة المحمدية والدولة الإسلامية ، فحواها أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان مصادفة كمصادفات الضرورات السياسية أو العسكرية ، وأن نبى الإسلام ، صلوات الله عليه ، لم يكن يفكر قط فى الدعوة إلى دينه خارج الجزيرة العربيـــة ، وأن الخليفة عمر بن الخطاب هو ناشر هـذه الدعوة ، وموجه الإسلام إلى العالم بوحى من ضرورات السياسة ، بدا للخلفاء الذين بعد فتنة الردة وقلق الخلفاء على المسلمين أن يبقوا فى حدود الجزيرة العربية بغير شاغل يصرفهم عن منازعاتها وعن مشكلات الساعة التى تتولد بين قبائلها وشعوبها .

يقول الأستاذ سوندرز فى أول مقاله المطول : «ما من دليل واف يدل على أن محمداً ـ صلوات الله عليه ـ كان يتصور الإسلام دينا عالميا لجميع الناس ، أو يتصور أنه أرسل لهداية شعب من الشعوب غير شعبه العربى ، وليست قصة رسائله إلى الإمبراطور هرقل وشاه فارس وملك الحبشة وغيرهم من الرؤساء للدخول فى دينه بالقصة التى تقوم على أساس .

ثم يقول : « ولا شك أن محمداً لم يفكر فى فتح العالم وإنما أعتقد أن واجبه الأول أن يمهد لأبناء أمته أسباب الإيمان بدينه ، فإذا صدوه عن دعوته فواجبه إذن أن يقابل القوة بالقوة » .

ويرى الأستاذ الخبير باللغة العربية وتاريخ الإسلام ! : « أن كلمة - أمير - باللغة العربية تعنى أولا إمارة الجيش ، وأن تحويل لقب عمر من خليفة رسول الله إلى أمير المؤمنين كان على مايظهر فاتحة عصر الفتوح ، إذ يصبح الخليفة قائداً أول للإمبراطورية التى أخذت فى الاتساع .. »

وبعد هذه المقدمات يسترسل المؤرخ فى تفصيل هذه الفكرة فيستند فى قواعدها إلى مصدرين بارزين : هما الأمير كايتانى الإيطالى والمبشر الفرنسى المتعصب بير لامنس الذى خلق قصة الثالوث المتسلط على دولة الإسلام الأولى من أبى بكر وعمر وأبى عبيدة !

ولا حاجة إلى الإطالة فى بيان جهل المؤرخ بالموضوع الذى تصدى له وحسبته المجلة المتخصصة للتاريخ فى العصر الحاضر أهلا للاعتماد عليه دون غيره فى هذه المسائل الإسلامية . فإن هذا المؤرخ لم يكن مطالبا بقراءة شىء عن الدعوة المحمدية غير ماوضعت به هذه الدعوة فى كتاب الإسلام الأول ، فإنه يعلم من القرآن فى كل وصف للدعوة المحمدية أن محمداً عليه السلام كان رسول رب العالمين إلى جميع العالمين : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » وأن رب الناس وملك الناس : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله .. »

ففى كل آية من آيات الدعوة المحمدية غنى للمؤرخ المحقق عن الرجوع إلى إسناد كإسناد كايتانى ولامنس ، وعن اصطناع « الدقة العلمية » فى استقصاء أخبار الرسائل النبوية إلى هرقل وكسرى والمقوقس والنجاشى ، ولو ثبت له بعد ذلك الاستقصاء أنهم لم يوجدوا فى زمانهم ولم تبلغهم رسالة من رسول . . . فمن جهل رسالة القرآن كلها فالعجب أن ينتظر الخبر اليقين من قرطاس مطوى فى بيزنطة أو فى غيرها يحتمل الشك والإنكار .

إن ضخامة الخطأ مع سهولة العلم بالصواب خليقة أن تفتح باب الاتهام فى سلامة المقصد قبل الاتهام فى سلامة التفكير ، وإذا كانت القضية قضية فلسطين فما أكثر الشبهات التى تحوم حول كل تاريخ يتصل بتاريخها الحديث؟ وما أكثر الدفائن والخبايا التى يستخرجونها من أعماق الزمن المجهول لتزييف الحاضر المعلوم ؟ !

يجوز أن يكون المقصد من ذلك « التحقيق العلمى » أن يعلم أبناء العصر أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان بعض الطوارئ

العارضة التى لم يقصد إليها نبى الإسلام ولم يلجأ إليها خليفته العظيم إلا انقياداً لمطمع عاجل من مطامع الاستعمار . . .

يجوز هذا ويعززه إن عدد شهر مارس الذى ظهر فيه المقال الأول عن « الخليفة المستعمر ! » قد تحلت صفحته الأولى بصورة النبى « موسى واضع الشريعة » ، ودارت أخباره كلها على « تأصيل » علاقة العبريين بفلسطين من عهد إبراهيم الخليل ، ثم على تسويغ هذه العلاقة بهجرة العبريين من مظالم وادى النيل إلى أرض الميعاد !

يجوز هذا ، ويدل مع هذا على « عمق أغوار » الدعاية التى تحيط بهذه القضية ، ولا تتورع عن تسخير العلم والتاريخ لتأصيل الدعوى حول جذورها من وراء السياسة والتبشير .

وعلينا عند النظر فى أقوال هؤلاء المؤرخين للإسلام أن نرقب مقاصدهم ، ومظان الشبهة فى آرائهم ودعاواهم ، لأن النيات والأعمال بمنزلة واحدة فى قضايا الإسلام العصرية ، حيثما اشتبكت بمساعى الدول والحكومات .

ولكن الشبهة الغالبة فى مجال البحث الدينى إنما هى تلك الشبهة التى تملك عقولهم ونياتهم ولا يملكونها أو يملكون القصد والاختيار فيها ، وإنما ترد عليهم تلك الشبهة الغالبة من قبل هذه الدراسات الحديثة التى أولعت بعضهم « بالمقارنة بين الأديان » ، فذهبوا - مخلصين - فى التماس وجوه الشبه بينها حيث يوجد الشبه وحيث تنقطع كل لمحة من ملامح المشابهة من قريب أو بعيد .

وأخطر هذه المشابهات والشبهات على عشاق المقارنة . أن المراجعة « السطحية » تقارب عندهم بين تواريخ الأنبياء الكبار فى نشر دعوتهم أثناء حياتهم وبعد انتهائهم من أداء رسالتهم . فقضى موسى عليه السلام قبل أن يدخل أرض الميعاد ، وقام بولس الرسول بالعبء الأكبر فى نشر المسيحية بعد ختام رسالة السيد المسيح ، وهكذا ينبغى فى تقديرهم أن يكون عمر بن الخطاب هو ناشر الإسلام ومؤسس شريعته بعد النبى وصاحبه الصديق .

والخطأ - كما قلنا فى عنوان المقال - إنما هو خطأ المقارنين وليس بخطأ المقارنة بين الأديان على إطلاقها ، أو خطأ المقارنة بين نشر المسيحية ونشر الإسلام على الخصوص .

ومرجع الخطأ فى تقدير المقارنين أنهم نظروا إلى الحركات الظاهرة ولم ينظروا إلى أسبابها الأولى فى طبيعة كل من هذه الدعوات وفى سيرة كل من أصحاب الديانات الذين اشتركوا فى إبلاغها إلى الناس ، على نهج لم يتفق بين رسولين ولا بين رسالتين .

فمن الحركات الظاهرة أن الرسول بولس كان فى مبدأ سيرته أشد الأعداء على المسيحية

ثم آمن بها فكان أكبر الناشرين لها خارج بلادها ، ويشبه هذا أن عمر بن الخطاب كان عدواً للإسلام ثم انتصر به الإسلام فى موطنه وانتصر به بعد ذلك فى مواطن الفرس والروم .

فالمقابلة - إذن - تامة بين الدعوتين - وبين الرجلين .

ولكنها - عند الرجوع إلى الأسباب الأولى - مقارنة مبتورة تبتدئ بعد منتصف الطريق وتنسى وجوه الاختلاف وهى - عند البحث عنها - أظهر من جميع هذه المشابهات .

فالسيد المسيح لم يجاوز فى نشر دعوته مدى أربع سنوات ولم يبلغ هذا المدى فى رأى بعض المؤرخين .

والنبى محمد عليه السلام قضى نحو عشرين سنة ولم يبق بقية لأحد من أصحابه يتمم رسالته أو يعلم المسلمين ركنا من أركان الدين لم يحفظوه من آيات القرآن ومن سنة رسوله .

وقد كان النبى عليه السلام يدعو العرب وغير العرب إلى الدخول فى دينه ، وكان يخاطب بنى إسرائيل برسالته ، كما كان يخاطب بها المهاجرين والأنصار من أبناء قومه ، وكان رسولا من الأميين إلى الأميين وإلى جميع العالمين كما علم منه أهل الكتاب والمشركون فى مكة وفى المدينة ، وفى كل مكان بلغت إليه الدعوة من الجزيرة العربية وما وراءها ، وليس جواب المقوقس له ولا زواجه عليه السلام من السيدة مارية القبطية بالخبر الذى يتوقف على تحقيقات « لامنس » ومن استمع إليه .

أما بولس الرسول فقد خاطب الأميين لأنه يئس من خطاب بنى إسرائيل ، وقد روى بولس وغيره عن السيد المسيح أنه بعث « لهداية خراف بيت إسرائيل الضالة » وأن الخبز الذى يحتاج إليه أبناء البيت حرام أن يطرح أمام الكلاب ، وقد ضرب المثل فى الأناجيل بالوليمة التى أعرض عنها المدعوون اليها فأمر السيد عبيده بدعوة الغرباء إلى البيت حتى يمتلئ ولا يبقى فيه مكان لمن دعاهم فلم يستجيبوا الدعاء .

ولم يكن فى وسع بولس الرسول أن يدعو اليونان والرومان إلى المسيحية ليقول لهم : إن السيد المسيح قد بعث لخلاص بنى إسرائيل منهم وأن الأمم الأخرى لا يحق لها أن تطمع فى الخلاص بهذه الرسالة وهو يدعوهم إليها ، فلم تكن لبولس الرسول من قبلة يلجأ إليها غير هذه القبلة ، ولم تكن خطة الخليفة الثانى ولا الخليفة الأول تجديدا لهذه الخطة أو وجها من وجوه المقارنة بين نشر الدعوة العالمية فى الإسلام ، ونشر تلك الدعوة من قبل فى المسيحية ، وإنما تقع المقارنة هنا

(البقية على الصفحة التالية)

بريد المجلة

كان تطوير الأزهر حلم المفكرين :

قال الأستاذ فتحى عثمان فى كتابه (الفكر الإسلامى والتطور) ص ٢٥١ - ٢٦٤ :

« ... والجامعة الأزهرية ذاتها ، لماذا لا تحوى كليات للهندسة والطب والعلوم ؟؟ .

إن أكسفورد وكمبردج لها أصلهما الكنسى الدينى ، لكن هذا لم يحجزهما عن التطور ، وقديما كان الأزهر يدرس الرياضة والعلوم والفلك وفق معارف العصر ، فهل تراه ارتضى أن يسير إلى الوراء ؟ .

ولا بأس بأن يحتفظ الأزهر بشىء من تقاليده التى لا تتعارض مع العلم الصحيح ، وكثيراً ما تتخلف على الجامعات العريقة ظلال طفيفة من الماضى تكون طابعا تميز شخصيتها ...

ونحن لا نقول بأن يذهب طالب التعليم العام بوضعه الراهن إلى الأزهر ، ولكن لا بد من تدعيم الجانب الإسلامى فى المناهج والمقررات ، وتخصيص شعبة من الشهادة الثانوية تؤهل لدخول الأزهر أو التعمق فى فروع الدراسات الإسلامية فى كليات

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

للمقابلة بين حالتين متناقضتين . إذ كانت دعوة بولس للأمم بديلا من دعوة بنى إسرائيل المعرضين عنها ، وكانت قبلة بيت المقدس فى الإسلام أول قبلة أقيمت عليها الصلاة الجامعة ، ثم استقامت هذه القبلة على البيت الذى يستقبله أهل المشرق والمغرب من أمم « العالمين » .

* * *

وإذا انتهينا من هذه المقارنات إلى المجال الذى اختاره « مؤرخو العصر » لتحقيقاتهم « العلمية » فقد نعلم - إذن - أن دخول الإسلام إلى فلسطين لم يكن فلتة من فلتات المصادفة العشواء ، ولكنه كان نتيجة منتظرة لمقدمات مقررة ، وجواباً من القدر على عناد بنى إسرائيل ووفاء لوعد الله خليله إبراهيم ، مع أبناء له غير أبنائه الذين تنكروا لكل نبى من ذريته الصالحة ، من قبل موسى وهارون إلى ما بعد عيسى والحواريين .

عباس محمود العقاد

الحقوق والآداب ، وفى هـــذه الشعبة التوجيهية يزود الطالب بعدة ملائمة لمثل هذه الدراسات العالية .

والطالب الأزهرى يدرس مثل زميله فى التعليم المدنى تقريباً مقررات الآداب والرياضة والعلوم ، وفى مقابل دراسة الطالب المدنى للغة أجنبية دراسة خفيفة يدرس الطالب الأزهرى أطنانا من الفقه ، والتفسير والحـديث والتوحيد والنحو والصرف والبلاغة والعروض والمنطق وخلافه، وكل هذه دراسات مطولة والضغط فى التعليم الأزهرى منصب على الذاكرة ، والذاكرة وحدها ! .

يصل الطالب الأزهرى إلى أعلى الدرجات العلمية فى دراسة الشريعة . وبحثه مقصور على مذهب بعينه لا يحيد عنه ، بل على كتب معينة من كتب المذهب ، وربما لم يعرف من كتب الطبقة الأولى من أئمة المذهب إلا كلمات متناثرة فى كتب المتأخرين ! فمن إذن يدرس هذه المذاهب كلها دراسة مقارنة ... ويدرسها مقارنة بالشرائع اللاتينية والجرمانية والانجلوسكونية وسائر القوانين القـديمة والحديثة ؟ ؟ .

أليس الأفضل فى التخصص أن يكون موضوعيا لا مذهبيا : فى الناحيـة الجنائية أو المدنية أو التجارية أو الأحوال الشخصية فى الناحيـــة الدستورية أو الدوليـة أو الاقتصادية ؟ ؟ .

إن من التدين الصحيح أن نطلب الحق وراء كل مذهب ، وأن نلتمس الدليل الذى يظاهر كل رأى ـ لنأخذ بالأقوى أنى كان . وإن من العلم الصحيح أن يتعود أبناؤنا مقارنة الحجج ومقارنة الشرائع ...

وتدريس العقائد والديانات (أصول الدين) يتورط فى هذه المآخذ نفسها . . وما أحوجنا إلى دراسات مقارنة فى مختلف الأديان وتاريخها ، وفى الفلسفات ومذاهب الفـكر وفى الآراء المعاصرة أيضاً ... وتستطيع أن تختبر مدرسا أو واعظا ينطلق مدافعا عن الإسلام ومهاجما غيره ـ تختبره فى الفـكر اليونانى أو الفارسى ، فى العهـد القديم أو الجـديد أو المزامير أو نشيد الإنشاد ، فى البروتستنتية أو الـكاثوليـكية ، فى الشيوعية أو الوجودية .. وتستطيع بعـد الاختبار أن تطمئن إلى مدى عمق الاعتقاد والعلم عند العلماء ! ! إنه علم ببواطن الأمور فى جدليات المجسمة والمشبهة والمعطلة والجهمية ، ممن انقرض معظمهم من الوجود وأمست آراؤهم قطعة من التاريخ ... !

هذه الرابطة متى تتحقق ؟ .

ذكرت الصحف أن الملك سـعود دعا فى خطابه الذى وجهه إلى جموع الحجاج إلى إقامة رابطة إسلامية تجمع شمل المسـلمين ، وتؤيد كفاح شعب الجزائر كما تؤيد قضية فلسطين .

ولا تخالجنا ذرة واحـدة من الشك فى أن هذه الرابطة الإسلامية أمنية كل مسلم ، بل هى أعز أمانيه على الإطلاق ... وأى مسلم لا يرجو أن تكون للمسلمين رابطة قوية تأخذ بيد الشعوب المسلمة المستضعفة التى لم تزل تحت قبضة الاستعمار الغاشم ، وتؤيد قيم الحق والعدل والسلام فى أركان هذا العالم المضطرب ... ؟ .

إن قضيتى فلسطين والجزائر كانتا محكا للعقيدة الإسلامية ، ومجسا لقوة رابطتها ، فالمسلمون جميعا أسهم البعض منهم فى قضيتيهما وأبدى البعض الآخر استعداده للإسهام فيها.

نحن لا نريدها رابطة تبغى فى الأرض بغير الحق ، ولكن تدفع الباطل الجاثم فوق صدر الحق ، ولا نريدها رابطة تخدم الشرق أو الغرب ، ولكنا نريدها رابطة تقف عند حدود العدل .

ونحن لا نريدها رابطة ضعيفة لا تنهض بشعوب ، ولا تقوى على إقامة حق ، بل نريدها رابطة قوية ، وقوتها — كما يقول الأستاذ الأكبر — (مستمدة من مبادئنا التى ضمها كتاب الله . فلا تبقى فى أراضينا الطيبة خبثا من هؤلاء المستغلين. تنتصر الحرية فى كل مكان ينشدها ويطلب حقه منها فى الحياة ، فيعود أبناؤنا وإخواننا إلى فلسطين التى ما تزال ولن تزال عنوانا صارخا على ظلم هؤلاء الطغاة الآثمين الذين شردوا الألوف المؤلفة لأن قلوبهم كالحجارة أو أشد قسوة ، ولأن عيونهم قد عميت عن الحق وآذانهم قد صمت عن الهدى ...) .

إن أربعمائة مليون مسلم أو يزيدون على ثقة من أن العقيدة الدينية أقوى الروابط لجمع شملهم ، حتى تأخذ دولتهم مكانها وسط هذا الصراع السياسى العنيف ، وكلهم أمل فى أن يحقق الله رجاءهم .

السرايه

حول « فلان كفء للعمل »

أنا معجب بما يقدمه العالم اللغوى المحقق الأستاذ محمد على النجار من لغويات يتجلى فيها سعة العلم ، ودقة الفهم ، وحسن التخريج .

وقد قرأت ما كتبه فى لغويات عدد المحرم من مجلة الأزهر الغراء عن هـذا التعبير : « فلان كفء للعمل » ، فوجدته لا يطمئن إلى صحته .

والذى أراه أن التعبير صحيح على التجوز والتوسع ، فإذا صح أن نقول : فلان كفء للخلافة ، فنصور الخـلافة عروسا تنقاد لنظيرها وتخضع له ، فإنه يصح أن نقول : فلان كفء للعمل ، فنصور العمل إنسانا ينقاد لنظيره ، ويخضع له ، ألا ترى أنه يصح قياسا على قولنا هو كفء للخلافة ،

أن نقول هو كفء للمهمة ؟ ولا فرق بين العمل والمهمة .

وهناك تصحيح لهذا التعبير من جهة أخرى ، وذلك أنني وجدت الرجل من العامة إذا كلف القيام بمهمة من المهام قال : « أنا قدها وقدود » يقصد أنه نظيرها ، فإذا كانت عظيمة الشأن ، كثيرة الأعباء ، فإنه عظيم القدر ، تام المقدرة ، وإذا كلف القيام بعمل من الأعمال قال : « أنا قده وقدود » قاصدا هنا ما قصده هناك .

ولا جدال في أن لغتنا الفصحى تنزع إليها اللغة العامية بعرق ، فما يوجد في هذه ، فله أصل في تلك .

وبعد ، فللأستاذ المحقق تقديري وإعجابي .

ابراهيم محمد نجا

ملاحظات :

على مجلة معهد المخطوطات العربية

وقع في مجلة معهد المخطوطات العربية ما استوجب الملاحظات الآتية على الجزء الثاني من المجلد الخامس : —

١ — ص ٢٢٣ س ٤ ذكر أن نسخة من مؤلف لمحمد بن عبد الباقي الزرقاني كتبت سنة ١٠٠٠ هـ أي قبل مولد المؤلف بخمس وخمسين سنة وهذا مستحيل فقد ولد سنة ١٠٥٥ هـ أما والده عبدالباقي الزرقاني فقد ولد سنة ١٠٢٠ هـ أي بعد تاريخ المخطوط أيضاً وكان يجب على ناشري المجلة وهم من أعيان الأدباء أن يتنبهوا لمثل هذا الخطأ الواضح .

٢ — في ص ٢٦٤ ورد ذكر (القانون في الطب) لابن سينا وذكر الأماكن التي بها نسخه المختلفة مع الإشارة إلى طبعة « بولاق » ولم أفهم السبب في عدم الإشارة إلى طبعة روما سنة ١٥٩٣ م أي منذ أكثر من ثلاثة قرون ونصف وهي من أقدم الكتب العربية المطبوعة وقد تكون أقدم ما طبع في اللغة العربية وكان ينبغي ذكر هذه الطبعة ولا سيما أنه يوجد بمصر منها نسخ في دار الكتب المصرية وفي بعض المكاتب الخاصة أيضاً مثل مكتبة (روضة خيري باشا) فكان يجب ذكرها أو على الأقل الإشارة إليها مع ذكر الملاحظات التي تجعل الدكتور المنجد يغفل هذه الطبعة :

٣ — ورد في ص ٢٨٥ كتاب (رجوع الشيخ إلى صباه) وكان يجب على الدكتور « المنجد » الإشارة إلى أنه طبع في بولاق سنة ١٣٠٩ منسوبا إلى ابن كمال باشا وهو خطأ . فابن كمال باشا ترجمه إلى التركية بأمر « السلطان سليم » كما قيل ، والسكوت عن ذلك يوهم بأنهما كتابان أحدهما « للتيفاشي » لا يزال مخطوطا وهو الذي ذكره الدكتور المنجد والثاني لابن كمال باشا وهو الذي طبع

مع أن ما طبع باسم ابن كمال باشا هو نفس كتاب التيفاشى . والإشارة إلى ذلك تزيل ما قد يحدث من لبس وإيهام .

عبد السلام النجار
روضة خيرى باشا

مجمع الأولياء :

قرأت فى ملحق « لجريدة الأخبار » عن الإسكندرية ، ما أثار دهشتى ، وليس وجه العجب فى أن حى الأنفوشى هناك ملتقى لزهاء ستة وعشرين ضريحا لأولياء الله وإنما لأن هؤلاء الأولياء - كما تقول الجريدة - يعملون هذه الأشياء :

« أبو وردة » يشفى الطفل المريض بالشلل مقابل قرش واحد يوضع فى صندوق النذور

« ياقوت العرش » يرد للزوجة زوجها بمنتهى السهولة إذا وضعت قطعة فضية من فئة الخمسة قروش فى الصندوق أيضا .

« مكين الدين . نصر الدين . سيدى كاظمان » يستطيع أى منهم شفاء المريض بشرط أن يذبح فرخة سوداء منقطة بأبيض أمام باب المسجد ليأكلها خادمه بالطبع .

« الجمرانى » يستطيع إيجاد عمل لأى عاطل مقابل فتة عدس .

« سيدى الطرودى » يطرد أى ساكن ثقيل بمنزلك بمجرد أن تضع على عتبة الساكن الثقيل بعض التراب من الأرض الواقعة أمام مسجد الطرودى .

هذا هو قطاع الدجل والشعوذة فى العاصمة الثانية للإقليم الجنونى ومهبط السياح الأجانب من كل صوب وحدب .

إن السيد محافظ القاهرة فى يناير الماضى أحدث انقلابا حين قضى على الخرافة والشعوذة فى مولد السيدة زينب ، وجعل الاحتفال بالمولد تقديم ألوان النشاط الاجتماعى مما أثار صحيفة النيويورك تايمز فقالت :

« إن انقلابا اجتماعيا هاما وقع فى القاهرة » وكانت الصحيفة تتحدث عن الاحتفال بمولد السيدة زينب ، وتساءلت : كيف أمكن المسئولين فى القاهرة أن يقضوا على مظاهر الشعوذة التى عاشت سنين طويلة حتى أصبحت وكأنها جزء من التراث الاجتماعى المصرى . ؟ »

ونحن نقول : ماذا ستقوله هذه الصحيفة لو وقفت على الحال فى حى الأنفوشى بالإسكندرية لا بد أنها ستصاب بنكسة قاسية ...

إن الخرافة والشعوذة والدجل لا زال لها مكان مرموق فى مجتمعنا ، ولا نظن أن الوعظ والتوجيه وحدهما كافيان للقضاء على هذه الطواغيت ، ما لم تتحرك درة عمر رضى الله عنه .

(قارئ)

اللغة العربية فى مدارسنا :

لا يشك أحد فى أن مستوى الطلبة فى مدارسنا ضعيف فى اللغة العربية قراءة وكتابة ومحادثة . ضعيف إلى الحد الذى يوجب علينا أن نتساءل فى دهشة عن السبب فى هذا الضعف ، وعما يمكن عمله لحل هذه المشكلة التى لا يصح السكوت عليها . هل السبب هو التيسير فى دراسة اللغة العربية ؟ فبعد أن كانت قواعدها وسائر فروعها تدرس دراسة جدية يلتزم بها المدرس ، ويحاسب عليها الطالب ويؤخذ بيده إلى الطريق القويم بمنتهى الحرص والحزم أصبحنا الآن نجد كتب اللغة ميسرة مبسطة تنحو نحو التخفيف والسهولة ، وترشد الطالب إلى النجاح فى الامتحان بأقل جهد يبذله ، وبأيسر طريق يسلكه .

وهل السبب هو السهولة التى يلجأ إليها المدرسون فى الامتحانات ، فيسرفون فى الدرجات حتى لا يرسب التلميذ فى مادة أساسية يتخلف بسببها عاما ؟ وسواء لديهم أكتب لغة سليمة أم خليطا من العامية والعربية ، فحرام أن يرسب المسكين ، وما الذى يضير اللغة أن تكون النتيجة مائة فى المائة وفى مبدأ « يسر ولا تعسر » متسع للجميع ؟ .

وهل السبب هو تحرر مدرسى اللغة أنفسهم من التدريس بلغة عربية سليمة والتحول إلى العامية ليفهم التلميذ ما يقولون ، ولا يتعبهم فى طلب المزيد من الشرح والإيضاح ؟ .

لقد جربنا ذلك وكانت النتيجة أن عجمت ألسنة التلاميذ ، وظهر بجلاء ضعفهم فى القراءة والكتابة والحديث ، وأصبح من النادر أن نجد واحداً يستطيع أن يقرأ موضوعا أو يكتب رسالة بعربية سليمة .

أم أن السبب هو العداوة التقليدية بين مدرسى المواد الأخرى واللغة العربية ؟ فهم لا يألون جهداً فى التزام العامية والبعد عن العربية لأنها فى رأيهم جامدة لا تساير العصر .

وأصبح التلميذ الذى لا يدرس فى اللغة ـ والحالة هذه ـ إلا سبع حصص أو ستا فى الأسبوع مقابل ثلاثين حصة لسائر المواد معذوراً كل العذر إذا هو لحن فأفحش فى اللحن ، أو عجز عن التعبير السليم إذا أراد التعبير السليم .

بقى النشاط الذى يمارسه التلميذ خارج فصله من تمثيل وصحافة وخطابة وكان من الممكن أن يكون مجديا ومفيداً للتلميذ ، إلا أنه فى حالته الراهنة لا يخرج عن أن يكون مجرد نشاط يؤدى بأيسر السبل ، وأخف الطرق وأسهلها مئونة وتكليفا وكفى الله المؤمنين القتال .

فإذا ما ذهب التلميذ إلى المنزل واستمع إلى أمه وأبيه وباقى أسرته كان الحديث بلغة

لا تعبأ بالعربية ولا تعرفها ، وما أسهل ما يتجاوب التلميذ فى الحديث وينسى تلك القاعدة الهزيلة التى علقت بذهنه المرفه فى دروس اللغة العربية .

وكثيراً مايجلس إلى المذياع ليستمع إلى التمثيليات والبرامج وكلنا يعرف لغتها ومستواها ، ولنا أن نحكم بعد ذلك على مقدار تأثره بها ، وكثيراً مايتأثر بها سائر التلاميذ .

وفى السينما ولا أقول المسرح يذهب التلميذ وكثيراً ما يذهب ، فيستمع إلى اللغة التى يمكن أن نسميها بلا تحفظ بلغة السينما فيتأثر وغالبا مايتأثر ، وينسى وكثيراً ماينسى ذلك الأسلوب الغريب الذى حفظه فى حصة النصوص .

كل هذا الإهمال الذى يدرج التلميذ عليه من أول سنة يدخل فيها المدرسة حتى آخر سنة يتخرج فيها نجد أثره فى طلبة الكليات فنادراً ما نجد طالباً فى كلية نظرية ـ ولا أقول عملية ـ يستطيع أن يقرأ بإتقان قصيدة لأبى تمام أو البحترى أو المتنبى أو مقالا للجاحظ أو الصاحب أو ابن العميد .

نقول هذا ولا نستطيع أن نطالب طالبا فى المرحلة الثانوية بشىء من هذا وإلا كنا كمن يتطلب فى الماء جذوة نار .

ونتيجة لهذا كله نجد الشكوى من خريجى الجامعات لا تنقطع ، والحديث عن مستواهم العلمى والأدبى لا يهدأ ، وهم كما نعرف الصفوة المثقفة من الجيل الصاعد ، والعدة التى ندخرها للمستقبل .

مشكلة خطيرة ولا شك ، والسكوت عنها خيانة للعربية والعرب . ومن غير « الأزهر » يقف عندها ، ويبحث فى أسبابها حتى نجد إلى الخروج منها سبيلا ؟!

أمين أمين بدر

مدرس بيور سعيد الإعدادية

حول الأولياء والقديسين :

حمل البريد إلى إدارة المجلة سؤالا من أحد القراء يسأل فيه عن رأى الإسلام فيما نشر على لسان إحدى الممثلات فى مجلة آخر ساعة ، وكانت الممثلة المسلمة ذكرت أنها تستشير فى كل أمورها صديقها ومستشارها « مارجرجس » فتذهب إلى هناك وتضىء شمعة وتقرأ الفاتحة ، ثم يأتيها مارجرجس مناما ليدلى لها برأيه .

كما جاء على لسانها قولها : « ... وأنا من النوع الذى يتفاءل بزيارة سيدنا الحسين والسيدة زينب والقديسة سانت تريزا ، وعندما أقوم بزيارتهم جميعا أقرأ الفاتحة على ضريح كل منهم دون أن أستشعر أى حرج بالنسبة لاختلاف الدين ... » .

ونحن نجيب الأخ بأن اللجوء إلى أضرحة الأولياء والصالحين من المسلمين للتوسل بهم يرى منعه بعض علماء الدين : كابن تيمية

ومحمد بن عبد الوهاب والإمام محمد عبده ، لأن الله وحده هو الذى يجيب المضطر إذا دعاه فكيف بالتوسل بأضرحة غير المسلمين ؟ .

حول كتاب بحوث فى تفسير القرآن :

فى مقال نشر فى عـــدد المحرم ، عرض الأستاذ محمد عبد الله السمان لكتابنا الجديد « بحوث فى تفسير القرآن » ، وقال: إن الكتاب لم يأت بجديد ! واحتج لذلك بأن تقريرنا لأسبقية نزول مطالع العلق ليس بجديد ، إذ سبقنا الكثير من المفسرين إلى تقرير هذه الحقيقة !

وأحب أن : أذكر الأستاذ الناقد بشىء هو أن الباحث قد يعرض لحقيقة مقررة كـكروية الأرض ولا يكون مقلدا ، فقد يؤكد هذه الحقيقة بأدلة جديدة ، تكاد تعدل فى جدتها وقيمتها اكتشاف الحقيقة نفسها .

ونحن حين بحثنا الترتيب التاريخى لسورة العلق لم نقل إن مطالع العلق أول ما نزل ونسكت ، ولم ننقل ما احتج به أصحاب هذا الرأى فحسب . . . ولو فعلنا لكنا مقلدين أو مجرد ناقلين ؛ ولكننا سقنا من الأدلة ماهدانا إليه تفكيرنا الخاص .

هذا وقد تبين لنا بعد أن تم طبع الفصل الرابع أن الدكتور محمد وصفى قد سبقنا إلى رفض تفسير العلق بالدم الجامد ، وإلى اعتبار العلقة من العلوق وهو التشبث بالشىء والاستمساك به كما هو ثابت فى اللغة ، فسارعنا - فى ملحق أضفناه للكتاب - نسجل له هذا السبق ، على أننا زدنا عليه أن بسطنا المسألة ، ودعمناها بالأدلة القائمة على أساس من علم الأجنة ، ووضحناها بعدد من الرسوم لا غنى عنها لبيان المعنى وبحثنا تركيب الدم السائل والدم الجامد ، ثم بحثنا تركيب العلقة وبينا اختلاف التركيبين بحيث يستحيل تفسير العلقة بالدم الجامد . وهى كلها مباحث لا تجدها فى كتاب الدكتور وصفى الذى صدر أخيرا بعنوان « القرآن والطب » .

أضف إلى هذا أننا خالفنا الدكتور فى مسألتين جرهريتين كنا نود أن يشير إليهما الأستاذ الناقد .

والخلاف بيننا وبين الطبيب الفاضل يدور حول كنه العلوق من الناحية الطبية ، ومايتبع هذا من تفسير طورى النطفة والعلقة .

فالنطفه فى رأينا هى الطور الأول من أطوار الجنين ، الذى ينشأ من اتحاد الحيوان المنوى ببويضة المرأة . . . والنطفة فى رأى الطبيب الفاضل هى الحيوان المنوى وحده ، قبل أن يتحد ببويضة المرأة .

والعلقة فى رأينا هى الطور الثانى من أطوار الجنين ، حيث يعاق الجنين بجدار الرحم ثم يغوص فيه .. والعلقة فى رأى الطبيب الفاضل هى هذا الطور من أطوار الجنين الذى يعلق فيه الحيوان المنوى ببويضة المرأة فيكون التلقيح !

وقد بينا بالأدلة القاطعة صدق ما ذهبنا إليه فى ملحق ألحقناه بالكتاب[1] . ولكن الناقد الفاضل لم يشر فى نقده إلى هذا الخلاف.

ولم يخل هذا الفصل أيضا من مبحث مستقل عن العلقة فى الحديث[1] ، هو فى جوهره جديد ، لأننا بحثناه فى ضوء العلم الحديث ، وهو شيء لا تجده فى كتابنا من من كتب التفسير أو الحديث .

والفصل الخامس تفسير جديد لقوله : «اقرأ وربك الأكرم» ، بينا فيه اختلاف مدلول القراءة فى الآية التالية عن مدلولها فى الآية الأولى على وجه لم نسبق إليه بحيث لا يبدو لمعنى القراءة فى الآيتين صفة التكرار كما بدا لكثير من المفسرين !

م . جمال الدين عياد

خطأ فى ترقيم آيات المصحف :

تحت يدى الآن مصحف شريف مطبوع بشركة الشمرلى بالقاهرة ومختوم بختم الشيخ عامر عثمان عضو لجنة مراجعة المصاحف بالأزهر الشريف به خطأ فى أرقام آيات سورة الشعراء فآيات هذه السورة (٢٢٧) آية كما هو معروف . وأرقام الآيات صحيحة إلى آخر قوله تعالى :

« ولو نزلناه على بعض الأعجمين ١٩٨ ، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ١٩٩ ، كذلك سلكناه فى قلوب المجرمين ٢٠٠ . والواجب أن يكون رقم آية : « لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم » ٢٠١ إلا أنه أثبت رقم ١٠١ بدلا من ٢٠١ واستمر هذا الخطأ إلى آخر السورة التى آخرها رقم ٢٢٧ ولكنه أثبته ١٢٧ . فنرجو تفادى ذلك فى المستقبل حفظاً لكتاب الله وعليكم سلام الله . ؟

فتحى عبد الخالق المصرى
طالب بمعهد سمنود الدينى

(١) ص ١٥٩ .
(٢) ص ٧ .

تصويب فى الجزء السابق

سقط سهواً جزء من الآيتين الكريمتين الواردتين بالسطر ٢٢ من النهر الأول صفحة ٥٤ من الجزء السابق ونعيد نشرهما هنا كاملتين : .

فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى ، فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إنى برىء مما تشركون ... الخ

الكتب

نقـد وتعريف

بقلم ــ محمد عبد الله السمان

---

١ – فلسفة تاريخ محمد :

للعلامة محمد جميل بيهم

أستاذنا العلامة الكبير من العلماء المحققين فى لبنان ، وممن لهم هناك يد طولى فى نشاط الحركات الإسلامية والفكرية والاجتماعية ، ومؤلفاته التاريخية والفلسفية والاجتماعيـة التى تبلغ ثمانية عشر مؤلفا لها مكان فى مكتبة المثقف الناضج .

ومؤلفه الأخير دراسات واعية لها تقديرها تناولت : شخصية محمد ـ صلوات الله عليه ـ بين خصومه وأنصاره فى الكتلتين الغربيـة والشرقية ، أحداث العالم الفكرية والدينية التى تقدمت الإسلام ومهدت له ، العناصر الداخلية الدينية والأدبية التى تقدمت الإسلام أيضاً ومهدت له ، العناصر السياسية والدينية والقومية والاقتصادية التى وفرت الأسباب لنجاح الإسلام ، نبوة محمد ورسالته ، تطور العلاقات بين محمد وأهل الكتاب ، وتطورها بينه وبين الدول ، كيف أسهمت شخصيته ـ صلوات الله عليه ـ فى انتصار الإسـلام ، نفوذ محمد الروحى ، أثر الإسلام فى اكتساب الناس ، على أى شىء قام دين محمد ؟ مجمل العوامل التى مهدت للرسول ولانتصار رسالته.

هذه فصول الكتاب التى تناولها أستاذنا بالدراسة والتحليل ، وأضفى عليها من منطق التاريخ ما أكسبها جانباً كبيراً من التقدير . . فهو لم يعرض علينا هـذه الدراسات عرضاً تاريخيا مفصـلا ، دون أن يناقش الآراء الأجنبية ـ غربية كانت أو شرقية ـ هـذه الآراء التى حاولت جاهدة أن تعرض بشخصية الرسول لتنال منهـا ، أو تعرض بنبوته لتشكك فيها .

فأستاذنا يذكر فى مقدمة كتابه أن الحافز على تأليفه كتاب دعاية للغرب تحت عنوانه : « الإسـلام فى نظر الشيوعية والشيوعيين » وقد استعان مؤلفه بنشره ترجمة كتاب صدر عن موسكو عام ١٩٥٦ بقلم ل . أ كليموفتش

بعنوان : الإسلام . وبنقله نتفا من الموسوعة الروسية الصادرة عن موسكو عام ١٩٥٤ ، والأمر الذى أثار اهتمام أستاذنا هو أن المؤلفين الأجانب دائبون على النيل من الرسول استناداً إلى الصورة المزوقة التى وضعها له بعض أصحاب السير على شكل لايتفق مع صورته الحقيقية .

فى البحث الأخير نفى أستاذنا أن يكون دين محمد قد قام على السيف كما يراه الأعداء من المستشرقين وغيرهم ، أو أنه قام على المعجزات التى كدسها له فى كتبهم أمثال : البيهقى وأبى نعيم والقاضى عياض .

فالرسول اختار السيف ليدافع عن دعوته ، بعد ثلاث عشرة سنة قضاها فى مكة مسالما محتملا لصنوف من الأذى والاضطهاد ، على أنه - صلوات الله عليه - وإن كان قد اضطر إلى إشهار السيف إلا أنه قد كان حريصا أيضا على اجتناب العدوان وعلى ألا تكون له المبادرة فى امتشاق الحسام .

ويرى أستاذنا أن محمداً أتيح له الفوز استناداً إلى مؤهلاته الخاصة وإلى عوامل طبيعية مختلفة داخلية وخارجية ، منها ما يرجع إلى زمان سابق لزمانه ، ومنها ما كان معاصراً له .

إن بحوث الكتاب امتازت بالمسحة التاريخية ، وكنا نود أن يكون لمناقشة الآراء المفتراة : الشرقية الوافدة من الشيوعية ، والغربية الوافدة من عقليات الحروب الصليبية ، كنا نود أن يكون لمناقشة هذه وتلك نصيب أكبر فى مساحة هذا الكتاب الجليل . .

٢ - الأسرة فى الإسلام :

للأستاذ معوض عوض إبراهيم

المؤلف من شباب العلماء ، وهو مبعوث الأزهر فى لبنان ، وكتابه ليس مجرد آيات من القرآن عرضها عرضا ، ولا مجرد أحاديث نبوية سردها سردا ، ولكنه فى الواقع مناقشة سادها الأفق الواسع ، والقراءات الكثيرة لا فى أمهات الكتب الدينية وحدها بل فى المراجع الصحفية التى تناولت مقالاتها شئون الأسرة .

تناول الكتاب الزواج كأساس للأسرة ، والطلاق وتعدد الزوجات وتحديد النسل ، كمشكلات تعوق استقرارها ، والتبنى والتربية الجنسية والتلقيح الصناعى ، كقضايا كثر الجدل فيها وفى مسألة عمل المرأة واشتراكها فى الحياة العامة ، يذكر فضيلة المؤلف : أن الإسلام يقرر حق المرأة فى العلم ، وحقها فى العمل إن احتاج كلاهما إلى الآخر ، ويستشهد ببعض البحوث الاجتماعية فى أمريكا وأوربا التى اتجهت أخيراً إلى رجوع المرأة إلى البيت ، فيذكر لنا رأى الدكتورة إيدا إيلين التى قالت فيه نتيجة بحث قامت به :

« إن سبب الأزمات العائلية فى أمريكا وسر كثرة الجرائم فى المجتمع هو أن الزوجة تركت بيتها لتضاعف دخل الأسرة ، فزاد الدخل وانخفض مستوى الأخلاق » .

وفى تحديد النسل يقول المؤلف : « إن الإسلام لا يقره كمبدأ وقاعدة لا يحيد الناس عنها ، ولكنه يبيح التحكم فى النسل وتحديده بل ومنعه عند الداعية القاهرة .

إلا أن المؤلف كان يرجع فى استشهاده بالأحاديث النبوية إلى الكتب المجمعة للأحاديث ، ككتب التفسير ، وإحياء علوم الدين للغزالى ، ونيل الأوطار للشوكانى وغيرها دون ما نظر إلى درجة هذه الأحاديث من حيث الصحة والضعف والوضع . .

٣ — الفكر الإسلامى والتطور :

للأستاذ محمد فتحى عثمان :

الأستاذ المؤلف معروف لدى قراء هذه المجلة بحوثه ودراساته التى يقدمها من آن إلى آخر على صفحاتها .

وكتابه الجديد هذا دراسات عميقة واعية عن تطور الفكر الإسلامى ، جاء أشعة تكشف عن مجالات التطور فى ديننا ، ليكون المؤمن فى رحلة الحياة على بصيرة من حقيقة التدين وطبيعة الوجود . .

تناول الكتاب قضايا كبرى أثارها الفيلسوف إقبال ، وفجوات تنتظر السداد فى الفلسفات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتطور نظام الدولة الإسلامية الأولى ، والفكر الإسلامى المبكر ، وقضية المرأة ، ورواد الفكر الحر المتطور من أمثال : الأفغانى — محمد عبده — رشيد رضا — الكواكبى .

وفى خاتمة الكتاب قدم الأستاذ فتحى بحثا عن المستقبل تناول فيه الأزهر والجامعات ، ومما يلفت النظر إليه أن المؤلف كأنما كان يتنبأ بقانون تنظيم الأزهر الذى صدر أخيراً فهو يقول بعد أن دعا إلى توحيد المرحلة الأولى من التعليم كله ، وأن يكون للدين قسط واف حتى لا يكون التوحيد على حساب الثقافة الإسلامية ، ثم يترك الطالب يختار بعد أن ينضج ويتميز ، فإن صار طبيبا أو مهندسا كان على علم بأصول دينه ، وإن اختار التعمق فى الدراسات الإسلامية كان على معرفة بعلوم الكون والحياة ، يقول بعد ذلك فى صفحة ٢٥٣ :

« والجامعة الأزهرية ذاتها ، لماذا لا تحوى كليات للهندسة والطب والعلوم . . إن أكسفورد وكمبردج لهما أصلهما الكنسى الدينى ، لكن هذا لم يعجزهما عن التطور ، وقديما كان الأزهر يدرس الرياضة والعلوم والفلك وفق معارف العصر ، فهل تراه ارتضى أن يسير إلى الوراء ؟ .

ولا بأس بأن يحتفظ الأزهر بشيء من تقاليده التى لا تتعارض مع العلم الصحيح، وكثيراً ما تتخلف على الجامعات العريقة ظلال طفيفة من الماضى تكون طابعا يميز شخصيتها، ويوم يكون الأزهر جامعة متطورة فإنه يستحق استقلالا كاستقلال الجامعات، ليعلن رأيه العلمى وقد توفرت له الحصانات والضمانات ...».

وفى مقدمة الكتاب رسم المؤلف المنهج الذى يقترحه فى دراسة الفقه الإسلامى لإحيائه وللنهضة به نهضة علمية فى ضوء القانون المقارن، يعنى فى هذه الدراسة بأمرين جوهريين: تدرس نشأة الفقه دراسة دقيقة، وتدرس مذاهب الفقه الإسلامى: السنى والشيعى والخارجى والظاهرى وغيرها دراسة مقارنة لتستخلص منها وجوه النظر المختلفة.

والكتاب بعد ذلك ثمرة قراءات كثيرة دينية وغير دينية، والمؤلف من المعنيين بالدراسات الإسلامية، والغيورين على فكرة الإسلام، وقد تكون فى الكتاب بعض الآراء التى لا نتفق معه فيها، أرجو أن تتاح فرصة أخرى لمناقشتها.

٤ — البيان فى تصحيح الإيمان:

لفضيلة الشيخ ابراهيم محمد عبد الباقى:

هذا كتاب يقع فى زهاء خمسمائة صفحة من القطع الكبير، جمع فأوعى من الموضوعات الشاملة الجامعة، التى يراها فضيلة المؤلف: بحوثا دينية فى المشكلات العالمية، ومحاضرات شعبية وخطابة دينية.

شيخنا المؤلف مدرس وخطيب مسجد أولاد عنان بالقاهرة، ومن علماء الأزهر القلائل الذين يؤدون رسالة شعبية فى مجتمع القاهرة الصاخب اللاغب، جاء كتابه أقساما: قسم العقائد، وقسم العبادات، وقسم المعاملات، وقسم المحاضرات الإرشادية والوعظية، وختم الكتاب بتلخيص لكتاب العلم يدعو إلى الإيمان، للكاتب الأمريكى، كرليس موريسون.

فى هذا الكتاب تقرأ عن التوبة والتوسل وزهد الولاة والإسلام فى نظر المستشرقين والمتشابه والمحكم، كما تقرأ رأى الإسلام فى الأزياء الحديثة، التلقيح الصناعى، الوجودية، التدخين، البهائية، القاديانية.

إن شيخنا يؤدى خدمة للعامة ببحوثه وكتبه الدينية، وهم فى مسيس الحاجة إلى الأسلوب السهل المبسط، الذى تنجذب إليه العواطف، ويتيسر فهمه للأذهان، وهضمه للعقول.

عبد الله السمان

قانون الأزهر الجديد

كما أقره مجلس الأمة

وافق مجلس الأمة على القانون الجديد لتنظيم الأزهر وتطويره مع الاحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته ، عالج القانون مشكلات الأزهر فى صميمها .

المذكرة الإيضاحية :

لقد قام الأزهر بدور عظيم فى تاريخ العلم ، وفى تاريخ الإسلام ، وفى تاريخ العروبة . وفى تاريخ الكفاح القومى على توالى العصور ووقف قمة شامخة فى وجه كل المحاولات التى قصد منها استعبادنا والسيطرة علينا وتحطيم كياننا القومى والروحى .

وكانت التقاليد العلمية فى الأزهر أساسا للنظام الجامعى والتقاليد الجامعية فى كل بلاد الدنيا ، فهو أقدم جامعة فى العالم وإن لم يكن اسمه بين أسماء جامعاتنا .

ومن علم الأزهر شع نور الإسلام فى بلاد كثيرة من إفريقيا ومن آسيا وزاد عدد المسلمين عشرات الملايين . وكانت بعوث الأمم المختلفة إلى الأزهر سببا لتوثيق علاقاتنا ببلاد كثيرة وشعوب متعددة منذ أقدم العصور إلى اليوم ، وقد اكتسب اسم الأزهر بذلك قدسية ، واكتسب المنتسبون إليه احتراما ، وصار رأيه هو الرأى فى كل ما يتعلق بالعقيدة والشريعة ، وصار هو الجامعة الإسلامية الكبرى فى الشرق والغرب ، لا يطلب أحد علوم الإسلام إلا عن طريق الأزهر ، ولا تتجه قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى معهد يفد إليه أولادهم للتزود من أسباب المعرفة غير الأزهر .

على أن التزام الأزهر الوقوف قرونا طويلة فى وجه كل محاولات العدوان قد ألزمه نوعا من المحافظة لعلها كانت بعض خصائص الموقف الدفاعى الذى التزمه خلال تلك القرون ، فلما نشطت الحياة حواليه وزالت الأسباب التى كانت تضطره إلى المحافظة والتزمت ، لم يجد الوسيلة الملائمة التى تعينه على الحركة المتجددة التى تلائم بينه وبين عصره مع احتفاظه بخصائصه وقيامه بواجبه لحياطة الدين والمحافظة على تراث الإسلام ، من ذلك أن خريجيه لم يزالوا حتى اليوم — فيما يريدون لأنفسهم أو فيما يصفهم غيرهم — رجال دين ، لا يكادون يتصلون بعلوم الدنيا

اتصال النفع والانتفاع ، والإسلام فى حقيقته الأصيلة لا يفرق بين علم الدين وعلم الدنيا ، لأنه دين اجتماعى ينظم سلوك الناس فى الحياة ليحيوا حياتهم فى حب الله عاملين مؤثرين فى المجتمع فى ظل طاعة الله ، ولأن الإسلام يفرض على كل مسلم أن يأخذ بنصيبه من الدين والدنيا ، فكل مسلم يجب أن يكون رجل دين ورجل دنيا فى وقت معا ، والله فى يقين المسلم أقرب إليه من حبل الوريد ، يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، فليس فى حاجة إلى شفيع أو وسيط يقربه إليه .

على أن العالم الإسلامى اليوم قد انفسح مداه واتسع نطاقه وأطل على آفاق فكر جديدة ووضعته الظروف السياسية التى تمر به موضع الاختبار فى مجالات شتى . وأكثره قد خرج منذ قريب من تحت النير الاستعمارى وفى نفوس أهله آمال ضخمة لاستكمال أسباب تحرره ونهضته والارتفاع بمستوى معيشته .

وكانت الثقافات الاستعمارية تحاول طوال السنين التى يسيطر فيها الاستعمار على العالم الإسلامى أن تلون أفكار أهله وعقائدهم وأن تضع فى نفوسهم موازين جديدة وقيما جديدة يمكن أن تباعد بينهم وبين الإسلام . فلولا طبيعة المقاومة فى نفوس المسلمين لسحقتهم المحاولات المتوالية خلال تلك السنين وأخرجتهم عن دينهم ، ولعلها قد بلغت من ذلك مبلغا ما حين أوقعت فى أذهان كثير منهم أن الإسلام عبادة وقربى إلى الله وفناء فى الله ، وأن العمل للحياة شىء آخر يختلف عن الدين أو يتعارض مع الدين . وربما أوقعت فى أذهان بعضهم كذلك أن المذاهب الاجتماعية المستحدثة تضمن للبشر سعادة ورفاهية لا يكفل مثلها الإسلام ، وربما لا يكفلها غير الإسلام من الأديان السماوية .

وفى كثير من البلاد التى تخلصت حديثا من ربقة الاستعمار رغبة فى التخطيط والعمل والإنتاج فى مجالات الصناعة والتجارة والتعدين والتعليم والصحة وغيرها من أسباب النهوض ، وهى حين تلتمس الخبراء فى كل نوع من أنواع هذا النشاط لا تكاد تجد إلا أجانب عن بيئتها ودينها من المواطنين أو من غير المواطنين ، وحين تلتمس من المواطنين خبراء يملكون مع الخبرة معارف دينية صحيحة وعقيدة واعية لا تكاد تعرف أين توفدهم ليتعلموا ويستفيدوا الخبرة والمعرفة والعقيدة وهى عناصر ثلاثة ضرورية لتستكمل هذه البلاد نهضتها وتمضى فى وجهها على الطريق السوى . وإذ كان الأزهر وحده هو المعهد أو الجامعة التى يحرص المسلمون وراء الحدود على أن يعد فيه أبناؤهم لهذه المسئوليات فقد كان من الطبيعى أن يكون نظام الأزهر وعلوم

الأزهر بحيث تعد هؤلاء الخبراء مستكملين لكل العناصر التى تهيئهم لحمل أعباء النهضة فى بلادهم .

ولكن الأزهر إذ يعد علماء فى الدين وفى لغة القرآن لم يتهيأ بعد لتأهيل العالم الدينى المتخصص فى عمل من أعمال الخبرة والإنتاج التى تحتاج إليها نهضة المسلمين فى كل البلاد . وحين تنبهت بعض البلاد الإسلامية إلى هذه الحقيقة المؤسفة حولت بعثاتها كلها أو بعضها إلى الجامعات المدنية فى الجمهورية العربية المتحدة أو فى غيرها من البلاد ، عاد إليها مبعوثوها بعد إتمام دراستهم وهم يملكون الخبرة ولا يكادون يعرفون الدين ، فى حين يعود المبعوثون منهم إلى الأزهر وقد حصلوا من علوم الدين وعلوم القرآن حظا كبيراً ، ولكنهم لا يحسنون عملا ولا يطيقون إنتاجا ولا يقدرون على المشاركة فى لون من ألوان النهضة التى أشرنا إليها آنفا . وبهؤلاء وأولئك تعقدت الحياة الاجتماعية فى كثير من بلاد العالم الإسلامى وتعثرت النهضة فى تلك البلاد .

ومن حسن الحظ أن يجمع كل أهل الغيرة فى كل البلاد الإسلامية على رأى واحد فى هذه المشكلة هو أن يعرف عالم الدين علوما أخرى يعيش بها ويشارك بها فى النهضة ليرتفع مقام الدين عن أن يكون حرفة أو أن يكون سبباً للتعطل والضياع فى المجتمع ، وسبيل ذلك أن تتطور معاهد الدراسات الإسلامية العالية بحيث تواجه احتياجات النهضة فلا تقتصر على الدراسات الدينية بل يجب أن تجمع إليها علوما أخرى تتحقق بها لكل خريج الخبرة والمعرفة وسلامة العقيدة ليعود هؤلاء الخريجون إلى مراكز القيادة فى كل مجال من مجالات النشاط فى العالم الإسلامى المتحرر .

هذه الحقائق المسلم بها لا تكاد تجد لها صورة صحيحة فى خريجى الأزهر لمصرنا ، ومن ثم كان نوع من الانعزال بينهم وبين المجتمع الذى يعيشون فيه . ونشأت مشكلة تعطل كبيرة بين هؤلاء الخريجين زادتهم انعزالا عن المجتمع . وأعقبت هذه المشكلة آثارا كبيرة فى نفوس الأزهريين وفى نفوس الشعب جميعا ، كما كان لها أثرها فى قوة العقيدة فى نفوس هؤلاء وأولئك ، أما فى نفوس الأزهريين فذلك أن خريج الأزهر حين يتعطل يمكن أن يقع فى وهمه أحد أمرين : إما أن عالم الدين مآله التعطل والهوان ، فيصيبه وهن العقيدة قبل أن يصيب غيره ، وإما أن الدولة لا تعترف به والشعب يحاربه ، فيعتزل الدولة والمجتمع .

وأما فى نفوس الشعب فإن الناس لا يكادون يعرفون الدين إلا من صورة عالم

الدين ، فإذا كان عالم الدين على ما وصفنا فما أسرع أن يرين الشك على بعض القلوب وتفسد بعض العقائد .

من ذلك أو من بعضه يكون وهن العقيدة وتكون بعض صور الانقسام فى المجتمع ، ويكون تعقد نفوس كثيرة ، ويكون سوء ظن بعض المواطنين ببعض ، وسوء رأى بعض المواطنين فى بعض .

ويمكن أن نلحظ مثل هذا الشعور فى بلاد أخرى وراء حدود وطننا ، إذ كان مآل كثيرين من المبعوثين من تلك البلاد إلى الأزهر بعد أن عادوا إلى بلادهم مثل مصير خريجى الأزهر فى بلادنا . فانتقلت هذه الآثار إلى مجتمعهم وكاد مجتمعهم يفقد ثقته بالأزهر ، ويوشك هذا الشعور إن عم أن يقطع كثيراً من الأواصر بيننا وبين تلك البلاد .

من أجل ذلك جميعه كان لا بد من تجديد الأزهر وتطويره والاعتراف بمكانته وأثره مع الاحتفاظ له بطابعه وخصائصه وصفته التى استحق بها أن يبقى مسيطراً على تاريخنا وعلى العلاقات الوثيقة بيننا وبين إخوان لنا فى شرق الأرض وغربها أكثر من ألف سنة .

وقد تكررت محاولات لمثل هذا الغرض منذ أكثر من نصف قرن ، ولكنها جميعا لم تنفذ إلى صميم المشكلة ولم تحاول علاجها جذريا ، فكانت قشور من الإصلاح لعل بعضها كان أسوأ أثراً .

ولعلاج المشكلة من صميمها كان لابد من تقرير مبادئ لتكون أساسا لكل محاولة إصلاح .

وعلى أساس المبادئ التى انتهينا إلى تقريرها كان مشروع الإصلاح الذى يتضمنه هذا القانون . وهذه المبادئ هى :

أولا : أن يبقى الأزهر أون يدعم ، ليظل أكبر جامعة إسلامية وأقدم جامعة فى الشرق والغرب .

ثانيا : أن يظل كما كان منذ أكثر من ألف سنة حصنا للدين والعروبة ، يرتقى به الإسلام ويتجدد ويتجلى فى جوهره الأصيل ويتسع نطاق العلم به فى كل مستوى وفى كل بيئة ويذاد عنه كل ما يشوبه وكل ما يرمى به .

ثالثا : أن يخرج علماء قد حصلوا كل ما يمكن تحصيله من علوم الدين وتهيئوا بكل ما يمكن من أسباب العلم والخبرة للعمل والإنتاج فى كل مجال من مجالات العمل والإنتاج فلا تكون كل حرفتهم أو كل بضاعتهم هى الدين .

رابعا : أن تتحطم الحواجز والسدود بينه وبين الجامعات ومعاهد التعليم الأخرى وتزول الفوارق بين خريجيه وسائر الخريجين فى كل مستوى ، وتتكافأ فرصهم جميعا فى مجالات العلم ومجالات العمل .

خامسا: أن يتحقق قدر مشترك من المعرفة والخبرة بين المتعلمين فى جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية وبين سائر المتعلمين فى الجامعات والمدارس الأخرى - مع الحرص على الدراسات الدينية والعربية التى يمتاز بها الأزهر منذ كان - لتتحقق لخريجى الأزهر الحديث وحدة فكرية ونفسية بين أبناء الوطن، ويتحقق بهم للوطن والعالم الإسلامى نوع من الخريجين مؤهل للقيادة فى كل مجال من المجالات الروحية والعلمية.

سادسا: أن توحد الشهادات الدراسية والجامعية فى كل الجامعات ومعاهد التعليم فى الجمهورية العربية المتحدة.

على أساس هذه المبادئ أعد مشروع القانون المرافق لتنظيم الأزهر فاحتفظ له بكيانه وصفته وخصائصه العلمية، وجعلت الهيئات التى يتكون منها خمسا هى:

١ — المجلس الأعلى للأزهر.

٢ — مجمع البحوث الإسلامية.

٣ — إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية.

٤ — جامعة الأزهر.

٥ — المعاهد الأزهرية.

أما المجلس الأعلى للأزهر، فهو الهيئة التى تحمل مسئوليات التوجيه فى كل شئون الأزهر وتخطط لأنواع النشاط فى هيئاته المختلفة، وتتابع تنفيذ سياسة البحث وسياسة التعليم فى أجهزته المختلفة، ويرأسها الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر، ويشترك فى عضويتها إلى جانب الكبار من العلماء - متخصصون وذوو خبرة فى التعليم وفى الإدارة.

وأما مجمع البحوث الإسلامية فوضع نظامه بحيث يكون هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية، يقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث، ويعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتصل بالعقيدة، وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وجعل من مهمة هذا المجمع كذلك أن يتتبع ما ينشر عن الإسلام والتراث الإسلامى من بحوث الأجانب ودراساتهم، للانتفاع بما فيها من رأى صحيح أو مواجهتها بالتصحيح والرد. كما يقوم المجمع على رسم نظام بعوث الأزهر إلى العالم الإسلامى ومن العالم الإسلامى، كما يعاون فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية فى جامعة الأزهر والإشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها، وجعلت شروط

العضوية فى هذا المجمع بحيث تضم أصلح العناصر لأداء مهمته .

وأما إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية فهى الجهاز الذى يهيئ لمجمع البحوث الإسلامية كل أسباب البحث والدراسة فى الموضوعات التى تتصل باختصاصاته ، كما تقوم بالإعداد والتحضير لهذه البحوث والدراسات وتحمل المسئولية الكاملة للمتابعة والتنفيذ ، وتضع نتائج هذه البحوث والدراسات موضع الانتفاع العام ، سواء فى المجالات الثقافية العامة أو فى فروع الدراسات الأزهرية.

وتقوم هذه الإدارة كذلك على إعداد مشروعات البعوث من الأزهر وإليه ، وتحمل مسئولية التنفيذ بالنسبة لهذه البعوث وتقوم نتائجها .

وأما جامعة الأزهر فقد وضع مشروعها على أساس أن تختص بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر ، وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه ، كما تهتم ببعث التراث العلمى والفكرى والروحى للشعوب الإسلامية والعربية ، وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى التفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية وعملية ومهنية تؤهلهم للمشاركة فى كل أنواع النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية والإسلامية والعربية والأجنبية . وقد نص القانون فى المادة ٣٤ على الكليات التى تشملها جامعة الأزهر وهى :

كليات الدراسات الإسلامية ، وكلية الدراسات العربية ، وكلية المعاملات والإدارة . وكلية الهندسة والصناعات ، وكلية الزراعة ، وكلية الطب ، مع النص على جواز إنشاء كليات أخرى كلما دعت الحاجة ، وطبيعى أن هذه الكليات كلها أو بعضها لا يمكن أن تكون صورة مكررة للكليات القائمة الآن فى الأزهر أو فى الجامعات الأخرى ، إذ لا بد أن تتحقق لها مع صفتها العامة صفة تلائم الصفة الخاصة بجامعة الأزهر ، بحيث يكون فيها إلى جانب الدراسات الفنية الخاصة ، دراسات إسلامية ودينية تتحقق بها للطالب ثقافة دينية عميقة وواعية إلى جانب الثقافة المهنية التى يحصلها نظراؤه فى الكليات المماثلة فى الجامعات الأخرى ، وبحيث تتاح لخريجيها بعد الحصول على درجة الإجازة العالية (الليسانس أو البكالوريوس) من أى كلية من كلياتها دراسة عليا فى مادة التخصص أو فى مادة من مواد الدراسات الإسلامية والعربية العالية للحصول بها على درجة التخصص أو العالمية

(الماجستير أو الدكتوراه) فى مادة الدراسة ، وليس مثل هذا النظام مستحدثا فى تاريخ الأزهر والجامعات الإسلاميه ، فإن أعظم علماء الطب والكيمياء والرياضة فى الماضى كانوا علماء فى الدين ، منهم ابن سينا والفارابى وابن الهيثم وجابر بن حيان وآخرون ...

ولابد أن يكون لكل كلية من هذه الكليات أقسام مختلفة تختص بها أو تشترك فيها مع غيرها من الكليات لتنويع الدراسات وتنويع الخريجين إلى أكثر مما يدل عليه عدد هذه الكليات .

وإذ كانت جامعة الأزهر هى جامعة المسلمين من كل بلد منذ كانت ، فقد نصت المادة الثامنة والثلاثون على أن تتساوى فرص القبول فى كلياتها والأقسام الملحقة بها للطلاب المسلمين من كل بلد .

ورعاية للصفة الخاصة لجامعة الأزهر رؤى أن تستقل عن الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة ، بتبعيتها لرياسة الجمهورية ، مع الحرص على التنسيق بينها وبين الجامعات الأخرى بقدر ما تقتضيه الصفة الخاصة بالأزهر وأغراض الدراسة فيه .

وحرص القانون على أن يكون أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ممثلين فى مجلس الجامعة بالقدر الذى يتيح لهم أن يوجهوا الدراسات الإسلامية فى الكليات المختلفة ، فتقرر أن يكون منهم فى مجلس الجامعة ثلاثة من أعضاء هذا المجمع ، مع احتمال زيادة عددهم ببعض الأعضاء الذين يمثلون هيئات أخرى من الأزهر أو من خارجه .

وإذ كان المأمول أن تكون بعض أنواع الدراسة فى كليات جامعة الأزهر على هذا الأساس نموذجا لنوع من الدراسات يلائم رغبات كثير من المواطنين ، لتتحقق بها لأبنائهم معارف وثقافات دينية وقومية وكان من المتوقع لذلك أن يقبل بعض خريجى المدارس الثانوية على هذه الكليات ، فقد حرص مشروع القانون على مواجهة هذا الاحتمال باشتراط أداء الطلاب الذين لم تتهيأ لهم فرصة الدراسة فى المعاهد الأزهرية امتحان معادلة يؤهلهم لمتابعة الدراسة فى هذه الكليات مع زملائهم من خريجى المعاهد الأزهرية .

وأما المعاهد الأزهرية ، فإنه لكى يعد لكليات الجامعة الأزهرية على اختلافها طلاب على حظ من الثقافة الإسلامية والعربية لا يقل عن حظهم منها فى الوقت الحاضر ، إلى جانب المعارف والخبرات التى تتيح لهم الاستمرار فى الدراسات الجامعية على الوجه الذى وصفناه ، وضع نظام المعاهد الثانوية والابتدائية للأزهر ، بحيث يتهيأ فيها الطلاب إلى جانب دراساتهم الدينية والعربية للحصول على الشهادات الإعدادية والثانوية

بأنواعها المختلفة ، لتتكافأ فرصهم مع فرص غيرهم من التلاميذ فى مدارس الدولة فيحصل تلميذ القسم الابتدائى على الإعدادية العامة ، أو الإعدادية الفنية ، إلى جانب ما درس من علوم الدين واللغة ، ويحصل تلميذ القسم الثانوى على الثانوية العامة بأحد قسميها الأدبى أو العلمى ، أو على الثانوية الفنية بأنواعها من زراعية أو صناعية أو تجارية أو غير ذلك ، إلى جانب ما درس كذلك من علوم الدين أو اللغة ، وبهذا يتاح لكل تلميذ فى هذه الأقسام أن يوجه حياته الوجهة التى يريد والتى تلائم ميوله واستعداده ، فإن شاء خرج إلى الحياة ليعمل ويكسب بعد كل مرحلة ، وإن شاء استمر فى الدراسة مرحلة أخرى أو مرحلتين ليخرج بعدها مؤهلا للعمل والكسب ، وإن شاء تحول إلى المدارس الأخرى يتم فيها دراسته وفق ميوله ورغباته ، وتجد كليات جامعة الأزهر فى النهاية طلابا يجمعون بين علوم الدين وعلوم الدنيا ، ولهم كل الأهلية لمتابعة الدراسة الجامعية فى كليات جامعة الأزهر أو فى غيرها من الكليات ومعاهد الدراسة العالية .

وقد حرص القانون فى هذه الناحية على أن يكون التعاون كاملا بين وزارة التربية والتعليم والإدارة المختصة بالإشراف على هذه الأقسام وإدارتها ليتحقق بهذا التعاون نوع من الثقة يدعم قيمة الشهادات التى يحصل عليها الطلاب من هذه الأقسام .

وقد واجه مشروع القانون مرحلة الانتقال بين وضع الأزهر وكلياته والأقسام الملحقة به فى الوقت الحاضر . ووضعها المنتظر بعد التطبيق الكامل لهذا القانون فنص على إنشاء دراسات إضافية فى الأقسام الثانوية والابتدائية منذ الموسم الدراسى المقبل لتهيئة تلاميذ هذه الأقسام الحاليين للحصول على شهادات معادلة تتيح لهم الانتفاع بمزايا هذا القانون فى أسرع وقت ممكن . كما حرص على الملاءمة بين وضع الطلاب الحاليين فى الكليات الأزهرية وبين مقتضيات تطبيق القانون .

كما نص مشروع القانون على أن يحتفظ العلماء الموظفين الآن والمدرسين فى أقسام الأزهر وأعضاء هيئات التدريس فى الكليات الأزهرية الحالية وأعضاء جماعة كبار العلماء ، ولطلاب الأزهر الحاليين ، بكل الحقوق المالية المقررة لهم فلا تتأثر هذه الحقوق بشىء نتيجة لتطبيق هذا القانون . سواء فى المرتبات أو فى المعاشات ومدة الخدمة . أو غير ذلك . لتكون النظم المستحدثة فى هذا الشأن بغير أثر رجعى .

ولكيلا يتضمن القانون تفصيلات يضخم بها رؤى أن يقتصر على الخطوط الرئيسية

التنظيم ، على أن تتضمن اللائحة التنفيذية التى يصدر بها قرار من رئيس الجمهورية كل التفصيلات التى توضح الصورة وتيسر التنفيذ.

وإذ كانت تفصيلات المشروع قد أحيل أكثرها على تلك اللائحة التنفيذية ، فقد نص المشروع على ألا يتأخر صدور هذه اللائحة عن تاريخ معين ، ليتهيأ الأخذ فى أسباب التنفيذ الكامل للمشروع قبل ابتداء الموسم الدراسى المقبل.

والمشروع معروض وجاء الموافقة على إصداره :

وزير الدولة

كمال الدين محمود رفعت

قانون الأزهر

باسم الأمــة

رئيس الجمهورية :

قرر مجلس الأمة القانون الآتى نصه وقد أصدرناه :

مادة ١ — تستبدل النصوص المرافقة بأحكام القانون رقم ٢٦ لسنة ١٩٣٦ بإعادة تنظيم الجامع الأزهر والقوانين المعدلة له ويبطل كل ما يخالفه من القوانين .

الباب الأول فى الأحكام العامة

مادة ٢ — الأزهر هو الهيئة العلمية الإسلامية الكبرى التى تقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره ، وتحمل أمانة الرسالة الإسلامية إلى كل الشعوب ، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام وأثره فى تقدم البشر ورقى الحضارة وكفالة الأمن والطمأنينة وراحة النفس لكل الناس فى الدنيا والآخرة ، كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى للأمة العربية، وإظهار أثر العرب فى تطور الإنسانية وتقدمها ، وتعمل على رقى الآداب وتقدم العلوم والفنون وخدمة المجتمع والأهداف القومية والإنسانية والقيم الروحية، وتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالمختصين وأصحاب الرأى فيما يتصل بالشريعة الإسلامية والثقافة الدينية والعربية ولغة القرآن ، وتخريج علماء عاملين مثقفين فى الدين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح، كفاية علمية وعملية ومهنية ، لتأكيد الصلة بين الدين والحياة والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أسباب النشاط والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة ، وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى

سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، كما تهتم بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية ومقره القاهرة ، ويتبع رياسة الجمهورية.

مادة ٣ — يعين بقرار من رئيس الجمهورية وزير لشئون الأزهر .

مادة ٤ — شيخ الأزهر هو الإمام الأكبر وصاحب الرأى فى كل ما يتصل بالشئون الدينية والمشتغلين بالقرآن وعلوم الإسلام ، وله الرياسة والتوجيه فى كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية فى الأزهر وهيئاته ويرأس المجلس الأعلى للأزهر .

مادة ٥ — يختار شيخ الأزهر من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة فى أعضاء هذه الهيئة . ويعين بقرار من رئيس الجمهورية فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضوا فى تلك الهيئه صار بمقتضى هذا التعيين عضوا فيها

مادة ٦ — يكون للأزهر شخصية معنوية عربية الجنس ويكون له الأهلية الكاملة للمقاضاة وقبول التبرعات التى ترد إليه عن طريق الوقف والوصايا والهبات بشرط ألا تتعارض مع الغرض الذى يقوم عليه الأزهر .

وشيخ الأزهر هو الذى يمثل الأزهر ويكون له حق مقاضاة نظار الأوقاف التى للمدرسين أو الموظفين أو الطلاب نصيب فيها، وذلك دون إخلال بما لوزارة الأوقاف من الحقوق والاختصاصات المقررة فى اللوائح والقوانين .

مادة ٧ — يكون للأزهر وكيل يختار من بين هيئة مجمع البحوث الإسلامية أو ممن تتوافر فيهم الصفات المشروطة لأعضاء هذه الهيئة . ويعين بقرار من رئيس الجمهورية ، فإن لم يكن قبل هذا التعيين عضواً فى هيئة المجمع صار بمقتضى هذا التعيين عضواً فيها .

ويعاون الوكيل شيخ الأزهر ويقوم مقامه حين غيابه .

هيئات الأزهر :

مادة ٨ — يشمل الأزهر الهيئات الآتية :

١ — المجلس الأعلى للأزهر .

٢ — مجمع البحوث الإسلامية .

٣ — إدارة الثقافة والبحوث الإسلامية .

٤ — جامعة الأزهر .

٥ — المعاهد الأزهرية .

الباب الثانى

المجلس الأعلى للأزهر

مادة ٩ — يكون للأزهر مجلس يسمى المجلس الأعلى للأزهر ، ويتكون على الوجه الآتى :—

شيخ الأزهر وله رياسة المجلس .

وكيل الأزهر .

مدير جامعة الأزهر .

عمداء الكليات بجامعة الأزهر .

أربعة من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يختارهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من رئيس الجمهورية بناء على ترشيح شيخ الأزهر لمدة سنتين .

أحد وكلاء الوزارات أو الوكلاء المساعدين من كل من وزارات الأوقاف والتربية والتعليم والعدل والخزانة ، يصدر بتعيين كل منهم قرار من الوزير الذي يمثل وزارته في المجلس .

مدير الثقافة والبعوث الإسلامية .

مدير المعاهد الأزهرية .

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوي الخبرة في شئون التعليم الجامعي والشئون العامة المتعلقة به ، يكون أحدهم على الأقل من أعضاء المجلس الأعلى للجامعات في الجمهورية العربية المتحدة ، ويعينون بقرار من الوزير المختص بعد أخذ رأي المجلس ، وبناء على ترشيح شيخ الأزهر وذلك لمدة سنتين .

مادة ١٠ — يختص المجلس الأعلى للأزهر بالنظر في الأمور الآتية : —

١ — التخطيط ورسم السياسة العامة لكل ما يحقق الأغراض التي يقوم عليها الأزهر ويعمل لها في خدمة الفكرة الإسلامية الشاملة .

٢ — رسم السياسة التعليمية التي تسير عليها جامعة الأزهر والمعاهد الأزهرية والأقسام التعليمية في كل ما يتصل بالدراسات الإسلامية والعربية واقتراح المواد والمقررات التي تدرس لتحقيق أغراض الأزهر .

٣ — النظر في مشروع ميزانية هيئات الأزهر وإعداد الحساب الختامي .

٤ — اقتراح إنشاء الكليات والمعاهد الأزهرية والأقسام التعليمية .

٥ — قبول الأوقاف والوصايا والهبات مع مراعاة أحكام المادة (٦) من هذا القانون .

٦ — النظر في كل مشروع قانون أو قرار جمهوري يتعلق بأي شأن من شئون الأزهر .

٧ — النظر في منح العالمية الفخرية لجامعة الأزهر أو إحدى كلياتها بناء على اقتراح الكلية أو الجامعة .

٨ — تشكيل اللجان الفنية الدائمة أو المؤقتة من بين أعضائه أو من غيرهم من المتخصصين لبحث الموضوعات التي تدخل في اختصاصه .

٩ — تدبير أموال الأزهر واستثمارها وإدارتها .

١٠ — النظر فيما يعهد إليه هذا القانون أو غيره من القوانين والقرارات واللوائح وفيما يعرضه عليه شيخ الأزهر ، وفي كل ما يرى المجلس فائدة في بحثه من المسائل التي تدخل في اختصاصه .

مادة ١١ — لا تنفذ قرارات المجلس الأعلى للأزهر فيما يحتاج إلى قرار من الوزير المختص

إلا بعد صدور هذا القرار - فإذا لم يصدر منه قرار فى شأنها خلال الستين يوما التالية لتاريخ وصولها مستوفاة إلى مكتبه تكون نافذة.

مادة ١٢ — يكون للمجلس الأعلى للأزهر أمين عام ، يصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية .

مادة ١٣ — يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مرتبات شيخ الأزهر ووكيله وأمين المجلس الأعلى للأزهر ومكافآت أعضائه .

مادة ١٤ — يكون للمجلس جهاز يتابع تنفيذ مقرراته ويرأسه الأمين العام للمجلس .

الباب الثالث

مجمع البحوث الإسلامية وإدارة الثقافة والبحوث الإسلامية :

مادة ١٥ — مجمع البحوث الإسلامية هو الهيئة العليا للبحوث الإسلامية وتقوم بالدراسة فى كل ما يتصل بهذه البحوث وتعمل على تجديد الثقافة الإسلامية وتجريدها من الفضول والشوائب وآثار التعصب السياسى والمذهبى ، وتجليتها فى جوهرها الأصيل الخالص ، وتوسيع نطاق العلم بها لكل مستوى وفى كل بيئة ، وبيان الرأى فيما يجد من مشكلات مذهبية أو اجتماعية تتعلق بالعقيدة وحمل تبعة الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

وتعاون جامعة الأزهر فى توجيه الدراسات الإسلامية العليا لدرجتى التخصص والعالمية والإشراف عليها والمشاركة فى امتحاناتها .

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون واجبات مجمع البحوث الإسلامية بالتفصيل الذى يساعد على تحقيق الغرض من إنشائه .

مادة ١٦ — يتألف مجمع البحوث الإسلامية من خمسين عضوا من كبار علماء الإسلام ، يمثلون جميع المذاهب الإسلامية ، ويكون من بينهم عدد لا يزيد على العشرين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ١٧ — يشترط فى عضو المجمع :

١ - ألا تقل سنه عن أربعين سنة .

٢ - أن يكون معروفا بالورع والتقوى فى ماضيه وحاضره .

٣ - أن يكون حائزاً لأحد المؤهلات العلمية العليا من الأزهر . أو إحدى الكليات أو المعاهد العليا التى تهتم بالدراسات الإسلامية.

٤ - أن يكون له إنتاج علمى بارز فى الدراسات الإسلامية ، أو اشتغل بالتدريس لمادة من مواد الدراسات الإسلامية فى كلية أو معهد من معاهد التعليم العالى لمدة أدناها ٥ سنوات أو شغل إحدى الوظائف الإسلامية فى القضاء أو الإفتاء أو التشريع لمدة أدناها خمس سنوات .

ويعتبر الأعضاء الحاليون فى جماعة كبار العلماء - فى حكم هذا القانون - مستوفين لهذا الشرط .

مادة ١٨ — يعين بقرار من رئيس الجمهورية أعضاء مجمع البحوث الإسلامية فى أول تشكيل له - بناء على عرض الوزير المختص باقتراح من شيخ الأزهر .

ويكون شيخ الأزهر رئيسا لهذا المجمع .

مادة ١٩ — يكون نصف أعضاء المجمع على الأقل متفرغين لعضويته ، وتبين اللائحة التنفيذية واجبات العضو المتفرغ والعضو غير المتفرغ .

مادة ٢٠ — هيئات المجمع هى :

(ا) مجلس المجمع : ويتألف من الرئيس ، والأعضاء المتفرغين ، والأعضاء غير المتفرغين من مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ، والأمين العام للمجمع .

(ب) مؤتمر المجمع ويتألف من كل أعضاء المجمع .

(ج) الأمانة العامة للمجمع .

مادة ٢١ — يجتمع مجلس المجمع مرة فى كل شهر على الأقل - ولا يكون اجتماعه صحيحا إلا بحضور أكثرية أعضائه .

مادة ٢٢ — يجتمع مؤتمر المجمع اجتماعا عاديا مرة فى كل سنة . وتستمر دورة اجتماعه أربعة أسابيع للنظر فى جدول أعمال السنة ويجوز أن يدعى المؤتمر إلى اجتماع غير عادى إذا اقتضت الظروف ذلك بموافقة الوزير المختص وبناء على اقتراح شيخ الأزهر ويكون اجتماع المؤتمر صحيحا فى الحالتين بحضور أكثرية أعضائه ، بشرط أن يكون من بينهم ربع الأعضاء غير المواطنين على الأقل .

مادة ٢٣ — يكون للمجمع أمانة عامة دائمة يرأسها أمين عام ويشغل هذا المنصب مدير الثقافة والبعوث الإسلامية بشرط أن تتحقق فيه شروط العضوية المنصوص عليها فى المادة ١٧ من هذا القانون ، ويصدر بتعيينه قرار من رئيس الجمهورية . بناء على عرض الوزير المختص وبموافقة شيخ الأزهر ويكون الأمين العام للمجمع بمقتضى قرار التعيين عضوا فى المجمع ما دام شاغلا لهذه الوظيفة .

مادة ٢٤ — تتألف الأمانة العامة للمجمع من الأمين العام ، وأمين مساعد أو أكثر ، وعدد من الموظفين اللازمين لتصريف الشئون الفنية والإدارية للمجمع ومباشرة تنفيذ قراراته طبقا لما تبينه اللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٢٥ — تختص إدارة الثقافة والبعوث الإسلامية بكل ما يتصل بالنشر والترجمة والعلاقات الإسلامية من البعوث والدعاة واستقبال طلاب المنح وغيرهم من ذوى العلاقة ، فى نطاق أغراض الأزهر ، وعليها إلى ذلك تنفيذ مقررات

المجمع ونشر بحوثه ودراساته وتجميع ما يلزمه من البيانات لهذه الدراسات .

وتبين اللائحة التنفيذية لهذا القانون تفصيل ذلك ووسائل تنفيذه .

مادة ٢٦ — يختار مؤتمر المجمع بالأغلبية المطلقة بناء على ترشيح اثنين من الأعضاء ، أعضاء مراسلين من مواطني الجمهورية العربية المتحدة أو من غيرهم ، ممن يرى الاستعانة بهم في تحقيق أغراضه ويصدر باعتماد عضويتهم قرار من الوزير المختص .

مادة ٢٧ — يجوز منح لقب عضو فخرى لأعضاء المجمع السابقين ، أو لمن يؤدى للإسلام خدمات علمية ذات أثر ، ويصدر بمنح هذا اللقب قرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص باقتراح من مؤتمر المجمع .

مادة ٢٨ — يؤلف المجمع من أعضائه لجانا لتحقيق أغراضه المنصوص عليها في هذا القانون وفي اللائحة التنفيذية .

مادة ٢٩ — يجوز دعوة الأعضاء المراسلين والأعضاء الفخريين إلى جلسات المجمع بموافقة الوزير المختص بناء على قرار مجلس المجمع .

مادة ٣٠ — تسقط عضوية المجمع في إحدى الحالات الآتية :

(ا) إذا صدر ضد العضو حكم ماس بالشرف والأمانة .

(ب) إذا وقع من العضو ما لا يلائم صفة العضوية ، كالطعن في الإسلام ، أو إنكار ما علم منه بالضرورة ، أو سلك سلوكا ينقص من قدره كعالم مسلم ، ويكون سقوط العضوية في هذه الحالة بقرار مسبب يصدره المجمع بأغلبية الثلثين من أعضائه ويعتمده الوزير المختص .

(ج) إذا عجز العضو عن مباشرة أعماله لمرض أو لظروف أخرى ، ويكون سقوط العضوية في هذه الحالة بقرار جمهوري بعد موافقة المجمع .

(د) إذا تقرر قبول استقالته ، أو اعتبره المجمع مستقيلا بتخلفه عن حضور جلسات المجمع ، وفقا لما تفصله اللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٣١ — إذا خلا مكان عضو من أعضاء المجمع لأى سبب من الأسباب السابقة أو غيرها ، انتخب المجمع العضو الذي يخلفه من بين المرشحين للعضوية ويتم الترشيح بتزكية اثنين من الأعضاء ، ولا تكون جلسة الانتخاب صحيحة إلا إذا حضرها الثلثان على الأقل من أعضاء المجمع ، ويكون انتخاب المرشح صحيحا إذا حصل على أكثرية أصوات الحاضرين بشرط ألا يقل عددهم عن نصف العدد الكلى لأعضاء المجمع ويكون التصويت سريا ، ويصدر باعتماد العضوية قرار من

رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص .

مادة ٣٢ — يحدد الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون مكافآت المتفرغين وغير المتفرغين من أعضاء المجمع ، كما يحدد مكافآت أعضاء اللجان من غير أعضاء المجمع الذين قد يستعان بهم لخبرتهم .

الباب الرابع

جامعة الأزهر :

مادة ٣٣ — تختص جامعه الأزهر بكل ما يتعلق بالتعليم العالى فى الأزهر وبالبحوث التى تتصل بهذا التعليم أو تترتب عليه وتقوم على حفظ التراث الإسلامى ودراسته وتجليته ونشره . وتؤدى رسالة الإسلام إلى الناس وتعمل على إظهار حقيقته وأثره فى تقدم البشر وكفالة السعادة لهم فى الدنيا وفى الآخرة كما تهتم ببعث الحضارة العربية والتراث العلمى والفكرى والروحى للأمة العربية . وتعمل على تزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بالعلماء العاملين الذين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقه بالنفس وقوة الروح والتفقه فى العقيدة والشريعة ولغة القرآن ، كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة ، والربط بين العقيدة والسلوك ، وتأهيل عالم الدين للمشاركة فى كل أنواع النشاط ، والإنتاج والريادة والقدوة الطيبة وعالم الدنيا للمشاركة فى الدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، فى داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها من أبناء الجمهورية وغيرهم كما تعنى بتوثيق الروابط الثقافية والعلمية مع الجامعات والهيئات العلمية الإسلامية والعربية والأجنبية .

مادة ٣٤ — تتكون جامعة الأزهر من الكليات الآتية :

١ — كليات للدراسات الإسلامية تحدد عددها اللائحة التنفيذية .

٢ — كلية الدراسات العربية .

٣ — كلية المعاملات والإدارة .

٤ — كلية الهندسة والصناعات .

٥ — كلية الزراعة .

٦ — كلية الطب :

ويجوز إنشاء كليات أخرى أو معاهد عالية بقرار من رئيس الجمهورية .

وتتكون كل كلية من عدد من الأقسام العملية يتولى كل قسم منها تدريس المواد التى تدخل فى اختصاصه ويقوم على بحوثها فى الكلية أو فى غيرها من كليات الجامعة ومعاهدها وتعين هذه الأقسام بقرار من الوزير المختص .

ولا يجوز أن تتكرر الأقسام المتماثلة فى كليات الجامعة

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون الأقسام التى تتبع كل كلية من هذه الكليات

وأنواع الدراسات بها والدرجات العلمية التى تمنحها الجامعة من هذه الكليات .

مادة ٣٥ — يجوز أن تنشأ بقرار من الوزير المختص معاهد تابعة للكليات إذا كانت الدراسة فيها تتصل بأكثر من قسم من الأقسام ، وتسرى على هذه المعاهد الأحكام الخاصة بأقسام الكلية .

مادة ٣٦ — يجوز أن تلحق بكليات الجامعة أو بعضها مدارس تعليمية لمواد أو دراسات تتصل بأغراض الأزهر ، مثل مدرسة تجويد القرآن الكريم وتعليم القراءات ، أو أقسام الإرشاد العامة المنشأة لمراجعة حاجات الذين يريدون التزويد من المعارف الدينية والعربية وغيرها من فئات الشعب . ولا تنطبق على هذه المدارس والأقسام شروط الدراسة الجامعية ، وتحدد اللائحة التنفيذية نظام العمل بها .

مادة ٣٧ — اللغة العربية هى لغة التعليم فى جامعة الأزهر ، ما لم يقرر مجلس الجامعة فى أحوال خاصة استعمال لغة أخرى .

مادة ٣٨ — تتساوى فرص القبول للتعليم بالمجان فى كليات الجامعة ومعاهدها المختلفة للطلاب المسلمين من كل جنس وكل بلد ، فى حدود الإمكانيات والميزانية والأعداد المقرر قبولها ، وفقا لما تقضى به اللائحة التنفيذية .

وتنظم الدراسات الخاصة لطلاب البعوث من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ، ليتأهلوا لمتابعة الدراسة فى الكليات والمعاهد مع نظرائهم من الطلاب العرب .

مادة ٣٩ — يتولى إدارة جامعة الأزهر : —

١ — مدير جامعة الأزهر .

٢ — مجلس الجامعه .

مادة ٤٠ — يتولى إدارة كل كلية : —

١ — عميد الكلية .

٢ — مجلس الكلية .

مادة ٤١ — يكون تعيين مدير الجامعة بقرار من رئيس الجمهورية ، بناء على ترشيح الوزير المختص واقتراح شيخ الأزهر ويشترط فيه أن يكون قد شغل أحد كراسى الأستاذية بجامعة الأزهر أو إحدى الجامعات فى الجمهورية العربيه المتحدة .

مادة ٤٢ — يتولى مدير الجامعه إدارة شئون الجامعه العلمية والإدارية والمالية . وهو الذى يمثلها أمام الهيئات الأخرى ، وهو مسئول عن تنفيذ القوانين واللوائح فى الجامعة وقرارات مجلس الجامعة فى حدود هذه القوانين واللوائح وله فى حالة الإخلال بالنظام أن يقف الدراسة كلها أو بعضها . على أن يعرض قرار الوقف على مجلس الجامعة خلال ثلاثة أيام .

مادة ٤٣ — يقدم مدير الجامعة إلى شيخ الأزهر فى نهاية كل سنة جامعية تقريرا عن شئون التعليم والبحوث العلمية وسائر نواحى النشاط الأخرى بالجامعة .

مادة ٤٤ — يكون لجامعة الأزهر وكيل يعاون المدير فى إدارة شئونها العلمية والإدارية والمالية ، ويقوم مقامه عند غيابه . ويكون تعيين وكيل الجامعة بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص واقتراح مدير الجامعة وموافقة شيخ الأزهر . ويشترط فيه ان يكون قد شغل أحد كراسى الأساتذية بجامعة الأزهر أو بإحدى الجامعات فى الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ٤٥ — يكون للجامعة أمين يعين بقرار من رئيس الجمهورية بناء على عرض الوزير المختص بعد استطلاع رأى مدير الجامعة .

مادة ٤٦ — يدير الأمين العام للجامعة الأعمال المالية والإدارية بالجامعة تحت إشراف مدير الجامعة ووكيلها ، ويكون مسئولا عن تنفيذ القوانين واللوائح فى حدود اختصاصه .

مادة ٤٧ — يتكون مجلس جامعة الأزهر على الوجه الآتى :

مدير الجامعة : وله رياسة المجلس .

وكيل الجامعة .

عمداء الكليات .

ممثل لوزارة التربية والتعليم يختاره الوزير من بين كبار موظفيها .

ثلاثة أعضاء على الأكثر من بين أعضاء مجمع البحوث الإسلامية يرشحهم المجمع ويصدر بتعيينهم قرار من الوزير المختص ، وذلك لمدة سنتين .

ثلاثة أعضاء على الأكثر من ذوى الخبرة فى شئون التعليم الجامعى والشئون العامة المتعلقة به ، يعينون بقرار من الوزير المختص وذلك لمدة سنتين .

مادة ٤٨ — يختص مجلس جامعة الأزهر بالنظر فى الأمور الآتية :

١ - وضع خطط الدراسة .

٢ - وضع النظام العام للدروس والمحاضرات والبحوث والأشغال العلمية وتوزيع الدروس والمحاضرات بالكليات .

٣ - تعيين مدة الدراسة ومدة الامتحان ومدة العطلة .

٤ - شروط قبول الطلاب فى الجامعة ونظام تأديبهم .

٥ - المكافآت والإعانات المالية على اختلاف أنواعها .

٦ - إدارة حركة الامتحانات وتشمل مدة اشتغال الممتحنين ولجان الامتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم .

٧ - منح الدرجات العلمية والشهادات .

٨ - تنظيم الشئون الاجتماعية للطلاب .

٩ - وضع اللوائح الخاصة بالمتاحف والمكتبات ومساكن الطلاب وغيرها من المنشآت الجامعية .

١٠ - تتبع النشاط العلمى للكليات والمعاهد والتنسيق بين الدراسات والبحوث القائمة بها .

١١ - تنظيم البحث العلمى وتوفير الإمكانيات اللازمة له

١٢ - إنشاء كراسى الاستاذية .

١٣ - تعيين أعضاء هيئات التدريس بالجامعة ونقلهم وإيفادهم للمهمات العلمية .

١٤ - ندب أعضاء هيئة التدريس وإعارتهم .

١٥ - إعداد مشروعات الميزانية والحساب الختامى .

١٦ - إقامة أبنية الجامعة وترميمها .

١٧ - منح العالمية الفخرية للجامعة أو إحدى كلياتها بناء على اقتراح مجلسها وبموافقة المجلس الأعلى للأزهر ، ويصدر بذلك قرار من رئيس الجمهورية .

١٨ - إبداء الرأى فيما يتعلق بجميع مسائل التعليم فى درجاته المختلفة .

١٩ - الترخيص لمدير الجامعة فى إجراء التصرفات القانونية .

٢٠ - وقف الدراسة بالكليات ومعاهد الجامعة .

٢١ - الموضوعات التى يحيلها عليه الوزير المختص أو شيخ الأزهر .

٢٢ - الموضوعات الأخرى التى تتصل باختصاص الجامعة وفقا لهذا القانون .

يؤلف مجلس الجامعة من بين أعضائه ومن غيره من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين لجانا فنية دائمة أو مؤقتة لبحث الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه .

مادة ٤٩ — لمجلس الجامعة أن يلغى القرارات الصادرة من مجالس الكليات أو المعاهد التابعة للجامعة إذا كانت مخالفة للقوانين واللوائح أو القرارات التنظيمية التى تعمل بها الجامعة .

مادة ٥٠ — لا تنفذ قرارات مجلس الجامعة فيما يحتاج تنفيذه فى هذا القانون أو فى اللائحة التنفيذية إلى تصديق من شيخ الأزهر أو من الوزير المختص إلا بعد صدور قرار التصديق . فإذا لم يصدر قرار فى شأنها خلال الستين يوما التالية لتاريخ وصولها مستوفاة إلى مكتبه تكون نافذة .

مادة ٥١ — يعين الوزير المختص عميد الكلية من بين أساتذة الكلية بناء على ترشيح مدير الجامعة وموافقة شيخ الأزهر ويكون العميد مسئولا عن تنفيذ القوانين واللوائح الجامعية ، وكذلك عن تنفيذ قرارات مجلس الكلية ومجلس الجامعة ، فى حدود هذه القوانين

واللوائح، ويقدم العميد إلى مدير الجامعة فى كل سنة جامعية تقريراً عن شئون التعليم والبحوث العلمية وسائر نواحى النشاط بالكلية .

مادة ٥٢ — يكون لكل كلية وكيل يعاون العميد فى أعماله ويقوم مقامه عند غيابه ، ويكون تعيينه من بين أساتذة الكلية بترشيح من العميد وقرار من مجلس الجامعة

مادة ٥٣ — يكون تعيين كل من العميد والوكيل لمدة سنتين .

مادة ٥٤ — يؤلف مجلس الكلية من :

عميد الكلية .

رؤساء الأقسام بالكلية .

أحد الأساتذة من كل قسم .

وللوزير المختص بناء على اقتراح الجامعة أن يضم إلى مجلس الكليه عضوا أو عضوين من الخارج ممن لهم دراية خاصه فى المواد التى تدرس فى الكلية ، ويكون التعيين لمدة سنتين .

وتكون رياسة المجلس لعميد الكلية وعند غيابه للوكيل .

ويشترك رؤساء الأقسام التى تقوم بأعباء التدريس بكلية غير الكلية التابعة لها فى مجلس هذه الكلية عند النظر فى المسائل الداخلة فى اختصاص أقسامها .

مادة ٥٥ — يختص مجلس الكلية بالنظر فى الأمور الآتية :

١ — وضع القواعد المتعلقة بمواظبة الطلاب ونظام الدروس والمحاضرات والأعمال الجامعية الأخرى .

٢ — وضع مناهج الدراسة وبرامجها والتنسيق بينها فى الأقسام المختلفة وتوزيع الدروس والمحاضرات على أعضاء هيئة التدريس.

٣ — تنظيم البحوث العلمية وتنسيقها بين أقسام الكلية .

٤ — وضع نظام الامتحان وتوزيع أعماله على هيئة الممتحنين .

٥ — تقديم اقتراحاته إلى مجلس الجامعة بخطط الدراسة ومواعيد الامتحان وشروط منح الدرجات العلمية ادبلومات والشهادات.

٦ — رعاية الشئون الاجتماعية والرياضية للطلاب .

٧ — تقديم ما يراه من الاقتراحات إلى مجلس الجامعة فى شأن تيسير التعليم والنظام فى الكلية .

٨ — الأمور الأخرى التى يختص بها وفقاً للقانون .

ويؤلف المجلس من بين أعضائه وغيرهم من أعضاء هيئة التدريس والمتخصصين لجانا فنية دائمة أو مؤقتة لدراسة الموضوعات التى تدخل فى اختصاصه .

مادة ٥٦ — أعضاء هيئة التدريس فى الجامعة هم :

(١) الأساتذة .

(ب) الأساتذة المساعدون .

(ج) المدرسون .

وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون شروط تعيينهم ونقلهم وندبهم وإعارتهم وإجازاتهم العلمية والإجازات الاعتيادية والمرضية وغير ذلك من شئون الوظيفة ، كما تحدد اللائحة واجباتهم والنظم التأديبية الخاصة بهم وجدول مرتباتهم .

مادة ٥٧ — يجوز أن يعين فى هيئة التدريس مسلمون من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة ممن تؤهلهم كفايتهم لذلك لمدة معينة ويكون التعيين بقرار من الوزير المختص بناء على طلب الجامعة .

مادة ٥٨ — يجوز الاستعانة بأساتذة مسلمين من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة بصفة زائرين لمدة معينة ويكون ذلك بقرار من مدير الجامعة بناء على طلب الكلية المختصة .

مادة ٥٩ — يجوز أن يعين مدرسو لغات وموظفون فنيون مسلمون من غير مواطنى الجمهورية العربية المتحدة لمدة معينة ويكون تعيينهم بقرار من مدير الجامعة بناء على طلب الكلية المختصة .

مادة ٦٠ — يجوز أن يعين فى الكلية معيدون يقومون بالدراسات والبحوث العلمية وبما يعهد إليهم القسم المختص من التمرينات والدروس العملية وسواها من الأعمال تحت إشراف أعضاء هيئة التدريس وبالأعمال الأخرى التى يكلفهم بها العميد وتحدد اللائحة التنفيذية شروط تعيينهم .

مادة ٦١ — مرتبات مدير الجامعة ووكيلها وأعضاء هيئة التدريس والمعيدين وقواعد تطبيقها ومكافآت الأساتذة غير المتفرغين يحددها الجدول الملحق باللائحة التنفيذية لهذا القانون .

مادة ٦٢ — مع مراعاة أحكام هذا القانون ولائحته التنفيذية : —

(ا) يطبق مجلس الجامعة دون الرجوع إلى وزارة الخزانة أو ديوان الموظفين اللوائح الخاصة بأعضاء هيئة التدريس، وتكون قراراته فى ذلك نهائية ونافذة .

(ب) يطبق مدير الجامعة دون الرجوع إلى وزارة الخزانة أو ديوان الموظفين القواعد المالية العامة المعمول بها فى حق جميع الموظفين والمستخدمين فى الدولة على المعيدين وعلى سائر الموظفين بالجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس ، إلا أنه فى الحالات التى توجب القوانين إصدار قرار من رئيس الجمهورية يتعين إرسال القرارات إلى الوزير المختص لاتخاذ اللازم فى شأنها .

مادة ٦٣ — للجامعة فى حالة الضرورة التجاوز عن شرط الحصول على شهادة الدراسة

الثانوية العامة أو ما يعادلها عند التعيين فى وظائف مدرسى اللغات إذا كانت لدى المرشح أجازات علمية أخرى تعتبر كافية بالنسبة إلى الوظيفة التى سيعين فيها .

مادة ٦٤ — لمدير الجامعة إعفاء الموظفين من شروط اللياقة الطبية كلها أو بعضها بعد أخذ رأى اللجنة الطبية العامة « القومسيون الطبى العام » .

مادة ٦٥ — تكون الأجازات الاعتيادية السنوية لموظفى الجامعة من غير أعضاء هيئة التدريس فى أثناء العطلة الصيفية فيما عدا المعاهد التى تكون طبيعة العمل فيها مختلفة فتحدد الأجازات فى هذه الحالة بقرار من مدير الجامعة بعد أخذ رأى عميد الكلية المختص .

ويجـــوز منح الموظف أجازة اعتيادية بمرتب كامل لتأدية فريضة الحج وذلك مرة واحدة خلال مدة خدمته .

قانون التوظف :

مادة ٦٦ — فيما عدا أعضاء هيئة التدريس فى كليات الجامعة ، ومع مراعاة أحكام هذا القانون يطبق على الموظفين فى الأزهر بجميع هيئاته القانون رقم ٢١٠ لسنة ١٩٥١ بشأن نظام موظفى الدولة فى الإقليم المصرى والقوانين المعدلة له .

وذلك فيما يختص بتعيينهم وتأديبهم وإنهاء خدمتهم وإجازاتهم وترقياتهم وغـير ذلك من شئونهم الوظيفية ، ويكون للأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر والأمين العام لمجمع البحوث الإسلامية والأمين العام للجامعة ، ولمدير الثقافة والبعوث الإسلامية ولمدير المعاهد الأزهرية سلطة مدير المصلحة بالنسبة للموظفين التابعين لكل منهم ولوكيل الجامعة سلطة وكيل الوزارة بالنسبة للموظفين التابعين له ولمدير الجامعة سلطه الوزير فيما يختص بموظفى الجامعة طبقا لما تحدده اللائحة التنفيذيه .

مادة ٦٧ — إذا نسب إلى أحد أعضاء هيئة التدريس بالجامعة ما يوجب التحقيق معه طلب مدير الجامعة إلى أحد أعضاء هيئة التدريس بإحدى الكليات أو طلب إلى النيابة الإدارية مباشرة التحقيق ويقدم عن التحقيق تقرير إلى مدير الجامعة ، وإلى الوزير المختص إذا طلبه ـ ويحيل مدير الجامعة العضو المحقق معه إلى مجلس التأديب إن رأى محلا لذلك .

مادة ٦٨ — لمدير الجامعة أن يوقف أى عضو من أعضاء هيئة التدريس عن عمـله احتياطياً إذا اقتضت مصلحة التحقيق معه ذلك . ولا يجوز أن تزيد مدة الوقف على ثلاثة أشهر إلا بقرار من المحكمة التـأديبية ويترتب على وقف عضو هيئة للتدريس عن عمله وقف صرف مرتبه ابتـداء من اليوم الذى

أوقف فيه، مالم يقرر مجلس التأديب صرف المرتب كله أو بعضه بصفة مؤقتة إلى أن يقرر عند الفصل فى الدعوى التأديبية ما يتبع فى شأن المرتب عن مدة الوقف سواء بحرمان عضو هيئة التدريس منه أو بصرفه إليه كله أو بعضه.

مادة ٦٩ — يعلن مدير الجامعة عضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب ببيان التهم الموجهة إليه وبصورة من تقرير التحقيق وذلك بكتاب موصى عليه مصحوب بعلم وصول قبل الجلسة المعينة للمحاكمة بعشرين يوما على الأقل.

مادة ٧٠ — لعضو هيئة التدريس المحال إلى مجلس التأديب الاطلاع على التحقيقات التى أجريت وذلك فى الأيام التى يعينها له مدير الجامعة.

مادة ٧١ — تكون محاكمة أعضاء هيئة التدريس بجميع درجاتهم أمام مجلس تأديب يشكل من: —

وكيل الجامعة رئيساً.

مستشار من مجلس الدولة.

أستاذ من إحدى كليات الجامعة يعينه مجلس الجامعة سنويا.

ويحل أقدم العمداء محل وكيل الجامعة عند غيابه.

وتسرى بالنسبة للمحاكمة أحكام القانون رقم ١١٧ لسنة ١٩٥٨ على أن تراعى بالنسبة للتحقيق والإحالة إلى مجلس التأديب أحكام المادة ٧٦ من ذلك القانون.

مادة ٧٢ — العقوبات التأديبية التى يجوز توقيعها على أعضاء هيئة التدريس هى:

١ — الإنذار

٢ — توجيه اللوم

٣ — توجيه اللوم مع تأخير العلاوة المستحقة.

٤ — العزل من الوظيفة مع الاحتفاظ بالمعاش أو المكافأة.

٥ — العزل مع الحرمان من كل أو بعض المعاش أو المكافأة وفقا للقوانين واللوائح المعمول بها فى هذا الشأن.

وكل فعل يزرى بشرف عضو هيئة التدريس أو لا يلائم صفته كعالم مسلم أو يتعارض مع حقائق الإسلام. أو يمس دينه ونزاهته يكون جزاؤه العزل.

مادة ٧٣ — تنقضى الدعوى التأديبية باستقالة عضو هيئة التدريس وقبول مجلس الجامعة لها وموافقة الوزير المختص وذلك فيما عدا الحالات التى نصت عليها القوانين واللوائح الخاصة بالمخالفات المالية ولا تأثير للدعوى التأديبية فى الدعوى الجنائية والدعوى المدنية الناشئتين عن الواقعة ذاتها

مادة ٧٤ — لمدير الجامعة أن يوجه تنبيها إلى أعضاء هيئة التدريس الذين يخلون بواجباتهم أو يتصرفون تصرفا لا يلائم صفتهم كعلماء مسلمين، ويكون التنبيه شفهيا أو كتابياً وله توقيع عقوبتى الإنذار وتوجيه اللوم المنصوص عليهما فى المادة ٧٢، أو يطلب نقلهم إلى وظائف أخرى خارج نطاق الأزهر وذلك كله بعد سماع أقوال عضو هيئة التدريس وتحقيق دفاعه. ويكون قراره فى ذلك مسببا ونهائياً وعلى عميد كل كلية أن يبلغ مدير الجامعة كل ما يقع من أعضاء هيئة التدريس فى كليته من إخلال بواجباتهم أو بمقتضيات وظيفتهم.

مادة ٧٥ — تمنح جامعه الأزهر الدرجات العلمية الآتية وفقاً لأحكام اللائحة التنفيذية:

أولا: درجة الإجازة العالية للكليات، وتعادل الليسانس أو البكالوريوس فى الجامعات الأخرى بالجمهورية العربية المتحدة.

ثانياً: درجة التخصص فى دراسة من الدراسات المقررة فى إحدى الكليات وتعادل درجة الماجستير.

ثالثاً: درجة العالمية فى أى الدراسات الإسلامية أو العربية من إحدى كليات الدراسات الإسلامية والدراسات العربية للحاصلين على الإجازة العالية منهما أو من غيرها من الكليات: وتعادل درجة الدكتوراه.

رابعاً: درجة العالمية أو الدكتوراه فى أى الدراسات العليا من أى الكليات الأخرى.

مادة ٧٦ — تبين اللائحة التنفيذية تفصيل الدرجات العلمية والإجازات التى تمنحها جامعة الأزهر والشروط اللازمة للحصول على كل منها، ويجوز بقرار من رئيس الجمهورية التعديل فى الدرجات العلمية بالإضافة أو بالحذف ويكون ذلك بناء على عرض الوزير المختص وبعد أخذ رأى مجلس الجامعة وموافقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه.

مادة ٧٧ — تبين اللائحة التنفيذية مناهج الدراسة والمقررات التى تدرس لنيل الدرجات العلمية والإجازات والشهادات التى تمنحها جامعة الأزهر كما تبين كيفيه توزيعها على سنى الدراسة وفصولها الدراسية.

ولمجلس الجامعة بناء على طلب الكلية أو المعهد وموافقة المجلس الأعلى للأزهر فيما يخصه أن يعدل فى هذه المناهج والمقررات بالإضافة أو بالحذف إذا اقتضت مصلحة التعليم ذلك.

مادة ٧٨ — تنظم اللائحة التنفيذية الامتحانات، ولا تمنح الدرجات العلمية أو الأجازات العالية أو الشهادات إلا من نجح فى جميع الامتحانات المقررة لكل منها:

مادة ٧٩ — يشترط لنجاح الطالب فى الإمتحانات أن ترضى لجنة الامتحانات عن فهمه وتحصيله فى كل مقررات الدراسة، وذلك وفقا لأحكام اللائحة التنفيذية.

مادة ٨٠ — لمجلس الجامعة بناء على طلب مجلس الكلية أو المعهد أن يعفى طالب الاجازة العالية من المقررات الدراسية كلها أو بعضها عدا مقررات السنة النهائية ، إذا ثبت أنه حضر مقررات دراسية تعادلها فى كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة .

وللمجلس أن يعفيه كذلك من امتحانات النقل كلها أو بعضها إذا ثبت أنه أدى بنجاح امتحانات تعادلها فى كلية أو معهد عال معترف بهما من الجامعة .

وللمجلس أن يعفى طالب الدراسات العليا من بعض المقررات الدراسية ومن امتحاناتها إذا ثبت أنه حضر مقررات مماثلة فى كلية جامعية أو معهد عال معترف بهما أو أدى بنجاح الامتحانات المقررة .

مادة ٨١ — يشترط فى قيد الطالب للتحضير لدرجة التخصص أو لدرجة العالمية أن يحصل على إذن من مجلس الكلية فى متابعة الدراسات والبحوث الخاصة بالدرجة .

مادة ٨٢ — يشترط فى رسالة العالمية : « الدكتوراه » أن تكون عملا ذا قيمة علمية يشهد للطالب بكفايته الشخصية فى بحوثه ودراساته ويأتى للعلم بفائدة محققة .

ويشترك مجمع البحوث الإسلامية فى الموضوعات التى تتصل باختصاصه .

الباب الخامس

المعاهد الأزهرية

مادة ٨٣ — تلحق بالأزهر المعاهد الأزهرية المذكورة فى اللائحة التنفيذية ، ويجوز أن تنشأ معاهد أخرى بقرار من الوزير المختص بعد موافقة المجلس الأعلى للأزهر .

وتسمى الأقسام الابتدائية منها المعاهد الاعدادية للأزهر وتسمى الأقسام الثانوية المعاهد الثانوية للأزهر .

مادة ٨٤ — تقوم مدارس تحفيظ القرآن مقام مدارس المرحلة الأولى بالنسبة للطلاب المتقدمين إلى المعاهد الإعدادية للأزهر .

وتحدد اللائحة التنفيذية نظام القبول وشروطه بالنسبة للمتقدمين من تلاميذ هذه المدارس ومن غيرها .

مادة ٨٥ — الغرض من المعاهد الأزهرية الملحقة بالأزهر تزويد تلاميذها بالقدر الكافى من الثقافة الإسلامية ، وإلى جانبها المعارف والخبرات التى يتزود بها نظراؤهم فى المدارس الأخرى المماثلة ليخرجوا إلى الحياة مزودين بوسائلها وإعدادهم الإعداد الكامل للدخول فى كليات جامعة الأزهر ولتهيأ لهم جميعا فرص متكافئة فى مجال العمل والإنتاج ، كما تتهيأ لهم الفرص المتكافأة للدخول فى كليات الجامعات الأخرى فى الجمهورية العربية المتحدة وسائر الكليات ومعاهد التعليم العالى .

مادة ٨٦ — مدة الدراسة فى المعاهد الاعدادية للأزهر أربع سنوات ، يعد فيها

التلميذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين واللغة الحصول على الشهادة الاعدادية العامة أو الفنية .

مادة ٨٧ — مدة الدراسة فى المعاهد الثانوية فى الأزهر خمس سنوات يعد فيها التلميذ إلى جانب ما يحصل من علوم الدين واللغة للحصول على الشهادة الثانوية العامة بأحد قسميها العلمى والأدبى ، أو للحصول على الشهادة الثانوية الفنية بأحد أنواعها الصناعى والتجارى والزراعى وغيرها .

ويجوز أن تعدل مدة الدراسة فى الأقسام الثانوية الفنية بالزيادة أو بالنقص بقرار من رئيس الجمهورية .

مادة ٨٨ — للحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر حق الدخول فى المعاهد الثانوية للأزهر ولهم إلى جانب ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى المدارس الأخرى التى تجعل الشهادة الإعدادية شرطا للقبول .

وتحدد وزارة التربية والتعليم مدى التجاوز عن شرط السن بالنسبة لهؤلاء التلاميذ على أن يوضح ذلك فى اللائحة التنفيذية كما يجوز للحاصلين على الشهادة الإعدادية من المدارس الإعدادية العامة أن يطلبوا الالتحاق بالمعاهد الثانوية بالأزهر بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الإعدادية من المعاهد الإعدادية للأزهر .

مادة ٨٩ — للحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر حق الدخول فى إحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها وفق قواعد القبول التى يقررها مجلس الجامعة ، ولهم إلى ذلك فرص متكافئة مع نظرائهم للتقدم إلى الكليات المختلفة فى الجامعات الأخرى ، وإلى سائر الكليات ومعاهد التعليم العالى وفقا للقواعد المقررة لذلك . كما يجوز للحاصلين على الشهادة العامة من المدارس الثانوية العامة أن يطلبوا الالتحاق بإحدى كليات جامعة الأزهر ومعاهدها بعد النجاح فى امتحان يحقق التعادل بينهم وبين الحاصلين على الشهادة الثانوية من المعاهد الثانوية للأزهر .

مادة ٩٠ — مع مراعاة أحكام المواد ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٨٩ من هذا القانون تحدد اللائحة التنفيذية المواد التى تدرس فى كل من المعاهد الإعدادية والثانوية للأزهر بناء على اقتراح لجنة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم . كما تحدد اللائحة التنفيذية شروط القبول والنظام العام للدراسة والامتحانات فى هذه المعاهد .

مادة ٩١ — يكون للمعاهد الأزهرية إدارة عامة مهمتها الإشراف والإدارة وعلى وزارة التربية والتعليم تقديم المعونة اللازمة فى هذا الشأن مع الاستعانة بالأجهزة المختصة بوزارة التربية والتعليم . وتحدد اللائحة التنفيذية لهذا

القانون مهمة هذه الإدارة ونظام العمل بها واختصاصات مديرها وموظفيها ووسائل التعاون بينها وبين وزارة التربية والتعليم .

مادة ٩٢ — تشكل لجنة من الأزهر ووزارة التربية والتعليم لوضع المناهج وتخطيط المواد الدراسية فى المعاهد الأزهرية وفقا لأحكام هذا القانون وتحدد اللائحة التنفيذية نظام العمل فى هذه اللجنة .

مادة ٩٣ — تجرى الإدارة العامة للمعاهد الأزهرية بالاشتراك مع وزارة التربية والتعليم امتحانات الشهادات الإعـــدادية والثانوية بأنواعها المختلفة فى المعاهد الأزهرية .

الباب السادس

فى الأحكام الانتقالية

مادة ٩٤ — إلى أن يتم تنفيذ هذا القانون ويتعادل خريجو الأقسام الابتدائية والثانوية بالمعاهد الأزهرية مع نظرائهم من خريجى المدارس الإعـــدادية والثانوية تنظم دراسات إضافية للتلاميذ المقيدين فى هذه الأقسام حين صدور هذا القانون لتأهيلهم لدخول امتحانات معادلة للشهادة الإعـدادية بالنسبة لتلاميذ الأقسام الابتدائية للمعاهد الأزهرية وللشهادة الثانوية العـامة أو الفنية بالنسبة لتلاميذ الأقسام الثانوية لهذه المعاهد.

وعلى وزارة التربية والتعليم أن تعاون فى تنظيم هذه الدراسات وأن تعد العدة لعمل امتحانات المعادلة المشار إليها فى ختام العام الدراسى ١٩٦١/١٩٦٢ .

ومع ذلك فإن من حق كل حاصل على إحدى الشهادتين الابتدائية أو الثانوية من هـذه الأقسام دخـــول امتحانات المعادلة المشار إليها وفقا للنظام الذى تحدده اللائحة التنفيذية وينتهى العمل بهذا النظام بانتهاء العام الدراسى ١٩٦٥ / ١٩٦٦ .

مادة ٩٥ — يستمر قبول التلاميذ الحاصلين على الشهادة الابتدائية من الأقسام الابتدائية فى المعاهد الأزهرية هـذا العام فى الأقسام الثانوية بهذه المعاهد وفقا للنظام الذى تحدده اللائحة التنفيذية وتعدل مناهج الدراسة بالنسبة لهؤلاء التلاميذ ، وللتلاميذ المعيدين بالسنة الأولى بالأقسام الثانوية على الوجـه الذى يحقق التعادل فى آخر المرحلة .

مادة ٩٦ — ابتداء من العام الدراسى ١٩٦٢ / ١٩٦٣ وإلى ابتداء العـام الدراسى ١٩٦٦ / ١٩٦٧ يكون للتلاميذ الحاصلين على معادلة الشهادة الإعدادية أو معادلة الشهادة الثانوية المشار إليهما فى المـادتين السابقتين كل الحقوق المقررة للحاصلين على الشهادة الإعدادية أو الشهادة الثانوية سواء فى القبول بالمدارس والكليات الجامعية ومعاهد التعليم

العالى ، أو فى غير ذلك من الحقوق المقررة باللوائح والقوانين والقرارات ، مع التجاوز عن شرط السن إلى سنتين بالنسبة للحاصلين على معادلة الإعدادية وإلى ثلاث سنوات بالنسبة للحاصلين على معادلة الثانوية أو طبقا لما تحدد اللائحة التنفيذية .

مادة ٩٧ — الطلاب المقيدون فى كليات الأزهر الحالية ، والذين ينتظر قيدهم فى أول الموسم الدراسى ١٩٦١/١٩٦٢ ، تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون النظام الذى يتبع للملاءمة بين وضعهم وبين مقتضيات تطبيق هذا القانون .

ومع ذلك فإنه يجوز أن تزاد سنو الدراسة بالنسبة للطلاب المقيدين حاليا فى كليات الأزهر سنة أو سنتين بصفة مؤقتة لتحقيق هذه الملاءمة .

كما يجوز للحاصلين على الشهادة العالية من كليات الأزهر الحالية أن ينتظموا فى دراسات عليا فى جامعة الأزهر الجديدة للحصول على درجة التخصص أو العالمية ، وللذين يحصلون منهم على إحدى هاتين الدرجتين أو كلتيهما مثل الحقوق المخولة للحاصلين عليهما أو على الماجستير أو الدكتوراه من جامعات الجمهورية العربية المتحدة .

مادة ٩٨ — يحتفظ للعلماء الموظفين الآن وللمدرسين فى أقسام الأزهر المختلفة وفى المعاهد الأزهرية وأعضاء هيئات التدريس فى كليات الأزهر الحالية وأعضاء جماعة كبار العلماء ، كما يحتفظ بأصحاب الحقوق من أولاد العلماء وللطلاب فى الكليات والمعاهد الأزهرية والأقسام العامة بكل الحقوق المالية المقررة لهم قبل صدور هذا القانون سواء فى المرتبات أو فى المعاشات أو فى الأوقاف أو فى مدة الخدمة بالنسبة للموظفين ، أو غير ذلك . على أن تتضمن اللائحة التنفيذية لهذا القانون تحديد كل ما يتعلق بهذه الحقوق بالنسبة للذين يعينون فى الوظائف أو يلتحقون بأقسام الدراسة المختلفة مستقبلا .

مادة ٩٩ — تحدد اللائحة التنفيذية لهذا القانون المسائل الآتية وغيرها مما وردت الإشارة اليه فى هذا القانون :

١ — اختصاصات شيخ الأزهر، ووكيل الأزهر ، ومدير جامعة الأزهر ، ووكيل جامعة الأزهر ، وعمداء الكليات ، والأمين العام للمجلس الأعلى للأزهر ، والأمين العام للجامعة ، ومدير الثقافة والبعوث الإسلامية ، ومدير المعاهد الأزهرية ، والمجالس المختلفة ، وذلك فى الحدود المبينة فى هذا القانون .

٢ — جدول المرتبات والمكافآت لشيخ الأزهر ووكيل الأزهر وأعضاء المجلس الأعلى للأزهر وأعضاء مجمع البحوث الإسلامية .

٣ — كيفية إدارة أموال جامعة الأزهر .

٤ — شروط قبول الطلاب فى الجامعة .

٥ — نظام تأديب الطلاب .

٦ — كل مايتعلق بالمنح والمكافآت والإعانة الخاصة بالطلاب .

٧ — مناهج الدراسة .

٨ — مدة الدراسة ومدة الامتحان ومدة العطلة .

٩ — الدرجات العلمية والشهادات التى تمنحها الجامعة وشروط كل منها .

١٠ — القواعد العامة للامتحان .

١١ — مدة اشتغال الممتحنين ولجان الامتحان ومقدار مكافآتهم وكيفية تعيينهم وواجباتهم .

١٢ — الانتداب للتدريس .

١٣ — تحديد المكافآت المالية والمنح لأعضاء هيئة التدريس والمعيدين .

١٤ — نظام تعيين أعضاء هيئة التدريس والمعيدين وجدول المرتبات والمكافآت فى الجامعة .

١٥ — قواعد الشئون الاجتماعية والرياضية للطلاب .

١٦ — القواعد العامة لتنظيم الدراسى والإدارى فى المعاهد الأزهرية الملحقة وذلك فى الحدود المبينة فى هذا القانون .

مادة ١٠٠ — تصدر اللائحة التنفيذية لهذا القانون فى مدى أربعة أشهر من تاريخ صدوره ، ويعمل بها من تاريخ صدورها . وللوزير المختص إصدار مايراه من قرارات تنظيمية أو تكميلية مؤقتة تتعلق بشئون الأزهر وهيئاته بما لا يتعارض مع نصوص هذا القانون وذلك خلال الفترة التى تعد فيها اللائحة التنفيذية لحين صدورها .

مادة ١٠١ — ينشر هذا القانون فى الجريدة الرسمية ويعمل به من تاريخ نشره يبصم هذا القانون بخاتم الدولة وينفذ كقانون من قوانينها .

order to enter into a controversey with him. And sometimes, he directs his attacks against Arab Nationalism, and this confirms our views that the writer desires our advanced Arab caravan to halt. And sometimes, we notice him doing his utmost to attack the personality of presedent Nassir, He accuses him with individuality, or the dictatorship to break our confid-ence in our leader, hoping that this will bring him out of his hateful disease.

On a complete reading of the book, we are inevitably led to the conclusion that the primary motive of the author of this book was not to serve the cause of education as he purports to do but was surrepti-tious means to achieve the cause of Imperialism and the Imperialists. This is further evidenced by certain characteristics of the author himself such as :

1 — The hatred towards Islam by the author Mr. Raymond Chorlie.

2 — His hatred towards the Arabs.

3 — His enmity towards the Arab leader Gamal Abd El-Nassir.

On a careful Scruting of this book one is led to conclude that it has no relation either to science or religion. It is nothing but a plan envisaged by the colonialists and imperialists to draw one to a futile debate and argument through this writer. Indeed, the above mentioned chacastaristics of the author are manifest throughout his book and abounds with lies and prejudices.

In my poinion, the cecond hypo-thesis is borne out by the authors Statements. Surely, we must consi-der that the imperialists have endea-voured to the best of their abilities to destroy what has been construc-ted by the occupied countries through interference in their affairs which they consider their avowed duty and according to their speech as a matter of right.

Hence, it is not astonishing to find a situation when the imperialists divert the rivers of those countries where Dams and irrigation projects are under construction, It is no less a surprise also to see them influence the thoughts of those peoples to veer them in support of their policies.

Upon a consideration of all these facts, we are led to conclude that this book was primarly intended to distract the attention of Muslim authors who devoted themselves to spot light the current problems facing Muslim countries. It was intended to dissuade them from expressing their feelings and opinion and on the contrary to compel them to write and to listen to the dictates of London, Paris and washington just as Mr. Raimond Charlie has been influen-ced to direct the thoughts of the Muslim peoples to serve the cause of imperialists and for the benefits of imperialism.

the Muslim Society. They paid full attention to the stationary aspict, while ignoring the active one in their considiration. As a result, this leads to a bad out look with regard to the islamic world in one of its two aspects : either. because he cannot conquer the laziness, or because he cannot adjust the wrong direction.

The writer personal comparison:

If we suppose that the book contains teachings, we shall know that the fault has arisen not from out, but from itself.

As a matter of fact, Mr. Raimond Charlie does not write according to the freedom of thought and the dictation of the heart, as it is the duty of the writer who devotes his life and struggle for the service of science and fact.

Therefore, he compells us to doubt his scientifical ability and spirit, in spite of what is written in his book of the various knowledges. Consequently, we find that he contradicts himself in many parts of his book.

As for example :

He refers to in page 8. that Islam is the sol religion whose followers enhance daily in our present time. And at the same time, he states in page 79. that the religion of Mohamad is the only one threatened by the wave of secularity which is sweeping the world in our present time.

From this, we conclude that the writer either contradicts without paying any attention to it, or creates immaginative contradictions. For instance, he tries in the page 38. to show the reader his mistakes with regard to the spirit of Islam which means that God is over his creatures, and at the same time considers Him with them. Indeed, Mr. Charlie does not understand that the Muslims consider God over everything, and at the same time, believe that He is nearer to them than the vein of throat.

This shows that the writer has gone astray, and as a result, he compels us to ignore his views in view of his contradictions. He makes us feel that Science is not — merely— knowledges written in a book.

The second hypothesis :

If we consider that the book contains teachings, then it is indeed a misconception. Surely, we consider Mr. Charlie the man who sacrifices his conscience and his scicntifical honesty for the benefits of the imperialists. His aim is to distruct our attention from the field of construction to the square of debate and contradiction.

Sometimes, we notice throughout his writings that he criticizes Islam by a method wherely we can conclude that he is baiting us ni

Under these circumstances, we shall ask : Do the book of Mr. Raimond Charlie of any benefit to us ? I am sorry, if my answer is in the negative. Whether we appreciate it or not, I am quite sure that it has no benefits to us, and I think, it will not be of any benefit to the others as well.

The first hypothesis :

If we suppose that the book is for studying, we must admit that it contains the following three defects :

1 — The title.

2 — The method of treatment in the book.

3 — The personal Comparison of the writer throughout the book.

The wrong title :

As regards the title, the writer has repleced the term " Islamic Society " which is the Subject of his book, with the word " Islam ".

Our criticism will be futile, if this error, is merely a literal mistake. Nevertheless, it means that the writer, by using his special term, is following the footsteps of other European writers. The term leads them to an insensate change of the Subject, and this in turn leads to the mental confusion between the Islamic Social facts which are subject to rise and decline according to certain time factors, and the other facts of Islam which are unexposed to the evolution as we understand it.

This confusion leads us to judge religion by the crimes which are committed by its followers, or rather, to judge the virtues of the creator, by the misdeeds of the creature.

The Qur'an affords the right Solution in the holy verse "Whatever good (a man) Happens to thee is from they (own) Soul ".

The wrong method of treatment in the book :

Since the 19 th Century, in Spite of their culture which had accepted the evolution principle, either in physics Since the time of Darwen, or in Social and economical Sciences Since the time of Brodon, The European writers who Studied the Islamic Sciences, refused to apply the evolution of principles in their studies.

In this respect, we notice that the writers, like Mr. Raimond charlie Study the present Social Conditions of Islamic Society, not in the context of its historical evolution, but as a permanent condition which the Muslim Society, not only can not get rid of but is also destined to live it. This gives us a clear idea about the European writers and their misconceptions of Islam and Muslims. They believe in the evolution theory, but do not apply it in their studies of

THE EVOLUTION OF ISLAM

By

RAIMOND CHARLIE

CRITICISM AND COMMENTARY

BY

Prof. Malik Ben Nabi

Contents :

Part (a) The traditional Islamic Society.

1 — Man and Woman.

2 — Society and its regulations.

(b) The reformers and Modernists in Islam.

(c) Islamic Nationalism.

(d) The present evolution in the Society and Islamic regulations.

1 — The political evolution.
2 — The economical evolution.

3 — The Social evolution.

4 — The evolution of the law.

5 — The Cultural evolution.

6 — The evolution of the Waman.

(e) The evolution of present Morocco and Algiers.

(f) The factors of Islamic Rise.

(g) The future.

(h) Islam and Communism.

The general base :

We shall have misunderstood, if we consider that what the Orientalists wrote about Islam was to preach the Islamic virtues among their European Citizens.

As a matter of fact, the Orientalist who writes about Islam and Muslims, is urged by many motives which sometimes are of noble purpose, such as the profession urges the professor — as Gibb — to write, or the intellectual tendencies urge one to write merely as a scholar, as it is done by (FLOFAL).

The works of this scholar or that professor, sometimes benefits the Muslims. This is because one of them — whatever was his aim — enlightened some points that had an effect on Islamic society, while the other devoted his life to explain the words of the holy Qur'an to place within the hands of unmemorizer be that Muslim or non-Muslim.

connection Aisha, the prodhet's wife said "Your prophet has repudiated from those who divise the religion and wage was against each other ', and then she recited His glorious aaying " Those who splitted their religion and bacame sects, they will be judged by God who will tell them of what They have already done.

The ten commandments in the Koranic chapter of the cattles include a verse which says : Surely this is my straight path follow it and do not follow their pathes for they will lead you away from Him. Thus Allah exhorts you so that you may guard yourselves against evil the Muslim scholars Ahmed and El Nasaiy related that the prophet drew a straight line and said this is the straight path then he drew several other lines on both sides of the first one and said : "and those are all the ways of Satan who do his best in order that they may be followed then he recited the verse : "Surely this is my straight path follow it and do not follow their pathes for they will lead you away from Him" and the verse "do not be as those who disunited and disagreed among themselves after the revelation of our signs to them".

The Koran has taken great care of warning the nation against the disunity and the dissension because they are fatal evils that lead nations to an utter decay.

Then after we have given a summary of the bad effects of innovation let us hope that it will serve to prevent the innovators from innovating and urge them to recognize the genuine Prophetic way and follow them strictly.

May God lead us to the straight path.

---

and it happend that it was contradicted by three parties: the disbeliever contradicted it by denying it, its consealer contradicted it by his concealment and the innovator contradicted it by introducing the meanse to leave what God clarified and to conceal what He explained.

As for what be fall the innovator's followers it is their deprivation from recompense because they worshipped God by the innovations that he did not sanction or permit and because they postponed the prophetic traditions (ways) by their adoption of innovations the matter which made them participate in the complete disappearance of the religion. They will be severly punished for that as relates the verse " When they face their punishment the leaders will disown their followers, and the bonds which now unite them will break asunder. Those who followed them will say " could we but live again we would disown them as they have now disown us. Thus Allah will make them see their own deeds with remorse but they Shall never come out of the Hell „ and the verse " On the day when their heads will roll in Hell they shall say would that we obeyed Allah and the Apostle, and they shall say Lord, we obeyed our masters and our great ones but they lead us away from the right path. Lord let their punishment be doubled, lay on them a mighty curse ". As for what be fall the religion itself because of innavotion, it is the ambiguity of many of its precepts and tenets and the distortion of its beauty. The occurring ambiguity leads to the desertion of the relgions and the distortion in its turn baves the way to its coutempt and neglection. This is clearly manifested in the innovation of the Sufi orders and the others that exhibit the religion in away imconsistent with its beauty and solimnity. Innovations may repeatedly propagate, substitute for, the religion and bacome the follwed religion. The more innovations prevail the more the religions fade away and this is how the previous religions have disappeared and how their followers were parverted from them. Therefore the Koran rebuked those who change the meaning of this words and conceal many of this precedts.

As for what befall the nation through which innovations dominate enemity and hatred will be instilled in the hearts of its people, because the followers of the innovations will do their best to plead them while the defenders of the prophetic way will guard it and present it purely and explicitly the mather which results in the division of the nation into parties and sects. The conflict between those sects may be so tense that they may excommunicate and kill each other. In this

them altogether. It was related that Hodhayfa (may God be pleased with him) had taken two stones and put the one on the other and said "do you see any light between these two stones ?" they answered "O son of Abd Allah we do not see between then but a trifle gleam of light" then he said "upon the name of my Lord who held my soul in his hand innovations will exist so densely that one will not be able to see of the truth except such slight traces" It was also related that the son of Abbas said : "As ysars pass on people shall add innovations and desert the prophetic tradition (way) till come a time when innovation reachs a comperhensive prevalence while the prophetic trditions are domed to an utter absence.

There existed genuine traditions that charge the innovatore of the complete responspility of his innovation and declare his deprivation of any reward for it. It was related that yahya son of yahya mentioned the hieghts (in the hereafter) and its people and said "they are poeple who aimed at some sort of good but missed" then it was said to him : "O father of Mohamed may it be hoped that their endeavour will be rewarded ?" he said "There will be no reward for the deviation from the prophetic tradition (way) and this is self-evident because no one could reach God's pleasure except by doing his religious obligations and enjoinments as they were prescribed. There will be no gurrdon beyond these. There also existed genuine tradition that states the innovator's deprivation from the intercession of the prophet in the day of judgement. In this concern the prophet said "the culbable and who soever defend him are accursed by God, the Angels and the whole people. El-shatby said "The innovator will share the curse with the apostate. He has no excuse so far as he acknowledged the truthfulness of the prohet and the comperhenssive explanation of God's revelalion God said in this relation :"How God guide a people who apostated after they have acknowledged Mohamd's message . . . etc until his saying" theose are accursed by God, the Angels and the whole people.

The innovator is also like this who consealed what God had revealed and clrafied in his Book as is shown by the verse :"Those who conceal God's revelation in the book are to be accursed by God, the Angels an the whole people Conceive the subject of similarity between the innovator and the two mentioned parties, that is the contradiction with the devine legislator in the Book what He revealed and in the laws what He legislated. This is so because God clarified His religion to its followers

of deviation error and foolishness so accept what the knowing and pious had accepted before".

If the innovator sees that his innovations are for the good of the people in their religion he should be greiviously sorry for himself because of his attitude towards the innovations of whice error the devine legislator was completely aware if innovation emplies this bad position in the two points of consideration namely,the usurpation of the right of legislation and, the assumption of the position of those who attripute infirmity and unperfectness to the religion. It leads people to believe in what is alien to religion and this is the deceiving confusion that duped many of the people of the scriptures and pervert them with many others from the way of guidance and wisedom in this connection the Koran adressed them saying "O people of the book ! Why do you confound the truth with the false and knowingly hide the truth ?" and "Some wrangle obout Allah though they have neither knowledge nor guidance nor devine revelation. They turn their backs in scorn and lead others astray from Allah's path. Such men shall incure disgrace in this life and taste the torement of Hell on the day of resurrection. "This" we shall say, "is the reward of your misdeeds. Allah is not unjust to his servants.

From this the innovator was both an errant who is responsiple for his own deed and a deceiver who is charged with the deeds of the followers of his innovation. In this aspect God said "Let them carry all their sins and a lot of the sins of those whom they dupe unknowingly" and the geunine tradition said "Who soever introduce a bad way is to be responsiple for its bad effects and for the sins of those who adopt it " Another tradition referred also to this saying " Whenever a soul is killed Man is responsiple for it because he was the first who commits this crime " This tradition bear a clear evidence that who legislate what displease God and his messenger is like the first Man in shouldering the responsipility of Killing the soul wrongly because the denunciation of killing is not only due to itsharmful nature but due to that it is also a bad action that disleapses God and does not consist with the prophetic way. If the innovator did not perceive the bad effeets caused to the religion by his innovation, he would not have failed to recognize that he contributed to the killing of the prophetic traditions (ways) because it has been stated that the avoidance of innovaton is enjoined by the prophetic tradition (way) This is so because it is impossible to carry out

assigned only to God no matter whether it was aimed at by the innovator or not.

The Arab infidels had committed this usurpation as well as the scholars and monks of the people of the scriptures. They all were denouned by the Koran that related to us some of what the infidels had legislated saying in the chapter of cuttle "They say : These animals and these crops are forbidden none may eat of them save those whom we permit; so they assetr. And there are other beasts which they probibit men from riding, and there are others over which they do not pronounce the name of Allah, thus committing a sin against Him. Allah will punish them for their invented lies· They also say the offspring of these beasts is lawful to our males but not to our females, But if it is still-born they all partake of it Allah will punish them for what they impute to Him he is wise and all-knowing" and in the chapter of bees "Do not falsely declare" This is lawful and, this is forbidden in order to invent falsehood about Allah. Those who invent falsehood about Allah shall never prosper" In the enterpretation of the verse "They adopt their scholars and preists gods other than Allah" it was said that they did not adore them but see their opinion so they conferred upon them the devine right of legislation.

No doubt the behaviour of the innvator in legalizing and illegalazing what he pleases without any proof, and in urgiug people to accept his innovations is the same as the behaviour of those who usurp God,s right of legislation. The innovator in this field is considered a usarper of the right of legislation assigned only to God. In this respect he poses himself in the position of that who assume either that the devotions revealed by God in order to enable his servants to approach Him are defficient and try to do away with this defficiency or that Mohamed peace be upon him has betrayed the mission of which he concealed some that would enable its adherents to approach the pleasure of their God. The leading scholar Malik has said in this regard : "Whosever invent a hertic in Islam is assuming that Mohamed petrayed the mission because Allah says : "This day I have perfected your religion for you" and that what was not a religion in that time is not also a religion to day.

Omar son of Abd El Aziz said in this letter to Adey son of Artah : "Follo the way of the prophet because it was adopted by those who knew what is emplied in its avoidance

As for the second cause of the propagation of innovation. namely the laxity of the scholars in explaining the Muslim jurisprudence. It is the resposibility of the scholars who gave their covenant to God to fulfil it, to explain to people what was revealed for them but they committed the guilty of leaving it unaccomplished.

The majority of the scholars neglected for a long time their religious duty upon which relies the maintainence of the religion clear from deformation. They neglected their duty either because of their incabability and fear of the majority's discontent or because of their indifference of the anonymous duty. They, in behaving so, follwed the saying : leave creature to their creator.) Their neglection may be attriputed also either to their heedlessness or their knowing that this duty was anonymously imposed duty which is characterized by the fact that if it is fulfilled by some the others will be relieved from it its obligation.

When the scholars were silent and when the people were accustomed to the scholars' silence and headlessness concerning whatever people do. People thought that what they do is the religion and it was difficult to drive them away from what they were accustomed to, to the right that they had deserted.

God has warned the scholars against trifling the explaination and neglecting the enjoinment of good and the prohibition of evil so enough to urge them to strive against the innovation wherever it existed and to do their best to defend their religion against the tempests of whims.

Let us hope that we will find in this artcle what drow our attention to our duty and rescue us from the woes that have befallen us.

The second chapter
The bad effects of innovation

If the bad effects of innovation do not affect persons other than the innovator its matter would be trifle and its losses could be tolerated.But the bad effects of innovation have amongst them that which affect the innovator and his followers, that which affect the religion and that which affect the nation through which prevails the innovation. The sort that affect the innovator is the usurpation of the right of legislation which is confined to God only, because the innovator assume that people are obliged to follow a certain innovation so he plead it and urge its application. In this aspect he put himself in the position of the devine legislator and this is a usurpation of a right

are not to permit ourselves to consider the tradition and leave the devotions and ways of devotions we are accustomed to.

This viewpoint propagated among people and made them follow the heretics and desert the way of the prophet. The innovators justify their behavior by repeating a famous quotation forged by the innovators themoelues so as to propagate their heretics this quotaiion says " This who imitate a scholar meet his God safe ". They forgot that imitaion is only allowed on condition that it should search for truth and be modified according to the trnth when it proved to be wrong. They also forgot that all the leading scholars warned their followers against the attachment to their opinion when there is a genuine opposing tradition. They also missed that this conduct was denounced by God in the holy Koran when He rebuked those who made it a religious principle to follow their fathers and ancestors and to reject the proofs of the mission.

This rebuked conduct is represented in the verse, " we have found our fathers following a faith and we are following their foot steps". They missed also that the adherence to the opinion of the scholars to such an extent is a sort of believing in a god other than Allah. This is the behaviour of the followers of scholars and monks as the verse says, " Tkey made their scholars and monks their Gods other than Allah". In this connection the followers of innovation missed that the consensus of opinions included in the sources of legislation must be followed.

Many people think that the actions of the majority especially if they were, followed throughout the successive gnerations, propagated among the different classes and prevailed in mosques, communities and scholars clubs, are a form of the consensus of our Muslim nation. And since it has been said that Muslim nation does not accept to follow an errant action these people said that what is acceted by the masses of people is not to be rejected even if there are contradicting proofs. However, this is a misunderstanding of what is meant by the consensus of opinion. Owing to this misunderstanding they adhered firmly not only to innovation but also to what are forbidden on the assumption that these are acceptable matters at have been sanctioned by the the scholars the matter which proved that they are lawful. Great unmber of innovations prevailed through this way such as the Saint's Fairs, congrigational (Dhikr) and to the liking of what are known be of the true religion while they are really alien to it.

which says : "Our knwoledge and religious science are kept and maintained by the fair adhernts through the successive generations who removed from them the disformity introduced by the exagerators, the inventions of the errants and the misinterpretations of the ignorence" In this tradition the disformity intreduced by the exagerators alludes to blind prejudice and rigidity, the invention of the errants alludes to the trust of the human mind and the misinterpretations of ignorance alludes to the ignorance of the sources and of the ways of their understanding.

The causes that lead to the Propagation of Innovation

The propagation of innovation is due to two things that jeopardize the integrity of the religions and expose them to deformation either by encreasement or by decreasement to their tenets.

The first of these two is the conficdnce in the falible being. The other is the laxity in explaining the Islamic jurisprudence as it was deliverd and planned by the prophet peace be upon him. It happened that we see many of those who belong to Sufi orders and see that they are ordered by their chiefs to do thing alien to Islamic laws. They may think that their chiefs' orders are legislations revealed by God to his priviledged servants, that their chiefs do not do except the right and do not say except the truth and that the known jurisprudence is assigned to the common believers while their practices and ways are also another jurisprudence special for the choosed faithfuls. So they follow whatever their chiefs say as if it wsre the nearest way to God's pleasure. The confidence in the falible being may also be seen in the case of the followers of the jurists who study their works and believe in their infalibility. They accordingly hold fast to all their opinions even if their is an original tradition different to their leaders, opinions. There existed people who exagerate in uplifting their scholars and composers by vertue of theire heritage of opinions and works. They believe in the rightousness of their chiefs' opinion saying : If their opinions were wrong they would not have been followed throuhg our the ages and would have been denied by the former scholar and leaders." They also said that we are not entitled to consider a tradition different from the opinions of the leading scholars or contradicting their established works because their scholars are more knowing than us and even more clever in understanding and interpretting the tradition. So we have nothing to do with it and we

misunderstanding of mind or thinking that mysteries are justifications for legislation, it is also caused by the desire to push away an abominable action or to do away with the indifference to certain desired religious actions.

Innovation may gain approval in order to pervert people from doing this prohibited actions on the allegation that practising such innovation is preferable to the open practice of the prohibited ones. Reading Koran loudly in the mosques is an example for these innovations. This reading aims at preventing people from speaking nosense in the mosques.

There is a sort of innovation aiming at the increasement of God's reward by means of overloading the muslim by making him does actions similar to devotions. This kind of innovation may sometimes take the form of annexing the unenjoined actions to the enjoined ones because these annexed actions exagerate in acheiving the religious object such as fasting without eating at midnight which dubles the suppression of soul aimed at by fasting, and sometimes take the form of choosing hard devotions not enjoined by God such as the continuous fasting, the avoidance of marrige and the performance of the secondary religious duties on the same level as the obligatory ones. There have come many warngs against these, let us offer an example to these the tradition which says : "I wonder why some people avoid the actions that I do myself, on my God's name I am the most knowing and God fearing of them and nevertheless I practise these actions". And the tradition which says : Do not exagerate in this religion lest God should impose hard obligations on you".

The prophet reproved Ibn Omar and the group who were not satisfied of the amount of his devotion and meant to perform the hardest of them. Some people were not aware of these warnings and invented devotions or ways of devotions. They practised these invented ones, enjoined their followers to practise them as if they were parts of the religion. They ignore that the real approach to God is attained by the rigorous attachement to His orders and laws. They ignore also that the ways of approaching God is limited to what was revealed by Him and delivered by His honest prophet. Their mentioned ignorance lead them to commit casuistries and disagree with God's religion, the matter which makes them forfeit God's reward because they were sinful. These above mentioned causes of innovations are all encompassed in the tradition

who knows all about his creatures. Accordin to this principle God has sent his messengers to reveal to peole what please their God and what assure their ultimate happiness, and to enable them to enjoy their share of good in the world and the hereafter.

There exsisted people who denied this principle, exalted the human mind and uplifted it over its real degree. They said that it is the divine guide for man. They trust its judgements in the revealed questions of which he can know nothing. They sought its aid in legislation and rejected the texts that does not appeal to it exagerating in that attitude and making it a principle in legisiation. Accordingly they accepted what is not permitted by God, what we do not know whether it pleases or displeases God. They were aided in their innovation by the fact that they are in research for the reason d'etre or motive of legislation and they alleged that these motives were aimed at by the religious legislation. So they introduce certain devotions according to these motives into the religion of God.

This is the approbation denounced by the Prophet and the religious leaders. The great scholar El slhafiy said in this connection "Approbation is a passion" and if it is permitted in religion there is no reason to deprive the illetrate thinkers from its appliance. In this case legislation would be permitted in every aspect of the religious life. Every one would have a legislation of his own. El-shafiy said also : "Who sees the acceptability of opprobation in religious affairs is legislating from his own side" He meant as the Rayyani said : "That who accepted approbation makes for himself a legislation other than that of God."

Many of the adhernts of Islam have fallen in innovation through the lately mentioned cause to the degree that many of the unknown aspects were rejected while they were enjoined by original traditons, such as the Path to Paradise, the Balance, the Resurrection of the body, the vision of God and the likeng of which conseption mind is incapable and lacking the means. According to to apprabation of the minor human mind many religious tenets were deserted under the pretext that there exsisted others which are more effective in realising their objects. Throug approbation many devotions have been increased. Such devotions were unknown to the eagerest person to approach God.

As innovation throuh trusting the human mind is caused by a

This sort of innovation prevails among these who are to obey kings wishes so as to aquire the rubbish of the world and enjoy it spleasures. The greatest number of tricks from which religion repudiates may belong to this sort. Ir is probable that the sultanic call for prayer and such liking innovations that do not exist except in praying with kings and sultans are examples of this sort so are the seremonial sending of clothes for Kaaba, the conogrigational night devotions called the revival of night and others which are characterised by the intention to satisly a kings desires or obey the advice of one of his retinue. These matters practised by the succesive generations gained prevailance amingst them and became in their opinion creeds for the sake of which they disown who denounce them.

The innovators who follow their desires belong in their bad condnct to those who are addressed by God's saying, "Do not sell my revelations for a paltry price and fear me." and by, "These who concealed Gods revelations in the book and purchase for them miserable prefit they swallow into themselves naught but fire, God will not address them in the Day of ressurretion, nor purify them. Grievions will be their penalty. They are the ones who buy error in place of guidance and tornment in place of forgiveness. Ah what boldness (they show) for the fire. This is becouse that God has sent the Book for truth and that who differs about the Book are in greivions cleavage." In fact following the desies devasts religion and do. Away with their good. Innovation inspired by it is the most sinful sort of innovation in the eye of God and the most criminal in connection with the truth. How whims deviate religions, change creeds and lead to utter abberration.!

Trusting The Human Mind in the Issues of Legislation :

God has sited limits for minds after which they can not conceive any thing. They are not capable of undetstanding every thing. There exist among things some which mind can not comperhend at all and some other things which it can only conceive superfacially. Minds though so inert do not concord in understanding the facts which they manage to understand. This is due to the difference of the individual faculties and means of conception. Therefore it is necessary as regards the questions inaccessible to mind to rely on a truthful teller who force mind to believe him by means of his convincing meracles. This condition is not fulfilled except in the case of the God's messenger because he is supported by the omni-scient God

"Don't you fear God on the side of a lover who has a buring heart that is broken for you".

There are several examples which clarify how many an innovation arised from the ignorance of the charactaristics of the Arabic language such as the ignorance of the caractaristics of vocabulary and style. The former scholars has agreed that the knowledge of the charactaristics of the Arabic language upon which depends the understanding of the Koran and the prophetic traditions is issential for permitting the practice of individual interpretation dealing with or approaching the religions texts.

As for the ignorance of the rank of analogy among the legislative sources, it is self - evident that it comes after the prophetic traditions. The ignorance of these facts resulted in that some people recoursed to it while there were genuine prophetic traditions that were overlooked by these people the matter which paved the way to innovation. The investigater of the jurists' opinions finds many examples for this sort such as the above mentioned analogy that was held by some people between the caller for the prayer and his listeners (hearers) in the matter of praising the prophet. Though there existed certain prophetic traditions enjoining the abstention from that, though the order of these traditions as you know is proir to analogy and though the tradition,:- " When you hear the caller for prayeretc." indicates by its style that the hearers are ordered to praise the prophet after the call for prayer.

Following The Human Desire In Issuing Legistative Articles,

The seaker for proofs may be dominated by certain desires that urge him to issue certain laws so as to realise his ends consequently he would have to submit the supporting proofs upon which he relies in his argument. Such an errent scholar may consider his desire to be so radical that he does not scruple to twist the texts to serve his desires and he would estimates the value of the texts according to their concordance with them. This is really an invertion to the question of legislation and a flagrant violation to the aim for which God revealed the texual proofs. The following of human desire is the main cause of deviation from God's straight path. Those who are meant by the Koranic verse that reads, "Who is more erreno than that who follow his desires unguided by God." and by the original tradition that reads, " He is still unbliever who does not subject his desire to what I came for."

which intruded into the religion things that are completely unknown to the formers. Let us mention here for example the tradition which says, "When you hear the caller for prayer call for prayer say as he says and praise me". This tradition is understood by some people as an order to the caller to praise the prophet after his calling without determining way to do that other than the same way of calling, namily in a loud voice. Accordingly, they assume that this tradition prooves the enjoinment of praising the prophet in the known way To proove that this tradition emplies an order to the caller himself they assumed that this is an order to all Muslims and the caller is one of them or that the prophet's saying, " If you hear . . . . . includes the caller because he hears himself· These two conseptions of the tradition show an ignorance of the arabic style in such matter because in the begining of the tradition the calledr is not included at all and he is not also included at the end because it is based on the begining.

Another example of that sort of innovation is the assumption that the prohibited part of the pig is its meat and not its grease because Koran prohibited the meat but not the grease. This is an innovation arising from the ignorance that the arabic word meat includes grease also.

Another example is saying of some scholars that God has a side, as proved by the Koranic verse. "Lest the soul should say woe is me in that I neglected towards God's side".

This is also another innovation attributed to the ignorance of fact that the Arabs did not use the word side to mean a part of the body in such a sentense.

The Arabs say this thing is little in the side of that meaning in comparison with that. The scholar El Razy has said in his exegisis, "Those who say that God has bodily parts submit the already mentioned verse as a proof. Beware that our proofs to deny that God has bodily organs are so unmeurors that there is no need for their repetition." After the Razy had mentioned several quotations of the ancestors about what is meant by the word side he said, "Be aware that the increase of that interpretation has no good in heartening the hearts or satisfying the thirst. So say the side is named so because it is a part of thing. Similarly the thing which is always related to another thing is also similar to its side. Because of this similarity between the relation of the body and its side and the relation of the thing to its constant quality, the use of the word side for both meanings is right.' Moreover the word side was used to mean both privilage and obedience As is shown by that poet's saying.

There is a tradition refering to this case which says: " God does not remove knowledge by removing it from the breasts of people but it is removed by the death of the scholars. When there are no scholars people would follow ignorant cheifs who would give judgments though they have no knowledge so they will dupe and will be duped." dealing with this matter came another tradition which says: "all the prophets who were sent by God to their nations before me have had followers who traced the way of their prophets and carried on their orders but after those came a successors who said what they did not do and did what they did not say, who so ever, struggled them by his hand was a believer, who so ever struggled them by his tongue was a believer, who so ever struggled them by his heart was a believer and there is no form of faith other than these.

As for the ignorance of how and where to apply analogy in legislation it has caused that people of the late jurist apply analogy in issues of devotion. By so doing they intruded into the religin what are completely alien to it and what are inconsistant with the traditins and conduct of the prophet (though their existed a need in doing these matters in the time of the prophet. The prophet himsely did not practise such matters regardless that there arose a need in doing and there was no hindrance againt doing them).

Let us Take the (acquittanee) atonement for prayers as an example. This atonement was likend to the atonement for fastng disregarding that the latter has its supporting texts while the former has not. Those jnrists did not stop in that matter at claiming the acceptabiliy of atonement of prayers but they went so far as to submit many casuistries to proove this aceeptability and to support their claim. This point of view would make prayer a mere form that has niether spirit nor effect.

This sort of innovatin is the queerest one, because it invents new principles and try to exclude the religious obligations. To achief this goal innovation and casuistry are resorted to.

Therefore we must name this sort of innovation the compound innovation that relieves its appliants from the religious obligations and entitled them to enjoy the same reward as these who believe and do good deeds.

As for the ignoranne of the lingnistic style it resulted in misunderstanding of the texts. The matter

fallowers. Seeing that the prophet warned the Muslims against this gaps and bitterly reproved all those who venture approaching them.

We saw after thorough investigation that the ways leading to innovation are either ways leading to its creation or causing its application and diffusion, we knew also that the Islamic jurisprudence has looked after both and alluded to the causes of each and prescribed the remidy that guarantee the purification of the religion and the integration of the nation. Should this remidly be applied well it would keep the religion immacule and perfect as it was revealed from God, delivered by the prophet and fallowed by its true adherents.

Innovation as we have already stated has three main causes.

1 — The ignorance of legislative sources and of the effective ways of understanding and locating the legislative items in the original main sources.

2 — Fallowing the human desire in issuing the legislative laws.

3 — Trusting the human mind in the aspects of religion.

(1) The ignorance of legislative sources and of ways of their understanding and location.

The main sources of religious laws are the Koran, the prophetic traditions and their . annexes namely analogy and concensus of opinions. Among these source the Koran came first followed by the prophetic traditions followed by the concensus of opinions which is followed finally by analogy.

It is a matter of fact that analog is not recourse to in the questions of devotions because analogy is based on the existance of some sort of similarity among the matters applicable to it while devotions are not by any means bound to this consideration but they are rigorously based on the absolute adoration and on the pure ordeal.

The inlets of voilation throug this factor are ascribed to the ignorance of the prophetic tradition, the ignorance of the feild of analogy, the ignorance of the linguistic style and the ignorance of the rank of analogy.

As for the ignorance of the prophetic tradition it includes the ignorance of the genuine traditions and the ignorance of the rank of the prophetic tradition in legislation. The first matter causes the disregarding of some laws supported by original prophetic traditions. The second may lead to overlooking some genuine traditions and to substituting innovation for them.

CAUSES AND BAD EFFECTS OF INNOVATION

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Many traditions attriputed to the prophet peace be upon him aim at the warning of innovation. The most famous of these traditions is that which says " Whosœver intrude into our religion that is not making part of it is to be disproved".

The real cause of innovations is the desire to create some sort of devotions. This created sort is not authentically ascribed to the prophet, and void of any considerable legislative proof.

In fact innovation is confined to devotions, so there are no innovations in customs or in the general ways of life.

Innovation in religion has causes leading to it and bad effects arising from its application. Wise men are to exert all their efforts to be away from doing things that have bad effects and to erect bars betwean themselves and causes of bad actions in order that they may not bractise such abominable things.

In dealing with the subject o innovation we shall clasify it into two chapters, one is dedicated to the clarification of the causes tha insue innovation and cause its propagation. The other is assigned fof exposing the bad effects of innovation.

The first chapter,

causes of innovation.

It is essential for every religion destined to remain clear from defects and void of disfiguring, to take care of knowing the windows through which violation infilterates its pure doctrine so as to shut them firmly particularly if this religion was founded on the base of generality to organize numerous peoples different in languages, customes and creeds.

So did our prophet Mohamed in his pure religion He perceived at the first step the ways through which corruption may intrude into the religion and prevail among its

co-operation, their leaders are visiting and consulting each other, the governments are doing their utmost to propagate the Islamic culture by means of spending money and holding conferences.

At present time, Al-Azhar graduates advisors and preachers, establishes colleges and institutes and publishes religious publications to light the way in front of people and to show them the right way. The several religious associations are defending the abiding messege and preaching it as well. The theologists and erudites are striving hard to serve the faith which is revealed to please mankind and to consolidate co-operation and peace,

The pulpit in the mosque, the loudspeaker in the brodcasting station and the print in the press are declaring the advantages and the ability of Islam in replacing the sat tanic society by the good one. The evil-ridder society composed of the two blocs : eastern communism and western capitalism. These two blocs are leading the world at the present time with thier money, science and Power. They led the peoples falsely and caused them much troubles.

The National Union forms Commitees of those who possess wen of ability and qualifications and who follow the guidance of God for the favour of the family, to promote the Society, to develop the wealth and to increase the power of the government.

The sprit of all those peoples is a part of the sprit granted by God to the good and faithful leadership which, united the people, revived the dead, destroyed the system of classes gave every one his rights and made — for the first time in the history of mankind — the revolution a merciful, constructive and peaceful one. Moreover, it obliterated the fear and hungry, ended the feudalism, raised the standered of living among the poor and humiliated the tyrants. Hence, the people smelt the breeze of freedom, and now, they can see nothing in front of them but the mercy of God.

imperialists face to face in a great battle. In this matter, it was following the saying of the frist islamic caliph — Abu Bakr — to the Islamic hero — Khalid Ben Al-Waleed when he sent him to Yamamah fighting "Fight them with weapons like theirs: sword to sword and arrows to arrows."

Islam is the religion of power because it — unlike the other religions — based on two pillars : religion and treatments.Worship makes people in permanent contact with God and leadership controls the relations between the leader and the people. Because of these two pillars, Islam is considered as a way which leads the one to be in peace with himself. It is the constitution which governs the society. But without a nation, there is no constitution, and without unity, there is no nation. The Unity depends upon the support of religious power. and secular authority.

The deterioration of the leader leads to, disunity, division of the nation and suspension of the law. And this will be followed by a reign of terror by a tyrannical government or the criminal imperialist. This will not only be the result, but the religion will be turned also into an immaginative worship in the ill-souls people or changed into soffism which has no relation with the secular life.

Hence, the light of Islam began to reappear and the rise of Muslims began in the United Arab Republic, especially because it is the first Islamic country which is encountered by the mercy of God, Who granted it the great reformer and guided him, to complete its liberation, to realize its freedom, to make the Unity of Arab its policy and the rise of Muslims its messege and to raise it to the standerd of the big nations in both, political and economical fields.

Consequently,Arabs and Muslims became aware of their excellent situation, their free homeland and the restoration of their authority and will. They remembered their previous similar condition, when they were the rulers and the leaders of mankind, when they guided humanity to the straight path by the message of God and governed it by the constitution of his prophet Mohammad. They realized that Islam had gone deep in their hearts, advised them to respect each other as if they are the members of one family, requested them to organize themselves at war for the cause of God, as in the same manner in their congregational prayers, and to direct their faces towards their aim as they direct them towards the holy shrine of Mecca.

Now, the Islamic nations are in

in the hearts of its followers they will leave the Qur'an and the prophetic traditions aside, and f ollow the falsehoods of liars. This will result in the abandonment of the religion in their hearts, and its guidance to be changed in their minds. Here the Saying of Ali Ben Abi Talib has its place, he said: "Surely, those people wear the religion as well as the one who wears a turned fur".

They yielded to the destiny, and, as a result, they did not take any step to protect themselves against the dangers. Besides this they avoided to work depending upon the Fate and subjugating themselves to property and dignity. They believed in Governors and considered them vice-gerents of God. Those governors harnessed them for their personal benefits, used them for their low desires, humiliated them and put them under the mercy of the imperialists who tore their homeland into pieces and created artificial leaders and barriers amongst them. They also created a special flages and emblems for every nation, and then put them under their protection or custodianship.

But now, Islam has come back after the restoration of its strength which came back to it, after its people had believed and accepted its instructions and guidance, and further after the appearance of the faithful leader who possesses the ability to represent and protect it.

Without complete existence and liberal will, the belief of the people will not be perfect. Without high ability and guidance of God, the faithfulness of the leader can not be realized. Both, the high ability and the guidance of God had been gothered in both our people and our leader.

The past ten years of Nasser's revolution marked the end of imperialism which stunted our thought to think and obliterated our values. They were the end of the tyrannical government which corrupted the manners and weakened the good motives. They were the commencement of: The National liberation which freed the souls and bred a new spirit into life, the popular government which worked for the benefit of the nation, the government which revived what is good from the ancient and established what is useful from the modern on materialistic, rational and spritual foundations. The government, which harnessed science to serve production, used the advices of religion for protection and placed the Arabs on a high pedestal.

This government was aware of the fact that victory in modern warfare depended on strength. Hence it made preparations and met the

THE REVIVAL OF ISLAM AND ITS ROLE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief



On the frist day of Moharram, the observer could see the precursors of Islam throughout the horizon of the Islamic east. It reappeared to obliterate the darkness out of Asian and African Continents. The revival of Islam guided Moslims to Know each other, to cooperate, to love their brothers in Islam and guided Muslim nations to be Connected and united as well. On the day, when blessings of God be granted to Muslims, Islam will regain its pristine position : Arab Nationalism, the Islamic union and moderatc nation which enjoins what is right, forbids what is wrong, struggles in the cause of God and co-operate with all to consolidate world peace.

In this respect, the observations and criticism made by the late Sheikh Mohamad Abduh regarding the well known article of Hamouto, minister of the french foreign affairs, deserves mention. He Say " However deep may Islam lay forgotten, it must reappear one day. And whatever misfortunes had befollen it, it Should regain its feet once again ".

To day, God has willed his religion to return after a long absence, his light to reappear after a long period of darkness, and his constitution to come back and control mankind again.

As a result of the decadence of Islam for a long time, it no longer commanded the consciouss of the Individual or of the family and further its spirit failed to exert its influence in society or the functions of the government. This led to disintegration of the islamic opinion, the disunity of Muslims and the wheel of fortune to be tuened a gainst them.

As a matter of fact, Islam is the religion of power. It arises from the unity which is one of its cardinal principles and from the society which is found as a result of its propaganda. It will not surprise you to know that it is called "the religion of Monotheism".

If Islam loses the characteristic of monotheism and the unity of its society, it will be relegated to the worse position and the light of its guidance will be put out to make a room for darkness. If Islam becomes faint

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الثالث — ربيع الأول سنة ١٣٨١ هـ — أغسطس ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

على بئر أريس

من ذكريات ربيع الأول في طيبة

بقلم : أحمد حسن الزيات

في غداة ضاحية من غدوات شهر ربيع الأول، وفي درب هادئ من دروب طيبة المقدسة، خرج الرسول صلوات الله عليه إلى ظاهر المدينة يطلب الخلوة إلى نفسه، والجلوة عند ربه. وكان صاحب الغار المهجور من جبل النور لا يزال يستحب العزلة، ويستطيب الوحدة، إمعانا في القرب من الله بالفكر والذكر والتأمل، فجعل وجهه إلى غربي المدينة تلقاء مسجد قباء، ومشى وحده تحوم عليه العيون وتهفو إليه القلوب من وراء الجدر وعلى حواشي الطريق وهو مطاطئ الرأس مطمئن النفس حتى بلغ بئر أريس (١).

وكانت هذه البئر العذبة الرحبة تستكن من الريح والشمس بظلة من جريد النخل لها باب منه، وتنظر إلى حقول خضر وبساتين

[١] حديث بئر أريس الذي جعلناه لبا لهذا المقال رواه البخاري ومسلم.

فيح تستمد من مائها المعين النماء والخصب ، فهى مستراض ومستراح ومنظر . دخلها الرسول على عادته فى كل يوم اثنين دخول المعتكف المسجد ، فتوضأ وصلى ثم جلس على قفّها (١) وكان طوله ثلاثة أذرع ، واستغرق فى عبادة صامتة لا يتخالجها أمر من أمور الدنيا ولا شأن من شئون الناس . ومثل هذه العبادة الروحية النبوية التى تصل الرسول بالله ، والأرض بالسماء ، والشريعة بالحقيقة ، والمحدود باللامحدود ، لا يستطيع أن يدرك كنهها العقل القاصر ، ولا أن يبلغ وصفها البيان الناقص . وما كانت عبادة النبى فى بئر أريس بعد الهجرة إلا معنى من عبادة محمد فى غار حراء قبل البعثة ، استيحاء لحكمة الله وقدرته أن يؤيد دعوته بروحه ، وأن يجمع أمته على كتابه .

* * *

وكان أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه قد أصبح ونيته معقودة على أن يلزم الرسول عامة يومه ، جلاء لصدره من صدأ الدنيا ، وصفاء لنفسه من كدر العيش ، فطلبه فى مسجده فلم يجده ، فسأل عنه فقيل له اتخذ طريقه إلى حى قباء ، فما زال يتقصص خبره وأثره حتى تأدى إلى بئر أريس ، فدخلها فوجد الرسول جالسا على قفّها وقد كشف عن ساقيه وأدلاهما فيها . فسلم عليه ، ثم عقدت لسانه الهيبة والجلالة فارتد إلى الباب وهو يقول لنفسه : لأكونن بواب الرسول هذا اليوم .

وما هى إلا هنيهة حتى دفع الباب دافع . فقال البواب الأواب : من بالباب ؟ فقال أنا أبو بكر ، فقال أبو موسى : يارسول الله ، هذا أبو بكر يستأذن عليك ، وكان صاحب الدعوة حينئذ يستحضر فى ذهنه ما لقى فى سبيلها من البلاء فى نفسه وفى أهله وفى صحبه . وقد تمثل فى خاطره وفاء المهاجرين بعهدهم إلى الله ، واحتمالهم الغربة والفاقة والقلة والأذى ابتغاء مرضاته ، فأكبر ما فعلوه وما بذلوه ، وما هو إلا أن سمع أبا موسى يذكر اسم صديقه فى الدار وصاحبه فى الغار حتى قال له ائذن له وبشره بالجنة ، فلما أخبره بالإذن والبشرى دخل فجلس عن يمين رسول الله فوق القف وحذا حذوه ، فكشف عن ساقيه وأدلاهما فى البئر ، ورجع الأشعرى إلى مقامه بالباب ، وكان قد ترك أخاه يتوضأ ليلحق به عند الرسول ، فقال فى نفسه : إن يرد الله خيرا بأخى يأت به ، يرجو أن ينال من هذا الفيض النبوى ما ينفعه فى آخرته ، ولكن

[١] قف البئر : الدكة التى تقام من حول رأسها .

الله أراد هذا الخير لعمر ، فقد كان فى تلك اللحظة وراء الباب يحركه ، فلما قال أبو موسى فى سرعة ولهفة : من هذا ؟ قال أنا عمر بن الخطاب ، فقال له : على رسلك يا عمر ، ومضى إلى الرسول يستأذن له فقال له عليه صلوات الله وسلامه : ائذن له وبشره بالجنة ! فدخل عمر وجلس على القف عن يسار الرسول وصنع ما صنع ، وعاد الأشعرى إلى الباب يتسمع من ورائه أن تدب رجل أو ينِدّ صوت رجاة أن يكون أخوه قد قدم . فلم يمض غير يسير حتى لقلق الباب إنسان ، فخفق فؤاد أبى موسى وضاء بالأمل وجهه ، وصاح من القادم ؟ فقال : أنا عثمان بن عفان ، فاستأناه وعاد إلى الرسول يستأذن له ، فقال من اصطفاه الله لحمل رسالته وارتضاه لعلم غيبه : ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه ، فلما بشره وأنذره دخل الشهيد على الثلاثة فلم يجد معهم مجلسا على القف . فتحول حتى جاء قبالتهم من الشق الآخر وجلس ، ثم كشف عن ساقيه وأدلاهما فى البئر .

وهكذا شاء الله أن يجتمع فى هذه البئر الباضة بالخير ، النابضة بالحياة ، فى وسط هذه الرمال القاحلة والصخور الصلدة ، خمسة نفر كان لهم فى حياة العروبة أثر بالغ ، وفى تاريخ الإنسانية خطر أبلغ : خليفة الله الذى قاد بنوره ركب البشرية التائه العامه فى الطريق الأقوم إلى الغاية الأكرم ؛ وخليفتا الرسول اللذان حملا دعوته من بعده فلأما صدعها يوم السقيفة ، وقويا ضعفها سنة الردة ، ونشرا ضوءها وراء الجزيرة ؛ وخليفة الشورى الذى صدقت فيه نبوءة الرسول فأصابته البلوى التى فرقت الكلمة ومزقت الأمة ؛ وقاضى التحكيم الذى داهاه ابن العاص وداوره حتى حكم حكما جعلت نتيجته الخلافة خلافتين ، والأمة أمتين ، والدين المحكم القيم اثنتين وسبعين فرقة !

* * *

على أن بئر أريس كانت لها فى حياة الخليفة الثالث دلائل خاصة . فجلوس الرسول والعمرين معا على شق ، وجلوسه منفرداً قبالتهما على شق ، تأوله سعيد بن المسيب باجتماع قبور الثلاثة فى حجرة عائشة وانفراد قبره هو فى موضع آخر . وإنذار الرسول إياه بالبلوى التى أصابته وأصابت المسلمين معه كان طائفا من الهم يعتاده الحين بعد الحين فلا يصرفه عنه إلا اعتقاده الوثيق بالله ، وإيمانه العميق بالقدر ، وإمضاؤه النية على الجهاد فى سبيل الله بماله ونفسه . ثم سقوط الخاتم النبوى من يده فى هذه البئر كان نذير شؤم ومنار قلق ؛ فقد كان محمد خاتم النبيين قد اتخذ خاتما من فضة جعله فى يده بقية حياته ، ثم كان

فى يد أبى بكر مدة خلافته، ثم تختم به من بعده عمر، ثم انتقل من يده بعد مصرعه إلى يد عثمان. فكان معتزاً به حريصا عليه، حتى ذهب يوما إلى بئر أريس يجلس فى مجلس الرسول وينعم بذكرى يومه فيه. وكانت هذه الزيارة ديدنه كما كانت ديدن الصديق والفاروق منذ اجتمعوا فيه برسول الله. فأخرج الخاتم من إصبعه وجعل يعبث به فسقط فى الماء. واختلف هو والناس إلى البئر ثلاثة أيام ينزحونها ويبحثون فيها فلم تقع يد عليه، كأنما ضنت به الأرض فابتلعته، أو تاقت إليه السماء فرفعته، فاكتأب عثمان ووقع فى نفسه أن قوة كانت تسنده غابت فى الماء، وأن نورا كان يرشده تبدد فى الريح، وأن الخاتم النبوى كان فى يده عقدة تمسك عليه الناس، وتريض له الأمر، فتمضى خلافته كما مضت خلافتا الشيخين فى وحدة لا تشت، وعروة لا تنفصم، وسبيل لا تجور. فلما سقط منه فى البئر وأعجزه الحصول عليه لم ييأس من روح الله، ولكن شكا اختلج فى نفسه الراضية المطمئنة ألا يكون كعمر بطل السقيفة، وأبى بكر بطل الردة، صلابة رأى وصرامة عزيمة، ففوض الأمر إلى بعض أهله فحكموا الناس بالهوى وفرقوهم بالعصبية، وساسوهم بالمحاباة، حتى اضطرب الحبل وشاعت الفتنة وقتله الثوار فى داره وعلى مصلاه قتلة لا يزال يرعد من هولها الدهر.

كانت هذه الدلائل رموزا من لغة القدر خطها على صفحة وجهه وفى صحيفة حياته يوم جلس وحده تجاه الرسول وصاحبيه على بئر أريس، فسرتها الأحداث رمزا بعد رمز، وكابدها ممول جيش العسرة دلالة بعد دلالة. وما كانت فراسة الرسول الكريم فى عثمان ومآله سواء أكانت إعلاما من الوحى أم إلهاما من الروح إلا دليلا على ألمعية فى القائد الأعظم تكشف ما استكن من سر الطباع، وتعلم ما استسر من عقبى الحوادث، ولولا هذه الألمعية المستمدة من علم الله أو من لقانة الرسول لما تسنى لصاحب الرسالة أن يختار أسنادها وأمدادها من هذه الصفوة القليلة من المهاجرين الذين غرس فى قلوبهم البذرة، ووضع فى أيديهم الشعلة، وألقى على كواهلهم التبعة، ثم لحق بالرفيق الأعلى وهو ينظر إليهم من ستور النور وهم يرفعون مسجده فوق إيوان كسرى، وينصبون منبره على عرش قيصر؟

أحمد حسن الزيات

عيد الثورة التاسع عيدان :
عيد الإصلاح الدنيوى و عيد الإصلاح الدينى
للإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر

ما أقوى الأمم التى ترسم لنفسها الطريق الذى يوصلها إلى أهدافها السامية ، وتحدد معالم العزة التى تريد أن تتبوأها ، ولن تستطيع أمة أن تصل إلى هذا إلا إذا اكتملت لها شخصيتها المعنوية التى تضمن لها الرأى السديد والوجود المعنوى . والأمم التى تكاملت لها هذه المعانى هى الجديرة بالحياة ، لأنها التى أحاطت بمعانى الحرية وأدركتها ، وهى فى الوجود من أقوى عناصر القوة والخلود .

ومن ثم يهيىء الله فيها شعبا واعيا ويصنع على عينه رجالا أحراراً يأبون الضيم ، ويضحون من أجل أمتهم بما يحقق لها الأمل الذى ترجوه . وقد يخبو شعاع هذه الشخصية المعنوية فترة من الزمن ، فتعيش فى هوان وضعف ، وفى قلة وذلة على الرغم مما هى فيه من كثرة فى العدد حتى لتتهافت عليها الأمم المستقلة المستعمرة كما تتهافت الأكلة على قصعتها ، بيد أن الأمم ذات الماضى العريق والمجد الخالد لا تستمر كثيراً فى حياة الاستعباد بل سرعان ما تنبت تربتها الطيبة نباتا حسنا من أبنائها يأخذ بيدها ويعيد إليها قوتها .

ولقد أتت علينا عهود أصبنا فيها بانتكاس فى حياتنا فتزلزلت فينا قوى الإيمان والعمل فى تنمية شخصية الأمة حتى جمدت عن الإنتاج ، فانكمشت القوة وسادت الإدارة واستولى الأعداء على منابع ثروتنا وعلى جهاز قوتنا ، وعلى وسائل ثقافتنا ، وأعانهم علينا قوم آخرون منا نفثوا سمومهم فأضاعوا المعانى الروحية التى ربانا عليها ديننا ، وتلقيناها عن آبائنا وأجدادنا ، وبذا جعلوا منا أمة أشتاتا وشعبا متفرقا حتى عشنا حيارى لا نعرف لنا مصيراً فى ظلمة حالكة لا ترى فيها نوراً ، حتى شاء الله أن يبدد هذه الظلمة ، ويكشف عنا هذه الحيرة ، فكانت ثورتنا المباركة ثورة ٢٣ يوليو فأتم الله علينا بها نعمته ، بأن جعل ولاة الأمر فينا من أنفسنا . لقد كانت ثورة الحق على الباطل ، والعدل على الظلم ، وثورة الحرية على الاستعباد ، فآمن الناس بأن الباطل مهما طال أمره واشتدت وطأته وقويت عناصره فهو أمام

الحق والعزم القوى والإيمان بالله خائر العزيمة مفكك الأوصال مهدم البنيان، وأن مصيره إلى التلاشى والزوال.

« فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض ».

وقد أراد الله الخير لهذه الأمة حين أحياها بهذه الثورة المباركة ؛ إذ كانت بشير خير وبركة علينا وعلى الناس أجمعين ؛ فنشرت الحرية بين الناس، وفتحت لهم أبواب الخير بما مكنت لهم من مشاركة فعالة فى الرأى وفى الحكم.

وإذا كنا اليوم نحتفل بالعيد التاسع لهذه الثورة، فإننا لسعداء بالحرية التى نعمنا بها والإنتاج فى كل جانب من جوانب مجتمعنا، حتى حقق الله لنا الاكتفاء الذاتى فلم نعد عالة على أمة من الأمم، ولا ذيلا لشعب من الشعوب، لا نميل إلى شرق ولا إلى غرب إلا بقدر ما يحقق السلام الذى يدعو إليه الإسلام. وبذا غدونا أمة وسطا جديرة بوصف الله تعالى « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ». وإذا كانت ثورة الإيمان على الشرك قد حددت موقف المؤمنين من المشركين : « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ». فقد كان من فضل الله على ثورتنا أن حددت موقفنا من الاستعمار، وكما أراد الله أن يطهر أرض مكة من الشرك ولوازمه، طهر أرضنا من الاستعمار وتوابعه وبذا تبدلت حالنا وازدهرت نهضتنا وتعلق بنا إخواننا فى جميع أنحاء الأرض فكانت جمهوريتنا لهم نعم الأم الرءوم وبلدنا لهم نعم البلد الطيب.

وإنه لمن يمن الطالع أن يجتمع لنا فى عيد ثورتنا التاسع عيدان اثنان : عيد ثورة الحق على الباطل، وعيد ثورة علمية تجلت فى تنظيم الأزهر وهيئاته. هذا الأزهر الذى أنار للعالم طريق العلم والمعرفة ألف عام وعشرين بما ربط به قلوب المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها.

إن هذا التنظيم لهو خير وبركة ؛ لأنه تمكين للأزهر من أداء رسالته، وإننا به - نحن المسلمين والعرب - لنستأنف طريقنا بإذنه تعالى إلى الغاية التى نهدف إليها ونسعى من أجلها، مترسمين خطا قائد نهضتنا الواسعة الشاملة، ونحن أشد ما نكون تماسكا وأقدر على أداء الرسالة التى جعلها الله أمانة فى عنقنا : رسالة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم. وعلى قدر حرص أمتنا على الأزهر ورسالته يكون حرصها على دين الله وتمسكها به وحفظها لأصوله، ورعايتها لمبادئه. وإن الأمم الإسلامية التى لا تفتأ تذكر الأزهر وتتعلق به لترجو من وراء هذا الإصلاح الخير الوفير

(البقية على الصفحة التالية)

درس من جزيرة مالطه

للأستاذ عباس محمود العقاد

اللغة المالطية « لهجة لغوية » لا يزيد عدد المتكلمين بها على ثلث المليون هم أبناء الأرخبيل المعروف بأرخبيل مالطة، ولكنها تزود علماء اللغات بمادة غزيرة لتحقيق آرائهم ونظرياتهم؛ لأنها لهجة مستقلة تنعزل بشواهدها الحية على كل تطور يعرض للهجات بين الاتصال والانفصال وبين الاختلاط والاستقلال، ويكاد أثر العوامل المختلفة فيها أن يتراءى للنظر كأنه عرق بارز يتخلل بنيتها ولا يغيب عن النظر حيث يجرى فى مجاريها فليس فيها عامل من عوامل التطور يلتبس بعامل آخر كما يحدث فى أكثر اللغات المعروفة.

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

فى دينها ودنياها، ولما كان للأزهر مكانته العالمية التى جعلت أنظار العالم الإسلامى والعربى تتجه إليه، وكان فى نفس الوقت حبل الترابط بين جمهوريتنا العزيزة من جانب وبين الشعوب الإسلامية والعربية من جانب آخر، وبالتالى كانت القاهرة قبلة الدراسات لتلك الشعوب، وحسب الناس جميعا أن يعلموا أن البعوث الوافدة إليه تمثل أربعا وخمسين جنسية ممن يؤمنون بالله واليوم الآخر، وكلهم يجتمعون على صعيد واحد فى الأزهر الشريف مما يوحد بينهم ويقرب بين غاياتهم وأهدافهم.

لذا كان ضرورة أن تجتمع الخبرة والدين على الوجه الذى اشتمل عليه هذا الإصلاح حتى يؤدى الأزهر رسالته فى نهضة الشعوب الجديدة ويحقق رغبات هذه الشعوب: فى الدين والبناء والإنتاج، والإصلاح.

وإننى بهذه المناسبة لأدعو الله لكل من وضع لبنة من لبنات إصلاح الأزهر وتمكينه من رسالته مخلصا لدينه راجيا الخير لهذه الجامعة العتيدة، كما أدعوه سبحانه أن يهيئ لنا من أمرنا رشدا، وأن تأتى ذكريات ثورتنا بكل جديد يشد أزرنا وينصر ديننا، ويعلى كرامتنا. « ولينصرن الله من ينصره، إن الله لقوى عزيز »، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم »، « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم ».

محمود شلتوت

شيخ الجامع الأزهر

كان لها سكانها الأصلاء قبل التاريخ ، ثم سكنها الفينيقيون فالقرطاجيون من سنة ألف وخمسمائة إلى نحو سنة مائتين قبل الميلاد فغرسوا فيها أصول « النطق » السامى التى مهدت المكان بعد أكثر من عشرة قرون لغلبة اللغة العربية على ألسنة أهلها ، وتردد عليها أبناء أوربة الجنوبية من اللاتين والفرنك فى أثناء ذلك ، فدخلتها مئات الكلمات الإيطالية والإفرنجية ، ولا سيما الكلمات التى كانت تشيع فى جزيرة صقلية .

وقد ملكها العرب وبقيت فى حوزتهم من سنة سبعين وثمانمائة إلى سنة تسعين وألف للميلاد ، وهى السنة التى أغار فيها النورمان على الأرخبيل فملكوه وحكموه ، وبقيت فيه طوائف عربية إلى أوائل القرن الثالث عشر الميلاد أجلاهم عنها الامبراطور فردريك عاهل صقلية المشهور .

ولكن العرب تركوها وتركوا لغتهم فيها يتكلم بها أبناء الجزر المسيحيون كما كانوا يتكلمون بها وهم يحكمونها ويستخدمون العربية فى مخاطباتها الرسمية وإدارة دواوينها .

إلا أن لغة الحديث فيها كانت لهجة « عامية » لا ترتقى إلى طبقة الفصحى ولا تهبط إلى لهجة السوقة بعد بضعة قرون ، ولم يكتب بها المالطيون شيئا فى مصنفات الأدب أو العلم طوال القرون التالية إلى أواخر القرن السادس عشر ، ثم ظهرت فيهم بواكير التصانيف الأدبية والعلمية فكتبوها بلهجتهم العامية التى أضيفت إليها أشتات الألفاظ والتراكيب من اللغات الدخيلة ، بعد توالى الحكام عليها من الإيطاليين والفرنجة ، ولا يزالون يكتبون بتلك اللهجة بعد إضافة الدخيل إليها من الفرنسية والانجليزية ، على أثر حكم الفرنسيين والانجليز لتلك الجزيرة ، وقد سقطت منها الحروف المميزة للنطق العربى ، ولا سيما الصاد والظاء .

صدرت فى السنة الماضية مجموعة حسنة من مختارات الأدب الحديث فى اللغة المالطية ، وترجمت إلى اللغة الانجليزية ومعها بعض أصولها مكتوبة بالحروف اللاتينية ، وعنى مترجمها الأستاذ « آربرى » المستشرق المعروف بتمثيل الأدب الدارج والأدب المهذب فى هذه المجموعة بموضوعاته المنوعة ، فاحتوت مجموعته نخبة من الأمثال السائرة كما احتوت أنماطا من « الحكايات » المنثورة وأنماطا منوعة من الشعر الغنائى ، وهو فى المصطلح الغربى يشمل الشعر العاطفى كله وإن لم ينظم للغناء .

يطالع القارىء العربى هذه المختارات فيرى الكلمات العربية تتردد فى كل سطر من سطورها المنثورة وكل شطر من شطورها المنظومة ، وقد نقابل بين مفرداتها ومفردات اللهجات العامية فى مدن السواحل عندنا فلا نرى فرقا كبيراً بينها من حيث العدد إذا رجعنا بها إلى

أصولها العربية ، فقد تبلغ الكلمات من هذه الأصول سبعة أعشار المعجم المالطى الحديث، وقد أحصى أحد هذه المعجمات فقاربت كلماته عشرة آلاف ، منها نحو سبعة آلاف يفهمها القارئ العربى بغير جهد أو يفهمها بجهد قليل بعد المقارنة بينها وبين الدخيل من قبيله في لهجاتنا العامية .

لكن الملاحظة الأولى التى يستفيدها دارس العلوم اللغوية من مطالعة اللهجة المالطية هى أن اللغة تفهم بالعلاقات بين مفرداتها فى الجمل قبل أن تفهم بحفظ كلماتها المنفصلة فى المعجمات .

فالقارئ العربى يفهم الجملة القصيرة بلهجتها المكتوبة فى المالطية ولكنه يفهمها على الأكثر بالقرينة إذا فهم الكلمة المهمة من أسمائها وأفعالها .

أما الصفحات المطولة فهى على الجملة أشبه باللغة الأجنبية بالنسبة إلينا ، وليست هناك مشابهة بينها وبين الكلام العامى مهما يبلغ من طوله فى لهجة من لهجاتنا الكثيرة ؛ فإن هذا الكلام لا يخفى علينا وإن خفيت مصطلحاته التى تتغير بين قطر وقطر فى ثنايا تراكيبه ومفرداته .

وأقرب ما نشبه به اللهجة المالطية بالنسبة إلينا أنها كاللغة الإيطالية أو الأسبانية بالنسبة إلى المعارف بالفرنسية أو الانجليزية فإن تشابه المفردات بين هذه اللغات قد يساعد على فهم الجمل القصار ولكنه لا يغنى كثيراً فى فهم المطولات ولا فى فهم التركيب الذى تختلف فيه قواعد التقديم والتأخير وخصائص القياس والشذوذ .

ومما يلاحظ فى هذه المجموعة أن الأمثال الموزونة أقرب إلى الفهم من الجمل المرسلة ولو تساوت فى عدد كلماتها .

وهذه نماذج من تلك الأمثال يظهر أنها حفظت بوزنها فلم تتبدل بما طرأ على اللغة من الزيادات الدخيلة .

يقولون فى أمثالهم :

« الله فينا إضافية ، كل ما يعمل علينا ، كل ما نعمل عليه » .

ويقولون :

« مين يرقوت (يرقد) مايقبضنش حوت » .

ويقولون :

« بدم الفقير ، جيد قط ما يصد » ،

ويقولون :

« واحد يموت فى سكرة والثانى يموت على قطرة » .

ويقولون :

« أخير هربة من كربة » .

ولا يصعب فهم الأبيات المقفاة إذا كانت منظومة فى أوزان قريبة من الأعاريض العربية ، ولكن المنظوم منها على قواعد التقطيعات الإيطالية أو الأوربية على العموم

قلما يفهم موجزا ويتعذر جداً أن يفهم إذا جاوز البيتين أو الثلاث .

وهم ينظمون الشعر اليوم على مذاهب مختلفة :

فمنهم من يفضل النظم بالإيطاليه أو الانجليزية لفظا ووزنا ، ومنهم من يختار النظم باللهجة المالطية فى أوزان أوربية ، ومنهم من يوحد القافية ويميل إلى الأوزان التى تقترب من الأعاريض العربية ويسهل نقلها إليها ، وهؤلاء هم أقرب الشعراء معنى ولفظا إلى قراء اللغة العربية الفصحى أو العامية .

ومن أمثلة الشعر الموزون الذى يسهل فهمه هذه الأبيات على لسان محب ينوى السفر :

حنينة إصابر انسافر
يا حسرة ما تخدوكش معاى
لك الله يعطيله الصبر
ويضحك فى « محبة وياى ؟ »

ولكن هذا الضرب من النظم يلحق بالأغانى الشعبية المحفوظة ويحكيها فى موضوعاتها وأوزانها ، ويندر أن ينظم فيه شعراء العصر الحديث منذ أواخر القرن التاسع عشر ؛ لأنهم يميلون إلى النظم باللهجة المالطية على مثال نظمهم باللغة الإيطالية أو اللغه الانجليزية ، ويختارون من أجل ذلك عروضا توافق عروض الشعر اللاتينى القديم ، وتنطلق أحيانا من القوانى والأوزان .

* * *

فاللغة المالطية - إذن - لا تزال لهجة من لهجات اللغة العربية باعتبار عدد المفردات .

ولا تزال كذلك لهجة من لهجاتها باعتبار علاقات التركيب التى يحفظها الوزن وتدل عليها القرينة فى الجملة القصيرة .

ولكنها كادت أن تصبح لغة أجنبية فى مطولاتها المنثورة على الخصوص ؛ لأننا نقابل بين عشر صفحات مكتوبة بها وعشر صفحات مكتوبة باللهجات العامية فى أقطار بلاد العرب فلا نحصل مفهوم صفحة منها ولا يفوتنا مفهوم صفحة من اللهجات الأخرى .

والدرس المستفاد من تطور اللغة فى تلك الجزيرة يتلخص فى ملاحظتين ظاهرتين :

أولاهما : أن اللهجة العامية إذا انفصلت عن الفصحى تمام الانفصال فقدت ضوابطها وأهمها علاقات التركيب بين جملها وعباراتها المطولة ، وفقدت الحروف التى تتميز بها العربية .

وثانيهما : أن تسجيل اللهجة بالكتابة ينتهى إلى قطع الصلة بين فروع اللغة وجذورها ، ولا سيما الكتابة بالحروف اللاتينية .

وليست قيمة الوزن فى حفظ علاقات التركيب مما تفوتنا ملاحظته فى هذا المقام ؟

عباس محمود العقاد

التقابل - دون التشابه

عامل من عوامل النمو الاجتماعى، وسُنّة من سنن الطبيعة

للأستاذ الدكتور محمد البهى

هل يمكن أن يقوم مجتمع بشرى من أفراد لهم خصائص واحدة ؟ : هل يمكن مثلا أن يكون مجتمعَ ذكور أو مجتمع إناث فقط؟. هل يمكن أن يكون أفراده متساوين فى الثروة أو فى عدمها أو متساوين فى قوة الشخصية الفردية أو ضعفها ؟ .

إن التقابل - وليس التشابه - مبدأ ضرورى لبقاء المجتمع البشرى . فى انسجامه وتماسكه .

١ - والأسرة - التى هى النواة الأولى للمجتمع - قيامها واستمرارها ليس رهناً فقط بمقابلة طرفيها من ذكورة وأنوثة بالمعنى الجنسى الذى يحقق التفاعل الحيوانى بينهما ويشكل النسل المقبل الصادر عنهما . وإنما يكون مع ذلك أو قبله بالتقابل فى الخصائص النفسية التى للذكورة والأخرى التى للأنوثة . وربما يتبع ذلك عدم التشابه فى التكوين البدنى بين الذكر والأنثى .

فرجولة الرجل تفرض عليه من طبيعته أن يكون ذا شخصية قوية فى الترجيح ، وفى التصميم والتنفيذ . والترجيح يستلزم التأمل والدراسة كما يستلزم الخبرة والتجربة .

والتصميم يتطلب قوة الاحتمال وطول الأناة والكياسة وسعة الحيلة .

وأنوثة المرأة تفرض عليها من طبيعتها أن تكون متجاوبة : تملك الطاقة على الملاءمة والقدرة على التقبل . وهى بحكم أمومتها الكامنة فيها ، تعطف ، على ولدها وتميل إليه أو تميل نحوه فى حضانته ورعايته . والولد لا يتبع اتجاها واحداً فى صغره بل شأنه فى الاتجاه كشأنه فى الحركة التى يتحركها ، لا نُعرف معالمها على وجه محدد ثابت . فإذا لم تكن الأنثى من طبيعتها كأم ذات عطف وذات قدرة على الملاءمة لا تستطيع حضانة طفلها ولا قيادته فى السلوك وتكوين العادات فيه نحو اتجاه خاص مرغوب فيه .

والطبيعة البشرية كما تفرض على الرجل إذن أن يستمر فى خط واحد - وهذا ما يتطلب منه قوة الإرادة أو قوة الشخصية - تفرض على المرأة أن تعدّل اتجاهها ، كلما كانت هناك حاجة ماسة إلى التعديل فيه .

وهذا التعديل بدوره يتطلب منها قوة الملاءمة أو التجاوب أو العطف والميل كما ذكرنا .

ولو فرض العكس ، وكان الذكر ضعيف

الشخصية : يتردد عند الترجيح أو التصميم ، ويميل يمنة ويسرة فى اتجاهه ، وكانت الأنثى فى مقابل ذلك قوية الشخصية ، قليلة العطف والميل ، وقليلة التجاوب والملاءمة — فإن الاقتران بينهما لوقام لا يدوم ، وتفقد المرأة على وجه أخص أهم عامل فى حياتها الزوجية وأهم معاون يدفعها كزوجة على الاستمرار فى هذه الحياة الجديدة الطارئة عليها ، لأنها تشعر وقتئذ بالرجولة فى طبيعتها ، بينما لم تتخلص هذه الطبيعة بعد من جميع خصائص الأنثى .

وهنا يكون التناقض الداخلى فى نفسها ويكون الصراع بين عنصرين متنافرين فى مركب واحد ، وهو مركب طبيعتها المسترجلة . ثم بالإضافة إلى ذلك لو ولدت ولداً بحكم التفاعل الحيوانى مع زوجها لا تملك توجيه الأمومة عندئذ ، وبالتالى لا تصلح بحكم تشويش طبيعتها أن تكون حاضنة له . ومن ثَم لا تكوّن مثل هذه الأسرة نواة طيبة لمجتمع سليم .

ولو فرض أيضا أن كليهما كان قوى الشخصية أوضعيفها فالأمر لا يعدو استمرار الاحتكاك والنزاع فى حال قوة شخصيتهما معاً ، ولا يعدو الملل والسآمة والتخبط والاضطراب فى حال الضعف الذى يسيطر على شخصية كل منهما .

وأسرةٌ يبدأ الاحتكاك فيها ، من أول قيام العلاقة بين طرفيها ، ولا ينقطع هذا الاحتكاك طول قيامها بحكم الضرورة التى أوجبها افتراض قوة الشخصية فى الاثنين ، هى مثل الأسرة الأخرى التى يسود فى العلاقة فيها الملل والاضطراب والتخبط ، بناء على افتراض ضعف الشخصية لكل من الزوج والزوجة - لا تعتبر إحداهما هى الأسرة التى يقوم على أساس منها مجتمع قوى متماسك .

والقرآن الكريم عند ما يقول فى تنظيم العلاقة الأسرية : « الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض » ، يعبر ضمنا عن مبدأ التقابل الذى بين الذكر والأنثى والذى هو سبب فى الانسجام واستمرار الزوجية الصالحة ، بعد أن يكشف صراحة عن خصيصة الرجل وهى رجولته التى تفرض عليه القيادة . تلك القيادة التى تتطلب بدورها قوة الشخصية فى الترجيح والتميز على السواء .

وليس فى القرآن هنا فى هذه الآية ما يفيد بعد ذلك أنه وراء قيادة الرجل - بناء على قوة الشخصية المفترضة فيه - معنى آخر يبرر له أن يسىء التصرف مع زوجه بما يخرج عن مفهوم القيادة الإنسانية الرشيدة . وليست قيادته أو قوة الشخصية المفترضة فيه إلا خاصة وجدت فى طبيعته ، كما وجدت الخاصة البشرية الأخرى وهى قوة التجاوب والملاءمة فى الأنثى كميزة لها تفضل بها طبيعة الرجل . وكلتا الميزتان تحققان مبدأ التقابل

الذى هو ضرورة للانسجام والتعويض فى التقاء فردين وبقائهما فى علاقة بشرية قوية.

وحديث المتحدثين عن المساواة بين المرأة والرجل، أو بالأحرى حديث المتحدثين عن حرية المرأة إذا عنوا بالمساواة بين الاثنين أو عنوا بحرية المرأة عدم استغلال الرجل لقوة شخصيته وعدم إساءة استخدامه لقيادته فى سلوكه مع المرأة — فذلك منطق الطبيعة البشرية، وبالتالى تعاليم الإسلام. ولكن إذا قصدوا — من وراء ذلك — كما يحاول كتاب الشيوعية — إلغاء هذا الفارق البشرى فى طبيعة كل من الاثنين، فقبل ذلك يجب عليهم أن يزيلوا نتوء الثديين فى صدر المرأة، عن طريق «إله العلم!!» أو ينموا بوسيلته أيضا صدر الرجل ليصبح مساويا لصدر المرأة. وعندئذ تكون الطبيعة البشرية العضوية متساوية، كما تكون خصائصها التى تنبثق عنها واحدة، لا تفترق إلا فى نموها واتجاه تطورها، بعد أن تكون متحدة فى ذاتها وجوهرها.

والاشتراكية الاجتماعية التى يحاول بعض كتابنا العرب بعد أحداث الثورة فى عيدها التاسع أن يفرضها فى الأسرة العربية على أنها تنظيم إنسانى فى الدرجة الأولى: فتعطى المرأة نفس الحرية الشخصية التى تعطى للرجل بداهة، وتعطى من المسئولية نفس المستوى الذى يعطيه الرجل لنفسه — هى اشتراكية بالمعنى الذى يحاول كتاب الشيوعية أن يجعلوه مبدأ إنسانيا، لكنه لا ينبثق عن ازدواج الطبيعة البشرية للرجل والمرأة، ذلك الازدواج الذى تكشف عنه الخصائص الجسمية، ومعها الخصائص الإنسانية المميزة لكل من الاثنين.

إن هناك فرقا بين إساءة الرجل استخدام خصيصته البشرية وبين عدم اعتبار ما بين الرجل والمرأة من خصائص تميز أحدهما عن الآخر تميزاً طبيعياً لا حيلة إطلاقا للإنسان فيه، ولا يخضع لاختلاف التقدير والاعتبار.

ليس هناك كاتب إنسانى أو اجتماعى يرضى عن سوء السلوك الإنسانى أيا كانت دوافعه. ولكن يجب أن تحدد الحقائق طبقا لواقعها، لا طبقا لاعتبار خاص يملأ نفس الكاتب ويدفعه عند عرض معالجته لمشكل ما إلى اتجاه خاص.

إن معالجة بعض ظواهر النقص الاجتماعى لا تكون بإنكار مبدأ طبيعى واقعى فى حياة الإنسان، وإنما بتتبع مصادر النقص نفسها ورفعها أو كبتها من حياة الإنسان فى المجتمع.

* * *

٣ — ولو انتقلنا إلى مظاهر الحياة الاجتماعية الأخرى فيما وراء الأسرة لوجدنا

أن « التقابل » كما هو ضرورة فى قيام الأسرة ـ كنواة للمجتمع ـ ضرورى لبقاء الحياة الاجتماعية وبقاء قوة المجتمع وتماسكه : التقابل فى الثروة والغنى والتقابل فى المعرفة ، والتقابل فى القيادة والتوجيه ، والتقابل فى الإمكانيات التى تجعل من بعضها عوضا عن البعض الآخر بين الأشخاص والتى من أجل ذلك تقرب الفردين لحاجة العوض إلى الإبقاء على العلاقة والترابط بينهما .

فحرمان الأفراد من الملكية الفردية إطلاقا ، والمساواة التامة فى توزيع الثروة بحيث لا يشذ فرد عن فرد فى عدد أو فى نوع ما يملك ـ ظاهرة غير طبيعية فى المجتمع ، وبالتالى لا تؤدى إلى لقاء الأفراد بعضهم مع بعض ولا إلى تماسكهم . لأن مبدأ العوض القائم على « التقابل » غير موجود الآن . وهنا كانت الشيوعية ـ فى الجانب الاقتصادى ـ القائمة على الحرمان من الملكية الفردية إطلاقا ظاهرة تفرض على المجتمع ، ولكنها لا تكون منبثقة عن تطوره الطبيعى . وكذلك الشأن فى توزيع الثروة القومية على الأفراد بنسب متساوية فى كمها نوعها أيضا ظاهرة تأتى من خارج المجتمع ، ولكنها لا تعبر عن تطور داخلى فيه .

والتقابل فى المعرفة كذلك مبدأ طبيعى ، والتخصص الناشئ عنه ظاهرة اجتماعية طبيعية . فليس من المعقول أن يكون جميع أفراد المجتمع أطباء ، أو علماء طبيعة أو جيولوجيا ، أو علماء اقتصاد قومى أو سياسى ، ولا من المعقول كذلك أن يكونوا متساوين بدرجة واحدة فى نفس المستوى الذى لكل واحد منهم . وإنما المفارقة أو التقابل تملى ضرورته حياة المجتمع نفسه بل يمليه تماسكه واستمراره كمجتمع : فهناك الطبيب وفى مقابله من لا يعرف الطب من رجال القانون أو الهندسة أو الطبيعة أو الكيمياء . وهناك القانونى ومن معرفته بالقانون معرفة سطحية أو قليلة الجدوى من رجال الطب أو العلماء الآخرين وهكذا ...

وهناك التقابل فى القيادة والتوجيه : هناك شخصية القائد الذى يأمر فيطاع ، وهناك شخصية الرعية التى تؤمر فتطيع . هذا التقابل حتمى لبقاء المجتمع وتماسكه وظاهرة طبيعية فيه . وليست شخصية القائد الذى يأمر فيطاع ترجع إلى العنف أو إلى القهر والإلزام ـ وإلا لا تكن عنصراً فى ظاهرة طبيعية ـ وإنما ترجع إلى كياسته وصبره وتحمله المشاق فى سبيل تنفيذ قيادته ، بعد فهمه الواعى لحياة مجتمعه ونفسية شعبه ، وبعد محبة له من رعيته بناء على إحساسهم الذى يكاد يكون مجسداً بما تنطوى عليه نفسه وينطوى عليه تفكيره وقلبه بالنسبة لخير مجتمعه .

وشخصية الرعية التى تؤمر فتطيع لا ترجع قابليتها للأمر وتنفيذها للطاعة إلى ضعف فى أفراد الرعية وإنما إلى تأثرهم بمحبة القائد الموجه، وإلى إدراك لما تنطوى عليه نفسه من استقامة فى السلوك نحو رعيته وما ينطوى عليه تفكيره من حكمة وكياسة لقيادة مجتمعه والخروج به من الأزمات الداخلية والخارجية إلى ما يحقق رفاهيته وقوته.

ويستحيل أن يكون جميع أفراد المجتمع من أصحاب القيادة الذين يأمرون فيطاعون، كما يستحيل أن يكونوا جميعا من الذين يقبلون الطاعة، دون أن يكون من بينهم من يولىّ عليهم لصلاحيته للقيادة والتوجيه.

وهكذا التقابل بين أفراد المجتمع، كما هو واضح بين الذكورة والأنوثة، واضح أيضا بين أفراد المجتمع فيما يتميز به فرد عن فرد، وفيما يتميز به مجموع الأفراد عن قائدهم ويتميز به القائد الموجّه عن بقية الرعية التى تقبل القيادة والتوجيه. والمساواة الحرفية فى كل شئ إذن مساواة تفرض أو تفتعل، ولكنها لا تنبثق إطلاقا عن واقع المجتمع وعن علاقات الأفراد بعضهم مع بعض.

ولكن لا ينبغى إطلاقا أن تكون هذه المفارقات، أو يكون مبدأ التقابل مؤديا إلى تكوين طائفية أو تكوين طبقات فى المجتمع. لأن الطائفية أو الطبقية ستقيم حُجُباً تمنع من التقاء الأفراد بعضهم مع بعض. والمفروض أن مبدأ التقابل هو للحمل على الالتقاء وليس للمنع من اللقاء.

فالطبقية والطائفية إذن مرض من أمراض المجتمع يجب أن يمحى، ولكن التقابل نفسه أمر ضرورى يجب أن ينمى وأن يحافظ عليه لبقاء المجتمع وقوته.

وفى حديث الرئيس جمال عبد الناصر فى عيد الثورة التاسع صور القوانين الاشتراكية التى أصدرتها الثورة للتنظيم الاجتماعى والاشتراكى: بأنها للقضاء على الطبقية، وليست للقضاء على المفارقات الفردية. هذه المفارقات التى تكون مبدأ التقابل المذكور.

والإسلام عندما يشير فى آيات كثيرة من آيات القرآن الكريم إلى المفاضلة فى الرزق على نحو ما فى قوله: « والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق »، أو إلى المفاضلة فى الإمكانيات الأخرى الإنسانية: فى المعرفة والتوجيه والقيادة مثلا، على نحو ما فى قوله: « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »، وفى قوله: « وهو الذى جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم »، وفى قوله: « يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » — يقصد إلى المفارقات الفردية التى هى ضرورة فى المجتمع، ولكنه لا يقصد

مجال إلى خلق الطائفية أو الطبقية التى تضع الحجاب بين فرد وفرد والتى تجعل تقدير الأفراد التقدير الإنسانى مختلفاً .

فنداء الله للمؤمنين بقوله : « يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم ، ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيراً منهن » — يعبر تعبيراً واضحا عن أن المفارقات الفردية ليست سببا لاختلاف التقدير الإنسانى الذى تقوم عليه الطائفية أو الطبقية . بل يجب أن يظل — كما هو شأنه فى الوجود — عاملا فى قوة المجتمع ونموه وليس عاملا فى هدمه أو فى تفتيته . إذ الطائفية أو الطبقية تنبئ عن قيام مجتمعات متعددة ، أو وحدات اجتماعية مختلفة داخل إطار المجتمع الأصلى . وهذا بدوره يعنى انحلال المجتمع الأول أو ضعفه على الأقل .

وبتقرير الإسلام المفارقات الفردية ، ومبدأ التقابل فى الحياة الإنسانية ، تختلف نظرته عن نظرة الشيوعية ويقف من أجل ذلك فى طرف آخر مقابل لها . ومن هنا ندرك لماذا تهاجم الشيوعية الإسلام ؟ وندرك بالتالى محاولة بعض كتابنا العرب الاشتراكيين التقليل من قيمة الدين فى حياة الإنسان واستبداله بما يسمى « العلم » وبالوسيلة العلمية فى الإقناع .

والعلم الذى تؤلهه الشيوعية وتحاول أن تجعل منه بديلا عن الدين هو علم صائر متطور ، ومتغير متنقل . لا يُعرف له استقرار ، طالما الإنسان يتطور ، وطالما الإنسان يسعى للكشف والمعرفة فى الحياة ، وما دامت وسائل العلم نفسها تتجدد وتتغير .

وهو من أجل ذلك لايعبر عن حقيقة نهائية ، فلا يصلح بذاته أن يكون وسيلة للإقناع لأجيال الإنسانية جميعها . وإنما ما يصلح منه اليوم لإقناع جيل بعينه قد لا يصلح فيما بعد لإقناع جيل الغد . فضلا عن أن عقلية الناس تختلف ويستحيل أن تكون واحدة ولها مستوى واحد واتجاه واحد ـ مما يحتمه مبدأ التقابل أو مبدأ المفارقات الفردية . والعلم إن صلح لإقناع بعض الناس قد لا يصلح للأكثرية الغالبة منهم .

ومن أجل ذلك كان العلم ـ الذى تحاول الشيوعية أن تجعله بديلا عن الدين فى الإقناع ـ وسيلة قاصرة فى ذاتها ووسيلة محدودة بالنسبة للناس جميعاً .

والاشتراكية بمفهومها غير الملتوى تقريب للناس فيما يملكون وإعادة الوضع الإنسانى الطبيعى فيما يمارسونه فى حياتهم من حرية ومن علاقة ، طبقا لخصائص الطبيعة البشرية ، وتبعا لما توحى به هذه الطبيعة من الكفاح فى سبيل المثل العليا ، وهى مثل الإنسانية : من عدل ، وكرامة وسلام واطمئنان وأخوة ، ومحبة ؟

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى

— ٧ —

اشتهر بين الناس أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حكم فى بعض الأمور بأحكام تخالف ظاهر الكتاب أو السنة ، ويمثلون لهذا بموقفه من المؤلفة قلوبهم ، وبإيقاعه الطلاق الثلاث بكلمة واحدة ، وبتحريم بيع أمهات الأولاد ، وبمنع قطع الأيدى على السرقة فى عام المجاعة ، وغير ذلك .

وبعض المؤلفين والباحثين المعاصرين يطيب لهم أن يصفوا هذا الصنيع من عمر رضى الله عنه بأوصاف تفيد معنى التحرر ، أو التطور ، أو تعليق النصوص أو نسخها ... إلخ ، وهذه نزعة لا تمثل الواقع، ولا تلائم مركز عمر فى فقهه وعلمه وإيمانه بكتاب الله وسنة رسوله .

وقد تحدثنا من قبل عن موقف عمر فى أمر المؤلفة قلوبهم ، وبينا أننا لا نرى فى صنيعه نسخا لآية قرآنية ، أو تعليقا لنصها ، أو تغييراً فى حكمها (١) .

والآن نعرض بالتحليل لموقفين آخرين من مواقف عمر التى مثلوا بها ، وهما : حكمه بعدم قطع الأيدى على السرقة فى عام المجاعة ، وإبطاله لعقوبة التغريب (النفى) للزانى غير المحصن ، بسبب التحاق ربيعة بن أمية بن خلف بالروم ، عند ما عاقبه بهذه العقوبة ، فقال عمر : « لا أغرب بعدها أبدا » ، وجرى من بعده على هذه السنة .

فنقول وبالله التوفيق :

إن الذين يقررون أن عمر رضى الله عنه خالف النص القرآنى حين منع قطع الأيدى بالسرقة فى عام المجاعة ، يريدون بالنص القرآنى قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ، ويقولون إن هذا النص عام مطلق ، فقد أمر الله بقطع يد السارق والسارقة أيا كانوا ، فعمم هذا الحكم تعميما ، وأطلق فيه فلم يقيده بما إذا كانت السرقة حدثت فى حالة مجاعة أو فى حالة يسر ، وقد فهم النبى صلى الله عليه وسلم هذا العموم، حتى قال : « والذى نفسى بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها » ، ولم يرد عنه صلى الله عليه وسلم تقييد القطع بما إذا كان

---

[١] راجع مقالنا الخامس من هذه النظرات فى ح ٧ الصادر فى رجب سنة ١٣٧٩

السارق فى حال يسر ، ومنعه إذا كان فى حال احتياج ، فمن أين أتى عمر بن الخطاب بهذا التقييد ؟ ثم إن عمر لم يكن يكلف نفسه البحث عن حالة السارق ، وهل كان فى حالة فاقة واحتياج ، أو كان فى حالة يسر وحرج من أمره ، ولكنه اكتفى بالحالة العامة للناس فى سنة المجاعة ، وقد يكون السارق بالذات غير محتاج ، فإن حالة المجاعة وإن عمت كثيراً من الناس قد يخرج عنها فرد أو أفراد ، فكيف ساغ لعمر أن يوقف حد القطع قبل أن يحقق حالة السارق نفسه ؟ فما ذلك إلا لأن عمر أعطى نفسه حق التصرف فى النصوص وتقييدها ، أو تعليقها بما يراه محققا للمصلحة .

والجواب ـ وبالله التوفيق :

أن عمر رضى الله عنه لم يعلق هنا نصا ، ولم يعدل ، ولم ينسخ ـ وحاشاه أن يرى لنفسه هذا الحق ـ وإنما فهم أن آخذ المال فى عام المجاعة لا يوصف بأنه سارق ؛ لأنه يرى لنفسه حقا فيما يأخذ ، والسرقة هى أخذ الإنسان ما لا حق له فيه خفية .

بيان ذلك : أن من أصول الإسلام القطعية التكافل بين الناس ، على معنى أنه يجب على المجتمع وجوبا كفائيا أن يغيث أفراده الذين نزلت بهم الفاقة حتى أوردتهم موارد الضرورة ، فإذا لم يقم المجتمع بهذا الواجب الكفائى للمضطرين كان آثما ، وكان للمضطر أن يأخذ ما يقيت به نفسه ويدفع ضرورته .

وعام المجاعة من غير شك ، هو ظرف زمانى يغلب فيه وجود أفراد مضطرين على هذا النحو ، فهو مظنة لوجوب الحق لهم على المجتمع ، ولا ينظر فى هذا لتحقق الضرورة فعلا بالنسبة لشخص السارق ، أو عدم تحققها حتى يقطع أو لا يقطع ، فإن هذا موطن من مواطن الحدود ، والحدود تدرأ بالشبهات ، فيكفى أن يقول الحاكم لعل هذا إنما سرق لضرورة ألجأته إلى السرقة ، فتكون هذه شبهة قوية تدرأ عنه الحد ، أما لو كان العام ليس عام مجاعة ، وإنما هو عام يسر ورخاء فإن هذه الشبهة لا تكون قوية ، ولا يجوز درء الحد بها ، لأن العبرة فى الشبه التى تدرأ بها الحدود إنما هى بقوتها ، وتأييد الظروف لها

فعمر بن الخطاب ، يتعلق فقهه بلفظ ارد فى النص ، هو قوله تعالى : « والسارق والسارقة » فيفسره بأنه آخذ ما لا حق له فيه خفية ، ثم يطبق مفهومه على السارق فى عام المجاعة ، فيراه آخذا ماله حق فيه ، ومن ثم لا يشمله النص ، فلا يجب قطعه . ثم يعمق فقهه فى هذا فيقرر أن مظنة الضرورة ، وهى عموم الأمر ظنا فى عام المجاعة ، تنزل منزلة الضرورة الفعلية ، ومن ثم لا يجب الفحص فى عام المجاعة عن حالة سارق بعينه ، ليعلم أكان فى فاقة وضرورة ، أم لم يكن .

ومما يدل على نظرة عمر رضى الله عنه فى تفسير السرقة بأنها أخذ الإنسان مالا حق له فيه ، ما رواه القاسم بن عبد الرحمن من أن رجلا سرق من بيت المال ، فكتب فيه سعد بن أبى وقاص ، لعمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : « أن لا قطع عليه ، لأن له فيه نصيبا » ولذلك أيضا نظير فيما يروى من فقه على رضى الله عنه ، فقد حدث سفيان الثورى عن سماك بن حرب عن عبيد بن الأبرص : « أن على بن أبى طالب أتى برجل قد سرق من الخمس مغفرا ، فلم يقطعه علىّ وقال إن له فيه نصيباً » .

وفى صنيع عمر من منع القطع فى عام المجاعة ، يقول ابن حزم الظاهرى ، مع شدة تمسكه بتحكيم النص مطلقاً عاما فى قوله تعالى : « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما » ما نصه : —

« قال أبو محمد : من سرق من جهد أصابه فإن أخذ مقدار ما يغيث به نفسه فلا شىء عليه ، وإنما أخذ حقه ، فإن لم يجد إلا شيئاً واحداً فيه فضل كثير كثوب واحد أو لؤلؤة واحدة أو بعير أو نحو ذلك فأخذه كذلك فلا شىء عليه أيضا ، لأنه يرد فضله لمن فضل عنه ، لأنه لم يقدر على فصل قوته منه ، فلو قدر على مقدار قوت يبلغه إلى مكان المعاش فأخذ أكثر من ذلك ، وهو ممكن ألا يأخذه فعليه القطع ؛ لأنه سرق ذلك عن غير ضرورة ، وإن فرضنا على الإنسان أخذ ما اضطر إليه فى معاشه ، فإن لم يفعل فهو قاتل نفسه ، وهو عاص لله تعالى ، قال الله تعالى : « ولا تقتلوا أنفسكم » ، وهو عموم لكل ما اقتضاه لفظه ، وبالله التوفيق » ص ٣٤٣ ج ١١ « من المحلى » .

وهكذا نرى ابن حزم يفهم ما فهمه عمر من أن آخذ حقه لا يكون سارقا ، نعم إنه خص عدم القطع بما إذا اقتصر الآخذ على أخذ حقه ، أو أخذ الأكثر الذى لا يمكن تجزئته ، وهذا خلاف فى تفصيل الرأى بعد الاتفاق على المبدأ ، وعمر أجرى الأمر ، فى عام المجاعة على التيسير فى تقرير الضرورة دون اعتبار ما اعتبره ابن حزم ؛ لأنه رأى ذلك أشبه بغرض الشارع من درء الحدود بالشبهات ، والشبهات كما تكون فى ثبوت الفعل تكون فى تقدير الحاجة وتكييف الفعل .

ومما يتلاقى مع فكرة عمر فى أن الآخذ لا يعد سارقا إلا إذا أخذ ما ليس له فيه حق ، ما قرره مالك وأبو حنيفة والشافعى وابن حنبل وغيرهم من أن الأبوين إذا أخذا شيئا من مال ابنهما أو بنتهما ولو على سبيل الخفية فلا قطع عليهما ، قال الشافعى : وكذلك الأجداد والجدات كيف كانوا لا قطع عليهم فيما أخذوه ولو على سبيل التخفى من مال من

تليه ولادتهم ، ودليلهم على ذلك أن للوالد حقاً فى مال ولده وقد فرض الله على الولد أن يعفف أباه إذا احتاج إلى الناس ، فله من ماله حق بذلك .

فاعتبارهم ثبوت حق الوالد فى مال الولد بما فرضه الله عليه من إعفافه إذا احتاج ، يرشدنا إلى أن من أخذ مال غيره لجهد أصابه لا يعد سارقا لأن الشارع أوجب له بمقتضى الجهد والحاجة حقا فى المال الذى أخذه ، ولا فرق فى هذا المعنى بين مجهود يأخذ من مال غيره ، وآخذ من بيت المال أو من الغنيمة ، إذ كل هؤلاء لهم نصيب فيما أخذوا منه .

وابن حزم يناقش فى مسألة الوالدين والآخذ من بيت المال أو من الغنيمة بما ناقش به فى مسألة الآخذ فى حالة الجهد ، ويصرح فى مسألة الوالدين بالمبدأ المتفق عليه فيقول :

« ولم يخالفهم أحد فى أن الوالدين إذا احتاجا فأخذا من مال ولدهما حاجتهما باختفاء أو بقهر أو كيف أخذاه ، فلا شىء عليهما فإنما أخذا حقهما » (٣٤٥ من المصدر نفسه) .

ويذهب ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين مذهبا قريباً مما ذهبنا إليه ، حيث يعتبر سقوط القطع للشبهة التى تدرأ الحد بناء على الضرورة الملجئة فيقول فى ص ٣٣ من الجزء الثالث :

« وقد وافق أحمد على سقوط القطع فى المجاعة الأوزاعى ، وهذا محض القياس ، ومقتضى قواعد الشرع ، فإن السنة إذا كانت سنة مجاعة وشدة غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه إلى ما يسد به رمقه ، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له إما بالثمن أو مجانا ، الخلاف فى ذلك ، والصحيح وجوب بذله مجانا ،لوجوب المواساة وإحياء النفوس مع القدرة على ذلك والإيثار بالفضل مع ضرورة المحتاج . وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج ، وهى أقوى من كثير من الشبه التى يذكرها كثير من الفقهاء ، بل إذا وازنت بين هذه الشبهة وبين ما يذكرونه ظهر لك التفاوت ، فأين شبهة كون المسروق مما يسرع إليه الفساد ، وكون أصله على الإباحة كالماء ، وشبهة القطع به مرة وشبهة دعوى ملكه بلا بينة ، وشبهة إتلافه فى الحرز بأكل أو احتلاب من الضرع ، وشبهة نقصان ماليته فى الحرز بذبح أو تحريق ثم إخراجه ، وغير ذلك من الشبه الضعيفة جداً ، إلى هذه الشبهة القوية ، لاسيما وهو مأذون له فى مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد به رمقه ، وعام المجاعة يكثر

فيه المحاويج والمضطرون ، ولا يتميز المستغنى منهم والسارق لغير حاجة من غيره ، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب فدرئ ، نعم إذا بان أن السارق لا حاجة به وهو مستغن عن السرقة قطع .

كل هذا يبين لنا أن الأمر فى نظر عمر لم يخرج عن النص ، وليس فيه إبطال له ولا نسخ ولا تعديل ، وإنما هو تطبيق دقيق للفظ المشرع مع ملاحظة رغبته الصريحة فى درء الحدود بالشبهات .

والأمر كذلك فى عقوبة التغريب ، أى نفى الزانى غير المحصن : ليس فى ترك عمر إياه نسخ لنص ، وذلك أنه إنما امتنع عن التغريب بعد التحاق ربيعة بن أمية بن خلف بالروم ، متبعا فى ذلك سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفى ذلك يقول العلامة ابن القيم فى كتابه أعلام الموقعين ص ٢٩ جزء ٣ :

« إن النبى صلى الله عليه وسلم نهى أن تقطع الأيدى فى الغزو » ـ رواه أبو داود ، فهذا حد من حدود الله تعالى وقد نهى عن إقامته فى الغزو خشية أن يترتب عليه ما هو أبغض إلى الله من تعطيله أو تأخيره ، من لحوق صاحبه بالمشركين حمية وغضبا كما قاله عمر وأبو الدرداء وحذيفة وغيرهم ، وقد نص أحمد وإسحق بن راهويه والأوزاعى وغيرهم من علماء الإسلام : على أن الحدود لا تقام فى أرض العدو ، وذكرها أبو القاسم الخرقى فى مختصره فقال : لا يقام الحد على مسلم فى أرض العدو ، وقد أتى بشر بن أرطاة برجل من الغزاة قد سرق بجنة ، فقال لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لا تقطع الأيدى فى الغزو لقطعت يدك رواه أبو داود ، وقال أبو محمد المقدسى وهو إجماع الصحابة : روى سعيد بن منصور فى سننه بإسناده عن الأحوص بن حكيم عن أبيه : أن عمر كتب إلى الناس أن لا يجلدن أمير جيش ولا سرية ولا رجل من المسلمين أحدا وهو غاز ، حتى يقطع الدرب قافلا ، لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار . إلخ » .

ثم أورد ابن القيم فى ذلك أمثلة أخرى . وعقب بقوله :

« وليس فى هذا ما يخالف نصا ولا قياسا ولا قاعدة من قواعد الشرع ولا إجماعا ، بل لو ادعى أنه إجماع الصحابة كان أصوب ، قال الشيخ فى المغنى : وهذا اتفاق لم يظهر خلافه . « قلت » وأكثر ما فيه تأخير الحد لمصلحة راجحة إما من حاجة المسلمين إليه أو من خوف ارتداده ولحوقه بالكفار ، وتأخير الحد لعارض أمر وردت به الشريعة كما يؤخر عن الحامل والمرضع ، وعن وقت الحر والبرد والمرض ، فهذا تأخير لمصلحة المحدود ، فتأخيره لمصلحة الإسلام أولى » .

(اه ما ذكره ابن القيم ص ٣٠ من الجزء نفسه) .

وأقول : إن هذا البحث وإن كان فى تأخير الحد وليس فى مسألة التغريب ، إلا أنه يرشدنا إلى ما استند إليه عمر أخذا من سنة النبى صلى الله عليه وآله وسلم حيث رآه ينهى عن القطع فى الغزو ، وعن أن يحد مرتكب مع خوف لحوقه بالمشركين ، ففهم من ذلك أن الحرص على بقاء المسلم وعدم لحوقه بالكفار مقدم فى السنة على إقامة الحد ، ولا شك أن هذا رعاية للمصلحة ، ولكنها مصلحة أرشد إليها الشارع نفسه واعتبرها وطبقها ، فلا مناص من تطبيقها وتنزيل النص عليها ، والأمر فيها يرجع إلى القياس ، حيث معنا أصل وهو عدم تنفيذ الحد ، وعلته وهى خوف لحوق المحدود بالكفار ، وفرع وهو عدم التغريب للعلة نفسها .

وإذن فليس هذا نسخا من عمر لحكم شرعى وإنما هو اتباع لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولو أن الخوف من لحوق المسلم بالكفار زال لوجب الحد ، جلداً كان أو قطعا أو تغريبا .

هذا وفى التغريب كلام آخر من حيث كونه حدا أو تعزيرا ، وعلى أنه تعزير يكون الأمر فيه إلى الإمام ، إن شاء فعله وإن شاء تركه لمصلحة يقدرها ، وهو مفوض فى ذلك من الشارع ولا يعد حين الترك ناسخا لحكم؟

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

المرء بمخبره لا بمظهره

وقف رجل حسن الشارة ، حلو الإشارة على المبرد فسأله عن مسألة ، فأحال ولحن وتسكع فى الخطأ فقال له المبرد : يا هـــذا ، أنصفنا من نفسك ، إما أن تلبس على قدر كلامك ، وإما أن تتكلم على قدر لباسك ! .

نفحات القرآن

مقارنات ومفارقات

بين الجنّ والأنس والأنعام

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام ، بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون » .

١ — بينما نجد القرآن الكريم يرفع من شأن الإنسان فى كثير من آياته ، حتى ليصرح بأن الله فضله على كثير من خلقه تفضيلا !! .

نجد القرآن فى مقامنا هذا ينزل بالإنسان إلى حضيض الهوان ، حتى ليجعله فى منزلة الأنعام من بقر ، وأغنام ، وإبل .

وهذا تنويع فى الحديث عن الإنسان يثير الانتباه إلى ما هنالك .

٢ — فتفضيل الإنسان باختياره خليفة فى الأرض ، وإيثاره بالمدارك والشعور ، وتخصيصه بالعلم والحكمة ، وتمييزه بالتشريع ، وتوجيه الخطاب إليه ، واختيار الأنبياء منه وفى كل ذلك إشادة بالإنسان ، وتقليد له بمقاليد الثقة فيه ، وانتظار الأمانة من جانبه ، والوفاء بما عهد إليه من طاعة ، وتعمير ، واستخدام للطبيعة فى إبراز معالم القدرة .

٣ — والنزول بالإنسان بعد ذلك منوط بأسباب من جهته هو ، وبما رضى لنفسه من تجاهل لمكانته ، وشأنه ، وتسامح فى أمانته وزهادة فى حسن علاقته بربه الذى بوأه مقعد السيادة بين خلائقه .

وقد مر بنا فى حديث قريب أن بعض بنى الإنسان هبط بنفسه حتى عاد فى لجاجه أشبه بالكلب اللاهث دائما والذى اعتاد الناس أن يذكروه فى معرض التسفيه والحقارة ، وإن كانت له مزايا مشكورة .

٤ — فإن يكن للإنسان مقام رفيع فى اعتبار القرآن فذلك بما آتاه الله من فضله ، وإن يكن للإنسان هوان ، ونزول فى قصص

القرآن ، فذلك بما اختار الإنسان لنفسه والجناية منه ، لا من سواه ، والإنسان ظلوم ، جبار ، كفار .

٥ - ومن عدالة القرآن فى حديثه أن يفصح فى موضوعنا الآن عن صفات أولئك الذين أساءوا ، ويذكر شأنهم ، وما كانوا عليه ، فلم يجعل الحكم لبنى الإنسان جميعا ، وإن كان له تعميم فى بعض الأحيان قاصدا إلى الجنس فى عمومه الإجمالى ، لا إلى التعميم فى حكمه وهو يقول هنا : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس » فهذا حديث عن عن فريق من الجن والإنس لا عن الجميع والحمد لله .

فالجن والإنس مكلفون جميعا ، وإن كانت الرسالة فى الإنس خاصة فالتبليغ عام بالوساطة ، ونحن نعلم أن الله إذ خلق الجميع جعل الغاية العليا المنظورة منهم أن يعبدوه ، ولا يشركوا به غيره « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » .

وهذه الغاية بحسب فطرتهم وما أتيح لهم من إدراك ، ومقارنة بين الخير والشر والحق والباطل ، وتفضيل واختيار لأنفسهم .

وفى جانب ذلك يقول : « ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والإنس » فكيف يخلقهم للعبادة ، ثم كيف يخبر أنه خلقهم وبثهم فى كثرة ظاهرة ليكونوا لجهنم .

وهذه شبهة يتخيلها الفهم ، ولكن المراد أنه بعد أن خلقهم كانت عاقبة ذلك أن حصل من كثير منهم انحراف باختيارهم ، فعملوا عملا غير صالح ، فكانوا لهذا أهل جهنم ... والله تعالى يحيط بكل هذا من قبل أن يخلقهم ، ويعلم أن اختيارهم سيكون شرا على أنفسهم ، فذرأهم فى دنياهم عالما بمآلهم الأخير ، فكأنه خلقهم لهذا وحده بمقتضى اختيارهم الخاص وانصرافهم عن الهداية إلى غيرها .

وذكر الجن فى صدر الكلام يؤكد أنهم مكلفون كما تؤكد ذلك آيات كثيرة صريحة ، بل يؤكد أن حظهم فى العقاب أشد من الإنس لكثرة العصاة ، منهم وحسبنا أن الشياطين منهم . وفى هذا ما يزيل الجهالة التى دفعت بعض المتحدثين إلى إنكار تكليف الجن بما كلف به الإنس من شئون الدين .

٦ - ثم أخذ القرآن يواجهنا بسبب انحدار الإنسان مع المنحدرين من الجن عن مستواه الرفيع ، واتجاهه إلى غير أهدافه الكريمة .. فذكر أموراً ثلاثة .

الأول - أن لهم قلوبا - ولكن لا يفقهون بها .
الثانى - أن لهم أعينا - ولكن لا يبصرون بها .
الثالث - أن لهم آذانا - ولكن لا يسمعون بها .

(ا) فالقلب للتعقل ، وهو هنا جانب روحى فى الإنسان ، ليس مرادا منه تلك القطعة المعروفة فى الجسم ويسمى عند العلماء

فى الجانب الشرعى عقلا بالنسبة لأنه أداة الفهم ، والتعقل ، ومن هـذا قوله تعالى : « أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها ؟ ؟ » .

ويسمى عندنا اليوم بالضمير ، ومن هذا قوله تعالى : « وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة » . أى تألمت ضمائرهم بسبب كفرهم .

(ب) والأعين للإبصار ، والمشاهـدة ، وتعرف ما فى الدنيا من آثار القدرة وملامح الوجود فى هذه الحياة .

(ﺟ) وكذلك الآذان للسمع ، واستماع القرآن والإرشاد والاعتبار .

ومن هـذا يتبين أن الآيات الكونيـة المشاهـدة ... وأن الآيات المتلوة فى القرآن تتلاقى كلها من طريق السمع ، والبصر ، وتستقر آثارها فى القلب الواعى ، فتكون النتيجة علما وإيمانا وفطنة إلى كل ما ينفع وتلك غاية الدعوة الدينية لخير الإنسان من هنا وهناك .

وهذه الوسائل موفورة للجن ، وللإنس خلقت لهم ؛ لأنهم أهلها ، وفى حاجـة إلى الانتفاع بها ، فإذا عطلوها عن الجانب الدينى أو صرفوها إلى غير النواحى الجـدية ، فلم يستفيدوا بها تعقلا ، ولا مشاهدة ، ولا متابعة لأحداث التاريخ ، كانوا فى هذه الناحية أشبه بالأنعام فى سذاجتها .

فإن الأنعام لا تعقل من دنياها إلا ما تدفعها إليه الغريزة من إحساس بالجوع أو العطش والتعب ، وليس لها فى دنيا العـلم مجال ... وعلى هـذا لا يتحقق الفرق فى الإنسان على الحيوان ما دامت الغـاية واحـدة فى أكل وشرب ، وملاذ ، ومتاعب .

بل المكلفون من الجن والإنس يكونون أكثر ضلالا من الأنعام ؛ لأن هذه معذورة بتجردها من تلك المزايا ، والوقوف بها عند تسخيرها للإنسان فى منافعه .

بل يكون المتكلفون كذلك أكثر ضلالا لسماعهم ما سمعوا من الآيات ، وشهودهم ما شهدوا ، ولعلمهم بأنهم مسئولون عن كل ذلك ، ومعاقبون على إغفاله ، فهم سادرون فى غير اكتراث .

مع أن الأنعام تتقى ما يخيفها ، وتتجنب ما يضرها إذا استشعرت شيئا من ذلك .

فوضح أن الإنسان والجن قد تنزل مكانتهما فى الاعتبار عن درجة الأنعام .

وصدق فيهم قول الله تعالى : « لهم قلوب لا يفقهون بها ـ إلى قوله : إن هم إلا كالأنعام ، بل هم أضل » .

ولو كانوا من غير قلوب ، أو من غير أعين ، وأسماع : لكان خطبهم أهون

ولكن الحجة قائمة عليهم بما أنعم الله ، وبما فضلهم به ، ولكنهم عطلوا هذه الأسباب التى أتيحت لهم فكانت عليهم مسئولياتها ، وصاروا فى غفلة عن أنفسهم لا تساويها غفلة الحيوان الأعجم؛ وكأنه لا غفلة من سواهم مهما يكن الشأن ، لحصرها القرآن فيهم « . . وأولئك هم الغافلون » وما زال القرآن يجدد الذكرى ، ويصدع بها فى الأسماع ، وهم على ما وصفوا به « إن السمع والبصر والفؤاد : كل أولئك كان عنه مسئولا . »

وما يزال الإنسان يعطى من نفسه دليلا على صدق ما ورد فى شأنهم ، وما يزال واقفا من دعوة الله موقف الأجنبى عنها ... كأن هناك إنسانا آخر ، وكأنه هو ذاهب إلى عاقبة مضمونة فى ناحية غير الناحية التى يحشر الناس إليها جميعا .

وإذا كانت الآيات التى عرضنا لها زاجرة : أو من شأنها أن تزجر المرء عن ضلاله ، فعليه فى حساب العقل الواعى أن يختار غير مسلكه .

ومن لطائف الكتاب العزيز أن ينتقل بنا من جانب الإنكار ، والتنديد فى هذا المقام : إلى جانب الإرشاد ، والتبصير . . وهذه سياسة علاجية يستريح إليها المنطق الناضج ، ويدركها الشعور الحصيف . وانظر إلى قول الله ــ سبحانه ــ عقب ذلك التهديد ، والتقريع : « ولله الأسماء الحسنى ، فادعوه بها ، وذروا الذين يلحدون فى أسمائه ، سيجزون ما كانوا يعملون » نعم : من طرق العبادة التى رضيها الله لنا ودعانا إليها ، ويحاسبنا عليها . أن ندعوه بأسمائه ، ونقصد إليه فيما نحتاجه ونطلبه ، متوسلين بذكره والثناء عليه بما هو أهله ، وفى الذكر تواضع مفروض علينا ، وتعظيمه حق مطلوب منا ، وفى الثناء تقرب ، واستشفاع ، وحظوة .

ثم لم يضيق الله علينا فيما نذكره به ، بل له أسماء كثيرة ، وكلها ميسورة ، وله صفات كذلك تثبت له ما هو حق له وحده .

وطريق العلم بها كتابه وسنة رسوله فهو الله ، العلى ، الكبير ، الواحد ، الأحد ، المنعم ، الرحمن الرحيم ، السميع العليم ... وهكذا مما نعرف بداهة ومما نتلوه فى كتابه ، وباب ذلك واسع .

وهناك صفات وردت فى سياق آياته ولكنها لا تذكر إلا مقرونة بما يتعلق بها فالله يقول « أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون؟؟ » فلا يقال مثلا : الله زارع لأنه وصف لم يختص به تعالى بل يقال على أنه خالق الزرع .

ويقول تعالى عن الكفار : « الله يستهزئ بهم » فلا يقال فى دعائه : يا مستهزئ لأن ذلك ليس من الثناء المحض .

ويقول سبحانه : « ومكروا مكرا ، ومكرنا مكرا وهم لا يشعرون » فلا يقال فى دعائه ولا فى جانبه مطلقا : يا ماكر أو الله ماكر .

لذلك نذكره بما هو مشهور لدينا من صفات الكمال .

وأما ما لا نعرفه فلنتوقف فى ذكره به ، وكفانا ما نعرف من أسمائه وصفاته . وللعلماء تفصيل مشكور فى مواضع الحديث عن أسماء الله تعالى .

وقد وصف الله الأسماء بقوله : « الحسنى فادعوه بها » يشير إلى أسمائه الواردة وإلى ما ليس بمحظور ، ولا شبهة فيه . . وكل أسمائه الواردة وصفاته الكريمة : كلها حسن وحق وذكرها عبادة .

وكان الناس قديما يلحدون فى أسمائه ، فينكرون بعضها كلفظ الرحمن مثلا « وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن ، قالوا : وما الرحمن؟» يجهلون ذلك أو يتجاهلونه وكانوا يدخلون فى أسمائه مالا يليق به كوصفه بالأب ... أو كانوا يطلقون بعض أسمائه المعروفة ويريدون بها غير الصواب .

والله سبحانه ينهانا عن الوقوع فى مثل هذا فيقول : « وذروا الذين يلحدون فى أسمائه» أى اتركوا هؤلاء المنكرين ، أو المختلقين ، أو المتأولين ، فكل ذلك يسمى إلحادا ، وحشوا غير سائغ فى جانب الله .

وقد يمتد هذا الكلام إلى ما يدور فى صفوف الذاكرين من إخواننا الأتباع وما أحب أن أثير نقاشا حول هذا وفى ترجيحه أو عدم ترجيحه ، ومن الخير كثيرا أن نأخذ بما لا شبهة فيه ، والنبى صلوات الله عليه يقول : « دع ما يريبك إلى مالا يريبك» والله يعصمنا جميعا من الإلحاد والانحراف ؟

عبد اللطيف السبكى
عضو جماعة كبار العلماء

قيل ليزيد بن المهلب : إنك لتلقى نفسك فى المهالك !

قال : إنى إن لم آت الموت مسترسلا أتانى مستعجلا ، إنى لست آتى الموت من حبه ، إنما آتيه من يقبضه ، ثم تمثل :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد   لنفسى حياة مثل أن أتقدما

من تاريخ المماليك

مصر تحتفل بالمولد النبوى

للأستاذ محمد رجب البيومى

تحتاج العواطف النفسية إلى متنفس يجسدها للعيان فتتخذ مظهراً محسوساً يكون تعبيراً صادقا عن أوراها الملتهب ، وحب المسلمين عامة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتضح للمتأمل فى مشاهد كثيرة لعل أعظمها روعة وخلابة هو الاحتفال بمولده الشريف ، فقد دأب أبناء الإسلام منذ أمد بعيد على الاهتمام بذكراه الطيبة فى كل مناسبة تحين ، ومصر الإسلامية كانت بحمد الله أسبق الدول كافة إلى الاحتفال بالمولد السعيد ، فلا يعرف التاريخ الإسلامى قبل الدولة الفاطمية بلداً إسلامياً بدأ بهذه السنة المباركة غير وادى النيل ، وقد لمس المعز لدين الله حقيقة هذا الحب الكامن فى النفوس لنبى الإسلام فقام لأول مرة فى التاريخ بالاحتفال بمولده الشريف ، ورأى من الاستجابة الصادقة والترحيب الحار ما جعله يتفنن فى استقباله عاما بعد عام ثم سار خلفاؤه من بعده على طريقته فكان لهذا اليوم الأغر فى تاريخهم صدى مسموع ، ولن يقول قائل : إن الدولة الفاطمية قد احتفلت بمواسم كثيرة غير المولد النبوى لتلفت إليها الأنظار ، لأن أكثر هذه المواسم قد فنيت بفناء الدولة الفاطمية ، ولكن الاحتفال بالمولد النبوى قد فرض وجوده على التاريخ فلم يذهب بذهاب الفاطميين ، إذ أنه يعبر عن رغبة حارة فى النفوس ، فهو يستمد وجوده الدائم من خلجات المشاعر ونبضات الأحاسيس ! وأنت ترى الآن جمهور المصريين فى الريف يحتفلون بالمولد النبوى حتى فى غير مناسبته ، فإذا ما أراد رب المنزل أن يظهر نعمة الله عليه فى مناسبة سعيدة أعلن عن وليمة خاصة يدعو إليها الفقراء والفقهاء ، ودعاها وليمة المولد النبوى ، وفى مساء هذه الليلة العامرة يحضر الأصدقاء والأقارب ليستمعوا قصة المولد النبوى من فقيه القرية !! ولدينا أدب خاص بالمولد النبوى فى تراثنا العلمى لا أدرى كيف غفل الباحثون عن تقييمه ورصده ، فعشرات العلماء والأدباء كالبرعى والبرزنجى والمناوى والنووى قد ألفوا قصص المولد النبوى ، وملئوها بالمعجزات الخارقة والأبيات السائرة ، وكاد الريفيون يحفظونها عن ظهر قلب لكثرة ما ترددت على أسماعهم فى الليالى العامرة والأمسيات السعيدة ، وأذكر أن وزارة الأوقاف لعهد غير بعيد قد دعت

إلى مسابقة عامة لوضع قصة معاصرة من قصص المولد النبوى وكان الأستاذ عبد الله عفيفى فائزها الأول ! ! ومع أن الشيخ على محمود قد قام بتلحينها وإذاعتها عدة مرات إلا أنها لم تلق قبول سابقها من القصص النبوية ، لأن أسلوبها الأدبى كان يعلو مستوى الجمهرة من السامعين ! وبقيت القصص القديمة تتردد إلى الآن فى شوق وإعجاب .

هذه القصص وحدها دليل لايخطئ على اهتمام الشعب المصرى بالمولد النبوى فى ربيع الأول وغير ربيع الأول من شهور العام ، وكأنى بنابليون الداهية ، وقد أدرك هذه الحقيقة القوية فأصدر أمره لأول عهده فى مصر بإقامة احتفال مشهود بالمولد النبوى، فأقام السرادقات الفخمة ، وأوقد المصابيح المتلألئة وجعل الزوارق الجميلة تعبر مياه الخليج حاملة طوائف المغنين وأرباب اللهو والمسرة ، وقدم المطاعم والمشارب على نطاق متسع ! وكان فى هذا العمل الرائع ما يدعو الجمهور المصرى إلى المشاركة فيه ! ولكن العاطفة الصادقة تلمح أثر الرياء الكاذب فيما تشاهد وتلمس ، إذ لا يعقل فى منطق العقل أن يقوم بالاحتفال بمولد محمد صلى الله عليه وسلم إنسان لايؤمن بنبوته ولا يعرف حقيقة دينه ! فانصرف الناس عن هذا الاحتفال الرسمى ، وعكف كل مصرى ليلة الميلاد فى منزله يقرأ القصة النبوية ، ويولم لأصدقائه وأهله ، ويؤدى واجبه الدينى عن إخلاص وإيمان !

وسنجلو فى هذا الحديث صفحة رائعة لملك من ملوك الإسلام فى مصر هو الأشرف قايتباى إذ قام بالاحتفال بمولد الرسول الأعظم قياما لا يشاركه فى روعته وجلاله أحد فيما نعلم غير الملك المظفر صاحب إربل ، وقد تناولته بالحديث فى مناسبة سابقة على صفحات مجلة الهلال ، فلن أعود إليه الآن ، ولكنى أسجل هنا بعض ما قام به الأشرف قايتباى من احتفاء واستعداد ، ليعلم الناس كيف يدفع الحب المؤمن صاحبه إلى التفنن والإبداع .

لم تكن سلطنة الأشرف قايتباى - وقد ناهزت الثلاثين - مجالا للدعة والهدوء ، فيظن أحد أنه تفرغ للاحتفال بالمولد على هذا النطاق البديع حين خلا له الجو وسالمته الأيام ، ولكنه قاسى من الشدائد والأهوال ما يرهق النفس ويشغل الخاطر ، فقد انتقض عليه الثوار غير مرة فى شمال الشام ، وزحفت جنوده إلى قمع الثورة ، وإعادة الهدوء متكبدا شتى المصاعب والأهوال ، كما منى بإغارة ملك العراقيين لعهده على أطراف مملكته ، فلم يستطع السكوت وتحركت إليه الكتائب المصرية فردته على أعقابه بعد كفاح مرير وجهد شاق ، وكانت ثالثة الأثافى فى مناوشات

الدولة العثمانية التى بدأت تتطلع من ذلك الحين إلى مصر فكدرت الخواطر وألهبت الصدور واضطر الأشرف قايتباى إلى محاربة العثمانيين فى عقر دارهم ، واستولى على مدن كثيرة من ممتلكاتهم مثل أدنة وقيسارية ثم تصالح الطرفان وطويا الضلوع على شجون وآلام ! ! والعجب العاجب أن هؤلاء العثمانيين يتطلعون إلى مصر ، ويتركون الاندلس عن جانبهم تسقط مدينة وراء مدينة : وكان فى قوتهم الهائلة وذخيرتهم القاتلة ما يحفظون به الإسلام فى بلاد تتكالب على إبادته ، لو صدقت الهمم وأخلصت القلوب ، ولكن هذا ما كان :

أجل ، لم تحل هذه الكوارث المتتابعة دون إقامة الاحتفالات الباهرة بالمولد النبوى الكريم على نحو باهر عظيم ! ولعل من الغرائب النادرة أن نعرف أن قايتباى قد أعد سرادقا خاصا بالمولد النبوى كان يسمى إذ ذاك بالسرادق الأشرفى ، يضم آلافا من القطع المطرزة المبطنة بالحرائر والديباج ، وقد حليت بمختلف الزخارف والرسوم ، وكتب عليها نماذج متعددة من آيات القرآن وأحاديث الرسول وقلائد الأبيات بخطوط أنيقة مختلفة الألوان والحجوم ، وإذا كان الفن الزخرفى قد بلغ روعته فى هذا العصر كما يلحظ من يشاهد آثاره الناطقة فى دار الآثار العربية وفى مساجد السلاطين ومزارات الأولياء فإن هذا السرادق الحافل قد جمع من آيات الفن الإسلامى ما جعله حديث الناس فى الشرق والغرب ، حتى إن السلطان سليم الأول حين داهم مصر بخيوله وجبروته كان أول ما سأل عنه هو السرادق الأشرفى النبوى لحمله بنسيجه ومصابيحه وأثاثه ونمارقه إلى بلاده . ولو كان للفن مكانة ما لدى الأتراك لصين فى أحد المتاحف رمزا لتقدم الحضارة الفنية فى إحدى بلاد الإسلام : ولكنه استهلك فى أشياء تافهة ، ومن ورائه زفرات حارة يصعدها المصريون كل عام إذا عاد المولد النبوى ورأوا مكانه خاليا من الروعة والبهاء !

كان هذا السرادق النبوى يشبه إيوانا فخما متسع الجوانب ، متعدد الأرجاء ، وهو على هيئة دائرة فخمة ذات أبعاد وأطوال ، تعلوه قبة شاهقة تنهض على أربعة أساطين وقد زينت سماؤها بالمصابيح البلورية ذات الألوان المتعددة من أبيض وأحمر وأخضر فإذا تقابلت أنوارها نسجت للناظرين أبدع حلة من الضياء أما الطنافس والأرائك والنمارق والبسط فمما يخلب ويروع ، وقد رتبت ترتيباً بديعاً يرعى المقامات والمراسيم فالكراسى الذهبية لرجال الصف الأول من الحكام والرساء والكراسى الموشاة بالفضة

لمن يلهم من صدور الأعيان ووجهاء القوم ، أما بقية المقاعد فقد كساها المخمل الناعم والديباج الوثير فأضحت رمزاً للبهجة الناعمة والترف الحضارى الجميل ، وقد جرت العادة أن ينصب هذا الإيوان الفخم فى الليلة الأولى من ليالى ربيع الأنوار ، ولا يقوم بتشييده وإعداده غير ستمائة بطل من أبطال الأسطول المصرى قد دربوا تدريباً كاملا على إحكامه وإتقانه مع جمهرة من المهندسين وأرباب الفن والذوق ، وقد وصفه أحد الرحالة : فقال إنه يشبه مدينة كبيرة ذات شوارع وميادين فى كل جانب من جوانبه ترى موضعا للتأمل والاستطلاع : ولقد كان الملك المظفر صاحب إربل يستعد للاحتفال بالمولد ابتداء من المحرم فيدعو الصناع إلى إقامة ميدان فاخر للاحتفال ولا يكادون يفرغون من عملهم حتى يمضى شهران ويشرق ربيع ، أما الأشرف قايتباى فلم ير ضرورة فى تكرار هذا العناء كل عام ، واهتدى إلى صنع هـذا السرادق لينصب كل عام فى مناسبته السعيدة دون إجهاد : وحسناً فعل ، فقد ظل خلفاؤه من السلاطين يحرصون على استعماله فأصبح شاهداً ينطق بفضله بعد أن ووري فى التراب : وأخذ الناس ينظرون إلى رغبته فيترحمون عليه ، ويستغفرون له الله ، حتى عمت الكارثة بهجوم السلطان سليم فانفض السامر وانتقض الشمل وكأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ! ! .

أما مراسيم الاحتفال ؛ فقد جرت العادة على أن يحضر الناس إلى السرادق كل ليلة من الليالى السابقة لليلة الأخيرة دون ترتيب ، وإذ ذاك يسمعون الترتيل والوعظ ، ويقومون بالذكر والأدعية ويتناولون الخفيف من الشراب والطعام ، أما الليلة الثانية عشرة فلها تقليدها المتبع ، ومنهجها المرسوم ، إذ تقام الزينات فى الشوارع والميادين ، وتمر المواكب غاصة بالقراء والمنشدين ، وتدوى الطبول فى كل ساحة ثم تتوجه الجموع إلى السرادق ، وفق ترتيب خاص ، إذ يتقدم الموكب الأول الخليفة العباسى ومعه القضاة الأربعة وأصحاب المناصب الدينية فى الدولة من علماء وفقهاء ثم يأتى فى الموكب الثانى وفيه علية القوم من أمراء المماليك وقواد الجيش ووراءهم عظماء الدولة من أرباب الوظائف وحكام الأقاليم وأصحاب الحسبة والالتزام وفى الموكب الأخير رجال الشعب من العامة على ترتيب فى الأقدار ومراعاة لمكانة كل رجل واستحقاقه : أما طوائف المتصوفة وأصحاب الطريق فيظلون فى الساحة الواسعة ينشدون ويقرءون حتى ينزل السلطان فيصافح رجال المواكب ،

ويسامر الضيوف من السفراء والأجانب ، ثم يأذن لمن بالخارج من العامة أن يأخذوا أماكنهم الخلفية فى هدوء ! ! فيهرع معهم المتصوفة إلى منتصف السرادق يرتلون وينشدون ! ! ثم يبدأ الاحتفال الرسمى على نحو يقرب من النحو الفاطمى إذ يرتل القرآن الكريم أولا ، ثم يستمع الحاضرون إلى الوعظ الدينى متجها إلى سيرة الرسول مولدا وبعثة وغزوا وجهادا وانتصارا والتحاقا بالرفيق الأعلى صلوات الله وسلامه عليه : ثم تمد الأسمطة الزاخرة بالأطعمة ، فلا يتخلف أحد من الحاضرين عن تناول أطايب الطعام ، ولذائذ الشراب ، ولك أن تقدر ما ينفق على هذا الحشد الزاخر من مال وما يذبح من حيوان ، وما يبذل من هدايا ، وما يخلع على العلية من تحف وأوسمه ومايفرق على المحتاجين من صدقات ! ! بل إن الدراهم والدنانير كانت تنثر نثرا على الجموع فيصيبهما من يشاء ! وينتهى الحفل الساهر مع الفجر المشرق فى فرحة غامرة وسرور عميم .

ويظهر أن الأشرف قايتباى كان فنانا بطبعه ، فهو يرى فى إعداد السرادق على نظامه السالف إشباعا لرغبته الفنية، يؤكد ذلك اهتمامه الحافل بالعمارة والتشييد فقد أقام برجا عظيما بالإسكندرية كان مثال البراعة والذوق ، وبنى المساجد بناء يزينه الزخرف ، ويحوطه الإبداع ، كما قام برحلات مختلفة داخل القطر وخارجه فأمتع عينيه بروائع الطبيعة فى القرى والمدن ، ورأى مشاهد الشروق والغروب فى الفضاء الممتد والمرج الشاسع ، والبحر المحيط وذلك لا يتأتى لغير فنان متذوق يتعشق الحسن فى شتى مجاليه !

ويخيل إلى أن اهتمام الأدباء والشعراء بالمدائح النبوية فى العصر المملوكى لم يكن دافعه الأول هو الشغف بالمحاكاة والولوع بالبديع كما يرى بعض المؤرخين ، ولكن الشعور الدينى العام ، وانفساح المجال للإنشاء فى هذه الاحتفالات قد ساق الأدباء سوقا إلى الاهتمام بهذا الضرب من المديح ! ! فجاءت قصائدهم النبوية تنفيسا عن شعورهم الصادق ! وإذا كان البديع المتكلف قد أثقلها ببعض الإغراب فإن ذلك لا يمنع القول بصدقها المخلص وإحساسها الأمين ! ! وهى فى رأيى الخاص احتفال آخر بالمولد النبوى فى دنيا الفكر قد يعادل احتفال السلاطين به فى دنيا الواقع ! بل أنه أخلد أثراً وأبقى ذكرا من كل احتفال وقد ذهبت سرادقات الاجتماع مع المذاهبين ، وبقيت قصائد البوصيرى وابن نباته وابن حجة وغيرهم من شعراء المماليك لتكون احتفالا نبويا لا تبلى جدته ولا ينقطع صداه .

محمد رجب البيومى

قولوا الجنس العربى لا السّامى

للأستاذ محمد عزّه دروزه

لاحظ المستشرقون وعلماء اللغات والآثار تشاركا واسعا فى اللغات والأفكار والعقائد والتقاليد بين شعوب الشرق العربى القديمة فى جزيرة العرب ووادى النيل والهلال الخصيب وأثيوبية ، فرجحوا أنها ترجع إلى أصل واحد مشترك ، ثم رأى بعضهم أن بعض أسماء هذه الشعوب هى من الأسماء التى وردت فى سفر التكوين كأبناء وأحفاد سام بن نوح ، فأطلقوا عليهم اسم الشعوب السامية وعلى لغاتها اسم اللغات السامية [1] وتوسعوا فأدخلوا فى نطاق هذا الاسم أقواما لم ينسبهم السفر المذكور إلى سام كالحاميين أو الكوشيين الذين ينسبهم إلى حام بن نوح ، والكنعانيين الذين ينسبهم إلى حام ، والعبرانيين الذين ينسبهم إلى إبراهيم الكلدانى أو الآرامى حسب اختلاف الاستنتاج ، والكلدانيين والأكديين والعموريين الذين لم يذكروا فى الأنساب ، والأثيوبيين الذين قالوا إنهم حاميون ...

وهذا الاصطلاح حديث لم يبلغ من العمر مائتى سنة [1] وواضح أنه لا يستند إلى علم وثيق . ومع ذلك فإنه انتشر وتوطد بين الباحثين والأعاجم وسرى إلى كتّاب العرب ومؤرخيهم .

ولقد اختلف المستشرقون فى مهد الساميين الأول ، فمنهم من قال : إنه جزيرة العرب ، ومنهم من قال إنه جزيرة الفرات ، ومنهم من قال : إنه أرمينية ، ومنهم من قال : إنه أثيوبية ، ومنهم من تردد . غير أن كثيراً منهم بل أكثرهم يقررون أنه جزيرة العرب التى كانت فى ظروف مناخية مساعدة على ما أثبته الجيولوجيون والأثريون . ومنهم من يخصص جنوب الجزيرة ويقول: إن الشعوب السامية انساحت منه إلى سائر أنحاء الجزيرة ، ثم إلى الأقطار المجاورة لها شمالا وجنوبا .

على أنه يبدو من خلال أقوال المختلفين فى العهد الأول أن الخلاف هو فى مهد النواة

[١] انظر الجزء الأول من كتاب تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها كتاب الأساس فى الأمم السامية ولغاتها للابراشى ورفقاه ١ ـ ص ٣٥ وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولنفسون .

[١] انظر الصحيفة المذكورة فى الذيل الاول من الكتاب نفسه وما بعدها .

الأولى لهـذه الشعوب قبل عهود التاريخ المعروفة. ومن الذين لم يقولوا: إن هـذا المهـد هو جزيرة العرب أو جنوبها بالتعيين من قالوا: إن النواة هاجرت من مهدها الأول خارج الجزيرة إلى الجزيرة قبل عهود التاريخ، ثم نمت وكثرت فأخذت تنساح منها موجات بعد موجات إلى الأقطار المجاورة نتيجة لأسباب مناخيـة وجغرافية واقتصادية واجتماعية. وبعبارة أخرى إن أصحاب هذا الرأى يلتقون مع أصحاب الرأى الأول فى دور من أدوار تاريخ جزيرة العرب[1].

ولقد أصبح أمر انسياح الموجات من جزيرة العرب إلى الأقطار المجاورة لها منذ أقدم الأزمنة، - وكون الكلدانيين والأشوريين والأكديين فى العراق والكنعانيين والعموريين والآراميين والعبرانيين فى جزيرة الفرات وبلاد الشام ومعظم سكان وادى النيل شماله وجنوبه ومعظم سكان أثيوبية والصومال من هؤلاء المنساحين فى القرون التاريخية من الحقائق التى لم تتحمل جدلا ولم تبق موضوعا قديما مضى وانقضى، وغدا محل إثبات ونفى وظن وتخمين. ولا سيما أن جزيرة العرب ظلت ترسل بموجاتها إلى هـذه الأقطار بدون انقطاع قبل دور العروبة الصريحة - أى قبل أن تغدو اللغة العربية الصريحة لغة العرب، واسم «العرب» اسماً لهم - ثم فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام، ثم منذ الإسلام إلى اليوم. مما سجلت أحداثه القديمة نقوش المصريين والأشوريين والكلدانيين وأسفار العهد القديم وكتب اليونان والرومان القديمـة وقرره علماء الآثار والتاريخ.

ومما تواصلت أحداثه فيما عرف يقيناً، من انسياح القبائل العربية من الجزيرة العربية فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام إلى العراق وجزيرة الفرات وبلاد الشام وشبه جزيرة سيناء، ثم من انسياح القبائل تحت راية الإسلام إلى بلاد الشام والعراق ووادى النيل: شماله وجنوبه والأقطار المغربية فى شمال إفريقية ثم انسياح القبائل الذى استمر بعد الموجة الإسلامية الأولى من الجزيرة إلى جميع هذه الأنحاء وإلى سواحل أثيوبيـة والصومال بدون انقطاع، ثم من الصورة الحية الماثلة اليوم بالقبائل والعشائر التى تمـلأ جنبات هذه البلاد كذلك والتى منها ما يمت إلى القبائل القديمة ومنها من جاء قبل قرون قليلة بل منها من جاء قبل أجيال قليلة.

فكل ما تقـدم يبرر بدون ريب اعتبار

---

[١] انظر أيضا الجزء الأول من تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ١ ص ١٤٨ وما بعدها. فإن المؤلف استعرض أقوال الباحثين التى استنتجنا منها ما ذكرناه.

سكان جزيرة العرب الأصليين القدماء ومن هاجر منهم إلى الأقطار المجاورة قبل دور العروبة الصريحة وبعده جنسا واحدا . ولا سيما أن التشارك فى اللغة والأفكار والعقائد والتقاليد ظل قائما بين الباقين فى الجزيرة والنازحين منها فى مختلف الأدوار .

ونحب أن نستدرك أمراً . وهو أننا حينما نقول: « الجنس العربى » لا نقصد المعنى الفنى الدقيق الذى يتميز فيه جنس بشرى من جنس آخر بخصائص جسمانيـة فى الدرجة الأولى، مما كاد أن يكون غير قائم منذ الأزمنة التاريخية المعروفة إلا نادراً فى إفريقية وآسيا الشرقية والوسطى بسبب ماحدث من هجرات الأمم وتمازجها دما ومصاهرة وتقاليد ولغة وعادات وأفكاراً ، وإنما نقصد المجموعة البشرية التى عاشت فى جزيرة العرب منذ أقدم الأزمنة التاريخية المعروفة وتشاركت فى اللغة والأفكار والتقاليد حتى صارت جنساً واحداً، فلما أخذت تنساح من هذه المجموعة إلى البلاد المجاورة للجزيرة فى الشمال والجنوب موجات كان ذلك التشارك قد تم بينها ثم ظل قائما . والقول أن لغة أهل جنوب الجزيرة غير لغة أهل شمال الجزيرة ليس صحيحاً بمعناه الإجمالى [١] وكل ما فى الأمر تنوع اللهجات واختلاف فى المسميات . أما الاشتراك الفعلى فقد كان قائماً على ماتدل عليه نقوش الجنوب والشمال . وهذا لا يتعارض كما هو واضح مع احتمال كون المهـد الأول لنواة هذه المجموعة ليس جزيرة العرب على ما يقرره بعض الباحثين ولا مع احتمال تكون هـذه المجموعة فى عصور ما قبل التاريخ من عناصر إفريقية وآسيوية، على مايقرره بعض الباحثين كذلك[١] وكل هـذا بقطع النظر كذلك عن احتمال تكون تلك المجموعة البشرية فى جزيرة العرب قبـل الأزمنة التاريخية المعروفة بمدة طويلة وحينما كانت ذات مناخ وطبيعة غير ما هو عليه الآن معظم أقسامها ، وعن احتمال انسياح موجات منها إلى الأقطار المجاورة لها ثم إلى ما وراءها قبل الأزمنة التاريخيـة المعروفة وتوطنها فيها كالأقطار المغربية فى شمال إفريقيا مثلا مما لا سبيل إلى معرفته معرفة يقينية والكلام عنه بعلم ووثوق.

كذلك حينما نقول ذلك لا نريد أن ننفى تأثر الموجات التى هاجرت من جزيرة العرب فى القرون القديمة وقبل دور العروبة الصريحة

[١] انظر تاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولنفسون ص ١٦٢ .

[١] انظر الكافى فى تاريخ مصر لشاروبيم ج ٦ ص ٤٤٦ ، ٤٤٢ والقرون القديمة لبريستيد ترجمة قربان ص ٣٤٥ والتاريخ العام بالتركى لأحمد رفيق ج ٤ ص ٤٩٥ ، ج ٢ ص ٢٦١ وتسريح الابصار للأب لامانس اليسوعى ج ٢ ص ٣٥ ، ٣٨ والمجلد الثانى للحوليات السورية لسنة ١٩٥٢ .

إلى الهلال الخصيب ووادي النيل بالبيئة الطبيعية والاجتماعية الجديدة واختلاط دمائها بدماء أمم أخرى كانت فيها قبل هجرتها أو جاءت بعدها وتأثرها بأصحاب هذه الدماء لغة وعادات ، واكتسابها بذلك كله شخصية خاصة نوعا ما في الأرض التي حلت فيها . غير أن ذلك ليس من شأنه أن ينقض دعوى وحدة الجنسية ، ولا سيما أن غالبية سكان الهلال الخصيب ووادي النيل كانت وظلت تمت إليها وتطعم بالهجرات المتوالية من الجزيرة والتي لم يكد سيلها ينقطع إلى دور العروبة الصريحة ثم دور الإسلام والتي تتمثل في وحدة العروبة الشاملة وطابعها الذي يطبع هذه البلاد وسيظل يطبعها إلى الأبد ما دام وراءها الجزيرة وتظلها راية القرآن الكريم ، ولسنا نرى فرقا بين ما كان من ذلك قبل دور العروبة الصريحة وبعده حيث تأثر النازحون عن الجزيرة في دور العروبة الصريحة قبل الإسلام وبعده بالبيئة الطبيعية والاجتماعية الجديدة ، واختلطت دماؤهم بدماء أمم أخرى كانت فيها أو طرأت عليها واكتسبت بذلك شخصية خاصة نوعا ما . غير أن ذلك لم يخرجها من نطاق العروبة وطابعها الشامل ، وقد ابتلعت كل هذه العناصر وفرضت عليها هذا الطابع .

ولقد حكم اليونان والرومان مصر وبلاد الشام ألف عام (٣٣٠ ق م . — ٦٤٠ ب . م) وجاء منهم إليها وبخاصة من اليونانيين الآلاف المؤلفة واستقروا فيها ونشروا لغتهم وثقافتهم . وقد جمع بينهم دين واحد هو المسيحية قرابة أربعة قرون . وترجمت إلى اليونانية الكتب المقدسة . وصارت لغة عبادة وطقوس لكثير من النصارى فيها . ومع ذلك فإنهم لم يستطيعوا أن يفرضوا طابعهم وصبغتهم ، بل كان جمهرة أهلها يرونهم غرباء عنهم وينقبضون عن معاشرتهم بل يعتبرونهم أنجاساً (١) وكذلك شأن الفرس الذين كانت لهم السيادة على العراق أكثر من ألف ومائتي عام (٥٣٨ ق . م — ٦٤٠ ب . م) وكان لمدنيتهم وثقافتهم انتشار واسع حتى لقد مجّسوا كثيراً من أهل البلاد ، ومع ذلك لم يستطيعوا بدورهم أن يفرضوا طابعهم وصبغتهم ، في حين أن الموجات العربية الصريحة التي جاءت إلى الهلال الخصيب في حكمهم ورضخ ملوكها لسيادتهم العليا ، أخذت تفرض طابعها على البلاد وتمتزج بأهلها القدماء بسهولة ويسر . ثم جاءت موجة الفتح الكبرى تحت راية الإسلام إلى بلاد الشام والعراق ووادي النيل ، فأخذ التمازج يشتد بينها وبين السكان السابقين ، ولم تكد تمضي بضعة أجيال أو قرون حتى توطدت

[١] انظر هامش العمود الثاني بالصفحة السابقة .

السيادة فى هـذه البلاد للطابع العربى الصريح وغدا شاملا عاما .

وليس هناك من تعليل معقول لهذه الظاهرة التى تكررت فى عهد الإسلام بما كان من سيادة الترك على هذه البلاد قرابة أحد عشر قرنا (٢٠٠ - ١٣٣٢ هـ) وبما كان من زحوف تركية كبيرة إليها واستقرارها فيها إلا صدق نظرية وحدة الجنس التى كانت تجمع بين القادمين من جزيرة العرب فى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام وبعده وبين سكان الهلال الخصيب ووداى النيل الذين يمتون فى أصولهم إلى جزيرة العرب والجنس العربى حيث سهلت تلك الوحدة ذلك التقارب والتمازج وسيادة الطابع العربى الشاملة لهـذه البلاد .

وإذا كان قد بدا شىء من المناوأة ضد موجة الفتح من بعض سكان مصر والعراق والشام وتمرد على السلطان الإسلامى فى أوائل عهده فمرد ذلك إلى الاعتبارات الدينية التى كانت ذات التأثير الأقوى فى حياة الأمم والتى استغلتها الدسائس الأجنبية . وليس من شأن ذلك إضعاف النظرية . ولقد كان من جملة المناوئين والمتضامنين مع الفرس والروم فى بلاد الشام والعراق قبائل عربية صريحة من بهراء وسليح وتنوخ ولخم وجذام وغسان فى بلاد الشام ، وبكر بن وائل وبنى العجل وتيم اللاة وضبيعة فى بلاد العراق مثلا [1] .

وإذا كان حقا أن الذين ظلوا فى جزيرة العرب قد احتفظوا بنقاوة سلالتهم وأصالة لغتهم أكثر من الذين نزحوا إلى خارجها [2] وأن هؤلاء قد اختلطوا بعناصر أخرى ممن كان فى الأرض الجديدة التى حلوا فيها ومن جاء إليها بعد حلولهم . فإن هذا ليس من شأنه أن يخرجهم من جنسية العروبة ويجعلهم أمما أخرى ، لأن وجوه التشابه والتشارك بين أولئك المستقرين فى الجزيرة وبينهم ثم فيما بينهم أنفسهم على اختلاف الأقطار وعلى اختلاف الأدوار التى عاشوها كذلك ، ظلت بارزة قوية .

وأنسب الأسماء لهذا الجنس وأصحها فى دوره القـديم هو الاسم الذى صار علما له فى دور العروبة الصريحة وهو « الجنس العربى » بدلا من اسم « الساميين » .

فجزيرة العرب أخذت تسمى باسم العروبة الصريح فى كتب اليونان والرومان وأسفار العهد القديم منذ ألفين وخمسمائة عام . واسم « العرب » الصريح أخـذ يطلق على أهلها المستقرين فى داخلها وتخومها الشمالية جزئيا ثم كليا منـذ ألفين وخمسمائة عام كذلك .

---

[١] انظر تاريخ الطبرى ج ٢ ص ٥٦٠ و ٥٨٧ .

[٢] انظر تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ١ ص ١٦٩ ومابعدها و ج ٣ ص ٢٧٧ وما بعدها .

بل قبل ذلك على ما تدل عليه النقوش والمدونات القديمة واللغة العربية التى تكلم بها سكان الجزيرة والنازحون منها منذ ألفين وخمسمائة سنة كذلك هى اللغة العربية الصريحة بقطع النظر عن تعدد لهجاتها وبعدها قليلا أو كثيراً عن اللغة الفصحى على ما تدل عليه آثار وأسماء وأعلام ونقوش السبئيين والحجريين والنبطيين والتدمريين واللحيانيين والثوديين والصفويين العائدة إلى الحقبة الممتدة من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن الخامس بعده [١] . وقد ساعدت عوامل متنوعة على سرعة تطورها بعد ذلك حتى بلغت ذروتها باللغة الفصحى قبل البعثة المحمدية بأمد ما .

فإطلاق هذا الاسم على الموجات القديمة التى انساحت من جزيرة العرب ، وعلى الذين ظلوا مستقرين فيها فى القرون القديمة معا هو الأصح على كل حال الذى يجب أن يحل محل تلك التسمية الحديثة الأعجمية فى كتبنا ودروسنا ومحاضراتنا وبحوثنا . ولا سيما أنه يتفق مع الصلة التى لم تنقطع بين قدماء سكان الجزيرة وقدماء النازحين منها وبين الواقع الراهن الممتد إلى ألفين وخمسمائة عام ويصل بين قديم العروبة وحديثها . وقد قال بهذا جمهرة من علماء العرب وباحثيهم [١] غير أن التسمية « السامية » ظلت تجرى على ألسنة وأقلام علمائنا وكتبهم حتى الذين قالوا بوجوب وأولوية إطلاق اسم الجنس العربى بدلا منها . وهو ما يجب أن ينتهى فيما نعتقد . وليس من الحق والمنطق والعاطفة القومية معا أن نظل نجرى وراء الأعاجم فى تسمية الأقوام القديمة من جنسنا تسمية تحكمية حديثة لا تمت إلى العلم والواقع فى شىء .

واستتباعا لهذا يجب أن ننتهى من التفريق بين تاريخ جزيرة العرب وبين سكانها القدماء وبين تاريخ الموجات التى انساحت منها فى القديم ، وأن نعيد تدوين تاريخ الجنس العربى فى سلسلة واحدة بدلا من تدوينه كتاريخ أمم قائمة بذاتها .

ولقد سلك مؤرخونا تاريخ المعينيين والسبئيين والحضرميين والقتبانيين وشعوب شمال جزيرة العرب وإماراتها فى القرون القديمة فى سلسلة تاريخ العرب ، مع أن هؤلاء لم يوصفوا فى أى أثر قديم بصفة العروبة بالتخصيص ولم يكونوا أكثر

[١] انظر تاريخ العرب قبل الاسلام جواد على ج ٢ ص ٨ — ٢٧٥ و ٢٧٧ — ٣٥٧ و ج ٣ ص ٥ — ١٢٩ و ١٣٦ — ٢٠٩ و ٢١٥ — ٢٦٨ و ٤٢٣ — ٤٦٢ و ج ٤ ص ٥ — ٣٧٩ و ج ٧ وتاريخ اللغات السامية لإسرائيل ولنفسون ص ١٦١ — ٢٥٢ .

[١] انظر تاريخ العرب قبل الإسلام جواد على ج ٢ ص ٢٨٧ ومعالم الحضارات فى الشرق والغرب المرفاعى ورفقاه مثلا .

قربا فى لغاتهم وصبغتهم الجنسية بوجه عام إلى العروبة الصريحة من الموجات التى انساحت من الجزيرة إلى وادى النيل والهلال الخصيب بل كانوا أكثر قربا على اعتبار تقارب الزمن التاريخى . بل هناك ما هو أدعى إلى العجب . فقد سلك جرجى زيدان الدولة البابلية التى من ملوكها حمورابى ودولة الرعاة فى مصر فى كتابه تاريخ العرب قبل الإسلام فى سلك تاريخ العرب [١] ولم يسلك بقية الدول التى قامت فى بابل ونينوى وسواحل بلاد الشام وداخلها وجنوبها ، والتى يقرر هو بالذات أنها تمت بأصلها إلى الجزيرة العربية وتتشارك فى اللغة والعادات والأفكار والعقائد كالأكاديين والكلدانيين والآشوريين والآراميين والعموريين والعبرانيين والمؤابيين والعمونيين والآدوميين .

ويسعدنى أن أعلن أنى قد خطوت خطوة متواضعة فى هذا المضمار فوضعت خطة لتدوين تاريخ العرب على هذا الأساس بعنوان « تاريخ الجنس العربى فى مختلف الأدوار والأطوار والأقطار » بحيث تشمل سكان الجزيرة ومن هاجر منها إلى الهلال الخصيب ووادى النيل وشمال إفريقية المغربية فى القرون القديمة قبل دور العروبة الصريحة وفى دور العروبة الصريحة قبل الإسلام ، ثم فى العهد الإسلامى إلى اليوم فى سلسلة واحدة هادفا بذلك إلى تصحيح التوجيه التاريخى القومى ووصل حلقات تاريخ جنسنا بعضها ببعض ثم إلى إحباط مكر المستعمرين والمبشرين المغرضين وتلامذتهم ومأجوريهم وأعداء العروبة الذين يصرون على تجاهل الحقائق والمكابرة فيها ليوقروا فى أذهان سكان وادى النيل والهلال الخصيب وشمال إفريقية المغربية وهن الصلة بين أصولهم القديمة وبين العروبة ويجعلوهم يعتبرون العرب الذين جاءوا هذه المرة تحت راية الإسلام غزاة كسائر الغزاة الذين طرءوا عليهم ووطدوا حكمهم على بلادهم بالقوة وحسب ، وكون ما هنالك من فرق هو أنهم أعطوهم دينهم ولغتهم ، حتى بالرغم من السيل الذى أخذ وظل يتدفق من جزيرة العرب على هذه الأقطار فى دور العروبة الصريحة ، وقبل الإسلام وبعده دون انقطاع ، ويغمر مدنها وقراها وصحاريها وبواديها استمراراً لما كان يجرى قبل دور العروبة الصريحة والذى قد تفوق أعداده أعداد سكانها أضعافا ، والذى يتمثل فى كل ناحية من أنحائها وفى كل مظهر من مظاهر حياتها وتقاليدها ولغتها تمثيلا شاملا . ولقد صدر من السلسلة ثلاثة أجزاء : الأول فى تاريخ الجنس العربى فى جزيرة العرب فى القرون القديمة ومآثره ، والثانى فى تاريخ الموجات

---

[١] ص ٤٠ — ٥٢ و ٥٦ — ٦٠ .

العربية إلى وادى النيل ومآثرها فى القرون القديمة ، والثالث فى تاريخ الموجات العربيـة إلى العراق فى القرون القديمة ومآثرها . وقد توخيت فيها الإيجاز مع عدم الإخلال بحيث يستطيع الناشئ العربى أن يلم بتاريخ قومه إلماما مجزيا . وأرجو أن يصدر فى هذا العام الجزء الرابع فى تاريخ الموجات العربية إلى بلاد الشام فى القرون القديمة ومآثرها ، والجزء الخامس فى مراحل تطور العروبة من دور العروبة غير الصريحة إلى دور العروبة الصريحة ، وتاريخ الجنس العربى فى هذا الدور قبل الإسلام . وقد تضمن كل منها من تقارير العلمـاء والباحثين ومن نصوص النقوش ما يؤيد جميـع ما قررته فى هذا البحث .

وإنى لأناشد علماءنا ومؤرخينا وكتابنا أن يعيروا هذا الأمر عنايتهم وأن يتبنوه وأن يحلوا اسم « الجنس العربى » محل اسم « الساميين » فى الإشارة إلى سكان جزيرة العرب ومن هاجر منها فى القرون القديمة ، فيساعدوا بذلك على تثبيت الصلة بين تاريخ جنسنا القـديم والحديث وواقعنا الراهن بمـا هو الأولى والأصـح ، ويحبطوا مكر المـاكرين أعداء قومنـا وبلادنا ويبثوا فى ناشئتنا على اختلاف نحلهم شعور الفخار بجنسهم العظيم الذى كان أول من حمل مشاعل الحضارة والهداية ثم ظل يحملها ليهتدى بهـا الناس فى مشارق الأرض ومغاربها .

دمشق **محمد عزة دروزه**

بين المـبرد وثعلب

كان النحو مادة الدراسة الأولى لكل متعلم . فكان الأدباء يتحلقون حلقتين متعارضتين : الأولى فى مذهب البصريين يتصدرها محمـــد بن يزيد المعروف بالمبرد وهو صاحب كتاب (الكامل) والثانية فى مذهب الكوفيين يتصدرها أحمد بن يحيى أبو العباس ثعلب . وكلاهما كان حجة فى الأدب واللغة عالما بأصول الفقه . وكانت بينهما منافرات كثيرة أدت إلى عدم اجتماع أحدهما بالآخر . وقد سئل صهر ثعلب أبو عبد الله الدينورى وكان يتردد على المبرد : « لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد ؟ فقال : لأن المبرد حسن العبارة حلو الإشارة فصيح اللسان ظاهر البيان ، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين . فإذا اجتمعا فى محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف الباطن » .

بين العربيّة والفارسيّة

للدكتور حامد عبد القادر
عضو مجمع اللغة العربية

إذا سلمنا بأن اللغة ظاهرة اجتماعية وجب علينا أن نقول : إنها أبرز الظواهر الاجتماعية ، وأعلاها شأنا وأعظمها قدرا ، وأن نقول أيضا : إنها ضرورة اجتماعية لا غنى عنها ؛ لأنها أداة التعليم والتعلم والتفاهم ونقل العلوم والمعارف من جيل إلى آخر ، ومرآة صادقة للمجتمع ، وسجل أمين لتطوراته فى مختلف عصور حياته .

وأن نقول مع هذا وفوق هذا : إنها كائن حى يعتريها ما يعترى الكائن الحى من قوة وضعف وتقدم وتأخر ، وفتوة وشيخوخة . وهى تتأثر فى أطوار حياتها بما يتأثر به الكائن الحى من عوامل ومؤثرات فى مقدمتها الوراثة والبيئة ، فلكل لغة مميزات أو خواص ترثها عن أصلها أو أصولها التى انحدرت عنها ، وكل لغة تتأثر بالبيئة التى تعيش فيها طبيعية كانت تلك البيئة أو اجتماعية ، فليست لغة البدو كلغة الحضر ، وليست لغات سكان الأقاليم الاستوائية كلغات سكان المناطق المعتدلة أو الباردة ، ولغات القبائل البدائية محدودة ليس فيها من الألفاظ والعبارات ما يكفى للتعبير عن تجارب الإنسان المتشابكة المتنوعة ، وعلومه ومعارفه الراقية ، وظروف حياته المتغيرة المتقلبة . أما لغات الأمم والشعوب الراقية الناهضة فتساير نهضتهم وتتسع للتعبير عن إحساساتهم الدقيقة وعواطفهم الرقيقة ، ولتسجيل علومهم ومعارفهم ونقل ثقافتهم ومظاهر حضارتهم من جيل إلى جيل .

ونستطيع أن نسير فى تشبيه اللغة بالكائن الحى إلى أبعد من هذا فنقول : إن اللغات قد تشعبت واختلفت فانقسمت إلى طوائف أو سلالات كما انقسم النوع الإنسانى إلى أجناس، وقديما كانت اللغات تنقسم إلى سامية وحامية ويافثية تبعا لانقسام النوع الإنسانى إلى ساميين وحاميين ويافثيين أيضا . ولا يزال تقسيم اللغات يبنى فى عصرنا هذا على أساس تقسيم الجماعة البشرية إلى طوائف تؤلف بين أفراد كل منها روابط مختلفة منها رابطة اللغة.

ونخطو خطوة أخرى فى هذا التشبيه فنقول إن كل لغة تتكون من أفراد هى ألفاظها أو كلماتها ، فهى بمثابة الجماعة ، وألفاظها بمثابة الأفراد ، وإن كل كلمة لها شخصية قائمة بذاتها

ذات ناحيتين: هما الناحية اللفظية أو الصوتية، والناحية المعنوية، فلفظ الكلمة أو صوتها بمثابة جسم الإنسان أو مادته التى يتكون منها، ومعناها بمثابة روح الإنسان التى تسرى فى جسمه وتكسبه الحياة. وكما يتطور الإنسان جسما وروحا تتطور الكلمة لفظا ومعنى.

واللغات تتصارع وتتغالب كما تتصارع الشعوب. فيغلب القوى منها الضعيف، ولا يزال يصرعه حتى يقضى عليه.

ونذهب إلى أبعد من هذا كله فنقول: إن بعض أفراد اللغة أو ألفاظها قد تنتقل أو تهاجر من لغة إلى أخرى كما يهاجر بعض الناس من بلد إلى بلد، وعوامل الهجرة اللغوية نكاد تكون هى عينها عوامل الهجرة البشرية التى تشمل العوامل الثقافية والسياسية والاجتماعية والتجارية والحربية.

وكما تتصل الأمم والشعوب بعضها ببعض ويتأثر كل منها بالآخر تتصل اللغات بعضها ببعض وتتأثر كل منها بغيرها نتيجة لهذا الاتصال. وكذلك نجد أن اللغات أو اللهجات المختلفة قد يندمج بعضها فى بعض فتتحد وتعتبر لغة واحدة حين تتحد الشعوب وتكون جماعة بشرية واحدة كما فى الدول الإسلامية والولايات المتحدة. ويمدنا التاريخ بمثل يؤكد لنا هذه الحقيقة بصورة بارزة ذلكم هو مثل اللغة الأردية التى ولدت فى عهد الإمبراطور أكبر امبراطور الهند سنة ١٥٥٦ — ١٦٠٥ م نتيجة لاجتماع طوائف مختلفة من الجنود فى معسكر واحد جمع بين الفارسى والهندى والأفغانى والتركى، ومن ثم كانت هذه اللغة خليطا من العربية والفارسية والهندية والأفغانية والتركية، فما أشبه هذه اللغات بأصحابها.

هذا هو شأن اللغة أية لغة. وليست اللغة العربية بدعا من اللغات، بل إنها قد خضعت فى نشأتها وتطورها لما خضع له غيرها من أسباب التطور، وعوامل القوة أو الضعف، ولولا القرآن الكريم كتاب العربية المقدس ومنار المسلمين فى جميع أقطار الأرض لكان مصير العربيه كمصير اللاتينية والسنكريتية. وغيرهما من اللغات القديمة التى فنيت أو حلت محلها فروعها.

ولئن كانت اللغة العربية قد اتصلت فى عصور حياتها المختلفة بعدة لغات فإن اتصالها باللغة الفارسية كان أقوى وأظهر. وبيان الصلة بين هاتين اللغتين هو الموضوع الذى أكتب اليوم فيه.

وإنه لموضوع طويل متعدد النواحى لا يكفى لتفصيل القول فيه مقالة واحدة ذلك لأنه بحث يتطلب عرض ما كان بين العرب والفرس من علاقات سياسية وتجارية وغيرها قبل الإسلام وبعده. وغنى عن البيان

أن هذه العلاقات هى أساس ما حدث بين الشعبين العربى والفارسى من صلة لغوية وثيقة قبل الإسلام وبعده .

ولا ريب أن تفصيل هذه الصلة وبيان تلك العلاقات حقيق بأن يملأ صفحات وصفحات ، ومن ثم أرانى مضطراً إلى التزام جانب الإيجاز المعتدل والاكتفاء أحيانا بالإشارة إلى المراجع المطولة ، ليرجع إليها من يود التوسع فى البحث والإسهاب فى التحصيل .

ولأبدإ اليوم بالكلام على صلة العربية بالفارسية قبل الإسلام مرجئا إلى مناسبة أخرى الحديث عن هذه العلاقة بعد الإسلام.

من المعلوم أن بلاد العرب لم تكن بمعزل عن العالم قبل الإسلام ، فالواقع الذى لا مراء فيه أن جزيرة العرب وبخاصة أطرافها كانت على صلة بما حولها وما جاورها من البلاد .

كانت على صلة وثيقة ببلاد فارس الواقعة فى شمالها الشرقى ، وكانت العراق أو بعبارة أدق وكانت الحيرة مملكة المناذرة حلقة الاتصال بين العرب والعجم ،وكانت بلاد العرب على صلة ببلاد الروم الواقعة فى أقصى شمالها الغربى، وكانت مشارف الشام مملكة الغسانيين حلقة الاتصال بين العرب والروم .

وفى القرون الأخيرة قبل الميلاد والقرون الأولى بعده كان العرب على صلة بالأنباط (١) الذين امتدت بلادهم من شبه جزيرة طور سينا إلى ما حولها فى الركن الشمالى الغربى من جزيرة العرب .

وقديما قامت فى الجزء الجنوبى من بلاد العرب دول يمنية قوية كان لكل منها شأن عظيم فى مجرى الحوادث التاريخية . منهم المعينيون ، والسبئيون ، والحميريون ، والحضرميون . وكانت اليمن حلقة الاتصال بين العرب والأحباش بطريق بوغاز باب المندب ، وبين العرب والهنود والصينيين عبر البحر العربى وبحر الهند وغيرهما .

وكان اليهود يجاورون العرب فى فلسطين . وكانت لهم جالية بالعراق وأخرى فى الحجاز.

وكانت اليمن تمتاز فى العصور القديمة بموقع جغرافى يصل بينها وبين أمم العالم القديمة ويجعلها حلقة الاتصال التجارى بين الشرق والغرب ، فكان الهنود يحملون إليها من بلادهم ومن الصين البضائع التى يحتاج إليها المصريون والآشوريون والفينيقيون والروم، كالذهب ، والقصدير ، والأحجار الكريمة ، والعاج ، وخشب الصندل ، والقطن والتوابل

[١] كانت دولة الأنباط بين فلسطين وبلاد العرب وكانت دولة ذات مدنية وحضارة اشتهرت بالزراعة وقيل: إن العرب أخذوا عنهم الكتابة واستمرت هذه الدولة من القرن الرابع ق . م إلى أن استولى عليها الرومان سنة ١٠٦ م .

والأفاويه كالفلفل والزنجبيل وبعض أنواع من الحرير . وكان التجار يأتون من بلاد إفريقية الشرقية بالعطور وخشب الأبنوس وريش النعام والعاج والذهب ويحملونها إلى اليمن . فكان اليمنيون ينقلون هذه البضائع وتلك إلى الأمم المذكورة آنفا بطريق البر أو بطريق البحر ، وكانوا يحملون إلى هذه الأمم ما تخرجه بلادهم من المر والبخور كالعود والند ، وبعض الأحجار الكريمة كاليشب والعقيق .

وكانت قوافل التجارة تسير فى قلب الجزيرة مخترقة طرقا خاصة بعيدة عن الجبال ومغاصات الرمال ذات مراحل ومرافق يقوم على حراستها أشخاص يختارون من البدو .

وكان أهم هذه الطرق طريق عمان أو حضرموت وكان يمر بالدهناء فنجد ويصل إلى الحجاز فيمر بمكة فالمدينة فبطرا ثم يمتد شمالا إلى فينيقية وفلسطين وتدمر أو غربا إلى مصر .

وكما كانت قوافل التجارة تنقل بضائع الصين والهند وبلاد إفريقية الشرقية من الجنوب إلى الشمال كانت قوافل أخرى تنقل بضائع البلاد الشمالية إلى اليمن ومن ثم إلى الهند والصين وشرقى إفريقية ، أو تنقل بضائع أخرى مخترقة قلب الجزيرة من الغرب إلى الشرق أو بالعكس .

فقد هيئت طرق للقوافل منذ القدم بين مكة والشام ، وبينها وبين اليمن ، أو العراق ، أو مصر . وكان لتجارة الحبشة طريق معبد يبدأ من جدة على البحر الأحمر وينتهى بالقطيف على خليج العرب ببلاد الأحساء .

ويروى المؤرخون أن كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) كان يجهز كل سنة لطيمة أى قافلة تجارية تباع بعكاظ ، وأن بنى عامر بن صعصعة غزوا لطيمة فى بعض السنين فكان ذلك سبباً فى نشوب حرب بين النعمان ابن المنذر أبى قابوس (٥٨٥ — ٦١٣ م) صديق كسرى وعامله على الحيرة وبين بنى عامر . وتسمى هذه الحرب يوم السلان وفيها انهزمت جيوش النعمان .

ويشير القرآن الكريم إلى انتشار التجارة فى بلاد العرب فيقول : « أولم نمكن لهم حرما آمناً يجبى إليه ثمرات كل شىء »[1] ويقول : « لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف » .

ويروى المؤرخون أيضاً أن القدماء من

---

[١] القصص : ٥٧ . والمراد بالحرم الآمن بيت الله الحرام بمكة وكان العرب يقدسونه ويحجونه ويأتون إليه رجالا وركبانا من كل جانب حاملين إليه الخيرات المختلفة الأصناف والبضائع المختلفة الأنواع ليشهدوا منافع لهم بالتجارة ونحوها فكانت حركة البيع والشراء تشتد فى أيام الحج فى سوق عكاظ

المصريين والآشوريين غزوا بلاد العرب فى عصور مختلفة تمتد من أوائل القرن السابع عشر إلى منتصف القرن السابع قبل الميلاد ، وأن الفرس خلفوا البابليين فى الاستيلاء على العراق فى عهد كيروش حوالى سنة ٥٣٨ ق م . ويقال : إن العرب أو فريقاً منهم كانوا يؤدون له الجزية ، وأنهم كانوا عونا لقمبيز خليفة كيروش حين أغار على مصر (٥٢٩ — ٥٢٢ ق م) .

ويروون كذلك أن الأحباش غزوا اليمن سنة ٥٢٥م وظلوا يحكمونها حتى سنة ٥٩٩م ، وأن الفرس حاربوا الأحباش وأخرجوهم من اليمن سنة ٥٩٩ م فى عهد كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨ م) .

وقد نشبت بين العرب والفرس قبل الإسلام حربان عظيمتان كان النصر فيهما للعرب : الأولى حرب استخلاص الملك لبهرام كور وسيأتى الكلام عليها ، والأخرى حرب ذى قار (يوم ذى قار) وكانت فى عهد كسرى برويز (٥٩٠ — ٦٢٨م) وإياس بن قبيصة ملك الحيرة (٦١٣ — ٦١٨ م) وفيها دارت الدائرة على الفرس فانهزموا بصفوفهم وخيلهم على كثرة عددهم . وقد وقعت هذه الحرب سنة ٦١٤ م أو فى السنة الثالثة من البعثة المحمدية . وتدل بعض الروايات التاريخية على أنه كانت بين الفرس والعرب بعض صلات اجتماعية ، فمن ذلك أن كسرى برويز كتب إلى المنذر الرابع أن يبعث له بقوم من العرب يترجمون الكتب له فبعث إليه بعدى بن زيد الشاعر وأخوين له فكانوا بين كتابه يترجمون له .

وقيل : إن الأكاسرة كانوا فى أوائل عهد دولة المناذرة يعجبون بنشاط العرب وأنفتهم ، ويعهدون إليهم بتربية أولادهم وتثقيفهم وذلك كما فى حال بهرام كور بن يزدكرد التى سنقص قصصها فيما بعد .

وقيل أيضاً : إن كسرى أنوشروان (٥٣١ - ٥٧٨ م) هم بتزويج بعض أولاده من بنات العرب فاستشار فى ذلك زيد بن عدى الشاعر المعروف فأشار عليه أن يطلب من النعمان بن المنذر بعض بنات عمه وأثنى على جمالهن فأمره أن يذهب فى طلبهن . ولذلك قصة لايتسع المقام لذكرها .

كل هذه الحوادث وغيرها مما لا قبل لنا باستقصائه تدل دلالة قاطعة على حقيقتين لا مناص من التسليم بصحتهما .

أما الأولى فهى أن العرب قد اتصلوا فى عصور حياتهم المختلفة قبل الإسلام بجميع الدول التى شاع أمرها فى العصور القديمة ، وأن هذه الصلة كانت متعددة النواحى شملت السياسية والاقتصادية والحربية والاجتماعية .

وأما الثانية فناشئة عن الأولى ، وخلاصتها أن اللغة العربية قد احتكت بأمهات اللغات القديمة وتأثرت بها ومن بين هذه اللغات : الفارسية واليونانية ، والنبطية والآرامية ، والعبرية ، والحبشية والهندية .

ومن ثم نعرف السبب الأساسى فى أننا نجد فى اللغة العربية كلمات أو أصولا لغوية منقولة أو مهاجرة من هذه اللغات حتى لقد قيل : إن معظم الألفاظ الدالة على الحضارة والملك والأثاث والرياش منقولة عن الفارسية . وإن معظم الألفاظ المتصلة بالعلم والفلسفة منقولة عن اليونانية ، وإن كثيراً من الكلمات الدالة على النباتات وشئون الزراعة منقول عن النبطية ، وأن ما يدل على طقوس دينية أكثره منقول عن العبرية أو السريانية أو الحبشية ، وأن ما يدل على التوابل والأفاويه والعقاقير والأطياب والأحجار الكريمة فأصله فى الغالب سنسكريتى أو هندى .

وقد ذكر علماء اللغة من الألفاظ اللاتينية أو اليونانية الأصل : القسطاس ، والدرهم ، والقنطار ، والقبسان ، والاصطرلاب والترياق، والبطريق ، والقنطرة ، ومن الألفاظ العبرية الأصل : الملكوت والرحموت ، والجبروت والمشكاة والمهم وحج وكاهن وعاشوراء ومعظم أسماء الأنبياء ومن الألفاظ الحبشية الأصل : كفلين ، مشكاة ، وهرج ، ومنبر . ونفاق ، وحوارى (رسول) وبرهان (منير واضح) ومصحف ، ومن الكلمات السنسكريتية الأصل : صبح وبهاء وضياء ومسك . ومن الألفاظ الهندية الأصل : كافور ، وزنجبيل وفلفل . دخلت العربية هذه الألفاظ وغيرها من مئات الكلمات فصقلت بالصيقل العربى وصارت عربية الصبغة ، ودخلت فى كيان اللغة العربية ، ونزل القرآن الكريم فاستخدم كثيراً منها (١) ولم يقدح ذلك فى أنه أنزل بلسان عربى مبين .

أما ما نقل من الفارسية إلى العربية من الألفاظ فكثير لا يكاد يحصى ، ذلك لأن علاقة العرب بالفرس كانت قبل الإسلام أوثق وأبعد مدى مما يعتقد كثير من الناس . لذا سأفيض فى بيان هذا الموضوع .

قلت من قبل : إن المناذرة ملوك الحيرة كانوا حلقة الاتصال بين العرب والفرس ، ومع أنهم كانوا يحكمون العراق بالنيابة عن الفرس فقد كان ملوكهم ذوى حول وطول وأصحاب سلطان ونفوذ ، وكان لكل منهم مكانة مرموقة ومنزلة رفيعة لدى الأكاسرة .

---

[١] راجع فى هذا الموضوع الإتقان فى علوم القرآن والمزهر للسيوطى ، والأصل والبيان فى معرب القرآن للشيخ حمزة فتح الله .

ولقد بلغ من ثقة الأكاسرة بملوك المناذرة واعتمادهم عليهم فى مهام أمورهم أن كان بعضهم يرسلون أبناءهم إلى البادية لينشئوا بها فى رعاية ملوك الحيرة وتحت إشرافهم. وتلك حقيقة تتجلى بأجلى مظاهرها فيما كان من أمر يزدكرد الأول بن بهرام الأثيم (٣٩٩-٤٢٠م) وابنه بهرام كور (٤٢٠ - ٤٣٨ م) الذى أجمع مؤرخو العرب والعجم على أنه تربى فى بلاد العرب.

ويعد بهرام هذا أبرز حلقة اتصال بين العرب والفرس ثم بين العربية والفارسية قبل الإسلام. ويذكر المؤرخون فى سبب تربيته فى بلاد العرب أن أباه يزدكرد كان لا يعيش له ولد فلما ولد له بهرام هذا أصابته علة فى صغره ولما يزل رضيعا، فأشار عليه الأطباء أن يخرجه إلى بلاد العرب ليعيش فى مكان هواؤه طلق نقى يساعد على شفائه فدفعه إلى أحد ملوك الحيرة ليربيه ويشرف على علاجه.

وهنا نسأل: من كان ملك الحيرة الذى أشرف على تربية بهرم كور؟ فنجد أن المؤرخين قد اختلفوا فى الجواب عن هذا السؤال فقال فريق منهم وعلى رأسهم حمزة الأصفهانى: إنه كان المنذر بن النعمان بن امرئ القيس (٤٣١ - ٤٧٣ م) الذى تولى الملك بعد أن تركه أبوه النعمان السائح وتزهد. وقال فريق آخر: إنه كان النعمان بن امرئ القيس (٤٠٧ - ٤٣٠ م).

ويبدو لى أن الرأى الثانى هو الصواب لأن الرأى الأول لا يستقيم وما ذكره المؤرخون عن تاريخ حكم المنذر للحيرة وحكم بهرام لفارس، فالمنذر تولى ملك العراق سنة ٤٣١، وبهرام جلس على عرش فارس سنة ٤٢٠ م ومعنى هذا - إذا صح هذان التاريخان - أن المنذر تولى الملك فى العراق بعد أن تولاه بهرام فى فارس بنحو إحدى عشرة سنة، ومن ثم لا يمكن أن يكون هو الذى تولى تربية بهرام وساعده على استرداد عرشه ممن اغتصبه كما سنذكر فيما بعد.

ومهما يكن من أمر هذا المربى فمما لا شك فيه أن بهرام كور تربى فى بلاد العرب، وربما كان ذلك فى مكان قريب من بادية الشام، وقد عنى ملك الحيرة بعلاجه حتى برأ من علته. ويقال: إنه أحضر له ثلاث مراضع إحداهن فارسية والأخريان عربيتان، وإنه هيأ له وسائل التربية الصحية والعقلية وأعد له عددا كافيا من المربين والمعلمين فعلموه القراءة والكتابة والرماية والفروسية. وكان لبيباً فطنا فأجاد التعلم فى صغره، وطلب من المشرف على تربيته أن يأتى له بمعلمين آخرين لأنه قد استوعب جميع مالدى معلميه من علم ومهارة.

وقد أهله ذكاؤه النادر لأن يجيد تعلم اللغة العربية ويقرض الشعر العربى الموزون المقفى الذى لم ير له نظيرا فى الفارسية.

يقول محمد عوفى فى كتابه « لباب الألباب » الذى ألفه بالفارسية فى الأدب الفارسى فى أوائل القرن السابع الهجرى ما خلاصته مترجمة :

نشأ بهرام كور بين الأعراب وتعلم العربية وألم بأسرارها ووقف على دقائقها . ويقال إنه كان فى صباه متوقد الذكاء سريع الخاطر مرهف الحس ، وكان شجاعا مقداما بين السابقين من أبطال العجم . ويروى أنه كان ينظم شعرا جيداً بالعربية » .

ويمضى محمد عوفى فيقول إنه : اطلع فى إحدى دور الكتب على ديوان شعر لبهرام يحتوى على قصائد باللغة العربية وأنه قرأ بعض هذه القصائد وكتبها وحفظها ويذكر من بين تلك القصائد واحدة نظمها بهرام فى رفضه الزواج بعد أن عاد إلى بلاده وساعده العرب على الجلوس على عرش أبيه يزدكرد. وسبب ذلك أن جماعة من أقاربه ورجال دولته مثلوا بين يديه وقالوا له : أيها الملك العظيم : إن أيام الشباب هى موسم انتهاز الفرص لتحقيق الرغبات . وليس من المقبول أن تقضيها فى عزلة ووحدة ، وأن ماء الحياة إذا شربه الشاب من كأس العزوبة يفقد ما قد يكون فيه من عذوبة . فهل تتفضل فتأذن لنا أن نختار إحدى المخدرات من أكفاء الأميرات لتكون لك زوجا تؤانسك وتذهب بوحشتك ؟ فما كان منه إلا أن أجابهم بقطعة من الشعر منها هذان البيتان .

يرومون تزويجى من الكفء مطلبا ومالى من جنس الملوك عديل

أرى أن مثلى كالمحال وجوده وليس إلى مثل المحال سبيل

ويروى العوفى لبهرام بيتين آخرين هما :

فقلت له : لما نظرت جنوده كأنك لم تسمع بصولات بهرام

فإنى لحامى ملك فارس كله وما خير ملك لا يكون له حام

ولبهرام كور أشعار كثيرة بالفارسية كان يغنيها المغنى الفارسى الشهير المسمى « بأربد » فى بلاط كسرى برويز ، ولكن هذه الأشعار لم تكن موزونة مقفاة كالشعر العربى بل إنها كانت خالية من الروى والقافية ولم تخضع لنظام البحور الذى اتبعه العرب .

ويروى أن أول بيت نظمه بهرام على مثال الشعر العربى هو قوله :

منم آن شير كله منم آن بيلى يله نام من بهرام كور وكنيتم بوجبله

« أنا ذلك الليث الكاسر أنا ذلك الفيل الثائر .

اسمى بهرام كور وكنيتى أبو جبلة

ويروى دولتشاه السمرقندى فى كتابه « تذكرة الشعراء » الذى ألفه بالفارسية فى

الأدب الفارسي حوالى سنة ٨٩٢ ه فى بيان السبب فى نظم هذا البيت ما خلاصته مترجمة .

« لم يجد العلماء والأدباء شعراً نظم باللغة الفارسية قبل الإسلام . ولم تقع أنظارهم على أسماء الشعراء فى ذلك العصر .

بيد أنه قد شاع على ألسنة الناس أن بهرام كور كان أول من نظم الشعر بالفارسية . وسبب ذلك أنه كان يعشق فتاة اسمها دلارام جنكى (جذابة القلوب فى ميدان الحروب) وكانت ممشوقة القوام ، مستقيمة الطبع ، رشيقة الحركات ، حاضرة البديهة طريفة الفكاهة . ولما كان بهرام لا يصبر على فراقها كان يصحبها كلما خرج للصيد والقنص .

وذات يوم خرجا للصيد فرأى بهرام أسدا فى إحدى الغابات ، فطارده وظفر به فأخذ بأذنيه وربط إحداهما بالأخرى ، وعاد به إلى عشيقته ، وقد بلغ من إعجابه بنفسه واغتباطه بشجاعته أن جرى على لسانه قوله :

منم آن بيل دمان
منم آن شير يله
أنا ذلك الفيل الثائر
أنا ذلك الليث الكاسر

وكانت عادة دلارام أن تعلق على كل عبارة يقولها بهرام بما يناسبها فحين جرت على لسانه العبارة السابقة قال لها : ماذا لديك يادلارام فى مناسبة هذا الكلام ؟ فأجابت :

نام بهرام ترا
وبدرت بوجبله
فبهرام لك لقب
وبوجبله لك الأب

فوافق هذا الكلام ذوق بهرام وحسن وقعه على نفسه وعرضه على الأدباء فقرروا أنه موزون مقفى من النوع الذى عرف فيما بعد باسم المثنوى فى الفارسية والمزدوج فى العربية .

ومن ثم يرى مؤرخو الأدب الفارسى أن بهرام كور كان أول من نظم الشعر الموزون المقفى بالفارسية وأنه هو الذى ابتكر نظام المثنوى . وسنوفى هذا الموضوع حقه فيما يأتى :

هذا وإن رواية دولتشاه للبيت ليست كرواية محمد عوفى له ، فليت شعرى هل أخذت بهرام نشوة أدبية حينما سمع كلام دلارام فقال مرددا لما قالاه فى صورة جديدة :

منم آن شير كله
منم آن بيل يله
نام من بهرام كور وكنيتم بوجبله

وكان لبهرام كور مغامرات فى أثناء إقامته فى بلاد العرب منها ما رواه الملاحين الواعظ الكاشفى فى كتابه « أخلاق محسنى » الذى ألفه بالفارسية فى أواخر القرن التاسع الهجرى حيث يقول ما ترجمته :

لقد أقام بهرام كور بعض الوقت فى بلاد العرب فى صحبة النعمان بن المنذر [1] ، وكان النعمان هذا يقوم على تربية بهرام بناء على طلب أبيه يزدكرد ، فحدث ذات يوم أن خرج بهرام لصيد الظباء فلاحت له ظبية فقصد إلى رميها ، فقفزت وفرت هاربة فطاردها واقتفى أثرها ، واشتد الحر فأدرك الظبية شيء غير يسير من الجهد والنصب من العطش ومتابعة العدو ، فاضطرت إلى أن تأوى إلى ديار إحدى قبائل العرب .

ودخلت خباء أعرابى اسمه قبيصة ، فأخذها وعقلها وما أن فعل ذلك حتى رأى رجلا يصل إلى باب خيمته متنكبا قوسه متاهفا يطلب الظبية ، ويصيح بأعلى صوته : يا صاحب هذه الدار ههنا صيدى فاخرج به إلىّ . فقال قبيصة - ولم يكن يعلم من الواقف ببابه - « أيها الفارس الطلق المحيا ليس من المروءة فى شيء أن أسلم حيوانا احتمى بدارى ولجأ إلى جوارى إلى يد إنسان ليقتله » .

وسمع بهرام هذا الكلام فاستشاط غضبا وأخذ يكلم قبيصة فى غلظة ، فقال قبيصة : لا تكثر من الكلام . فما دمت حيا ولم يصبنى أذى من سهمك الذى فى قوسك فلن تمتد يدك بسوء إلى هذه الظبية ولئن قتلتنى ليتبعنك قومى ليأخذوا بثأرى ويستردوا الظبية منك ، فاربأ بنفسك وتخل عن هذه الظبية وإذا أردت عوضا عنها فأمامك جوادى العربى مسرجا ملجما مقيدا أمام خبائى فخذه هدية منى إليك واركبه واجعل جوادك جنيبه من ورائك ، والحق بأهلك وديارك .

فأعجب بهرام بهذا الكلام وأكبر فى الأعرابى حمايته لجارته الضعيفة ، ولم يلتفت إلى جواد الأعرابى . بل إنه لوى عنان جواده هو وأغذ السير حتى وصل إلى موكبه .

ولما جلس بهرام على عرش أبيه (على النحو الذى سنشرحه) ودخل فى طاعته أبناء وطنه أرسل فى طلب قبيصة ولما وفد عليه أكرم وفادته وأطلق عليه لقب « مجير الظباء » فصارت مثلا .

وبينما كان بهرام كور يرتع ويلعب فى رحاب البادية ويستمتع بهوائها الطلق النقى إذ بلغه أن أباه يزدكرد قد مات ، وأن الفرس قد ملكوا عليهم رجلا اسمه خسرو من سلالة أردشيرين بابك ، وعلم أن السبب فى ذلك هو أن عظماء الفرس وأشرافهم تعاهدوا فيما بينهم على ألا يملكوا عليهم أحداً من نسل يزدكرد بعد وفاته لسوء سلوكه فيما بينهم ، ولأن ابنه الأكبر بهرام نشأ بين العرب وتخلق بأخلاقهم الجافة فى نظرهم ولا علم له

[1] لعل الصواب : ابن امرىء القيس كما بينا من قبل .

بسياسة الملك ولأن ابنه الأصغر محب لنفسه يؤثر مصلحته الخاصة على مصلحة الوطن، فقد كان واليا على أرمينية ولما بلغته وفاة أبيه تركها وشأنها دون أن ينيب عنه من يرعاها، وأسرع فى العودة إلى عاصمة الدولة ليجلس على عرش أبيه قبل أن يسبقه إليه أخوه الأكبر بهرام.

علم بهرام بذلك فجن جنونه وهرع إلى النعمان بن امرئ القيس يستعديه على قومه ويتوسل إليه أن يعاونه على استرداد عرشه المسلوب فلبى النعمان طلبه وقال له: لايهولنك ذلك حتى ألطف الحيلة فيه، ثم جهز جيشاً ضخما اقتحم به أرض فارس، ورآه الفرس فأفزعتهم كثرة عدده وعدده، وانتهى الأمر بانتصار العرب، وإذعان الفرس لبهرام وجلوسه على العرش، وعاد الجيش العربى منصورا مؤزرا، وكانت للنعمان منزلة عظمى لدى بهرام، وأدرك الفرس ذلك فتوسلوا إليه أن يخاطب بهرام فى أن يعفو عن عظمائهم وأشرافهم الذين كانوا قدخرجوا عليه ففعل.

وكان للجيش العربى موقف مشرف آخر مع بهرام كور وذلك حين نشبت الحرب بين الفرس والروم وحاصر الروم مدينة نصيبين من أرض الجزيرة، فاستنصر بهرام بالمنذر ابن النعمان بن امرئ القيس (٤٣١ - ٧٤٣م) فلبى طلبه واضطرب أهل القسطنطينية فاضطر ملك الروم إلى طلب الصلح وعاد الجيش العربى ظافراً منصورا.

هذه هى قصة بهرام كور. وأذكر هنا على سبيل الاستطراد أن كلمة بهرام معناها المريخ، وأن كلمة كور معناها الحمار الوحشى وقد لقب بهرام بهذا لأنه كان مولعا بصيد الحمر الوحشية، وقد ظل على هذه العادة طول حياته حتى كانت سببا فى هلاكه، ذلك أنه بينما كان يطارد حمارا وحشيا إذ عدا جواده إلى نهر من الرمل فغاصت فيه قوائمه فهلك وهلك معه راكبه.

وإنما أطلت فى سرد هذه القصة لأقرر:

١ — أن بعض الأكاسرة كانوا يرسلون أبناءهم إلى بلاد العرب ليتعلموا بها.

٢ — أن الأكاسرة كثيرا ما كانوا يستعدون العرب ويستعينون بالجيش العربى فى تحقيق أغراض عسكرية يعجزون عن تحقيقها.

٣ — أن بهرام كور أجاد العربية نثرا ونظما ونقل إلى الفارسية نظام الشعر العربى المنظوم، المقفى، وابتكر نظام المثنوى أو المزدوج.

٤ — أن الاتصال الوثيق بين العرب والعجم لكل ما ذكرت من الأسباب قد أدى إلى أن يدخل العربية فى العصر الجاهلى كثير من الألفاظ الفارسية، وجاء الإسلام ونزل

القرآن الكريم وقد صقلت هذه الكلمات بالصيقل العربي واندمجت في كيان اللغة العربية فاستعمل القرآن بعضها مثل سندس واستبرق لا على أنها كلمات أعجمية بل على أنها كلمات عربية الصيغة والصبغة .

ولم يكن بهرام كور هو وحده الذى تعلم العربية فإن بعض التراجمة ورجال الدولة من الفرس كانوا يعرفونها أيضا . يؤيد ذلك ما ورد في قصة وفود النعمان على كسرى ومعه عدد كبير من خطباء العرب ، وكذلك ما روى من أن كسرى أرسل زيد بن عدى إلى النعمان ابن المنذر في طلب بنات عمه ليكن زوجات لأبناء كسرى وأنفذ معه سفيرا يعرف العربية ليسمع جواب النعمان .

وكما كان بعض الفرس يجيدون العربية ، كان بعض العرب يجيدون الفارسية وخاصة من كانوا يسكنون الحيرة وما حولها . وقد ذكرنا من قبل أن بعض الكتاب والمترجمين في بلاط كسرى كانوا من العرب .

من هذا كله نستطيع أن نستخلص حقيقة لا مجال للشك في صحتها هي في الواقع خلاصة هذا البحث هي أن صلة العرب بالعجم قبل الإسلام قد أدت إلى أن اتصلت العربية بالفارسية وتأثرت كل منهما بالأخرى .

أما تأثر العربية بالفارسية فيؤيده ما دخل العربية من كلمات فارسية ذكر بعضها معربا في القرآن الكريم . وأما تأثر الفارسية بالعربية فأمر طبيعي معقول على الرغم من أنه ليس بين أيدينا الآن من المراجع أو الأدلة اليقينية ما يثبته ؛ لأن لغة فارس قبل الإسلام كانت اللغة الفهلوية التي حلت محلها العربية كما حل الإسلام محل الزرادشتية، وحل القرآن الكريم محل الزند والأبستاق .

على أن تأثر كل من العربية والفارسية بالأخرى قبل الإسلام كان في حدود نطاق ضيق . ذلك لأن الفرس تأثروا في العصر الساساني بالآرامية التي كانت لغة شبه رسمية في الشرق الأوسط جميعه ، وقد ثبت أن الفرس قد استبدلوا بالخط المسماري الخط الآرامي ، وأنهم اتبعوا في الكتابة والقراءة طريقة الهزوارش أو الزوارش وهو ما يسميه ابن النديم الزوارش . ذلك أنهم كانوا يكتبون كثيراً من الكلمات بالآرامية ويقرءونها كلمات فارسية تؤدى معانيها كأن يكتبوا بالحروف الآرامية ملكان ملكا (ملك الملوك) ويقرؤوا شاهان شاه أو يكتبوا كلمة بسر (لحم) ويقرءوا كوشت ، أو يكتبوا كلمة « زانا » (ذلك) ويقرءوا آن ، ويكتبوا لحما (خبز) ويقرؤوا « نان » (١) .

---

[١] راجع كتاب : قصة الأدب الفارسى : ٨٤ — ٨٦ .

إن هذا يرجح أن تأثر الفرس بالآرامية كان أشد من تأثرهم بالعربية قبل الإسلام . أما فيما بعد الإسلام فقد تغيرت الأوضاع فتعلم الفرس العربية التي حلت محل الآرامية في الانتشار . ولما جد الفرس في إحياء لغتهم وآدابهم في القرن الثالث الهجرى اتخذوا الأبجدية العربية .

ويبدو أن تعصب العرب للغتهم قد جعلهم ينفرون من تقبل الكلمات الفارسية التي لم يشعروا بحاجة إليها ؛ فإننا إذا نظرنا في هذه الكلمات وجدنا :

١ — أنها قليلة لا تكاد تذكر بجانب الكلمات الأصيلة لأنها دخلت العربية بعد أن نمت وأثبتت صلاحيتها للبقاء ، ولم تكن في حاجة لأن تقتبس من غيرها إلا القليل النادر من الألفاظ التي تدل على معان مستحدثة أو على مسميات لم يكن لها نظائر في بلاد العرب .

٢ — أنها أسماء ، إذ لم يأخذ العرب عن غيرهم حروفا ولا أفعالا ، وإنما أخذوا عنهم أسماء ، غير أن العرب بما طبعوا عليه من مرونة لغوية كانوا كثيراً ما يشتقون من الأسماء الدخيلة أفعالا ، فاشتقوا من زركش (= الراسم بالذهب) زركش = نقش أو رسم بالذهب ، ومن كهرباء كهرب . ومن مغناطيس مغطس ، ومن قسطاس قسط بمعنى عدل وأقسط ظلم ، ومن لجام ألجم ، ومن مهر (= خاتم) مهر الكتاب بمعنى ختمه أو ذيله بتوقيعه . ومن ديوان دون وهكذا ، ثم اشتقوا من هذه الأفعال أفعالا ومشتقات أخرى كما لا يخفى .

٣ — أنها أسماء من أنواع خاصة ، كأسماء النبات ، أو الحيوان أو المعادن ، أو الآلات أو المأكولات أو المشروبات أو الملابس أو غيرها مما يدل على معان فلسفية أو على أشياء لم يعهدها العرب من قبل .

على أن العرب قد نقلوا إلى لغتهم ألفاظاً محدودة العدد لها نظائر في لغتهم إما لخفتها على اللسان أو السمع ، وإما ليدلوا على سعة اطلاعهم على الفارسية وشدة اتصالهم بالفرس . فمن النوع الأول الكلمات : ورد ومسك وتوت ، وهاون ، ورصاص ، وميزاب ، فقد استعملها العرب بدلا من حوجم ، ومشموم ، وفرصاد ، ومهراس ، وصرقان ، ومشعب .

ومن النوع الثاني : بوصى (معرب بورى) وجودقة ، وسجنجل ، وموزج ، فقد استعملت بدلا من : سفينة ، ورغيف ، ومرآة ، وخف .

٤ — أنها تنقل عن شعوب عرفوا بالمهارة والاختصاص أو السبق في استعمال مدلولاتها ، فقد أخذ العرب عن الفرس كلمات يدل

معظمها على أنواع من الطعام أو الشراب أو الملابس أو الزهور وما إليها ، وأخذوا عن اليونان بعض كلمات تدل على معان فلسفية ، وعن الأنباط ألفاظاً تتصل بالزراعة وآلاتها . . وهكذا كما سبق شرحه .

وللسبب نفسه أخذت اللغات الأوربية عن العربية بعض المصطلحات الرياضية مثل : الجبر والصفر ، واللوغاريتمات (الخوارزميات)[1] وبعض المصطلحات الكيمائية كالكحل ، والقلويات وبعض كلمات أخرى كتعريفة ، وقالب .

٥ ـ أنها كثيراً ما تخضع فى أصواتها وموازينها الصرفية لما هو متبع فى العربية ، وهنا تظهر مهارة العرب واعتزازهم بلغتهم ، فإنهم لم يخضعوها للموازين والصيغ الغريبة عنها ، وإنما أخضعوا لها ما كان غريبا عنها من أصوات أو موازين ، متبعين فى ذلك قواعد معينة أهمها :

أولا : قلب هاء السكت المتطرفة جيما كما فى كوسج = الأمرد ، وموزج = الخف ، وطازج = الغض الطرى : فأصلها على الترتيب : كوسه ، وموزه ، وتازه . وقد تقلب هذه الهاء قافا كما فى جوسق = القصر ، وجردق = الرغيف أو الكعك ، وكربق = الحانوت ، وبراق = الحمل ، وباشق = صقر الصيد ، فأصولها على الترتيب هى : جوسه ، وجرده ، وكربه ، وبره ، وباشه .

وإذا كان قبل هذه الهاء دال قلبت الدال ذالا والهاء جيما كما فى : ساذج ، ونموذج ، وفالوذج ، فأصولها هى على الترتيب : ساده ، ونموده . وبالوده .

وإذا كان قبل الهاء تاء قلبت دالا وقلبت الهاء قافا كما فى بودقة فأصلها بوته .

وإنما قلبوا هذه الهاء لأنه ليس فى العربية اسم ينتهى بهاء السكت ، وإنما قلبوها جيما لأنها تقلب كافا فارسية عند الجمع أو النسب أو اشتقاق اسم المعنى فى الفارسية كما فى بنده كان = عبيد مفرده بنده ، وبندكى = العبودية . والجيم من أقرب الحروف إلى الكاف ويليها الكاف ثم القاف كما سترى بعد.

ثانياً : قلب الكاف الفارسية جيما كما فى لجام ، وبنج ، وجريز (= المكار الخادع) وجورب وجلنار (= زهر الرمان) فأصولها : لكام ، وبنك ، وكريز، وكورب وكلنار .

وقد تقلب الكاف كافا كما فى كوش (= الأذن) وكردن (= العنق) ، وكنز وبركار. فأصولها : كوش ، وكردن ، وكنج وبركار .

---

[١] نسبة إلى أبى جعفر محمد بن موسى الخوارزمى صاحب كتاب « الجبر والمقابلة » .

وقلما تقلب هذه الكاف قافا أو غينا كما فى قريز (= جريز) وقندفير (= العجوز الشمطاء المحطمة)وغربال ، فأصولها : كريز ، وكنده بير ، وكربال .

ثالثا : قلب الباء الثقيلة فاء أو باء خفيفة كما فى فرند السيف (= جوهره) وفالوذج ، وفستق ، وفيروزج ، وبندق (المأكول المعروف) وبيدق (= الجندى الماشى) ، فأصولها : برند ، وپالوده ، وپستى ، وپيروزه وپندق ، وپياده .

رابعا : قلب الشين سينا فى بعض الحلات كما فى بنفسج ، دست (السهل) ، وسكر ، وسروال ، وسلجم (= اللفت) ، فأصولها : بنفشه ، ودشت ، وشكر ، وشلوار ، وشلغم .

خامسا : قد تقلب السين صادا كما فى صرد (البرد) وصنجة فأصلهما : سرد ، وسنج أوسنك . هذا وقد دخل العربية كثير من الكلمات الفارسية المركبة مثل الزركشة ، زر = ذهب + كش = الراسم والكلنار كل = زهر + نار = الرمان ، والسرداب سرد = بارد + آب = الماء أى ذو الماء البارد ، والميزاب ميز = مسيل + آب = الماء ، السراب سير = مملوء + آب = الماء ثم استعمل فيما يظن الرائى من بعد أنه ماء ، والكلاب كل = زهر أو ورد + آب = ماء ، وخشاب خوش = حلو + آب = الماء ، وسربوش سر الرأس + بوش = غطاء ، بابوج = الخف ، با = القدم + بوج = بوش = غطاء ، والمهردار = صاحب الختم = حامل أختام الدولة مهر = خاتم + دار = صاحب ، والمهماندار = المضيف = من يقوم بشئون الضيوف مهمان = ضيف + دار = صاحب .

ومن يرجع إلى المطولات من معاجم اللغة العربية يجد كلمات كثيرة من هذا النوع .

وبعد :

فأرجو أن أكون قد وفقت فى تصوير الجهود الموفقة التى بذلها أسلافنا الأقدمون رحمهم الله فى سبيل تنمية لغتنا الحبيبة ، وتوفير أسباب نهضتها وتقدمها ، والاحتفاظ بعزتها وشخصيتها حتى إنهم أخضعوا لسلطانها كل ما كان غريبا عنها أو دخيلا فيها .

فعسى الله أن يوفقنا كما وفقهم فى متابعة سيرنا نحو تحقيق الأغراض نفسها التى سعى فى تحقيقها هؤلاء السابقون الأولون .

والله المسئول أن يلهمنا القوة والصبر حتى نقف صامدين فى وجه ذلك الجيش الجرار من المصطلحات الأجنبية ، فلا نسمح له بأن يقتحم ديارنا ، ويدخل فى حمى لغتنا إلا بعد أن نقهره ونرغمه على أن يتعرب فيلبس إرداء العروبة ، أو يطرح جنسيته ويتجنس بالجنسية العربية .

حامد عبد القادر

(البقية فى العدد القادم)

الجلال السيوطي والتفسير

للأستاذ فوزي عرفه

ألف جلال الدين السيوطي نحوا من ثلاثين كتابا في التفسير والقرآن . وكان تعلقه بالتفسير من مطلع عمره حتى نهاية حياته ، ألف في شرح الاستعاذة والبسملة أول ما ألف . وكان شابا مفعما بالحيوية لا يجاوز عمره السادسة عشرة أو السابعة عشرة . وتقدم بهذا التفسير إلى شيخ الإسلام علم الدين البلقيني فأعجب به مما جعله يواصل الجهد ويكابد المشقة في سبيل تفسير القرآن تفسيرا جديدا يتلاءم مع اطلاعه الواسع وفهمه الدقيق .

ولقد حدثنا السيوطي عن نفسه بأنه رزق التبحر في سبعة علوم وجعل أولها التفسير . وإن هذا لحق لا مراء فيه ، فليس غريبا على من بدأ حياته بشرح الاستعاذة والبسملة وحدد خطوط هذه الحياة منذ شبابه بأن يتضلع في علم التفسير ، خاصة وقد أكثر من الاطلاع ، مما مكن له أن يكون حجة في التفسير لا يبارى .

وعندما بلغ الثلاثين وقع على كتاب يفسر نصف القرآن ألفه جلال الدين المحلى العالم المصري ، وكان قد توفى سنة أربع وستين وثمانمائة فابتدأ جلال الدين السيوطي يكمل هذا التفسير في سنة سبعين وثمانمائة وخرج بتفسير موجز لنصف القرآن الكريم ، يبدأ من سورة البقرة وينتهي عند سورة الإسراء تكملة لتفسير المحلى الذي بدأ تفسيره من الأسراء وانتهى عنه الفاتحة .

إن الجلال السيوطي لم يبلغ في هذا التفسير أقصى آماله فقد ألف بعد ذلك كتابيه القيمين « الإتقان في علوم القرآن » و « لباب النقول في أسباب النزول » .

وحسبك أن تقرأ كتابه « الإتقان في علوم القرآن » فترى أنه قد تبحر في دراسة القرآن حتى تناول موضوعات متعددة فدرس آيات القرآن : المكي والمدني والحضري والسفري والنهاري والليلي والصيفي والشتائي والفراشي والنومي والأرضي والسمائي ، وأول ما نزل وآخر ما ترك ، وسبب النزول ، وما نزل على لسان بعض الصحابة ، وما تكرر نزوله ، وحكمة نزوله وما نزل مفرقا ومجمعا ومفردا ومشيعا ، وما نزل على بعض الأنبياء وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكيفية إنزال القرآن وأسمائه وأسماء سوره وجمعه وترتيبه وعدد كلماته وسوره

ومعرفة حفاظه والعالى والنازل من أسانيده، ومعرفة المتواتر والمشهور والآحاد والشاذ والموضوع والمدرج ومعرفة الوقف والابتداء والإمالة والفتح والإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب والمد والقصر، وكيفيات القراءة وتجويد القرآن، وآداب تلاوته، وما وقع بغير لغة العرب وما يحتاج إليه المفسر ومعرفة إعرابه ومعرفة الوجوه والنظائر.

هذا ما يدرسه فى الكتاب الأول. أما الكتاب الثانى من الإتقان فيبحث فى المحكم والمتشابه ومقدمه ومؤخره وعامه وخاصه ومجمله وناسخه ومنسوخه ومشكله وموهم الاختلاف والتناقض ومطلقه ومقيده ومنطوقه ومفهومه وجميع مخاطباته وحقيقته ومجازه وتشبيهه واستعارته وكنايته وتعريضه والحصر والاختصاص والإيجاز والإطناب والخبر والإنشاء وبدائع القرآن وفواصل الآى وفواتح السور وخواتمها ومناسبة الآيات والآيات المتشابهات، وإعجاز القرآن والعلوم المستنبطة من القرآن وأمثال القرآن وأقسامه وجدل القرآن وما وقع فى القرآن من الأسماء والمبهمات وأسماء من نزل فيهم القرآن وفضائل القرآن وفضله ومفرداته وخواصه وغرائب التفسير وطبقات المفسرين.

ولعلك تسأل: ماذا يبقى بعد من المسائل التى تدور حول القرآن مما يمكن بحثه؟، ولعلك لا تمنع نفسك من العجب عندما تعرف أنه لم يكتف بهذا بل ألف فى مفردات هذه المسائل كتبا عدة منها كتاب «التحبير فى علوم التفسير» الذى ألفه سابقا لكتاب الإتقان ثم كتاب «لباب النقول فى أسباب النزول» الذى ألفه لاحقا لكتاب الإتقان.

وعلى الجملة قد استطاع أن يهيئ نفسه تهيئا كاملا للخوض فى القرآن الكريم والتحدث عن مختلف النواحى التى تدور حول اللفظة والجملة والسورة على وجه العموم.

ولكن ما السبب الذى دعاه إلى هذا التبحر؟ كان السبب أنه اعتقد اعتقادا جازما أن القرآن الكريم كتاب حوى من جميع الفنون والعلوم ما يجب على الباحث أن يستقى من منبعها وهو القائل: «إن كتابنا القرآن لهو مفجر العلوم ومنبعها ودائرة شمسها ومطلعها، أودع فيه سبحانه وتعالى علم كل شيء وأبان فيه كل هدى وغى فترى كل ذى فن منه يستمد وعليه يعتمد. فالفقيه يستنبط منه الأحكام ويستخرج حكم الحلال والحرام، والنحوى يبنى منه قواعد إعرابه ويرجع إليه فى معرفة خطأ القول من صوابه. والبيانى يهتدى به إلى حسن النظام ويعتبر مسالك البلاغة فى صريح الكلام، وفيه من القصص والأخبار ما يذكر أولى الأبصار.

ومن المواعظ والأمثال ما يزدجر به أولو الفكر والاعتبار إلى غير ذلك من علوم لا يقدر قدرها إلا من علم حصرها ، هذا مع فصاحة لفظ وبلاغة أسلوب تبهر العقول وتسلب القلوب وإعجاز نظم لا يقدر عليه إلا علام الغيوب » .

وعلى هذا يجرى فى كتابه متبعا هذا الأسلوب ومعتقدا أن القرآن منبع العلوم ومفجرها ومعتمداً على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، فالله تعالى يقول : « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » ويقول : « ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء » وقال صلى الله عليه وسلم (ستكون فتن قيل وما المخرج منها ؟ قال كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم) .

إن الإيمان بشمول القرآن وعمومه وأنه آخر الكتب المنزلة قد أفضى بالجلال إلى فلسفة لا نزال نجد لها صدى فى وقتنا الحاضر ، فالذين يرجعون النتائج العلمية المعاصرة إلى آيات فى القرآن ويحاولون أن يردوها إلى هذه الآيات إنما يصدرون من نفس المنبع الذى استق منه الجلال ويتفقون معه فى أن القرآن جماع العلوم ومنبع الفنون وأصل الأفكار. ولقد حاول هو كما حاول السابقون أن يجدوا للعلوم والصنائع أصلا فى القرآن حيث يقول : « وقد احتوى - القرآن - على علوم أخرى من علوم الأوائل مثل الطب والجدل والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة والنجامة وغير ذلك » ، وألف فى ذلك كله كتاب « الإكليل فى استنباط التنزيل » ، فذكر العلوم المستنبطة من القرآن علما علما بتوسع يشفى العليل ويروى الغليل .

لهذا عظم الجلال « علم التفسير » ، واهتم به منذ صغره وباكورة شبابه ، ذلك لأن العلوم وإن كثر عددها وانتشر فى الخافقين مددها فغايتها بحر قعره لا يدرك ونهايتها طود شامخ لا يستطاع إلى ذروته أن يسلك . ولهذا يفتح العالم بعد آخر من الأبواب ما لم يتطرق إليه من المتقدمين الأسباب . وإن مما أهمل المتقدمون تدوينه حتى تحلى فى آخر الزمان بأحسن زينة علم التفسير » .

فشعور الجلال بأن هناك موضوعات لم تطرق حول تفسير القرآن وبأنها لم تبوب وتنظم هو الذى جعله يؤلف كتبه العديدة فى تنظيم سور القرآن المكية والمدنية وآياته المكية والمدنية ثم معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول وما إلى ذلك من الأمور . وشعوره بأن القرآن منبع العلوم وأصلها دفعه إلى التبحر فى فهم هذا الكتاب الكريم مما جعله ينتج فيه إنتاجا قيما ويحاول أن يتوج هذا العمل كله بتفسير كامل شامل للقرآن الكريم جميعه .

ولقد نشأ نشأة دينية وكانت صورة أبيه لا تزال ماثلة أمام عينيه وهو صبى صغير حيث كان الأب يختم القرآن كل أسبوع. فاهتمام الوالد بالقرآن واعتزاله الناس وإقباله على هذا الكتاب الكريم قد أثر فى نفس الطفل فأصبح يتمثل سلوته وراحته فى اللجوء إلى هذا الكتاب محققا لأبيه ما كان يصبو إليه.

كل هذه أسباب جعلت السيوطى يرزق التبحر فى التفسير كما وصف هو نفسه عند ما أرخ لحياته فى كتابه «حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة» ولكن مع هذا كله لم يفسر القرآن بعد أن استكمل له عدة التفسير الذى كان يرجوه، ولا تعتبر تكملته لتفسير المحلى قمة ما وصل إليه، لأنه فسره فى الثلاثين أى فى منتصف عمره تقريبا ولم يكن قد نضج تمام النضوج واستوى ورسخ كل الرسوخ. ومع ذلك فإننا نجد فى هذا التفسير نظرات فائقة وآراء ناضجة وتتجلى فيه شخصية الجلال القوية جلاء واضحا ولعلنا عند ما ننظر فى كلامه الذى ختم به تفسيره يتضح لنا عمق الجلال فى تفسيره المختصر. فما بالك لو كان قد أتحفنا بتفسيره المطول.

يقول «هذا آخر ما كملت به تفسير القرآن الكريم الذى ألفه الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق جلال الدين المحلى الشافعى رضى الله عنه. وقد أفرغت فيه جهدى وبذلت فكرى فيه فى نفائس أراها إن شاء الله تعالى تجدى وألفته فى مدة قدر ميعاد الكليم، وجعلته وسيلة للفوز بجنات النعيم، وهو فى الحقيقة مستفاد من الكتاب المكمل، وعليه فى الآى المتشابهة الاعتماد والمعول، فرحم الله امرءا نظر بعين الإنصاف إليه ووقف فيه على خطأ فأطلعنى عليه وقد قلت:

حمدت الله ربى إذ هدانى
لما أبديت من عجزى وضعفى
فمن لى بالخطا فأرد عنه
ومن لى بالقبول ولو بحرف

هذا ولم يكن قط فى خلدى أن أتعرض لذلك لعلمى بالعجز عن الخوض فى هذه المسالك وعسى الله أن ينفع به نفعا جما، ويفتح به قلوبا غلفا، وأعينا عميا، وآذانا صما. وكأنى بمن اعتاد المطولات وقد أضرب عن هذه التكملة وأصلها حسما، وعدل إلى صريح العناد ولم يوجه إلى دقائقها فهما، من كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى، رزقنا الله به هداية إلى سبيل الحق وتوفيقا، واطلاعا على دقائق كلماته وتحقيقا، وجعلنا به مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا...

ثم يذكر قصة تهدف إلى تبيين الاختلاف بينه وبين جلال الدين المحلى حيث يقول: «قال الشيخ شمس الدين محمد بن أبى بكر

الخطيب الطوخى أخبرنى صديقى الشيخ العلامة كمال الدين المحلى أخو شيخنا الشيخ الإمام جلال الدين المحلى رحمهما الله تعالى . أنه رأى أخاه الشيخ جلال الدين المذكور فى النوم وبين يديه صديقنا الشيخ العلامة المحقق جلال الدين السيوطى مصنف هذه التكملة وقد أخذ الشيخ هذه التكملة فى يده وتصفحها ويقول لمصنفها المذكور أيهما أحسن : وضعى أو وضعك ؟ فقال وضعى ، فقال : انظر . وعرض عليه مواضع فيها وكأنه يشير إلى اعتراض فيها بلطف ، ومصنف هذه التكملة كلما أورد عليه شيئا يجيبه والشيخ يبتسم ويضحك .

ويعلق على هذه القصة بقوله : « الذى أعتقده وأجزم به أن الوضع الذى وضعه الشيخ جلال الدين المحلى رحمه الله تعالى فى قطعته أحسن من وضعى أنا بطبقات كثيرة : كيف وغالب ما وضع هنا مقتبس من وضعه ومستفاد منه لامرية عندى فى ذلك . وأما الذى رؤى فى المنام المكتوب أعلاه فلعل الشيخ أشار به إلى المواضع القليلة التى خالفت وضعه فيها لنكتة . وهى يسيرة جدا ما أظنها تبلغ عشرة مواضع ، منها أن الشيخ قال فى سورة ص : والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه وكنت تبعته أولا فذكرت هذا الحد فى سورة الحجر ثم ضربت عليه لقوله تعالى : « ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى الآية : فهى صريحة أو كالصريحة فى أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه ، فالإمساك عن تعريفها أولى ، ولذا قال الشيخ تاج الدين ابن السبكى فى جمع الجوامع والروح لم يتكلم عليها محمد صلى الله عليه وسلم فتمسك عنها . ومنها أن الشيخ قال فى سورة الحج : « الصابئون فرقة من اليهود ، فذكرت ذلك فى سورة البقرة : وزدت أو النصارى ، بيانا لقول ثان فإنه المعروف خصوصا عند أصحابنا الفقهاء ، وفى المنهاج : وإن خالفت السامرة اليهود والصابئة النصارى فى أصل دينهم وفى شرحه أن للشافعى رضى الله عنه نص على أن الصائبين فرقة من النصارى ولا استحضر الآن موضعا ثالثا ، فكأن الشيخ رحمه الله تعالى يشير إلى مثل هذا والله أعلم بالصواب وإليه المرجع والمآب » .

هذا كله يدل دلالة واضحة على أن الجلال لم يكن متبعا مقلدا ولا ضعيفا إمعة بل كان عميقا فى أفكاره دقيقا فى تفهمه ، قويا فى شخصيته بحيث خالف جلال الدين المحلى وسنه ثلاثون عاما ، وخالفه فى مسائل هامة تلتصق بالتفسير التصاقا كبيرا ، وخاض فيها المسلمون حقبة طويلة من الزمن حتى أصبحت هناك فرق وشيع ، وحتى استطاع هو ـ بعد ـ أن يختار من بين هذه الفرق والشيع ما يجده موافقا لرأيه ملائما لفهمه .

فوزى عرفة

زعماء المسلمين فى الهند
وموقفهم من الاستعمار الانجليزى

للأستاذ محمد اسماعيل الندوى

– ٢ –

إن السيد أحمد خان كافح وناضل لتحقيق غايتين : الأولى رفع مستوى المسلمين من ناحية اقتصادية وثقافية ويقربهم من تقدم الانجليز الذين كان يكرههم ويصب عليهم جام الغضب والسخط ويسقطهم فى جميع الميادين . والثانية قام كمصلح دينى ليذود عن كيان الدين من الحملات الفكرية الصليبية ويوجه المسلمين توجيها سليما دينيا ، ولم يرقه الكتب التى صنفها المستشرقون مثل السير وليم ميور (Sir william Mure) وغيره من الذين طعنوا فى الإسلام وصاحب الشريعة وتعاليمه من ناحية تاريخية وفكرية وعقيدية . لقد سافر لأجل ذلك إلى انجلترا وصنف بالأردية كتابا سماه بالخطبة الأحمدية ، رد فيه على المستشرقين رداً قاطعا . ولقد ترجم هذا الكتاب إلى الانجليزية فى انجلترا . وكذلك حاول فى كتابه تهذيب الأخلاق ـ وهو مجموعة من مقالاته التى كان يكتبها فى مجلة كان يصدرها بهذا الاسم ـ أن يفسر تفسيراً جديداً (يلائم روح العصر وثقافته) المسائل الإلهية والمعجزات وغيرها من المسائل المهمة . وذهب السيد أحمد خان فى هذا مذهب المعتزلة كالنظام والجاحظ وأندادهما . ولم يذهب مذهبا جديدا خطر على باله . ولكن البيئة الإسلامية فى تلك الأيام كانت متمسكة بعلم الحديث ولذلك خالفه علماء الحديث وسموه بالزنديق والملحد وأفتوا بكفره لأن هذه المسائل كانت مثيرة جداً .

وقد كتب مولانا أبو الكلام آزاد فى كتابه « التذكرة » أن السيد أحمد خان قد تناول هذه الموضوعات قبل أن يحين وقتها وقد أتعب نفسه لأنه لم يكن أحد فى الهند قد درس الفلسفة الغربية والكتب الانجليزية التى صنفها المستشرقون . ولم يترجم أى كتاب إلى اللغة الأردية الثقافية من الكتب الانجليزية الحديثة . كان الناس آمنين مطمئنين إلى أن أثار السيد أحمد خان هذه الموضوعات التى لم ترغب فيها الأمة الإسلامية فى تلك الأيام . ومن ناحية أخرى فإن السيد أحمد

خان لم يدرس اللغة الانجليزية ولم يطلع على الأفكار الحديثة من مصادرها الأصلية ولذلك أخطأ فى فهم النظريات والأفكار الحديثة لأنه أخذها بمجرد السماع . وكذلك لم يكن السيد أحمد خان ملماً بالدراسة الإسلامية كما ألم بها أقرانه مثل العلامة محمد شبلى النعمانى . ولم يستطع أن يبحث فى المسائل الإلهية والمعجزات بكل دقة وعمق حتى يعد نفسه من مفكرى الإسلام فى القرن التاسع عشر وينشئ مدرسة فكرية تجرى مع الزمان والظروف والثقافة المعاصرة. لقد أظهرت هذا الرأى فى مقالتى الأردية التى كتبتها لمجلة البصير التى أصدرتها جامعة بنجاب فى الباكستان فى سنة ١٩٥٨ .

إن أحمد أمين عد أمير على من زعماء الهند وخصص له بابا فى كتابه وترك محمد شبلى النعمانى الذى يعتبر من رواد النهضة الحديثة فى الهند . وأما أمير على الذى كتب عنه أحمد أمين فلا يعرفه أحد كزعيم دينى أوسياسى . فقد كان مجرد كاتب صنف كتباً كثيرة فى اللغة الانجليزية وأشهرها روح الإسلام (The Spirit of Islam) والقانون الإسلامى (The Islamic law) ولم يشتهر أبداً بين أوساط المسلمين كزعيم أو رائد الفكرة الإسلامية ولا يعرفه كثير من المسلمين إلى الآن ، لأن ثقافته كانت ثقافة انجليزية ولم يكن إنتاجه الفكرى باللغة الثقافية التى هى اللغة الأردية .

إن السيد أحمد خان كان رجلا مخلصاً دينا أميناً . ولا شك أنه وقع فى أخطاء شنيعة فى توجيهاته وشرحه وتفسيره لمبادئ الإسلام وعقائده وأفكاره فى ضوء العلم الحديث ، ولكنه كان مخلصاً فيما كتب ولذلك حينما أفتى العلماء بأنه ملحد وخارج عن الدين وأخذوا توقيعات كافة الفقهاء والمحدثين رفض الشيخ محمد قاسم النانتوى منشئ دار العلوم بديوبند أن يوقع على هذا وهو الذى يعتبر فى طليعة العلماء الأبرار من مدرسة الشاه عبد العزيز الدهلوى ومن أنصار العلماء الذين رفعوا راية الثورة فى الهند ، لقد أرسل الشيخ محمد قاسم رسالة إلى السيد أحمد خان وسأل فيها ثلاثة أسئلة ورد السيد أحمد خان عليها :

السؤال الأول : ما هو رأيك عن الله تبارك وتعالى ؟ .

الجواب : الله خالق السموات والأرض وهو أزلى وأبدى ومالك وصانع .

السؤال الثانى : هل تؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ .

الجواب : أشهد أن محمدا عبده ورسوله وحبيبه وصديقه .

السؤال الثالث : ما هى عقيدتك عن اليوم الآخر ؟ .

الجواب : إن اليوم الآخر حق لامناص منه

ولما وصلت إلى الشيخ هذه الإجابة قال للعلماء هل تكفرون رجلا يؤمن بالله ورسوله وهو صادق فى إسلامه (البصير شبلى نمر ص ١٦٦) .

شتان بين دعوة السيد/أحمد خان والدعوة القاديانية . إن دعوة السيد/ أحمد خان كانت دعوة إيجابية متطورة . وهى قد قامت على أساس البناء والإصلاح وتطوير الفكر الإسلامى والوعى القومى . أما الدعوة القاديانية فهى دعوة سلبية رجعية وأساسها المنامات والإلهامات والخرافات والخزعبلات التى لا يقبلها الفكر الإنسانى فى العصر الحديث .

وكتب مولانا أبو الكلام آزاد (وزير المعارف السابق بالجمهورية الهندية) فى التذكرة « أن غلام أحمد القاديانى لم يدع يوما من الأيام أنه نبى أو رسول بل أتباعه وأنصاره استغلوا اسمه وأضافوا إليه أقوالا غريبة وأنشئوا جماعة تبشيرية لكى يحصلوا على مركز بين أوساط الناس » . وانتهز الاستعمار هذه الفرصة واشترى هذه الطائفة لأغراضه السياسية وتشكيك أبناء المسلمين فى القيم الإسلامية . ولا شك أنه يوجد شبه بين السيد/ أحمد خان وغلام أحمد القاديانى فى بعض الأشياء ولكنهما يختلفان كل الاختلاف أو يبتعدان كل البعد . إن السيد أحمد خان خالف الجهاد ضد الانجليز وكان هذا رد فعل لنزعة العلماء الذين أفتوا بأن الهند دار كفر ووجب على المسلمين الجهاد فى سبيل الله أما مسالمته للانجليز فكانت لمصلحة المسلمين وترقية أحوالهم السياسية والاقتصادية والثقافية . وهو يشبه فى مسالمته للانجليز الشيخ محمد عبده فى مصر . وأما موالاة القاديانيين للانجليز كانت مبنية على تشتيت القيم الإسلامية كما قال الدكتور محمد البهى .

لقد وجدت فى الهند فى منتصف القرن التاسع عشر مدرستان : الأولى مدرسة المحافظة على التراث الدينى وكان يتزعم هذه المدرسة الشيخ محمد قاسم وكان مركزها دار العلوم بديوبند والمدرسة الثانية هى مدرسة التجديد وتطوير الفكر الإسلامى وكان السيد أحمد خان زعيمها وكانت جامعة عليكره مركزها . وقد ازدادت الفجوة بين هذين المدرستين اتساعا وعمقا بمرور الأيام . واشتدت الحاجة إلى إنشاء مدرسة ثالثة وهى مدرسة توفيقية . وزعيم هذه المدرسة معاصر السيد أحمد خان وزميله محمد شبلى النعمانى . إن شبلى رافق السيد أحمد خان فى جميع نشاطه وحركاته كما كان رفيقا له فى كلية المحمدية فى التدريس . ولكن شبلى كان يختلف عنه ببعض نزعاته . فقد كان يؤمن بالتمسك بالتراث الفكرى الذى خلفه أسلافنا مثل ابن حزم والغزالى وابن تيمية والشاه ولى الله الدهلوى وغيرهم من رجال الدين والفكر . وكان

يحب الوثبات الحديثة فى حدود الشريعة . ولذلك كتب عن رجال الفكر والدين وأظهر بطولتهم وأهدى هذه التحفة للجيل الناشىء .

وقد كتب سيرة عمر رضى الله عنه بأسلوب علمى حديث وبحث فيه عن الجانب السياسى والديمقراطى والعدالة الاجتماعية فى الإسلام، وكان هذا بحثا طريفا على طريقة علماء الغرب من حيث التدقيق والتحقيق والإشارة إلى المصادر . وقد سافر لأجل هذا الكتاب فى سنة ١٣٠٩ هـ إلى الآستانه والقاهرة ليطلع على المخطوطات النادرة . وهو أول من عالج بحوثا علمية طريفة ردا على المستشرقين فى مسألة الجزية وإحراق مكتبة الإسكندرية فى عهد عمر رضى الله عنه وغير ذلك من موضوعات هامة لم يألفها العلماء المسلمون فى القرن التاسع عشر . وقد ترجمت هذه البحوث إلى اللغة الانجليزية . وقد أعجب بها السيد أحمدخان إعجابا شديداً وشجعه فى معالجة هذه الموضوعات الهامة .

وكذلك لم يتفق شبلى مع السيد أحمد خان فى مسالمته الانجليز بل كان ينتمى فى نزعته السياسية إلى العلماء الأبرار الذين قاموا بالثورة الأولى والثانية لطرد الانجليز من الهند . وانتسب إلى حزب المؤتمر .

إن جهود العلماء الأبرار الذين قضوا حياتهم فى محاربة الاستعمار لم تذهب سدى بل اندفعت هذه الحماسة فى بداية القرن العشرين بقوة دافقة . انضم هؤلاء العلماء إلى حزب المؤتمر الذى أنشىء فى سنة ١٨٨٥ وكانت رسالة هذا الحزب أن يحارب الاستعمار ويجليه عن أرض الهند بطريق سلمى لا بطريق الخشونة والثورة الذى باء بالفشل مرتين . يقول الشيخ حسين أحمد المدنى (الذى يعتبر فى منتصف القرن العشرين فى طليعة هؤلاء العلماء الذين انضموا إلى حزب المؤتمر وحاربوا الاستعمار حتى طردوه من بلادهم) ، يقول : إن حزب المؤتمر لم يكن أول حركة قومية لطرد الاستعمار بل سبقته حركات ومحاولات عديدة . أما هذه الحركة فهى حلقة أخيرة للمحاولات السابقة (نقش حيات ج ٢ ص ٧) . إن النزعة السياسية للسيد أحمد خان باءت بالفشل لأن أنصاره وتلاميذه وقادة جامعة عليكرة انضموا إلى الحركة الوطنية ولذلك أصبحت هذه الحركة قوة جبارة لم يستطع الاستعمار القضاء عليها بل ترك الهند وخرج منها فى سنة ١٩٤٧ .

أما شبلى النعمانى فكانت له جوانب عديدة فى خدمته للأمة الإسلامية . فقد كان من العلماء القدماء ولكن اتصل بالسيد أحمد خان واشترك معه فى جامعة عليكره أستاذا الشريعة الإسلامية واللغة العربية . وكذلك كان من

أصدقاء السير عقومس آرنولد Sir okomas Arnold وعرف منه كثيراً عن الثقافة الغربية وفلسفتها ونهضتها الحديثة وتعلم منه اللغة الفرنسية كما علمه اللغة العربية . وحصل على تجارب وخبرات استغلها فى بعث نهضتنا الحديثة مع التمسك بالدين . فدعا المدارس العربية فى الهند وعلى رأسها دار العلوم بديوبند إلى إصلاح مناهج التعليم وتغيير الكتب القديمة والعلوم البالية مثل الفلسفة والمنطق وعلم الفلك وغيرها . ودعا إلى تدريس اللغة العربية كلغة حية قرآنية كما كانت فى العصر العباسى الأول وإضافة بعض مواد حديثة مثل علم الاجتماع والاقتصاد وتدريس المواد الحديثة بطريقة تطبيقية بين الشريعة الإسلامية والثقافة الغربية . وقد خالفه العلماء القدماء المتزمتين وعارضوه ولكنه لم يترك هذه الدعوة . وقد أتيحت له الفرصة فى سنة ١٨٩١ لزيارة مصر والآستانة . وقد قامت فى تلك الأيام حركة إصلاحية فى مصر أيضا تماثل حركته ونزعته . وكان رائد هذه النزعة فى نظره على مبارك منشئ مدرسة دار العلوم فى القاهرة . وقد تبادل الآراء مع على مبارك والشيخ محمد عبده فى جلسات متعددة وأعجب بمدرسة دار العلوم بالقاهرة ودراستها ورسالتها وكتب عنها صفحة كاملة فى مذكراته وأثنى عليها ثناء بالغا . وفى نفس الوقت أقلق باله منهج الأزهر القديم والحالة السيئة التى كان عليها طلاب الأزهر وأساتذته من حيث الفكر والنزعة ولذلك انتقد الأزهر نقداً لاذعا فى مذكراته التى سماها بسفرنا م مصر وروم (رحلة مصر والروم) وطبعت باللغة الأردية فى الهند سنة ١٨٩٢ (البصير شبلى نمبر ص ١٠٤) .

وحينما رجع إلى الهند طلب من جمعية ندوة العلماء التى أسسها العلماء الهنود أن ينشئوا مدرسة حديثة تماثل دار العلوم بالقاهرة تأخذ من كل من مدرسة دار العلوم بديوبند وجامعة عليكره وتكون وسطا بينهما . وكان شبلى عضواً فعالا فى هذه الجمعية . ولقد وافق العلماء فى الجمعية على هذا وأنشئوا مدرسة حديثة باسم دار العلوم لندوة العلماء . ونجحت هذه الدار فى رسالتها نجاحا بارزا فى مدة بسيطة لا تزيد على عشر سنين . ولقد تخرج على يديه فى هذه المدرسة كبار الكتاب والزعماء والمفكرين مثل مولانا أبو الكلام آزاد والسيد سليمان الندوى وعبد الماجد الدريابادى ومولانا عبد البارى الندوى . وهؤلاء هم الذين قادوا الأمة الإسلامية فى الهند فى منتصف القرن العشرين كما تخرج على أيديهم كبار العلماء مثل الأستاذ أبى

[البقية على صفحة ٣٣٤]

أثر الحضارة الإسلامية فى المدنية الأوروبية

للدكتور محمد غلاب

غرست السياسة الاستعمارية من جهة ، والعنجهية الجنسية من جهة أخرى فى نفوس الغربيين أنهم نشئوا من عنصر آخر غير عنصر الشرقيين ، وبالتالى هم أسمى منهم طبيعة وأرقى مدنية . وقد طفق الطغيان طوال أزمان الاستعباد الممقوت يعمل على تثبيت هذه الفكرة الخاطئة حتى جعلها بالنسبة إلى الغربيين أشبه الأشياء بالحق المكتسب الذى لا مشاحة فيه ولا نزاع ، وتمكن بوسائله الجهنمية من ترسيخها فى نفوس الشرقيين ترسيخا لم يلبث أن تحول إلى عقدة نفسية كانت إلى عهد قريب عسيرة الحل ، أو مركب نقص مرهق ظل إلى ما قبل الآن عسير الزوال . وكان من نتائج هذا المركب النقصى الخطر أن آمن الجيل الذى نشأ وربى بين أحضان الاستعمار ، وهدد بإرهابه ومخاوفه بأنه أدنى من الغربيين عنصرا ، وأقل منزلة ، وأحط مدنية ؛ ولولا هذا لما كان لهم على الشرق حق السيادة والامتلاك . ولا ريب أن هذه الفكرة بعيدة عن الحقيقة بعد الظلام عن النور . ولا نريد أن نستشهد على ذلك إلا بما سجله أعلام كتابهم ، وأفذاذ علمائهم وباحثيهم النزهاء .

ففيما يتعلق بالعهود الأثرية ، يصرح الكاتب الانجليزى ريدر هيجارد مخاطبا مصر بقوله : (فى الوقت الذى كان فيه فراعنتك يتنزهون فى زوارق أنيقة يجذف لها بمجاذيف من ذهب ، كان أجداد أولئك الذين يستعمرونك الآن يقطنون الغابات ويقتلون الحيوانات بالأحجار ، فيشوون جلودها ، ويرمون لحومها جهلا منهم بما يؤكل وما يرمى .

أما فى العصور الوسيطة التى أنار فيها الإسلام مشاعل الحضارة العربية ، ورفع راياتها الخفاقة ، ونشر معارفها المتنوعة والتى التقى فيها الغربيون بالمسلمين فى أسبانيا عند نهاية القرن السابع ثم إبان الحروب الصليبية فى فلسطين وسوريا ومصر أثناء عدة قرون ، فإليك مايقوله فيها العالم الفرنسى جوزيف كالميت فى كتابه : « تاريخ أسبانيا » الذى ظهر فى سنة ١٩٤٧ :

« قد يبدو للوهلة الأولى أن تعارض الدينين كان يمكن أن يضع عقبة كأداء أمام

تبادل التأثير بين الثقافتين ، ومع ذلك فلم تقم هذه العقبة على الأرض الأسبانية ، إذ أن الظاهرة الملحوظة هى ظاهرة عمل متبادل مستمر متغلغل إلى الأعماق . غير أن فى وصفنا هذا التأثير بالتبادل شيئا من التجوز لأن الجانب الإسلامى كان أكثر نشاطا ، أى أن الإسلام هو الذى قدم عنصر الإنتاج ، وأن العالم المسيحى هو الذى تلقى الأثر الانفعالى » .

وفى الواقع إن هذه العناصر النشيطة ، قد تناولت جميع جوانب المعرفة البشرية كعلوم : الطب والهندسة والجبر والفلك . ولقد أجمل الأستاذ روديسون ذلك فى « مجلة تاريخ الأديان » الصادرة فى ديسمبر من سنة ١٩٥١ فى تلك العبارة الجامعة الشيقة فقال : « إن علوم الغرب فى ذلك العصر كلها علوم عربية » .

أما الفلسفه فحسبنا أن نذكر عنها رأى أحد الأعلام الفرنسيين المتخصصين فى دراسة فلسفة العصور الوسيطة وهو « إيتيين جيلسون » الذى يبرز تأثير فلاسفة المسلمين فى مفكرى المسيحيين فى كتابه : « التاريخ المذهبى والأدبى فى العصور الوسيطة » حيث يقول :

« إن أول الأوهام التى ينبغى تبديدها هو الذى يصور الفكر المسيحى والفكر الإسلامى على أنهما عالمان متباينان . تمكن معرفة أولهما مع جهل ثانيهما » .

ونحن لا نريد أن نسهب هنا فى تفاصيل هذا التأثير المعترف به من الجميع ، بل الذى بلغ من الشهرة حداً يجعل الحديث عنه ضربا من ضروب الإعادة والتكرار ، وإنما حسبنا أن نشير إلى تأثير ابن سينا فى « ألبير الأكبر » و « القديس توماس الأكوينى » وهما على رأس أعلام المفكرين الغربيين فى العصور الوسيطة . أما تأثير ابن رشد فى فلاسفة ومتفلسفى تلك العصور وعصر النهضة فهو غنى عن كل وصف وليس عليك إلا أن تلقى نظرة عاجلة على تاريخ جامعتى السوربون وبادوا وما كان يحدث فيهما من معارك فسلفية طاحنة حول آراء ابن رشد فى ذلك العهد ، وحسبنا أن نسجل هنا أن اسم « الشارح » كان إذا أطلق فى أوربا فى ذلك الحين لا ينصرف إلا إلى ابن وشد وحده ، وأن هذا الفيلسوف قد ترك فى الغرب مدرستين قيمتين أطلق المؤرخون على إحداهما اسم المدرسة اللاتينية ، وعلى الأخرى اسم المدرسة العبرية وأن رينان قد خصص لدراسة مذهبه كتابا عنوانه « ابن رشد والمدرسة الرشدية » وإذا أردت بيانا عن هذا كله فارجع إلى كتابنا : « الفلسفه الإسلاميه فى المغرب » .

وإذا غادرنا العلوم والفلسفة ، واتجهنا إلى الإلهيات التنسكية ، ألفينا المستشرق الأسبانى الكبير الأستاذ ميجيل أزين

بالاسيوس يلقى أعظم الأضواء وأسطعها على تأثير الأئمة : الغزالى وابن مسرة ومحيى الدين ابن عربى فى المدارس التنسكية الأسبانية .

وكما قرر أولئك العلماء تأثير المسلمين فى جميع فروع العلوم المتنوعة ، كذلك سجلوا هذا التأثير فى الحضارة الأوروبية الرفيعة على اختلاف مناحيها المترامية الأطراف .

وفى هـذا يقول إرينست رينان فى كتابه المذكور آنفا ـ رغم تحامله أحيانا على الإسلام والمسلمين ـ ما يلى :

« إن الميل إلى العلوم ، وتذوق الفنون الجميلة قد أنشأ فى أسبانيا فى القرن العاشر تسامحا لا تكاد العصور الحديثة تقدم إلينا منه مثلا واحدا ، إذ أن المسيحيين واليهود والمسلمين ، كانوا يتكلمون بنفس اللغة ، ويتناشدون ذات الأشعار ، ويتقاسمون عين الدراسات الأدبية والعلمية ، وأن كل الحواجز التى تفرق بين بنى الإنسان قد انهارت ، وأن الجميع كانوا يسهمون متفقين فى تشييد الحضارة المشتركة ، وأن مساجد قرطبة التى يعد طلابها بالآلاف قد صارت مراكز نشيطة للدراسات الفلسفية والعلمية » .

وكذلك يسجل العالم الفرنسى الأستاذ فوربيل ذلك فى كتابيه : « تاريخ الجول الجنوبى » و « تاريخ الشعر البروفانسى » فيقول :

إن من الوقائع الجديرة بالملاحظة تلك الجاذبية وذلك الاتصال الاجتماعى اللذين استقرا منذ زمن بعيد بين العرب والأسبانيين وجعلا ينموان على التوالى ، وهاتيك السهولة التى خضع بها الأخيرون لذلك السمو النبيل الذى أفاضه عليهم الأولون ، إذ استهوتهم عبقريتهم اللطيفة فاستساغوا لغتهم ، وألفوا عاداتهم بل أخيلتهم ...

... إن طباع العرب ، وأنظمتهم هى التى لفتت أنظار أهل الجنوب فى فرنسا فى القرن الحادى عشر حين بدءوا يرون فى أولئك المسلمين ـ وهم الذين كانوا أول الأمر يرهبونهم بوصف أنهم أعداء للعقيدة المسيحية ـ رجالا أكثر منهم حضارة ...

« ... كان الإجماع فى ذلك العهد يعزو إلى العرب كل ما كان يبدو خليقا بالإعجاب ، أو كل ما كان يقتضى وجود فن من الفنون الرفيعة ... » .

وإذا تصفحنا كتاب : « حضارة العرب » تأليف جوستاف ليبون ، ألفينا أنه لا يقل عن سالفيه جزما بأن الفرنجة مدينون المسلمين بكثير من مدنيتهم التى يتيه بها اليوم أحفادهم عجباً وافتخاراً . وهو فى هذا يقول : « إنما عن العرب وحدهم قد أخذ سكان أوربا ، إلى جانب قوانين الفروسية ، الاحترام والتلطف اللذين تفرضهما هذه القوانين عليهم

للمرأة فرضاً . وإذن فليست المسيحية — كما يظن فى الغرب بصورة عامه — هى التى رفعت المرأة وإنما هو الإسلام » .

وفى الحق أن قوانين الفروسية التى يتحدث عنها جوستاف ليبون كانت أحد المؤثرات الهامة التى سجلها التاريخ للشرق على الغرب بأحرف الخلود ، وأن أبرز ميدان تلألأ هذا التأثير فى سمائه هو جبهات الحروب الصليبية إذ أن المسلمين هم الذين ألهموا فرسان الفرنجة الذين كانوا — مع شجاعتهم — معروفين بالجفاف والفظاظه مبادئ الشهامة والوفاء بالعهد والتسامح وكرم الخلق واحتقار الثروة واحترام المرأة ، ولقد قدم لنا السيد الأستاذ أحمد حسن الزيات فى مقال قيم نشرته له مجلة الأزهر فى أواخر العام المنصرم بعنوان « الفتوة فى الإسلام » مثلا رائعاً من سلوك قائد جيش المسلمين الأعلى صلاح الدين مع قائد جيش الفرنجة قلب الأسد ، وهو سلوك يسجل فى مباهاة سمو الفروسية الإسلامية الذى أعطى الغربيين درسا لا يمحوه الزمن ، ومما يسترعى الانتباه هنا أن هذه الرفعة الإسلامية قد سجلها الأستاذ بيير بونسواى فى كتابه « الإسلام والجرال » فى نزاهة وإخلاص دفعانا إلى أن نقتبس منه الفقرة التالية :

« يعلم الناس اليوم أكثر من ذى قبل أن المسيحية والإسلام فى العصور الوسيطة لم يلتقيا للتقاتل فحسب ... فهناك وقائع متضافرة ومحققة تشهد بأنه قد وجد بين صفوفهما المسئولتين — فيما وراء التلاعن والتقاتل — كثير من التآلف ، ولكنه لم يكن تآلفاً ناشئا من تبادل التفاهم السطحى الناجم عن المصادفة بل كان اتحادا روحياً حقيقياً لعبت فيه الثقافة الإسلامية أثناء عدة قرون دور الملهم والمرشد ... » .

وأوضح وأصرح من ذلك كله ما يحدثنا به الكاتب العصرى الكبير : « أناتول فرانس » إذ يسجل على لسان أحد أبطاله فى كتاب « الحياة مزهرة » ما يلى .

إن أشأم أيام التاريخ هو يوم معركة بواتييه فى سنة ٧٣٢ حين تقهقرت العلوم والفنون والحضارة العربية أمام البربرية الفرنجية » .

وفى الواقع أن هذا اليوم الذى ينعته أناتول فرانس بالشؤم هو الذى استطاع فيه جيش شارلمان بقيادة شارل مارتيل أن يقف زحف الغزو العربى الذى كان يجتاح أوروبا ثم وقف عند مدينة بواتييه فى وسط فرنسا ثم تراجع واكتفى بالثواء فى أسبانيا ، ويرمى أناتول فرانس بهذا إلى أنه لو لم يقع هذا الحادث المشئوم ، وشاءت الأقدار أن تتغلغل الحضارة العربية فى أوروبا حتى تشملها كلها لتغير وجه التاريخ ولكان للإنسانية -

بفضل المبادئ الإسلامية - شأن غير هذا الشأن البربرى الذى تعيش فيه أوربا الآن غارقة فى الطغيان والاستبداد والقسوة والوحشية والاستعمار تمتص دماء الضعفاء ، وتخيف الآمنين الوادعين ، وتغرى الخونة والمترددين ، وتدمر المدن والقرى باسم المدنية والإنسانية وترقية المتأخرين وتعليم الجهلاء والقوامة على القاصرين ، وهى فى ذلك كله ليست سوى وحوش كاسرة لا تعرف الرحمة إلى قلوبها سبيلا .

بان من كل ما تقدم أن لدينا من تراث حضارتنا العالية ومن أخلاق أسلافنا الخالدين ما هو قمين بأن يملأ قلوبنا بالعزة ويفعم نفوسنا بالكرامة بدلا من انزوائنا أو تخاذلنا أو اقتناعنا بأن الغرب أعرق منا مدنية كما أمر الاستعمار سماسرته فى العهد البائد بأن يلقنوا شبابنا أساليب تلك الذلة البغيضة التى لم تكن ترمى إلا إلى ترسيخ أقدامه فى بلادنا وخضوعنا لأوامره ونواهيه.

أما وقد شعت أنوار الحرية فى الشرق كله ، فليس على أبنائه الآن إلا أن يفتشوا فى تاريخهم المجيد ليستخلصوا من بين سطوره المتلألئة مبادئه السامية التى أخفاها المستعمرون كل ذلك الزمن المظلم البغيض ، والتى لا يستطيع بعد الآن كائن من كان أن يقف فى طريق سيرها الجارف الذى اجتاح وسيجتاح الأخضر واليابس من غروس المستعمرين وتعاليم سماسرتهم من الذين مرنوا على العبودية حتى ألفوها والذين قضت وستقضى عليهم ثورتنا المباركة قضاءها الأخير . ؟

الدكتور محمد غلاب

[بقية المنشور على صفحة ٣٢٩]

الحسن على الندوى ، والأستاذ مسعود الندوى ، والأستاذ أبو الليث الندوى . وغيرهم من الندويين . ولا يزال يتخرج منها العلماء والأدباء والكتاب ورواد النهضة الحديثة .

وهذه صورة وجيزة وضئيلة لكفاح الأمة الإسلامية فى الهند وفى الباكستان ونضالها من القرن التاسع عشر إلى القرن العشرين مع عرض الأفكار والآراء والاتجاهات وإن كان هذا البحث يحتاج فى الحقيقة إلى دراسة واسعة فى عدة مقالات تزيد من توضيح وشرح هذه الأفكار والآراء والاتجاهات .

محمد اسماعيل الندوى

مولد الرسول ﷺ
في المدائح النبوية

للأستاذ علي العماري

كانت الأشعار التى قيلت فى مدح الرسول أو فى جهاد المشركين ، والرد عليهم ، على عهد حسان بن ثابت ، وعبد الله بن رواحة ، وأبى سفيان بن الحارث ، وأضرابهم تزخر بالحديث عن الإسلام ، والقرآن ، وهداية البشر ، وقتال الكفار ، وتتضمن الاعتراف بوحدانية الله وطاعته ، والثناء عليه تعالى ، والحديث عن الجهاد ، كما قال كعب بن مالك حين اعتزم رسول الله السير إلى الطائف :

نطيع نبينا ونطيع ربا
هو الرحمن كان بنا رءوفا
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل
ونجعلكم لنا عضدا وريفا
وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر
ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا (١)

كما كانت صورة من المديح الجاهلى ، فهى حافلة بوصف الرسول بما كان يصف به الشعراء السابقون للإسلام ممدوحيهم من الجود والشجاعة ، والوفاء ، وكرم الأصل ، وطيب العنصر ، كما قال عبد الله بن الزبعرى بعد إسلامه يمدح الرسول :

قرم علا بنيانه من هاشم
فرع تمكن فى الذرى وأروم (٢)

والنبى مهند من سيوف الله ، وهو خير من حملته ناقة على أوصالها ، وقد عمت فضائله كل العباد كما عم البرية ضوء الشمس والقمر ، وهو ركن معتمد وعصمة لائذ ، وجار مجاور ، وهو - كما قالت قتيلة بنت الحارث - نجل كريمة فى قومها ، والفحل فحل معرق ، وذكره - كما قال الأعشى - أغار فى البلاد وأنجد . وهكذا .

فلما صارت المدائح النبوية بابا واسعا فى الأدب العربى انتهج شعراء المديح مناهج جديدة ، فزادوا على الأوصاف السابقة نظم

---

(١) الريف : أرض فيها زرع وخصب . الرعش : الجبان .

(٢) القرم السيد . الذرى : جمع ذروة وهو أعلى الشىء . وأروم : جمع أرومة وهى الأصل .

السيرة النبوية بحيث تكاد ترى لكل صغيرة وكبيرة حدثت في عهد الرسول صداها في هذه المدائح .

وبعض المدائح تسجيل لحياة الرسول منذ ولادته إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى حتى لو نثرتها لم تعدُ أن تحصل على فصل أو فصول من كتب السيرة .

وكان مولد الرسول صلى الله عليه وسلم من الموضوعات التي عنى بها شعراء المديح ، فقد اعتبروا ذاك اليوم - وهم محقون - أكثر الأيام بركة وخيرا في تاريخ البشرية ، فكل مكرمة نالتها الإنسانية أو ستنالها عن طريق الإسلام ، إنما مرجعها ومنتهاها إلى اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول ، الموافق العشرين من شهر أبريل عام ٥٧١ م [1] .

وقد تفتحت قرائح الشعراء عن صور من الحقيقة ، ومن الخيال ، أبرزوا فيها هذا اليوم المبارك فوصفوه بما يستحق من سنيّ الأوصاف ، وجلوه في معرض جميل رائع يليق بسيد المرسلين .

وأول ما يلفت النظر في تمجيد يوم الميلاد عند هؤلاء المداح هو الحديث عن الإرهاصات التي صحبت مولد النبي ، والتي جاءت في قصة سبقت مبعثه صلى الله عليه وسلم ، وقد روتها كتب الأدب وألمت بها كتب السيرة ، وهذه صورة مما ورد لهذه القصة :

« جرير بن حازم عن عكرمة عن ابن عباس ، قال : لما كان ليلة ولد النبي صلى الله عليه وسلم ارتج إيوان كسرى ؛ فسقطت منه أربع عشرة شرفة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كان أو شك أن كتب إليه صاحب اليمن يخبره أن بحيرة ساوة غاضت تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب السماوة يخبره أن وادي السماوة انقطع تلك الليلة ، وكتب إليه صاحب طبرية أن الماء لم يجر تلك الليلة في بحيرة طبرية ، وكتب إليه صاحب فارس يخبره أن بيوت النيران خمدت تلك الليلة ، ولم تخمد قبل ذلك بألف سنة ، فلما تواترت الكتب أبرز سريره ، وظهر لأهل مملكته فأخبرهم الخبر ، فقال الموبذان : أيها الملك إني رأيت تلك الليلة رؤيا هالتني قال له : وما رأيت ؟ قال : رأيت إبلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، قد اقتحمت دجلة وانتشرت في بلادنا ، قال : رأيت عظيما ، فما عندك في تأويلها ؟ قال : ما عندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن أرسل إلى

---

[1] اتفق الثقات من الرواة على أن ولادة النبي كانت في يوم الاثنين ، واشتهر أنها كانت في الثاني عشر من شهر ربيع الأول ولكن بعض الباحثين من المحدثين حقق أن الولادة كانت في اليوم التاسع من هذا الشهر . (انظر مجلة الأزهر عدد ربيع الأول سنة ١٣٦٧ هـ ص ٢٢٩) .

عاملك بالحيرة ، يوجه إليك رجلا من علمائهم فإنهم أصحاب علم بالحدثان ... فبعث إليه عبد المسيح بن بقيلة الغساني ، فلما قدم عليه أخبره كسرى الخبر فقال له أيها الملك ، والله ماعندي فيها ولا في تأويلها شيء ، ولكن ، جهزني إلى خال لي بالشام يقال له (سطيح) ، قال : جهزوه ، فلما قدم على سطيح وجده قد احتضر ، فناداه فلم يجبه ، وكلمه فلم يرد عليه ، فقال عبد المسيح :

أصم أم يسمع غطريف اليمن
يا فاصل الخطة أعيت مَن ومَن
أتاك شيخ الحي من آل سنن
أبيض فضفاض الرداء والبدن
رسول قيل العجم يهوى للوثن
لا يرهب الرعد ، ولا ريب الزمن

فرفع إليه رأسه وقال : عبد المسيح ، على جمل مشيح ، إلى سطيح ، وقد أوفى على الضريح ، بعثك ملك بني ساسان لارتجاج الإيوان ، وخمود النيران ، ورؤيا الموبذان ، رأى إبلا صعابا ، تقود خيلا عرابا ، قد اقتحمت في الواد ، وانتشرت في البلاد ، يا عبد المسيح ، إذا كثرت التلاوة ، وفاض وادي السماوة ، وظهر صاحب الهراوة ، فليست الشام لسطيح بشام ، يملك منهم ملوك وملكات عدد سقوط الشرفات ، وكل ما هو آت آت ثم قال (أبيات من الشعر) . ثم أتى كسرى فأخبره ففهمه ذلك ، ثم تعزى فقال : إلى أن يملك منا أربعة عشر ملكا يدور الزمان فهلكوا كلهم في أربعين سنة[1] » .

وقد ردد أصحاب المدائح هذه الظواهر في أشعارهم ، يشير أحدهم إلى بعضها ، ويستقصي آخر ، ومن أوائل من أشار إلى بعض هذه الإمام جمال الدين الصرصري[2] العراقي الضرير المتوفى سنة ٦٥٦ هـ ، وقد توفي شهيدا قتله التتر في بلده (صرصر) حيث قال يذكر ميلاد الرسول :

وطاف به الأملاك تمنع مهده
أذى كل شيطان يخاف اقتحامه
وكسرى أنو شروان زلزل قصره
وشُق ، وتاج الملك فك نظامه
ونار مجوس الفرس أطفئ وقدها
ولم يك في الإعصار يخبو ضرامه

والشعر ضعيف ، ولكن الذي يعنينا هو سبق الإشارة في الشعر إلى بعض الإرهاصات التي صحبت المولد .

---

[١] العقد الفريد جـ ١ ص ٢٧٢ - ٢٧٤ . ط . سعيد العريان

[٢] اشتهر عند مؤرخي الأدب أن أول من فتح باب للمدائح النبوية بعد أن سكت الشعراء زمنا طويلا ، هو الإمام البوصيري وهذا خطأ لأن الصرصري سبق البوصيري حيث توفي الأخير سنة ٦٩٦ هـ وسبقهما الشيخ عبد الرحيم البرعي الذي عاش في القرن الخامس الهجري .

ولكن الذى أجاد تسجيل هذه الأحداث هو الإمام البوصيرى ، فقد ذكرها فى همزيته فقال :

وتداعى إيوان كسرى ولولا
آية منك ما تداعى البناء
وغدا كل بيت نار وفيه
كربة من خمودها وبلاء
وعيون للفرس غارت فهل كا
ن لنيرانهم بها إطفاء

كما ألم بنفس المعانى فى قصيدته (البردة) فقال :

وبات إيوان كسرى وهو منصدع
كشمل أصحاب كسرى غير ملتئم
والنار خامدة الأنفاس من أسف
عليه ، والنهر ساهى العين من سدم
وساء ساوة أن غاضت بحيرتها
ورد واردها بالغيظ حين ظمى
كأن بالنار ما بالماء من بلل
حزنا وبالماء ما بالنار من ضرم

ونلاحظ أنه صرح هنا باسم البحيرة التى غاض ماؤها ، وهى بحيرة (ساوة) وقد وردت فى القصة التى أثبتها آنفاً ، ومنها يفهم أن (ساوة) فى بلاد اليمن ، لأن الذى كتب لكسرى بشأنها إنما هو صاحب اليمن ،

ولكن صاحب المولد المشهور بمولد البرزنجى حددها تحديدا آخر فقال :

« وغاضت بحيرة ساوة ، وكانت بين همذان وقم من البلاد العجمية » .

كما حدد وادى السماوة فى قوله : « وفاض ماء سماوة وهى مفازة فى فلاة وبرية » .

والمشهور أن بحيرة ساوة هى التى غاضت ، وقد تردد ذلك فى أشعار المديح ، ولكن القاضى عياض فى الشفاء ذكر أن البحيرة التى غاضت هى بحيرة طبرية (ح ٣ ص ٣١٤) . وقد علق الخفاجى على قول عياض فقال : المعروف بالغيض - كما فى البرهان - بحيرة ساوة ، ثم قال : والحق أنها بحيرة طبرية ، وقد سبق فى القصة أن البحيرتين كلتيهما غاضتا .

وساوة فى بلاد الفرس ، أما طبرية فهى بلدة بالشام معروفة ، بينها وبين القدس مرحلتان ، وبحيرتها عظيمة .

وتبع (شوقى) البوصيرى ، فى الإشارة إلى تصدع إيوان كسرى ، فقال فى نهج البردة :

سرت بشائر بالهادى ومولده
فى الشرق والغرب مسرى النور فى الظلم
تخطفت مهج الطاغين من عرب
وطيرت أنفس الباغين من عجم
ريعت لها شرف الإيوان فانصدعت
من صدمة الحق لا من صدمة القدم

وكرر ذلك مرة أخرى فى نفس القصيدة فقال

وخل كسرى وإيوانا يدل به
هوى على أثر النيران والأيمُ (١)

وقد روى حديث الإرهاصات البيهقى وابن أبى الدنيا وابن السكن — كما فى شرح الشفاء ومعنى هذا أنه لم يرد فى الكتب الصحاح . ومن هنا تطرق الشك إلى هذه القصة ، وأول ما تمسك به هؤلاء الشاكون ، أن القصة تحمل فى طياتها بعض المتناقضات ، فهى تقول : إن أربعة عشر ملكا من ملوك الفرس هلكوا فى أربعين سنة ، ذكر ذلك غير واحد منهم صاحب الشفاء ، وقد جاء فى شرحه أن النبى ولد فى عهد كسرى أنو شروان ، وكتب كتابه المشهور إلى كسرى أبرويز بن هرمز بن أنو شروان .

وجاء فى كتاب الكامل لابن الأثير « ولد رسول الله سنة اثنتين وأربعين من سلطان كسرى أنو شروان ، وبعث لاثنتين وعشرين من ملك كسرى أبرويز بن كسرى هرمز بن كسرى أنو شروان وهاجر لاثنتين وثلاثين مضت من ملك أبرويز » ج ١ ص ١٨٥ .

فلوك الفرس فى هذه الفترة ثلاثة فقط . وسواء صحت هذه القصة أم لم تصح ، فإن الذى حدث فعلا أن ملك كسرى كله ذهب بعد قليل من ظهور الإسلام ، وأن الإيوان

[١] الايم . الدخان .

لم تسقط منه أربع عشرة شرفة فحسب ، بل أصبح كله كما قال عنه البحترى فى القرن الثالث الهجرى :

لو تراه علمت أن الليالى
جعلت فيه مأتما بعد عرس

وكان فيما ذكر من طريف الحكايات أن رجلا من (غامد) كانت له غنم يرعاها فإذا جاءت الظهيرة لجأ بها إلى بقايا الإيوان فتقيل فيه ، فربما صعدت بعض الأغنام فنامت فى مكان جلوس كسرى ، وذات يوم جلس هذا الرجل مع صاحب له يتذاكران أحداث الأيام ، وتقلبات الدهور ، فقال صاحبه : ومما رأينا من العجائب صعود غنيمات الغامدى فى سرير كسرى .

وكما أشار شوقى إلى تصدع إيوان كسرى أشار كذلك إلى خمود نار الفرس ، وإلى غيض الماء فقال :

ذعرت عروش الظالمين فزلزلت
وعلت على تيجانهم أصداء
والنار خاوية الجوانب حولهم
خمدت ذوائبها وغاض الماء
والآى تترى ، والخوارق جمّة
جبريل رواح بها غداء (١)

[١] فسر المعلق على الشوقيات كلمة تترى بكلمة (تتوالى) ظنا منه أنها فعل ، والحقيقة أنها اسم ، لأنه لا يوجد فعل ماض من هذه الصيغة حتى تكون هذه مضارعا له .

ومن هنا ترى أن: (شوقى) تبع البوصيرى فى كل هذه الأمور التى ظهرت أو قيل: إنها ظهرت عند مولد الرسول ولا نرى وجها لقول بعض الباحثين إن (شوقى كان أبعد نظراً من البوصيرى فى نقد الأخبار والآثار).

وقد أشار البوصيرى إلى قصة تشميت الملائكة للرسول صلى الله عليه وسلم فى قوله:

شمّتته الأملاك إذ وضعته
وشفتنا بقولها الشفاء

والشّفاء هى أم عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنهما، وحديث التشميت رواه سيدنا عبد الرحمن بن عوف، كما جاء فى كتاب الحلية لأبى نعيم، وقد حضرت الشفاء ولادة النبى، وأخبرت ابنها بذلك، ولم يشر إلى هذه القصة شوقى ولا أكثر المداح.

كما أشار كثير من المداح إلى قصة رضاع النبى فى بنى سعد، وكيف جاءت حليمة السعدية تبغى طفلا ترضعه، واضطرت أخيرا أن ترضى بهذا اليتيم فيكون بركة عليها، قالوا: إن نساء بنى سعد وفدن فى سنة مجدبة على مكة يلتمسن الرضعاء، وكان يهمهن المال، فما منهن واحدة إلا عرض عليها اليتيم فصدهن عنه يتمه، أما حليمة السعدية ذات الأتان العرجاء، والناقة المسنة فقالت: (والله ما بقى من صواحبى امرأة إلا أخذت رضيعا غيرى، فلما لم أجد غيره قلت لزوجى: والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع، لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه). وأخذته فدرت شاتها، وأخصبت أرضها ولقيت من يمنه صلى الله عليه وسلم ما قرت به عينها، وقد أجاد البوصيرى فى عرض هذه القصة حيث قال:

وبدت فى رضاعه معجزات
ليس فيها عن العيون خفاء
إذ أبته ليتمه مرضعات
قلن ما فى اليتيم عنا غناء
فأتته من آل سعد فتاة
قد أبتها لفقرها الرضعاء
أرضعته لبانها فسقتها
وبنيها ألبانهن الشاء
أصبحت شولا عجافا وأمست
ما بها شائل ولا عجفاء
أخصب العيش عندها بعد محل
إذ غدا للنّبى منها غذاء
يا لها منة لقد ضوعف الأجر
(م) عليها من جنسها والجزاء

وإذا سخر الإله أناسا
لسعيد فإنهم سعداء

وهى أبيات جميلة حقا .

كما أشار بعض الشعراء المحدثين إلى حادثة (الفيل) ومعلوم أن الفيل نكل أن يمس الكعبة، وقد ولد النبى عام الفيل، قال الشاعر :

أدرك الفيل بالغريزة معنًى
كان عند الفيَّال معنى بعيدا

حاد - لما رأى الجلال - عن البيت
(م) ولولاه لم يكن ليحيدا

آية للوليد علمت العجم
فراحت تعظم المولودا

هذه كلها إشارات إلى قصص معلومة مشهورة، أما عمل الخيال فى وصف يوم الميلاد فقد جاءتنا منه بدائع ، سطرها الشعراء قديما وحديثا ، ويعجبنى قول شاعرنا محمد الأسمر عليه رحمة الله ، وبه أختم هذا الحديث :

يوم أغر كفاك منه أنه
يوم كأن الدهر فيه تجمعا

ويكاد غابر كل يوم قبله
يثنى إليه جيده متطلعا

فلو استطاع لكر من أحقابه
وثبا على هام السنين ليرجعا

ويكاد مقبل كل يوم بعده
ينسل من خلف الزمان ليسرعا

فلو استطاع لجاء قبل أوانه
وانساب يخترق السنين وأتلعا

تتنافس الأيام فى الشرف الذى
ملأ الوجود فلم يغادر إصبعا

خير أفاض الله منه على الورى
أنى جرى ترك الجناب الممرعا

على العمارى

قال الزجاج : « كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو ، فلزمت المبرد لتعلمه فقال لى : أى شىء صناعتك ؟ قلت : أخرط الزجاج ، وكسبى فى كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف ، وأريد أن تبالغ فى تعليمى ، وأنا أعطيك كل يوم درهما — وأشرط لك أن أعطيك إياه أبداً إلى أن يفرق الموت بيننا ، استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه ، قال : فلزمته ، وكنت أخدمه فى أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم ، فينصحنى فى العلم ، حتى استقللت .

من وحى الروضة النبوية

للأستاذ محمد محمد خليفه

هنا صحا التاريخ على صورة الحق ليكتب للزمان أمجد كتاب هز سمع الزمان لتاريخ إنسان .

هنا ولد التاريخ أمة جديدة رأى فيها العالم معجزة الحياة ، لأنها أمة الأميين المؤمنين الذين قوضوا عرش القياصرة وزلزلوا بأسهم سلطان الأكاسرة .

هنا خلق الإيمان قوة ممن اختلفت عليهم من قبل أسباب الفناء ، وفرقت قلوبهم الإحن والدماء ، وأسلمتهم عوادى الفتن إلى خوف قلقت به المضاجع ، وأرعشت عواصفه الفتاك والآمنين والمسالمين والمستسلمين قبل أن يكونوا مسلمين .

هنا وحدت كلمة التوحيد أولئك الذين عفروا جباههم بين يدى اللات والعزى والذين سجدوا فى الماضى للشعرى لا لرب الشعرى والذين عبدوا الشمس أو دانوا للجن ومن كانوا هودا أو نصارى كل أولئك جمعتهم هنا كلمة الله وخرت هاماتهم فى محراب الحق للحق .

هنا ولدت الإنسانية الكاملة فى ظل الإنسان الكامل وعاشت لا بين الألفاظ زخارف تتلألأ ولا على الألسنة عبارات تخلب بل عاشت بين القلوب رحمة وبين النفوس شعوراً وبين الجفون دموعا وبين المجتمع الإسلامى وجدانا صادقا تتآلف عنده الأرواح ، هذه هى الإنسانية التى أعلن للدنيا ميلادها ثم تقدمت تفتح قلوب الأمم قبل أن تفتح السيوف ، فكان المسلم إنسانا قبل أن يكون غازيا وصاحب دعوة قبل أن يكون صاحب سيف ، حكمته أخلاقه فحكم الناس حين رعاهم بالقانون الذى حكم به نفسه قانون الإنسانية السمحة لا السبعية الجارحة .

من هنا بدأت شريعة الحق تموج وتنطلق لا كما تنطلق أمواج البحر القوية ثم تتكسر على الصخور أو تمتد إلى الشاطئ ثم تعود واهية لتستمد من البحر قوتها فتظل فى صراع حتى تغلب على أمرها فتخلد إلى الدعة ، لا بل إن الشريعة انطلقت فى الزمان تجتاز سدوده وحدوده لا تحطمها القوى المداهمة ولا تردها النزعات المداهنة فهى أمضى من أن تسالم الجاحد أو تستسلم لغير الجاحد .

إنها نزلت من السماء فيها طبيعة الغيث الذى يغسل ويطهر ويروى ويحيى ويجرف ويعلو وزادت عن طبيعة الغيث أنها لا تتبخر أو تختفى فى أعماق الوجود مهما طال عمرها فى هذا الوجود .

وكما كانت هذه الشريعة فيها طبيعة الغيث وزيادة كان فى خلق صاحبها معنى السحائب الغر فيها الخير وليس فيها العبوس الذى قد يكون مع الخير .

فقد كان خلقه صلوات الله وسلامه عليه يفعل فى النفوس ما يفعل الماء الفرات فى الدوحة الصادية حين يسرى فيها فلا تلبث أن تحيا وتورق وكأنما تغيرت طبيعتها به ونسيت كل ما كانت فيه حين مد إليها حياة لا تقاس بمقاييس الحسن والازدهار بل بمعيار الخير الذى تتغذى به ثم تنفع به فى كل يوم من دنياها .

كانت هنا مجالس للهداية والتربية والتوجيه والقضاء والقيادة والاجتماع والشورى يهدى فيها ويربى ويوجه ويقضى ويقود ويرشد ويشير من لا ينطق عن الهوى ، ومن لا يبغى لنفسه من كل ذلك مجدا ولا جاها . كان صلوات الله وسلامه عليه يهدى فتنبعث إشعاعات هديه فلقا من صبح يقينه ينتشر فى النفوس فيبدد دياجى حيرتها فلا تلبث أن تشرق بما انعكس عليها من إشعاعه ثم تتحول إلى نفوس مشرقة تضىء ما حولها كالقمر يستمد نوره من الشمس ثم يهديه إلى دنيا الناس حين يغيب عنهم وجه الشمس .

وكان يربى فتتخلق تربيته من الطبيعة البشرية طبيعة جديدة تحمل فيها قوى السماء التى وهبها الله له عملها , إن شاء الله حتى تبدو أحيانا أقرب إلى الطبيعة الملائكية منها إلى الطبيعة البشرية فهى طبيعة عابدة وتزيد عنها أنها عاملة للخير المجتمع البشرى بعد أن كانت طبيعة العربى تتحكم فيها الأنانية الذاتيه أو القبلية .

وكانت توجيهاته فيضاً من الحكمة تتدفق فيها حينا حكمة الحكيم الخبير وحينا حكمة الآسى الذى خبر أدواء البشرية وقد أصبحت لديه أمانه يؤمنها متاهات الحياة فهو يرسم لها سبلها وهى ناجية ما سلكت تلك السبل .

وهنا كان يجلس صلوات الله وسلامه عليه للقضاء فترى الأقضية الحائرة عنده شاطىء الرجاء تلمسته حتى لمسته فى حكم من السماء أو من رسول رب السماء يطمئن إليه المظلوم وتسكن عنده شرة الظالم .

وهنا كان يرسم الخطط ويعلن التعبئة ويرتب القادة ويحدد منازلهم ويعقد الرايات لهم ويوصيهم بالحق والصبر حتى إذا التقى الجمعان أدرك المسلمون أن الخير فيما فعل وأن ما رسمه سبيل النصر .

وهنا بنى كيان المجتمع الإسلامى على قواعد

أرسى وأرسخ من أن تغيرها دسائس الأعداء أو تغير عليها هوج الفتن، وطال بناؤه فعز على كيد اليهود وغيد اليهود ممن تربصوا وأوغلوا فى المكر به، وعملت الأخوة الإسلامية والتعاون والتسامح والإيثار والرحمة وتوثيق عرى الأسرة والبذل فى سبيل الله وفى سبيل تدعيم الوحدة الإسلامية، عمل كل ذلك على تقوية بناء ذلك المجتمع فكان أعظم مجتمع عرفه تاريخ البشرية، ولم تزل المجتمعات المتعاقبة ترى فى المجتمع الإسلامى الأول قوى من الروابط كانت سببا فيما أفاء الله على المسلمين من الفتح والنصر، وهنا كان مجلس الشورى حيث كانت تناقش الآراء ويديرها صلوات الله وسلامه عليه فى أناة لا تثير ثورة الغضب وحكمة لا توهنها حدة الجدل فلم يكن جبارا ولا فظا غليظ القلب ولا مستبدا برأى، وكم نزل على رأى أصحابه حين نزل يؤيدهم أمر السماء.

كان يشاورهم فى شئون السلم والحرب فإذا رأى أقنع وإذا اقتنع برأى كان له من يقينه ما يدرأ ريب المعارض وينشر اليقين فى نفس المرتاب فجنب قافلة البعث الإسلامى اختلاف الآراء وتعصب أصحابها لها، وقادها بهدى من الله إلى الخير البانى لسمو الإنسانية المشيد لمكانتها ولمعانيها، ومن ثم كان رسول الإنسانية الداعى إلى إسعادها.

وهنا كانت لأرواح العابدين والعابدات انطلاقات تنفذ بها من عالم البشر إلى عوالم تلمس فيها قدرة الله وجلاله لتزيد ولاؤها لله تبارك جلاله، إلى عوالم السموات وطباقها ومازينها به، إلى ما وراءها من عوالم الملائكة والعرش ثم تعود سراعا من مطافها إلى حيث خلفت أشباحها الساجدة فتضىء جوانبها بالإيمان بالقادر الذى أمسك السموات والأرض أن تزولا، فكم سجدت هنا جباه وكم خشعت هنا هامات وكم بكت هنا قلوب من خشية الله أرقها طلب الغفران فسهرت مع التوبة والدموع تكفر عن جرائرها وتغسل خطاياها بدموعها.

فى هذه الروضة تعارفت الأرواح وائتلفت النفوس وجمعها سبيل الله جمع الحق طلابه المؤمنين به، ينفث فيهم القوة الغلابة فيندفعون لا يلوون على شىء حتى يظفروا؛ بأكاليل الغار. وليس ثمت من مسلم يعيش مع تاريخ الروضة البعيد حتى يسمع صوت الماضى يهيب بالمسلمين: لا عزة لكم إلا بوحدة خالصة من شوائب الأنانية والسيطرة والسلطان، وحتى يحس يد المجد تهزه لتوقظه وتنبه فيه روح الكلمات التى تعيش فى لغتنا ألفاظا بلا روح كالأخوة الإسلامية والتعاون والإيثار والتضحية وغيرها ... وكأن روح هذه الكلمات تعيش معها حين الذكرى فحسب، ثم تتخلف عنها حين توغل فى شعاب الأهواء والأحقاب خطاها

وليس ثمت من مسلم يذكر هنا الأمجاد التى ماتت حتى يغلبه الدمع فيبكيها ويبكى أصحابها، وكأنى به وهو غارق فى عبراته محترق بنفثاته، يرجو عودة التاريخ ويدور بعينيه فى وجودنا لعله يرى فى الآفاق شعوبا زاحفة إلى الملتقى تحت ظلال وحدة إسلامية شاملة.

إن صوراً من ذكريات التاريخ تعرض هنا للكثير من الملمين بالتاريخ فتطوف بها أخيلتهم الباكية كثكلى سلبتها أجواف الثرى أنباءها فهى تتنقل بين قبورهم تتمثلهم وتسكب فوق كل قبر عبرات، فلذكريات العزة الشامخة صور، ولذكريات البذل والتضحية صور، ولذكريات النضال الصادق صور، ولذكريات القوى البانية والأيدى الطاهرة العاملة صور، ولذكريات الأخلاق والمثل العليا صور، فحق لكل مسلم وهو يرى المجتمع الإسلامى فقد كل ذلك وعبثت به الفتن وذهبت به مذاهب شتى أن يذكر ثم يبكى، ولعل حرارة الذكرى تثير نفسه فيصيح فى هذه المجتمعات المنحلة: إن فى تراثنا أمجاداً يجب أن نعود إليها أو نعيدها إلى وجودنا.

سيدى يا رسول الله:

إن المجتمع الإسلامى الذى تركته قوة تتحطم دونها المكايد قد تعاورته الفتن الجامحة فى العصور والأحقاب فلا ينجو من فتنة حتى تلفه أخرى، وشر الفتن ما يحيق به من بنيه الذين تنكروا له بل أنكروه

فهل من دعوة إلى الله أن يجنبه الانحلال والوهن حتى لا ينزلق فى المهاوى التى يحفرها له الأعداء؟.

سيدى يا رسول الله:

لقد تذأبت البشرية لكل القيم الأخلاقية التى نادت بها رسالتك، وعبأت الأفكار والأقلام والأعمال والأموال بل السلاح للقضاء على تلك المقدسات، وكأنهم ورثوا عداوات الآباء للرسالة وصاحبها فهم أبدا لا ينسون التاريخ وهم أبدا ينقمون وينتقمون لتاريخهم. فاضرع إلى ربك يا رسول الله أن يجمع الأمة على خير ما جمعتها عليه وألا يفتنها عن دينها ولا عن كتابها وألا يجعل للأهواء عليها سبيلا!

سيدى يا رسول الله..!

برحابك الطاهر يقف المسلمون، وحول مقامك العظيم يطوف الخاشعون وفى روضتك الطاهرة يستروح المؤمنون عبير الجنة وينشقون أريجها، وكأنى بأرواحهم الباكية المفزعة ترجو أن تثوى هنا فى جنة روضتك، بعيدة عن فتن الدنيا العاصفة والمادية الجارفة حتى تخف إلى ربها فى ركابك يوم تقع الواقعة وتقرع القارعة «يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم. فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره. ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره.»؟

محمد محمد خليفة
المدرس فى الأزهر

القدوة الحية لأخلاق الحركة

للأستاذ فتحى عثمان

أوضح برجسون سمات الانفعال الأصيل الذى يفترق عن العقل الصرف « الذهن فى الحالة الأولى يعمل فى برود ، فيؤلف بين أفكار قد اندرجت منذ القديم فى ألفاظ وأسلمها إليه المجتمع جامدة متصلبة . أما فى الحالة الثانية فكأن المواد التى يقدمها العقل تنصهر فى بوتقة الانفعال ، ثم تخرج منها وقد صبغت أفكارا جديدة يعلنها الفكر ... »

وعلى أساس هذه النظرة أقام برجسون تفرقته بين أخلاق السكون وأخلاق الحركة « فإن بين القبول العقلى والانقلاب الإرادى لشقة بعيدة ... » ، وهو يتكلم عن الأخلاق التى يأتى بها الدين فيقول : « قبل الأخلاق الجديدة ، وقبل الميتافيزياء - هنالك الانفعال : يتجلى من جانب الإرادة فى وثبة ، ويتجلى من جانب العقل فى تصور مفسر ! انظر إلى هذه العاطفة التى بشرت بها المسيحية وأسمتها بالمحبة : إنها إذا استولت على النفوس تبعها سلوك معين وانتشرت فى إثرها عقيدة معينة ، فلا هذه الفلسفة هى التى فرضت تلك الأخلاق ، ولا تلك الأخلاق هى التى جعلتنا نفضل هذه الفلسفة ! وإنما كانتا الفلسفة والأخلاق تعبران عن شىء واحد : الأولى تعبر عنه بلغة العقل ، والثانية تعبر عنه بلغة الإرادة ، ونحن نسلم بكلا التعبيرين متى أحسسنا بالمعبر عنه » .

كذلك فرق برجسون بين المجتمع المغلق والمجتمع المفتوح « إن الغريزة الاجتماعية التى وجدناها فى أعماق الواجب الاجتماعى إنما تستهدف أبدا مجتمعا مغلقا ، مهما يكن هذا المجتمع واسعا ... لأن الأمة مهما اتسعت فإن بينها وبين الإنسانية ما بين المحدود واللامحدود ، ما بين المغلق والمفتوح . والفرق بين هذين الشيئين فرق فى النوع لا فى الدرجة فحسب ! » . وفى المجتمع المغلق تسود أخلاق الضغط بينما تسود فى المجتمع المتحرك أخلاق التطلع « فالنوع الأول أخلاق تتضمن فكرة مجتمع لا يبغى إلا البقاء ، فحركته الدائرية التى يسوق فيها الأفراد تجرى فى مكانها لا تحيد عنه ، فتحاكى ثبات الغريزة بوساطة العادة ، ولعل الشعور الذى يصاحب تحقيق هذه الواجبات الصرف حين تحقق هو الشعور بنعمى العيش ودعة المجتمع ، وهو كالشعور الذى يصاحب سير الكائن الحى سيرا طبيعيا سليما ، وهو أشبه باللذة لا بالفرح ! أما أخلاق التطلع

فتتضمن شعوراً بالتقدم ، والانفعال الذى يبعث عليها هو الحماسة للمضى قدما ... بل إن التقدم والمضى قدما يتحدان هنا أحدهما بالآخر » (١) .

كيف يتاح التوصل إلى الانفعال الأصيل الخلاق ، الذى يبعث أخلاق الحركة ويخلق المجتمع المفتوح ؟ ؟

هنا يتحدث برجسون عن (الوسط الحى) الذى لا بد أن ينتقل خلاله إشعاع هذا النوع الإنسانى من الأخلاق ، خلافا للنوع الآخر الاجتماعى الذى تكفى فيه النظريات .

فبينما نرى الأخلاق (الاجتماعية) تزداد صفاء ونقاء على قدر ما نستطيع ردها إلى قوانين لا شخصية ، نجد أن الأخلاق (الإنسانية) لا تكون هى هى ذاتها ما لم تتجسد فى شخصية ممتازة تتخذ قدوة تحتذى .

فعمومية الأولى تأتى من قبول الناس عامة قانونا من القوانين ، بينما عمومية الثانية تأتى من محاكاة الناس لمثال يحتذونه ... والحق أن هذه الشخصية ترتسم فينا منذ نصطفى المثال ، فالرغبة فى المماثلة - وهى التى تولد نظريا الشكل الذى ينبغى اتخاذه - تصبح هى المماثلة نفسها ... إن الأخلاق الأولى كلما كانت ترد بوضوح إلى واجبات غير شخصية كانت أقوى وأشد ، وأما هذه فهى على عكس ذلك : فبعد أن تكون مبعثرة فى قواعد عامة يقابلها العقل من غير أن تصل إلى أن تهز الإرادة ، إذا بها تصبح جارفة قوية بنسبة ما تنصهر مواعظها المتعددة العامة فى وحدة إنسان فرد ! فالأخلاق الأولى هى التى نفكر فيها عادة حين نشعر أننا ملزمون إلزاما طبيعيا ، وفوق هذه الواجبات الواضحة تمام الوضوح نحب أن نتصور واجبات أخرى غامضة تتنضد فوق الأولى - كالإخلاص وبذل النفس وروح التضحية والمحبة ... على أنه يكفى أن تكون هذه الكلمات موجودة ، فسوف تستعيد معناها وتمتلىء بفكرتها الفعالة حين تتاح الفرصة ، وقد لا تتاح لكثيرين وقد يرجأ العمل إلى حين ، فبعض الناس لا تهتز إرادتهم إلا خفيفاً ، وتكون الهزة من الخفة بحيث يمكن أن يقال عنها هى الواجب الاجتماعى نفسه وإنما تحدد واتسع وضعف ، أما إذا امتلأت الصيغة بالمادة ثم اضطربت المادة بالحياة فإن حياة جديدة تؤذن نفسها ، فنفهم ونحس أن ثمة أخلاقا أخرى تنبثق !

وقد يحق لنا أن نتحدث هنا عن حب الإنسانية...والذين يشتغلون فى تربية الشبيبة يعرفون حق المعرفة أن الظفر على الأنانية لا يكون بالنصح بالغيرية ، حتى لقد يتفق أن ترى نفساً كريمة تتحرق للتفانى فى همة صادقة

(١) المجلد السابق من مجلة الأزهر .

فإذا عرفت أنها تعمل فى سبيل (النوع الإنسانى) أصابها فتور وبرود ، لأن الموضوع واسع والثمرة مشتتة !

ومن ميزات أخلاق الحركة أصالتها الباقية وحيويتها الكامنه ، وترابطها وتفاعلها معاً ، وقد يخلف الانفعال شغالة — هى الأوامر التى استمرت فيما يمكن أن نسميه بالوجدان الاجتماعى إبان تكون المفهوم الجديد للحياة - أو قل الموقف الجديد منها الكامن فى هذا الانفعال .

فنحن إذن أمام رماد انفعال قد انطفأ ، فلن تستطيع الأوامر التى تبقت أن تهز إرادتنا ما لم تأخذ — بالعدوى — من الأوامر الأخرى التى تعبر عن المطالب الأساسية للحياة الاجتماعية شيئاً مما تتصف به من إلزام . وهكذا تغدو الأخلاق الأولى والثانية كأنهما أخلاق واحدة ، أخذت الثانية من الأولى صرامة وأكسبتها فى مقابل ذلك معنى إنسانياً ، لا اجتماعيا ضيقا ، حتى إذا هززنا الرماد قليلا ، وجدنا أن ثمة أجزاء ما تزال حارة ، ثم ما تلبث الشرادة أن تنبجس ، فيمكن للنار أن تشتعل ثانية ولكن بالتدريج ! ! أعنى أن قواعد هذه الأخلاق الثانية لا تفعل فينا منعزلة بعضها عن بعض ، شأن مواعظ الأخلاق الأولى ، فما تكاد إحدى هذه المواعظ تتخلص من التجريد وتمتلىء بالمعنى وتكتسب قوة الفعل حتى تلحقها سائر المواعظ ، فإذا بها تلتقى جميعاً فى هذا الانفعال الحار الذى خلفها من قبل وراءه ... »

أما المحرك الذى يثير نار الانفعال خلال الرماد حتى يستعيد الحياة والتوهج فهو الأنبياء والمصلحون ... هم القدوة الحية ، وهم الذين يشيعون الحيوية فى المحيط الذى يعيشون فيه ، وهم التجربة الشخصية الواقعة للانفعال الخلاق وأخلاق الحركة ، وعن طريقهم تنبعث الحياة فى المجتمع فيتحرر ويتفتح وينطلق :

« إن الضغط كلما كان غير شخصى ، وكان أدنى إلى القوى الطبيعية التى تسمى عادة أو غريزة كان أتم . وأما التطلع فيزداد سلطانا كلما كان الذى يوحى به إلينا أشخاصا ، وكلما كان أكثر ظفراً على الطبيعة ... يجب أن نمر بالبطولة حتى نصل إلى الحب ، والبطولة لا يوعظ بها وعظا ، وليس عليها إلا أن تظهر على المسرح حتى تهز الناس وتبعث فيهم الحركة ، ذلك أنها هى نفسها عودة إلى الحركة ، ولأنها تنبع من انفعال يمت إلى الفعل المبدع بقربى ، وهذه الحقيقة هى ما يلمح إليه الدين بقوله : إننا نحب الناس فى الله !! .. إن للإرادة عبقريتها كما للفكر ، والعبقرية تتحدى كل تنبؤ ، فعن طريق هذه فى الإرادات العبقرية استطاعت وثبة الحياة التى تجرى المادة أن تحصل من المادة على وعود تتعلق بمستقبل النوع ، ما كانت تخطر على بال حين كان النوع يتكون ! .

وهكذا فإننا بالانتقال من التعاون الاجتماعى إلى الأخوة الإنسانية ، نقطع صلتنا بنوع من الطبيعة لا بكل الطبيعة ، فنستطيع إذن أن نقتبس عبارة سبينوزا بعد أن نحور معناها فنقول : إننا ننفصل عن الطبيعة المطبوعة لنرتد ثانية إلى الطبيعة الطابعة . . . ، ويتابع برجسون بيانه المشرق ، فيبرز دور التأثر الشخصى ويجلى أهميته وخطره « إن كل مايستطيعه العقل هو أن يورد حججا ، وهذه الحجج من المباح دوما أن نرد عليها بأخرى ! ! فيجب ألا نكتفى بالقول إن العقل الموجود فى كل منا يفرض علينا احترامه وينال خضوعنا لقيمه السامية ، بل يجب أن نضيف إلى ذلك أن هنالك وراء العقل الرجال الذين أسبغوا على الإنسانية حلة الألوهية ، فطبعوا العقل — وهو الصفة الأساسية فى الإنسان — بطابع إلهى ، وهؤلاء هم الذين يجذبوننا إلى المجتمع المثالى ، فى نفس الوقت الذى نخضع فيه لضغط المجتمع الواقعى » .

ويسوق برجسون مثالا على تأثير القدوة الحية من المسيحية التى يحبها ويفتن بشخصية صاحبها : « لقد انقضى ثمانية عشر قرنا قبل أن تعلن حقوق الإنسان فى أمريكا أولا على يد المتطهرين ، ثم فى فرنسا على يد رجال الثورة ، ولكن هذا لا يبطل أنها بتعاليم الإنجيل بدأت ثم استمرت بعد ذلك لا يحدها شىء . وشتان بين مثل أعلى يقدمه للناس حكماء وإن كانوا جديرين حقا بالاعجاب ، وبين مثل أعلى يقذف إلى العالم رسالة مترعة حبا تبشر بالحب » ! ! ! .

ترى ما هو السر الدفين وراء هذا التأثير الرائع العميق : « الحق أن الأمر هنا ليس أمر حكمة محدودة يمكن أن تصاغ جميعها فى قواعد ، بل هنا اتجاه ومنهج ... إن ذكرى النفوس الصوفية وما فعلته ثاوية فى ذاكرة الإنسانية لا تبارحها ، وفى وسع كل منا أن يحييها فى نفسه ، ولا سيما إذا قارب بينها وبين صورة شخص ساهم فى هذه الصوفية وأشاعها من حوله ، وبقيت صورته حية فى النفس . . وكما أنه وجد عباقرة وسعوا حدود العقل ، فأتيح لأفراد من حين إلى حين أكثر مما كان من الممكن أن يوهب للنوع دفعة واحدة ، كذلك قد انبثقت نفوس ممتازة شعرت أنها تمت بقربى إلى سائر النفوس ، فلم تقف عند حدود الجماعة ، ولا اكتفت بالتضامن الذى أقامته الطبيعة ، بل ارتفعت - فى وثبة من حب - إلى الإنسانية كافة » .

تلك كلمات من كتاب برجسون عن الأخلاق والدين ...

كلمات مفيدة هادية ، تكشف عن حقيقة (الطاقة الروحية) فى الإنسان ، وتبرز دور (الإيمان) فى تربية النفوس والمجتمعات ...

ودعاة الدين فى حاجة دائما إلى مطالعة مثل هذه التأملات الفكرية الرائعة ، والتماس الحكمة من شتى مصادرها ، ليجادلوا فى الله على علم ، وهدى ، وكتاب منير ؟

فتحى عثمان

لغويات

للأستاذ محمد على النجار

أخذت خمسة كتب فحسبُ

عاب بعض أدباء العصر هذه العبارة ، وأنكر دخول الفاء على (حسب) . والوجه عنده أن يقال : أخذت خمسة كتب حسبُ وكأن هذا جاء من الوقوف عند قول اللسان فى (حسب) ففيه : « ولك أن تتكلم بحسب مفردة ؛ تقول : رأيت زيداً حسبُ يا فتى ؛ كما تقول ؛ جاءنى زيد ليس غير ، تريد : ليس غيره عندى » ورب شىء سكتت عنه المعاجم وهو جائز من وجه آخر يسوّغه .

ومن المقرر أن حسب مثل قدْ وقطْ ، وهما يدخل عليهما الفاء ، ويذكر النحويون أن الفاء زيدت عليهما لتزيين اللفظ ، وجاء فى اللسان فى ترجمة (قدد) : « وتكون (قد) مثل (قط) بمنزلة (حسب) : يقولون : مالك عندى إلا هذا فقد ، أى فقط حكاه يعقوب ، وزعم أنه بدل ، فتقول : قدِى وقدْنى ،

وأنشد : إلى حمامتنا ونصفه فقدى ، ويريد صاحب اللسان بيعقوب ابن السكيت ، وعبارته فى كتاب القلب والإبدال المطبوع فى مجموعة الكنز اللغوى ص٤٧ : « ويقال : ماله عندى إلا هذا فقد ، وإلا هذا فقط » . والشطر الذى ورد فى اللسان للنابغة يقوله فى شعر فى زرقاء اليمامة ، والبيت بتمامه .

قالت ألا ليتما هذا الحمام لنا
إلى حمامتنا ونصفه فقدِ

وقصتها معروفة ، ويشير صاحب اللسان بقوله : « وزعم أنه بدل » إلى أن هذا غير مرضى ، وذلك أن كلا من قد وقط من مادة مستقلة كاملة ، فالأول من قدّ والثانى من قطّ وهما يتلاقيان فى معنى القطع . والعبرة فيما سقته أن الألفاظ الثلاثة : حَسْب ، وقد وقط من قبيل واحد ، وقد جاز فى قد وقط دخول الفاء عليهما فهذا يقضى بجواز ذلك

فى حَسْب ، إذا لا خصوصية لحسب تمنعها هذا الحق وهذه الزينة .

وجاء فى شرح المفصل لابن يعيش ١٣١/٢ « وربما استعملوا قط وحسب مفردين من غير إضافة فقالوا : رأيته مرة واحدة فقط ، وأعطانى دينارا فحسب ، أى اكتف بذلك واقطع » . وانظر قوله : استعملوا . . فقالوا فهو يسند ذلك إلى العرب .

ويقول الأشمونى فى شرح الألفية فى مبحث الإضافة : « قبضت عشرة فحسب أى فحسبى ذلك » .

وقد فشت هذه العبارة فى كلام العلماء . فالرضى شارح الكافية — وهو نحوى دقيق متحفظ فى عبارته — يقول فى باب العدد ص ١٤٥ ج ٢ : « ولو قال : العدد ما وضع لكمية الشىء فحسب لم يدخل نحو رجل ورجلان » .

هل محمد يحضر :

المشهور فى النحو إنكار هذا الأسلوب . وذلك أن (هل) إنما تدخل على جملة فعلية أو جملة طرفاها اسمان ، نحو هل يحضر محمد ، وهل محمد حاضر فأما أن تدخل على اسم بعده فعل فذلك يحظره النحاة ويعللون هذا الحكم تعليلا شعريا طريفا . فيقولون : إن (هل) فى أصل وضعها بمعنى قد ، وكان من حقها لهذا أن تختص بالفعل كقد ؛ غير أنه كثر تضمنها للاستفهام ، فسوغ ذلك دخولها على الجملة الاستفهامية كهمزة الاستفهام . غير أنها إذا رأت الفعل فى حيزها عاودها رسيس من هوى الفعل فأبت إلا إياه . ويقول الرضى فى شرح الكافية ٣٨٨/٢ : « فلما كان أصلها قد ، وهى من لوازم الأفعال ، ثم تطفلت على الهمزة ، فإن رأت فعلا فى حيزها تذكرت عهوداً بالحمى ، وحنت إلى الإلف المألوف وعانقته . وإن لم تره فى حيزها تسلت عنه ذاهلة » . ومما يمتنع للمانع السابق أن تقول : هل زيدا أكرمت وهل زيدا أكرمته ، يقول الرضى فى الموضع السابق : « ومع وجود الفعل لا تقنع به أيضا مفسرا للفعل المقدر بعدها . فلا يجوز اختيارا : هل زيدا ضربته ، بل لابد من إيلائها إياه لفظا » .

ويذكر النحويون أن هذا الحظر يزول فى الشعر ، فتدخل هل على اسم خبره جملة فعلية ، ويذكرون من هذا قول علقمة الفحل فى قصيدة مفضلية :

أم هل كبير بكى لم يقضِ عَبرته
إثر الأحبة يوم البين مشكوم

وقد ود صاحب الخزانة (ص ٥١٦ ج ٤) الاستشهاد بالبيت على ما أرادوا بأن (هل) دخلت على جملة طرفاها إسمان هما كبير ومشكوم ، فأما جملة بكى فهى صفة للمبتدأ ،

وتقديراً لكلام : أم هل كبير باك مشكوم أي مثاب مكافأ ، ولا شيء في هذا . وقد رأيت في شعر المحدثين ما يصلح شاهداً على هذا ، فقد جاء في نفح الطيب ٤ / ٣٨٩ (طبعة التجارية) لأبي حامد ابن شعيب الأندلسي شعر يقوله حين كبا به فرسه فحصل في أسر العدو :

وكنت أُعِدُّ طِرفي للرزايا
يخلصني إذا جعلت تحوم
فأصبح للعدا عوني لأني
أطلت عناءه فأنا الظلوم
وكم دامت مسراتي عليه
وهل شيء على الدنيا يدوم

على أني وجدت قولا يجيز هل زيد يحضر في الاختيار ولا يقصره على ضرورة الشعر . فقد قال في الهمع ٢ / ٧٧ في هل : « وتختص بعدم دخولها على إسم بعده فعل إختيارا . ، وجوزه الكسائي فأجاز هل زيد قام جوازا حسنا ، لأنهم أجازوا هل زيد قائم وابتدءوا بعدها الأسماء فكذا مع وجود الفعل » . وترى أن الكسائي توسع في هذا القياس على عادته وعادة الكوفيين ، والقياس هنا غير دقيق كما علمت من الفرق بين هل زيد حاضر وهل زيد حضر ، ولكنه على كل حال رأي نحوي يصح أن يحتج به ويؤخذ بقوله للخروج من الغلط في أسلوب اشتهر عند الناس وأصبح من العسير اجتنابه .

أجب تحريريا ، محمد يرى ما أسامة جيدا ولا يخطئه

يدور الأسلوب الأول في أسئلة الامتحان. ويراد بالتحرير المنسوب إليه الكتابة . وقد عاب بعض النقاد استعمال التحرير في الكتابة ؛ إذ التحرير جعل الشيء حرا ، كما يحرر المالك مملوكه أي يعتقه ويخرجه من عقال الرق . ولكن المجاز يتسع لهذا المعنى ويسوغه . فالأصل في تحرير الكتابة تقويم الحروف وتنزيهها من عيوب الخط والرسم ثم استعمل التحرير في مطلق الكتابة ، فهنا مجاز على مجاز . وقد صرح الزمخشري بالمجاز الأول فقال في الأساس : « وحرر الكتاب : حسنه بإقامة حروفه وإصلاح سَقطه » .

ويعنيني هنا البحث في هذا الأسلوب من جهة أخرى . ذلك أن (تحريرياً) صفة مصدر محذوف للفعل السابق ومصدر أجاب إجابة ، وهي مؤنثة اللفظ ، فكان الوجه أن يقال : أجب تحريرية أي إجابة تحريرية .

والأمر هنا سهل . فالجواب اسم مصدر بمعنى الاجابة ، فليكن هو المقدر المحذوف ، والتقدير : أجب جوابا تحريريا ، ويكون هذا من قبيل قوله تعالى : « والله أنبتكم من الأرض نباتا » .

وثمة تخريج آخر ، وهو أن يكون المقدر إجابا دون تاء ، وهذا قد يأتي وإن كان

خلاف المشهور ، فالمشهور الاجابة ، نعم قد يأتى فى المشهور دون تاء مع الإضافة ، كما فى قوله تعالى : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة » ، على أنه يصح أن يكون المقدر إجابة ، وأن يذهب فى وصفها مذهب المذكر لأنه مصدر مؤنث مجازى يؤول بالرد ونحوه ، كما سيأتى فى كلام الشهاب الخفاجى .

وفى الأسلوب الثانى (محمد يرى ما أمامه جيدا) تأتى المشكلة بعينها ، ذلك أن (جيدا) صفة مصدر (يرى) وهو (الرؤية) وهى مؤنثة اللفظ ، فكان الواجب أن يقال : يرى ما أمامه جيدة أى رؤية جيدة .

والمخرج من هذه المشكلة أن يعتبر فى (الرؤية)التذكير بتأويله بالنظر أو الإبصار ، ومثل هذا كثير فى الكلام العربى ، وإن كان لا يتوسع فيه لغير العرب ، ويسهل الأمر هنا أن الموصوف محذوف ، فلا يظهر القبح اللفظى من وصف المؤنث بالمذكر ، ويصح أن يقدر المصدر المحذوف (الرأى) وإن اشتهر هذا المصدر فى الاعتقاد واشتهرت الرؤية فى الإبصار.

وقد وقع قريب مما نحن فيه فى الكتاب العزيز ، فقد جاء فى الآية ١٦٧ من سورة البقرة «كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم » ، فقوله(كذلك)صفة مصدر محذوف من أرى وهو الإراءة ، وإذا كان الواجب أن يقال : كذلك أى إراءة كذلك الإراءة ، وقد خرج البيضاوى من هذا الإشكال بجعل المصدر الإراء لا الإراءة فقال : « (كذلك) مثل الإراء الفظيع » . وقال الشهاب الخفاجى فى كتابته عليه ٢ / ٢٦٥ : « (قوله : مثل ذلك الإراء) الإراء هنا مصدر أراء إراءة ، كما سمع إقاما وإقامة ، والمعروف فى مثله التاء لأنها عوض عن العين المحذوفة ، لكن حكى هذا سيبويه . قيل : واختاره مع أنه خلاف المشهور ليوافق تذكير (ذلك) ، وإن كان تأنيث المصدر غير معتبر ، أو لأن الإراءة فى معنى الرياء ، وهو غير صحيح هنا » ، ويشير بحكاية سيبويه إلى قوله فى الكتاب ٢/٢٤٥ : « وقالوا : أريته إراء مثل أقمته إقاما لأن من كلام العرب أن يحذفوا ولا يعوضوا » .

وفى الآية . من سورة الأحزاب : « ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانا وتسليما » ، فهنا اسم الإشارة ، والضمير المستتر المرفوع فى (زادهم) والمتبادر عودهما على الرؤية ، وهما مذكران والرؤية مؤنثة . وقد خرج الشهاب الخفاجى من هذا بجعل الإشارة إلى الخطب والبلاء لا إلى الرؤية وخرج البيضاوى بجعل الضمير المستتر فى الفعل عائدا إلى ما رأوه أو إلى الخطب والبلاء . وانظر الشهاب على البيضاوى ٧ / ١٦٧ .

محمد على النجار

زواج المسلم بغير المسلمة

للأستاذ أحمد الشرباصي

— ٤ —

أباح الإسلام للمسلم - كما عرفنا من قبل - أن يتزوج الكتابية، وعرفنا أن الإسلام جعل لهذا الزواج شروطا يحفظ بها حق الزوجة، وإذا كان يباح للمسلم أن يتزوج الكتابية، فإنه لا يجوز لغير المسلم أن يتزوج المسلمة، سواء كان كتابيا أم كان غير كتابى، فما دام لا يدين بالإسلام ولا يؤمن به فإنه لا يجوز له أن يتزوج بمسلمة.

وقد استدل الفقهاء على ذلك بقول الله عز وجل: « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن، الله أعلم بإيمانهن، فإن علمتوهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار، لا هن حل لهم ولا هم يحلون لهن ». وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم إذا هاجرت إليه امرأة أسلمت من دار الشرك امتحنها، فكان يجعلها تقسم بالله إنها ما خرجت من بغض زوج، وبالله ما خرجت رغبة عن أرض إلى أرض، وبالله ما خرجت التماس دنيا، وبالله ما خرجت إلا حبا لله ورسوله. فإذا حلفت على ذلك حرم ردها إلى المشركين، لأن الله تعالى يقول: فلا ترجعوهن، لأن المؤمنات لسن حلا للكفار، ولا الكفار يحلون للمؤمنات.

كما استدلوا على ذلك بقول الله تعالى فى سورة البقرة: « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا، ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم». يقول ابن جرير الطبرى: « يعنى تعالى ذكره بذلك: أن الله تعالى حرم على المؤمنات أن ينكحن مشركا كائنا من كان المشرك، من اى أصناف الشرك كان، ولا تنكحوهن أيها المؤمنون منكم، فإن ذلك حرام عليكم، ولأن تزوجوهن من عبد مؤمن مصدق بالله ورسوله، وبما جاء من عند الله، خير لكم من أن تزوجوهن من حر مشرك، ولو شرف نسبه وكرم أصله، وإن أعجبكم حسبه ونسبه »(١) ».

وقال الزهرى فى الآية: لا يحل للمسلمة أن تتزوج يهوديا أو نصرانيا أو مشركا.

ولقد جاء فى السنة قول الرسول عليه الصلاة والسلام: « تزوجوا نساء أهل الكتاب ولا تزوجوهم نساءكم» رواه جابر ابن عبد الله، وإذا حرم تزويج المسلمة فتحريم زواجها من المشرك أو من لا يدين بدين أولى وألزم.

وقد وردت فى السنة آثار صحيحة بالتفريق

---

(١) تفسير الطبرى، ج ٢ ص ٣٧٩.

بين النصرانى وزوجته إذا أسلمت ، يقول عبد الله بن عباس : « إذا أسلمت النصرانية قبل زوجها فهى أملك لنفسها » ، ومثل هذا القول لا يأتى من قبل الرأى يراه ابن عباس وأمثاله ، فلابد أنهم سمعوه من النبى صلى الله عليه وسلم . ولقد أجمعت الأمة على حرمة زواج المسلمة بالمشرك ، يقول القرطبى : « وأجمعت الأمة على أن المشرك لا يطأ المؤمنة بوجه ، لما فى ذلك من الغضاضة على الإسلام » (١) وكذلك أجمعت الأمة على أن الكتابى (كاليهودى والنصرانى) لا يجوز له أن يتزوج المسلمة .

ولذلك قرر الفقهاء أنه إذا أسلمت الزوجة وبقى الزوج على دين غير دين الإسلام — ولو كان كتابيا - يفرق بينهما ، وذلك بعد أن نعرض الإسلام على الزوج لتبقى معه زوجته ، فإن أسلم بقيت ، وإن أبى فسخ ما بينهما من زواج ، وقال الأئمة الثلاثة : مالك والشافعى وأحمد إن الفرقة تكون بعد انتهاء العدة ، فإن أسلم الزوج خلال العدة بقيت زوجته معه ، وإلا انقطعت صلتها به .

وقد تحدث « تفسير المنار » عند زواج المسلم بغير المسلمة وحرمة زواج المسلمة بغير المسلم ، وذلك عند تفسير قوله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ، ولعبد مؤمن خير من مشرك و أعجبكم » ، وأشار إلى أن المشركين بينهم وبين المسلمين غاية الخلاف والتباين فى الاعتقاد ، فلا يجوز للمسلمين أن يتصلوا بهم برابطة المصاهرة ، لا بتزويجهم ولا بالتزوج منهم ، وأن الكتابيات حلّ للمسلمين فى الزواج لقول الله تعالى فى سورة المائدة : « اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان » .

وإذا كانت آية البقرة : ولا تنكحوا المشركين ... » قد سكتت عن حكم تزويج المسلمة بالكتابى ، فإن أصل ذلك المنع ، وهو مؤيد بالسنة والإجماع ، فلا يقال بعد هذا التأييد أن الأصل الإباحة ، ولذلك جاء فى تفسير المنار هذه العبارة :

« ولكن قد يقال إن الأصل الإباحة فى الجميع ، فجاء النص بتحريم المشركين والمشركات تغليظا لأمر الشرك ، وبحل الكتابيات تألفا لأهل الكتاب ، ليروا حسن معاملتنا وسهولة شريعتنا ، وهذا إنما يظهر بالتزوج منهم ، لأن الرجل هو صاحب الولاية والسلطة على المرأة ، فإذا هو أحسن معاملتها كان ذلك دليلا على أن ما هو عليه من الدين القويم ، يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم »

---

(١) تفسير القرطبى ، ج ٣ ص ٧٢ .

والعدل بين المسلمين وغير المسلمين ، وسعة الصدر فى معاملة المخالفين ، وأما تزويجهم بالمؤمنات فلا تظهر منه مثل هذه الفائدة لأن المرأة أسيرة الرجل ، لا سيما فى ملل ليس للنساء فيها من الحقوق ما أعطاهن الإسلام ، وأهل الكتاب وسائر الملل كذلك[1] » .

ويمضى التفسير فى بيان الحكمة لحل زواج المسلم بالكتابية ، ثم يتعرض للسبب فى تحريم زواج المسلمة بغير المسلم فيقول : « ومثل هذه الحكمة لا تظهر فى تزويج الكتابى بالمؤمنة ، فإنه بماله من السلطان عليها ، وبما يغلب عليها من الجهل والضعف فى بيان ما تعلم ، لا يسهل عليها أن تقنعه بحقية ما هى عليه ، بل يخشى أن يزيغها عن عقيدتها ويفسد منها دون أن تصلح منه ؛ وهذا المعنى يفهم من تعليل النهى عن مناكحة المشركين فى قوله عز وجل « أولئك يدعون إلى النار » أشار بأولئك إلى المذكورين من المشركين والمشركات ، أى من شأنهم الدعوة إلى أسباب دخول النار بأقوالهم وأفعالهم ، وصلة الزواج أقوى مساعد على تأثير الدعوة ، لأن من شأنها أن يتسامح معها فى شئون كثيرة ، وكل تساهل وتسامح مع المشرك أو المشركة محظور محذور الشر بما يخشى منه أن يسرى شئ من عقائد الشرك للمؤمن أو المؤمنة بضروب الشبه والتضليل التى جرى عليها المشركون[1] » .

ونستطيع أن نقول فى حكمة المنع أيضا أن الإسلام له مجتمعه ودولته ، والقوامة فى دولة الإسلام للإسلام ، فلا يجوز للمسلم أن يحكمه غير المسلمين أو يسيطر عليه ، وقوامة الدولة قوامة عامة ، والزوج له قوامة على زوجته ، وهى قوامة أسرية خاصة ، وما دام المسلم محكوما فى دولته بالمسلم ، فلا يجوز أن تكن المسلمة محكومة فى أسرتها بغير المسلم ، لأن القوامة الخاصة فى الأسرة هى التى تتعدد وتتكرر فى الأسر الباقية ، فيتكون من التئامها وانسجامها جو القوامة العامة ، وهى قوامة الحاكم المسلم على الأمة المسلمة . وهناك الأولاد الذين ينشئون من زواج المسلمة بغير المسلم ماذا يكون شأنهم ومصيرهم لو أبيح هذا الزواج ، إنهم يتبعون خير الأبوين دينا ، ولكن هذه التبعية لن تمنع تعرض هؤلاء الأولاد للبلبلة والزلزلة ، فمن الطبيعى أن يحاول الوالد غير المسلم جرهم إلى دينه وعقيدته ، فما تبنيه لهم الأم المسلمة قد يهدمه الوالد غير المسلم ، ولا يبعد أن يتغلب الأب بسيطرته وقوامته وقوته على الأم فيفسد على الأولاد دينهم .

ثم إن هناك وجها آخر من الحكمة لا يقال معه : لماذا أباح الإسلام زواج المسلم بغير

---

(١) تفسير المنار ، ج ٢ ص ٣٥١ .

(١) المصدر السابق ، ص ٣٥٢ ، ٣٥٣ .

المسلمة ولم يبح زواج غير المسلم بالمسلمة ... هذا الوجه هو أن المسلم يؤمن بدين الكتابية فى أصوله ويؤمن بنبيها الذى جاء بهذا الدين بينما الكتابى لا يؤمن بدين المسلمة ولا بنبيها فإيمان المسلم بدين الكتابية - غير محرف - وكفران الكتابى بالإسلام وبنى الإسلام منعه أن يتزوج المسلمة .

ولذلك يروى أن أوربيا قال منذ حين لأحد المسلمين : لماذا تمنعون أن يتزوج اليهودى أو النصرانى مسلمة ؟ فقال له المسلم : يستطيع هذا اليهودى أو النصرانى أن يؤمن بدين هذه المسلمة وبنبيها ، كما تؤمن هى بدينه وبنبيه ، ونحن نزوجها له ! !

* * *

هناك بعد هذا مسألة تتصل بالموضوع الأساسى لهذا البحث ، وهو الزواج بين بين المسلمين وغير المسلمين ... وهى مسألة التحديد للطوائف الكتابيين والتحديد للمراد بالمشركين ... فإذا كان الفقهاء قد اتفقوا على أن عبدة الأصنام مشركون ، ولا يجوز للمسلم أن يتزوج نساءهم ، واتفقوا كذلك - إلا من شذ برأى - على أن اليهود والنصارى من الكتابيين الذين يجوز للمسلم أن يتزوج نساءهم ، فقد اختلفوا بعد هذا فى طوائف أخرى . أمشركة هى أم كتابية ، ومن هذه الطوائف « الصائبة » وهم جماعة كانوا قديما فى العراق ، وبقيت منهم بقية إلى الإسلام ، وقالوا عن أنفسهم إنهم من النصارى ، ولكنهم قدسوا الكواكب ، ولهم تعاليم وطقوس يخفونها .

اعتبرهم الإمام أبو حنيفة من أهل الكتاب النصارى. وأعتبرهم صاحباه محمد وأبو يوسف من المشركين الذين لا تحل نساؤهم للمسلمين . والفصل فى هذا الأمر يتوقف على اطلاعنا على حقيقة اعتقادهم وعباداتهم ، ويميل الشيخ أبو زهرة إلى رأى الصاحبين اللذين منعا المسلم زواج نسائهم ، ويستند فى هذا إلى عبارة للجصاص عن الصائبين يقول فيها : « وأصل اعتقادهم تعظيم الكواكب السبعة وعبادتها ، واتخاذها آلهة ، فهم من عبدة الأوثان فى الأصل، إلا أنهم منذ ظاهر الفرس على إقليم العراق ، وأزالوا مملكة الصائبين لم يجبروا على عبادة الأوثان ظاهرا ، لأنهم منعوهم من ذلك ، وكذلك كان أهل الشام والجزيرة صائبين ، فلما تنصر قسطنطين حملهم بالسيف على الدخول فى النصرانيه ، فبطلت عبادتهم الأوثان من ذلك الوقت ، ودخلوا فى غمار النصارى فى الظاهر ، وبقى كثير منهم على النحلة مستخفين بعبادة الأوثان ، فلما ظهر الإسلام دخلوا فى جملة النصارى إذ كانوا مستخفين بعبادة الأوثان كاتمين لأصل الاعتقاد ، وهم أكتم الناس

لعقائدهم ، وعنهم أخذت الاسماعيلية كتمان المذهب [١] .

وهناك من أحل زواج المسلم من المجوسية وهو أبو ثور صاحب الشافعى - لأنها تدعى نبوة زرادشت ، وجاء فى تفسير المنار مايفيد أن المجوس والصابئين والبوذيين والبراهمة وأتباع كونفوشيوس فى الصين من أهل الملل الذين لهم كتاب أو شبهة كتاب ، ثم قال : « وذلك أن كلا من الصائبين والمجوس عندهم كتب يعتقدون أنها إلهية ، ولكن ببعد العهد وطول الزمان جعل أصلها مجهولا لنا ، ولا يبعد أن يكون من جاءوا بها من المرسلين لأن الله تعالى يقول (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة إلا خلا فيها نذير) وقال (إنما أنت منذر ولكل قوم هاد) وإنما قويت فيهم الوثنية لبعد العهد بأنبيائهم على القاعدة المفهومة من قوله تعالى (ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون) ومعلوم أن فسق الكثير من أهل الكتاب عن هداية كتبهم ، ودخول نزغات الوثنية والشرك عليهم لم يسلبهم امتيازهم فى كتاب الله على المشركين وعدهم صنفا آخر [٢] » .

ويستدل على أن المجوس ليسوا من المشركين بأن الجزية إنما تؤخذ من أهل الكتاب ، والنبى والخلفاء قد أخذوا الجزية من المجوس فى البحرين وهجر وفارس ، وجاء فى المجوس الحديث المنقطع : « سنوا بهم سنة أهل الكتاب » . وروى الشوكانى فى « نيل الأوطار » أن الإمام عليا قال فى المجوس : « كان المجوس أهل كتاب يدرسونه وعلم يقرأونه » ثم ذكر الإمام على ما طرأ لهم من فساد .

ويقول السيد رشيد رضا : « إن إطلاق كلمة (أهل الكتاب) على طائفتين من الناس لتحقق أصل كتبهما ولزيادة خصائصهما لا يقتضى أنه ليس فى العالم أهل كتاب غيرهم مع العلم بأن الله بعث فى كل أمة رسلا مبشرين ومنذرين ، وأنزل معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط [١] » .

ومما تقدم نفهم أن أساس الحكم بالإشراك على طائفة ، أو بأنها من أهل الكتاب ينهض على دراسة نشأة هذه الطائفة والوقوف على عقيدتها وعبادتها ، فإذا نهض الأساس على الوثنية أو الإشراك كانت الطائفة مشركة وإن كان لها كتاب سماوى ولو فى القديم كانت كتابية ، وإيضاح ذلك يستعان عليه بما جاء فى كتب الملل والنحل ، وهى كثيرة متعددة ...

أحمد الشرباصى

(١) الأحوال الشخصية « قسم الزواج » ص ٩٧ .
(٢) تفسير المنار ، ج ٦ ص ١٨٧ .

(١) المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

فى ذكرى مولد الرسول الكريم

للأستاذ عباس طه

إذا كنت ممن تخلى عن التعصب ، وتطلع إلى سيرة النبى الأمى الكريم ، وإلى مدارسة شمائله الكريمة الطاهرة ، ثم حاولت أن تستخلص من كل ذلك معنى تستريح إليه ، ومثلا أعلى تتمثله وتحتذيه ، فسوف ترى كما رأيت معنى قد تظنه بادى الرأى لا شأن له ولا خطر، وهو فى الحقيقة القطب الذى تدور عليه رحى الخير كله ، وإن شئت قلت هو دستور هذا الوجود وناموسه . أتدرى ما هو هذا المعنى ؟ هو الطهارة . ولك أن تقول : النظافة ، النظافة بكل معانيها وسائر مجاليها . نظافة العقل ، نظافة الروح ، نظافة البدن « إنما المشركون نجس » ، « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » ، « إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » (النظافة من الإيمان) .

كان العالم قبيل ظهور المصطفى صلوات الله وتسليماته عليه ، وخما قذراً ، غارقا فى قذارة عقلية ، وروحية ، وبدنية .

كانت قذارة عقله فى اعتقاده تلك العقائد البدائية الصبيانية الممعنة فى الجاهلية : من الشرك وعبادة الأصنام ، ومن سائر العقائد الفاسدة التى عششت وباضت ، ثم أفرخت وشاعت بين العرب وغير العرب فى سائر أمم العالم القديم ، والتى لا تزال آثارها باقية إلى اليوم بين من لا يدينون بالإسلام الصحيح .

وكانت قذارة روحه فى تخلقه بالأخلاق المرذولة : من الكذب ، والرياء والنفاق والجبن والبخل والطمع والأثرة وسائر الرذائل ، وفى حيوانيته وإسفافه وانغماسه فى الشهوات البهيمية .

وكانت قذارة بدنه فى تركه نفسه هملا كالعجماوات .

جاء الإسلام والعالم على هذه الحالة من الدنس والرجس ، فأذكى غارته المقدسة ، وحمل حملته الشعواء على هذه الأوبئة التى تجتاح العالم ، ودعا الناس أول ما دعا

إلى تطهير عقولهم من العقائد الفاسدة والترهات الباطلة . نهاهم عن الشرك ودعاهم إلى التوحيد ، وبحسبك هو من عقيدة هى أصل الفضائل ومنبع المحامد ، والمعنى الذى يسمو بالإنسان إلى الملأ الأعلى ، ويصل روحه مباشرة بالذات الأقدس « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون لمن يشاء » .

ودعا الناس إلى تطهير أرواحهم ، فسن لهم من مكارم الأخلاق ما سن ، وشرع لهم من الشرائع ما شرع ، مما تراه مثبوتا مستوفى فى تعاليم الإسلام وفى هدى المصطفى عليه السلام . ومما كان له أثر أى أثر فى تطهير أرواح المسلمين وتنزيه نفوسهم من كل ما علق بها من أقذار الجاهلية حتى صاروا خير أمة أخرجت للناس .

فالنظافة الحسية والمعنوية هى روح الإسلام ، وهى الغرض الأسمى الذى يقصد إليه ، والمثل الأعلى الذى يحث على التمسك به . كان صلى الله عليه وسلم مثلا أعلى للنظافة فى سائر مظاهرها . كان عقله أسمى العقول إذ كان عليه السلام من كمال العقل بحيث ينئد عن كل ما هو غير جدير بالكمال والمثل الأعلى . وقد أطبق أصحابه وكل من رآه على أنهم لم يروا عقلا كعقله ، ولا سمعوا بمثله أو بما يقاربه ، وإن من كان مثله فى نشأته الأولى التى لم يشبها شوب من دنس الجاهلية ، فلم يسجد لصنم ، ولا شارك قومه فى عيد من أعيادهم ، ولا ذاق لحوم قرابينهم ولا انغمس فيما انغمسوا فيه من ضلالاتهم وحماقاتهم . نقول : إن من كان مثله فى نشأته هذه ، وفى كياسته وحسن سياسته وسداد تدبيره حتى أعطاه العرب زمامهم وقيادتهم ، وهم من هم حمية ونعرة وعنجهية ، وخشونة مراس ، وشدة شكيمة ، وتوعر خلق ، وجفاء طبع ، مع ما أفاضه الله عليه من العلم والعرفان ، وأوحى إليه من القوانين والشرائع والآداب ، وهو النبى الأمى الذى لم يجلس إلى المعلمين ، ولم يختلف إلى المدارس والجامعات ـ نقول : إن من كان هذا شأنه لابد أن يكون عقله فوق مستوى العقول .

ومن هنا حفل كتاب الله وأحاديث المصطفى بالتنويه بالعقل والإشادة بذكره ، والحض على اللجوء إليه ، والتعويل فى سائر الأمور عليه ، بالكثير من الآيات والأحاديث : « وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا فى أصحاب السعير » .

وكانت أخلاقه صلى الله عليه أطهر الأخلاق وأسماها وأجملها ، حتى قال الله تعالى فيه : « وإنك لعلى خلق عظيم » أى رسول الله : لقد فضلك ربك على الناس كافة فكنت خيرة الله من خلقه ، واصطفاك

لوحيه وإبلاغ رسالته ، فكنت عند العهد بك وبلغت ما أنزل إليك على أبدع وجه وأكمل تبليغ .

لقد كنت يارسول الله بسيرتك وأقوالك وأفعالك وشمائلك مثلا أعلى وقبساً يستضاء به فى الظلم الحوالك لم تجد الأقدار بمثله ولن تجود أبد الدهر ، فكنت فى الحق خاتم النبيين ، وكنت واسطة عقد المرسلين .

لقد جاهدت حق الجهاد فى سبيل الله وإعلاء كلمته ، وحوربت وعوديت ، وشوققت وضوررت وأوذيت أيما إيذاء ، فلم يثن ذلك من عزمك ، ولم يفل من إرادتك ، بل مضيت قدما لا تلوى على شىء ، فكنت بذلك حقاً من أولى العزم ، وكان ذلك منك مصداقا لما قلت لعمك - إذ طلب إليك أن تترك هذا الأمر اتقاء شر قريش ، كلمتك الخالدة التى رددها الدهر - : « والله يا عم لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على أن أترك هذا الأمر أو أهلك دونه حتى يظهر الله ما تركته » . أى رسول الله : لقد قمت بالمهمة العظمى خير قيام ، وتركت لنا ديناً جمع بين خيرى الدنيا والآخرة ، فقد نظرنا فى حكمة الأولين وفلسفة الآخرين ، فلم نر فلسفة أجمع ولا أسمى وأروع من الإسلام « إن الدين عند الله الإسلام » « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه » ، « ما فرطنا فى الكتاب من شىء » . . ؟

عباس طه

قال ابن الرومى فى حب الوطن :

ولى وطن آليت ألا أبيعه
وألا أرى غيرى له الدهر مالكا

وحبب أوطان الرجال إليهم
مآرب قضاها الشباب هنالكا

ألا رحم الله الشعر!

للدكتور عارف قياسة

شعر نزار قبانى :

لقد كنت أنتظر بتشوق ولهفة وصول (حبيبتى) ، الديوان الجديد للشاعر نزار قبانى . فقد كتبت عنه الصحف كثيراً ، وأشادت به ، وأثنت عليه الثناء المستطاب ، ولكننى مع الأسف الشديد ، لم أجد فيه ماكنت أتوقع ، أو بعض ما سمعت ، أو بمعنى أصح لم أجد فيه شعراً يتناسب مع تلك الدعاية الواسعة التى بثت حوله . ويبدو لى أن تقييم الآثار الفنية أصبح اليوم فى أيدى الصحف السطحية العابرة ، ولم يعد بين الأيدى الأمينة الخبيرة التى لا تتأثر إلا بما فى الأثر الفنى من جمال ، مهما بلغ صاحبه من امتداد الشهرة ، وذيوع الصيت .

وأنا لا أنكر على نزار قبانى شاعريته ، فنزار شاعر حتى رءوس أنامله ، فقد قرأت له قصائد عابرة ، مشبعة بالصدق نابضة بالدفء والحياة انتزعها من صميم وجدانه وقلبه ، وجعل صورها الأبكار تختلج على الورق وتتحرك فى أبهة وخيلاء وبهاء .

ونزار لم نعرفه فى يوم من الأيام ، شاعرا متكلفاً يقول غير ما يحس ، وإنما هو شاعر أصيل يفيض ببساطة وعذوبة ونغم .

قد لا يعجب بعض الناس شعر نزار القبانى ، ويرون فيه معرضا لتجميل المرأة ، فأكثر شعره منصرف إلى وصف المرأة ، ووصف أدوات زينتها ، وستائر غرفتها ، وقوارير عطرها ، وألوان (فساتينها) ، وكيفية ارتدائها ملابسها ، وكيفية خلعها لها ، إلى آخر هذه الأشياء الصغيرة التافهة التى تداعب أحلام المراهقين ، وتستثير الشهوة فى غرائزهم الملتهبة .

ومما لا شك فيه أن إصغاء الشاعر للأحاسيس الرفيعة ، وتعبيره عن المشاعر البناءة يخلع على شعره هالة من السمو ، ويمده بطاقة أكبر من الجمال والفتنة ، لأن فى المشاعر النبيلة السامية سحراً يضاف إلى سحر التعبير ، فيضم الشاعر ، آنذاك الجمال من طرفيه ، ويغدو الشعر رائما وبناء فى وقت واحد ، وبذلك يتم جماله كما يتم حسن الوجه بحسن الأخلاق فى الإنسان .

ومهما يكن من شئ فإننا لا نستطيع أن ننكر أن نزار قبانى وهو شاعر من شعراء الأدب المكشوف ، قد استطاع فى بعض شعره ، أن يزرع الجمال فى تلك الأشياء الصغيرة ، بما لديه من قدرة خصبة ، وبما تنطوى عليه نفسه من صدق وتوهج وموهبة . .

ولكن ببغاوية الشعر الحديث أدركته فى ديوانه الجديد (حبيبتى) فإذا به ينق أحيانا كالضفادع على حواف الترع فى الليالى القمراء . وإلا ما معنى هذا الشعر فى قصيدته (أكبر من كل الكلمات) :

سيدتى :
فى هذا الدفتر
تجدين ألوف الكلمات
الأبيض منها والأحمر
الأزرق منها والأصفر
لكنك يا قمرى الأخضر
أحلى من كل الكلمات
أكبر من كل الكلمات .

أو فى قصيدته (خطاب من حبيبتى) :

هذا خطاب منك
ما أخطأنى شعورى
عرفته من خطك المنمنم الصغير
من حبرك الأخضر . . من أسلوبك الأمير
من رشة النقاط . . فى أواخر السطور
من اسمك النائم . . عنقوداً من العبير
فى آخر الصفحة
عنقوداً من العبير . .

أو فى قصيدته (حبيبتى) التى اتخذها عنوانا لديوانه :

حبيبتى إن يسألوك عنى يوما
فلا تفكرى كثيراً
قولى لهم بكل كبرياء يحبنى كثيرا ...

وينهى نزار هذه القصيدة العرجاء فيقول لا فض فوه :

حبيبـــتى
يا ألف يا حبيبتى
حبى لعينيك أنا كبير
وسوف يبقى
دائما كبير ...

وإنى أدعو أنصار هذا النمط من الشعر الحديث ليدلونى على ما خفى من عبقرية فى هذه الأشعار الخرساء ، فقد تكون فى الزوايا خبايا لا تدركها كل العيون . وإذا كنا نغفر لشاعر مبتدئ مثل هذا التعبير الفج القاحل ، فإننا لا نغفر لنزار قبانى ، وهو الشاعر الذى طبق صيته أرجاء العالم العربى مثل هذا الشعر الأبكم الكسيح ، وإننا فى سكوتنا عنه نجنى على الأدب العربى ، ونجعله يسير فى دروب التفكك والانحلال .

لقد قلنا أكثر من مرة إن هذا النمط من الشعر الحديث يجنى على أصالة الشاعرية فى الشاعر ويجعله يركن إلى السهولة واليسر وينأى به عن التركيز والتكثيف . هذا الشعر المقتبس عن (ايليوت) وأمثاله قد يلائم طبيعة غير طبيعتنا ، وبيئة غير بيئتنا ، ولكنه لا يزدهر فى تربة متوهجة كتربتنا ، فالعرب لم يعرفوا فى أدبهم المطمطن ومضغ اللبان ، وإنما كان كلامهم حكما ، وإيجازا مجنحا ، وكانت قصائدهم أشجارا تنوء بالأثمار .

إن نزار القبانى الذى عرفناه شاعرا يحمل الكلمة ثورته الحية فتنطلق كالسهم إلى أجواز الفضاء، نراه فى أغلب هذا الديوان يزحف على الثرى مثقلا بالقيود، لقد تخلى عن شاعريته الفياضة الحلوة وجنح إلى النثر الركيك، وأخذ ينظم الشئون الصغيرة بذهنه وفكره، لا بعاطفته وقلبه:

شئون صغيرة ...
تمر بها أنت دون التفات
تساوى لدى حياتى
جميع حياتى
حوادث قد لا تثير اهتمامك
أعمر منها قصور ...
وأحيا عليها شهـــور ...

لقد سيطر على نزار حب الغرابة، فراح ينفض السهل والوعر، والسماء والبحر، لم يترك بهار الهند ولا مزارع البن فى البرازيل ولم ينس سجاير شيراز ولا خزف الصين ولا مانجو إفريقيا ولذلك جاء أكثر شعره حافلا بالصنعة والتكلف مما جعل بينه وبين القارئ جدارا كثيفا من الجليد لا يخترق:

يقول فى قصيدته (أوريانتيا):

أوريانتيا
تكونت من رغوة البحار
من نكهة المانجو . .
من الأصداف والمحار
من كل ما فى الهند من طيب، ومن بهار.
أوريانتيا
نهدان واقفان
كقبتى نحاس
فى ذهب المغيب
صحنان صينيان رائعان.
قلعان من لهيب تزودا من آسيا.
بزهرتى غاردينيا.
بعنبر
بفلفل
بطيب
وحبتى زبيب.

رحم الله أحاديث جدتى التى كانت تقصها علينا فى سن الطفولة ففيها كثير من هذا الشعر، الذى يمليه الذهن إملاء دون أى انبثاق من أعماق الوجدان، ودون أى فورة من فوران الشعور.

إنه شعر جامد يعالج الأمور من ظواهرها ولا يتدخل إلى غياهبها حيث الحياة الدافقة، والحرارة المتوهجة.

لقد طوف نزار، بحكم وظيفته الدبلوماسية، فى أقاصى آسيا وأوربا وأمريكا وإفريقيا - ولا أدرى إذا كان بلغ استراليا. وما كان منه إلا أن جمع ما رآه من فتات، هنا وهناك، ليقول لنا بعد ذلك: إنه أبدع قصائد جديدة.

ثم ما هذان البرجان العاجيان أو النهدان كقبتى الواقفان نحاس، أو كصحنين رائعين من الصينى.

الشاعر الحق يجعل الجامد يتحرك ، ويبث فى الميت الحياة فيختلج ، ونزار هنا يمسخ النهدين بقدرة قادر أو شعوذة ساحر فإذا هما قبتا نحاس فى كاتدرائية من كاتدرائيات باريس أو روما - لا أدرى - أو صحنين من صحون الصينى .

أفهذا هو مفهوم التجديد الذى يراه نزار ضروريا للشعر العربى ؟ إن الشاعر القديم الذى شبه قد حبيبته بغصن البان ، هذه الصورة التى أصبحنا نمجها اليوم لفرط ما لاكتها الألسن ، هو عندى أصدق من نزار تعبيرا وأنفذ منه إلى مسارب الحياة والروح .

ثم ما هذا العنبر ، والفلفل والزبيب ؟ أنحن على مائدة الشعر الحافلة بغذاء الروح أم على مائدة أحد المطاعم الفقيرة ؟ .

ويقول نزار ، سائرا على طريقة (سعيد عقل) فى النحت الذهنى والاهتمام فقط بالرنين والشكل الخارجى :

وأنتظر الصوت . صوتك . يهيمن على .
دفيئا . مليئا . قوى .
كصوت ارتطام النجوم .
كصوت سقوط الحلى .

فإذا بشعره فارغ من كل شىء إلا من الرنة الموسيقية ، والمبالغة الممقوتة المتكلفة ، وإلا فما هو وجه الشبه بين صوت حبيبته وصوت سقوط الحلى ، سوى ملء فراغ الروى . إن نزار يلعب هنا بالألفاظ ، ولما لم يجد لديه ما يقوله لجأ إلى هذه البهلوانيات القشرية ، ليوهم الناس بعمقه ، ولا شك أن هذه البهرجة الكاذبة التى لا تمت إلى الشعور بصلة ، لا تخفى على الأذواق المتفتحة ، فنزار هنا قد بز القدامى من أنصار البديع والتحذلق فى عهود الانحطاط الأدبى .

لقد كان نزار قبانى شاعرا يوم كان يستمد لوحاته من طبيعة بلاده ، من طبيعة الشام الضاحكة النقية ، أو من طبيعة جبل لبنان المتبرجة الشذية ، ولما راح يستمد صوره من هونج كونج ، وحانات باريس ومزارع البن فى البرازيل ، فقد الكثير من براءته وعفويته وغنائه .

لقد أعمت الشهرة نزار ، فترك لخياله العنان ، ولم يعد يحسب للقراء أو النقاد أى حساب . حسبه أن يمد يده إلى اسم أحد المسارح (القمر الأخضر) فيقتله ويخاطب به حبيبته قائلا : يا قمرى الأخضر ، وحسبه أن يبث فى شعره الإسفنج والمحار ، والقراصنة ، والتبغ ، والمطر الأسود ، والفلفل والبهار ، على طريقة الشعر الأجنبى الحديث ، ليقول لنا بعد ذلك إنه أتى بشعر رائع جديد .

ألا رحم الله الشعر . . !

[عن الرائد]

الدكتور عارف قياسة

ما يقال عن الإسلام

الإسلام دعوة عالمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

فى العدد الأخير من مجلة « الأزهر » عقبنا على المقالين اللذين نشرتهما مجلة « التاريخ اليوم » الانجليزية للأستاذ سوندرس المحاضر الأول بقسم التاريخ فى جامعة نيوزيلاندة ، وقد جعل عنوان المقالين « الخليفة عمر المستعمر العربى » ، وذهب فيهما إلى أن ابتداء انتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية إنما كان من عمل هذا الخليفة ولم يكن عملا داخلا فى برنامج الدعوة المحمدية .. لأن محمدا عليه السلام لم يفكر فى دعوة أحد غير العرب إلى الإسلام .

وكان موضوع التعقيب أننا أخذنا على الكاتب دعواه هذه وقلنا إنها ، مع حسن النية ، سوء تطبيق لعلم المقارنة بين الأديان ، إلتماسا لوجوه الشبه التى لا وجود لها بين الدعوة إلى الموسوية والدعوة إلى المسيحية والدعوة إلى الإسلام . فإن أتباع موسى عليه السلام قد دخلوا أرض الميعاد بعد وفاته ، وأتباع عيسى عليه السلام هم الذين قاموا بتوجيه الدعوة إلى العالم بعد حصرها فى بنى إسرائيل ، فينبغى على هذا القياس ذهابا مع شهوة المقارنة بين الأديان فى غير موضع للمقارنة أن يكون خلفاء النبى هم الذين نشروا الإسلام بين الأمم غير العربية ، ولم يكن ذلك من برنامج محمد عليه السلام ولا من أصول رسالته إلى قومه .

أما إذا ساءت النيات ، وما أكثر الدواعى إلى سوء النية فى كتابة تاريخ فلسطين .. فقد يفهم من كلام الكاتب أن دخول الإسلام إلى فلسطين إنما كان عملا من أعمال الاستعمار العربى ولم يكن هداية دينية خالصة لوجه الله ، ويرد هذا على الخاطر — قسرا — إذا اطلع القارئ فى العدد نفسه على مقال مسهب عن دخول اليهود إلى فلسطين ، ليتخذوها مأوى لهم وموطنا موعودا من عهد الخليل إبراهيم .

وقد وصل إلينا عدد شهر يونيو من المجلة

الانجليزية فقرأنا فيه تصحيحا لدعوى الأستاذ النيوزيلاندى بقلم الأستاذ أحمد إبراهيم الشريف مدرس الفلسفة بالمدارس الثانوية ، أشار فيه إلى الأدلة الكثيرة التى تثبت دعوة الإسلام العامة ، ثم قال : « إننا إذا تركنا هذه الأدلة جانبا واكتفينا بالنظر فى القرآن الكريم وحده فهناك أكثر من أربعين آية يذكر فيها الله سبحانه وتعالى باسم رب العالمين ، وهذا عدا الآيات التى ذكر فيها بالنص الواضح أنه عليه السلام قد أرسل إلى الناس كافة ، وأن القرآن قد تنزل عليه ليقرأه على الناس».

وقد أحالت المجلة هذا الرد إلى الأستاذ سوندرس فعاد يقول إن هناك أدلة تفيد أن محمدا (صلوات الله عليه) قد أراد بدينه أن ينشر على الناس ، كما أن هناك أدلة أخرى تفيد أنه لم يفعل ذلك ، فهى إذن مسألة من مسائل الشك لا يقطع فيها بأى القولين .

قال : « أما إن محمدا قد آمن بأن الله هو إله الجميع فليس محل مناقشة ولكنه ليس بموضع البحث فيما نحن بصدده ، ولنا سند من القرآن نفسه حيث ترد الآيات التى يمكن الاستدلال بها على القولين ، فقوله فى أول سورة الفرقان « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » قد يقابله فى سورة القصص قوله : « ... لتنذر قوما ما آتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون »

وهو يشير — كما هو واضح — إلى العرب، ومثله قوله فى سورة الشورى : « وكذلك أوحينا إليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه » فإنه يدعو إلى التساؤل عن القرآن العربى هل يخاطب به أناس غير المتكلمين بالعربية .

قال : « إن الأوربيين المتخصصين للإسلاميات ينقسمون انقساما شديداً فى هذه المسألة . فإن موير يرى أن الدعوة من البداية إلى النهاية كانت دعوة للعرب وحدهم ولم يدع بها أحد غيرهم ... ولكن نولدكه وجلدزيهر وأرنولد وكلهم ثقات — يقولون إن محمداً عليه السلام أراد بدينه منذ أوائل الدعوة أن يكون ديناً عالمياً ولم يرد به أن يكون مجرد عقيدة وطنية محلية ، ونقول: إنه لو كان قد ثبت أنه كتب إلى هرقل وملك الفرس وغيرهما من الملوك يدعوهم إلى الإسلام لانتفى الشك بالواقع . ولكن آراء الباحثين — مع الأسف — لا تميل إلى قبول هذه الأخبار ، وومونتغومرى وات يقول إن هذه القصة لا يمكن أن تقبل على حسب هذه الروايات » .

ثم ختم جوابه على تعليق الأستاذ الشريف قائلا: « وعندنا صعوبة كهذه فى أمر المسيحية. فهل كان المسيح عليه السلام ينظر إلى نفسه كأنه صاحب ديانة جديدة كما جاء فى متى حيث

يقول : إذهبوا وعلموا جميع الأمم ؟ أو كان ينظر إلى نفسه كأنه مصلح لليهودية ليس إلا وأنه ما جاء إلا لهداية خراف إسرائيل الضالة ؟ . وأحسب أنني أمام هذا الخلاف قد كنت متحرزاً حيث قلت : إن البرهان القاطع غير موجود » .

والأمر البين بعد قراءة هذا الجواب أن الأستاذ لم يكن متحرزاً كما قال فى ختام جوابه ولكنه — كما قدرنا — قبل الاطلاع على هذه المقارنة بين الدعوة المسيحية والدعوة المحمدية فى كلامه الأخير كان منساقاً مع إغراء المقارنة فى غير موضع للمقارنة ، فلم يظهر له الفارق الشاسع بين موقف الخلفاء من الدعوة المحمدية وموقف بولس الرسول وإخوانه من الدعوة المسيحية ، فإن بولس وإخوانه لم يكن فى وسعهم أن يبشروا اليونان والرومان بمسيح منتظر فى بنى إسرائيل لخلاصهم واستعادة ملكهم الذى قضى عليه الرومان أنفسهم ، فلا جرم تتحول الدعوة من إسرائيلية إلى عالمية لهذه الضرورة التى لا محيص عنها ، وليست هناك مشابهة قط بين الدعوة الخاصة ببنى إسرائيل وبين الدعوة إلى الناس كافة كما وردت فى القرآن الكريم بذلك الوضوح الذى فهمه الكاتب ولم يستطع أن يتجاهله فى جوابه على اعتراض الأستاذ الشريف .

فهذه هى الثغرة التى نفذ منها خطأ القياس إلى رأى الأستاذ النيوزيلاندى مع تقدير حسن النيه فيما قرره من حصر الدعوة الإسلاميه بين أبناء الجزيرة العربية .

ولسنا نرى دليلا على التحرز — ولا على الجد — فى استناد الكاتب إلى نزول القرآن باللغة العربية لتعزيز حجته على تخصيص الإسلام بمن يتكلمون اللغة العربية ، إذ كيف كان يريد أن تكون الدعوة إن كانت عالمية إنسانية ولم تكن مقصورة على المتكلمين بلغة الرسول ؟ إنه يمنع بذلك أن توجد فى العالم دعوة عالمية إنسانية على الإطلاق أو يفترض فيمن كان يرسل بهذه الدعوة أن ينطق بألسنة الناس أجمعين .

ولا نحسب قراء الأستاذ النيوزيلاندى قد استفادوا شيئاً من اليقين أو الترجيح بما استشهد به من أقوال المختلفين على عموم الرسالة المحمدية أو خصوصها بين زملائه المستشرقين بل كل ما يستفيده القارئ المطلع من وقوع هذا الخلاف أن أناسا غير قليلين بين « جهابذة المستشرقين » يقرءون الكتاب المبين ولا يستبينون منه أظهر معانيه ، بل أظهر كلماته ، التى لا تحتاج إلى مراجعة من أخبار الإسلام أو أخبار التواريخ .

فإذا كانت كلمة الناس كافة تحتمل اللبس فى أذهان هؤلاء المستشرقين لسبب من أسباب

التأويل فى اللغة أو فى المنطق فما هو اللبس فى وصف العباد الذين تكرر الخطاب بإنذارهم ودعوتهم إلى الدين ؟ .

إننا نذكر من وصف هؤلاء العباد فى الكتاب العربى مثلا واحدا وهو قوله فى خطاب النبى بالعربية :

« قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلال . الله الذى خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بأمره وسخر لكم الأنهار . وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار » .

فمن يقرأ وصف هؤلاء العباد الذين سخر لهم البحر وسخرت لهم الأنهار وسخر لهم الليل والنهار لا يخطر له لحظة أنهم أبناء الجزيرة العربية دون غيرهم من بنى الإنسان فى جميع البلدان .

وإذا كان عرب الجاهلية قوما لم يأتهم نذير من قبل فالدين الذى جاء به صاحب الدعوة المحمدية يعم المتدينين الذين سبقت إليهم الرسل ويقوم النبى العربى بالدعوة إليه ليظهر على الدين كله : « هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » .

وأيا كان القول فى اللغة التى تكلم بها النبى ، وفى صلاح هذه اللغة للدعوة العالمية ، فإن النوع الإنسانى يشمل أم القرى وماحولها ولا تعتبر هداية أهلها عزلا لهم عمن عداهم من الناس ، إذ كان خطاب الناس كافة يمنع أن يكون الخطاب مقصورا على أم القرى ومن حولها ولكن خطاب أم القرى ومن حولها لا يمنع أن يعم الناس أجمعين .

وبعد ، فكيف يسيغ العقل أن يكون صاحب الدعوة المحمدية خاتم النبيين إذا كانت رسالته مقصورة على قوم لم يأتهم من قبل نذير .

إن طائفة من المستشرقين تسيغ مالا يسيغه العقل فى أمر القرآن وأمر الإسلام ، ولا نحب أن يشيع لأحد من هؤلاء قول مسموع فى العصر الحاضر ، لأننا نقرأ لغيرهم من فضلاء الأوربيين المحدثين صفوة من الآراء السديدة فى الإسلام ونبيه ، ينزهونها عن هوى الاستعمار والتبشير ما استطاعوا ويحسنون بها إلى قرائهم وقراء العربية غاية إحسان العالم الأمين على علمه ، وليس من هؤلاء — ولا ريب — من يذكر الخليفة الفاروق اليوم فلا يعرف له صفة إلا أنه مستعمر قديم ؟

عباس محمود العقاد

آراء وأحاديث

مؤتمر أديان لإقرار السلام :

استقبل الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر السيد / سوامى باسكرانند ـ الفيلسوف الهندى .

وقد دار الحديث حول عقد مؤتمر تمثل فيه جميع الأديان للعمل على إقرار السلام فى الأرض والحث على التعاون والمحبة والمساواة بين البشرية جمعاء دون تمييز بين جنس ولون .

وقد صرح الزائر للإمام الأكبر بأنه كلما قدم مقترحه لدولة إسلامية اشترطت لعقد المؤتمر موافقة الأزهر .

ثم قال : وقد دفعنى ذلك إلى لقاء الإمام الأكبر ، وزيارة الأزهر ، وها أنا ذا قد سعدت بأن أتيحت لى هذه الفرصة .

فشكر له الإمام الأكبر مشاعره الطيبة واقتراحه ، ووعده ، ببحث الموضوع قريبا والاتصال به بعد ذلك .

ثم أبرز له فضيلته المبادئ السامية التى يدعو إليها الأزهر قائلا : إن الأزهر يدعو إلى الله ، والسلام ، والخلق الكريم ، والرحمة والتعاون ، والعطف على الفقراء والمساكين يدعو إلى كل خير يحبه الله .

هذا الأزهر يرحب بالفيلسوف الهندى ، ويسره أن يضع يده فى أيدى جميع الفلاسفة لنشر مبادئ الإسلام فى أنحاء الأرض .

ثم تلا قوله تعالى: « ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجرا عظيما » .

ثم قال فضيلته : ومن يمت نفسه فى سبيل هذه المبادئ فهو حى على الإطلاق .

إن كل الرسالات السماوية تدعو الى ذلك ، وكلها تلبية للطبيعة الإنسانية ، والإنسان بنفسه معترف بربه ، حتى ولو عاش فى الجبل فإنه يعترف بوجود ربه ، ويكفى الإنسان فى الإيمان التأمل فى هذا الكون .

قال الزائر ـ إنه لمن عظيم سرورى أن أسمع ذلك من فضيلتكم ، وسيسعدنى أن أعمل على ضوء هذه المبادئ وسأستنير بها فى جميع غدواتى وروحاتى .

فقال الإمام الأكبر ـ إنها لفرصة طيبة أن اقترنت زيارتكم لنا بأعظم حادث فى تاريخ الأزهر ، وهو إعادة تنظيمه حتى ليؤدى رسالته كاملة للدين والدنيا .

الأستاذ الأكبر يستقبل زعيم المسلمين فى مونتريال :

استقبل الإمام الأكبر بمكتبه السيد/ محمد حبيب الله خان زعيم المسلمين فى مونتريال بكندا . وقد حضر المقابلة الأستاذ الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلامية ، والأستاذ أحمد نصار مدير مكتب شيخ الأزهر .

وقد حضر الزائر إلى القاهرة فى طريق عودته إلى كندا بعد أن أدى فريضة الحج هذا العام ، وزار الأزهر ليقدم إلى الإمام الأكبر خالص تحيات المسلمين فى كندا ، وبخاصة فى مونتريال ، ورغباتهم فى أن يعمل الأزهر على مساعدتهم فى إقامة مسجد بمونتريال وإيفاد إمام من الأزهر له يقوم بتدريس اللغة العربية والدين الإسلامى .

وقد أوضح الزائر أن عدد المسلمين فى مونتريال يبلغ ثلاثمائة مسلم ويأسف إذ ليس لهم مكان مخصص لإقامة الشعائر الدينية التى يؤدونها مؤقتا فى إحدى الكنائس ، كما ذكر الزائر أنهم يبذلون جهدهم لتعليم أبناء المسلمين هناك اللغة العربية عن طريق إنشاء مدرستين إحداهما للكبار والأخرى للصغار .

ثم قال السيد الزائر : إنه لما كان لهؤلاء المسلمين رغبة شديدة فى النهوض بمستواهم الثقافى الإسلامى فإنه يحمل هذه الرغبة إلى الإمام الأكبر وكله ثقة فى أن يحققها الأزهر لهم .

وقد رحب فضيلته برغبة السيد الزائر ، ووعده بأن يعمل على تحقيقها بكل الوسائل الممكنة .

ثم أكد له فضيلته أن الأزهر على استعداد لمعاونة المسلمين فى أنحاء العالم وبخاصة مسلمو مونتريال بكندا لإنشاء المساجد ، ومدهم بالمدرس والكتاب .

كما ذكر له فضيلته أن الأزهر سيعمل على الاتصال بالجامعة العربية لمنحهم ما يمكن من مساعدة من جانبها .

وقد أهدى فضيلته إليه وإلى زوجته ، التى كانت ترافقه بعض مؤلفاته ، وبعض الكتب الثقافية باللغة الانجليزية وحمله خالص تحياته وتمنياته الطيبة إلى جميع المسلمين فى كندا .

ومدير عام الأوقاف فى باكستان :

واستقبل فضيلته السيد أبو الحسن قريشى مدير عام الأوقاف فى باكستان يرافقه السيد إسماعيل كشميرى المستشار الصحفى فى سفارة باكستان .

وقد دار الحديث حول العلاقات الثقافية بين الأزهر وباكستان كما طلب من فضيلته أن يوفد الأزهر مبعوثا دينياً لتوجيه الأئمة

والوعاظ في باكستان توجيهاً فنياً في مضمار الوعظ والإرشاد ليستطيعوا القيام بهذه المهمة على خير وجه. فرحب الإمام الأكبر بهذه الرغبة، وأجاب الزائر بأن الأزهر سيعمل على تحقيق ذلك في أقرب فرصة، كما وعده بالعمل على إيفاد من يحتاجون إليه من العلماء الذين أعدوا إعداداً كاملا في الأزهر، وما يحتاجونه من الكتب الثقافية الإسلامية.

وأوصاه بأن يعمل على تعميم اللغة العربية في باكستان حتى تكون لغة التخاطب والتفاهم بين المسلمين، وحتى يمكن تفهم كتاب الله وسنة رسوله، باللغة العربية، لغة القرآن، وأسف فضيلته أن تكون اللغات الأجنبية وسيلة تفاهم بين المسلمين.

ثم قال فضيلته: ولو أن المسلمين وضعوا نصب أعينهم دراسة اللغة العربية لأدركوا مدى قيمة هذا العمل في كل ما يتعلق بشئون دينهم ودنياهم.

وقد أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته وحمله خالص تحياته وتمنياته الطيبة لجميع إخوانه الباكستانيين.

تكريم الأزهر لممثلي الجاليات الإسلامية بالولايات المتحدة، وكندا:

زار ممثلو اتحاد الجاليات الإسلامية بالولايات المتحدة، وكندا الجمهورية العربية المتحدة بمناسبة عيد الثورة التاسع، وأقام الأزهر ندوة لهؤلاء الضيوف في قاعة المحاضرات الكبرى بالأزهر صباح الثلاثاء ١٨ / ٧ / ١٩٦١ تناولت البحث في بعض الشئون الإسلامية، وما يتعلق بحاجات المسلمين في تلك البلاد.

وألقى فضيلة الأستاذ الأكبر في هذه الحفلة الكلمة التالية:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الذين اتبعوا النور الذي أنزل معه.

أبنائي وإخواني:

إن الأزهر الذي مكث عشرة قرون كاملة يبحث كتاب الله، يستنبط منه أحكام الشريعة وينشر إرشاداته في النظر إلى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء.

إن هذا الأزهر يحييكم اليوم ويرحب بكم، ويمد يده إليكم باعتباركم أبناء من أبنائه وأنصاراً من أنصار دعوته، وليس من اختلاف الأماكن وجهات الإقامة في نظر الإسلام أن تختلف الأهداف والغايات.

فغاية المسلمين جميعا وأهدافهم في كل الأقطار واحدة، ونظرة الإسلام إليكم وأنتم

فى أمريكا وكندا هى نظرته اليكم وإلى غيركم من أبنائه فى أوربا ، وآسيا ، وإفريقيا ، واستراليا ، فالكل أبناؤه تجمعهم عقيدة التوحيد ورسالة محمد صلى الله عليه وسلم وعقيدة اليوم الآخر ، وهذا هو المحور الذى يدور حوله المسلمون جميعاً ويعتدون به ، وهو حبل الله الممدود من السماء إلى الأرض الذى ربط الله به المسلمين بعضهم ببعض ، وجعل الإيمان به والعمل بأحكامه طريقاً من طرق السعادة الإنسانية فى الدنيا والآخرة .

هذا الحبل هو دين الله (الإسلام) الذى ليس لله دين سواه . وقد سجل تعالى هذه الحقيقة فى كتابه فقال تعالى: « إن الدين عند الله الإسلام » ونفى أن يقبل الله غير الإسلام ديناً فقال « ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين » .

هذا هو الإسلام الذى يربط بين أبنائه ويجعلهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى — ليجعلنا — ونحن هنا وأنتم فى دياركم — نشعر جميعاً بألم إخواننا فى فلسطين وفى الجزائر وفى عمان وفى البحرين . بل يجعلنا نشعر بألم كل مكافح فى سائر أنحاء الأرض ، فنشاركه ونعاونه فى جلب سرائه ودفع ضرائه .

إخوانى وأبنائى : إن الأزهر بهذه الاعتبارات كلها يرحب بكم ويمد يده إليكم وبخاصة فى هذه الآونة التى يقف فيها على باب تنظيم جديد ، يقرب بين عقليات المثقفين من أبناء الأمة الإسلامية ، ويفتح لأبنائه كثيراً من أبواب الحياة العلمية ويبسط أمامهم الكون وما حوى من سموات وأرض وماء وهواء ؛ فيعرفون أسرار الله فيها ويستخدمون سننه فى النهوض بالبشرية وسعادة الناس ، كما يفتح أمامهم أبواب استنباط أحكام الإسلام من كتاب الله وسنة رسوله ، وبذلك كله يعود إلى الأزهر الفقهاء المشرعون ، والأئمة المجتهدون ، والفلاسفة الباحثون ، والعلماء المخترعون وأئمة اللغة العربية لفهم كتاب الله وسنة الرسول .

لذلك كانت زيارتكم للأزهر حادثا جللا سيكون له فيما يأتى أعظم الذكريات فى حياة هذه الجامعة الجليلة التى تعتبر أقدم الجامعات التى نهضت بالإنسانية .

هذا الأزهر يحييكم ويرحب بكم ويعتبر هذا الاجتماع أداة ربط قوية بين مسلمى أمريكا ، وكندا ، وبين شعب الجمهورية العربيه المتحدة . وذلك كله بفضل السيد الرئيس العظيم جمال عبد الناصر الذى تبنى الأزهر ونظر إلى سائر الجماعات الإسلامية نظرة الأخ لإخوانه — حقق الله لنا وله

الآمال وسدد خطاه وأنار لنا وله طريق العمل من أجل الإسلام والإنسانيه جمعاء .

والسلام عليكم ورحمه الله وبركاته .

وفى مساء اليوم نفسه أقام فضيلته حفل عشاء لتكريمهم فى نادى الشرطة بالجزيرة .

الإمام الأكبر يستقبل

رئيس وزراء نيجيريا الشمالية

استقبل فيضلته السيد الحاج أحمدو بللو رئيس وزراء نيجريا الشمالية ، وقد حضر المقابلة بعثة الشرف وكبار رجال الأزهر ، وقد رحب به فضيلة الإمام الأكبر قائلا :

« إن الأزهر يرحب بكم ، ويسعده أن يضع يده فى أيديكم للعمل من أجل الإسلام والمسلمين ولخدمة التراث الإسلامى . لقد احتفظ الأزهر باللغة لجمع شمل العرب ووحد كلمتهم وحمل رسالة محمد بن عبد الله ، واحتضنها أكثر من ألف عام مكن الله له فيها ليكون مصدر علم ونور ومعرفة وأمل باسم المسلمين فى أنحاء الأرض ، ثم كان من فضل الله عليه أن جعله معينا لا ينضب ومنهلا عذبا ومصدر أمن واستقرار ، ينشر فى الأرض ألويته فى كل مكان وجد فيه . فهو مصدر الإشعاع الفكرى الذى بزغت شمسه ، وشع ضياؤه على الآفاق جميعا .

والأزهر بعد هذا حصن اللغة العربية ومصدر قوتها ، وروح نهضتها وأقوى العوامل على بقائها شابة فتية صامدة أمام الأحداث والحوادث التى تضافرت عليها ، وهى لغة القرآن ، دستورنا القويم ومنهاج أمتنا الواضح . إذ أنه الدستور الذى سار عليه الرسول صلى الله عليه وسلم فى كل مواقفه ، والذى سار عليه المسلمون فى كل العصور المتعاقبة فكان لهم مصدر القوة ، وأصل الرخاء ، ومبعث الحرية ومنار السلم والسلام.

يجب أن تعنى الأمة الإسلامية بدراسة اللغة العربية لتستطيع تفهم كتاب الله وسنة رسوله . وهذا الأزهر يرحب بكم ويفتح ذراعيه لاستقبالكم .

قال السيد رئيس الوزراء : « إننى أشكر لكم جهودكم ومشاعركم ، وأنا جد آسف لأن كثيراً من مواطنى فى نيجيريا يقرءون القرآن بالعربية ولكنهم لا يفهمونه ، نتيجة للاستعمار البغيض ، ونرجو أن نعمل على إزالة أسباب ذلك .

ويسرنا أن يفتح الأزهر بابه لنا ولأبنائنا ، ليعودوا حاملين لواء العلم ، وينشروه بين أهليهم وذويهم . ثم أضاف : « إن الأزهر ليس مقصوراً على العرب

ولكنه جامعة لكافة الشعوب الإسلامية ، وسأبعث بأولادى وأحفادى للدراسة فى الأزهر الذى أعتبر نفسى جنديا من جنوده ، وبخاصة بعد أن عرفت مدى الإصلاح والتنظيم الذى سيأخذ بيده إلى الأمام قرونا طويلة . وإننى إذ أشكركم الآن على هذه الحفاوة أعدكم بأن يشكركم أبنائى من بعدى على اهتمامكم بهم » .

فقال الأستاذ الأكبر :

« إن مهمة الأزهر أن يشرح الإسلام المسلمين وأن يعمل من أجلهم ، إنه اليوم قد اتسع نطاقه فأدخل علوم الدنيا بجانب علوم الدين ، وفتح باب الكون على مصراعيه أمام طالب الأزهر ، ويسره أن يستقبل أبناءكم وأحفادكم ليعودوا رسل خير ورخاء لبلادهم .

وقد طلب السيد رئيس الوزراء من فضيلته أن يعمل الأزهر على إيفاد مبعوثين من الأزهر يختارهم فضيلته بنفسه لنشر الثقافة الإسلامية فى نيجيريا .

كما دعا فضيلته رسميا لزيارة نيجيريا لأنهم فى شوق للقائه . وقد وعد فضيلته أنه سيعمل فى الحال على إيفاد المبعوثين إلى بلاده وسيختارهم بنفسه . كما قبل فضيلته الدعوة لزيارة نيجيريا .

ثم أهدى إليه فضيلته كتاب الله قائلا : « هذا عهد الله بينى وبينكم العمل من أجل الإسلام ومبادئه ، كما أهدى إليه مؤلفاته » .

ثم أهدى فضيلته إلى جميع مرافقيه كتاب الله ، ومؤلفاته . وقال : « إن الأزهر ليشيد بكل فخر وتقدير بالجهود التى يبذلها الرئيس جمال عبد الناصر للأخذ بيده ودعم كيانه وإعادة تنظيمه ليكون بحق مثل المسلمين الأعلى ليحقق امالهم فيه ويرضى رغباتهم ويمكن لهم من الدين والدنيا .

ويدلى بحديث فى قوانين الأزهر الجديدة لمراسل جريدة أمريكية :

واستقبل فضيلته بمكتبه مستر توم استريتهورست مراسل جريدة نيوزويك الأمريكية . الذى تقدم بعدة أسئلة عن قانون تنظيم الأزهر الجديد . وقد صرح له فضيلته بأن الهدف من تنظيم الأزهر هو خدمة الإسلام والإنسانية بتزويد العالم الإسلامى والوطن العربى بعلماء متفقهين فى الدين يجمعون إلى الإيمان بالله والثقة بالنفس وقوة الروح كفاية علمية وعملية ومهنية لتأكيد الصلة بين الدين والحياة .

كما أجاب فضيلته عن سؤال وجهه إليه المراسل عن دور الأزهر فى خدمة القومية العربية فقال : « إن الأزهر يعمل على نشر مبادئ الإسلام وينادى بدعم السلام فى أنحاء الأرض وتأكيد الحريات ويدعو

إلى الوحدة والتعاون ، ورد الظلم والطغيان . وهو بهذا يخدم القومية العربية » .

كما سأل المراسل عن مدى اهتمام الرئيس جمال عبد الناصر بالأزهر ، فأجاب فضيلته : « إن الرئيس يعرف حاجة بلاده ، ويعمل جاهداً لتحقيق الأهداف التي تخدم الإسلام والوطن العربي والإنسانية جمعاء ، ولذلك أصدر قانون الأزهر ليمكن هذه الجامعة العتيقة من أداء مهمتها كاملة على أساس من كتاب الله وسنة رسوله في العلم والدين » .

كما سأل الزائر فضيلته عن المشكلة التي تعترض طالب الأزهر عندما يلتحق بالكليات الجديدة ، وأجاب فضيلته بأن الأزهر سيهيئ للطلاب برامج إعدادية وتوجيهية حتى يتمكنوا من متابعة هذه الدراسات ، وسأل الزائر عما إذا كان لقب « الإمام الأكبر » يعني مسئولية جديدة ، وأجاب فضيلته بأنها نفس المسئولية لخدمة الدين والثقافة الإسلامية وتتناول نواحي الإشراف العام والتوجيه والإرشاد والتربية . وسأل الزائر عما إذا كان إصدار هذا القانون قد وجد معارضة من الأزهريين . فأجاب فضيلته بأن كل جديد له مادح وقادح ، ولكن معظم الأزهريين يرحبون بهذا القانون لأنه سيخدم العالم الإسلامي في جميع الميادين بجانب التفقه في الدين ، ويوم يفهم هؤلاء القلة مزايا

(البقية على الصفحة التالية)

هذا التنظيم فإنهم سيعضدونه بكل قلوبهم ومشاعرهم .

* * *

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر السيد محمد المتوكل أمير المسلمين في غانا . وقد حياه فضيلة الأستاذ الأكبر قائلا له : « إن المكان العلمي الأول الذي يتجه إليه المسلمون إنما هو الأزهر فمرحباً بك في هذا المكان ، وأنا مسرور معجب بك إذ تتكلم العربية وهو أحب شيء إلي ، لأن المسلمين جميعاً يجب أن تكون لهم لغة واحدة هي اللغة العربية التي نزل بها القرآن ، وأنا أعتبر أن الذين يبقون على لغة غيرها أو يقفون عليها دون تعلم اللغة العربية ، إنما يكونون ظلا للاستعمار . ونحن نكره الاستعمار ونبغضه والأزهر الذي ظل حصنا للغة العربية والشريعة الإسلامية ألف عام وعشرين يمد يده لكل مسلم بالمدرسين والكتاب ليعلمه لغة نبيه ولغة القرآن الذي أنزله الله على رسوله . ثم قال فضيلته : « يجب أن نهجر الاستعمار في لغته وفي حكمه وفي عقيدته ، فقد خلق الله المسلم مستقلا يقف على قدميه بنفسه لا يحتاج إلى من يكون سيداً له ، إنما هو سيد نفسه ، وأمير نفسه ، فنحن نريد أن يشعر بهذا كل مسلم سواء . أكان حكما أو محكوما . نريد أن يقدر المسلم

بريد المجلة

على بريد أريس :

كتبت هذه المقالة لتنشر فى العدد الممتاز من الصحيفة الحجازية (المدينة المنورة) لصاحبها الأستاذ على حافظ ثم نقلتها مجلة الأزهر عنها .

أسئلة علمية وأجوبتها :

اطلعت فى جريدة « بريد الصومال » على إجابات عن أسئلة وجهت إلى السيد حاج علم عبد الله درر خادم الصوفية ، والسائل هو السيد جامع عمر عيسى السلفى . والسائل يريد أن يقف على الحق فيما سأل عنه ، ولكن إجابة المجيب لم تكن سديدة ولا موفقة .

وهأنذا أنقل للقراء الأسئلة والإجابة عنها ثم أعقبها بالجواب الصحيح .

١ — قال المجيب : أما سؤالكم هل الموتى يسمعون دعاء من يدعونهم ؟ فإنهم يسمعون بدليل ما فى الصحيحين لما قتل صناديد قريش فى يوم بدر وقف عليهم رسول الله وقال يا فلان بن فلان ويا فلان ابن فلان فإنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً . قال : فقال عمر : إنهم أجساد بلا أرواح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم .

البقية على الصفحة السابقة

كرامته ويعرف رسالته فى الحياة فلا يدين لغير الله ولا يستعين إلا به مصداقاً لما يقرأه فى كل يوم مرات ومرات « إياك نعبد وإياك نستعين » .

قال السيد الزائر : « إننى يافضيلة الأستاذ الأكبر سمعت من آبائى أنه لا ينبغى لأحدنا أن يأخذ عن المستعمر لغة أو حكما ، وكنت لا أفهم سر هذا ولا معناه ، وكنت لا أعى الحكمة من هذا ، ولكننى الآن وبعد أن استمعت إلى حديثكم تبينت لى الحكمة ووضح المقصود ، وسأحمل هذا إلى المسلمين فى غانا أبشرهم به لندعم استقلالنا ونبنى نهضتنا على أساس من الفهم الواعى والمبادىء المستقلة ثم أهدى الأستاذ الأكبر للسيد الزائر القرآن الكريم وبعض مؤلفاته .

الجواب الصحيح :

والحق أن سماع الموتى من الأمور الغيبية التى لا تثبت إلا بنص قطعى والحديث الذى أورده المجيب أنكرته الصديقة بنت الصديق كما جاء فى صحيح البخارى وقالت : إنما قال إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق ثم قرأت : « فإنك لا تسمع الموتى » ، « وما أنت بمسمع من فى القبور » . وعلى فرض صحة هذا الحديث فإن هذه حال خاصة لا يصح القياس عليها ولا تبنى عليها عقيدة . وقد قال قتادة كما فى صحيح البخارى : أحياهم الله حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيراً ونقمة وحسرة وندما .

فالحق أن الموتى لا يسمعون دعاء من يدعوهم من الأحياء بدليل قول الله تعالى « فإنك لا تسمع الموتى » ، « وما أنت بمسمع من فى القبور » وإذا ثبت بنص القرآن الكريم أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يسمعهم فإن غيره أحق ألا يسمعهم

٢ — وأجاب المجيب عن سؤال السائل : « إذا قال قائل عجل لى بحاجاتى هل يدعو غير الله أم لا : إن قول الشخص : يا فلان جدلى بمرادى داخل فى التوسل إلى الله وصرف النداء إليه مجاز والمعنى يا فلان أتوسل بك إلى ربى أن يجود بمرادى فالمسئول حقيقة هو الله وإنما أطلق الاستغاثة بالنبى أو الولى وهو جائز شرعا وعرفا . والدليل قوله تعالى : « وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله » فأسند إليه إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى . وذلك من باب المجاز كأنبت الربيع البقل . وكقوله تعالى : « وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم » .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كلها فاسدة أتم فساد فإذا قال شخص لميت من الموتى : جد لى بمرادى أو عجل لى بحاجاتى أو أنت اعتمادى أو أغثنى يا غوث كان داعياً غير الله وسائلا غير الله . وهذا أمر فى غاية الوضوح ، ومحاولة تصحيحه محاولة لتصحيح الباطل . وقد نهى الله سبحانه وتعالى عن سؤال غيره ودعاءه فقال : « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا سألت فاسأل الله » .

وقد نعى الله سبحانه وتعالى على من يدعون غيره بقوله : « إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم » وقال تعالى : « له دعوة الحق ، والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه » وقال تعالى : « إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له » ، وقال تعالى : « ومن

أضل ممن يدعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة ، وهم عن دعائهم غافلون » .

وأى مجاز هـذا الذى يتمحله ؟ والعامة لا يعرفون المجاز ، ولم يدرسوا فن البلاغة فإذا قالوا : يا فلان جد لنا بكذا فإنهم يقصدون حقيقة ما يقولون ويعتقدون أن هذا المدعو يستطيع أن يجيبهم إلى ماطلبوا ولولا ذلك ما دعوه .

ومن الافتيات على شريعة الله أن يقول المجيب : إن التوسل بالأشخاص جائز شرعاً وعرفاً . والاستدلال بقوله تعالى : « وأبرئ الأكمه والأبرص » استدلال غير صحيح إذ لا صلة للآية الكريمة بهذا الموضوع .

٣ — ثم قال المجيب : وأما سؤالكم هل يجوز سوق الهدايا إلى القبور وذبحها (عندها) ؟ وهل يكون ذبحها لوجه الله أو لغير الله ؟ وهل لحمها حلال أو حرام ؟ .

فالجواب : إن ذبحها مسلم أو كتابى ذبحاً شرعياً فهى حلال إن لم تذبح باسم الطواغيت وأما سوقها إلى القبور فهو تقرب إلى الله لأن الزائرين يقصدون الذبح لله وحده ويتصدقون بلحمها على حب الشيخ الولى . .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كلها مغالطة وتضليل ، فإن الذبح الشرعى هو ما تراعى فيه شروطه ، ويراد به أحد أمرين : إما أكله وإما التصدق به أو ببعضه بغير أن يكون للولى أو للقبر دخل فى ذلك .

أما سوق الذبيحة إلى قبر الولى فهو قرينة واضحة تدل على أن سائقها لا يقصد بذبح ذبيحته إلا التقرب إلى هذا الولى الذى يذبح له . وتكون هذه الذبيحة من قبيل ما ذبح على النصب . ولا يحل أكل لحمها شرعا ، بل هى كالميتة ولحم الخنزير ولو ذكر اسم الله عليها عند ذبحها كما لا يحل أكل لحم الخنزير ولو ذكر اسم الله عليه .

والقاعدة الأصولية تقرر أنه إذا تعارض المانع والمقتضى يقدم المانع . والمانع هنا قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله » وقال : « حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به — إلى أن قال — وما ذبح على النصب [1] » .

والمقتضى قوله تعالى : « وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم » .

وإذا كان الذابح يقصد الذبح لله وحده كما يقول المجيب فلم يسوق ذبيحته إلى قبر الميت ؟ ولم لا يذبحها فى بيته مثلا ؟ ولم يتصدق

---

(١) النصب كما قائم أمام الحجرة التى فيها الصنم تذبح عليه الذبائح التى يتقرب بها إلى الصنم وهو مربع يحيط به مجرى يجرى فيه الدم وبه ثقب ينزل منه الدم ليتلقى فى إناء ويقذف به فى الخارج .

بلحمها على حب الشيخ ؟ ولم لا تكون صدقته على حب الله ؟ وفى سبيل الله وابتغاء مرضاة الله ؟ .

٤ — ويقول المجيب للسائل : أما سؤالكم هل كانت هذه الطرق الصوفية المنتشرة اليوم بين الناس موجودة فى عهد رسول الله أو عهد الخلفاء الراشدين او عهد التابعين أو عهد الأئمة الأربعة ؟ نعم كانت هـذه الطرق الصوفية موجودة فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم فيما روى فى الحديث أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه رقص بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم لما قال له : أشبهت خلقى وخلقى ، وذلك من لذة الخطاب ولم ينكر النبى صلى الله عليه وسلم ، وأيضا فإن الجنيد البغدادى كان فى زمن الخلفاء العباسيين وثبت فى محكمة قضاتهم أنه أهل الله وأن الشافعى وأحمد بن حنبل لقيا شيبان الراعى فقال الشافعى : أنا أسأل هذا الصوفى مسألة من الفقه فقال أحمد : لا تسأله فقال : لا بد . فقال : يا شيبان من نسى إحدى (صلوات) الخمس ولم يعرف عينها كيف يفعل ؟ فقال : قلوب غفلت عن الله وجب تأديبها بقضاء (الكل) ، (فغشى) الشافعى فقال أحمد : ألم أقل لك ؟ اهـ .

الجواب الصحيح :

وأقول إن كل هـذه الإجابة بنجوة عن الحق ، وكلمة (تصوف) نفسها كلمة لا علاقة لها بالإسلام . ولا نجدها فى كتاب الله تعالى ولا فى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا فى قول صاحب من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وإنما دخلت فى الإسلام بعد ترجمة كتب اليونان إلى العربية فى عهد العباسيين ، وكلمة صوف Sophi يونانية الأصل ، وقد نقلها اليونان عن العجم وكانت تستعمل لقبا لملك العجم وتطلق على الحكيم والتقى فى لغتهم ، وقد يضيفون إليها مقطعا آخر فيقولون تيوصوفى (Theosophi) ومعناها عندهم الاعتقاد بالاتحاد بالله ، أى وحدة الوجود التى يقول بها المتصوفة .

ومهما يكن من أمر فهذه الطرق لم تكن فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا فى عهد الخلفاء الراشدين ولا فى أيام القرون الخيرة .

ورقص جعفر بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم - إن صح - لا علاقة له بالطرق الصوفية ولا يصح دليلا على وجودها فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ولا على جوازها .

٥ — ثم قال المجيب : وأما سؤالكم هل من الناس من يعلمون الغيب ؟ فاعلموا .

قال الله تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول » فأثبت الله لرسله علم الغيب بدليل الآية

الكريمة وكذلك الأولياء يلهمهم الله وقوع بعض الوقائع فى المستقبل ويدل على صحة ذلك ما روى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس ملهمون من غير أن يكونوا أنبياء وإن يكن فى أمتى أحد فإنه عمر بن الخطاب) أخرجه البخارى .

الجواب الصحيح :

وهذه الإجابة كسابقاتها كلها مغالطة فإن الرسل لا يعلمون الغيب علماً ذاتيا تلقائيا . وإنما يعلمون ما أخبرهم الله تعالى به بطريق الوحى للآية الكريمة . وقياس الأولياء على الرسل خطأ لأن الرسل يوحى إليهم والأولياء لا يوحى إليهم ، وقد أخبر رب العزة فى كتابه الكريم أن علم الغيب من خصائصه تعالى فقال سبحانه : « إنما الغيب لله » ، وإنما تفيد الحصر فى لغة العرب . وقال تعالى : « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » ، وقال تعالى : « قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله » .

فالزعم بأن الأولياء يعلمون الغيب زعم باطل وقد أخطأ المجيب فى نقل حديث البخارى ولفظه الصحيح هكذا (لقد كان فيمن كان قبلكم من بنى إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء فإن يكن فى أمتى أحد فعمر) .

والمراد بالتكليم هنا الإلهام كما يفهم من رواية مسلم عن عائشة رضى الله تعالى عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول : (قد كان فى الأمم قبلكم محدثون فإن يكن فى أمتى منهم أحد فإن عمر بن الخطاب منهم) . قال ابن وهب تفسير محدثون ملهمون .

والحق أحق أن يتبع وليس بعد الحق إلا الباطل وليس بعد الهدى إلا الضلال .

أبو الوفاء محمد درويش
رئيس أنصار السنة المحمدية بسوهاج

حول المهدى المنتظر :

دأب بعض الكتاب على تأويل أحاديث سيد البشر تأويلا يحدد وقت ظهور المسيخ الدجال وغير ذلك . وقد نشرت جريدة صوت الإسلام مقالا للسيد / حسن صبرى حدد فيه ظهور المهدى بشهر رمضان سنة ١٣٨٠ هـ وخروج الدجال على رأس مائة سنة تبدأ فى سنة ١٣٨٧ (العدد ١٠٧) مسنداً ذلك إلى سيد البشر صلى الله عليه وسلم.

وذكر الكاتب أن الأحاديث النبوية الشريفة تدل على أن تركيا ستتحالف مع الاتحاد السوفيتى وقد تنقلب إلى جمهورية من جمهورياته . وذكر أنه لو أذن له فى نشر ما يعلم لحدد بأقصر العبارات مصير كل دولة فى السنوات المقبلة (العدد ١٠٨) .

كما ذكر أن إيران سوف تكون دولة من دول الاتحاد السوفيتي أو حليفة له ، مسترشدا في ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم (لن تقوم الساعة حتى تقاتلوا أخو زمام وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين ...) العدد ١٠٨

وتأويل هذه الآثار بما يحدد وقت قيام الساعة وأشراطها تحميل للنصوص فوق طاقتها وتدخل في العلم بالغيب الذي لا يظهره الله تعالى على أحد من خلقه إلا من ارتضى من رسول قال تعالى : « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً . إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا » .

ولما كان كاتب المقالات قد أسند ذلك إلى السنة النبوية الشريفة بطرق واهية لا يرتضيها العلم ولا الدين فإنه يجب أن تمتنع الصحف عن نشر أمثال هذه المهازل ، وهذا أضعف الإيمان .

وقد أسند الكاتب إلى من لقبه بإمام السنة الحافظ أبو الفيض أحمد بن الصديق الغماري وشقيقه عبد الله الغماري .

ونوضح للقوم أن ضمن مؤلفات هذا الحافظ كتاب (مطابقة الاختراعات العصرية لما أخبر به سيد البرية) وهو ضمن ما استند إليه كاتب المقالات ، وقد ورد في هذا الكتاب أن الرسول صلى الله عليه وسلم ذكر علالا الفاسي زعيم حزب الاستقلال المراكشي ووصفه بأقبح وصف .

كما وضع هذا « الإمام الحافظ » كتابا أسماه (الإقناع بصحة صلاة الجمعة خلف المذياع) ذهب فيه إلى جواز صلاة الجمعة في المنزل خلف المذياع والائتمام بإمام المذياع ، وقد بينا فساد هذا الرأي في كتابنا الوجيز في العبادات .

وقد قيل بأن ذلك كان خدمة للفرنسيين بمنع المجاهدين الجزائريين من التجمع بالمساجد يوم الجمعة وقد عرفت حقيقة عبد الله بن الصديق الغماري هذا وأنه جاسوس لفرنسا وقد صدر ضده أخيراً حكم بالإعدام من المحكمة العسكرية العليا للإقليم الجنوبي من الجمهورية العربية المتحدة .

أما ما ورد بشأن المهدي المنتظر من الأحاديث فليس فيه تحديد وقت ظهوره كما أن بعض الأحاديث في متنها يجب التحفظ في قبولها إذا سلمنا بصحة سندها :

١ — فهناك روايات تذكر أن المهدي اسمه الحارث ، من ذلك مارواه أبو داوود في كتاب الفتن عن علي رضي الله عنه قال (قال النبي صلى الله عليه وسلم) « يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث حراث على مقدمته رجل يقال له منصور يوطئ أو يمكن لآل محمد كما مكنت قريش لرسول الله ، فإذا ظهر

وجب على كل مؤمن نصره أو قال إجابته) .

٢ — روايات تذكر أن اسمه يوافق اسم النبي صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما رواه أبو داوود عن عبد الله ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم (لو لم يبق من الدنيا الا يوم - وفى رواية لطول الله ذلك اليوم - حتى يبعث الله فيه رجلا من أهل بيتى يواطئ اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى ، وفى رواية يملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا .

٣ — تذكر بعض الروايات أنه من أهل البيت كما فى الرواية السابقة وكما فى رواية أبو داوود أيضا عن أم سلمة قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول المهدى من عترتى من ولد فاطمة ، وكما فى رواية الإمام أحمد عن على عن رسول الله (المهدى من أهل البيت يصلحه الله فى ليلة)

٤ — ذكر الأستاذ أبو الأعلى المودودى أن الأحزاب المختلفة المتنافسة فى ميدان السياسة فى مبدء الإسلام حاولت جميعا أن تستغل أخبار النبي صلى الله عليه وسلم بظهور المهدى وتصوغها حسب مصلحتها جميعا فقد جاء فى مسند الإمام أحمد عن ثوبان فى دلائل النبوة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من قبل خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدى وروى ابن ماجه قريبا من هذا المعنى فى كتاب الفتن ، باب خروج المهدى .

وقد كانت الرايات السود شعاراً للعلويين ، وأبو مسلم الخراسانى هو الذى مهد لدولتهم .

والخلاصة أنه لا شك أن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بظهور المهدى آخر الزمان ولكنه لم يحدد ذلك بسنة معينة فلا يجوز استنباط هذا من الروايات مهما كانت دلالة ألفاظها . وكيف يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك وقد رد القرآن الكريم على العرب منكراً علم الرسول بالساعة فى كثير من الآيات وقرر أن علمها عند الله تبارك وتعالى . ولا خلاف بين الأمة فى تفسير هذه الآيات أو تأويلها .

ولا ينبغى استخدام الأحاديث النبوية فى الإخبار عن الملوك والزعماء قدحا أو مدحا حتى لا تصبح أحاديث سيد البشر مطية الأهواء والنزعات .

سامى على البهنساوى
المحامى

الكتب

نقد وتعريف

الطرق الحكمية :

لابن قيم الجوزية

قدم هذا الكتاب وحققه الأستاذ محمد جميل أحمد أحد علماء الأزهر الشريف ، وقد كتب الأستاذ السيد على صبح المدنى كلمة افتتاحية أشاد فيها بمكانة ابن قيم الجوزية ، وقال : إنه مجد من أمجادنا ، وأب كريم من آبائنا ، أولئك الذين نفاخر بهم الدنيا ، ونتحدى بهم التاريخ .

وكتابه هذا عمل جليل ينبغى أن يعنى به الدارسون والباحثون ، وأن يهتم به رواد الثقافة العالية .

أما المحقق فقد دعا فى مقدمته إلى العودة لأمجادنا الماضية ، وإلى أن نرفض بحزم وإصرار الأفكار والمبادئ والعقائد المستوردة من الخارج لأنها لا تتفق ومنهجنا فى الحياة .

وعلى الشرق أن يثق فى نفسه وفى قدراته حتى يواجه الحياة فى قوة وعزيمة وثبات وندد بمن يرون أن الإسلام دين طقوس ودروشة ، وليس له فى سياسة الأمم وفى الإصلاح الاجتماعى شأن يذكر :

والكتاب المحقق كتاب قيم ، تناول فيه مؤلفه مسائل على جانب كبير من الأهمية ، تتصل بالقضاء ، وتضع أسسا لمن يريد أن يحكم حكما سليما على وفق الشريعة الغراء .

وهدف مؤلفه أن يثبت أن الشريعة تعرضت لكل جليل ودقيق مما يعرض للناس فى شئون حياتهم ، وأن فهم أسرار الشريعة فهما حقيقيا هو سبب التقدم وقد عاب على الذين يقتصرون على ما ورد به الشرع ، وينفرون من الأحكام المستنبطة ولو وافقت الشريعة ، وقد قال فى ذلك: « وقال ابن عقيل فى الفنون : جرى فى جواز العمل فى السلطنة بالسياسة الشرعية : أنه هو الحزم ، ولا يخلو من القول به إمام . فقال شافعى : لا سياسة إلا ما وافق الشرع ، فقال ابن عقيل : السياسة ما كان فعلا يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد ، وإن لم يضعه الرسول، صلى الله عليه وسلم. ولا نزل به وحى.

فإن أردت بقولك « إلا ما وافق الشرع » إى لم يخالف ما نطق به الشرع : فصحيح ، وإن أردت لا سياسة إلا ما نطق به الشرع ،

فغلط ، وتغليط للصحابة ، فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل مالا يجحده عالم بالسنة .

وهذا موضع مزلة أقدام ، ومضلة أفهام ، وهو مقام ضنك ، ومعترك صعب ، فرط فيه طائفة ، فعطلوا الحدود ، وضيعوا الحقوق ، وجرءوا أهل الفجور على الفساد ، وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد ، محتاجة إلى غيرها ، وسدوا على نفوسهم طرقا صحيحة من طرق معرفة الحق ، والتنفيذ له ... إلخ » .

وقد بالغ المؤلف فى الاعتماد على القرائن ، والفراسة ، وذكر من ذلك شواهد وقصصا ، وبهذا ابتدأ كتابه ، فقد ذكر فى أول الكتاب أن أخاه سأله عن الحكم يحكم بالفراسة والقرائن التى يظهر له فيها الحق والاستدلال بالأمارات ، ولا يقف مع مجرد ظواهر البينات والإقرار ، ثم قال : فهذه مسألة عظيمة النفع جليلة القدر ، إن أهملها الحاكم أو الوالى أضاع حقا كثيرا ، وأقام باطلا كثيرا ، وإن توسع فيها ، وجعل معوله عليها دون الأوضاع الشرعية وقع فى أنواع من من الظلم والفساد .

وتحدث فى الكتاب عن أنماط من الأجوبة الحصيفة ، وعن جواز الحكم بشاهد واحد ، وعن شهادة النساء منفردات ، ومذاهب أهل المدينة فى الدعاوى وحق الحاكم فى اتخاذ الحبس ، وعن الطرق التى يحكم بها الحاكم ، وذكر منها ستة وعشرين طريقا .

ثم تكلم عن الحسبة ، وعن حكم التسعير ، وعن الغش ، والحجر الصحى ، والقرعة إلى غير ذلك من الشئون التى تعنى القضاة .

والمؤلف قوى الحجة ، ساطع البرهان ، واسع الاطلاع على مقاصد الشريعة يتمتع بقسط وافر من حرية الرأى .

ونعود إلى الأستاذ محقق الكتاب فنجده دعا فى حرارة وحماسة إلى فتح باب الاجتهاد الذى أغلقه — كما قال — التزمت العنيف ، والتعصب اللئيم ، والتقليد الأعمى .

والدعوة إلى فتح باب الاجتهاد حبيبة إلى نفوسنا ، أثيرة عندنا ولكن ينبغى أن نحترس ، ونحن ندعو هذه الدعوة ، فإن قوما من دعاة التجديد يدخلون هذا الباب — باب الفتاوى والاجتهاد — دون أن يتسلحوا بالأسلحة التى يتطلبها هذا الميدان .

لقد وضع العلماء السابقون للاجتهاد شروطا ، وهى شروط لا بد منها لمن يقول فى شريعة الله برأيه ، ويخالف ماعليه الأئمة .

وكما ينبغى أن نضرب على أيدى دعاة الطب حتى لا يهلكوا الأبدان ينبغى أن نضرب على أيدى دعاة الاجتهاد حتى لا يهلكوا الأرواح .

ليفتح باب الاجتهاد ، ولكن ينبغى ألا

يلجه إلا أهله ، الذى هيأوا أنفسهم له ، وإلا شاعت الفوضى فى أحكام الدين .

وكلمة أخيرة :

الكتاب طبع قبل ذلك ، وفضيلة الطبعة الجديدة أنها اعتمدت على بعض المخطوطات التى ربما لم يطلع عليها الطابعون السابقون ، والفرق غير كبير بين هذه الصفة وبعض الطبعات السابقة .

ولكن المحقق يقول - مبررا إعادة طبع هذا الكتاب - أنه اعتمد على نسخة خطية تعتبر أقدم مرجع لهذا الكتاب ، وتمتاز بأنه لا نقص فيها بخلاف غيرها من المخطوطات وبعض النسخ - كما يقول - فيها نقص كبير ، وخطأ كثير ، وذكر أن بعض الأخطاء جسيمة .

وقد عنيت بتتبع الأخطاء التى نبه عليها فى هوامش الكتاب ، والنقص الذى استدركه ، ولكنى وجدت أكثر هذه الأخطاء مما يقع مثله فى أى طبعة .

على العمارى

الإسلام والقومية العربية :

للأستاذ عبد الرحيم فودة :

هذا كتاب جديد للأستاذ فودة ، يتصل بموضوع دقيق ، أشار جدلا فى غير مصر ، ونحن هنا نكتفى بالتعريف به دون مناقشته فيما تضمنه من آراء ، ولعل الفرصة قريبا تجعلنا نضع كتابه على المشرحة لنوفيه حقه من النقد .

يرى فضيلة المؤلف أن الإسلام شعار عام ، ولكن معنى العروبة قد التحم به أتم ما يكون الالتحام ، والإسلام لا يتعارض مع القوميات ولا يصادمها لأنها فطرية وهو دين الفطرة ، أما مقومات القومية ، فهى البيئة واللغة ، والتاريخ ، والمصالح المشتركة ، ثم الدين الذى يدخل فى كل عنصر من عناصرها ، ويشتبك معها بوشائج وأسباب لا يمكن تجاهلها أو التفاعل عنها .

وعرض الأستاذ فودة بعد ذلك لمفهوم الدين ، وهو يتلخص فى أنه وضع إلهى مقرر لنظام شامل كامل كما عرض لعلاقة العلم بالدين وعلاقته بالحضارة والمجتمع — أما القومية العربية فلم يكن تكوينها من هناء لا يقوم عليه بناء ، وإنما كان من عناصر صالحة للبقاء والارتقاء . أما القرآن وشخصية الرسول صلوات الله عليه - فهما وثيقا الصلة بالقومية العربية .

وبعد أن حدد المؤلف واجب المسلم تجاه القومية العربية ، وعرض نماذج من كفاح العرب فى سبيل الإسلام ، صب جام غضبه على أعداء الأمس واليوم ، أعداء الأمس فى مرحلة الإسلام الأولى ، من بنى النضير وبنى قينقاع وبنى قريظة ، وأعداء اليوم التى تربطهم الصهيونية الآثمة برباط من الخسة والغدر والخيانة ، ورجا الله من أعماق نفسه ، أن يهيئ الله للأمة المحمدية من القوة ما يجعلها تخلص الإنسانية من شرور هذه الفئة الضالة ، كما خلصتها من قبل فى ساحة جزيرة العرب .

محمد عبد الله السمان

أنباء الأزهر

إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر

من الإمام الأكبر

أرسل فضيلة الإمام الأكبر إلى السيد الرئيس جمال عبد الناصر البرقية التالية :

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته — وبعد فإن التنظيم الجديد للأزهر الذى أمضيتموه والذى يحقق مبادئ الإسلام فى الإنسانية الفاضلة والذى يفتح لأبناء الأزهر أبواب العمل فى جميع نواحى الحياة ويحقق آمال المسلمين فى بقاع الأرض فى معهدهم العتيق ليعتبر بحق الحد الفاصل بين أزهر المعز لدين الله وبين أزهر جمال عبد الناصر.

وقد أدى الأزهر الأول رسالته بقدر ما يسرت له ظروفه فليؤد الثانى بقيادتكم — إن شاء الله — رسالته على وجه أعم يحقق مبادئ الإسلام العامة فى العالم الإسلامى وفى دراسة نواحى العلوم المختلفة ، والانتفاع بها .

فباسم الأزهر علمائه وطلابه — بل باسم ملايين المسلمين والعرب الذين سينتفعون بالأزهر الجديد ، ويتطلعون إليه — نرفع إليكم أعمق الشكر ، داعين الله أن يمد فى حياتكم حتى تروا ثمار هذا الغرس العظيم إعزازا لدين الله ، وسلاما للإنسانية ، وتقدما للعلم ، ونجاحا للاجتماع .

حياكم الله وسدد خطاكم ، وأدام لكم التوفيق .

محمود شلتوت

أجاب السيد الرئيس بالبرقية الآتية : —

فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :

فقد تلقيت برقيتكم التى بعثتموها باسمكم وباسم السادة علماء الأزهر وطلابه والتى ضمنتموها أصدق مشاعركم بمناسبة التنظيم الجديد للأزهر .

وإنى لأعرب لكم عن أخلص الشكر وأطيب تمنيات الصحة راجين أن يوفقنا الله إلى ما فيه إعلاء منارة الأزهر حتى يؤدى رسالته كاملة فى خدمة العلم والدين .

وإنى لأبعث إليكم وإلى الجميع بأطيب تمنيات السداد والتوفيق .

جمال عبد الناصر

شيخ الأزهر يستقبل :

سفير الجمهورية العربية المتحدة فى اليابان

استقبل فضيلة الإمام الأكبر السيد / عبد الرحمن العظم سفير الجمهورية العربية المتحدة فى اليابان ، وقد دار الحديث حول بعض الشئون الإسلامية .

ويستقبل مستشار سفارة السنغال :

استقبل فضيلة الإمام الأكبر بمكتبه السيد / أحمد دام مستشار سفارة السنغال فى القاهرة . وقد دار الحديث حول بعض الشئون الإسلامية فى إفريقيا ، ثم دعا سيادته فضيلة الإمام الأكبر لزيارة السنغال ، حيث يكون لهذه الزيارة أثرها البالغ فى جمع كلمة الإفريقيين وتوحيد صفوفهم .

وقد وعده الإمام الأكبر بإجابة هذه الدعوة متى سمحت الظروف .

ووزير معارف قطر :

واستقبل سمو الأمير الشيخ قاسم ابن حمد الثانى ـ وزير معارف قطر ، يرافقه الأستاذ عبد الرحمن عطية مدير المعارف بقطر ، والشيخ عبد الله بن تركى مدير تفتيش العلوم الشرعية بها ، والشيخ كمال ناجى مدير الامتحانات ، والأستاذ رفيق شاكر مدير مكتب وزير المعارف وقد تناول الحديث العلاقات الثقافية بين الأزهر وقطر .

وأشاد الزائر بجهود مبعوثى الأزهر الذين قاموا بمهمتهم خير قيام وطلب المزيد منهم ، وقد وعده فضيلة الإمام الأكبر بتحقيق رغبته ، ثم أهدى إليه بعض مؤلفاته ليكون عهدا بينهما للعمل من أجل الإسلام والمسلمين ، والدعوة إلى الله ، وإلى الخير .

وقاضيا بالصومال :

واستقبل الشيخ نور الدين على القاضى بالصومال الذى طلب من فضيلته مساعدة الأزهر ماديا ومعنويا لإنشاء جمعية إسلامية فى الصومال تقوم على مبادئ الإسلام ، كما طلب بعض الكتب الثقافية لإنشاء مكتبة إسلامية فى مقدشو . وقد وعده فضيلته بتحقيق ذلك متى كان ممكنا .

وأحد تجار عدن :

كما استقبل السيد عبد الله صالح المحضار من كبار تجار عدن ، وقد حمل لفضيلته خالص تحيات المسلمين هناك . ودار الحديث حول بعض الشئون الإسلامية .

ويستقبل رسالة باكستانيا :

واستقبل السيد محمد عبد السلام إسماعيل

حسين الرحالة الباكستاني الذي يطوف العالم على دراجته الهوائية في مدة تستغرق خمس سنوات ، وقد وفد إلى الأزهر بعد خمسة شهور من قيامه بالرحلة حيث طاف فيها ببعض البلدان الإسلامية .

وقد طلب الزائر من فضيلته أن يعمل على إلحاقه بالأزهر لمدة ستة شهور يتعلم فيها اللغة العربية . وأن يزوده بآرائه الإصلاحية في سبيل الإسلام والمسلمين ، لأنه بصدد تأليف كتاب عن الإسلام يتناول فيه آراء عظماء المسلمين في العالم ، وخاصة رأى فضيلة الإمام الأكبر .

وقد أمر فضيلته بإلحاقه بالأزهر في الحال وزوده بكلمة تشجيعية أشاد فيها بالسياحة والسائحين إذا كان الغرض من ذلك معرفة سنن الله في الكون .

والمندوب الثقافي للمملكة العربية السعودية :

كما استقبل الشيخ عبد العزيز عبد الرحمن المسند - وكيل مدير عام الكليات والمعاهد العلمية بالمملكة السعودية والمندوب الثقافي بالقاهرة لندب الأساتذة .

وقد حمل الزائر إلى فضيلته رسالة من الشيخ محمد بن إبراهيم مفتى المملكة العربية السعودية ورئيس القضاة والكليات والمعاهد

وتتضمن الرسالة شكر الإمام الأكبر على جهوده في سبيل الإسلام والمسلمين ، وعلى إيفاد المبعوثين من الأزهر إلى المملكة العربية السعودية .

وفد الاتحاد القومي في بني مزار :

واستقبل السيد / عبد العظيم أبو الليل عضو مجلس الأمة على رأس وفد من الاتحاد القومي في بني مزار يطلب العمل على ضم معهد بني مزار الديني للأزهر .

وقد وعدهم فضيلته ببحث الموضوع والعمل على تحقيق ذلك متى كان ممكنا .

وفد من علماء باكستان :

كذلك استقبل الإمام الأكبر الشيخ محمد عبد الحامد القادرى - رئيس جمعية علماء باكستان .

والشيخ أحمد نوارانى الصديق - سكرتير عام جمعية العلماء بباكستان .

والشيخ محمد عمر إلاهى - عضو جمعية العلماء بباكستان .

وقد رحب بهم الأستاذ الأكبر وسر لأنهم يتحدثون باللغة العربية وأوصاهم بأن يعملوا على تعميم اللغة العربية بباكستان فهى لغة القرآن ومن الأفضل تفهم القرآن باللغة العربية التى نزل بها ، ثم قال فضيلته : إن

الأزهر يرحب بكم ، فهو فى خدمة المسلمين جميعا أينما كانوا ، ولقد شرحتم صدورنا اليوم بهذه الزيارة المباركة .

ونرجو أن يجمع الله بلادنا على كلمة التوحيد ، ويربط قلوبنا على الإيمان ، وأن يزيل ما بيننا من حواجز ، حتى يتم الاتصال الوثيق بين المسلمين كافة فى مشارق الأرض ومغاربها .

فقال السيد رئيس الجمعية : إننا سنعمل جاهدين على أن ننفذ ما أوصيتم به ، ونحن حريصون على الاقتداء بكم والسير على نهجكم الحكيم .

ولقد خاطبنا حكومة باكستان رسميا فى أن تكون اللغة الرسمية لباكستان هى اللغة العربية ، ودعمنا طلبنا بكافة البراهين والدلائل التى توصلون بها .

وقد طلب الوفد من فضيلته أن يعمل الأزهر على إيفاد مبعوثين إلى باكستان .

كما دعا فضيلته لزيارة باكستان حيث يتشوق المسلمون هناك لرؤيته .

وقد وعدهم فضيلته بتحقيق رغبتهم فى إيفاد المبعوثين فى أقرب فرصة ، ووعدهم بتلبية دعوتهم لزيارة باكستان متى سمحت الظروف بذلك .

ثم أهدى إليه فضيلته بعض مؤلفاته .

شكر الأزهر السيد الرئيس :

قصد قصر الجمهورية وفد كبير على رأسه فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ محمد نور الحسن وكيل الجامع الأزهر لشكر السيد الرئيس جمال عبد الناصر على إصداره قانون تنظيم الأزهر الجديد .

وتكون الوفد من السادة أصحاب الفضيلة شيوخ الكليات الأزهرية والمعاهد الدينية ومدير ومفتشى الوعظ والإرشاد ، ومدير التفتيش ، ومراقبى العلوم الشرعية والعربية واللغات الأجنبية والعلوم ورعاية الشباب .

بعثة الأزهر فى مؤتمر الرباط :

سافر كل من الدكتور محمد عبد الله ماضى - المدير العام للمعاهد الدينية ، والأستاذ عبد الفتاح صقر مراقب الآداب لحضور المؤتمر الثقافى للجامعة العربية المنعقد بالرباط فى المدة من ٣ - ١٠ يوليو سنة ١٩٦١ . وموضوع المؤتمر « الكتاب المدرسى » .

وقد زار الدكتور محمد عبد الله ماضى المركز الثقافى بلندن أثناء عودته .

God in every prayer, the repress of soul throug fasting for a month in every year, the annual giving of alms out of profound cordial faith, and the meating in the holy mosque and the sacred places, the matter which necessitates the bearing of hardships and sufferings, all these forms of adoration are to make a room for others in the human heart and to efficiently prepare him to co-operate with them. This intended co-operation may afterwards reach fraternity.

The limitation of financial and commercial dealings and of the familial relations stated in Islam are not but on indirect urge to remain within the cercle of equity or to mount to the circle of charity : that is the ultimate qualitative property of man· Islam did not in any of its principles evaluate neither the quantity for its own sake nor Man for his superfacial appearance nor life for its laster and pleasures. That is to say it did not attach any importance in its estimation to what is measured in depth width and length, but it always estimates and aims at the quality. Accordingly it stimultes Muslims to know how to judge it (quality) and to regard it in their human ilfe.

Islam is prolefic sourse of the human civilisation. Thanks to Islam, Muslims have considerably porticipated in the bulding of this civilisation. In this connection it may be said that Muslims have contributed the most splendid share of the human civilisation. They only ceased to share in it when they abondoned the Islamic values and contented themselves of their being attributed to the Islamic nation. This abominable attitued ensue that they were no longer the Muslims who beneficially demonstrated Islam through teachings

When our present Islamic renaissance adopts for objective the evaluation of quality not quantity and the estimation of principles not individuals; when they refrain from the abandoment of the Islamic principles and ceased to be contented of their being atlributed to Islam; they would resume their effective contribuation to the human civilisation and submit the most eminent form of it as well.

offering to the needy, but it is also the highest form of refinement. It is the giving for no return. It is the polite refusal or excuse in the case of incapability to give. It is the human treatment in both co-existance and separation, It is manifested in the refined conversation as clarifies the following verses : "A kind word with forgiveness is better than charity fallowed by injury. And Allah is self-sufficient, Forbearing" (Surah Al-Baqarah : The cow. verse 263.)

"Divorce may be (Pronounced) twice, then keep (them) in good fellowship or let (them) go with kindness" (Surah Al-Baqarah : The Cow. verse, 229).

"And serve Allah, and associate naught with Him, and be good to the parents" (Surah. Al-Nisa. The women. verse 36).

And God said "And thy Lord has decreed that yhu serve none but Him, and do good to parents. If either or both of them reach old age with thee, say not " Fie " to them, nor chide them, and speak to them a generous word. And lower to them the wing of humility out of mercy, and say : My Lord, have mercy on them, as they brought me up (when was) little (Surah Al-Israa: The Israelites, verses32 and 24).

Owing to the high rank of equity and charity they are enjoined in the imperative mood in the Koran in God's saying : "Surely Allah enjoins justice and the doing of good (to others) (Surah Al-Nahl : The Bee, verse 90).

When the individual and social equity are establihsed and when equality becomes a common feature in both individual and social conduct this would mean the realisation of one of the two radical properties of humanity. When charity is manifested in the above stated sense that would finally means the achievement of fhe other radical proprety. Both individual and society would be human in the most proper and original sense of the word.

What has been emplied in the Islamic call other than equity and charity is but ways and means aiming at the realisation of this two paramount precepts or at least to pave the way to enable man both individually and socially to establish them. The different forms of adoration such as prayers, fasting, alms-giv ing and pilgrimage are seemingly intended to urge Man to perceive his nature and his status is life and to acknowledge the right of his associate to existance so as to share with him the means of estabilty. The several repetitions of prayers in everyday life, the presentation before

directed either to love or to grudge and hatred and human will may enable him either to supress his passion or to endulge in it. In this aspection man is conceived - since nature is composed of three psychological faculties - to be either a pious or impious.

From the above mentioned sayings of the prophet and verses of the Koran we find that Islam is a source of the human civilisation so much as it is a wise guidance of man at the same time.

The contribution of Islam in this aspect is its enjoinment for the construction and the continuation of the human civilisation. Its precepts, for this reason, do not aim at mobilizing individuals neither for invation nor for agression, but it aims at the qualitative qualifications of Man that is humanity. The very accurate representatives of these qualifications in Man are both equity and carity.

Equity in fact is the equilibration in the case of individuals between what is craved for by the individual and what must be done by him; and in the case of society is the balancing between the individual's rights and dutys. In so doing Islam has substituted equality for deprivation in the cercle of individuals, and equilibration for selfishness in the cercle of society. Hence there is no place in Islam for the social classses and for their conflitct since there is no reason for either. There exist only the common right of life for all. Equity is practised in saying as well as in doing. It can also be applied between two persons sharing the same goals as well as between other two with conflicting purposes as these are all enjoy the common properties of humanity. In this respect God said : "Give full measure. And be not of those who diminish. And weight with a true balance. And wrong not men of their dues, and act not corruptly in the earth, making mischief " (Surah Al-Shuora: the poets, vers 181 — 183).

And when you speak, be just, though it be (against) a relative. And fulfil Allah's covenant. This He enjoins on you that you may be mindful" (Surah Al-An'am : The cattle. verse 153).

And God said : " O you who believe, be upright for Allah, bearers of witness with justice; and let not hatred of people incite you not to act equitably. Bejust that is nearer to observance of duty. And keep your duty to Allah. Shurely Allah is is aware of what you do " (Surah Al-Maidah : The Food. verse, 8).

Charity in its turn ranks above equity because it is not only the

the strength of his muscles as it is ascribed to the strenght of his heart gained through its faith, the strength of his mind acquired by knowledge, and the strength of his will achieved by following the straight Conduct.

In this conjuncture God's saying :— "If there are twenty patient men among yot they shall vanguis two hundred; and if there are a hundred, they shall rout a thousand disbelievers, for they are devoid of understanding".

This verse of Koran may clarify the meant power-Patience, which was to be a sign of this power and by means of which the lesser number qualified by it would have the uper hand all the more number deprived from this attribute, is a psychological power not a physical one.

We shall also find the estimation of quality is clear in the prohht's saying: "There will come a time when nations will invite each other to assail you and devour you as do the eaters of a delicious dish". "This will be because of our little number then O God's prophet ?" said the hearers of the prophet. "No, you will be numerous then but you will be as weak and helpless as the foam of the torrant." Answered the prophet. Afterwards we find in the holy Koran His glorious saying : ‚'O people we have created you from a male and a female and divided you into nations and tribes in order that you might get to know one another. The most nobleset of you in Allah's sight is the most pious".

These two verses state that the human nature is the same in every nation, in every place and in every time and that there is no differentiation in nature between a man and another. The distinction that could exist between an individual and another or between a group of individuals and another is not due to this nature but to what can be achieved within the circle of this human nature. Every individual human nature has the psychological faculties manifested in : Conception affection and will. The difference of an individual nature from another is not attributed to the increasement or the decreasement of these faculties but to the benefit of them in guidance. The piety that is made cause of differentiation in His glorious saying :— " The noblest of you in Allah,s sight is the most pious" is the wise directing of the psychological faculties to conceive God only, to extend fraternity and love among peoples and to perform good deeds in the benefit of both individual and humanity. The human conception in its origin may be directed to the belief on the denial of the one god, the human affection may also be

In this connection, the values produced by a human being differ from that which are produced by another, be they in philosophy, poetry, drawing, phatographing, sculpture, acting, music or law. The fundamental difference or distinction is not then due to the quantity of the production but to its quality.

It may be said too that the philosophy which is directed to racialism and that prefer certain races of human beings to others and the philosophy that adopts bestiality and mocks of the human values such philosophies are not fit for being a sound base for a human civilisation or rather such philosophies do not contribute substantially in this civilisation. In this respect they are surpassed by another philosophy that calls in its guidance for evaluating the human faculties wherever they are found either among individuals or among peoples.

The poetry which glorifies a nation, an individual or a group of individuals solely for their own sake not for the human values and faculties that are represented in this nation, this individual or these group of individuals, is valueless poetry that has a trifle share in building the human civilisation. Yet it may be a tool in its weakness and destruction. The different kinds of art which stimulate man and make him value his bestial side or confer his estimation on the sectarianism is an art inconsistant with the measures of civilisation and consequently has nothing to do with its evalution and duration. The law which is not based on the individual freedom, the equity among the members of society and the maintenance of the wise human behavior - these are human values - is destined not to go beyond the circle of its legislator and is void of fitness in the general human guidance. Hence it is lacking in the human form of civilisation.

***

If we leave these component aspects of life and consider Islam - as a source of guidance for man - we shall find it evaluates the quality more than it does with the quantity We shall find that its suitability in guidance is not confined to a particular tribe, people or race, but it pertains to the human being wherever he exists, and to people no matter how they are different in colour, place and time.

We shall find that the evaluation of quality in Islam represented in the saying of the prophet peace upon him : “The strong believer is better and more beloved to God than the weak one”. The meant believers strength is not chiefly due

HUMAN CIVILISATION IS MEASURED

By

THE QUALITY NOT BY THE QUANTITY

BY

Dr. Mohammed El-Bahay
The Dircetor General of Islamic Culture Administration

In fact not all human actions whether they are intellectual, conceptional, artistic, or actions pertaing to behavior participate in establishing the huma civilisation, but the establishing action of this civilisation is that which emanates from Man representing a human faculty which distinguishes the human being from other creatures through its bearing on its human nture. This action is the true contributor in increasing the outcome of the human civilisation.

That it because the fine intellectual action, the accurate conception, the eminent form of art, and the behavior in its wisdom and its straightforwardness are the radical basis of the human civilisation and the effective factors in its development and progress. This is so because in the above mentioned actions, the human effort is thoroughly represented and, the human will is clearly manifested. In these actions Man seems to have his own effectiveness because he, in these actions, seases to be affected and becomes effective. effec tive through his thought, effective through his art and effective through his conduct in guidance and expression altogether.

Guidance and expression then have certain fitness that go beyond the circle in which the thinker, the artist or the author of the human behavior, exists and originates.

In this respecf it may be said that human civilisation is a series of hauman values conposed by man by vertue of his inventiveness or reached by him through his human nature.

These values have the fitness and consideration beyond the field of the society and invironment where the inventor or the participant of these values exists.

The more the human thought, conception, art, or conduct is comprehensive in regarding the facts and in its guidance the more it contributes to the human civilisation and to its development and progress.

Al-Azhar will bridge the gap between the traditional systems of secular and religious education in the Muslim World. It will open the doors of practical life wide before its graduates to search for greater and new knowledge to help bringin about true happiness for mankind. The new reformatory system will help Al-Azhar to maintain its mission in graduating legislators, jurists, philosophers, scientists, and leaders of religion and Arabic language who understand God's Book and the Tradition of His Prophet.

Your visit to Al-Azhar may, therefore, be regarded as a great event that will be commemorated in the life of this university which is considered the oldest existing university serving humanity.

This University, while welcoming you, regards this meeting as a tool for strengthening the ties between the Muslims of the U.S.A. and Canada and the people of the U.A.R. The one who deserves most of the credit for providing us with this opportunity of meeting you here is our President Gamal Abdel Nasser who has been fathering Al-Azhar as well as the Islamic movement here and abroad. May God materialise his hopes. which are ours, for the sake of Islam and humanity in general.

The Greeting Speech of The Rector of Al-Azhar

Sheikh Muhmoud Shaltout at the Muslim Immigrants Conference in Cairo

---

In the Name of the Compassionate, Merciful God.

Thanks to God, the Lord of the Universe, and peace upon the Prophet Muhammad and his deciples who followed the enlightenment revealed to him.

Sons and brothers. Peace be upon you and God's Mercy and His blessing.

Al-Azhar, which has, for ten centuries, been maintaining the unique position of searching in God's Book for the articles of Islamic Law as well as of seeking insight into this physica world, welcomes and greets you today. When this great Institution extends both hands, it considers you a part of its extended family. The common goal in Islam is the thing which counts and not the geographical distance which may separate the Muslim communities. Islam, therefore, looks at you, the Muslims in the United States and Canada, with the same eyes it looks at your brethers in Europe, Asia, Africa, and Australia. All are followers of the common faith : the oneness of God, the belief in the message of Mhuhammad, peace upon him, and the belief in the Judgement Day. This faith is the center around which the Muslims gather. It is the extended cord from heaven to earth to lead the Muslims unified to the path of happiness.

This cord is God's only religion, " The only religion in the sight of God is Islam." For God does not accept any other religion but Islam. " He who adepts a religion different from Islam is not accepted and will be among the losers in the Hereafter."

Islam, which strengthens the ties among Its followers to the degree that they become one integral unit, makes all of us feel the pains and misery of our brothers in Palestine, Algeria, Oman, and Bahrein. It makes us feel the pains of every freedom fighter anywhere.

Brothers and sons :

Al-Azhar, in all its capacities and in its modern era, welcomes you. The modern reformatory system of

"And the parable of those who spend their wealth to seek Allah's pleasure and for the strengthening of their souls is as the parable of a garden on elevated ground, upon which heavy rain falls, so it brings forth its fruit twofold; but if heavy rain falls not on it, light rain (suffices) And Allah is Seer of what you do" (Surah Al-Baqarh. The caw, verse 265).

This the value of offering for the sake of God's call and this is the truthful promise to those who give their money for this cause. This value and promise are unique repayment that are not attached to any prescription other than offering. Prayer in spite of its importance and thouh it is the second pillar of faith is not accepted if it does not motivate the muslim to pay the assigned shore for the poor in his money. Fasting and pilgrimage were not accorded such care as is the case in offering for the sake of God's call.

From the previously mentioned facts we can state that Islam does not evaluate any of its principles if it does not plant in the muslim's heart the emotion of kindness that urge a muslim to offer his money for the sake of God's call. This is what I believe in and what is ment by the glorious Koran.

This is a style which considers the offering in God's way or for the sake of God's call on the same level as faith itself. If we turn over the pages of Koran we shall find that the feeding of the poor is a radical condition to enable man to acquire his happiness. In this connection Koran says : But he attempts not the uphill road. And what will make thee comprehend what the uphill road is ? (It is) to free a slave, or to feed in a day of hunger, And orphan nearly related, or the poor man lying in the dust. Then he is of those who believe and exhort one another to patience, and exhort one another to mercy. These are the people of the right hand" (Surah, Al-Balad : The City, verses 11 — 17).

And "Hast thou seen him who belies religion ? That is the one who is rough to the orphan, And urges not the feeding of the needy. So woe to the praying ones, Who are unmindful of their prayer ! Who do (good) to be seen. And refain from acts of kindness ! (Surah Al-Maun, Acts of kindness).

Related with this God informed us that the criminals would confess in their answer in the day of judgement when they would be asked as the Koran reads : What has brought you into hell ?

They would confess that their neglection in paying the poor's rights is among the cause of their torment saying in their answer as related in Koran : They will say : We were not of those who prayed; Nor did we feed the poor, and we indulged in vain talk with vain talkers, And we called the day of Judgment a lie; (Surah Al-Moddether : The one wrapping Himself up, verses, 43 — 46).

This is some styles that state the value of offering in God's way and for frightening from misery.

As for the urging of this offering Koran says : Who is it that will offer to Allah a goodly gift, so He multiplies it to him manifold ? (Surah Al-Baqarah, The Cow, versa 245).

"The parable of those who spend their wealth in the way of Allah is as the parable of a grain growing seven ears, in every ear a hundred grains, And Allah multiplies (further) for whom He pleases. And Allah is Ample-giving, knowing Those who spend their wealth in the way of Allah, then follow not up what they have spent with reproach or injury, their reward is with their Lord, and they shall have no fear nor shall they grieve". (Surah Al-Baqarh. The Caw. veres 261 and 262).

extravagance and luxury. Koran spares no effort to purify the Islamic group from these vicious attributes in order that it may prepare the souls for their duty towards both God and creatures, no matter what they give in this respect. Koran has original styles in asking for offering and in warning against misery that it fills the muslem's heart with sacrifice and that maks him certain that this offering is the right path to an indignant life through which both individual and group are guaranteed the happiness in this world and in the next world as well.

Of these expressive style the first, we are to meet every now and these throug our readings in Koran, is that God does not mention faith except accompanied with affering money in His way, and feeding the poor. The chapter of Surah Al-Baqra : The Cow clarifies the qualities of the pious who are most benefited of the Koran and its guidance stating that among these qualities : Who believe in the Unseen and keep up prayer and spend out of what We have given them".

In exposing the radical goods demanded by God from His creatures Koran says : It is not righteousness that you turn your face towards the East and the West, but righteous is the one who believes in Allah, and the Last Day, and the angels and the Book and the prophets, and gives away wealth out of love for Him to the near of Kin and the orphans and the needy and the wayfarer and to those who ask and to set slaves free and keeps up prayer and pays he poor-rate" (Surah Al-Baqarah. The Cow, verse, 177).

The chapter of th Spoil mentions offering among the ingrediants of faith saying : Those who keep up prayer and spend out of what We have given them. These are the believers in truth. For them are with their Lord exalted grades and protection and honourable sustenance' (Surah Al-Anfal : Volantary Gifts verses, 3 and 4).

The surahs of Women and Chambers mentioned faith accompanied only by the giving for the sake of God's call saying : And what (harm) would it do them if they believe in Allah and the Last Day and spend of that which Allah has given them? (Surah Al-Nisa. The Women, verse 39)

And "The believers are those only who believe in Allah and His Messenger. then they doubt not, and struggle hard with their wealth and their lives in the way of Allah. Such are the truthful ones" (Surah Al-Hograt : The Apartments, verse 15).

O my people, who will help me against Allah, if I drive them away? will you not then mind ?

Mohammed, guided by His Lord to the same answer, said : And drive not away those who call upon their Lord, morning and evening, desiring only His pleasure. Neither art thou accountable for then in ought, nor are they accountable for thee in ought, that than shouldst drive them away and thus be of the wrong-doers." (Surah Al-Anaam, The Cattle, verse 52).

Related to the matter of those luxursous people God has said : "And we never sent a worner to a town but those who led easy lives in it said : "We are disbelievers in that with which you are sent. And they say : "We have more wealth and children, and we can not be punished. Say : "Surely my Lord amplifies and straitens provision for whom He pleases, but most men know not. And it is not your wealth, nor your children, that bring you near to us in rank; but whoever believes and does good, for such is a duble reward for what they do, and they are secure in the highest places And those who strine in opposing Our messages, they will be brought to the chostisement. Say. "Surely my Lord amplifies provision for whom He pleases of His servants and straitens (it) for him. And whatsoever you spend, He increases it in reward, and He is the Best of Providers." (Surah Saba : verses : 34—39)

Explaining the harmful doom of the luxurious people in this world God has said : "And how many a town which was iniquitious did we demolish, and we raised up after it another people ! So when they felt Our might, Lo ! they began to flee from it. Flee not and return to the easy lives which you led, and to your dwellings, that you may be questioned. They said : "O woe to us ! Surely we were unjust. And this cry of theirs ceased not till we made them cut off, extinct." (Surah the prophets, verses 11—15).

And relating to their bad fate in the hereafter God said : And those on the lift hand; how (wretched) are those on the left hand ! In hot wind and boiling water, And shadoux of black somke. Neither coal nor refreshing. Surely they lived before that in ease." (Surah Al-Waqiah : The Event, verses, 41—45).

An Enjoinment for offerin money in God's way.

Through these previously mentioned ways Koran has fought misery,

The Ruler' right:

Islam has made it right to the ruler to take forcely the assigned share of the poor in the richs wealth. In application of this principle the first khaliph (Abo Bakr) may God be pleased with him, did not hesitate to fight those who had refused to pay Zakah (Alms giving) until they yielded to carry out God's ordinance. This matter led to stabilisation of the Islamic nation and healed its dengerous breach.

It had also made it right to the ruler to prevent the extravagants from managing the wealth of minors and their like of those who could not wisely manage their own affairs as the following verse explains : And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it, and clothe them and give them a good education. And taste the orphans until they reach the age of marraige. Then if you find in them maturity of intellect, make over to them their property, and consume it not extravagantly and hastly against their growing up. And whoever s rich, let him abstain, and whoever is poor let him consum reasonably (Surah Al-Nisa : The women, verses 5 and 6).

Luxury is a wicked source:

Islam has also stated that luxury is a wicked source which fills the hearts with hatred and rancour and do away with the secured and established life. This devilish quality leads the people who commit it to deny the truth and to denounce the religious legislators. It plants selfishness among the social classes. There is none contradictory to God's religions but the luxurious people who antagonise these religions because it either degraded them to the level of the poor and the weak or raised the laters to their level. This could be clearly seen in the first religions as well as the latest one.

The people of Noah, for example, said to their prophet, intrifling his followers, "We see thee not but a mortal like us, and we see not that any follow thee but those who are the meanst offus at first thought' (Surah Hud. verse 27).

While the luxurious people at the time of the prophet Mohammed took the same attitude towards Belal and his brotheren. The answer of Mohammed was the same as that of Noah when Noah said as it is related in Koran : And I am not going to drive away those who believe surely they will meet their Lord, but I see you a people who are ignorant. And

which Allah has given them out of His grace." (Surah Al-Nisa : The women, verse, 37).

"And those who hoard up gold and silver and spend it not in Aallah's way-announce to them a painful chastisement. On the day when it will be heated in the Fire of hells then their foreheads and their sides and their backs will be barned with it : This is what you hoard up for yourselves, so taste what you used to hoard" (Surah Baraat : The Immunity, verses, 34 and 35.

Islam has informed us that misery ensue man not to spend his money either in the performance of his duty or in the maintenance of his good and sends him to perdition as the following verse says : And spend in the way of Allah and cast not yourselves to perdition with your own hands and do good (to others). Surely Allah loves the doers of good). (Surah Al-Baqarah : The Cow, verse 195).

The prophet, peace be upon him, has said to warn against misery (Be ware of misery because it caused the perdition of your ancestors, it enjoined them desertion and debauchery and they follow its enjoinment) and (Be ware of misery because it sent your ancestors to their graves. It enjoined them to shed their blood and to profanate their sacred relations).

I could not find a more expressive term than the above mentioned expression in depicting the social denger caused by misery. There is no doubt that it is of the most detrimental flaws that lead to disintegrity in societies and do away with both the fife of nations and their development.

The Koran as well as the prophet,s saying have adopt this attribute towards extranagance as they have done with misery since it makes the nation spend its wealth uselessly. In this connection Koran says : "Surely the squanderers are the devil's brathren. And the devil is ever ungrateful to his Lord" (Surah, Al-Israa : The Israelites verse 27).

After depicting the bad results of both misery and extravagance Koran gathered them in one frame and guided us to the straight way that must be followed by the rich in order that they may preserve their lifes and be able to establish it on solid basis saying : " Make not thy hand tied (like a miggard's) to thy neck. Nor stretch it forth. To its utmost reach. So that thou become. Blameworthy and distitute" (Surah Al-Israa verse 29).

diffinite share in the rich's wealth for the poor and for those who struggle in God's way (for His call) or in the form of taxes imposed by the ruler according to the national need for reformative, and progressive projects.

The Koran has accorded great care to urge for the giving to the poor and distitutes and for the strive in the way of God. The word (way of God) is a word of the most distinguished words that have come in the Koran. This word particularly fills the heart with awe and solimnty and fills the universe with good and piety. Its meaning is but a sort of charity either in its private or its general meaning.

Islam fights misery and extravagance of the rich

Whereas the wealth belongs to God, men are all His servants and the world where they live and invest is God's wealth, whereas these all belong to God it is necessary that the wealth aught to be shared by His creatures, kept and utilised by them all. God has manifested this in His saying: "He it is who created for you all that is in the earth" (Surah, Al-Baqarah : The Cow, 29).

"And swallow not up your property among yourselves by false means" (Surah Al-Baqarah : The Cow verse 188).

"And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it and clothe them and give them a good education" (Surah, Al-Nisa : The women, verse, 5).

Islam has renounced misery that prevent the muslim from the wise giving and spending of his money. It also rebuked extravagance that leads to spending money wrongly. In doing that Islam aims at the purification of souls from selfishness and hatred. In this concern God has said : "And whoever is saved from the greediness of his soul, these it is that ar the successful". (Suraha. Al-Tagh-bun : The Manifestation of Losses, verse 16).

"And let not those who are niggardly in spending that which Allah has granted them out of His grace, think that is good for them, Nay, it is evil for them. They shall have a coller of their niggardliness on their necks on the Resurrection day. And Allah,s is the heritage of the heavens and the earth" (Surah, Al-Imran, The Family of Amran verse 179).

"Who are niggardly and bid people to be niggardly and hide that

This sort of co-ordination has nothing to do with the restrection of the right to ownership, but it is a direction required by the national need in order to enable the nation to enjoy its real freedom in full.

This coordination is, under these mentioned consideration, a duty encompent upon the ruler together with his nation. They are to be sinful in the case of its neglection or in completion.

The ruler is protecting both national interests and independence when he adopts this co-ordination aided by his people. They are, consequently preceeding their way that would lead them to their good and happiness. The ruler in applying this co-ordination is securing peace and tranquility for his nation.

Because of the usefulness fo wealth to all individuals of the people and to all societies God has sometimes attributed it to Himself and sometimes to the whole community making of its owner His agents for its preservation and investment. These agents are responsible to Him to spend this wealth sparingly and wisely. According to the teachings of His sacred books, this conception is clearly manifested in the following Koranic verses : " Believe in Allah and His messenger, and spend of that wherof He has made you heirs." (Surah Al-Hadid : Iron. verse, 7).

"And give them of the wealth of Allah which He has given you" (Surah Al-Nur : The light, verse 33). "And swallow not up your property among yourselves by false means" (Surah Al-Baqarh : The Cow, verse, 188).

And God said : "And make not over your property, which Allah has made a (means of) support for you, to the weak of understanding, and maintain them out of it, and clothe them and give them a good education" (Surah, Al-Nisa : The women, verse, 5).

In these verses God proved that both usurpation and mismangement of the wealth are realy either an agression on the nation or perplixty at its expense.

That wealth is a tool to be explioted for the interest of the entiro society.

A tool which ensues the fertilisation of land, result in the rising of industry and bring about the prosperity of Commerce. Wealth is the tool that enables its owner to satisfy the need of distitutes and that builds the general and usful establishments either out of the emotions of co-operation and kindness or obedience of God's ordinances that assigned a

every Muslim to take a part in building his community by working hard at any field for the benefit of mankind. Thus the religion of Islam has imposed work on Muslims to realise the principle of the economic indpendance which enable the Muslim community to satisfy its needs by the hands of Muslims and not to depend on any kind of help from other nations.

If Muslims carry on this principle they would protect their country and safeguard their community from the interference of imperialism which spare no effort to occupy other countries under the curtain of exchange trades.

No doubt that these three means (A griculture, industry, and commerce) are the strong pillars of the national economy of the nation who wants to live on indpendent sound life. Hence we have come to this conclusion it is necessary for the nation to do whatever can be done to realise the progressive achievements in the field of agriculture, industry and commerce, that is the call of Islam which encourages Muslims to live in sound and free life. It is so easy for us to know that the breach which allows imperialism to poke its nose into our affairs is the shortage in agriculure, industry and commerce. Therefore the religion of Islam has imposed work on Muslims in the three fields mentioned above for the Muslim's prosperity and welfare.

The State - duty in protecting the economic independane:

It is the duty of the Islamic ruler to look after the interests of the Islamic group to guide his subjects and to do his best to make the whole nation enjoy their common interests.

The ruler is religiously ordered to co-ordinate this matter so that there will not be a concentration of wealth in the hands of one class of the nation. When need rises he is permitted to transfer some of the arable lands to commercial capital or to industrial companies aiming only at the common welfare of the people. In so doing he is coordinating the national interest in a way that makes the nation self-sufficient one.

In this case strangers could not find inlets to interfer in the national affairs. They would find instead that they are only permitted the right to the common exchanges existing in the Muslim community. This coordination is a wise one that benefits the nation and rescue it from the external interference, domination, and imperialism.

robbery and plunder. It is forbidden for Muslims to earn money through dealing in wines and pigs, or earning money by gambling and dancing' The religion of Islam made this clear for Muslims asking them to avoid unlawfuf means such as bribery, robbery and corruption, advising them to listen to the voice of the sound Conscience and to turn a deaf ear to the voice of evil.

Koran says : And swallow not up your property among yourselves by false means, nor seek to gain access thereby to the judges, so that you may swallow up a part of the property of men wrongfull while you know. (Surah Al-Baquarah : the Cow verse 188).

We can easily understand the high position of money and its great value from these verses of Koran which tell that God had punished those who dealt wrongly in money and earned it through unlawful means.

Koran says : So for the iniquity of the Jews, We forbade them the good things which had been made lawful for them, and for their hindering many (people) from Allah's way. And for their taking usury - though indeed they were forbidden it - and their devouring the property of people falsely. And we have prepared for the disbelievers from among. them a painful chastisement. (Surah Al-Nisa : The Women. verse 190-161)

Economic Indpendance in Islam :

When the religion of Islam has ordered Muslims to earn wealth through agriculture, industry and Commerce, it aimed at satisfying the material needs of the Muslim community which is in great need for both agriculture to get food for its individuals,and industry to smooth the human being's affairs related to his clothes, his house and his transportation from place to another. By virtue of industry man has been able to have strong machines for digging canals, making roads and to adopt ways that play a great role in the progressive achievments of the nation.

At the same level of importance the Muslim conunity needs to get in touch with the other people to exchange food and various articles. So the Muslim scholars have decided that Muslim should learn whatever art or trade which can be needed in this world. They mentioned some trades and arts to be an example of these things such as agricIture, and sewing clothes etc. It is the duty of

against evil-that is the best. This is of the messages of Allah that they may be mindful. (Surah Al-A'raf, the Elevated places. verse 26).

It was said to her : "Enter the palace. But when she saw it she deemed it to be a great expanse of water, and prepared herself to meat the difficulty. He said : "Surely it is a palace made smooth with glass She said : My Lord, surely I have wronged myself, and I submit with Salomon to Allah, the Lord of the worlds. (Surah Al-Naml verse 44).

Koran has advised Muslims to earn money through the three means mentioned above (Trade. Agriculture, and Industry), calling the earning of wealth seeking of Allah's grace" Hence wealth has this great value Islam has asked Muslims to go on with their work for seeking wealth except on the occasion of the Firday prayer, But when the Friday prayer is performed Muslims should go to their work and disperse abroad in the land seek Allah,s grace.

Koran says : "O y you who believe, when the call is sounded for prayer on Friday, hasten to the remembrance of Allah and leave off traffic. That is better for you, if you know. But when the prayer is ended, disperse abread in the land and seek of Allah's grace, and remember Allah much, that you may be successful. And when they see mershandise or sport, they break away to it, and leavd the standing. Say : "What is with Allah is better than sport and merchandise. And Allah is the Best of Providers. (Surh Al-Jumu'ah, the congregation. verses 9—11).

He it is who made the earth subseиivent to you, so go about in the spacious sides thereof, and eat of His sustenance. And to Him is the rising (after death). (surah Al-Mulk : the kingdom. verse 15).

Koran demands Muslims to take great care of money advising them to spend it reasonably and warns them not to be either extravagant or miser. Koran says : "And they who, when they spend are neither extravagant parsimonious, and the just mean is ever between these." (Surah Al-Furqan : the Discpimination. verse 67).

And make not they hand to be shackled to they neck, nor stretch it forth to the utmost (limit) of its stretching forth, lest thou sit down blamed, stripped off. (Surah Al-Esraa The Isrealites. verse 29).

While Koran has ordered Muslims to do their best to earn money by lawful means, it has warned them not to gain a penny through Usury,

It is clear now that Koran has considered wealth as the strong prop of the happy life and made equal to ones children. Islam is a practical religion which arranges its injunctions on factual basis, answering at the same time the demands of soul and that of the body. Islam has guided us to the right path for man's spiritual happiness as well as for the material life which enable the individual to enjoy the lawful delights of his life. Islam has enjoined the individual to work hard, doing his best to earn money by lawful and righteous means through commerce, and commercial co-operation exchange.

Means of earning wealth

Islam has ordered Muslims to earn money through commerce, so the journeys of Arbs for trading have been mentioned in koran. They made journeys north word to Syria and southword to yemen, the former of which was undertaken in summer and the latter in winter.

Koran says: For the taming (ie civilising) of Qureysh. For their taming (we cause) the caravans to set forth in winter and summer. So let them worship the Lord of this House. Who hath fed them against hunger. And hath made them safe from fear.) (Surah Queysh). Islam has ordered Muslims also to earn wealth through agriculture showing them how to prepare the land for cultivation. Koran says: "Then let man look at his food. How we pour down abundant water. Then cleave the earth, cleaving (it) asuder. Then cause the grain to grow therein. And grapes and clover. And the olive and the palm. And thick gardens. And fruits and herbage. A provision for you and your cattle. (Surah Abosa. verses 24-32).

Furthermore Islam has ordered Muslims to earn wealth through industry that Islam has considered as the strongest support for building up a powerful civilisation. In Koran you come accross meny verses about different kinds of industries such as the industry iron, of cloth, and tha, of mansions and houses building.

Koran says : "Certainly we sent our messengers with clear arguments. aud sent down with them the Book and the measure, that men may conduct themselves with equity. And we sent down iron, wherein is great violence and advantages to ment and that Allah may know who helps Him and His messangers, unseen, Surely Allah is strong, Mighty. (Surah Al-Hdid Iroe.verse 25).

O children of Adam, we have indeed sent down to you clothing to cover your shame, and (clothing) for beauty; and clothing that guards

mother is the sixth, after (payment of) a bequest he may have be queathed or a debt. Your parents and your children, you know not which of them is the nearer to you in benefit. This is an ordinance from Allah. Allah is surely ever knowing, wise.

And yours is half of what your wives leave if they have no child; but if they have a child, your share is a fourth of what they leave after (payment of) any bequest they may have bequeathed or a debt; and there is the fourth of what you leave if you have no child, but if you have a child, there is eight of what you leave after (payment of) a bequest you may have bequeathed or a debt.

And if a man or a woman, having no children, leaves property to be inherited and he (or she) has a brother or a sister, then for each of them is the sixth, but if they are more than that, they shall be shares in the third after (payment of) bequest that may have been bequeathed or a debt not injuring (others). This is an ordinance from Allah, and Allah is knowing, Forbearing.

These are Allah's limits. And whoever obeys Allah and His messenger, He will admit him to Gardens wherein flow rivers, to abide in them. And this is the great achievement. And whoever disobeys Allah and His messenger and goes beyond His limits, He will make him enter fire to abide in it, and for him is an abasing chastisement". (Surah 1, V 11 — 14).

In this article we are going to explain many things about money : the value of money in Islam, how to earn it, how to invest it, how to spend it in the right ways, and why it is unlawful to be extravagant or miser.

The value of money in Islam

actually any one who studies Islam would come to a conclusion that Islam is the religion of life. So there is no wonder that wealth has a great value and high position in the Islamic system. Wealth undoubteadly is the foundation of the happy life. It is the strongest support to achieve scientific progress, to build cities, and to enable every body to live in good health enjoying a delightful life. Thus Koran has appreciated the value of wealth and described it as an adornment of the life of this world.

Koran says : wealth and children are an adornment of the life of this world; but the ever-abiding; the good works, are better with they Lord in reword and better in hope, (Surah 18, Vers 46).

MONEY AND THE ECONOMIC INDPENDANCE IN ISLAM

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

The Islamic laws have arranged the financial affairs every of aspect of life and edeavoured to provide guidance and a proper solution to any financial problem. Islam has imposed Zakah (Alms giving) to solve the problom of poverty among the Muslim Community. Thus it is the duty of rich to offer a part of their wealth to the poor with the objective of building up a strong Community far from being weak or poor.

If the rich continue giving Zakah to the poor they would purify the poor's hearts and extinguish their hatred and ill feelings towards the rich. Hence love and friendship certainly would be engendered between them, and all of them would exchange good feelings and cause mercy and co-operation to prevail among them all.

The Islamic law has dealt with to solve the problem of personal property after the death of an individual. The right of Inheritance as an Islamic principle proceeds to divide wealth among relatives in order to strengthen the ties between the members of a family and for the generations to come, thereby sons can share the fruits of their father's efforts.

The Islamic law has set up the principle of inheritance on the basis of justice and sound reason, and God Himself has arranged the shares of heritage between heirs in the holy Koran.

Koran says: "Allah enjoins you concerning your childrern : for the male is the equal of the portion of two females; but if there be more than two females, two third of what the deceased leaves is theirs; and if there be one, for her is the half, and for his parents, for each of them is the sixth of what he leaves, if he has no child and (only) his two parents inherit him, for his mother is the third; but if has brothers, for his

have any cause for complaint, because their university have turned into an international one which combines both old and new, the past and the future, the religious and the temporal.

It is now the duty of Azharites to strive hard, to work with all their might, to do their utmost to put this new law into effective operation out and to affirm that they have the ability to take their part in the revolution. In my openion the Azharites are worthy of this reformation. They thank God for the realization of their hope and their full homage for the leader who issued the law and gave his best attention to that old university.

As a matter of fact, the successful outcome of this reformation is concentrated in Azharite's hands, because the government has issued the law and depended on them to lay the programme, to write the books and to carry both the law and the excutive regulations out according to the dictation of both heart and conscience.

If the Azharites carry the new law out according to old plans, it will be similar to the constitution of the old regime in that it had been quoted from up-to date rules and the best constitutions of great nations, but it was useless as a Koran inside an infidle's house or the light in a blind man's room. The Qur'an said in this respect : "Verily, never will God change the condition of a people until they change it themselves (with their own souls) ". (Surah of the Thunder, Section. *2.* Ver. 11).

Last but not the least, the reorganisation of Al-Azhar university is a great step towards the realisation of the dream which we and the other faithful people hoped to come true. This dream is to study the explanaitions of the Qur'an, the prophetic traditions, the Arabic language and the Islamic law on both religious and civic foundations. Consequently, Al-Azhar will maintain its old heritage and will share in modern progress, differences between its students and their counterpart in other institutions will be obliterated. Its culture will be united and Al-Azhar will occupy its worthy place in the field of modern civilization and the leadership of the world.

students in Al-Azhar university, have natural gifts of their own which are endowed on them by God, and that they look forward to a bright future. Because those students will perform their duties in the future for the benefit of the nation according to the teachings of Islam, they will have the right to be taught academic subjects in the interests of their life career. This cannot be realized unless they let aside their old thoughts, take part in modern progress, change their minds and thoughts to accompany the march of progress and carry out the instructions of the religion for their future personal happiness. Consequently, President Nasser has issued a law on the re-organisation of Al-Azhar, to be published in a series starting next month. The law has created a university of the previous mosque, made religion a mean of worldly achievements, used sciences as means of guidance and learned men as leaders. The law also set up a "Scientific commitee for Islamic researches" which will liberate minds and urge them to abandon blind imitation purse the prophetic traditions of lies Promote islamic law as dictated by God and the teachings of his Messenger and to preach Islam all over the world as efficiently and attractively as possible.

The new law gave Al-Azhar university the opportunity to graduate not only religious men, but also physicians with pious hearts, engineers of good character, makers and workers performing their duty honestly, and employers who work according to the dictation of conscience. The new law is also aimed at creating a good society: the dream of Azbarite reformers from Sheikh Mohamad Abdoh till Sheikh Mahmoud Shaltout. Reformers who came before the present Rector, passed their life calling for the reformation of Al-Azhar, but failed to secure any official support.

God has willed that the reform to be effected by President Nasser and Sheikh Mahmoud Shaltout who are men of principle and strong faith. The history of Islam will record this reformation on its pages in bright words especially because it will be of great effect in the future of Arabism. Consequently, the Rectorship of Shaikh Shaltout for Al-Azhar will be very clear in its history. This is because his Rectorship constitutes an interval between the troubled times of the past, and present time in which the Azharites were accorded their full rights and a prosperous future assured for them.

By the re-organisation of Al-Azhar, the reformers have realized their hope and their dreams have come true. Azharites will no longer

This will provide a source of inspiration and guidance for the above three revolutions.

The term "Revolution" has no contradiction with the religion, neither is it against its spirit. As a matter of fact, Islam in itself is a revolution, a revolution against evil and corruption, and a war against tyrany and aggression. Because these abominable sins are still committed by the people, war against them and the revolution must continue. The revolutions needs only to be kindled by us to find the light which guides it on the right way.

The Good reformer and the Best leader who appeared by the will of God the almighty, is the only one who has the ability to kill Evil and replace it by good, to reconstruct what had been destroyed in the course of time, to raise the veil which covered the word of God to be very clear in all sights and to remove any doubts about the message of our Prophet Mohamed "Peace be upon Him". The leader can do this by flaming the candle of the religion and considering it a part of the five years reform project.

The Constitution of the United Arab Republic declares Islam as the official religion of the nation. The significance of this cannot be realized except if the religion has a great effect on education, legislation and conduct. As a matter of fact, Al-Azhar as the oldest university all over the world - by the grace of God - is the best institute that has the ability to preach the right message of Islam and to unite the great Islamic nations. This will be realized, if Al-Azhar is given the opportunity to perform its message as planned by the revolution in response to the wishes of the National Union at its general conference of last year.

While we aspired at this revolution in our dream, our president Nasser was preparing for it to come true. He had the openion of the reformers before him; it said that the world can be reformed only throuh the religion, and that the religion can be revived only by the re-organization of Al-Azhar university, and that Al-Azhar will bring about the progress of the east if it is developed to fit modern times. The importance of Al-Azhar is derived from its culture which has its origin in the source of revelation and the natural law. when this culture joins modern thought, they will interact with each other, and the result will be the cause of : the revival of God's religion, the efficiency of its legislaion and the perpetual remembrance of God.

President Nasser as other reformers before him, is of the openion that the forty five thousand Arab



FORTH REVOLUTION

COMES TRUE

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

Since the year 1952, the United Arab Republic has passed through three revolutions : Frist : the political revolution which liberated the country, brought about the withdrawal of British occupants and affirmed its independence on the bases of Unity, neutrality and peace. Second : the social revolution designed to establish a democratic system for the people and to build the new society on love, equality and brotherhood. Third : the economic revolution aimed at introducing socialism as a system of life in the country, and the establishment of the people's wealth on foundations of justice, fraternity and co-operation.

These three revolutions constitute the people's full active and creative power, unleashed by a wise leadership having the best interests of the people at heart, which distroyed the corrupt regimes of the past and constructed a new system on solid foundations and ploughed the land for the best fruit.

But the revolutionary constructional powers will not alone cope with the establishment of the good society which is worthy of the modern and progressive man. Indeed, the revolution is able to turn the iron very soft, to cultivate rocks, to harness the Nile, to extend knowledge, to spread prosperity and abundance, to facilitate the life of both the industrial worker and the land labourer and to provide the army with formidable means of power. But inspite of all that, the revolution cannot plant piety in the heart of the ill-souls, neither can it bring dead conscience back to life : As a proof, we notice that within nine years we have become an independent nation which says to be heard, asks to be answered, strives hard to succeed and plants to ripe. All those results are realized through a democratic and just Government and the moderate socialist system which urge one to help all and all to help one, we still find among us the theif, the bribed, the hypocrite, the dishonest' the distructive, the careless, the liar and the forgerers. Consquently, we find ourselves in need of a fourth revolution : The religious revolution.

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر فى أول كل شهر عربى

يشترك فى التحرير
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ فى الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الرابع — ربيع الآخر سنة ١٣٨١ ﻫ — سبتمبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

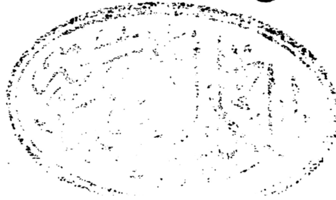
من ذكريات الأزهر

كيف عرفت الشّنقيطى

بقلم : احمد حسن الزّيات

— ١ —

كنت فى مولد هذا القرن غلاما ناشئا أهوى الأدب وأحفظ الشعر وأعالج القريض. وكان مجلسى المختار يقع فى الركن الغربى من الرواق العباسى بالأزهر ، فى رفقة من الطلاب كانوا كأنجم الثريا لا يفترقون لا فى الدرس ولا فى المذاكرة ولا فى الرياضة . وكنا على خلاف إخواننا الأزهريين فى ذلك العهد نقرأ الصحف ونغشى الأندية ونتتبع المعارك الأدبية فى الضياء لليازجى ، ومصباح الشرق للمويلحى ، والمؤيد لعلى يوسف . وكان حديثنا وحديث المتأدبين يدور على ما تتناقله الأفواه وتتداوله الصحف من الجدل المضطرم الحاد بين الحافظ الحجة الشيخ محمد محمود الشنقيطى وخصومه من علماء الأزهر وأدباء العصر ، وكان الشيخ قد هاجر منذ قريب من مدينة الرسول إلى قاهرة المعز



فوجد من الإمام محمد عبده لقاء جميلا وعطفا كريما ، فأجرى عليه رزقا من الأوقاف ، ووكل إليه إحياء الأمهات العربية الكبرى ، فنشر المخصص وحرر القاموس وأملى الأراجيز ، وإلى ذلك يشير فى رثائه لنفسه من قصيدته الميمية المطولة :

تذكرت من يبكى على فلم أجد
سوى كتب تختان بعدى أو علمى
وغير الفتى المفتى محمد عبده
صديق الصدوق الصادق الود والكلم
فعصم العلوم كنت أنزلها له
إذا اعتاصت اروها على كل ذى فهم
مخصصها المطبوع يشهد مفصحا
بحفظى عند الحذف والبتر والخرم
بذا يشهد المفتى وأصحاب طبعه
ولا يكتمون الحق كتمان من بكم
وقاموسها المشهور يشهد فى الضحى
بذاك وفى بيض الليالى وفى الدهم

وكان الأزهر قد درج طويلا على إغفال اللغة والأدب من مناهجه حتى أدخلهما الأستاذ الإمام فى الدراسة الحرة ، وجعل دراسة اللغة للشيخ الشنقيطى ، ودراسة الأدب للشيخ المرصفى . وكان ابن التلاميد آية من آيات الله فى حفظ اللغة والحديث والشعر والأخبار والأمثال والأنساب لا يند عن ذهنه من كل أولئك نص ولا سند ولا رواية . وكان شموس الطبع جاد البادرة قوى العارضة ، يجادل عن نفسه بالجواب الحاضر والدليل المفحم واللسان السليط .

كان لا ينفك يتحدى رجال اللغة بالمسائل الدقيقة والنوادر الغريبة مستعينا على جهلهم بطله ، أو على نسيانهم بحفظه ، حتى هابوا جانبه وكرهوا لقاءه ، وأصبحت حياته سلسلة من الخصومات الأدبية سجلها بالشعر اللاذع والنثر القارص فى كتابه (الحماسة) . وأكثر هذه الخصومات كانت بينه وبين أحمد البرزنجى فى المدينة ، والنبيلى فى تونس(١) ، وحمزة فتح الله وابراهيم اليازجى وسليم البشرى وعبد الكريم سلمان فى القاهرة .

اجتمع ليلة الاحتفال بالمولد النبوى الشريف فى دار السيد عبدالباقى البكرى بجماعة من كبار العلماء يتصدرهم إمام المالكية الشيخ سليم البشرى . فخلا لبعضهم أن يتحرش به فسأله سؤال المنكر عن رأيه فى صرف عمر وخروجه على إجماع النحاة ،

---

(١) كان موضوع الخصومة بينه وبين أديب المدينة وعالم تونس أنهما لحنا الامام مالكا رضى الله عنه فى قوله فى باب النذور من موطئه : (وعليه هدى : بدنة أو بقرة أو شاة إن لم يجد إلا هى) فهما يقولان : إن مقتضى الظاهر أن يقول : إن لم يجد إلا إياها ، وهو يقول : إن وجد معنى غنى من الوجد وهو الغنى فلا تحتاج إلى مفعول ، وقد أفردوا فى المسألة مؤلفين ، مؤلفا لهما ومؤلفا له .

فقال له : إنما صرفته بالأدلة القاطعة والشواهد الصريحة ، وخطأت جميع النحويين من سيبويه إلى ابن هشام فى قولهم إن عمرا ممنوع من الصرف لأنه معدول عن عامر ، والحق اليقين أنه جمع لعمرة وهى الحج الأصغر ، وبه سمى عمر ابن الخطاب ومن قبله ومن بعده ، فهو علم منقول عن جمع نكرة ، وما كان كذلك من الأعلام صرف إتباعا لأصله ، ككلاب وضباب وأنصار وأنمار ، وجمعت من الشواهد على صرف عمر مائة شاهد ونيفا ، منها قول كعب الأشقرى :

يا أيها الزارى على عمر
قد قلت فيه غير ما تعلم

ومنها قول بشار العقيلى :

إذا أيقظتك حروب العدا
فنبه لها عمراً ثم نم

فقال الشيخ عبد الكريم سلمان : ولم لا يكون التنوين فى بيت بشار للضرورة ، وتكون الرواية فى بيت كعب بالفتح الممدود لا بالكسر المنون ؟ فقال له فى حدة عصبية ولهجة مغربية : إنك بالعروض أجهل منك بالنحو ، ومثلك لا يناقش ! .

فهم بالرد الشيخ سلمان ولكن الشيخ البشرى مال بالنقاش إلى جهة يراه القوم فيها واحد الآحاد وهى السنة . فقال للشنقيطى : إنك تلبس خفين أسودين وذلك من لباس النصارى . فقال له إنما ألبس ما كان يلبس الرسول ، أما أنتم فتلبسون الخفاف الحمر وهى لباس نساء المغرب ، والخفاف الصفر وهى لباس نساء المشرق ، فأنكر البشرى أن يكون الرسول صلوات الله عليه قد لبس خفين أسودين ، وقال إن الإجماع منعقد على خلاف ذلك ، فرد عليه بأن رواية الإثبات تثبت أن النجاشى أهدى إلى الرسول خفين أسودين فلبسهما ، ثم انفجر عليه بما روى الترمذى وابن ماجة وأبو داود والبيهق ، يؤديه عن ظهر قلبه كأنما كان يتلو من كتاب ، فلم يجد الشيخ البشرى رحمه الله درءا لهذا السيل إلا أن يطعن فى الرواية والرواة ، وانتقلت المجادلة من دار البكرى إلى دور الصحف ، فكتب الشيوخ ، ورد الشيخ ، واستطار بينهم الخلاف أكثر العام فسماه الناس « عام الخفين الأسودين » .

— ٢ —

ترامى إلى مجلسنا بالرواق ذات ليلة أن الشيخ الشنقيطى قد نشر كتابا سماه (الحماسة السنية ، الكاملة المزية ، فى الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية) صدرها بمطولة له فى خمسة ومائتى بيت من بحر الطويل وقافية الميم مطلعها :

ألا طرقت مى فتى مطلع النجم
غريبا عن الأوطان فى أمم العُجم

روى فيها حديث سفره إلى مدينة استوكهلم عاصمة السويد إجابة لدعوة ملكها أسكار الثانى ليشهد مؤتمر المستشرقين الثامن الذى اجتمع بها فى سنة ١٣٠٦ هـ، فوصف الرحلة ومدح الداعى وذكر جملة من أمر حياته ورحلاته وتحقيقاته، ثم ختمها برثاء نفسه، وسرد لأسماء أشهر القبائل العربية جريا على المنهج الذى اقترحه عليه سفير السويد بمصر الكونت كارلودى لندبرج، وهو مستشرق سمى نفسه (عمر السويدى) ونشر بعض المخطوطات العربية كشرح ديوان زهير للأعلم الأندلسى الشنتمرى، وكان الشيخ يومئذ فى الآستانة فسافر إليها ليلقاه ويدعوه فشرط عليه الشيخ بعد إذن الخليفة عبد الحميد الثانى أن يصطحب ثلاثة من علماء العربية ومؤذنا من المتعلمين وطاهيا من المسلمين. فأجابه إلى ما شرط. ولكن الرحلة لم تتم لأسباب يعرفها قصر الخلافة.

كان الشيخ لا يبيع هذا الكتاب وإنما يهديه إلى من يحسن القراءة فيه من طلاب العلم أمامه. وكنت فى ذلك الحين هش العود لا أظننى أثبت على عجمه؟ فتفاديت ذلك الحرج بنظم قصيدة فى مدحه من بحر قصيدته وقافيتها. ثم حملتها متوكلا على الله وذهبت إليه. وكان صديق الطيب الذكر محمود حسن زناتى قد سبقنى إليه فأنبع قدرته وأخذ نسخته. فصحبنى إلى داره وقت الأصيل - وكانت بأول شارع الباطنية من حى الأزهر - فدخلناها فإذا هى دويرة ذات طابقين صغيرين ونصف طابق فوق السطح كان يسكنه الشيخ هو وزوجه وخادمه. صعدنا إليه فى درج براه الزمن وعوجه فلا تستقر عليه قدم، ودخلنا عليه ردهة غير مسقوفة انسدلت على نافذتها ستارة فلا تطلع على غيبها عين. كان جالسا على فروة بيضاء فوق كليم انبسط على نصف المكان وانتثرت على حواشيه بعض الأدوات المنزلية.

لم أكن رأيت الشيخ من قبل، كان شخصا ينصُرّ كما يقولون فى صرة: هيكل ضئيل، وبدن نحيل، ووجه ضامر، ولون أخضر، وصوت خفيض. فمن يره أول مرة لا يصدق أن هذا الجرم الصغير قد جاب البر والبحر، وطاف الشرق والغرب، وكافح الأنداد والخصوم، ووعى صدره الضيق معاجم اللغة وصحاح السنة ودواوين الشعر وعلوم الأدب، وكان يلبس قفطانا أبيض من القطن، ويرتدى جبة دكناء من الصوف، ويعتم عمامة مكية قد أرخى لها عذبة على ظهره، فلما رآنا هش بعينيه وبش بفمه، فقبلنا يده ثم جلسنا بين يديه. كان كل ما فى الردهة يرف بالهدوء ويشف عن النظافة، فلا حس ولا حركة ولا هباءة إلا ما يقع فى أسماعنا من أصوات الباعة على بعد وكانت الخادم الحبشية

العجوز قد أقبلت فى سكون وأدب بأكواب الشاي الأخضر فشربنا ، ثم أخرجت القصيدة من جيبي وأخذت أتلوها فى رجفة خفية وهيبة ظاهرة ، والشيخ يستمع ولا يظهر على مخايل وجهه البرنزى ما ينم على استحسانه أو استهجانه ؛ حتى بلغت إلى قولى منها :

رفعت درفس الدين بالعلم والتقى
وصنت لسان العُرب بالحفظ والفهم

فقال : ما الدرفس ؟ قلت : الراية . فقال : أتحفظ شاهدا عليها ؟ قلت : نعم ، قول البحترى :

والمنايا مواثل وأنو شر
وان يزجى الصفوف تحت الدرفس

فقال : أحسنت ، بارك الله فيك . وانتهت التلاوة والزيارة بأخذ النسخة ، ثم لزمته بعد ذلك إلى أن فارقنا إلى لقاء ربه . لزمته أنا وأربعة أو خمسة من الرفاق فكنا نصلى معه الجمعة من كل أسبوع فى الجامع الأزهر ، ثم نجلس أمامه بالجانب الأيمن من المنبر فنقرأ عليه ساعة وبعض الساعة ثم ينصرف إلى داره ، قرأنا عليه كتابه (الحماسة) ثم ديوان المعلقات . وكانت طريقته فى التلقين أن يعنى بدقة الضبط وصحة الرواية ؛ فلا يشرح لفظا ولا يفسر معنى إلا إذا سألناه . ومن النوادر التى أذكرها أن طالبا ممن كانوا معنا كانت فيه سذاجة وغفلة ، وكانت إحدى عينيه مظلمة .

وكان أحدنا يقرأ مطولة الشيخ الأولى وفيها قوله : إلى مثلها يصبو الحليم صبابة — فقال الطالب : إن هذه الشطرة مسروقة من معلقة امرئ القيس . فقال له الشيخ فى غضب وحدة : المسروقة عينك العوراء ! إن للعرب أبياتا وأشطارا شاعت شيوع الأمثال فلكل شاعر أن يستعملها كقولهم :

وقوفا بها صحبي على مطيهم .

وقولهم ، تبصر خليلى هل ترى من ظعائن .

وقولهم : فدعها وسل الهم عنك بجسرة ، وهذا من ذاك .

كذلك أذكر أن الشيخ كان كلما انفلت من صلاة الجمعة دعا بالشيخ إمام السقا خطيب الجامع فى تلك الأيام وكان رجلا طاهر القلب ظاهر الورع ، فإذا جاءه أخذ يعنفه أشد التعنيف على اقترافه الكذب على الرسول بما أورد من الأحاديث الموضوعة فى خطبته ثم لا يخليه حتى يستغفر الله ويتوب .

فلما تكرر هذا الموقف كان الشيخ السقا يتحاشاه فلا يكاد يخرج من الصلاة بالتسليم حتى يخرج من المسجد بالركض !

رحم الله الشيخ ومن جرى ذكرهم معه من الشيوخ ، وجزاه الخير وجزاهم على ما قدموا للغة القرآن وفقه السنة وعلم العربية من حسن القول وإخلاص العمل وصدق الغيرة .

أحمد حسن الزيات

الجمهورية العربية المتحدة تتلقى نور محمد باليمين

للإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت

يحتفل المسلمون فى شهر ربيع الأول من كل عام بميلاد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام ، ومحمد صلى الله عليه وسلم هو استجابة الله لدعوة أبينا إبراهيم عليه السلام إذ وقف هو وولده إسماعيل يرفعان القواعد من البيت ويدعوان : « ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ، ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ، وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم » ثم خصا وقالا : « ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم » .

هذا هو محمد الذى حقق الله به دعوة أبينا إبراهيم ، وهو النور الذى جاء فى قوله تعالى : « قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم » ثم يمتن الله على المؤمنين بنسل إبراهيم فيقول : « لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين » ثم يمتن به مرة أخرى فيذكر صلته بهم ، وما يملأ قلبه من الرأفة والحرص على خيرهم : « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم » .

كانوا فى ضلال مبين ، ضلوا به طريق الحكمة والهداية والإرشاد وأفسد عليهم تصورهم لخالقهم وتصورهم لمجتمعهم الإنسانى الفاضل وملأت قوى الشهوة والغضب ، وحب الاستعلاء والطغيان نفوسهم ، وبذلك ارتدت البشرية فى هذا الوقت رداء قاتما خشنا لا يرى من نسجه منفذ ترسل منه أشعة الهداية ضوءها عليه ، وبذلك قطعت صلتها بخالقها فأنكرت ألوهيته أو عبثت بها ، وعبدت ما لا يسمع ولا يبصر ، وخشعت لما لا ينفع

(*) الكلمة التى وجهها فضيلة الامام الاكبر إلى المسلمين فى عيد الهجرة النبوية الكريمة .

ولا يضر ، وقطعت صلتها بأسرتها ورحمها فوأدت البنت ولهامكانتها فى الحياة، وأكرهت الفتاة على البغاء ولها عفتها وشرفها ، وقتلت الأولاد زينة الحياة الدنيا ، وذخيرة الحياة الآخرة ، وبهم قوام الحياة العاملة وقطعت صلتها بمجتمعها فتحكمت فى العقائد والأخلاق وسنن الاجتماع واتخذت أساس معاملتها القوة الغاشمة ، والتسخير والإذلال ، وبذلك خلت من الرحمة والشفقة ، وعزف عنها البر والإحسان.

هذا مثل الروح الفطرى بعد ما أفسدته البشرية الضالة . والروح الفطرى روح نقى طاهر لا يسكن فى ظل تلك الحياة الفاسدة المضطربة الملوثة بدم الأبرياء وأموال الضعفاء، فاختلس نظرات ضعيفة يستعطف بها خالقه ، فنفذت تلك النظرات إلى ماوراء تلك الحجب المتراكمة واتجهت إلى مصدر الخلق والإيجاد، مصدر الرأفة والرحمة ،مصدر الهداية والإنقاذ « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان » .

فاستمع الله له وهو السميع العليم ، ونظر إليه ، وهو الرءوف الرحيم، وفى هذه الآونة انطلقت بشرى الإنقاذ بميلاد محمد بن عبد الله، فاهتز قلب العالم ، واشرأب الروح الفطرى إلى السماء ، وأخذ يقلب وجهه فيها . وما هى إلا فترة النمو والإعداد حتى وافته رسالة السماء « قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور ، وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون » .

جاءهم ذلك الشفاء يحمل عناصر دوائه رسول الله محمد بن عبد الله : « إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً » يهدى للتى هى أقوم فى العلاقة بالخالق وبالناس ، فى العلاقة بالبناء والتعمير ، فى العلاقة بالحرية والنظر فى ملكوت السموات والأرض ، فى العلاقة بظاهر الكون وباطنه : « أولم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم فبأى حديث بعده يؤمنون » فى العلاقة بين الغنى والفقير، فى علاقة الناس وتعاون بعضهم ببعض : « قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت،فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون » .

وبهذه الرسالة المحمدية تبوأ الروح الفطرى مكانه من الضمير العالمى ، فبدل قسوته رحمة ، وضلاله هدى ، ومرضه شفاء ، وانحرافه استقامة ، وجهله علما ، وخوفه

أمنا ، واضطرابه استقرارا ونظاما : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ، ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون . وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون » .

هذا هو محمد الذى تحتفل بمولده البلاد الإسلامية من أقصاها إلى أقصاها فى شهر ربيع الأول من كل عام هجرى ، ولقد كان من حظ الجمهورية العربية أن تلقت باليمين نور ذلك النبى وهداية ذلك الرسول ، تلقته الجمهورية العربية باليمين ، واحتضنته ، واحتفظت بمنابعه : - كتاب الله وسنة رسوله ، ثم انفردت بحمله والاحتفاظ بتراثه ومعانيه وأحكامه وحكمه ، انفردت بحمله فى أزهرها بعد أن صبت فيه جميع أنهاره وجداوله التى انسابت من أماكنه الأولى ، وكانت الجمهورية العربية بذلك حقا هى الوارث البار للتركة الخالدة ، وكان الأزهر خادمها الأمين ، وحارسها القوى ، حتى لفت أنظار العالم الإسلامى إليها ، بل العالم كله ، وبه اتخذها المسلمون فى جميع بقاع الأرض كعبة ثانية يحجون إليها فى كل حين ، ويغترفون من منهله العذب ما يضىء لهم طرق الحياة ، ويسعدهم فى الدنيا والآخرة ، وكان مصداق ذلك كله قوله تعالى: « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » .

وقد تكاملت فى هذا الأزهر - وفى هذا العام - مواد الهداية والإرشاد ، والبناء والتعمير ، وأصبح المسلمون به فى جميع بقاع الأرض يلتفون حول مائدة واحدة ، هى مائدة العلم بكتاب الله وسنة رسوله ، مائدة البحث ومعرفة أسرار ذلك النور الإلهى الكريم .

أيها المسلمون : استقبلوا ذكرى ميلاد الرسول بالعلم والعمل ، وما كانت حياة الرسول إلا عملا متواصلا لخلق العزة والكرامة فى نفوس المؤمنين ، وخلق البر والإحسان بالفقراء والمساكين .

والسلام عليك يا رسول الله .

محمود شلتوت

من المقارنة بين اللغات
الجملة الاسمية

للأستاذ عباس محمود العقاد

الجملة فى اللغات الأوربية اسمية ، يتقدم فيها الفاعل على الفعل ، ولا يتقدم الفعل فيها إلا شذوذاً فى حالات قليلة جداً أهمها حالة الدلالة على المفاجأة ووقوع الفعل على غير انتظار ، فإذا تقدم الفعل لمثل هذا السبب فهم لا يجعلون ذلك قسما معدوداً من أقسام التراكيب اللفظية ، أى إنهم لا يقسمون الجملة إلى اسمية وفعلية من أجل ذلك ، ولكنهم يحسبونه عارضا من عوارض القلب Inversion التى يحدث فيها أن يتقدم الفعل على الفاعل كما يتقدم حرف الجر أو الظرف أو الصفة ، لمناسبة يقتضيها التعبير .

وبعض الغربيين من أصحاب نزعة التصوف والتحليل النفسانى الحديث يردون تأخير الفاعل فى لغتنا إلى نوع من « القدرية » الشرقية التى تحيل كل شىء إلى الغيب ، ومنهم من يقول إن الاختلاف بين الأوربيين وأبناء اللغة العربية فى مسألة الجملة الاسمية إنما هو اختلاف فى درجة الشعور « بالثبوت » للشخصية الإنسانية ، فإن « ثبوت » هذه الشخصية ملازم للتفكير الأوربى ولكنه ضعيف عند الشرقيين يسرى ضعفه من الفكر إلى اللسان كما يظهر من غلبة الجملة الاسمية على ألسنة الأوربيين وغلبة الجملة الفعلية على ألسنة الناطقين بالضاد .

وقد سمعنا هذا الرأى الأخير من مستشرق معروف بالقاهرة يميل إلى التصوف ويكتب فى موضوعاته .

ولا يخفى أن هذا الاختلاف بين لغة الضاد واللغات الأوربية له دلالته التى لا ريب فيها ، ولا يمكن أن يحدث لغير سبب يقبل التعليل كما تقبله جميع الظواهر اللغوية ، على حسب نصيبها من الجلاء أو الغموض فى مراحلها التاريخية .

إلا أن التعليل الذى يرتضونه لهذا الاختلاف غير مقنع ، وقد يكون مناقضا للواقع عند التأمل فيه من بعض نواحيه .

وأول مواضع الخطأ فيه أن القول بتغليب الفاعل على الفعل فى اللغات الأوربية غير صحيح ، فإن مكان الفعل فى تلك اللغات أثبت من مكانه فى لغة الضاد ، ويجوز أن يخلو مكان الفعل الظاهر من الجملة العربية وتفيد معناها المستقل مع تقديره أو تقدير ما ينوب عنه ، فيجوز مثلا أن يقال

(رجل فى الدار) ويفهم منها ما يفهم من قولهم باللغات الأوربية (رجل يوجد فى الدار) أو ما يفهم من قولنا بلغتنا العربية (رجل موجود فى الدار).

بل يجوز أن نفهم من الجار والمجرور بلغتنا ما يفهم من معنى الصفة حيث نقول: « رجل: فى الدار خير من ألف رجل فى الطريق ».

ولكن الأوربيين لا تتم عندهم الجملة على وضع من هذه الأوضاع بغير الفعل الظاهر، فإذا وردت فى كلامهم فقرة من جار ومجرور لا يصحبهما فعل ظاهر أطلقوا عليها اسم « العبارة » Phrase تمييزاً لها من « الجملة » Sentence التى اشتقت عندهم أصلا من مادة الفهم أو مادة الإدراك... فكل كلام خلا من الفعل الظاهر عندهم فهو لفظ غير مفهوم.

فغير صحيح إذن أن اهتمام الأوربيين بالفعل دون الفاعل أضعف من اهتمام الشرقيين أو اهتمام الناطقين بالضاد.

وشبيه بهذا إن الصفة عندهم متقدمة على الاسم الموصوف؛ ولا يخفى إن الصفة تشبه الفعل على وجه من الوجوه، وهو وجه الإخبار عن الاسم الموصوف.

فالعربى يقول « كلام جميل » أو « فضل عظيم » فيلحق الصفة بالموصوف، ويجعل عنايته بالاسم مقدمة على عنايته بالإخبار عنه، ولكن الأوربى يعكس وضع الكلمتين على نحو لا يسيغه العربى، ولو لجأ فيه إلى التأويل والتقدير.

ويجب أن نذكر أن الفاعل لايكون دائما « شخصية إنسانية » يدل تقديمها على ظاهرة « الثبوت » لهذه الشخصية، بل يتفق كثيراً أن يكون الفاعل جماداً أو نباتا أو معنى من معانى التى يضعها العقل العربى بموضعها الصحيح من الإدراك ومن الإعراب.

فالقول فى الذهن العربى هو اسم يقابل الفعل المسبوق بعلامة المصدر، ومن هنا يتساوى « القول » و « أن نقول » فى الإدراك الصحيح.

وإذا جاء الأوربى فقال بلغته مثلا: « إن القول يناسب المقام » فليس هنا ظاهرة من ظواهر الثبوت للاسم، لأن الاسم المصدرى فى حقيقته بديل من الفعل مسبوقا بالعلامة المصدرية.

وكذلك قوله: « الماء عذب، والهواء طلق، والنور ساطع » وغير ذلك من قبيله حين يكون الفاعل غير إنسان، فهذه كلها أسماء لايدل تقديمها على توكيد ظاهرة « الثبوت » للشخصية الإنسانية، ولا فرق فيه بين « القدرية » الشرقية وبين « الواقعية » الأوربية بالنسبة إلى الفاعل الظاهر أو الفاعل المستور.

وقد نسى أصحاب التعليلات التى قدمناها أن اللغات الهندية الجرمانية تتكلم بها أمم كثيرة مختلفة الأمزجة والأفكار ، من أقصى حدود الهند إلى أقصى حدود القارتين الأمريكيتين ، فليست تراكيبها اللفظية دليلا صالحا لتعليل الاختلاف بالعقول والأفهام أو بقواعد النحو والبلاغة .

وليست التعليلات التى أشرنا إليها بصالحة إذن — لتفسير الاختلاف بين هذه اللغات وبين لغتنا العربية ، ولا بد من علة أخرى تفسر هذا الاختلاف ويوافق تفسيرها الواقع على نحو أقرب إلى الإقناع .

هذه العلة الأخرى بسيطة سهلة على الذهن ، وإن تكن من جانب الأوربيين عسيرة على العصبية القومية .

علة هذا الاختلاف أن اللغة العربية أوفى وأكمل من اللغات الأوربية ، وأن اللغات الأوربية انتقلت من أطوارها الأولى إلى أطوارها التى ازدهرت فيها قبل أن « تتنوع » فيها أوضاع الكلمات والجمل على حسب موضوعات التفكير والإدراك .

ويغنينا عن الإطالة فى هذا الباب أن نذكر أن الجملة الاسمية موجودة فى اللغة العربية وليست مع وجودها قليلة الاستعمال فى مواضعها ، فليس تقديم الفعل على الفاعل فيها عجزاً عن التركيب الذى يتقدم فيه الفاعل على الفعل ، ولكنه تقسيم للكلام على حسب مواضعه ، وتصحيح لموقع الفعل وموقع الفاعل من إرادة المتكلم وفهم السامع .

ومتى ثبت لنا الفرق بين موقع الفعل والفاعل فى الجملتين الاسمية والفعلية فالاكتفاء بالجملة الاسمية كما تقع فى كلام الأوربيين نقص منتقد وليس بالمزية التى تدل على الكمال والارتقاء .

وليس فى وسع من يفهم مواقع الكلم أن يجهل الفارق بين قولنا « محمد حضر » وقولنا « حضر محمد » .

فإننا نقول « محمد حضر » إذا كنا ننتظر خبراً عن محمد أو عن حضوره على الخصوص ؛ ولكننا نقول « حضر محمد » لمن يسمع خبراً من الأخبار على إطلاقه ولا يلزم أن يكون الخبر عن محمد ولا عن الحضور ، بل لعل السامع كان ينتظر كلاما عن حسن وعن على كما ينتظره عن محمد ، أو لعله خبر سفر وليس بخبر حضور منتظر أو غير منتظر .

وأوسع من ذلك فى وسائل التفرقة أن اللغة العربية تسمح بابتداء الجملة بحرف الجر وتؤدى بذلك معنى تحسبه الأجرومية الأوربية مجرداً من الكلام المفيد .

فإذا قال العربى : « فى الدار رجل » فهو كلام مفيد ، وتقديم الجار والمجرور فيه

(البقية على الصفحه التالية)

كان مولد محمد ﷺ مولد عالم جديد

للأستاذ حسن عباس زكى
وزير الاقتصاد والخزانه

لم تعرف الحقيقة الروحية ميلادها على هذه الأرض إلا منذ أربعة عشر قرنا . . . . في ميلاد محمد . . . . ولم تدرك غايتها عن الوجود إلا في وجوده .

كانت الأرض قبله في ظلام يلفها من أقطارها ، كانت مرتعا خصبا للأوهام والأباطيل ، ومنذ بدأ هذا النور بزحفه على ذلك الظلام ، أشرقت الحقيقة ، وأخذت شمسها تصعد إلى سماء المعرفة ، فتجلت مظاهرها في كل شيء واضحة جلية ملموسة ، وتحركت في النفوس أشواقها ، ونفضت عنها تراب اليأس ، وأغلال الجهل ، وانطلقت إلى ينبوع الحكمة ، لتعب من أسرارها ، ولتنهل من أحلامها ، ولتستعين بها على كشف الغطاء عن عيونها

[*] نص المحاضرة التى ألقاها السيد الأستاذ حسن عباس زكى وزير الاقتصاد والخزانة في الاحتفال بالمولد النبوى الشريف .

بقية المنشور من مقال الأستاذ العقاد

مقصود لأنه يشتمل على تنبيه لا يؤديه هذا الأداء قول القائل « رجل في الدار » .

أما هذه العبارة بعينها باللغات الأوربية فهى لفظ غير مفيد Phrase سواء تقدم حرف الجر أو كان التقديم للرجل أو للدار في تركيب من التراكيب كقول القائل « الدار فيها رجل » أو الدار رجل فيها ... وهو تركيب سائغ عند الغربيين .

* * *

وبعد : فهذه مزية من المزايا التى تكشف عنها المقابلة بين لغة الضاد واللغات الأجنبية ، وهى مزية من مزايا كثيرة في الألفاظ وفي التراكيب ، تستحق التنبيه إليها في زمان يكثر فيه من يتحدثون من العرب أنفسهم عن اللغات التى تصلح أو لا تصلح للتعبير السليم أو الفصيح في أبواب العلوم والآداب .

عباس محمود العقاد

كانت الأرض تائهة فى فضاء اللانهاية ، وكان أهلها يحسون ، رغم وطأة الظلام الذى ران على قلوبهم ، أنهم فى حاجة ملحة إلى النور الذى ينقذهم . . . إلى الحادى الذى يرشدهم . . . إلى المعلم الذى يقودهم ويهب لهم من نفسه المعرفة ، ومن قلبه الرحمة .

كان ظلام المادة يحجب عن الإنسانية طريق الروح ، ولكن كان هناك بصيص من النور ، يبزغ حينا ، وينطفىء حينا ، يشير إلى هذا الطريق ولم يهتد إليه الناس ، حتى أطل الصباح على الأرض ، وصاح البشير بالبشرى . . . هذا ميلاد حقيقتكم التى فقدتموها ، سوف تجدونها .

لقد ولد محمد ، وولد تاريخكم من جديد .

إنه تاريخ التطور البشرى ، وسبيل الحياة الوارفة الآمنة . إنه مولد العقيدة التى استلت من القلوب . . . والإيمان الذى سلب من الأفئدة .

ليس للإنسانية بعد اليوم أن تحيا بلا غاية . وليس لها أن تعيش فى يأس . هذه النظم المتداعية ستجد سبيلها إلى الإصلاح ، وهذه الثقة المفقودة ، ستأخذ سبيلها إلى الاستقرار.

لن تعيش الإنسانية بعد اليوم بين شقى رحى من الظلم والاستغلال .

لن يكون النهم والطمع حظر الأقوياء ، ولن تكون الفاقة والحسرة نصيب الضعفاء .

هذا نداء البشير يوم مولد محمد صلوات الله وسلامه عليه ، وسط ذلك الاضطراب السياسى ، والاستغلال الاقتصادى ، والظلم الاجتماعى ، حيث كانت النفوس تجيش بالثورة ، والقلوب تغلى بالصراع ، والأمانى تتجاوب فى الجوانح تجأر بشكوى الحال ، وتتمنى تغييرا ينقذها مما هى فيه .

فأذن الله بهذا الميلاد الكريم للإنسانية أن تخرج من ظلمات الجهل إلى نور العلم ، ومن ضلال الرأى إلى هداية القلب ، ومن إسار الاستغلال والاستعباد إلى رحاب الحرية ، ومن مهاوى البطالة والكسل إلى مجال العمل والجد والتنافس ، ومن هيمنة الأوهام إلى سيطرة المنطق والعقل ، ومن التفاوت فى الألقاب والأوضاع إلى الأخوة والمساواة .

وشاء الله لهذا الوليد أن ينمو ، وأن يتحدث العرب عن سمو خلقه ، وعن تفرده بالعقل والتفكير ، وعن حبه للعدل والمساواة ، وعن عمله وأمانته ، وعفة نفسه

ولكن هذا الشاب وهو فى ريعان شبابه وقوة فتوته يعتزل الناس ، ويتخذ من الغار محرابا يقيم فيه . فما شأنه ؟ وما الخطب الجلل الذى ينتظره ؟ . .

لهذا قضى فى هذه العزلة خمسة عشر عاما ، يتصل بالملكوت الأعلى ، يستلهم منه قضية الإنسانية ، ووسائل إسعادها حتى آتاه الله

الحكمة وفصل الخطاب ، وأنزل عليه قانونا جامعاً فى كتاب محكم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وجعل بعثته إلى الناس كافة كما جعل حياته وأعماله وأقواله مثلا يحتذى ، وتفسيراً لمواد القانون العامة ... فتجمع بذلك للإنسانية أكبر موسوعة تحوى أعظم التشريعات . مقدرة حاجات الإنسانية فى ترقيها وتطورها ... لأنها من وضع خالق الكون ، ومانحه الجلال والجمال ، المحيط بما يصلحه من نظم وماطبع عليه من أحاسيس ومشاعر .

وعلى هدى ما فى هذا القانون من المبادىء والتعاليم ، أقام المسلمون دولة ممتدة الأطراف وأسرع الناس من كل صوب يحتمون بهذه المبادىء ، ويعملون بهذه التعاليم ، وانتشر هذا الدين وهذه المبادىء والتعاليم انتشاراً كان معجزة التاريخ . . ذلك لأن فيه توفيقا بين الدين والدنيا . بلغ به المسلمون ذروة لم يسبق إليها دين ، وخطوا به نظاما لم يصل إليه بعده أى نظام ... غايته تربية العقيدة خالصة لوجه الله ، لا ابتغاء جاه ، ولا طمعا فى مال . ولا طلباً لسلطان أو ملك ، وإنما الغاية نصرة الحق وتقويم الأخلاق وتنظيم العلاقات بين الإنسان وأخيه الإنسان لتتحقق السعادة لبنى الإنسان على أسس من الشورى والأخوة والمساواة .. ولتتسع قاعدة السلام والحرية ، وتتهيأ فرص التكافؤ والعمل فى شتى مجالات الحياة ... وأخذ المسلمون بذلك مكان القيادة فى الوجود . وما أن اختلفت بهم الأهواء ، حتى تقسموا فرقا ودولا .. وسلط عليهم الأعداء ، فأصابهم الوهن والخوف ، وران عليهم الضلال ، وضربت عليهم الذلة ، وشاع فيهم التخاذل ، وتكونت الأقليات المستقلة ، ورسفت الغالبية فى قيود الفقر والمرض والجهل . وسامهم الخسف من كانوا أقل منهم علما ومالا وعدداً .

ولا خلاص لهم من هذا إلا بالرجوع إلى تاريخهم يستوحونه ، وإلى مبادئهم يستلهمون منها القوة ، وإلى شريعتهم يقتبسون منها النظام ، وإلى عقيدتهم يتخذون منها نبراسا تستضىء به جوانب نفوسهم وقلوبهم وعقولهم .

وهذه ذكرى مولد الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه فلنجعل من حفاوتنا بها أسوة لنا ، ولنختط من جهاده ما يؤكد كياننا ، ومن تعاليمه ما يعيننا على تنظيم بيئتنا وتطوير وجودنا ، وتنسيق الصلات بيننا ، لنحقق التكامل فى حياتنا الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

إن التفاوت بيننا هو علتنا ، وما كان هذا

التفاوت إلا منذ انقطعنا عن تاريخنا وطبعنا ذوقنا ونظمنا بذوق غيرنا ونظمهم، فانطمست شخصيتنا ، وخبت معانى العدل والكرامة فى نفوسنا ، وأصبحنا من حيرتنا كالسائر بين النور والظلام على دروب من الخداع والإبهام .

لقد نسينا أن من هنا بزغت شمس المدنية فغمرت أشعتها الوجود كله ، وفاتنا أن السحب التى حجبتها لا بد أن تنقشع ، ولا بد لهذه الشمس أن تسطع من جديد ، ولن يكون سطوعها ووهجها وسناها إلا من حيث أشرقت . . من هذه الأرض التى اهتزت بالعبقريات ، وازينت بالحكماء وشعت منها مشاعل النور والأمل ترسم سنن الأخلاق ، وتدفع المدنية والحضارة إلى مداها البعيد .

ولا بد أن تنحسر الغمرة عن موجة المادية الطاغية ، فتتألق الروحية وتأخذ الفضيلة مكانها ، ويحتل الحق موضعه . . . وها هو ذا نور اليقين قد بدا ، وصبح الإشراق قد آذن . . . فعلينا أن نحصن أنفسنا بهذه المبادىء حتى لا يستبدل الله بنا قوما يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون فى سبيل الله بأموالهم وأنفسهم . .

علينا أن نأخذ من هذه المبادئ ما ننمى به حياتنا الاقتصادية فنعمل على تداول المال حتى يزيد الإنتاج ، وعلى كل صاحب ثروة أو وظيفة أن يعلم أن لثروته أو وظيفته تكاليفها بالنسبة إلى غيره من أبناء المجتمع الذى يعيش فيه ، فيؤدى هذه التكاليف إلى مستحقيها . . .

إن فى الدستور الذى نزل على صاحب الذكرى الكريمة حلا لكل مشكل ، ومخرجا من كل مأزق ، وفرجا من كل أزمة ، فإذا استقمنا على نهجه وافينا غايتنا ، وانتهينا إلى وحدتنا ، ورسمنا للعالم طريق الخلاص مما يرسف فيه . . .

لقد حول هذا الدستور العالم من الجمود والضعف والأثرة ، إلى الحركة المتطورة ، والقوة الدافعة ، والإيثار الخير الكريم ، وجعل من حياة الفرد قبسا يستمد ضوءه من حياة الإنسانية كلها ، ورسم للنفوس التى استبد بها الهوى طريقا يردها إلى خالقها ، ذلك الطريق هو الوازع الدينى ، نروضه بالعبادة ، ونوقظه بالتذكير ، ونحرسه بالقانون ، حتى يكون دائما على اتصال بالملكوت الأعلى . . .

وسبيلنا إلى تطبيق ذلك أن نفهم هذا الدستور ، بروح العلم ، ونصوغ معانيه فى الأساليب الجديدة ، التى تتطلبها تطورات الزمن ، وتقدم عجلة الحياة ، وتشابك الأمم فى معاملاتها واتفاقياتها ، وارتباط بعضها ببعض مهما تباينت النظم ، واختلفت

الأوضاع ، ذلك لأنه لا سبيل إلى انفراد شخص بنفسه ، ولا سبيل إلى بقاء أمة بإمكانياتها ...

إننا في هذه الذكرى أحوج ما نكون إلى منهاج صاحب الذكرى في الحياة ، حتى تتلاقى عقولنا وقلوبنا ، فنستمد من قوة الله قوة لأنفسنا ، ومن قوة الإيمان وازعا لقلوبنا ، ومن قوة المعرفة قوة العلم ، ومن قوة المحبة قوة العمل لخير هذه الأمة ...

والعالم كله في حاجة إلى مبادئ صاحب هذه الذكرى ، ليبنى عليها قاعدة السلام ، ويقيم ركائز المحبة ، ويقضى على المادية المقيتة التى لا تستهدف سوى الفناء والدمار ...

وهو في حاجة إلى هذا التفكير ، ليتجنب الشهوات الصارخة ، ويتحاشى دعاوى التحلل ، وينحى عن بيئته الاستغلال بكافة صوره وألوانه .

ولن يتأتى للعالم ذلك إلا إذا آمن بالله وآمن بوحدة الإنسانية وبحق كل شعب في الحياة الحرة الكريمة ، ليتيسر للإنسانية أن تبنى مستقبلها على أسس من العدالة والحرية والإخاء والمساواة ، تلك الفضائل التى تستمد أصولها من الإيجابية الروحية ، وتتسق مع الفطرة الإنسانية ، وتساير قواعد العلم الصحيح .

فالإسلام يعتبر الخارجين على حدوده هدامين لبناء المجتمع ، ولذا يطالب كل فرد بحراسة قوانينه ونظمه حماية لنفسه ، وحماية للمجتمع من حوله .

ومن هنا وجب على المجتمع أن يتعاون على إصلاح الفساد ومنع الضرر ، والضرب على أيدى العابثين والمستغلين ، ووجب على القائمين على شئون الأمة أن يسلكوا بأممهم المسالك التى تحقق العدالة والإخاء والمساواة ، وأن يسنوا القوانين اللازمة لذلك لتكون حارساً ومسيطراً على الاتجاهات المنحرفة حماية للدولة وللجماعات وللأفراد ، انتهى .

بذلك التربة الصالحة والبيئة النظيفة ، فتنشب الأجيال المتعاقبة متشبعة بالخصائص الإنسانية الكاملة ، وتسود بين أفرادها العلاقات الصالحة الطيبة .

فبهذه العلاقات تنمو الحياة الاقتصادية ، ويتوفر كل على إجادة العمل وكثرة الإنتاج فيه ، فمما يروى عنه صلوات الله وسلامه عليه أنه قبل يدا ورمت في العمل وقال « تلك يد يحبها الله ورسوله » ، وهو القائل « من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له » .

اشتراكية الإسلام :

ولقد شرح صلوات الله عليه معنى الاشتراكية شرحا لم تصل إليه النظريات المتعددة على كثرتها وتباينها . . . في قوله : من كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد فليعد به على من لا زاد له .

وقال راوى الحديث فذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لاحق لأحد منا فى الفضل. «الزيادة»

وهذه أسمى معانى الاشتراكية التى تكفل لكل فرد مطالب الحياة، وتوجب على كل مستطيع أن يعين أخاه على الوصول إلى مطالبه بمقتضى التكافل والتضامن والأخوة التى أوجبها الإسلام بما جعل له من حق فيما فضل عن مطالب صاحبه، لا منة لأحد فى ذلك، ولا هو من باب الاستجداء.

واشتراكية الإسلام هذه تحارب الاحتكار بكل أنواعه؛ لأن فيه استغلالا لفضل الأموال غير المشروع، كما تحارب الربا لأنه استغلال بشع لحاجة الناس، وتحارب كل ما نهى عنه الدين لأن المال الذى ينفق فيه زائد عن حاجة صاحبه، وليس له أن يتصرف فيه، وإنما الواجب عليه أن يسلمه لمستحقيه ...

وكذلك يحارب استغلال صاحب المصنع أو المتجر أو المزرعة أو الشركة للعامل الذى يعمل عنده؛ لأنه بعمله يشارك صاحب المال فى الإنتاج، فينبغى أن يعطى من الأجر ما يكفل له ولأسرته مطالب الحياة ...

واشتراكية الإسلام تدرك حاجة الأمة إلى المال، فتحث الشعب على الادخار والاستثمار وتمنع كنز المال وحبسه: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم». وتدرك أن المال عصب الحياة الاجتماعية وقوامها، وعلى قدر ما تنمو الحياة الاقتصادية فى الدولة يكون ثراؤها وتوفير أسباب الخدمات والرفاهية لأبنائها ... وهى لا تغفل الدوافع النفسية لكل فرد فيها فتطالب الدولة بالعمل على توفير الحاجيات التى لا تقوم الإنسانية إلا بها، ولا تهدأ النفوس والقلوب، ولا تتهذب الأرواح، ولا يقضى على الشر إلا بتنظيمها.

ومن هنا كان على الدولة أن تتخذ الوسائل لتمكين كل فرد من الحصول على عمل يحفظ به كرامته، ويحقق للعقل والجسم والخلق مجال تحسين الإنتاج، حتى لا تتبدد ثروة الأمة وتضيع بدل أن تزيد وتنمو.

والاشتراكية الإسلامية تربط السياسة الاقتصادية بالسياسة العلمية والثقافية والاجتماعية والخلقية، حتى تتفاعل هذه السياسات كلها، فيتولد عنها الرخاء الذى يقضى على أسباب الفساد والجرائم.

وهذه الاشتراكية تتطلب من كل فرد أن يوازن بين موارده ومصارفه ولا سبيل إلى تحقيق ذلك إلا بالاعتدال فى الإنفاق دون إسراف أو تقتير:

«ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا».

تكافؤ الفرص فى رسالة الإسلام

للأستاذ الدكتور محمد البهى

معنى تكافؤ الفرص أن تكون مجالات الحياة متاحة لأفراد المجتمع على السواء. ومعنى تحقيق هذا التكافؤ هو أن تزال العوائق والحواجز التى تفرق بين الأفراد فى المجتمع الواحد، فتوصد الفرص أمام البعض وتيسر للبعض الآخر. هذه العوائق والحواجز التى هى وراء نشاط الأفراد الإنسانى، ووراء إمكانياتهم وطاقاتهم وكفاياتهم كبشر، والتى ترجع إلى فصل القوة فى أى جانب من جوانبها التى سادت يوما ما، وكذا إلى أثر السلطان الذى مارسه أصحابه فى إقامة التفرقة بين الأفراد فى المجتمع

(بقية المنشور على الصفحة السابقة)

وهى تبرز معانى المروءة فتحض على السخاء والبذل فى سبيل الله، وتوجب إقامة المؤسسات العامة التى تعود بالنفع على المجتمع صحيا وتعليميا، وفتح أبواب العمل للقضاء على البطالة والتعطل.

وهى فوق ذلك كله تحتم على المسلمين أن يلتمسوا العمل الحلال، والكسب بالطرق المشروعة.

وهى تعد الثروة فى أيدى أصحابها ذات وظيفة اجتماعية من حق الأمه كلها أن تستفيد منها، ومن حق الدولة أن توجهها للصالح العام، كما أن من حقها أن تتخذ الوسائل التى تكفل التوازن الاقتصادى والاجتماعى بين أفراد الأمة وطوائفها، حتى تهيئ للطبقة الكادحة الحياة الهنيئه والعيش الكريم.

إن هذه الذكرى الحبيبة لتشيع فى أنفسنا العز والفخر بهذه المبادئ الجليلة التى جاء بها محمد صلوات الله وسلامه عليه، ليختط للإنسانية حياة عزيزة كريمة، ويرسم لها طريق الفوز والنجاة.

وما أحوجنا نحن المسلمين إلى الاعتزاز بهذه الذكرى لنترسم خطاه . . . ولنا فى رسول الله أسوة حسنه.

حسن عباس زكى
وزير الاقتصاد والخزانة

الواحد ، على أن يمكن للبعض ولا يمكن البعض الآخر فى مزاولة وجه من أوجه نشاط الحياة الفردية أو الاجتماعية .

تكافؤ الفرص لا يخرج عن معنى العدل الاجتماعى ، وتحقيقه هو تحقيق العدل نفسه والمجتمع البشرى — منذ أن عرف له تاريخ تسوده هذه العدالة ، وبالتالى يتحقق فيه تكافؤ الفرص ، حينا ، ويختفى فيه أحيانا أو قرونا ، ذاك لأن الصراع بين القوة المادية والقوة المعنوية صراع غير متكافئ الطرفين ؛ فالقوة المادية كما تتمثل فى المال والملك ووسائل الغلب المادية ، تتمثل فى جاه الشرف وعراقة الأسرة .

أما القوة المعنوية فيصورها إدراك الإنسان للحياة الإنسانية وأنها حياة مشتركة يجب أن يسود فيها الاستقرار ويتحكم فى توجيهها منطق العقل ، دون قوة السواعد أو دون السيف والمدفع ، ودون القتل والسفك ، ودون التزاحم والاحتكاك . ومنطق العقل الخالص الذى لا يتأثر بالهوى والغرض هو منطق المحبة والأخوة فى البشرية ، ومنطق العدالة الاجتماعية فى المجتمع . وقلما يكون فهم الناس لهدف الحياة الإنسانية وقيمها فى منزلة تأثرهم بمظاهر القوة المادية الفاتنة . ولذا كانت دائرة القوة المادية أوسع نطاقا وأبعد عمقا فى حياة الإنسان من دائرة القوة المعنوية .

ومن أجل ذلك كان الصراع بين القوتين صراعا غير متكافئ ، وكانت من أجل ذلك أيضا سيادة القوة المعنوية أقصر من العهد أو العهود التى تملى فيها القوة المادية الرأى والتوجيه فى حياة المجتمع .

ولا تأتى السيادة المعنوية - وهى سيادة القيم الإنسانية فى المجتمع وفى مقدمتها العدالة الاجتماعية وتكافؤ الفرص - إلا على أثر تحطيم الحواجز والعقبات التى اصطنعتها السيادة المادية ، وهى سيادة المال والملك ، وجاه الشرف . وكلما كانت هذه الحواجز والعقبات قوية فى أثرها وممتدة فى تغلغلها فى المجتمع ، كلما كانت رسالة إعادة الوضع الإنسانى ، ورسالة العدالة الاجتماعية وتحقيق تكافؤ الفرص شاقة ، وكلما احتاج الداعى إلى هذه الرسالة إلى إيمان وجلد وتحمل فى سبيلها .

ولقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم هى دعوة لإعادة الوضع الإنسانى فى المجتمع البشرى ، ودعوة لإعادة تقويم القيم الإنسانية على أساس من الأهداف الحقيقية للإنسان فى حياته الفردية وفى حياته فى أمته ومجتمعه . وقد كانت الحواجز والعقبات التى فرقت المجتمع البشرى إذ ذاك قوية فى رسوخها وممتدة فى تغلغلها وبعيدة الزمن فى تاريخ قيامها . حتى أصبح الإنسان

نفسه من ملك الإنسان ومتعته ، وأصبح يباع ويشترى بثمن يساوم عليه تبعا لقدرته على العمل أو تبعا لمهارته ، أو تبعا لمنظره ولون بشرته . وأصبح سوق الرقيق تجارة رابحة وأصبح المجتمع يتذوق هذه التجارة كما يتذوق ملك الرقيق نفسه . وبذلك لم يعد الإنسان مساويا للإنسان فى طبيعته البشرية وفى ممارسته لخصائص هذه الطبيعة .

هذا من جانب ، ومن جانب آخر كان هناك جاه الشرف والملك ، كان هناك جاه الإمبراطوريات الرومانية والفارسية خارج شبه الجزيرة العربية ، وجاه القبائل العربية داخل شبه الجزيرة ، وما لهذا الجاه من أثر استبدادى فى القيادة ، وظلم اجتماعى كون فى المجتمع البشرى حاجز الطبقية ، فأتيحت فرصة الحياة لفريق من الأفراد ولم تتح لفريق آخر منهم : أتيحت فرصة حياة الترف والعبث لفريق ، على حساب الكرامة والحرية البشرية لفريق آخر .

وبالإضافة إلى هذين الجانبين فى المجتمع البشرى - وقت دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام - كان هناك جانب ثالث ، لعله أعمق الجوانب الثلاثة أثرا فى حياة المجتمع إذ ذاك وهو جانب العقيدة ، ومن يمارس دفع الناس إلى الاعتقاد ، كان هناك الشرك فى العقيدة ، وكان هناك الكهان فى دفع الناس إلى الاعتقاد ، أما الشرك فقد ربط الناس بالمحسوس وحجبهم عن إدراك القيم الإنسانية وعن تطبيقها بعد ذلك فى الحياة ، وأما الكهان فقد أقاموا من أنفسهم طبقة لها الوصايا وبيدها الشفاعة والغفران ومحو الذنوب ، ومن رسالتها الإخبار بالمستقبل ، كما تدعى لنفسها من خصوصية الاطلاع على الغيب ، وبذلك حجبوا الناس عن الكشف والاستطلاع بذواتهم ، وبما أعدوا به من عقل ووسائل الملاحظة والتجربة واحتكروا المعرفة ، ولم تكن معرفتهم يومذاك إلا مجموعة من الخرافة تحمل على التشاؤم كثيراً ولا تدع مجالا للتفاؤل إلا فى القليل من الحالات والأوضاع ، ولهذا الاحتكار لمعرفة المستقبل كان من ألقابهم « العرافون » .

ولقوة الحواجز والعقبات فى المجتمع البشرى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم كان لا بد له فى نجاح رسالته من قوة الإيمان وقوة التحمل والجلد ، وقد كان عليه السلام مثل المؤمن الكامل برسالته ومثل المتحمل الأول فى الدعوة إليها .

أما رسالته فقد كان يجب أن تكون لتحطيم هذه الحواجز وإزالة تلك العقبات فى المجتمع البشرى ، وهى الحواجز التى اصطنعتها العقيدة القائمة ، وجاه الشرف ، فى ذاك الوقت وسلطة المال والملك التى طغت حتى استرقت الإنسان واستعبدته ، وقد كانت رسالة لهذه الغاية .

فهى رسالة تحرير ، أو بالأحرى هى رسالة إعادة الوضع الإنسانى على أساس من القيم الإنسانية ، أو رسالة عدالة اجتماعيـة ، أو رسالة تحقيق تكافؤ الفرص للأفراد جميعا فى المجتمع البشرى :

فأولا :

فى دائرة العقيدة دعا الرسول عليه السلام إلى عبادة غير المحسوس الذى لا تدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، وبذلك رفع العبادة من الارتباط بالمادى المشاهد إلى القيم والمثل ، تلك القيم والمثل التى تتمثل فى صفات الله جل شأنه من العدل ، والرحمة ، والقوة والغنى ، والخلق ، والحياة ، والعلم ... إلى آخر تلك الصفات التى له جل شأنه .

وعن طريق هـذه الدعوة لم يعد هناك مجال للتقرب إلى الله سوى أن يحاكى الإنسان المؤمن به هذه الصفات فيه ويتمثلها فى نفسه هو ويطبقها فى عمله . فيتقرب إليه بتمثل العدل وتطبيقه ، وبفهم الرحمة وممارستها ، وبالإعداد القوى والمواظبة عليه ، وبدفع الحـاجة والسعى إلى الاكتفاء الذاتى ، وبالإيجابية والتفوق ، وبالحرص على الحياة الكريمة وعـدم قبول الاستذلال فيها — لأن قبول الذل فى الحياة قبـول للفناء فى صورة أخرى له — وبالكشف والاستطلاع وتحصيل المعرفة ... وهـكذا يتخذ المؤمن من كل صفة لله مثالا أعلى يسعى نحوه ، ويتقرب منه فى حياته الإنسانية التى يحياهـا لنفسه وفى مجتمعه .

وبرفع الإنسان العبـادة إلى الله مباشرة لم يعد هناك فى الإسلام كهان ، ولا كهانة ، ولم تعد هناك شفاعة ولا وساطة بالمعنى الذى يحيل عبادة الله إلى عبـادة أرضية محسة : يقول الله تعالى لرسوله الكريم : « قل لا أملك لنفسى نفعـاً ولا ضراً إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخـير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » وبذلك حدد وظيفة الرسول ، ونفى عنه ما كان يحترف به الكهان وما تكونت بسببه الكهانة .

ويقول فى موضع آخـر : « وذر الذين اتخذوا دينهم لعباً ولهواً ، وغرتهم الحياة الدنيا ، وذكر به أن تبسل نفس بما كسبت ليس لهـا من دون الله ولى ولا شفيع » . وبهـذا أيضاً نفى الشفاعة والوساطة فى صلة الإنسان بالله . كما نفاها نفياً واضحاً فى قوله تعالى : « وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداعى إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون » ثم أكد المسئولية الفردية بعد ذلك فى قوله : « ولا تكسب كل نفس إلا عليها ، ولا تزر وازرة

وزر أخرى » . وبهذا كله أبعد الرسول عليه الصلاة والسلام — مع سمو منزلته فى المستوى الإنسانى الخالص ومع قربه من الله جل شأنه — من أن يكون عرافا يتحدث عن الغيب والمستقبل ، ولا وسيطاً يقرب من يشاء ويبعد من يشاء ، ولا بيده محو الذنوب أو غفرانها ، إن هو إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون ، وإن كل نفس إلا مسئولة مسئولية فردية عما تعتقد ، أو تفعل وتتصرف .

وبذلك كله قوض الإسلام الطبقية فى دائرة العقيدة وأعاد الوضع الإنسانى للمجتمع فى هذه الدائرة ، وهى المساواة فى السعى نحو الله والتقرب منه . وبذلك أيضا حقق تكافؤ فى هذا الجانب ، وأصبحت القربى إلى الله مرهوبة بمدى سعى الإنسان نحوه ، وبمدى تحقيقه لرسالته ، التى هى فى واقع الأمر صفاته جل شأنه ، والتى عبر عنها قرآنه الكريم . وأصبح التقويم للأفراد مرتبطاً فقط بتحقيق معنى هذه الصفات فى سلوك الإنسان وتوجيهه : « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » .

وثانياً —

فى دائرة جاه الشرف دعا الإسلام إلى إزالة حاجز الطبقية الذى اصطنعه هذا اللون من الجاه . فذكر أولا أن الناس جميعا من أصل واحد ومصدر واحد : « وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع ، قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون » . وبذلك أبعد ما استقر فى الأذهان — من طول استبداد جاه المال والشرف — إن الطبائع البشرية تختلف فى أصلها ، فمن بينها سائدة وأخرى مسودة . وبهذا أيضا وضع جميع الأفراد وضعا متساويا ، وحقق لهم فيما بينهم تكافؤ الفرص ، والذى يتفوق منهم بعد ذلك هو الذى يتفوق بحسب بعمله وباستخدام طاقاته البشرية وتنميتها . والطاقات البشرية لا تستخدم ولا تنمى إلا فى طريق إنسانى ولغاية بشرية خالصة . أما الشرف نفسه فلا اعتبار له فى هذا التقويم وفى المفاضلة بين إنسان وإنسان (لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى) .

وبجانب نص القرآن هنا فى هذه الآية على المساواة فى الطبيعة البشرية لجميع الأفراد ، نرى الرسول بعد ذلك يقول : (إخوانكم خولكم) فيؤكد الأخوة البشرية بين صاحب الجاه فى الشرف وخادمه ، ويطلب معاملة كل منهما الآخر على هذا الأساس . وليست المعاملة المادية وحدها ، وإنما قبلها الشعور النفسى الذى يجب أن يتكون فى نفس صاحب الجاه وهو شعور الاحترام والاعتبار وعدم الإهدار لآدمية خادمه .

أما فى دائرة جاه المال والملك فقد دعا الإسلام إلى التحرر من استغلال الملكية الفردية للأفراد أو للأقوام والشعوب. فحرم الربا كمصدر أصيل لإذلال صاحب الحاجة. ثم عمل على تخليص الإنسان المملوك وإعادة الحرية والكرامة الإنسانية إليه: عمل على تخليصه برصد نصيب معين من الزكاة المفروضة الواجبة: «إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله، والله عليم حكيم».

عمل على تخليصه بحمل الخيرين من ذوى اليسار على شراء المملوك وعتقه، أو بتوجيه من وقع منه خطأ سلوكى أو نفسى إلى أن يكون العتق هو كفارة ما ارتكب من خطأ: «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة، من قبل أن يتماسا». «لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان: فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم، أو كسوتهم، أو تحرير رقبة ...».

وأخيراً – فى جانب عدم طغيان المال على حرية الأفراد وكرامتهم – فرض الزكاة وحدد الأنصبة فى الإرث بما يجعل من المال جاها ولكن لا يجعل منه احتكارا لحياة الآخرين، بما يجعل من إنفاقه قربى إلى الله دون أن يكون تحصيله وسيلة لرق الأعناق والنفوس: «الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى، لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون».

والإسلام بعد هذا كله ليس رسالة للوقت الذى قامت فيه دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم. إذ أنه رسالة لإعادة الوضع الإنسانى وتثبيت القيم الإنسانية فى الحياة الفردية والاجتماعية. وهو لذلك رسالة مع الإنسانية طوال قيامها: ولكن أشد الأوقات احتياجا إليه هو الوقت الذى يطلب فيه إزالة العوائق وتحطيم الحواجز فى المجتمع لتحقيق تكافؤ الفرص وسيادة العدالة الاجتماعية.

فإذا زالت العوائق وتكافأت الفرص كان نشاط المال، ونشاط التفكير، ونشاط القلب والضمير مجالا للجميع. والسابق من الأفراد بعد ذلك هو المتفوق بذاته، وليس بشرفه الأصيل، أو جاهه الماضى، أو ماله الموروث. وبقاء الإسلام عندئذ والحاجة إليه لضمان عدم الانتكاس والرجوع إلى إقامة الحواجز من جديد، فهو علاج ووقاية معا.

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

نظرات في فقه عمر

لفضيلة الأستاذ محمد محمد المدنى

— ٨ —

« قال ابن جرير : حدثنى يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن عُليّة عن ابن عون ، عن الحسن ، أن ناسا سألوا عبد الله بن عمرو بمصر ، فقالوا : نرى أشياء من كتاب الله عز وجل ، أمر أن يُعمَل بها ، لا يعمل بها ، فأردنا أن نلقى أمير المؤمنين فى ذلك ، فقدم وقدموا معه ، فلقى عمر رضى الله عنه ، فقال : متى قدمت ؟ فقال : منذ كذا وكذا ، قال : أبإذن قدمت ؟ قال : فلا أدرى كيف رد عليه ، فقال : يا أمير المؤمنين إن ناسا لقونى بمصر فقالوا : إنا نرى أشياء فى كتاب الله أمر أن يعمل بها فلا يعمل بها ، فأحبوا أن يلقوك فى ذلك ، قال : فاجمعهم لى ، قال : فجمعتهم له ، قال ابن عون أظنه قال فى بهو ، فأخذ أدناهم رجلا ، فقال : أنشدك بالله وبحق الإسلام عليك ، أقرأت القرآن كله ؟ قال : نعم ، قال : فهل أحصيته فى نفسك ؟ فقال : اللهم لا : قال : ولو قال نعم لخصمه ، قال : فهل أحصيته فى بصرك ؟ فهل أحصيته فى لفظك ؟ هل أحصيته فى أثرك ؟ ثم تتبعهم حتى أتى على آخرهم ، فقال ثكلت عمر أمه ، أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله ؛ قد علم ربنا أن ستكون لنا سيآت ، قال : وتلا « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم » الآية ، ثم قال : هل علم أهل المدينة ، أو قال : هل علم أحد بما قدمتم ، قالوا : لا ، فقال لو علموا لوعظت بكم » .

أورد ابن كثير فى تفسيره هذه القصة ، عند قوله تعالى : « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم » مروية عن ابن جرير بسنده المذكور ، وعلق عليها بقوله : إسناد صحيح ومتن حسن ، وإن كان من رواية الحسن عن عمر ، وفيها انقطاع ، إلا أن مثل هذا اشتهر فتكفى شهرته .

وهذه القصة جديرة بأن نعقد لها فصلا فى هذه النظرات ، فإنها تبين مذهب عمر رضى الله تعالى عنه فى جانب من جوانب السياسة الحكمية ، هدفه التيسير على المجتمع وعدم أخذه بسياسة التزمت والإرهاق ، وغرس الثقة فى أفراده بأنفسهم ، وعدم إقناطهم بإشعارهم أنهم خارجون على الجادة ، متنكبون سواء الصراط ، وفى هذه القصة لمحات عمرية ، تعتبر أسسا فى قواعد الحكم ، وسياسة الشعوب ، وتبين أن الإسلام ليس دينا مجافيا للواقع العملى ، متأبيا على إدراك ظروف الحياة .

١ — فأول ما يبدو من ذلك ، أن عبدالله

ابن عمرو بن العاص ـ وكان أبوه أمير مصر ـ اجتمع إليه جماعة من المصريين ، يمثلون نزعة دينية محافظة ، فيها كثير من التحرج وكثير من التزمت ، فهى تريد أن تراقب المجتمع فى سلوكه مراقبة دقيقة ، لتحمله على تطبيق كل شأن من شئون حياته على الدين وما جاء به الكتاب المبين ، لا فرق بين صغير من هذه الشئون أو كبير ، فإذا رأت المجتمع قد انحرف عن هذا التطبيق قيد أنملة ، هالها منه هذا الانحراف ، وآذنته بالويل والثبور وعظائم الأمور ، وظل أفرادها ومروجو فلسفتها منقبضين لهذا الانحراف ، يتميزون غيظا من هذا المجتمع ، أو حزنا عليه ، وقد ينتهى بهم الأمر إلى الحقد عليه والانكماش عنه ، نجاة بأنفسهم ، وترفعا بمثلهم العليا .

ومن يتتبع تاريخ عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه ، يدرك السر فى أن هذه الجماعة قد أنست إليه وآثرته بسرها ، والتمست فيه زعيما لدعوتها وقائدا لحملتها ، فقد كان عبد الله ابن عمرو رضى الله عنه يعتنق مذهبا شديد الحفاظ والتتبع لكل ما هو دين أو له صلة بالرسول صلى الله عليه وسلم ، حتى إنه ليروى عنه إلزامه نفسه بأن يحب من الطعام والشراب واللباس ، ما كان يحبه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنه كان يتتبع المواضع التى كان يصلى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من المسجد أو غيره ، فيصلى فيها ، ويطيل السجود فى مواضع سجدات الرسول ، ملبيا بذلك ما كان يحمله من عاطفة الحب الكريم للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد أشار العلماء إلى هذا الصنيع من عبد الله بن عمرو ، مبينين أن التأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم ، إنما يكون فريضة محكمة ، أو سنة متبعة ، فى غير الأمور التى يفعلها الرسول بحكم عادته أو جبلته ، وأن مخالفة ما جاء بحكم العادة أو الجبلة ، لا يعد خروجا على السنة ، ولا مخالفة عن أمر الرسول ، ومع ذلك حمدوا لابن عمرو هذا الصنيع الذى يدل على التفانى فى حب الرسول ، ونظروا إليه على أنه خلق عاطفى فردى لا ينبغى أن يحمل عليه جمهور الناس .

وجد هذا الفريق إذن عبد الله بن عمرو هو أصلح الناس لتقبل زعامة المحافظين ، ورفع لواء دعوتهم والسير بها إلى مركز الخلافة ، حيث يكاشفون بها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وكان جوهر هذه الدعوة ، أنهم راقبوا المجتمع ، فوجدوه لا يعمل بكل ما أمر الناس أن يعملوا به فى كتاب الله تعالى ، فكم من أشياء يأمر بأن تفعل ولا تفعل ، ولعلهم توسعوا فى معنى الأمر ، فأرادوا أيضا ، أن هناك أشياء ينهى القرآن عن فعلها وهى مع ذلك تفعل ، ويبدو من القصة ، أنهم إنما كانوا

يشكون من بعض الصغائر والهفوات التى لاتخلوعنها المجتمعات عادة ، ولا يمكن أن يعتصم كل الأفراد عنها ، ويتحرزوا من الوقوع فيها . وهذه الدعوة لها فى كل عصر قائمون بهـا ، ومروجون لها ، ولكنها قد تصدر فى بعض الأحيان عن إخلاص وحسن نية ، ورغبة فى التقويم والتهذيب ، ويغلب عليها حينئذ الهدوء والحكمة والدعوة بالموعظة الحسنة ، وإسداء النصيحة إلى الأفراد والجماعات ، فى أسلوب لا عنف فيه ، ولا تعكير لصفو الأمن فى المجتمع : الأمن الحسى والأمن النفسى كليهما ، وقد تخرج عن هـذا النطاق فى كثير من الأحيان ، فتكون دعوة معسولة براقة يراد من ورائها مغنم أو حظ فى الحكم ، وعندئذ يكون لها ما لكلمة الحق يراد بها الباطل ، ويكون لها أثر يتفاوت قوة وخطرا ، بمقدار تفاوتها شدة ومراكز أصحابها شهرة ونفوذاً .

٢ — ذهب هذا الوفد إلى مركز الخلافة فما راع عمر أمير المؤمنين إلا أن وجد عبدالله ابن عمرو ، ذلك الرجل الصالح ، المعروف بتتبع آثار الرسول ، يأتى على رأس هـذا الوفـد من المصريين ، فسأله أسئلة تدل على ما كان يدور بنفسه تلقاء هـذه المفاجأة ، قال له : متى قدمت ؟ فأجاب : قدمت منذ كذا وكذا ، وإنما سأل عمر هذا السؤال لأنه فيما أعتقد كان يحس بالأمر الذى جاء فيه عبد الله بن عمرو ، فأراد أن يعرف هل مضت مدة على هذا الوفد فى المدينة ، يمكن أن تتسرب فيها إلى المجتمع المدنى أخبـاره وأخبـار الأمر الذى جاء فيـه ، ثم سأله ، أبإذن قدمت ؟ وهـو طبعا لا يقصد الإذن من أمير المؤمنين نفسه ، لأنه يعلم أنه لم يأذن له فى هـذا القدوم ، ولـكن أراد أن يعرف ، هل أمير مصر وراء هذه الدعوة ، ثم أفضى إليه عبد الله بن عمرو بالغاية التى قدم لهـا الوفد ، وقدم هو على رأسه ، ولم ينكر شيئا ولم يحاول أن يميل بالحقيقة عن وضعها الصحيح ، ففهم عمر الأمر يقينا ، بعد أن كان قد شعر به شعوراً ، وهنا تتجلى موهبة عمر الحكمية ، فإنه فصل عدة أشياء فى معالجة هذه الدعوة ، ووأدها فى مهدها ، قبل أن يستفحل خطرها ، وينتشر فى الناس خبرها . أولها : أنه جمع الوفـد كله فى بهو خاص ، وكانت العادة أن يكون الاجتماع فى المسجد ، وأن يخطب أمير المؤمنين خطبة عامة ، ولـكنه أراد أن يعالج هذا الموضوع فى سر وانقطاع عن الناس . ثانيها : أنه ناقشهم فيما جاءوا به مناقشة علمية بالأسلوب الذى يصلح لهم ، لأنه أراد أن يستل هـذه الفكرة من نفوسهم ، فلا يكتفى بأن يريح المجتمع منها ، حتى يريحهم منها هم أيضاً ، وكان أسلوبه فى ذلك منطقيا ، فإنه سأل كلا منهم أقرأ القرآن كله فأجابوه : نعم ، ثم سأل كلا منهم هل أحصى كل ما جاء فيه ، فى نفسه بأن

طبق جميع أوامره ونواهيه فى خاصة نفسه ؟ فكلهم أجاب : « لا » ، وإذن فهم معترفون فى هذه الإجابة ، بأن الإنسان معرض بحكم بشريته إلى الوقوع فى بعض الهفوات ، أو التقصير فى بعض المأمورات ، فلما تهيأوا لذلك قال لهم : ثكلت عمر أمه ، أتكلفونه أن يقيم الناس على كتاب الله ، قد علم ربنا أن ستكون لنا سيئات ، وتلا « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما » ، وبذلك انتهى فى محاجتهم إلى حد مس فيه شغاف قلوبهم ، وتركهم مقتنعين اقتناعا صحيحا ، بأنهم كانوا على خطأ حين طلبوا المحال ، بمحاولة إيجاد مجتمع مثالى لا تقع منه هفوة ما ، كأنه مجتمع من الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون . ثالثها : أنه سألهم هل علم أهل المدينة بما قدموا فيه ، قالوا : لا ، قال : لو علموا لوعظت بكم ، ومعنى هذا أنه أدرك من موقفهم حسن نيتهم ، وأنهم إنما فعلوا ما فعلوا ، ابتغاء وجه الله ، لم يريدوا به شغبا ولا إحداث فتنة، ولا إرجافا بسوء ، وإذن فالخطأ فردى محصور فيهم ، وهم معذورون بحسب تفكيرهم ، فلا بأس من العفو عنهم ، أما لو كانوا قد أذاعوا الأمر فى الناس وأرجفوا به على أصحاب السلطة والحكم فيهم ، فإن النظرة إليهم كانت تتغير ، ويكون عليه أن يعاقبهم ليجعلهم مثلا للآخرين ، فإن الجريمة إذا أعلنت وجب إعلان استنكارها بالعقوبة الرادعة تنزل بمقترفيها .

٣ — إن عمر رضى الله عنه قد بين أنه استخلص السياسة التى يجب أن يسير عليها أهل الحكم ، من كتاب الله عز وجل : وهى سياسة الترفق بالمجتمع ، والتماس المعذرة له إذا كان يخالط بعض الأخطاء ، ويقارف بعض السيئات الصغرى ، مادام متجنبا الكبائر ، التى هى مواقف الإثم العظمى ، فإن هناك فرقا بين الآثام فى تقدير الله سبحانه وتعالى ، وميزان حسابه ، والكبائر هى التى تهز كيان المجتمع وتعرضه للانحلال ثم الفناء ، وهى كثيرة ، وقد ذكرت فى عشرات الأحاديث ، وفى الآيات الكثيرة المنبثة فى كتاب الله تعالى ، منها الإشراك بالله تعالى ، وقتل النفس بغير حق ، وأكل الأموال بالباطل ، وقرب مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن ، وظلم النساء ، والزنا ، والربا ، والقمار ، وقذف المؤمنين والمؤمنات ، وغير ذلك مما هو معلوم مشهور ، فإذا تطهر المجتمع من هذه الرذائل الكبرى فإن هذا التطهر فى ذاته مفخرة له ، ولو أن أفراده وقعوا بعد ذلك فى شئ من الصغائر والهفوات ، فإن الله يغفرها ويكفرها ، تحقيقا لوعده الكريم « إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم » .

وقول عمر رضى الله عنه : « قد علم ربنا أن ستكون لنا سيآت » ، يشير إلى ما يفهم من القرآن الكريم ، من أن الإنسان خطاء ، وأن الله تعالى كلفه أن يقاوم نزعات الشر

والفساد والإغواء التى أحاطه بها ، ما استطاع إلى هذه المقاومة سبيلا ، وهو الذى يقول فى وصف الذين أحسنوا : « الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلا اللمم إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم » ، وهذا التعليل لسعة المغفرة ، بالعلم بضعف الإنسان ، هو السر فيما أخذ به عمر نفسه ، من الترفق بالمجتمع ، وإدراك أنه مجتمع بشرى لا مجتمع ملائكى .

وقد بين القرآن الكريم هذه الحقيقة ، وهو أن الله خلق بجانب الإنسان ، عوامل الإغراء ، وعوامل الفتنة ، حيث يقول جل جلاله : « وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا قال اذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفورا . واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الأموال والأولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان إلا غرورا . إن عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا » .

وهذه الآية تتعاون مع الآية السابقة على بيان حقيقة هذا المخلوق الضعيف ، بحكم خلقه وتكوينه وماله من شهوات ورغبات ، والذى أحيط مع ذلك بعوامل الإغواء والإغراء والفتنة من الشيطان الخارجى ، فهو إذن محاط بهذا وذاك من داخل نفسه وخارجها ، فهل يتصور أن الله سبحانه وتعالى ، وهو الذى خلقه على هذا النحو ، ثم سلط عليه هذه القوة ، تتميما للاختبار والابتلاء ، هل يتصور مع ذلك أنه يريد من البشر أن يكونوا مجتمعا ملائكيا ، لا تظهر فيه أخطاء ولا تقع فيه ذنوب ؟

لذلك كله نعتبر فقه عمر فى هذا الجانب السياسى الحكمى ، فقها ملائما للتربية النفسية للمجتمعات ، إذ أنه يربط المجتمع بالدين ، ويفهم أفراده أن الدين ليس أمرا تعسفيا ولا تزمتيا ، وإنما هو أمر متيسر يستطيع الفرد العادى فى المجتمع العادى أن يصاحبه ، وأن يقبله وأن يعيش فى ظلاله ، دون أن يرى على نفسه حرجا ، ودون أن يشعر بأنه مكبل ، مترصدة عليه هفواته ، ويحاسب على النقير والقطمير ، ويعامل بقسوة من الله سبحانه وتعالى ، وإنما يريد الله أن يعلم العبد أنه إذا أقلع عن الكبائر ، التى هى مواقف الإثم العظمى ، فإنه يكون متعرضا بذلك ، لا إلى مجرد أن تكفر عنه سيآته فحسب ، ولكن بأن يدخل مع هذا مدخلا كريما فى الدنيا والآخرة .

ولهذا يجدر بإخواننا أهل العلم ، أن يتدبروا هذا الفقه العمرى لدين الله ، فيكونوا فى بعض المواقف أصحاب سماحة كما هم أصحاب فضيلة !.

محمد محمد المدنى

نفحات القرآن

من خصائص الرسالة، الأمانة فى العلم

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

« قل لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً : إلا ما شاء الله. ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء » .

١ — لم يكن رسول الله من غير معجزة تؤيده من عند الله — سبحانه —

والمعجزة فى عنوانها ومفهومها مظهر عجيب لقدرة الله على غير ما ألف الناس ، ولا ينهضون إلى مطاولتها أو محاكاتها ولو تضافرت عليها قواهم جميعاً .

ثم هى معجزة دائما ولو انقضى زمنها كالمعجزات السابقة .

فقد ركب سليمان الريح ، وسخرت له الجن والإنس والطير جميعاً .

وقد نزلت التوراة على موسى ، وكلمه ربه تكليما ، وانشق له البحر فنجا بمن معه ، وغرق فرعون وجنوده ... ونزل الإنجيل على عيسى ، وأبرأ الأكمه والأبرص ، وأحيا الميت .

ونزل القرآن على محمد ، وانتصر فى قلة من المؤمنين على جمهرة من الكافرين ، وظل كتابه قائماً بين الناس لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . . إلى غير ذلك من معجزات كثيرة نهض بها حقه على باطل أعدائه ، وخفقت راية الإسلام فى بقاع كان الكفر يخيم عليها طول حياتها .

وكل معجزة كانت فى ذاتها كافية لإقناع الناس بصدق صاحبها فى رسالته من ربه ، وفى دعوته إلى ما دعا إليه .

٢ — ولكن الناس درجوا قديما على

التردد فى الاستجابة ، وعلى التشكك فيما يأتيهم به رسول ربهم ، وإن كان داحضا للشبهات ، وآخذاً مأخذه من الصدق والقوة « وكان الإنسان أكثر شئ جدلا » .

ولم يقف لجاج الناس عند التردد بل كانوا يقترحون أموراً ويعلقون عليها إيمانهم ويتعللون فى أمانيهم الباطلة بأن من يكون رسولا من عند الله لا يعظم عليه أن يأتى بكل مطلوب .

وتلك هى المراوغة التى كان يفزع إليها المبطلون حين لا يجدون معذرة مستساغة فى الإعراض عن الحق الأبلج .

ثم ينتهى الأمر بزهوق الباطل على أى صورة من صور الفناء والدمار ، كما وعد الله تعالى « إن الباطل كان زهوقا » .

٣ — وكان من لجاج قريش مع النبى محمد — ص — أن يسألوه عن أمور كثيرة من علم الغيب ، كموعد الساعة - القيامة - التى يسمعون بها منه ، أو من غيره ... وكنزول المطر متى يكون ؟ وكنوع الحمل الذى فى بعض الزوجات ، وهكذا .

والنبى - ص - فى كل موقف من مواقف تحديهم له يبرأ إلى الله ، وإلى الناس من علم الغيب ، ومن دعوى القدرة على ما لم يتهيأ له ولم يكن مأذونا فيه ، ومن تجاوزه حدود البشرية إلى زعم الربوبية . بل كان يزداد فى براءته كثيراً من زعمهم أن للرسالة قدرة على شيء ويحاول دفعهم بالإقناع إلى جانب التوحيد . فمرة يقول عن الساعة « إنما علمها عند ربى لا يجليها لوقتها إلا هو » ، ومرة يقول بصيغة عامة « إنما الغيب لله » ، أو يقول « إنما أنا بشر مثلكم ، يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد » .

ثم يزداد فى التجرد من زعمهم فيقول ما علمه ربه « لا أملك لنفسى نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله » ، يعنى : لا تطلبوا منى مالا أستطيعه لكم : فإنى لا أملك لنفسى جلب منفعة ، ولا رفع مضرة : إلا ما يشاء الله أن أفعله بمعونته وتيسيره : « ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير ... وما مسنى السوء » ، يريد : لو عرفت الغيب وما يضمره القدر الذى استأثر الله به لأكثرت من عمل الخير لنفسى ، وحققت لها ما تصبو إليه من ظفر على العدو دائما ، ومن أجر أو ثواب أدخره بالسبق إلى أعمال طيبة ، ولا تعرضت لضرر يصيبنى مما تكرهه النفس ، وتود الإفلات منه .

إذ أن العلم بالغيب يكشف لى ما استتر عن سواى ، فأستطيع الاختيار لنفسى ، ولكنكم - يا معشر قريش - ترونى لا أفلت من المكروه الذى تدبرونه ، ولا أظفر بكل ما تتعلق به الرغبة ، فكيف أقدر على

كل ما تزعمون ، وتحقيق ما تطلبون ؟ ؟ .

٤ ــ هذه مواقف غير هينة ، يتعرض لها النبى صلى الله عليه وسلم ، ويحتمل فيها جهالتهم ، ويصابرهم على لجاجهم ، بل كان يحلم عليهم أكثر مما يستحقون ، وطالما ساوره الأسف على حرمانهم من الهداية ، وجاهد نفسه فى العناية بشأنهم ، والحدب على اجتذابهم نحو الخير .

حتى كان لفرط انهماكه فى شأنهم يتلقى من عند الله مواساة على هذا الجهاد ، وتسلية عن ذلك الهم المرير «ياأيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون فى الكفر - فلا تأس على القوم الكافرين ، فلا تحزن عليهم ، ولا تك فى ضيق مما يمكرون » .

٥ ــ ثم ما كان هذا العطف من جانبه ، أو التعنت من جانبهم لينحرف به عن قولة الحق .

إذ الأمانة طابع النبوة ، وخصيصة الرسالة وهى صفة المؤمنين الصادقين ، فما بالك فى تبليغ العلم إلى الناس . . ثم ما بالك بمقام الرسالة بين الله وعباده ؟ .

لقد برأه الله من مظنة الاتهام فيما يبلغه ، نقصا أو زيادة : « وما أرسلناك إلا لتبين الناس ما نزل إليهم - ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ، ثم لقطعنا منه الوتين ، فما منكم من أحد عنه حاجزين »

يعنى لو تزيد لأهلكناه بقوتنا ولا يستطيع أحد منكم أن ينجيه من إهلاكنا له ، ثم شهد له شهادة الكمال فى أمانته العلمية بقوله سبحانه « وما هو على الغيب بضنين » أى ليس متهما بنقص ولا بزيادة فيما يخبركم به عن ربه .

وفوق هذه الاعتبارات ، التى تتمثل فيها براءة محمد فى نبوته مما يشينها ، كان معهودا فى قومه بالصدق منذ طفولته ، وبالأمانة فى كل ما يتصل به أكثر مما كانوا يطمعون فى كبارهم أو يتوقعون من شبابهم السادر فى تقاليد البيئة .

فلا يكون مستساغا عقلا - بعد أن توثقت علاقته بالله رسولا من عنده ، واشتدت به المسئولية أمانة وعصمة - أن يكتم علما أو ينقص ، أو يزيد .

لا يكون مستساغا - عقلا - أن تزل قدمه بعد ثبوتها ، فينحرف عن تمام الأمانة ، أو يتعاظم فيزعم أنه فوق البشرية وأن له سلطانا يتيح له أن ينال نفعا ، أو يدفع ضرا ، « قل : سبحان ربى ، هل كنت إلا بشرا رسولا » ؟ .

هذا صنع الله فى نبيه ، وتأديبه لرسوله .

وفى ذلك مناعة لمحمد صلى الله عليه وسلم من التورط مع الكافرين ، ومناعة له من التعرض لعلم الغيب .

٦ ـــ وهنا تكون قدوتنا بالرسول فى الأمانة العلمية حقا لازما، وأمرا مفروضا حتميا. إذ لا معنى لأن يكون إماما حقا، وقدوة مبعوثا، ورسولا داعيا، ثم نتخلف عن القدوة به ونزعم أننا على الجادة المرسومة لنا فى عمله، وهديه، وأننا حفاظ للأمانة التى ورثها العلماء عن الأنبياء!.

ولكننا منينا بالتجاوز لتواضعه، وأمانته، فتعالمنا بغير علم.

وهذه نزعة نبتت فينا وتفشت بيننا، حتى جرت منا مجرى الدم من اللحم، وغدت ظاهرة شخصية فى الكثير منا لجهلنا بخطر الأمانة العلمية.

ففينا من يتوسع فى فتواه بما يشتهى، متأولا فى نصوص الشريعة، وزاعما أنه فوق الأولين، وفى مقدمة الآخرين، وكم من مفتون بنفسه أضله الله على علم.

وفينا من يتقبض فى قلبه لدين الله، ويحجب إشعاع القرآن عن معترك الحياة، ويخيل للناس أن الله يتعبدهم بالانكماش فى دنياهم، والحرمان مما أحل لهم، وأن الحياة لا تفسح مجالا لتوجيهات العلم، وأن كل محاولة للاستمداد من هدى الدين الصحيح جرأة ذات أثر سيء فى المجتمع، وقد دلت هذه النزعة على سوء فهم لرحابة الإسلام، ومجاراته للحضارة السليمة.

٧ ـــ هذه ظاهرة وبيلة تنال من كرامة الدين كما تنال منه ظاهرة التحلل، والخروج عن نطاقه، فإحداهما تضييق، واختناق، وصد للناس عن توسم الخير من جانب التشريع السماوى.

والثانية إفراط فى التسامح، واجتياز الحدود، وظلم للدين، وللنفس، وللناس جميعا. «ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون» «ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه».

والأمانة فى العلم أمانة على حق من حقوق الله وحقوق عباده.

والأمانة كلها ودائع، ترد إلى أصحابها معافاة من المساس بها، كما أمر الله فى قوله «إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها».

فالعلم كله ينتفع به فى وجوهه: دينا أو دنيا.. وبهذا تكون الأمانة مؤداة منا إلى الله، وإلى الناس على وجه الكمال.. وإلا كانت خيانة لله الذى وهب العلم وتركه أمانة عندنا.. وللرسول الذى بلغ وعلم، وحض على التزود منه، والعمل به فى وجوهه عامة. وللناس الذين جعل الله تبليغ العلم إليهم حقا لازما لهم على من استودعه الله علما.

وعلم الدين إن لم تكفله أمانة التبليغ كان تضليلا، ووسيلة شيطانية للإغراء وفتنة الناس عن الحق، والإيقاع بهم فى غير ما يراد لهم من خير وفلاح.

وليس شراً عند الله من تضليل على حساب العلم، فإن ذلك تقويض لمعالم الرسالات .

وعلى الدنيا كذلك فى أمانته، وخطره، وشراً لا نحراف به عن سبيله فى نفع الناس

فإن العلم كله فيض من جانب الله، وقبس من نوره لنفع عباده، وهديهم فى دنياهم، وهو فى الجملة نعمة يجب أن نشكر باستخدامها فى نواحيها الخيرة .

والله — تعالى — محاسب كل ذى نعمة على نعمته، ولن يترك الناس فى سبسب من الفوضى « فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر !! » .

وقد تعلق الناس قديما بأهل العلم الدينى على ألوان شتى .

فمنهم من اعتدل فى تعلقه، وأحسن فى تقديره، فتهيأ من ذلك للعالم أن يفيد، وللمتعلم أن يستفيد، وهذا فى إطار من أدب العلم وأمانته والتماس هديه فى غير تزمت، ولا مجازفة .

وهناك إسراف من الجانبين — ففى جانب أهل العلم زعم لبعضهم أنهم على خصوصيات من الله ورسوله، وأن الله بوأهم منزلة الوساطة عنده فى أمور الناس، ولهم نصيب من الجاه فى سلطانه - سبحانه - والإسراف من جانب الاتباع أنهم تأثروا بهذه الدعايات، واستسلموا عن طيب خاطر لأصحابها فالتفوا حول أفراد كثيرين، وتكونت منهم أحزاب دينية، وزعم كل حزب أن متبوعه ذو حظ وصاحب مقام كريم عند الله دون غيره من المتبوعين : وما أكثرهم !! حتى بلغ من أولئك المتحزبين لشيوخهم أن ينسبوا إليهم كل خير يصادفهم، ويلتمسوا رضاهم فى كل أوقاتهم، ليظفروا بما وراء ذلك من وساطة، وزلفى إلى الله وحصول على الآمال، وأن تكون هناك نفوس طيبة حقا، ودعوات صالحة مرضية فذلك مع تقديرنا له لا يبيح أن نفرض لغير الله شأنا فى ملكه، ولا تدخلا فى تدبيره، ولا يبيح أن نذكر شيخنا عند كل مناسبة، وننسى دیننا فى أى حال .

العمل الصالح يرفع صاحبه، ودعوات الأبرار نافعة بمشيئة الله، ولكن هذا لا يفيد أبداً أن لأحد عند الله شأنا، أو تدخلا فى قضائه وقدره . . فليكن دعاؤنا لله، وتقديسنا لله، ولتكن قدوتنا بالصالحين فى أعمالهم الطيبة، دون أن نجعل لهم مقاما من مقامات الألوهية فهم بحاجة إلى دعوات، وصدقات تنفعهم إذا تقبلها الله منا لهم .

وليس لعبد من عباده خطوة ترفعه أكثر من أنه مقبول بعمله، إلا ما ثبت لمحمد صلى الله عليه وسلم وللأنبياء من قبل صلوات الله عليهم جميعا، ورضى الله عن صالحى المؤمنين، وهدانا بهديه .

عبد اللطيف السبكى

[٣]

دراسة عن علي مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوى

مقدمة :

كانت مصر ، حتى نهاية القرن الثامن عشر فى عزلة تامة عن أوربا ، وعن الحياة الخارجية كلها . ونستطيع أن ندرك مدى هذه العزلة إذا درسنا سير حكام مصر من المماليك فى هذه الفترة الأخيرة . وعرفنا مدى جهلهم بما كان يجرى فى العالم إذ ذاك من أحداث كبار : ومع أنه كانت هناك صلات لا بد منها بين مصر — الولاية العثمانية — وبين الدولة العثمانية . فإن هذه الصلات كانت من القلة والتفاهة والاضطراب بحيث لم يكن لها أى أثر فى خروج مصر أو إخراجها ، من هذه العزلة الصارمة .

ولكى ندرك مبلغ العزلة التى كانت تعيش فيها مصر وحكامها وأهلها . نذكر أننا لا نجد أثراً على الإطلاق يدلنا على أن مصر أحست أو عرفت ما وقع فى ذلك القرن من أحداث جسام . حتى الثورة الفرنسية وما جرى فيها من دماء . وما انتهت إليه من تطورات بعيدة الخطر فى حياة الإنسانية كلها ، وما دعت إليه من مذاهب وآراء .

كانت هذه كلها أمور لم يصل صداها إلى مصر فى عزلتها تلك .

ولكى ندرك إلى أى مدى كان حكام مصر وساداتها بعيدين عن معرفة ما يجرى خارج حدود مصر : نذكر أن أمير مصر وحاكمها عند قدوم الحملة الفرنسية : مراد بك ، لم يكن يدرى أى شئ على الإطلاق عن قوة جيوش نابليون وعن فتوحاته وانتصاراته فى أوربا . وأنه — كما ذكر على مبارك — عندما علم أن نابليون دخل الاسكندرية ، طلب إلى صديقه (كارلوروسيتى) : قنصل النمسا فى مصر ، أن يكتب له خطابا يطلب إليه فيه الخروج ، فقال له القنصل إن نابليون لم يدخل مصر بإذنى حتى يتركها بإذنى . ! وكأنه أراد أن يمعن فى السخرية من مراد فقال له إن كان لا بد من خطاب أرسله إلى نابليون فأرسل إليه معه خمسين ألف فرنك . حتى يرحل ... (١) .

---

[١] ص ٥٧ ج ٧ من الخطط . نقلا عن كلوت بك . وانظر أيضا الجزء — ٢ — من كتابنا « دراسات فى تاريخ الجبرتى ، مصر فى القرن الثامن عشر » ص ٨٦ — ٨٨ من الطبعة الثانية .

فلما قدمت الحملة الفرنسية ، واستطاعت غزو مصر ، والاستقرار فيها ثلاث سنين ، ولو أنه كان استقراراً قلقا مشوبا بكثير من المتاعب ، بدأت ريح الغرب تهب على مصر وأخذت الحضارة الغربية والحياة الغربية - بما فيهما من خير وشر - تعرف فى مصر ، شيئا ما ، ولو أنها معرفة مشوبة أيضا بكثير من الحذر والريبة والاتهام .

ثم تولى محمد على حكم مصر فى سنة ١٨٠٥ فاستقبل هذه الريح القادمة من الغرب باسطاً ذراعيه . بل كان يستحثها للتسرع فى الهبوب على مصر فى قوة وشمول . وبدأت الحضارة الغربية والحياة الغربية تدخل حياة مصر ، وتتمكن منها . بما كان يرتبط به محمد على من صلات تجارية مع أوروبا ويستقدم من رجالها لخدمته وخدمة الدولة . وما كان يرسل إلى فرنسا بصفة خاصة ، من بعوث كثيرة من أبناء مصر .

فى هذه الفترة التى بدأ محمد على يفتح فيها أبواب مصر على مصاريعها لريح الغرب ، ولد فى قرية من قرى مصر الواقعة على نيلها السعيد . طفل مصرى كان له أكبر الأثر فى إفادة مصر ، إفادة جدية مثمرة ، من حضارة الغرب وعلمه . طفل أرسله ، فيما بعد ، محمد على ليدرس الهندسة العسكرية . ولكنه بعد أن اكتملت رجولته وعلمه ، قضى حياته كلها فى العمل على نشر العمران والحضارة والتعليم فى مدن مصر وقراها . وبلغ من ذلك مبلغا يشرفه أبعد الشرف وأسماه . ويشرف ذلك « الفلاح المصرى » الذى خرج من أصلابه . والذى كان محمد على والحاكمون من قبله ومن بعده - من أسرته - ينظرون إليه نظرة ملؤها السخرية والتحقير . وسنرى فى هذه الفصول من سيرته . إن هذا الذى وصفناه به ، لا مغالاة فيه ولا سرف .

كان على مبارك رائداً عملاقا فى حياة مصر فى القرن التاسع عشر . أنشأ لها من المشاريع الكبيرة ، وأقام فيها من الإصلاحات ، والإنشاءات ، والمدارس ، ما يصعب تحديده وحصره ، وإدراك الآثار العظيمة الهامة التى جنتها مصر بعد ذلك من مشاريعه وإصلاحاته وإنشاءاته ، أشد عسراً وأبعد منالا . وقد مست هذه المشاريع والإصلاحات مرافق مصر الرئيسية كلها . فى الزراعة ، والرى ، والهندسة ، والمواصلات ، والمدن ، والتعليم . بل نستطيع أن نقول أنها نهضت بهذه المرافق نهضة كبرى .

أما صفات على مبارك ومميزاته النفسية ، وخصائصه الذاتية ، فسنرى من ترجمته أنها كانت ، كذلك ، مثلا يشرفه ويشرف ذلك الفلاح المصرى الذى خرج من أصلابه .

وصف المرحوم الأستاذ إلياس الأيوبى

على مبارك ، فى كتابه : « عصر إسماعيل » ، بأنه « أبو التعليم فى مصر » . وقال تلميذه وصديقه المرحوم محمد باشا درى الحكيم فى ترجمته له إنه : « أنار العقول بالعلوم » وأفاد مصر المدنية » .

وسنجد فى هذه الفصول أنهما صدقا فى ذلك غاية الصدق .

حياته ووفاته :

ولد على مبارك فى سنة ١٢٣٩ هـ (١٨٢٢) فى قرية : « برنبال الجديدة » (١) من أسرة وأب يقول إنه كانت لها مكانة وقربى عند « الحكام » ، ومع ذلك فقد لقى أبوه ولقيت أسرته من الأذى والشر شيئاً كثيرا فصّل أمره فى ترجمته لنفسه ، حتى هاجر أبوه من قريته تلك إلى الشرقية فى حديث طويل شيق مؤثر .

وكان أبوه يقوم لأهل القرى التى عاش فيها وهاجر إليها بشىء كثير من العمل : فهو فقيههم وقاضيهم وخطيبهم وإمامهم وموثق العقود لزيجاتهم ، وهو إلى ذلك يزن لهم ويكيل ما يبيعون ويشترون ويحصدون من زروع .

لم يكن أبوه يريد له أن يتعلم . بل كان يريده أن يساعده ويعينه ويعمل معه فيما يعمل من الشئون . ولكنه خالف عن أمر أبيه وعصيه وهاجر وغامر حتى تعلم فى « الكتاب » وفى مدرسة قصر العينى ثم فى المهندسخانة ، ثم فى كلية « متز الهندسية العسكرية » بفرنسا . فكان من نوابغ خريجيها فى الرياضة والهندسة . ومن الطرائف التى ذكرها عن نفسه أن موظفا كبيرا سأله وهو صبى فى المدرسة عن ضرب الواحد فى الواحد ، ما حاصله ... ؟ فقال اثنان ... ! فضربه السائل ، « بمقلاة بن » كانت فى يده فشج رأسه . . ! فلما عاد إلى أبيه ضربه وزجره واشتد عليه . ثم كان من هذا الصبى الذى لا يعرف ضرب الواحد فى الواحد نابغة من نوابغ الرياضيين والمهندسين ، بفضل جلده وصبره ومثابرته . وقد رحل إلى فرنسا وهو لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الفرنسية ، فلما عاد إلى مصر تدرج فى وظائف الدولة حتى كان وزيرا لوزارات ثلاث فى وقت واحد ، ومديرا لمصلحة كبرى معها . أدى فيها جميعا لوطنه من الأعمال ما قد يعجز عن مثله جمع من الرجال .

وفى آخر حياته ترك القاهرة إلى قريته ، ثم عاد إليها مريضا حيث مات فى بيته بالحلمية ليلة الثلاثاء ١٤ من نوفمبر سنة ١٨٩٣ (١٣١٢) هـ وكانت له جنازة مشهودة .

---

(١) من قرى : « محلة دمنة فى محافظة الدقهلية .

صفاته وأخلاقه :

كان على مبارك عطوفا باراً ، رقيق القلب مرهف الحس ، شجاعا فى حرص ، مخلصاً فى عمله ، وديعاً مسالما . أما وداعته ومسالمته وحرصه ، فنجد مظاهرها والتدليل عليها فى حديثه عن علاقته بالثورة العرابية (١) . كما نجد ذلك فى حديث زواجه الثانى ، وما لقى فيه من رهق وعسر .

وأما عطفه ورقة قلبه ورهافة حسه ، فنجد مظاهر ذلك فى عطفه البالغ على أطفال المدارس ، وإشفاقه من سوء معاملة المعلمين لهم ، ودعوته إلى معاملتهم بالرفق والحسنى والمحبة . وكان ما لقيه فى طفولته وصباه من معلميه فى قصر العينى ، أكبر سبب لهذه العقلية التربوية الجديدة التى سبق بها علماء التربية فى عصره ، فى مصر على الأقل ، فنحن نحس من حديثه عن هذه الفترة أن هذه القسوة عليه وعلى زملائه من الصبيه ، بقى أثرها فى نفسه قويا بقية حياته كلها .

ونعرف أنه رقيق العاطفة ، مهذب النفس ، خير القلب ، من قصه زواجه من بنت معلمه فى مدرسة أبى زعبل . فقد رأينا أنه تزوجها عرفاناً لفضل أبيها عليه ، فى التربية والمعروف ، فلما مات أبوها وتركها فقيرة تزوجها .

ونعرف ذلك أيضاً من قصة زواجه الثانى . فقد تزوج قبل سفره إلى الحرب فى تركيا فتاة من أسرة كريمة هى قريبة المرحوم أحمد باشا طوب صقال . وكانت ذات مال كثير وثروة طائلة . ولكنها كانت غريرة ساذجة لا تحسن التصرف فى شئ . وكانت أمها قد تزوجت بغير أبيها ثم ماتت . وبقيت الفتاة عند زوج أمها هذا صغيرة يتيمة . وتزوج هو مرة أخرى فاستولت زوجه على شعور هذه الفتاة الساذجة وقلبها . واستولت كذلك على ثروتها ، بحيث لم تكن تعرف من أمر أموالها شيئا .

فلما دخل على مبارك بهذه الفتاة خشيت هذه السيدة أن يطالبها بثروة زوجه فكادت له كيداً عند والدة الخديوى عباس حتى خاف على مبارك على حياته . واستطاع أن يخرج من هذه المحنه . ولكن السيدة ـ كافلة زوجه ـ استطاعت ، فى غيبته فى الحرب ، أن تجرد زوجه من كل تملك .

وهى قصة طويلة معقدة فصلها فى ترجمته . نعرف منها أنه استطاع أن يخرج من جميع ما نسب إليه من تحييف زوجه فى مالها ، وأنه أثبت إثباتا قاطعاً أنها مدينة له بمال كثير . فلما أثبت ذلك تنازل لها عن هذا

[١] أنظر مقالنا : « على مبارك والثورة العرابية فى الجزء ـ ٤١ ـ من « المجلة » التى تصدرها وزارة الثقافة والارشاد بالاقليم الجنوبى [مايو سنة ١٩٦٠] .

كله . وترك بيتها الذى أنفق على إصلاحه مالا كثيراً . وترك فيه الجوارى اللاتى كن فى ملكه . ولم يأخذ سوى إقرار بثبوت دينه قبلها . وإثبات تنازله عنه .

وهى قصة تخرج من حكايتها بأنه كان رجل مثل وخلق وكرم نفس وصفح وتسامح .

وفى وصفه لوداع صبية المدارس له عند خروجه للحرب ، صورة مؤثرة تدل أكبر الدلالة على ما كان عنده من رقة العاطفة ، وعلى ما ترك فى نفوس هؤلاء التلاميذ من حب له وتعلق به . فهو يقول إن جميع التلاميذ صغارا وكبارا ، خرجوا لوداعه ، رغم نهى ضباطهم ، ووقفوا على الساحل أمام السفينة التى تحمله ، وكانوا ينتحبون ويبكون « انتحاب الولد على والده » . حتى بكت عينه تأثرا لعاطفتهم ومحبتهم . ولكنه، كما يقول ، انشرح صدره لما رأى من ثمرات تربيته وتعليمه وغرس يده .

وفى حديثه عن أطفال باريس[1] ومافيهم من نضارة وغضارة ونظافة ونشاط ومرح ، ومقابلة حالهم بحال أطفال مصر . فى هذا الحديث الرقيق الملىء بالحسرات والألم ، ما يشعرنا شعورا قويا بحب على مبارك لأطفاله من التلاميذ وأبناء الشعب. وإحساسه بما كانوا يعيشون فيه من شقاء ومحنة .

[١] ص ٩٦٤ - ٩٦٥ ج ٣ من كتابه « علم الدين » وسنفرد له حديثا خاصا .

أما بره بأهله فنحن نجد فى ذلك قصة مؤثرة رائعة فى حديثه عن زيارتهم ، بعد أن غاب عنهم أربعة عشر عاما، وكيف لقى أمه ولقيته وكيف أحس حرجها وحسرتها وغصة قلبها لأنها لا تستطيع أن تقدم له ما يليق من طعام. وهى قصة من أرق وأجمل ما نجد فى حديثه عن نفسه ، وأشدها مساسا بالقلب ، وتأثيرا على النفس والإحساس .

شجاع :

كان شجاعا ولكنه صاحب حيلة وبراعة فى سوق ما يريد أن يسوق من حديث قد يجر الأذى والشر .

من مظاهر شجاعته أنه سجل فى حديثه عن طلب عباس له ليقابله ، أنه خاف من ذلك خوفا شديدا . لأنه كان يعلم « ما يقع لمن يلوذ بالعائلة الخديوية من الإيذاء »[1] وهو

[١] لكى نستطيع أن ندرك الرعب الذى كان يسيطر على نفوس الوزراء وحاشية الخديوى فى ذلك الوقت ، ننقل هذه الفقرة عن المرحوم الدكتور يعقوب صروف . فى الترجمة التى كتبها لعلى مبارك وكان من أصدقائه الحميمين : « ولم نسمع أن وزيرا من الوزراء كان يجزع من ملكه كما جزع صاحب الترجمة من الخديوى الاسبق — على ما يمهد فيه من الشجاعة الادبية التى حملته على تقرير الحقائق فى ذلك الكتاب النفيس — يقصد تدبير الفكر فى نيل مصر لعلى مبارك — ولم يكن هذا الجزع خاصا به ، بل كان شاملا كل حاشية الخديوى . حتى أقرب المقربين إليه » ص ١٥٥/١٥٦ من كتاب أعلام المقتطف للدكتور يعقوب صروف .

مظهر أيضا لما كان يتصف به من الأمانة العلمية والتاريخية . ونجد دليلا آخر على شجاعته فى كتابه « تدبير الفكر فى نيل مصر » وقد جرّت عليه هذه الشجاعة الشر ، حيث اتخذ إسماعيل المفتش مما كتب فى هذا الكتاب ذريعة لإثارة غضب إسماعيل وسخطه عليه .

نجد فى كتاب نخبة الفكر هذا ، وفيما تحدث به عن أصل المصريين وأخلاقهم خاصة ، أشياء من اليسير جداً أن يثار بها غضب إسماعيل ويتحرك سخطه . فهو يقول « إن السائس الأعظم لابد أن يكون عالما شرعيا » وكذلك نوابه وعماله . ويقول إن بلاد المسلمين بلغت ذروة مجدها وغاية سعادتها وعزها عندما كان السلاطين والعلماء كلاهما من أهل المعرفة ، يراقب بعضهم بعضا . ثم رجعت بلاد المسلمين القهقرى عندما تغلب على الحكم فيها أهل « الخشونة والجهل » ، فوقع المحكومون تحت تصرف الأهواء وتنازع الأغراض . فوقفوا فى السير ، ثم تقهقروا حتى تدهوروا [١] .

ثم يقول إن أهل مصر كغيرهم من الأمم الأوربية فى قبولهم الصلاح والتقويم والإصلاح . إذا سار فيهم حكامهم سيرة الاستقامة والعدل . بل إن المصريين « أقرب الناس إلى الإصلاح وأسرعهم تقدما فى سبيل الفلاح إذا وجدوا حاملا على ذلك [١] .

ويلوم خلفاء محمد على على أنهم لم يعنوا بالمدرسة التى أنشأها لتعليم الزراعة حتى فشل مشروعها فكان ذلك خطأ منهم وتقصيرا يأسف له . وكان الواجب على من يلى الحكم فى بلد زراعى كمصر . ألا يحرص على هذه المدرسة وحدها فقط . بل يكثر من إنشاء غيرها فى الحواضر والمدن . ويكثر من إقامة أماكن خاصة للتجارب الزراعية ومستحدثاتها [٢] .

ويقول إن زراعة القطن ، أضرت بخصوبة التربة المصرية ، وأن تكرار زراعته « من غير مراعاة قوانين الفلاحة قد امتص قواها وأضعفها » [٣] وأن إنشاء ترعة الابراهيمية على النسق الذى أنشئت به أضر بالأراضى الواقعة من أسيوط إلى بنى سويف [٤] . والتوسع فى زراعة القطن كان من سياسة محمد على ، وكان مؤرخوه يرون أنه من مفاخره وأفضاله على مصر ، وترعة الابراهيميه كان مؤرخو الأسرة العلوية يرونها أيضاً من مفاخرها .

---

[١] ص ١٧٣ من الكتاب .

[١] ص ١٧٥ من الكتاب .

[٢] ص ٢٢٥ من الكتاب .

[٣] ص ١٥٨ .

[٤] ص ١٥٩ .

ونجده يقول أيضاً إن نظم الزراعة في عهده وقد أثرت في التجارة والصناعة تأثيراً ذا بال في ثروة القطر العمومية ، وذلك أن أغلب الأصناف التي أهمل زرعها كان باعثا عظيما على محاولة الصناعة وداعيا إلى توسع دائرة التجارة [١] وضرب لذلك مثلا زراعة الكتان والمراعي وإهمال تربية المواشي والأغنام ، وغير ذلك .

وكذلك مخالفته هن أمر إسماعيل المفتش في شأن سكة الحديد وضمها إلى وزارة المالية . ونحن نعرف أن المفتش كان صاحب الحظوة الأولى والكلمة المطلقة عند سيده وأخيه - من الرضاع - إسماعيل . وقد جرت عليه هذه المخالفة غضب إسماعيل وسخطه . وإن كان قد رجع فترضاه ، واستخدمه ، فذلك لأن إسماعيل، ولأن الدولة أيضا لم تكن في غنى عن نشاط علي مبارك وكفايته وإخلاصه وجهده .

ومن مظاهر شجاعته أنه دعا لأن يتعلم المصريون العلوم العصرية الأوروبية ، كالطب والتاريخ والجغرافيا ، باللغة الانجليزية والفرنسية . لأن ذلك - في تقديره - أجدى وأنفع لهم وأيسر ، وقد كان هذا الرأي الشجاع منه سببا في خصومات غير هينة له . وتهم غير يسيرة ألصقت به . منها أنه كان محباً للإنجليز متعاوناً معهم بقلبه ، بعد احتلالهم مصر .

وقد بلغت هذه التهم الجارحة الظالمة ، حد" وصفه بأنه خائن ، كان يرشو بعض الأعراب بالمال ليكونوا عونا للانجليز في حربهم للعرابيين . ولكننا نذكر أنه عندما قرر تدريس بعض هذه المواد بغير اللغة العربية ، اختار الفرنسية دون الانجليزية ، وكان ذلك بعد الاحتلال . وهذا يذكر له في مواقف الشجاعة والإخلاص أيضا .

ومن هذه التهم التي جلبها عليه رأيه هذا ، أنه خارج على وطنه ، منسلخ من قوميته .

كان عبد الله النديم ، داعية الثورة العرابية وخطيبها ، من العائبين على علي مبارك الذامين له . كتب مقالة [١] عرض فيها بمن يتعلم في أوربا من المصريين ثم يعود إلى وطنه وقد التوى لسانه وتنكر لأهله ، ويصف واحدا من هؤلاء قد طرق على أهله بابهم بعد غيبته الطويلة في أوربا ، فلما سألوه من هو ... ؟ أجابهم بلغة أهل باريس ، فلم يفهموا منه شيئا . كانوا يحدثونه ، من وراء الباب ، بلغة أهل الريف ، وكان هو يجيبهم باللغة الفرنسية ، وهذه إشارة تذكرنا ،

[١] ص ١٦١ .

[١] نشرت في العدد الأول من الجريدة التي كان يصدرها باسم « التنكيت والتبكيت يونيو ١٨٨٨ » وكان عنوانها « عربي تفرنج » .

بلا شك ، بما قصه على مبارك عن نفسه عند ما رجع إلى أهله بعد غيبة أربعة عشر عاما فى فرنسا .

وقد سمعت عن بعض المعمرين الذين عرفوا على مبارك ، أن النديم كان يقصده بهذا التعريض . وأن العارفين الذين قرأوا مقالة النديم يوم ذاك لم يشك واحد منهم فى أنه يقصده .

ونجد أن على مبارك فى كتابه « الخطط الجديدة » قد مدح أسرة محمد على وأشاد به وبالخديويين من أبنائه . وقد يقول قائل إن هذا المدح لا يتفق مع ما وصفنا من شجاعته . ولكننا نقول : إنه يمدح فى خططه حقا الأسرة العلوية مدحا مقتصدا حينا ، ويشيد بها إشادة فيها شىء من المبالغة حينا آخر . ويذكر بالخير ولاتها ، وخاصة إسماعيل وتوفيق . وقد عرفنا من سيرته أنه نال فى ولاية إسماعيل أعظم ما ولى من مناصب الوزارة والحكم . وحقق فى عهده أعظم ما شاء الله له أن يحقق من مشاريع فى الهندسة والرى والتعليم والأوقاف وتعمير المدن وتنسيقها . إذا عرفنا ذلك كان من اليسير أن نعرف السبب فى هذا الخير الذى ذكر به عهد إسماعيل .

على أنه يبدو من سياق هذه الأحاديث التى ذكر فيها إسماعيل فمدحه ، أنه كتبها قبل أن تلتوى على إسماعيل أمور مصر وتتعقد شؤونها بسبب ما تورط فيه من الدين . ولم يكن يسيرا عليه ، بعد ذلك ، أن يعدل عن هذا الذى مدح به إسماعيل لاعتبارات من السهل علينا إدراكها وهذا أيضا يمكن أن يقال عن توفيق .

فموقفه من توفيق ، كان موقف المدافع المشفق . لا موقف المشجع المؤيد . لأنه لم يكن من دعاة العنف . وكان يرى أنه خير لمصر أن تجدد حياتها فى هدوء . وأن تقيم بنيانها ، برفق ، حجراً بعد حجر ، وخطوة بعد خطوة . وفى هذا قضى حياته الخصبة المنتجة العاملة كلها .

وكان على مبارك فى كثير من هذه الأحاديث التى مدح بها إسماعيل وأسرة محمد على ، يقارن بين عهود ولاتها وعهود المماليك والأتراك التى سبقتها . فلم يكن مدحه مطلقا ولكنه نسبى .

ومع ذلك نجد فى بعض الحقائق والأرقام التى أوردها وسجلها ، بعيدا عن الإشادة والمديح ، ما ينقض هذا المديح والإطراء . ويظهر حكم محمد على على عكس ما يمدح به . فهو ، مثلا ، يقول فى حديثه عن مدينة الإسكندرية ، إن تعداد سكانها ، عند ولاية محمد على كان بين سبعمائة وثمانمائة ألف . وكان عند وفاته مائة ألف (١) .

على أن هناك أمران يجب أن نلاحظهما قبل أن نترك حديث شجاعته ومدحه لإسماعيل

---

[١] ص ٤٥ جزء - ٧ - من الخطط .

وتوفيق وأشباههما من حكام مصر : الأمر الأول أن سياسة الحكم ونظمه ، وعدالة الحاكم وظلم الرعية ، من الأمور النسبية التي يختلف تقديرها والحكم فيها باختلاف العصور . كما نعرف بل هو لا يختلف فقط بل يتباين ويتناقض ، ومن الخطأ أن نتخذ مفاهيم هذه الكلمات التي ندركها الآن منها ، مقياسا لمفاهيم تلك العصور ، وأن نحاسب على مبارك بهذه الموازين . والأمر الثاني أنا لا نأخذ الحكم على على مبارك وخصائصه النفسية بما كتبه في الخطط وحدها . بل يجب أن ننظر بمعيار دقيق لما كتب في «علم الدين» خاصة . ولعله قصد ، وهو يؤلف كتابه هذا ، أن يقول فيه ما لم يستطع أن يقوله في الخطط . أو أن يوازن بين هذا أو ذاك . وطريقة تأليفه لعلم الدين ، تعطيه قدرا عظيما من الحرية في القول . كما نرى عند الحديث عن كتابه هذا .

وقد رأينا بعض حديثه عن الفلاح ، والعدل في الرعية وذم الإسراف عند الحاكم ، ونجد عند قراءة الكتاب شيئا كثيراً من ذلك وما يشبهه . كأنما أراد به أن يذكر إسماعيل وتوفيق وأشباههما ، بما يجب أن يكون عليه الحكم والحاكم وكيف تساس الرعية .

ومن دلائل شجاعته ومظاهرها أنه عندما وضعت قنبلة تحت مجلس الخديوى إسماعيل في الأوبرا واختير هو رئيساً لمحاكمة المتهمين فيها لم يدن أحداً منهم لما رأى من عدم كفاية الأدلة [١] .

مستقيم أمين :

وكان مستقيما أمينا على مال الدولة . نجد من سيرته أنه قد ركبه الدين بعد ما تولى من كبار الوظائف في الجيش والحكومة والوزارة ، وألف كتبا تطبع منها الألوف لتلاميذ المدارس ، وأنعم عليه عباس بثلاثمائة فدان .

وهذه الثلاثمائة من الفدادين ، لا نجد لها ذكرا بعد الإنعام بها عليه . ولا نجد لها أثر في ثروة خلفها بعد موته ، فلعله لم يستطع أن يستغلها ويستنبتها ، أو لعل عباسا أو غيره من الولاة عاد فاستردها منه ولم يستطع هو أن يذكر ذلك . ولا يبدو من سيرته وصفاته ، أنه كان متلافا للمال مسرفا .

مخلص متواضع جلد :

وكان مخلصا في عمله غيوراً عليه متواضعاً فيه صبورا جلدا . لا يأنف أن يقوم بالعمل الصغير بعد أن تولى كبار المناصب . نراه ، وهو وزير للمعارف ، يلقى دروسا على التلاميذ

---

[١] ص ٨١٥ من كتاب : « تقويم النيل » لأمين باشا سامى المجلد الثانى . الجزء الثالث .

ويضع بنفسه، أو يشترك، فى تأليف الكتب لهم. ويقيم مطبعة يشرف بنفسه على طبع هذه الكتب فيها. وهو، إلى ذلك، يتولى بنفسه أيضا الإشراف على مأكل التلاميذ وملبسهم وراحتهم. حتى أنه يعلم التلميذ كيف يلبس، ويقرأ، ويكتب. كما يراقب المعلمين فى فصولهم الدراسية، وفى تعليمهم وتأديبهم للتلاميذ. لا يمر يوم إلا وقد أشرف على ذلك كله بنفسه. حتى على خدمة الخدم.

وهو متواضع لا يأنف أن يعلم الضباط ومَن دونهم «حروف الهجاء» بعد أن تولى كبار المناصب وقام بجليل الأعمال، والتحق بحاشية سعيد. وتمتع بما تتمتع به حاشية الملوك من الأبهة، والسطوة، والوجاهة، والصدارة. ويقبل أن يقوم بالإشراف على المكاتب الأهلية، بعد أن كان يتولى ثلاث وزارات معاً. ومعها إدارت أخرى ومناصب لا تقل عنها أهمية وخطراً.

تحدث إليه المرحوم أدهم باشا فى أنه مأمور من سعيد باختيار معلمين يعلمون الضباط وصف الضباط القراءة والكتابة. ثم سأله عمن يليق لهذه المهمة. فقال له علي مبارك: أنا، فظن أدهم أنه يهزل، فهو يعلم أنه أكبر جدا من هذا العمل الصغير بعد ما باشر من كبير الشئون والوظائف. وقال له أدهم: أترضى أن تكون معلما لهؤلاء؟. فأجابه علي مبارك: «كيف لا أرغب انتهاز فرصة تعليم أبناء الوطن وبث فوائد العلوم..؟ فقد كنا مبتدئين نتعلم الهجاء. ثم وصلنا إلى ما وصلنا إليه» [1]. وقد رأينا أنه قام بهذا العمل فعلا.

وقد كان علي مبارك يذهب إلى هؤلاء الأميين فيكتب لهم حروف الهجاء بيده، ولأنهم لم يكونوا مستقرين فى مكان واحد كان يذهب إليهم فى خيامهم ويكتب لهم بيده تارة على الأرض، وتارة بالفحم على البلاط [2].

(البقية فى العدد القادم)

محمود الشرقاوى

---

[١] ص ٤٨ من الجزء التاسع من الخطط.

«٢» نفس الصفحة.

بين العربية والفارسية

للدكتور حامد عبد القادر
عضو مجمع اللغة العربية

بينت فى القسم الأول من هذا البحث ما كان بين العرب وغيرهم من الأمم المجاورة لهم من صلات وعلاقات سياسية وتجارية وغيرها، وأوضحت ما ترتب على هذه العلاقات من صلات لغوية أدت إلى تسرب كثير من الكلمات الأجنبية إلى اللغة العربية، وقلت إن القرآن الكريم نزل وقد صقل هذه الكلمات بالصيقل العربى فاستعمل بعضها، لا على أنها أعجمية بل على أنها كلمات معربة عربية الصيغة والصبغة.

كان هذا قبل الإسلام أما بعده فقد بلغت صلة العرب بالفرس منتهاها من القوة بعد أن دخل الإسلام بلاد الفرس، وامتزجت الثقافة العربية بالثقافة الفارسية، وتكونت منهما ثقافة إسلامية واحدة موطدة الأركان شامخة البنيان.

وكان دخول الإسلام بلاد الفرس إحدى نتائج انتصار العرب على الفرس انتصاراً نهائياً فى عهد عمر بن الخطاب، وكانت الموقعة الفاصلة بين الفريقين موقعة نهاوند (سنة ٢١ هـ ٦٤٣ م) التى لم يقع للعرب مثلها ولذا سميت: « فتح الفتوح ».

وقد كان من الطبيعى أن يتبع الفتح العربى لبلاد الفرس انتشار الإسلام بها، وأن يتعلم الفرس اللغة العربية لغة القرآن والدين، وأن تحل الأبجدية العربية محل الأبجدية الآرامية، وأن يحدث فى إيران انقلاب أخذ يقوى شيئاً فشيئاً حتى شمل جميع مظاهر الحياة، وتغيرت العقلية الفارسية. فأخذت تنظر نحو الحياة الدنيا والحياة الآخرة نظرة جديدة، ولم يكن فى استطاعة الفرس أن يقاوموا القوة المادية الروحانية الإسلامية التى غمرتهم وأحدقت بهم من كل جانب.

غير أن آثاراً من دينهم القديم وتقاليدهم السابقة ظلت عالقة بأذهانهم، فأثرت - دون شعور منهم - فى عقائدهم وتقاليدهم الجديدة، وبقيت آثار من لغتهم وآرائهم كامنة فى صدورهم أو مدونة فى بطون كتبهم، أو متداولة فيما بينهم فى منازلهم إلى أن ظهر أمرها حين قامت قائمتهم، وتألق نجمهم فى أفق التاريخ مرة أخرى فحاولوا إعادة سالف مجدهم وإحياء ما درس من علومهم وآرائهم.

أما الآثار الدينية فقد تجلت فى مذهب

الشيعة الذى ظهر أمره بعد قتل الإمام على كرم الله وجهه . وأما التقاليد القديمة فقد ظهرت آثارها فى بعض الأعياد التى استمرت فى عهد الدولة الإسلامية ، وأما الآثار اللغوية الأدبية فمنها إدخال كثير من الألفاظ الفارسية فى اللغة العربية التى تعلموها .

ولا يعرف إلا قليل عن أحوال إيران الداخلية فى أثناء المائة والخمسين سنة التى تلت الفتح الإسلامى ، إذ كانت البلاد من الوجهة السياسية جزءا من الخلافة الإسلامية يؤدى الزكاة أو الجزية ويراقب مراقبة شديدة طبقا لنظام دقيق وضعه معاوية أول خلفاء بنى أمية . وقد قضى الخليفة عمر على البقية الباقية من أنواع الآداب الأجنبية الأخرى ، بحجة أنها زائدة على حاجة المسلمين ، وأنه من الممكن الاستغناء عنها بالقرآن الكريم الذى يجب أن يكون مرجع جميع الآداب ، ومستقى جميع المعلومات ، ومن ثم كانت اللغة العربية هى اللغة الرسمية فى هذا العصر وفيما تلاه إلى عصر الدولة السلجوقية .

يقول دولتشاه السمرقندى فى كتابه تذكرة الشعراء ما خلاصته : (١)

« لما أخضع العرب بلاد فارس أرادوا نشر الشريعة الإسلامية والقضاء على كل ما كان من التقاليد والآثار الفارسية ، وقد لقيت اللغة والشعر والآداب الفارسية المصير نفسه ، ونسى الفرس أو تناسوا شعرهم وآدابهم .

وكان حكام إيران من العرب فى عهد الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية يأبون إلا أن يكون الشعر والكتابة الفنية والحكم والأمثال باللغة العربية .

يقول نظام الملك وزير السلاجقة فى كتابه : « تاريخ الملوك » ، إن الوثائق والقوانين والنشرات والأمثال كانت كلها تصدر من بلاط السلاطين مكتوبة باللغة العربية من عهد الخلفاء الراشدين إلى عهد السلطان محمود بن سبكتكين الغزنوى (٣٨٨ - ٤٢١ هـ) وكانوا يعيبون على السلاطين أن يكتبوا الرسائل ونحوها بالفارسية .

« وفى أيام وزارة عميد الملك أبى نصر كندرى (٤٥٠) وزير أبى أرسلان ابن طغرل بك السلجوقى أصدر الوزير أمراً إلى الكتاب أن يضربوا صفحا عن هذه العادة وأن يكتبوا الرسائل ونحوها بالفارسية .

ومن ثم يمكن أن يقال إن الأدب الفارسى كان فى عصر صدر الإسلام فى حالة ركود تام وظلام دامس .

وفى أواخر الدولة الأموية تذمر العرب والعجم من سوء تصرف الخلفاء فأجمعوا أمرهم على أن يخرجوا عليهم ، وبلغ التذمر قمته بقيام ثورة عامة ضد حكم بنى أمية كان

(١) انظر ص ٢٩ من هذا الكتاب .

للفرس فيها النصيب الأوفر بقيادة أبي مسلم الخراساني ، وانتهت الثورة بسقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ ، سنة ٧٥٠ م ، وحلت بغداد محل دمشق فكانت عاصمة الخلافة العباسية ، وكان انتصار المأمون على أخيه الأمين (١٩٨هـ) انتصاراً آخر للفرس أنصار الأول . على العرب أنصار الثاني .

ويمتاز القرن الأول من الخلافة العباسية (١٣١ - ٢٣٢ هـ) - الذي يوصف أحياناً بأنه العصر الذهبي للخلافة الإسلامية - من الوجهة السياسية بقوة نفوذ الفرس ، وتوليهم زمام الحكم . وفي مقدمتهم البرامكة الذين كانت لهم الغلبة في إدارة شئون الخلافة زهاء خمسين سنة ، ومن الناحية الثقافية الفكرية بانعقاد مجالس الحوار والمناقشة في قصور الخلفاء تلك المجالس التي كان يحضرها الخليفة ويشترك فيها في البحث والجدل ذوو العبقريات الممتازة من العلماء والأدباء ، وبكثرة الكتب المترجمة من اللغات الأخرى وبخاصة اليونانية والفارسية والنبطية ، ومن الناحية الدينية بقوة سلطان الشيعة ، وتغلب مذهب المعتزلة الذين كانوا يصفون أنفسهم بأنهم : « أهل العدل والتوحيد » ويصفهم الفرنجة بأنهم : « أرباب التفكير الحر في الإسلام » ، ومن الناحية الاجتماعية بشيوع بعض التقاليد الفارسية كالاحتفال بعيدي النيروز (يوم ٣/٢١) والمهرجان (٩/٢١) ، ولبس القلنسوة والملابس الفارسية المزركشة في قصور الخلافة . وقيل: إن أبا جعفر المنصور كان أول من لبس القلنسوة . ومن الناحية اللغوية الأدبية باهتمام الفرس بدراسة اللغة العربية وآدابها ، وعنايتهم بدراسة علوم اللغة والشريعة حتى صاروا في طليعة المؤلفين والكتاب .

ومن يدرس تاريخ التدوين والتأليف في الإسلام يجد أن معظم السباقين في هذا الميدان كانوا من الفرس ، فليس من ينكر فضل هؤلاء حتى في أشد العلوم اتصالا باللغة العربية ، والقرآن الكريم ، والحديث الشريف ، والشريعة الإسلامية ، فمنهم معظم أئمة اللغة والمفسرين وجامعي الأحاديث وعلماء الفقه .

وفي هذا الموضوع يقول ابن خلدون :

من الغريب الواقع أن حملة العلم الإسلامي أكثرهم العجم - إلا في القليل النادر ، وإن كان منهم العربي في نسبته فهو عجمي في مرباه ومشيخته - مع أن الملة عربية وصاحب شريعتها عربي . فكان صاحب صناعة النحو سيبويه (١٨٠ هـ) والفارسي من بعده (٣٧٧هـ) والزجاج[1] من بعدهما ، وكلهم عجم في أنسابهم ،

(١) هكذا يقول ابن خلدون والمعروف أن أبا إسحق إبراهيم الزجاج توفي سنة ٣١١ هـ أي قبل أبي على الفارسي بنحو ٦٦ سنة فهو متقدم على الفارسي لا متأخر عنه كما يقول ابن خلدون . ويؤيد ذلك ماذكره السيوطي في « بغية الرعاة » وهو أن الفارسي أخذ عن الزجاج وابن السراج .

وإنما ربوا فى اللسان العربى فاكتسبوه بالمربى ومخالطة العرب وصيروه قوانين وفنا من بعدهم . وكذلك حملة الحديث الذين حفظوه عن أهل الإسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربى ، وكان علماء أصول الفقه كلهم عجما كما يعرف [١] ، وكذا أكثر المفسرين ، ولم يقم بحفظ العلم وتدوينه إلا الأعاجم .

وأما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها ، وخرجوا إليها من البداوة فشغلتهم الرياسة فى الدولة العباسية ، فإنهم كانوا أهل الدولة وحماتها ، وأولى سياستها ، مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ بما صار من جملة الصنائع ، والرؤساء يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجرى إليها ، ودفعوا ذلك إلى من قام به من العجم والمولدين » [٢] .

ومع أن الفرس قد حذقوا العربية ، وأتقنوا علومها ، وكانت لهم الأسبقية فى التأليف فى كثير من علوم اللغة والشريعة فقد مارس كثير منهم صناعة الشعر بالعربية ولم يزالوا يمارسونها حتى نبغوا فيها .

وقد عنى العلامة الثعالبى فى كتابه « يتيمة الدهر » بهذا الموضوع ، فتحدث عن كثير من شعراء العربية من الفرس الذين نشئوا فى أحضان الدولة البويهية فى بغداد والعراق العربى وأواسط فارس ، وفى رعاية الدولة الزيارية بطبرستان ، وبخاصة فى عهد شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وفى حماية الأمراء السامانيين فى خراسان وخوارزم .

فهذا الكتاب الأدبى القيم يعطينا فكرة واضحة عن حالة الأدب العربى من سنة ٣٥٠ هـ حتى سنة ٤٠٣ هـ فى بلاد إيران كلها من بغداد إلى خوارزم ، ومنه نعلم أن أدباء الفرس قد مهروا فى صناعة الشعر العربى ، وأن سوق هذا الشعر كانت نافقة فى طول إيران وعرضها حيث كان الشعراء من الفرس ينظمون القصائد بلسان عربى فصيح ويقدمونها لسادتهم من بنى وطنهم فيعجبون بها ويجزونهم عليها .

وخلاصة القول : أن قوة النفوذ الفارسى فى العصر العباسى لم تضعف من شأن اللغة العربية وآدابها ، بل إن هذه اللغة قد بقيت على ما كانت عليه من قبل لغة الدين والسياسة والعلم ، واتخذها علماء الفرس وأدباؤهم أداة للتعبير عن أفكارهم ، وتسجيل آرائهم ، وتصوير أخيلتهم وعواطفهم .

أما اللغة الفارسية فقد بقيت قابعة فى عقر دارها خلال القرنين الأول والثانى

---

(١) هكذا قال ابن خلدون ، ولا يخفى ما فيه من مبالغة فالمشهور أن الإمام الشافعى « عالم قريش » كان أول المؤلفين فى أصول الفقه ، وليس هناك من يشك فى عروبته .

(٢) المقدمة ص ٣١٢ — المطبعة الخيرية لعمر حسين الخشاب سنة ١٣٢٢ هـ .

من التاريخ الهجرى ، وجاء عصر المأمون فأخذت هذه اللغة تتنفس الصعداء وتتحفز للظهور فى ذلك العصر الذى غلبت عليه الصبغة الفارسية .

يقول محمد عرفى فى كتابه (لباب الألباب) ما خلاصته مترجمة :

لقد ظل الشعر الفارسى مجردا من الوزن والقافية غير خاضع لنظام البحور الشعرية العربية إلى أن دخل الإسلام بلاد الفرس وحذق أدباء الفارسية اللغة العربية ، ودرسوا نظام الشعر العربى ، وعرفوا بحوره ، وفهموا معنى الروى والقافية ، والزحاف والعلة ، وكيفية تقطيع الأبيات وغير هذا وذاك مما هو مذكور فى علمى العروض والقافية . حينئذ أخذ أدباء الفرس ينظمون فى أول الأمر الشعر بالعربية ، ثم أخذوا ينظمون الشعر بالفارسية على نحو ما هو متبع فى الشعر العربى » .

وقد سلكوا فى الأمرين مسلك التدرج ، لذلك نجدهم حين بدءوا نظم الشعر بالعربية يلحنون أو يخطئون فى النطق بالحروف العربية كالحاء والعين ، ويدخلون فى شعرهم العربى بعض كلمات أو عبارات فارسية .

ويروى أن أول من نظم الشعر الموزون المقفى بالفارسية بعد الإسلام أديب يسمى خواجة زاده عباس ، وكان شاعرا ماهرا ، بصيرا باللغتين العربية والفارسية . وأول قصيدة فارسية من نظمه كانت القصيدة التى أنشدها سنة ١٩٣ هـ بمدينة مرو أمام (الخليفة المأمون بن هرون الرشيد ومطلع هذه القصيدة :

اى رسانيده بدولت فرق خود تافرقدين
گسترانيده بجود وفضل در عالم يدين
مر خلافت راتو شايسته جو مردم ديده را
دين يزدان راتو بايسته جو رخ را هر دو عين

يامن سعد بدولته حتى ناطح برأسه الفرقدين
يامن بسط بالجود والفضل والعالم كلتا اليدين
إن الخلافة منك كالإنسان من العين
وإن دين الله فى حاجة إليك كما يحتاج الرخ إلى العينين

وفيها يقول :

كس برين منوال پيش از من چنين شعرى نگفت
مر زبان پارسى را هست تا اين نوع بين
ليك زآن گفتم من اين مدحت ترا تا اين لغت
گيرد از مدح وثناى حضرت توزيب وزين

لم ينسج أحد من قبلى شعرا على هذا المنوال
وكان بين الفارسية وهذا الشعر بعد المشرقين
ولكننى مدحتكم على هذا النمط الشعرى
كى تكتسب هذه اللغة من مدحكم كل بهاء وزين

ولما انتهى الشاعر من إنشاد قصيدته أطراه المأمون وأمر بالإنعام عليه بألف دينار من الذهب ، وأن يختص بكثير من العطف والعناية .

وعلم الأدباء بالشعر والشاعر فأقبلوا

يطرونهما ويشيدون بذكرهما وأخذوا يحاولون نظم الشعر بالفارسية .

ولكننا لا نعرف أن أحدا نظم الشعر بالفارسية بعد هذا إلى أن جاء العصر الذى استقلت فيه بعض الأوطان الفارسية ، وأخذ أمراؤها ينافس بعضهم بعضا فى نظم الشعر ويحببون إليهم العلماء والشعراء ، ويشجعونهم على أن ينظموا الشعر بالفارسية يسجلون به مآثرهم ويخلدون ذكرهم . فحينئذ أخذت اللغة الفارسية وآدابها تهب من سباتها ، وجاءت الدولة السامانية فاتجهت عناية أمرائها إلى إحياء الثقافة والآداب الفارسية القومية فنهضت تلك اللغة والآداب نهضة لم تعهدها من قبل .

وقد بدأ استقلال الأوطان الفارسيه فى عهد المأمون وبرغبته . فقد أراد أن يكافئ أكبر أعوانه وأنصاره من القواد فجعلهم ولاة على أقاليم يستقلون بإدارة شئونها وكان طاهر بن حسين أول من حظى بهذا الشرف فأسس الدولة الطاهرية فى خراسان وامتد حكمها لهذا الإقليم من سنه ٢٠٦ ﻫ إلى سنه ٢٥٩ ﻫ أى ما يزيد قليلا على نصف قرن ، ثم حلت محلها الدولة الصفارية (٢٥٤-٢٩٠ ﻫ) والدولة السامانية (٢٦١-٣٨٩ﻫ) .

وكانت الدولة الطاهرية عربية النزعة حريصة على التقاليد والثقافة العربية فلم تنتشر فى عهدها التقاليد والآداب الفارسية :

يروى دولتشاه السمرقندى فى كتابه « تذكرة الشعراء » (١) . ما ترجمته أن عبدالله بن طاهر بن حسين أحد أمراء الدولة (الطاهرية بخراسان ٢١٣ - ٢٣٠ ﻫ) كان ذات يوم بنيسابور فجاء رجل وقدم إليه كتابا على أنه هدية أثرية ، فقال عبد الله : أى كتاب هذا ؟ فقال : هذه قصة وامق وعذراء ، وإنها لقصة طريفة ألفها الأدباء باسم الشاه نوشيروان . فقال الأمير : نحن قوم نقرأ القرآن ، ولا نقرأ شيئا آخر غير القرآن الكريم والحديث الشريف ، فليس لهذا الكتاب ولا لما يشبهه قيمة ولا فائدة لدينا . هذا إلى أن مؤلفه مجوسى ومن ثم كان مردودا فى نظرنا .

ثم أمر عبد الله بالكتاب فرمى فى اليم ، وأمر من كانوا فى إمارته أن يحرقوا كل ما لديهم من الكتب وغيرها من مخلفات العجم .

وفى عهد الدولة الصفارية ظهر نظام شعرى جديد شاع أمره فى الشعر الفارسى ثم فى الشعر العربى ذلك هو نظام الدوبيت أو الرباعى .

يقول دولتشاه السمرقندى فى كتابه الآنف ذكره فى بيان ذلك ماترجمته: يحكى أن يعقوب ابن الليث الصفارى (٢٥٤ — ٢٦٥ ﻫ)

(١) راجع ص ٢٩ من هذا الكتاب .

أول من شقوا عصا الطاعة من الفرس على بنى العباس كان له ابن يحبه حباً جماً ، وكان هذا الطفل يلعب فى أحد الأعياد لعبة الجوز مع غيره من الأطفال ، وجاء الأمير يعقوب ووقف بعض الوقت على قارعة الطريق يتفرج على ابنه وهو يلعب ، فرآه يلقى الجوز على الأرض فتقع سبع جوزات فى الحفرة ، ولم تلبث إحداها أن قفزت وخرجت من الحفرة فأسف ابن الأمير وفقد الأمل فى عودة الجوزة إلى الحفرة . ولكنه رآها تعود مسرعة وتتحرك نحو الحفرة فسر الأمير الطفل ، واشتد اغتباطه ، وحينئذ جرى على لسانه هذه العبارة :

غلطان غلطان همى رود تالب كو :

متدحرجة متدحرجة جاءت تسعى نحو الحفرة .

ووقع هذا الكلام موقعاً حسناً على سمع الأمير يعقوب ، فاستدعى إليه الأدباء والوزراء وقال لهم إن هذا الكلام جيد ، جار على نمط شعرى . وتناول أبو دلف وابن الكعبى هذه العبارة بالبحث ، وبعد تقطيعها وجدا أنها يمكن أن تكون شطر بيت من بحر الهزج فى إحدى صوره أو أضربه ، فأكملا البيت بالشطر الثانى ، ثم نظما بيتا ثانياً من البحر والضرب نفسه ، وبذلك أكملا بيتين . وجرى الأدباء على أن يطلقوا على هذه الصورة الشعرية أى القطعة المكونة من بيتين فى نظام معين اسم « دوبيت » ، وبعد ردح من الزمن عدلوا عن هذه التسمية وسموا مثل هذه القطعة « الرباعى » .

ويروى شمس الدين محمد بن قيس الرازى من رجال القرن السابع الهجرى — فى كتابه « المعجم فى معايير أشعار العجم » رواية أخرى فى نشأة الرباعى فيقول :

إن بعض شعراء الفرس — ويظنه الروكى اخترع الرباعى حين مر فى يوم عيد على صبية يلعبون ضربا من اللعب بالجوز وفيهم غلام صبيح نشيط ألقى جوزة فلم تستقر فى الحفرة وخرجت منها ثم تدحرجت ورجعت إليها فصاح الغلام :

غلتان — غلتان . همى رود تابن كو

فأعجب الشاعر هذا النغم — وما زال يعالجه حتى بنى عليه أنغام الرباعى .

والروايتان متقاربتان . وليس لدينا من الأدلة ما يرجع إحداهما على الأخرى . على أنهما تتفقان على أن الرباعى من مستحدثات الفرس . مثله فى ذلك مثل المثنوى الذى اتفق الرواة على أنه من ابتكار بهرام كور — كما قلنا فى القسم الأول من هذا البحث .

ويمكن أن يقال على وجه الإجمال : إن النهضة الأدبية الفارسية الحديثة قد بدأت فى عهد الدولة السامانية ، فإليها يرجع الفضل فى تشجيع أدباء الفرس وإغرائهم بالمال

والسلطان أن ينهضوا باللغة الفارسية وآدابها بجانب العربية وآدابها ، ولم يحل اشتغال أمراء هذه الدولة بالحروب المتواصلة دون عنايتهم بالفنون والآداب ، ومن ثم نجد كثيراً من المؤرخين والشعراء يلتفون حولهم يدونون انتصاراتهم ويتغنون بمفاخرهم ، وكان كثير من شعرائهم يجيدون الشعر بالعربية والفارسية ، وأن هذا لدليل على أنهم كانوا على علم تام بلغة العرب ، وبحور الشعر العربى ونظام تكوين القصيدة بالإضافة إلى ما ابتكروه من البحور والصور الشعرية.

وقد طرقوا أبوابا أو فنونا متعددة من فنون الشعر فى مقدمتها الوصف والمدح ، وكان وصف الخمر والتحدث عن آثارها فى النفس موضوعا محببا لديهم أجادوه أيما إجادة ، وجاءوا فيه بضروب من التشبيهات المستطرفة : وأتوا بأنواع من المعانى المبتكرة ، فكان وصفا خلابا جذابا لم يخل من الغلو والإغراق فى المبالغة . فمن هذه المعانى قول أبى شكور البلخى : إن الخمر حين يعصرها البستانى روح مشرقة ، ولو رأى قطرة منها من لا عين له لقال هذه عينى ، ولو رآها الميت لقال هذه روحى ، وإنها كالهلال حين تصب من القنينة إلى الكأس ، وكالبدر حين تستقر فى الكأس . ومنها قول الرودكى : إن تأثيرها يصل إلى أعالى المخ قبل أن تذاق ، ولو سقطت قطرة منها فى نهر النيل لظل التمساح ثملا من رائحتها مائة عام ، وأن غزال السهل الوادع لو شرب قطرة منها لصار أسدا عربيدا لا يكترث بالفهد .

ويبدو أن ولع هؤلاء الشعراء بذكر الخمر والتغنى بها يرجع إلى بيئتهم الغنية ببساتينها الفيحاء وحدائقها الغناء المليئة بأنواع الزهور والفواكه التى تعتصر منها الخمر .

كما يرجع إقبالهم على المدح والمبالغة فيه إلى شدة اتصالهم بأمراء الدويلات المختلفة وولاتها ، وإلى تنافس هؤلاء الأمراء والولاة فى اجتذاب الشعراء والأدباء نحوهم بإغداق العطايا والهبات عليهم ليشيدوا بذكرهم . ومن ثم نشأ التكسب بالشعر ثم شاع أمره بين الشعراء ، وهاهو ذا أبو زراعة الجرجانى يقرر أن تلك العطايا والهبات هى التى تغرى الشعراء وتطلق ألسنتهم بعذب الكلام وجيد المدح ، وذلك حيث يقول :

أعطنى جزءا من ألف مما نال الروكى من عطاء الملوك أعطك شعرا أعذب من شعره ألف مرة .

وقد سلكوا فى المدح أيضا مسلك الغلو والمبالغة ، وتكاد مدائحهم تنحصر فى وصف الممدوحين بالسخاء والشجاعة وحسن السياسة وإحكام التدبير .

وقد طرق هؤلاء الشعراء أبوابا أخرى من أبواب الشعر كالرثاء ، والحث على طلب

المعالى ، وعلى الإباء والشمم وعلو النفس ، وعلى العدل وحسن المعاملة ، والدعوة إلى توحيد الله تعالى وتنزيهه ، وإلى القناعة والصبر والتوكل على الله والرضا بقضائه وقدره . ولا شك أنهم تأثروا فى كثير من هذه بالدعوة والتعاليم الإسلامية .

ويبدو أن هذه النهضة الأدبية الفارسية التى شملت الألفاظ والأساليب وأغراض الشعر وفنونه كان لها نظراء فى الأدب العربى فى العصر العباسى وبخاصة أشعار بشار ، وأبى نواس ، ١٤٥ — ١٩٩ ، وصريع الغوانى مسلم ٢٠٨ ، وأبى تمام ١٩٠ - ٢٣١ ، والبحترى ٢٠٦ - ٢٨٤ ، وابن الرومى ٢٣١ - ٢٨٣ ومن أتوا بعدهم وحاكوهم فى الاهتمام بالزخرف اللفظى والمبالغة فى المدح والوصف ، واتخاذ الشعر وسيلة للتكسب والتقرب إلى الخلفاء والأمراء وقادة الجيوش .

وهنا نسأل : أى الأدبين تأثر بالآخر فى هذه المظاهر اللفظية والمعنوية ؟ ويبدو أن أصح جواب عن هذا السؤال هو أن نهضة الأدبين كليهما كانت وليدة الظروف الجديدة وإحدى نتائج امتزاج الشعبين العربى والفارسى بعد الإسلام ، فهذه قد أدت إلى تغير العقلية لدى كل من الفريقين ، وقد وجد هذا التغير متنفسا له فى الأدب العربى ، ثم فى الأدب الفارسى ، لأن تلك النهضة كانت فى الأدب العربى أسبق منها فى الأدب الفارسى .

ونسأل مرة أخرى فنقول : ماذا كانت العناصر المتغلبة فى هذا المزيج ؟ أكانت العناصر العربية أم كانت العناصر الفارسية ؟ ويكاد يكون من المرجح فى نظرى أن العناصر الفارسية كانت لها الغلبة وإن كان للعناصر العربية فضل السبق - شأن الأدب فى ذلك شأن التدوين والتأليف فى العلوم والفنون المختلفة .

وقد يؤيد ذلك ما نراه من فروق واضحة بين الأساليب والمعانى الأدبية قبل الإسلام وبين نظائرها بعد أن اختلط العرب بالعجم ، وفى هذا المعنى يقول بعض الظرفاء : لغة العرب علم ، أما لغة الفرس فعسل .

ومن مظاهر الصلة بين العربية والفارسية الترجمة من إحدى اللغتين إلى الأخرى نثراً أو شعرا : فقد ترجم تاريخ الطبرى إلى الفارسية أبو على محمد البلعمى وزير منصور الأول ابن نوح الثانى السامانى (٣٥٠-٣٦٦هـ) وفى العصر نفسه ترجم فريق من العلماء تفسير الطبرى للقرآن الكريم من العربية إلى الفارسية وكذلك « كتاب الأبنية عن حقائق الأدوية » لأبى منصور الموفق الهروى (حوالى سنة ٣٦٢) .

وترجم كليلة ودمنة إلى الفارسية شعرا أبو جعفر الرودكى شاعر الدولة السامانية ،

٣٢٩ ، ويروى أن بديع الزمان الهمذانى ٣٩٨ ، كان يجيد اللغتين ، فقد طلب إليه الصاحب بن عباد ٣٢٦ - ٣٨٥ ذات يوم أن ينظم له قصيدة فقال بديع الزمان : تفضل فاقترح على ماتريد فأنشد الصاحب ثلاثة أبيات بالفارسية ثم قال : ترجم هذه إلى العربية شعرا فقال بديع الزمان : تفضل فعين القافية التى تريدها ، فاختار الصاحب قافية الطاء ، فقال بديع الزمان : هل تتفضل فتعين البحر كما تشاء ؟ فقال الصاحب أسرع يا بديع فى البحر السريع . فأنشد بديع الزمان على البديهة :

سرقت من طرته شعرة
حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلجت بها مسرعا
تدلج النمل بحب الحناط
قال أبى من ولدى منكما
كلاكما يدخل سم الخياط

ويروى أيضاً أن أبا الفتح ، البستى ٤٠٠ كان يجيد اللغتين كذلك فقد ذكر أنه ترجم إلى العربية بيتين فى الغزل نظمهما أبوشكور البلخى من شعراء الدولة السامانية . معناهما :

نظرت من بعدكى أراك
فجرحت وجنتك ذات الحسن والملاحه
فنظرت بطرفك العليل فجرحت قلبى
وهذا عدل فإن الجروح قصاص

وهذه هى ترجمة أبى الفتح للبيتين :

رميتك عن حكم القضاء بنظرة
ومالى عن حكم القضاء مناص
فلما جرحت الخد منكم بمقلتى
جرحت فؤادى والجروح قصاص

وغنى عن البيان أن فى الترجمة شيئا من التعسف وسوء التعبير .

وقد ترجم بدر الدين الجاجرمى (من الطبقة الرابعة من شعراء الفرس) إلى الفارسية شعراً قصيدة أبى الفتح التى مطلعها :

زيادة المرء فى دنياه نقصان
فلا يغر بطيب العيش إنسان

* * *

ومن مظاهر تأثر كل من اللغتين بالأخرى استعمال العرب لكثير من الكلمات الفارسية بعد تعريبها تبعا للقواعد التى ذكرناها من قبل ، واستعمال الفرس لعدد أكبر من الكلمات العربية فى لغة التخاطب ولغة الأدب فى كلتا الحالين .

أما الظاهرة الأولى فقد شاعت بين العرب فى القرن الأول الهجرى وبخاصة بين سكان الكوفة والبصرة والمدينة الذين اختلطت بهم جاليات فارسية كثيرة العدد ، فقد قيل : إن سيلا من التجار والصناع وغيرهم كانوا يردون البصرة والكوفة ، وسرعان ما كونوا مع أسرى الحروب الكثيرى العدد ذوى الأصل الفارسى أغلبية السكان .

ففي البصرة كانت اللغة الفارسية حينئذ لغة الخدمة في الجيش ، وقد تأثر بعض العرب بطريقة النطق الفارسية فقد قيل :إن عبد الله ابن زياد (٣٠ - ٦٧ هـ) كان يقلب الحاء هاء والقاف كافا . وفي قصة يزيد [١] بن ربيعة بن مفرغ الحميري أنه غلا في هجاء آل أبي سفيان. فحكم عليه بأن يسقى نبيذا حلوا خلط بالشبرم فأسهل بطنه ثم أمر به فجر في طرق البصرة في ثياب مهلهلة مشدوداً إلى هرة وخنزير ، وأن الصبيان كانوا يسخرون منه ويسألونه بالفارسية : إين جيست ؟ (= ما هذا ؟) فكان يجيبهم بالفارسية أيضا ويقول :

آب است ـ نبيذ است ـ عصارت زبيب است ـ سميه روسفيد است أوروسي .

= هو ماء ـ هو نبيذ ـ هو عصارة الزبيب ـ سمية مشهورة أو بغي .

وقد حذا الكوفيون حذو البصريين فكانوا يؤثرون استعمال كلمات فارسية على استعمال نظيراتها العربية ، فكانوا يقولون : خيار (= قثاء) وباذروج (حوك=رجلة) وفيدى (= مجذوم) ووازار (بازار = سوق) وجهار سوك (= جهار سو = مربعة أي سوق على مقطع طريقين) .

وفي سنن ابن ماجة ما يفيد أن أبا هريرة رضي الله عنه مرض ، فالتفت إليه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : شكم درد ؟ فقال نعم . فقال : قم فصل فإن في الصلاة شفاء . ومعنى شكم : معدة . ومعنى درد : ألم ، فمعنى الجملة : هل وجعت معدتك ؟ [١] وقيل :إنه عليه الصلاة والسلام قال : العنب دودو ، والتمريك يك = كلوا العنب اثنتين اثنتين ، وكلوا التمر واحدة واحدة [٢] . وفي البيان والتبيين أن أهل المدينة نزل بهم ناس من الفرس فعلقوا بألفاظهم ، فسموا البطيخ الخربز والسميط (المنتوف الوبر) الروذق ، والمصوص (المزيل) المزوز [٣] .

وقد ورد في الشعر العربي بعض كلمات فارسيه فقد استعمل جرير (١١٠ هـ) كلمه روذق بمعنى الحمل المنتوف الوبر في قوله :

لا خير في غضب الفرزدق بعد ما
سلخوا عجانك سلخ جلد الروذق

كما استعمل كلمه بيدق (إحدى قطع الشطرنج) بمعنى الشيء التافه في قوله :

سبعون والوصفاء مهر بناتنا
إذ مهر جدتهن مثل حز البيدق

واستعمل الفرزدق الكلمة نفسها مفرداً وجمعا في قوله يخاطب جريراً :

ونحن إذا عدت تميم قديمها
مكان النواصي من وجوه السوابق

(١) البيان والتبيين : ٣ : ١٤٣ ـ ١ تحقيق الأستاذ عبد السلام هرون .

(١) شفاء الغليل : ص ٥ .
(٢) المصدر نفسه ص ٩ .
(٣) المصدر نفسه ص ٣ ـ ٤ .

منعتك ميراث الملوك وتاجهم
وأنت لدرعى بيذق فى البيادق(١)

يقول الجاحظ فى هذا الموضوع :

وقد يتملح الأعرابى بأن يدخل فى شعره شيئا من كلام الفارسية كقول العمانى للرشيد فى قصيدته التى مدحه فيها :

من يلقه من بطل مسرند فى زغفة محكمة بالسرد تجول بين رأسه والكرد (٢) يريد العنق . وفيها يقول أيضا :

لما هوى بين غياص الأسد وصار فى كف الهزبر الورد آلى يذوق الدهر آب سرد

وكقول الآخر ؟ .

ودلهنى وقع الأسنة والقنا
وكافركوبات لها عجر أقفد
بأيدى رجال ما كلامى كلامهم
يسومونى مرداً وما أنا والمرد(٣)

وكقول أسود بين أبى كريمة :

لزم الغرام ثوبى بكرة فى يوم سبت
فتمايلت عليهم مثل زنكى بمتى
قدحسا الداذى صرفا أو عقاراً بابخست

[١] راجع كتاب « العربية تأليف بوهان فوك ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار » ص ٢٠-٢١ .

[٢] المسرندى : للتغلب ، والزغفة : درع واسعة محكمة ، والسرد : سمر الزرد .

[٣] كافركوب المقرعة المجرة : المقدة فى الخشب ونحوه ، والأقفد : الغليظ العنق .

ثم كفتم دورباد ويحكم آنخر كفت
إن جلدى دبغته أهل صنعاء بجفت
وأبو عمرة عندى أن كوربد نمست
جالس أندر مكناد أبا عمد بهشت

ولعل الصواب : « أبا مرد »(١) .

= أمسك الغرماء بثوبى يوم سبت صباحا ـ فملت عليهم كما يميل الزنجى الثمل وقد احتسى شراب الفساق الخالصة أو الخمر المخلوطة بقليل من الماء ، ثم قلت : معاذ الله ويحكم لقد قال هذا الحمار إن جلدى دبغه أهل صنعاء بتمر البلوط ، وما أبو عمرة عندى إلا أعمى . وليس ثملا . حاشا لله أن نجلس فى الجنة أيها الرجل .

ومما يتصل بهذا الموضوع أن يتظرف الشاعر الملم بالفارسية فيذكر فى شعره بالعربية بعض إشارات أو عبارات لا يفهمها إلا من يجيد الفارسية ، كما فى قول أبى على الساجى يمدح مدينة مرو :

بلد طيب وماء معين
وثرى طيبه يفوق العبيرا

يشير الشاعر بالبيت الثانى إلى اسم مدينة مرو فإنه إذا قرئ (مرو) كان معناه بالفارسية : لا تذهب .

وكما فى قول أبى القاسم العلوى الأطروش فى بعض رؤساء جرجان :

[١] البيان والتبيين السابق ذكره : ١٤١ ـ ١/١٤٢ .

خليـلى فرا من الدهخذا
خذا حذراً من وداده خذا
يـكنى بسعد ونحسا حذا
وكل الخلائق منه كـذا

فالدهخذا معناه : عميد القرية وبينه وبين وداده خذا جناس تام ، ويشير الشاعر فى البيت الثانى إلى المعنى الأصلى للاسم « دهخذا » وهو عطية الله ، ويقول : إن هـذا الاسم على غـير مسمى لأن العميد يسىء معاملة رعيته .(١)

ومما تأثر به الشعر العربى فى الشرق الإكثار من ذكر عيدى ، النيروز: ٣/٢١ ، والمهرجان ٩/٢١ ، الذى يسمى رام روز ، أى يوم الرام . (٢)

يقول الثعالبى : ومن عجيب ما يروى عن أبى الطيب الطاهرى أنه كتب إلى أخيـه أبى طاهر الطيب بن محمد بن طاهر بكرة يوم الرام بهذين البيتين :

وإنى والمؤذن يوم رام
لمختلفان فى هذى الغـداة
أنادى بالصبوح كه كيادا
إذا نادى بحىّ على الصلاة

وإذا برسول من أبى طاهر جاء برقعة فيها :

وإنى والمؤذن يوم رام
لمختلفان فى هذا الصباح
أنادى بالصبوح كه كيادا
إذا نادى بحى على الفلاح

وكان التقاء رسوليهما بالرقعتين فى منتصف الطريق ! (١)

وفى كل من الرسالتين نجد كلمتين فارسيتين هما كه = أن ، وكيادا أى كياده بمعنى الخمول أو الفشل ، فالمعنى : أنادى بالصبوح قائلا : خمولا أوحى على الخمول .

أما عيد النيروز فقد ورد ذكره فى كثير من القصائد المسماة « بالنيروزيات » ، فمن ذلك قول أبى محمد الحسن بن على بن مطران من نيروزيه :

قد أتاك النيروز وهو بعيد
مرّ من قبله قريبا وسيل
سل سبيلا فيه إلى راحة النـ
ـفس براح كأنها سلسبيل
وهدايا النيروز ما يفعل النا
س ولكن هديتى ما أقول(٢)

وأما الظاهرة الثانية وهى استعمال الكلمات العربية فى الفارسية فأمرها بين . فقد كانت القاعدة المقررة لدى أدباء الفرس هى أنه

[١] يتيمة الدهر : ٤٧ ، ٦٧ ، ٤/٧٦ .
[٢] رام : اليوم الحادى والعشرون من كل شهر هذا هو الأصل ، ولـكنه اختص بالحادى والعشرين من سبتمبر ، أو بالملك الذى يشرف على هذا اليوم .

[١] اليتيمة : ٤/٦٩ .
[٢] اليتيمة : ٢٩ / ٤

يسوغ لكل أديب أن يقتبس فى نثره أو شعره ما يشاء أن يقتبس من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية والحكم والأمثال بنصوصها العربية ، وأن يستعمل فى حديثه وكتابته ما يختار من ألفاظ اللغة العربيـة الفصحى .

ونكتفى أن نمثل لهـذه الظاهرة من الشعر الفارسى بقول سعدى الشيرازى فى البوستان ٥٨٠ — ٦٩١ هـ : يمدح الرسول :

كريم السجايا جميل الشيم
نبى البرايا شفيـع الأمم
إمام رسل بيشواى سبيل
أمين خدا مهبط جبرئيل
شفيع الورس خواجة بعث ونشر
إمام الهوى صدر ديوان حشر
جه نعت يسند يده كويم ثرا
عليك السلام أى نبى الورا

ويقول حافظ الشيرازى « ٧٩١هـ » فى مطلع قصيدة من غزلياته :

ألا يأيها الساقى أدر كأسا وناولها
كه‌عشق‌آسان نمود أول ولى أفتاد مشكلها

* * *

وقد تأثر الشعر الفارسى بنظام الشعر العربى الموزون المقفى ، وقد بينا فى القسم الأول من هـذا البحث أن بهرام كور كان أول من أدخل هـذا النظام فى الشعر الفارسى . غير أن أدباء الفرس لم يحاكوا البحور الشعرية العربية كما هى ، بل إنهم أدخلوا فيها بعض التعديلات ، فأطالوا بعضها فجعلوا الهزج من مفاعيلين ثمانى مرات . والرجز من مستفعلن ثمانى مرات ، والرمل من فاعلاتن ثمانى مرات أيضا ، وأهملوا الطويل والبسيط والوافر والكامل . واستحدثوا بحوراً أخرى أهمها المشاكل (: فاعلاتن مفاعيلن مفاعيلن) والجديد (= فاعلاتن فاعلاتن مستفعلن) والقريب (مفاعيلن مفاعيلن فاعلاتن) . وأكثروا من اختصار « مفاعيلن » فى أول المصراع أو وسطه أو آخره فى بحر الهزج فجعلوه أخرم (= مفعولن) أو أخرب (= مفعول) أو أشتر (= فاعلن) أو أهتم (= فعول) .

وقد أكثروا من اتباع نظام الرباعى وهو من اختراعهم كما قلنا من قبل ، وكذلك المثنوى أو المزدوج وهو من اختراعهم أيضا ، وكانوا يلتزمونه فى الشعر القصصى كما فى الشاهنامه (٦٠ ألف بيت) للفردوسى (٣٢٣ — ٤١٦ هـ) ، والكنوز الخمسة (بنج كنج) للنظامى الكنجوى (٥٣٥ — ٥٩٩ هـ) وفى الشعر التصوفى كما فى حـديقة الحكيم السنائى (٤٥٥ هـ) والمثنـــوى (٢٦ ألفـا) لجـــلال الدين الرومى (٦٠٤ — ٦٧٢ هـ) .

حامد عبد القادر

ابن قيّم الجوزيّه

للأستاذ ابراهيم عبد الباقي

هو محمد[١] بن أبي بكر بن سعيد بن حريز الزرعي [٢] الدمشقي أبو عبد الله شمس الدين كان أبوه قيما على الجوزية[٣] ومديرا لشئونها.

ولد في صفر سنة ٦٩١ هـ وتوفى في ١٣ رجب سنة ٧٥١ هـ، وهذه السن وإن لم تبلغ به مبلغ المعمرين، ولكنها كانت طويلة، لأنها عامرة بجلائل الأعمال، وعظيم الآثار.

كان عصره يموج بالاضطرابات السياسة والمنازعات الحربية، وكان الناس يسودهم التقليد الأعمى الذي يقف حجر عثرة في سبيل الوصول إلى الصواب، لهذا لقى من قومه ما لقيه شيخه ابن تيمية من قبل، فقد اعتقل معه بالقلعة بعد أن أهين وطيف به على جمل مضروبا بالدرة، وحبس لإنكاره شد الرحيل لزيارة قبر الخليل، وامتحن امتحانا قاسيا من القضاة الذين عاصروه حيث كان يخالفهم فيما أفتوا به، سنة الله في المصلحين في كل عصر وجيل: « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون. أتواصوا به بل هم قوم طاغون » [١] « يا حسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون » [٢].

ومما أثر عنه هذا القول: (إن الفقه قانون الحياة، والحياة في تطور، فيجب على الباحث أن يكون حرا في حياته العملية فلا يلتزم مذهبا معينا، بل يتوخى المعنى الصحيح يسير مع الحق حيث سارت ركائبه).

لهذا كان يعتمد في الفقه على النصوص، ويجعلها محور بحثه، وهي الكتاب والسنة وبعدهما الإجماع وفتاوى الصحابة، والقياس واستصحاب الأصل، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، والعرف.

ومن مؤلفاته في الفقه كتاب أعلام الموقعين في ثلاثة أجزاء — والطرق الحكمية في السياسة الشرعية ـ والصلاة وأحكام تاركها، ومن كتبه القيمة في الفقه والسيرة زاد المعاد، وجدير بكل شخص أن يقتنى هذا الكتاب،

(١) ٦٩١ — ٧٥١ هـ ١٢٩٢ — ١٣٥٦م.

(٢) الزرعى نسبة إلى زرع قرية من حوران والمسماة الآن: أزرع.

(٣) الجوزية: مدرسة.

(١) سورة الذاريات آيتى ٥٢، ٥٣.

(٢) سورة يس آية ٣٠.

وكل مكتبة تخلو منه فهى ناقصة ، وكذلك إغاثة اللهفان فى طلاق الغضبان ، أما كتبه فى علم الكلام : فالصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، والكافية الشافية فى الانتصار للفرقة الناجية ، حادى الأرواح إلى بلاد الأفراح ، شفاء العليل فى مسائل القضاء والقدر ، مفتاح السعادة .

أما كتبه فى التصوف فكثيرة أهمها : مدارج السالكين ، شرح كتاب منازل السائرين للهروى ، عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، الفوائد ، روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، زاد المسافر ، الفتح القدسى ، الصراط المستقيم ، التحفة المكية ، الداء والدواء ، الهجرتين وباب السعادتين . جلاء الأفهام ، بدائع الفوائد . وله مجموعة فى التفسير جمعها السلفى الشيخ محمد أويس النووى تسمى التفسير القيم لابن القيم .

ومن أشهر مؤلفاته فى التاريخ (أخبار النساء) تناول فيه كثيرا من جوانب المجتمع ، وله فوق ذلك كتب تدل على أنه كان ذا ثقافة واسعة وعلم غزير .

آفة العلم التقليد :

وإن من يقرأ له كتاب أعلام الموقعين يتضح له أنه عدو التقليد والتعصب المذهبى ، ولذا حاربهما وشن الغارة على من اتبعهما ، وحجته فى ذلك أن التقليد لم ينتشر فى عهد الرسول ولا فى عهد الصحابة ، ولا التابعين ولا تابعى التابعين ، وإنما انتشر منذ القرن الرابع الهجرى حيث استقرت المذاهب الأربعة فى البلاد المختلفة ، وكان لكل مذهب أنصار وأتباع حرصوا على نشر مذهب إمامهم ، ولم يزالوا على ذلك حتى قيض الله للأمة الإسلامية بطلى الإسلام : ابن تيمية ثم تلميذه ابن القيم فى القرن السابع والقرن الثامن الهجرى فقاما بهذه الثورة على أسراء التقليد ومن على شاكلتهم من المتعصبين للمذاهب فأخذوا يدعوان إلى التحرر الفكرى ، ونبذ التقاليد الضارة التى شوهت حقائق الدين .

هب هذا المصلح الكبير والعالم الجرىء فى وجه المقلدين واعيا إلى تحرر العقول من ربقة التقليد ، والتعصب لمذاهب السابقين ، والتمسك بالكتاب والسنة ، بعد أن استعرض أدلتهم وردها دليلا دليلا ثم عرض منهج الصحابة ، ثم التابعين ثم تابعى التابعين ، ثم الأئمة وموقفهم من المسائل التى تعرض لهم .

أما الصحابة فكانوا يسألون عن سنة رسول الله كما فعل ابن عباس وغيره ، إذ كانوا يسألون أمهات المؤمنين عن فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته .

أما التابعون فكانوا يسألون الصحابة عن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء تابعو التابعين فسلكوا مسلك التابعين ، ثم جاء الأئمة فساروا مثلهم ، ولم يكن الأئمة يقدمون على النص شيئا ، ولو كانوا مقلدين لما اختلفوا فى فهم الأحكام التى لم ينص عليها من كتاب ولا سنة .

وكان الصحابة يذمون التقليد ، ويسمون المقلد الإمعة . قال ابن مسعود : (الإمعة الذى يحقب[1] دينه الرجال ، وكانوا يسمونه الأعمى الذى لا بصيرة له . والمقلدون أتباع كل ناعق يميلون مع كل صائح[2]) ، وقد سرد ابن القيم أقوال الأئمة فى التحذير عن التقليد إلا بعد معرفة الدليل فمن ذلك ، ما قاله مالك : (أنا بشر أخطئ وأصيب فانظروا فى رأيى : فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به ، وما لم يوافق فاتركوه) وقال عند موته : (وددت أنى ضربت بكل مسألة تكلمت فيها برأيى سوطاً على أنه لا صبر لى على السياط[3]) .

وقال الشافعى لأحمد : (يا أبا عبد الله أنت أعلم بالحديث منى ، فاذا صح الحديث فأعلمنى حتى أذهب إليه شاميا ، أو كوفيا ، أو بصريا[1] وقال أحمد : (لا تقلد فى دينك أحدا)[2] .

أدلة المقلدين والرد عليها من كلام ابن القيم :

دليلهم الأول : قول الله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون »[3] أمر سبحانه من لا علم له أن يسأل من هو أعلم منه رد عليهم ابن القيم بأن هذا دليل عليهم لا لهم لأن أهل الذكر هم أهل القرآن والحديث ، فتفسير الذكر بغير القرآن والحديث خطأ محض ، يوضح ذلك أن الصحابة كان يسأل بعضهم بعضا عما قاله الرسول أو فعله .

وكانوا يرجعون إلى أمهات المؤمنين فى فعل الرسول فى بيته ، وكذلك التابعون يسألون من قبلهم .

فأهل الذكر فى نظر المقلدين العلماء ، وسؤالهم تقليد لهم ولكن ابن القيم يرد عليهم بأن الذكر فى القرآن يراد به القرآن والسنة محتجا بالآية : « واذكرن ما يتلى فى بيوتكن من آيات الله والحكمة »[4] فالآية لا تدل على تقليد العلماء وإنما تدل على الرجوع إلى الكتاب والسنة .

(١) المحقب : المردف والمعنى أنه يسير وراء الرجال فى أحكام دينه .
(٢) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٣٤٣ .
(٣) ارشاد الفحول للشوكانى ص ٢٤٩ .

(١) إعلام الموقعين ح ص ٣٢٥ .
(٢) نفس المرجع ص ٣٠٩
(٣) الآية ٤٣ النحل .
(٤) الآية ٣٤ الاحزاب.

الدليل الثانى للمقلدين : أن عمر قلد أبا بكر فى الكلالة ، فعن الشعبى أن أبا بكر قال فى الكلالة : (أقضى فيها ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله منه برئ : هو ما دون الولد والوالد) فقال عمر بن الخطاب إنى لأستحى من الله أن أخالف أبا بكر (١) .

رد عليهم ابن القيم بأنهم اختصروا هذا الحديث ، وحذفوا منه ما يبطل استدلالهم ثم ساق الحديث بتمامه وهو : (قال شعبة عن عاصم الأحول عن الشعبى أن أبا بكر قال فى الكلالة : أقضى فيها برأيى ، فإن يكن صوابا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان ، والله منه برىء : هو مادون الولد والوالد) فقال عمر بن الخطاب : (إنى لأستحى من الله أن أخالف أبا بكر) فاستحيا عمر من مخالفة أبى بكر فى اعترافه بجواز الخطأ عليه وأنه ليس كلامه كله صوابا مأمونا عليه من الخطأ ، ويدل على ذلك أن عمر أقر عند موته أنه لم يقض فى الكلالة بشىء وقد اعترف بأنه لم يفهمها ، ولو سلمنا جدلا أن عمر قلد أبا بكر فالبون شاسع بين أبى بكر وبين من قلدتموه ، على أن تقليد عمر لأبى بكر فى مسالة لا ينهض حجة على اتخاذ أقوال رجل بعينه بمنزلة النصوص ، ولا يلتفت إلى سواها(١) .

دليلهم الثالث : أن الصحابة كانوا يفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى بين أظهرهم ، وهذا تقليد لهم قطعا إذ قولهم لا يكون حجة فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم (٢) .

قال رحمه الله رداعليهم: قولكم كان الصحابة يفتون ورسول الله صلى الله عليه وسلم حى بين أظهرهم ، وهذا تقليد من المستفتين لهم ، جوابه : أن فتواهم إنما كانت عن الله ورسوله وأنهم كانوا بمنزلة المخبرين فقط ولم تكن فتواهم تقليداً لرأى فلان وفلان وإن خالفت النصوص فهم لم يكونوا مقلدين فى فتواهم ، ولا يفتون بغير النصوص ، ولم يكن المستفتون لهم يعتمدون إلا على مايبلغونهم إياه عن نبيهم فيقولون : أمر بكذا وكذا ، ونهى عن كذا ، هكذا كانت فتواهم فهى حجة على المستفتين كما هى حجة عليهم ، ولا فرق بينهم وبين المستفتين لهم فى ذلك إلا فى الواسطة بينهم وبين الرسول وعدمها (٣) .

الحيل باسم الدين ومحاربتها :

يذكر ابن القيم فى كتابه إعلام الموقعين أن الحيل ما هى إلا تلاعب بالدين لأنها تحل

---

(١) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٣٠ .

(١) نفس المرجع ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٠٣ .

(٣) إعلام الموقعين ج ٢ ص ٢٣٧ : ٢٣٨ .

الحرام وتسقط الحقوق ، وأن فيها مخادعة لله ولم تظهر إلا بعد الصحابة ، وظلت شرذمة قليلة تحبذها ، ولكنها كانت من القلة بمكان فلا يقام لها وزن ولا يسمع لها قول ، حتى جاء المصلح الكبير ابن تيمية وبعده تلميذه ابن القيم فاعتبراها خروجا على الدين، ومجافية للعقل السليم ، وتضاء على المصلحة المقصودة من التشريع ، فمثلا فسخ النكاح يثبت للمرأة إذا ظهر عيب من العيوب التى نص عليها الفقهاء عند الرجل كالعنة (١) ، والجنون ، والبرص ، والجذام ، والجب(٢). فإن للمرأة فسخ النكاح بسببها ، ولكنها تحتال على الفسخ بطريقة أخرى من تشريع الشيطان ، فتلجأ إلى الارتداد عن الدين لتفسخ النكاح وبالعكس ، كذلك أكل الصائم فى نهار رمضان إذا أراد وطء زوجته نهارا ليسقط الكفارة عن نفسه ؛ لأن من يفطر بوطء زوجته عامداً يلزمه عتق رقبة مؤمنة ، فإن عجز فصيام شهرين متتابعين ، فإن عجز فإطعام ستين مسكينا .

فهذا المحتال يقصد إلى التخلص من هذه الكفارة ؛ لأنه يعتبر مفطرا بتناول الطعام لا بالجماع ، ومن الحيل أيضا إقرار المريض بأن ماله كله أو بعضه لأحد الورثة أو الذكور دون الإناث ، يقصد بذلك حرمان البعض من الميراث ، ومنها التحايل على إسقاط الشفعة باتفاق البائع والمشترى على الثمن قبل العقد ، وعند العقد يعطى المشترى البائع صرة غير موزونة فلا يعرف الشفيع مقدار ما يدفع ، ويرى ابن القيم أن هذا فيه تفويتا لمقصود الشرع ؛ لأن الجار أحق بالمبيع من المشترى بثمنه ، وعلى هذا فلا يسقط حقه بهذا الخداع .

ومما ذكره من الحيل كذلك التحايل على إسقاط حد السرقة بدعوى الملكية ، فيدعى السارق أن المسروق ملكه ، وبدهى أنه لو أخذنا بهذه الحيلة لادعى الكثيرون هذا الادعاء الباطل ، ولعطلت الحدود التى فيها زجر للنفوس من الغى ، ومحافظة على أموال الناس ونفوسهم وأعراضهم ، وأعظم من هذا وذاك حيلة تحليل المرأة لزوجها ، فإن المقصود من زواج المرأة المطلقة ثلاثا أن تأخذ درسا فى الحياة وتعلم الفرق بين الحياتين حياة الزوج الأول ، وحياة الزوج الثانى ، حيث لم ينفعها الطلاق الأول الذى هو بمثابة إنذار أول ، والطلاق الثانى الذى هو بمثابة إنذار ثان ، وبدهى أنه لا يتحقق هذا المعنى إلا إذا تزوجت بآخر زواجا شرعيا يقصد به بناء أسرة ، لا هذه المتعة الرخيصة التى ليست

---

(١) العنه بضم العين وتشديد النون : مرض بسبب الضعف الجنسى عند الرجل .

[٢] الجب بفتح الجيم : قطع جميع الذكر أو بعضه.

المقصد الأسمى للزواج ، ولقد أفاض ابن القيم الحديث فى بيان أضرار هذه الحيلة ، ومما قاله فى كتاب إعلام الموقعين : التحليل من أقبح القبائح ، ومن أعظم الفضائح ، وهو عمى فى عين الدين ، وشجى فى حلوق المؤمنين ، لعن رسول الله فاعله ، وتوعده بالرجم ، إلى أن قال : لعمر الله كم أخرج التحليل مخدرة من سترها إلى البغاء ؟.

وقد سبقه فى ذلك شيخه ابن تيمية فألف فيه كتابا سماه : « إقامة الدليل على بطلان التحليل ، أبطل فيه جميع الحيل التى شاعت فى الناس باسم الدين ، والأضرار التى تنجم منها . وقد نهج ابن القيم منهج أستاذه فقال فى إعلام الموقعين : الحيل حرام من وجوه :

أولا : أنها مضادة لحكم الله ، ومفوتة لما يقصده الشرع الشريف .

ثانيا : فيها تحليل ما حرم الله .

ثالثا : فيها الخداع الذى نهى عنه الدين ، وقد جاء فى الحديث الصحيح على شرط الشيخين ـ أن رجلا جاء إلى ابن عمر فسأله عن رجل طلق امرأته ثلاثا فتزوجها أخ له من غير مؤامرة ليحلها لأخيه ، هل تحل للأول ؟ قال : لا إلا نكاح رغبة ، كنا نعد هذا سفاحا على عهد رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم .

وسئل أيضا ابن عباس فقيل له : (إن عمى طلق زوجته ثلاثا ، أيحلها رجل ، فقال : (من يخادع الله يخدعه) وصح عن أنس ، وعبد الله بن عباس أنهما سئلا عن العينة[1] فقال : إن الله لا يخدع ، هذا مما حرم الله ورسوله) والعينة : حيلة باطلة يتوصل بها إلى حل الربا ، وصورتها أن يبيع تاجر سلعته بثمن إلى أجل فى زمنه ، ثم يشتريها منه بأقل من ذلك الثمن نقدا وهكذا . ونحن لسنا بصدد تعداد الحيل حتى نستوعبها ولقد اعترف ابن القيم فى كتابه أنه لو تتبع جميع الحيل لطال الكتاب ، ولكنه اكتفى بأمثلة ليتحقق للقارئ أن الحيل أضرارها خطيرة وفيها قلب للأوضاع وتلاعب بالدين .

النصوص الدالة على بطلان الحيل :

جاء فى إعلام الموقعين أيضا أن اليهود حرم الله عليهم الصيد يوم السبت امتحانا لهم فعز عليهم الحرمان من الحيتان التى تأتيهم يوم السبت وتنقطع فى غيره ، فتحيلوا على صيدها بنصب الحبائل يوم الجمعة فصنعوا بركا قبل السبت لينزل السمك فيها فإذا كان يوم الأحد أخرجوا السمك وقد ظنوا أنهم قد تخلصوا من عقاب الله تعالى لهم ولكن الله عاقبهم شر عقاب حيث مسخهم قردة وأبعدهم من رحمته ، مصداق ذلك قول الله تعالى :

« ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين[2] » ، وقال :

(١) العينة بكسر العين وفتح الياء والنون : السلف

(٢) آية البقرة ٦٥ .

« يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت (١) » وقال : « واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر إذ يعدون فى السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون(٢) » .

وهذا النص من القرآن الكريم يصفعُ ناصية المحتالين ويردُّهم على أعقابهم خاسرين أما من السنة فحديث :

(إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه(٣)) استدل ابن القيم على بطلان الحيل بهذا الحديث فالجملة الأولى : (إنما الأعمال بالنيات) تفيد أن العمل لا يصح إلا بالنية ، والجملة الثانية : (وإنما لكل امرئ ما نوى) تفيد أن العامل ليس له من عمله إلا ما نواه ، وهذا يعم العبادات والمعاملات ، والأيمان والنذر وسائر العقود ، والأفعال ، وهذا دليل على أن من نوى الربا بالبيع حصل له الربا ولا يعصمه عن ذلك صورة البيع ، وأن من نوى بعقد النكاح التحليل كان محللا ، ولا يخرجه عن ذلك صورة عقد النكاح ، لأنه قد نوى ذلك ، وإنما لكل امرئ ما نوى .

فالمقدمة الأولى معلومة بالوجدان ، والثانية بالنص ، فإذا نوى بالعصير حصول الخمر كان له ما نواه ، ولذلك استحق اللعن ، وإذا نوى بالعقد التحليل على ما حرمه الله ورسوله كان له ما نواه . والدليل على أن القصد والنية معتبران من الكتاب والسنة ما يأتى : — قال تعالى : « وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك إن أردوا إصلاحا(١) » .

وقال تعالى : « ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا(٢) » منطوق هاتين الآيتين الكريمتين أن الرجعة شرعت لمن قصد الصلاح دون الإضرار .

وقال تعالى : « من بعد وصية يوصى بها أودين غير مضار (٣) » فالوصية تنفذ إذا لم يقصد بها الإضرار بالورثة .

وجاء فى السنة ما يأتى : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (صيد البر لكم حلال وأنتم حرم مالم تصيدوه أو يصد لكم) يفيد

(١) ٤٧ النساء .
(٢) آية الاعراف ١٦٣ .
(٣) البخارى عن عمر بن الخطاب .

(١) آية البقرة ٢٢٨ .
(٢) آية البقرة ٢٣١ .
(٣) النساء ١٢ .

الحديث أنه يحرم على المحرم الأكل من صيد الحلال إذا صاده له صائد فقصد تحليل الصيد للمحرم حرم الصيد على المحرم .

ومن حديث أبي هريرة (... ومن استدان ديناً ينوى ألا يقضيه فهو سارق) فنيته عدم الأداء حرمت عليه الأخذ ، وكذلك جاء فى حديث أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من تزوج امرأة بصداق ينوى ألا يؤديه إليها فهو زان) فدل الحديث على أن المتزوج إذا قصد عدم أداء الصداق كانت زوجته حراما عليه ، فالنية جعلت النكاح زنا والدين سرقة .

كذلك لا يقع الطلاق إلا باللفظ والإرادة أعنى إرادة التكلم والقصد والمعنى ، فلو لم يعرف المعنى أو لم يقصد بأن كان مكرهاً لم يقع طلاقه بخلاف الهازل ؛ لأنه قاصد التكلم . ويستدل ابن القيم على ذلك بأن الله تعالى رتب الأحكام على الألفاظ لدلالتها على قصد المتكلم بها وإرادته ، فإذا قصد الكلام ولم يقصد المعنى ولم يقصد مخالفة ما التزمه ، ولا الحنث فلا يقع ، بل قد رفع المؤاخذة عنه بما لم يقصده .

الذرائع :

يرى ابن القيم أن كل ما أفضى إلى المحرم فهو محرم ، وكل ما أفضى إلى المكروه فهو مكروه ، وضرب لذلك أمثلة فى إعلام الموقعين وغيره منها : نهى النبى صلى الله عليه وسلم المرأة إذا خرجت إلى المسجد أن تتطيب ؛ لأن فى ذلك إغراء للرجال ، كما أمرها ألا تسافر أو تختلط بالرجل إلا إذا كان معها محرم أو زوج ، ومنها ألا يجمع فى النكاح بين الأخت وأختها ، وبين المرأة وعمتها أو خالتها أو بالعكس ، وقد بين الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك فقال : (إنكم إذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم) .

ومنها قول الله تعالى : « ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم »(١) فسب الآلهة مباح ، ولكن نهى الله عنه لأنه يفضى إلى محرم وهو سبهم لله ، وكذلك كل ما يفضى إلى الظنون السيئة ، كالخروج من المسجد حين الأذان ، والجلوس مع الأشرار وفى هذا جاء الحديث الشريف (من سلك مسالك التهم اتهم ولا أجر له) وفى عهد عمر ابن عبد العزيز أتى له بجماعة شربوا الخمر ليقام عليهم الحد وفيهم رجل لم يشرب معهم فأمر عمر رضى الله عنه أن يبدأ به ، وقال أولم يقرأ قول الله تعالى « فلا تقعدوا معهم »(٢)

منزلة السنة من القرآن عند ابن القيم :

يرى ابن القيم أن السنة موافقة للقرآن من

(١) آية الأنعام : ١٠٨ .
(٢) آية النساء : ١٤٠ .

من كل وجه ، فتارة تؤيده أو تكون بيانا لما أريد بالقرآن وتفسيراً له ، أو تبين حكما سكت القرآن عن إيجابه ، أو تحريمه ، فإذا ما جاءت السنة بما يفيد التعارض ، فإن أمكن التأويل وذهبت المعارضة فذاك ، وإلا فليضرب عن السنة صفحا حيث إنها عارضت القرآن المتواتر ودلت دلالة واضحة على أنها لم تثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ لأن القرآن والسنة خرجتا من بين شفتيه عليه السلام ، وقد أثرت عن الرسول أحاديث كثيرة تفيد أن السنة تزيد عما في الكتاب .

روى المقدام بن معد يكرب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه ، ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول : عليكم بهذا القرآن ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه ، وما وجدتم فيه من حرام فحرموه ، ألا لا يحل لكم الحمار الأهلي ، ولا كل ذي ناب من السباع) .

وفي لفظ آخر : (يوشك أن يقعد الرجل على أريكته فيحدث بحديثي فيقول : بيني وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم كما حرم الله) قال الترمذي : حديث حسن ، وقال البيهقي : إسناده صحيح . ومن اطلع على السنة يرى كثيراً من الأحكام مفصلة لما في الكتاب ، من ذلك : مقادير الزكاة وأنصبتها ، كيفية الصلاة ، نكاح المرأة على بنت أختها أو بنت أخيها ، تحريم الرضاع كتحريم النسب ، الشفعة ، توريث الجدة ، منع التوارث بين المسلم والكافر ، وتوريث بنت الابن الذي مع البنت ...

تصوف ابن القيم :

كان ابن القيم متصوفا ، وكان تصوفه وسطا بين الإفراط والتفريط ، فلم يغل غلو ابن العربي ومن على شاكلته ، ولم ينزل إلى التقصير كما عليه بعض المتصوفين من جهلة اليوم ، فهو يرى أن التصوف الحق هو العمل بالكتاب والسنة ، ونص على هؤلاء الذين جعلوا للشريعة ظاهرا وباطنا ، وأسقطوا التكاليف عمن وصل إلى علم الحقيقة ، وأنه ليس هناك خلق منفصل عن الله تعالى ، بل الله تجلى فيه وظهر ، وهذا ما يسمى بوحدة الوجود ، لهذا كان يحبذ طريقة المتصوفين القدامى ، ويثني عليهم ثناء مستطابا مثل علي ابن أبي طالب ، والحسن البصري ، ومعروف الكرخي ، والجنيد وسفيان الثوري وأبي عثمان النيسابوري ، ومن أراد أن يعرف التصوف الحق فليطلع على كتابه (مدارك السالكين) شرح كتاب منازل السائرين للهروي وهو من أنفس كتب التصوف .

شهادة العلماء له :

قال عنه ابن حجر : كان جرىء الجنان ، واسع العلم عارفا بالخلاف ، ومذاهب السلف وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لا يخرج عن شىء من أقواله ، بل ينتصر له فى جميع ذلك ، وقد هذب كتبه ، وقال : وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله تعالى حتى يتعالى النهار ويقول : هذه غدوتى لو لم أقعدها سقطت قواى ، وكان يقول بالصبر والفقر تنال الإمامة فى الدين ، وقال القاضى برهان الدين الزرعى : ما تحت أديم السماء أوسع علما منه اه .

وإجمال القول أن ابن القيم كان من الشخصيات الإسلامية التى أخلصت لله ، وأفنت حياتها فى الدعوة إلى صحيح الإيمان فجزاه الله خيرا بقدر إخلاصه فى الدين ، وما سدى للإسلام من جميل ؟

ابراهيم عبد الباقى
من علماء الأزهر

طرائف

كان الحجاج بن يوسف يستثقل زياد بن عمرو العتكى ، فلما أثنت الوفود على الحجاج عند الوليد بن عبد الملك والحجاج حاضر ، قال زياد بن عمرو : يا أمير المؤمنين إن الحجاج سيفك الذى لا ينبو ، وسهمك الذى لا يطيش ، وخادمك الذى لا تأخذه فيك لومة لائم ! فلم يكن أحد بعد أخف على قلب الحجاج منه .

* * *

قال أسماء بن خارجة الفزارى : لا أشاتم رجلا ، ولا أرد سائلا ، فإنما هو كريم أسد خلته ، أو لئيم أشترى عرضى منه .

* * *

وقال سهل بن هارون : يجب على كل ذى مقالة أن يبدأ بحمد الله قبل استفتاحها ، كما بدىء بالنعمة قبل استحقاقها .

عندنا وعندهم :

الرأى العام فى الإسلام

للأستاذ محمد رجب البيومى

ينظر بعض المفكرين فى أوربا إلى الرأى العام نظرة مريبة فهو فى رأيهم آلة تسخرها الدعاية وتسيرها العاطفة دون تعمق فى أسباب أو ارتقاب إلى نتائج ، والكاتب اللبق يستطيع فى منطق هؤلاء أن يحول الجماهير عن رأى صائب إلى رأى مخطئ بما ينمق من خيالات ، وقد يكون هذا القول منطبقا على ما نشاهده فى التاريخ الأوربى المعاصر ، فهو يقدم لنا من ألوان الاحتيال على الحقائق ، وأفانين التهجم على القيم ما يدفعنا إلى إساءة الظن بالرأى العام الأوربى مهما يزعم لنفسه من تقدم وتثقيف ، فنحن نجد المعسكرين : الديمقراطى والشيوعى كليهما يقدسان فى ظواهر الأقوال مكانة الرأى العام ، ولكنك تجيل العين الفاحصة فتجد كل معسكر يخضع لساسة محترفين يوحون بالفكرة الفردية بادئ ذى بدء ، ثم يعبئون شتى الجهود اللسانية والقلمية للدعاية لها حتى تصبح بين يوم وآخر أمراً بدهيا لا يقبل المعارضة ، ويندفع الرأى العام هناك لتأييدها مطالبا متسرعا وكأنها قد انبعثت من أعماقه ، غافلا عما يكون بها من مآخذ تستأهل المراجعة ، وقد كان وجود المدرسة النازية فى ألمانيا معلما أول يلقن أساليب الدعاية والتمويه ، فاندفعت الدول الأخرى إلى تطبيق نظرياته ، واستلهام مذاهبه ، وأصبح كتاب الدكتور جوزيف جوبلز (نصيبى فى كفاح ألمانيا) دستوراً محترما فى واقع الأمر لدى الأوربيين ، وإن تظاهروا بالنقمة عليه ، والبعد عن اتجاهاته ، والحق أن الدكتور جوبلز وزير الدعاية الألمانى كان عجيباً جداً فى بابه ، وما نحسب أن دولة من الدول وهبت داعية عظيما فى مثل ملكته وكفايته ، فقد فرض عليه هتلر أن يضع برنامجا لتعليم الشعب الألمانى تعليما من شأنه أن يجمع كل القوى المؤثرة فى الشعب فى يد واحدة مطلقة السلطة والتصرف ، وجوبلز يقول بصدد ذلك : (لقد ألقى على عبء هذا العمل ، إنه ميدان فسيح تتجاوز حدوده مقدرة كل إنسان ، إنه عمل هائل يتطلب تحقيقه إنفاق العمر فى جهد متصل ، وصبر عظيم ، ويتطلب قوة ذهنية جبارة ومقدرة تامة على إدارة وسائل الدعاية الحديثة ، إدارة تشمل الشعب جماعة جماعة وفردا فردا) .

وقد ذهبت النازية ، وبقى أعداؤها ليسيروا على نهجها فى غسق الليل ، زاعمين أنهم يقفون منها على طرفى نقيض ، وقل لى بربك كيف يوافق الرأى العام المثقف فى أمريكا وإنجلترا وفرنسا على فظائع الاستعماريين فى تونس والجزائر ، وإبادة آلاف الضحايا ، كما وافق من قبل على تشريد أمة عربية شهيدة دون أدنى جريرة !! كيف يوافق الرأى العام الأوربى والأمريكى على هذه الفظائع الدامية إن لم تكن أساليب الدكتور جوبيلز فى الدعاية هى الدستور الأعظم لقادة هذه الشعوب ! .

لسنا نتجنى على الرأى العام فى أوربا الديمقراطية حين ننص على أنه قد فقد حريته الطبيعية وأصبح آلة مسخرة تديرها الدعاية كما تشاء ، فهناك عشرات من المفكرين الديمقراطيين يعلنون هذا الواقع الشائن فى مرارة ، وها هو ذا الدكتور لويبلز الأستاذ بجامعة كونتجن يجهر بذلك فى صراحة إذ يقول : « وفى الواقع لقد ابتعد الرأى العام فى دول الأحزاب الديمقراطية عن أن يكون التعبير الصادق فى المجتمع الحر ، ويظهر ذلك من ملاحظة أن المبادئ الحرة فى هذا البلد ـ يريد انجلترا ـ قد احتفظت بقوتها أكثر من أى بلد آخر ، ولكن رغم ذلك نرى كيف أخذ الرأى العام تحت الضغط الآلى ، والسيطرة الجماعية يميل ليمسى أكثر فأكثر نوعا غير منتظم الشكل يخضع لتيارات الأفكار التكتلية ، وبهذا غدا الرأى العام الجماعى الذى فقد القوة المعبرة والكفاءة واقعا تحت تصرف أولئك الذين يديرون المجتمع [1] » .

وطبيعى أن يبحث الكاتب وأمثاله من المفكرين عن علاج ناجع لهذا الداء الخطير ، ليرد على الرأى العام ما فقد من ضعفه ، فيصبح كما تتخيله مثلهم الفكرية أمينا مخلصا يهدف إلى الكرامة والحرية والمساواة !! وقد أجهد الأستاذ ليبولز فكره منقبا عن هذا العلاج حتى اهتدى إلى القيم الروحية فهى التى تفعل ما لا يفعل القانون ، وتصون ما لا تصون التقاليد المتوارثة . وإنه ليؤكد ذلك مكررا معاودا ، فيقول فى استنتاج متعقل : (وقد أظهرت اختبارات القرن الماضى هبوط كل محاولة لبناء سياسى جديد على أسس إنسانية محضة ، وثبت أن انبعاث الروح الحقيقى يكون عن طريق أولئك الذين يجمعون تجاربهم من موارد روحية عميقة) . وهنا موضع العبرة من كلام الرجل ، فإن تكوين رأى عام عن طريق القيم الروحية قد وجد تطبيقه العملى فى الإسلام وحده ، ونجح نجاحا هائلا تتتابع دلائله فيما سطره المؤرخون شرقا وغربا عن حياة الإسلام الأولى فى عهده الخالص المخاص ، ونحن نقول : إنه وجد تطبيقه العملى فى الإسلام وحده ، لأن المسيحية لم تضع قوانين المعاملات ، ونظم التعاقد والترابط فى كتاب مقدس

(١) ترجمة الأستاذ فؤاد طرزى ببغداد .

لتكون معروفة مؤكدة لا يختلف فيها اثنان، بل اتجهت إلى التهذيب الروحى والتطهير الوجدانى مكتفية بقوانين المجتمع الرومانى، أما الإسلام فقد عالج أمور الدولة وسن شرائع الناس ثم فرض اتباع تعاليمه فرضا ملزما فسار وراءها الرأى العام المسلم قبل أن تتجه إليه معاول التخريب.

وتاريخ الحقبة الأولى من حياة الإسلام شاهد لا يخطىء، فقد جاء محمد صلى الله عليه وسلم والعرب أحرار لا تجمعهم غير التقاليد الموروثة المتباينة، تحمل إليهم رسالة العدالة والمساواة والإخاء والحرية، وبلغ الناس كتابا يجمع ما أمر الله به أن يفعل، فأصبح القرآن دستورا جامعا، وإماما هاديا، وبذلك كون رأيا عاما يتمسك بأهدابه فيعتصم بفضائله ويخالف مناهيه، وأصبح كل مسلم يختط طريقه فى الحياة على هديه، فإذا أطاع أمير المؤمنين ففى طاعة الله لا فى معصيته، وإذا عامل رئيسه أو مرءوسه ففى نطاق شريعة مقدسة مدروسة، فلو نعق ناعق بما يخالف آية كريمة أو يعارض أثرا نبويا تحداه الرأى العام الإسلامى أن يأتى بدليل قرآنى يقف له! وهكذا تكون الرأى العام فى ضوء ساطع من القيم الروحية، وفى هدى واضح من كتاب الله، وإنه ليحدد مكانة الأمة الإسلامية وواجبها الشرعى فيقول فى جلاء: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر، وتؤمنون بالله» وينحى باللائمة على بنى إسرائيل لأنهم كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه، كما يذم المنافقين ذما شائنا لأن بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويقبضون أيديهم.

وقد جاءت أفعال الرسول - وهو المثل الأعلى للإنسان فى الإسلام - وأقواله شارحة وموضحة لأوامر الكتاب فى تكوين رأى عام مستنير يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، والرأى العام حينئذ هو مقياس الترجيح وأداة الحكم، تصدر الأمة عن رأيه، وتنبعث قوانينها من هداه.

روى ابن عساكر عن ابن مسعود رضى الله عنه أنه قال: (قال رجل يارسول الله متى أكون محسنا ومتى أكون مسيئا؟ فقال: إذا أثنى عليك جيرانك أنك محسن فأنت محسن، وإذا أثنى عليك جيرانك أنك مسىء فأنت مسىء)!!

وروى البخارى عن حرملة رضى الله عنه قال قلت يارسول الله ما تأمرنى به أعمل، فقال: ائت المعروف، واجتنب المنكر، وانظر ما يعجب أذنك أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فائته، وانظر الذى تكره أن يقول لك القوم إذا قمت من عندهم فتجنبه.

وروى البيهقى فى الشعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقفن عند رجل يقتل مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه. ولا تقفن عند رجل يضرب

مظلوما فإن اللعنة تنزل على من حضره ولم يدفع عنه) .

وقال أيضا فيما رواه البخارى عن النعمان ابن بشر « مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأخذ كل واحد منهم نصيبا ، فأصاب بعضهم أعلاها ، وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء يمرون به على الذين فى أعلاها ، فتأذى الذين فى أعلاها بالمار عليهم ، فقال الذين فى أسفلها : لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فأخذ أحدهم فأسا ، فجعل ينقر أسفل السفينة ، فأتوه ، فقالوا مالك ؟ قال تأذيتم بى ، ولا بد لى من الماء ، فإن أخذوا على يديه ومنعوه أنجوه ، ونجوا أنفسهم ، وإن تركوه أهلكوه وأهلكوا أنفسهم » .

فى ضوء هذه المبادئ الصريحة قرآنا وحديثا تكون الرأى العام الناضج فقال أبو بكر رضى الله عنه فى أول خطبة له : « أطيعونى ما أطعت الله ورسوله فإن عصيته فلا طاعة لى عليكم » وقال عمر بن الخطاب « من رأى منكم اعوجاجا فىّ فليقومه ! فرد عليه أحد المستمعين « والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ، فوافقه عمر وأيده !! وهكذا أصبح كل مسلم رجل سياسة مفهومة ، تتغلغل فى أعماقه ، فهو يلتزم حد الله فيما يأتى ويدع .. وأصبح الرأى العام الإسلامى إذ ذاك حقيقة واقعة يسيطر عليها القرآن ، وتجمعها روح الإسلام ...

ولو قدر للفكرة الإسلامية أن تطرد على سوائها المستقيم بعد النبوة والخلافة الراشدة ، لسعد بها المسلمون ، ولكنها انتكست على يد معاوية حين أخذ البيعة ليزيد ، فرغب ورهب ، وقارب وباعد ، وأسكت الأفواه بالمال تارة وبالزجر تارة أخرى ، فأخذ الرأى العام الحر ينحسر ويتقلص ، وأصبح المخالف الجرىء يهتف فى أذن العاصى الغوى بالآية الحاسمة والأثر القاطع فلا يجد السميع ، ثم جاء الخلفاء من بعده فنهجوا نهجه - إلا قليلا ممن عصم الله - فانطفأت جذوة الغيرة على توالى المحن ، وتكون رأى عام آخر يقبل الضيم ويستنيم للمكروه !! ولك أن تقرأ هاتين الحادثتين لتوازن بين عهدين متنافرين اجتمع فيهما الرأى العام على مبدأين متناقضين ، فعلت كلمته فى عهد ، وخبت ريحه فى عهود .

١ - كان عمر بن الخطاب يقسم بعض الغنائم فنقده بعض الحاضرين ، فصاح صائح بالناقد : اتق الله فإنه أمير المؤمنين !! فقال عمر : دعه فلا خير فيكم إن لم تقولوها فينا ، ولا خير فينا إن لم نتقبلها منكم .

٢ - خطب أبو جعفر المنصور فقال : أيها الناس اتقوا الله ، فقام إليه رجل من عرض الناس ، فقال : أذكرك الله الذى تذكرنا به يا أمير المؤمنين ، فرد أبو جعفر : سمعا لمن ذكر بالله ، وأعوذ بالله أن أذكر به فأنساه ،

وتأخذنى العزة بالإثم ، وأما أنت ، فوالله ما الله أردت بها ، ولكن ليقال : قال فوقب فصبر ، وأهون بها لو كانت ، وأنا أحذركم أيها الناس أمثالها فإن الموعظة علينا نزلت ومنا أخذت » .

فقوة الرأى الحر الملزم تتجلى بوضوح فى عهد الخليفة الراشد وتتضاءل فى انكماش فى ظل المتجبرين من الورثة ، والمدلين بالنسب ، ونحمد الله أن تقدم بنا الزمن فمضت عصور الاستبداد إلى غير رجعة ، وفاء المسلمون إلى دينهم يحفظون قرآنه ، ويتفهمون حديثه ، ويقرءون تاريخه ، وما أحراهم أن يكونوا رأيا عاما إسلاميا تجتمع كلمتهم عليه ، دون تراجع ونكوص .

على أن أشد ما يمنى به الرأى العام من أخطار هو أن يصاب بأبالسة يحرفون الكلم عن مواضعه فلا يعمدون إلى الصراحة فى فرض أفكارهم الخاصة ، وأهوائهم الشخصية بل يقصدون إلى القضايا المسلمة ، والحقائق المتعارفة ، فيشرحونها على غير وجهها ، ويحملونها ما لا تطيق من الاتجاهات ، والجمهور لا يفطن إلى الوجه الصائب ، وقد يجوز ذلك بكثرة فى القوانين الوضعية والمسلمات التقليدية ، ولكنه يصعب كثيراً فى دستور محكم فسرت آياته الكريمة فى شتى المراجع على توالى العصور ! واشتهرت منازعه اشتهاراً ظاهرته السنة المتداولة ، وأيده واقع التاريخ الإسلامى فى مده الحافل بشتى عظاته ومثله لأنه وجد فى كل جيل من يرسم الطريق الواضح على هديه ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ! ! وإن ضاعت صيحاتهم بددا فى خضم المتجبرين ، ولكنه ضياع مؤقت لا يلبث أن ينشد نفسه ، أما الزبد فيذهب جفاء . فالرأى العام الإسلامى يعرف مصادر وحيه ، ومصابيح هدايته ، وله إحساس يلهمه وجه الحق فيما اشتبه من الدليل ، والتبس من القول ، ولديه مراجعه المتوارثة على الأجيال من خلاصة التفاسير ، ولباب الأحاديث ومعتمد الكتب والنصوص ، فإذا حاول محاول ما أن يخدعه عن طريق الحق فلن يستطيع المسير ، لا سيما فى عصر مدنى كهذا العصر تعددت فيه ألوان المعارف ، وتيسرت سبل التحصيل ، ولا أظن رأيا عاما آخر لا يستند فى قيمه الخلقية ومعاملاته الشخصية ، إلى كتاب واضح محكم ، يستطيع أن يجد من حرارة الإيمان ما يجده الرأى العام الإسلامى فى دفاعه عن المقدسات والذخائر ، وإذا كان المستنيرون من دارسى التاريخ الإسلامى يأسفون لانحراف حكامه حقبا طويلة عن طريق الحق ، فإن العهود الحديثة أصبحت تستبشع هذا الانحراف ولا تصبر عليه ، وتتطلع إلى عهود المساواة والأخوة والحرية فى شوق عظيم !! وقد سارت الجمهورية العربية شوطا حميدا فى هذا الطريق وإنا لنرجو أن تلحق بها أخواتها عن قريب .

محمد رجب البيومى

اللّغة العَربيّة في إفريقيا

للأستاذ جلال عباس

أخذت اللغة العربية تنتشر فى أقطار القارة الإفريقية منذ الفتح العربى ، وقد امتدت خطوط هذا الانتشار مع الفتح العربى الذى صحبته هجرات من القبائل العربية فى الشرق والغرب ، فوصلت إلى خط العرض الخامس شمال خط الاستواء فى غرب القارة ، كما امتدت معرفة اللغة العربية واستعمالها فى شرق القارة إلى الداخل حتى حدود الكنغو والمناطق الشرقية منه ، وطبيعى أن انتشار اللغة العربية وعدد المتكلمين بها يقل تدريجيا كلما بعدنا عن مراكز إشعاع العروبة وتأثيرها فى شمال القارة وشرقها ، فى مناطق إفريقيا الغربية يقل عدد المتكلمين بالعربية تدريجيا كلما اتجهنا جنوبا تجاه ساحل غانا ، وفى الشرق يقل انتشارها كلما توغلنا بعيدا عن ساحل المحيط الهندى نحو الغرب فى المناطق الداخلية.

عوامل انتشار اللغة العربية فى إفريقيا :

ولقد ساعد على انتشار اللغة العربية فى القارة الأفريقية عوامل متعددة أهمها :

١ — هجرات القبائل العربية مثل بنى هلال وبنى سليم والفزارة فى غرب القارة ، وأبناء اليمن وجنوب الجزيرة العربية وعمان إلى الساحل الشرقى للقارة ، واختلاط هذه الجماعات بشعوب تلك المناطق .

٢ — اعتناق الشعوب الإفريقية للإسلام وشعورها بالحاجة إلى تفهم القرآن والأحاديث النبوية الشريفة دفعها إلى تعلم اللغة العربية فى الكتاتيب والخلوات العديدة التى انشأها فقهاء مسلمون هاجروا إلى تلك البلاد من مصر والحجاز أو من المغرب من أجل الدعوة للإسلام ونشر تعاليمه الصحيحة بين معتنقيه من القبائل الإفريقية .

٣ — تعدد اللغات الإفريقية وصعوبة التفاهم بها بين القبائل وبخاصة فى المعاملات التجارية جعل هذه الشعوب تقبل على اللغة العربية كلغة يمكن بها تحقيق التفاهم الكامل بينها.

٤ — انتشار التجار العرب فى الأسواق التجارية ساعد على تعلم الكثير من الإفريقيين لها ليسهل التعامل مع هؤلاء التجار العرب .

وبلغت قوة تأثير اللغة العربية فى القارة الإفريقية أن اللغات الأصلية القوية العظيمة الانتشار مثل لغة الهاوسا ولغة الماندنجو ولغة الوولوف فى غرب القارة وكذلك اللغة

السواحلية فى شرق القارة واللغة الصومالية فى منطقة القرن الإفريقى ولغات التيجرة والدناكل فى أثيوبيا وأريتريا ، كل هذه اللغات استعارت الكثير من الألفاظ العربية نتيجة للاحتكاك بالعرب من جهة ونتيجة لاعتناق أبنائها الإسلام من جهة أخرى ، واتخذت هذه الألفاظ العربية التى دخلت اللغات الإفريقية إحدى صورتين :

الأولى : أنها تحورت بحيث تنطبق عليها قواعد التركيب اللفظى للغة الإفريقية كما حدث فى اللغة السواحلية ، وكذلك فى أكثر من نصف الألفاظ التى دخلت لغة الهاوسا .

والثانية : أنها احتفظت بشكلها العربى الخالص ، وهذه تمثلها الألفاظ التى تتعلق بشئون الدين والشرائع والنظم الإسلامية التى سادت فى المجتمعات التى اعتنقت الإسلام وتتكلم هذه اللغات مثل الهاوسا والفولا والمندنجو والولوف فى غرب القارة .

وليس معنى انتشار الألفاظ العربية فى اللغات الإفريقية أن تيار التعريب قد وقف عند هذا الحد ، ولكن على العكس فإن ذلك يدل على أن عملية امتصاص تدريجى كانت تسير بخطى حثيثة وبعمق متجهة إلى تحويل هذه اللغات إلى لهجات عربية خاصة بأصحابها ، كما حدث بالفعل فى غرب السودان حيث استطاعت القبائل العربية التى هاجرت إلى تلك المناطق أن تمتص الشعوب التى سبقتها وتحول اللغة فى تلك البلاد إلى لهجة عربية خاصة .

موقف الاستعمار من اللغة العربية :

أخذ تيار العروبة الذى كان يزحف بخطى حثيثة إلى قلب القارة الإفريقية يتعثر أو يتوقف منذ أواخر القرن الثامن عشر نتيجة للاصطدام بالاستعمار الأوروبى ، ونتيجة لجهود المستعمرين فى وقف هذا التيار العربى الذى رأوا أنه أخطر ما سيواجه أهدافهم فى السيطرة على شعوب القارة وعلى مواردها الاقتصادية .

ووقف المستعمر أمام الثقافة الإفريقية وقفة المتأمل الدارس ، فوجد نفسه يواجه نوعين من الثقافات :

الأولى الثقافة العربية القوية التى تستند إلى تراث فكرى وأدبى ودينى يعطيها صلابة ومناعة يجعل لها شخصيتها التى لا تذوب فى مؤثرات الثقافات الأخرى ولكن تشكلها وفق الاتجاهات العربية الصرفة لما لها من قوة الهضم والامتصاص .

والثانى الثقافات الإفريقية اللينة التى يسهل تشكيلها أو هضمها وتمثيلها فى الثقافات الأخرى القوية ، وكانت معظم هذه الثقافات بسبيلها إلى الاندماج فى الثقافة العربية والإسلامية .

ولقد ذهب المستعمرون فى سياستهم الثقافيـة مذاهب مختلفة ، فرأى الانجليز أن الوسيلة الوحيدة لوقف تيار الثقافة العربية وتأثيرها هـو إحياء الثقافات الإفريقية الأصلية وصبغها بصبغة قبلية إقليمية تساعد على إثارة التعصب والقوميات المحلية المحدودة فى نطـاق قبـلى ليستغلوا هـذه الروح فى إقامة سـد فى وجـه انتشار الثقافة العربية التى يخشون منها على مركزهم ومصالحهم الاستعمارية .

وكانت خطة السياسة البريطانية هى التسلل التدريجى لنشر الثقافة واللغـة الانجليزية لتحقيق الاستعمار الثقافى الكامل وسارت خطتهم على النحو التالى :

أولا : تشجيـع دراسة اللغات المحلية على يد المبشرين وعلماء اللغات لتحقيق المعرفة الأولية بها .

ثانياً : العمل على تكوين لغات جماعية لمواجهة احتياجات التعليم بحيث توضع لغات جديدة مختارة تطعم ببعض ألفاظ من لغات أخرى قريبة منها أو لهجات من نفس اللغـة كما تم وضع المجموعات اللغوية لجنوب السودان فى مؤتمر الرجاف الذى عقد سنة ١٩٢٨ لإحيائها على هذه الصورة .

ثالثا : لمـا قامت محاولات إيجاد لغات إفريقية شبه موحدة اتجه الرأى إلى اختيار إحدى اللهجات من كل مجموعة لغوية لإحيائها وتغليبها على سائر اللهجات الأخرى بترجمة الـكتاب المقدس إليها وتعليمها فى المدارس فى مرحلة التعليم الابتدائى ، مع التقليل من حصصها تدريجيا فى السنوات العليا من هذه المرحلة وإلغائها نهائيا أو تدريجيا من مرحلة التعليم الوسطى والثانوية .

رابعا : تشجيع اللغـة الانجليزية المحلية Pidgin English كتمهيـد لسيادة اللغـة الانجليزية .

وعلى طـول تلك المراحل كانت اللغة الإنجـليزية هى لغـة التعليم فى المـراحل العـالية تدرسها تلك الصفوة التى يختارها المستعمر ليعدها لشغل الوظائف البسيطة فى المصـالح الحـكومية والإدارات المحلية ، والشركات .

خامساً : إدخال اللغـة الإنجلـيزية كلغة أساسية فى مراحل التعليم المختلفة حتى مرحلة التعليم الابتدائى ويتم ذلك تدريجيا حتى يقضى تمـاما على الثقافات المحلية وتحل محلها الثقافة الإنجليزية .

أما الفرنسيون فقد اتبعوا سياسة مباشرة فى القضاء على اللغـات المحلية واللغة العربية على حـد سواء ، وهـذه السياسة تتفق مع مذهبهم الاستعمارى الذى يهدف إلى امتصاص الشعوب وفرنستها ، فأهملوا اللغـات المحليـة واللغة العربية إهمالا تاما ، مع قصر التعليم على اللغة الفرنسية فى المدارس وجعل هـذه

اللغة أيضا لغة رسمية فى المصالح الحكومية والشركات والإدارات المحلية ومن ثم قصر الانخراط فى سلك الوظائف والأعمال المختلفة على الملمين باللغة الفرنسية .

وكانت هذه السياسة نفسها هى السياسة التى اتبعتها كل من بلجيكا والبرتغال فى مستعمراتها .

أما الموقف المباشر من اللغة العربية فقد كان موحداً ويتلخص فى صرف الأنظار عن تعلم اللغة العربية بعدم قبول الذين يتخرجون من المدارس العربية فى المدارس الثانوية أو المدارس الفنية التى تؤهل للأعمال المختلفة ، إلى جانب موقفهم السلبى من التعليم العربى وعدم تقديم أى عون للقائمين عليه وعدم الاعتراف به ، وكل ذلك للتقليل من شأن هذه اللغة ولاضطرار المسلمين إلى الاتجاه إلى المدارس التبشيرية والمدارس الحكومية حتى يقعوا فريسة للاتجاهات الاستعمارية التى تعمل هذه المدارس على إشباع تلاميذها بها ليبعدوهم بكل الوسائل عن الثقافة العربية التى تبناها أجدادهم

اللغة العربية فى مستقبل الحياة الإفريقية :

فى ضوء الدراسة السابقة نستطيع أن نلمس حقيقة هامة هى أن مشكلة التعدد اللغوى فى القارة الإفريقية ما زالت قائمة ولم يستطع المستعمرون بجهودهم الجبارة التى بذلوها أن يجدوا حلا لها بل إنهم باتجاهاتهم الاستعمارية المغرضة زادوا المشكلة تعقيداً بأن أوقفوا التقارب الذى كانت خطواته تسير حثيثة قبل وصول الاستعمار عن طريق اللغة العربية ، ولقد ترتب على سياسة الاستعمار وإدخاله اللغات الأوربية أن أصبحت مشكلة التعدد اللغوى تتخذ شكلين .

١ — التعدد اللغوى الصارخ الذى تمثله اللغات المحلية التى حرمت من أن يتم التقارب بينها عن طريق اللغة العربية .

٢ — التعدد الصارخ فى اللغات الرسمية التى خلفها الاستعمار ، فهناك إفريقى يتكلم الإنجليزية وآخر يتكلم الفرنسية وثالث يتكلم البرتغالية أو الأسبانية أو الفلمنكية (إحدى لغات بلجيكا) ومع هؤلاء جميعا إفريقيون لا يعرفون إلا لغاتهم القبلية أو يعرفون اللغة العربية دون اللغات الأخرى .

ولما كانت اللغات الإفريقية الوطنية من التعدد لدرجة يصعب معها التفاهم بها بين شعوب القارة ، وكانت اللغات الأوروبية - فضلا عن التعدد الواضح فيها - تعتبر لغات دخيلة على القارة ، أصبح من الضرورى العودة إلى لغة كانت فى سبيلها إلى تحقيق الوحدة الثقافية فى أقطار القارة الإفريقية وبين شعوبها لحل هذه المشكلة التى تقف فى وجه الوحدة الإفريقية وتوجد للاستعمار مجالا للاحتفاظ بسيطرته الثقافية على عقول الإفريقيين واتجاهاتهم عن طريق لغاته المنتشرة بين المتعلمين .

وفضلا عن أن اللغة العربية هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق التفاهم الكامل بين شعوب القارة الإفريقية فإن هناك عوامل متعددة تجعل اللغة العربية هى أصلح اللغات القارة الإفريقية وأهم هذه العوامل هو :

١ — أن اللغات الأوروبية الأخرى فضلا عن تعددها فإن عدد الذين يعرفونها من أبناء القارة الإفريقية ما زال محدودا ، ولذا لن تكون معرفة البعض للغات الأوروبية عقبة فى إدخال لغة جديدة فى أقطار إفريقية .

٢ — أن اللغة العربية منتشرة فى أنحاء كثيرة من القارة وبخاصة بين المسلمين الذين يشكلون أغلبية فى جهات كثيرة من إفريقية فيما يلى الصحراء .

٣ — الجوار المباشر بين الدول الإفريقية فيما يلى الصحراء والدول العربية فى شمال إفريقية ، إلى جانب الصلات المباشرة بين الدول الإفريقية فى شرق القارة وبين شعوب الجزيرة العربية فى مختلف الميادين الاقتصادية والثقافية .

٤ — انتشار الإسلام والحاجة إلى العربية لدى معتنقيه لتفهم أصوله الصحيحة .

٥ — وجود أساس من اللغة العربية فى أكثر اللغات الإفريقية نتيجة للإسلام وللاحتكاك بالعرب قبل الاستعمار .

٦ — أن هناك إقبال شعبى منقطع النظير لدى الشعوب الإفريقية على تعلم اللغة العربية لإعادة ما قطعه الاستعمار من صلاتها بالشمال الإفريقى وبخاصة الجمهورية العربية المتحدة التى تنظر إليها هذه الشعوب على أنها رائدة الحركة التحررية وتتطلع إليها لتستمد منها مبادئ القومية والحياد والسلام ، ولتقتبس منها خطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية لتفيد منها دولها فى تقدمها وتدعيم استقلالها السياسى باقتصاد متين ومجتمع متماسك .

ويمكننا أن نلمس الرغبة القوية فى نشر اللغة العربية فى القارة الإفريقيه فى الإقبال على التعلم بالأزهر وفى مؤتمر اليونسكو لتنمية التربية والتعليم فى إفريقية ، الذى كان من بين التوصيات التى اتخذها ووافق عليها بأن تعاون الدول القادرة على إمداد الدول الإفريقية بحاجتها من المدرسين المؤهلين لتعليم اللغة العربية والدين الإسلامى وذلك بناء على ما قدمته معظم الدول الإفريقيه من احتياجات خاصة للمؤتمر .

وهكذا نستطيع القول أن اللغة العربية هى أهم وسائل تحقيق التحرير الثقافى بعد التحرير السياسى ، كما أنها هى الوسيلة الوحيدة لتحقيق التفاهم الكامل بين أقطار القارة بعد أن تحقق لها التقارب فى الميادين السياسية والدولية ، وأن لغة إفريقية كبرى لأولى من لغات أخرى دخيلة بأن تحقق للقارة وحدتها وتعاونها الثقافى .

محمد جلال عباس

بدء هجرة المسلمين إلى أمريكا

للدكتور محمود يوسف الشوارنى

بدأت هجرة المسلمين إلى الدنيا الجديدة منذ زمن بعيد ، وقد ذكر بعض المؤرخين أن هجرة المسلمين والعرب منهم ، بصفة خاصة بدأت إلى أمريكا قبل رحلة كريستوفر كولمبس ، وأن عددا كبيرا منهم استقر فى القارة الجديدة قبل رحلة كولمبس إليها .

على أن هجرة المسلمين إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى العصر الحديث بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر .

ولقد كان الحافز الأساسى للمسلمين الأول الذين هاجروا إلى أمريكا هو السعى فى طلب الرزق . ولقد قال لى بعض قدامى المهاجرين المسلمين ممن قابلتهم فى الولايات المتحدة : وما لنا لا نهاجر فى سبيل طلب العيش الحلال وقد قال الله تعالى : « فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور » .

ثم نزحت بعد ذلك فى أوائل هذا القرن عائلة علوان استقر عائلها الأول فى أمريكا فى عام ١٩٠٢ وذلك بمدينة آشلند بولاية كنتوكى . ومن أبرز شخصيات هذه الأسرة السيد قاسم علوان الذى انتخب فى يوليو سنة ١٩٥٧ رئيسا لاتحاد الجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ، وهكذا نرى أن هذه الأسرة أخذت تستقر وبدأت على مر الأيام تشجع عائلات أخرى على الهجرة إلى أمريكا ثم أخذت هذه الأسر بعد ذلك تتكتل فى صورة جمعيات صغيرة بدأت تكبر شيئاً فشيئا .

ولقد نزح كذلك إلى الولايات المتحدة من فلسطين فى أوائل هذا القرن الأستاذ على محى الدين حيث استقر فى مدينة جرسى بولاية نيو جرسى وأخذ يتدرج فى نشاطه حتى صار الآن مليونيرا من كبار رجال الأعمال حيث يملك مصانع كبيره للمنسوجات الحريرية .

ومن المعاصرين للسيد على محى الدين فى نيويورك الأستاذ حمدان غنام الذى وفد إلى أمريكا منذ أكثر من أربعين عاما وهو عميد عائلة كبيرة فى نيويورك هى عائلة غنام وقد برز غير فرد منها فى الأعمال التجارية وساهموا بنصيب كبير فى النشاط الإسلامى والاجتماعى للجالية الإسلامية بمدينة نيويورك .

وكان الأستاذ حمدان غنام المؤسس الأول ورئيس مؤسسة مسجد نيويورك .

ومن أبرز المسلمين الذين هاجروا إلى أمريكا السيد يوسف أبو الهدى الذى استقر به المقام فى واشنطون منذ حوالى نصف قرن ولقد أصبح الآن من كبار المقاولين فى العاصمة الأمريكية ويملك فيها عدة عمارات شاهقة تقع فى أرقى أحياء مدينة واشنطون . ولقد ساهم الأستاذ يوسف أبو الهدى ويسمى نفسه الآن Joseph hawar مساهمة فعالة فى بناء المركز الثقافى الإسلامى فى واشنطون بوصفه من كبار المقاولين فى المدينة ويقدر ما أنفقه فى بناء ذلك المركز سواء فى صورة أموال دفعت أو مساعدات فنية قدرت بمقدار ربع مليون دولار .

ومن الأسر التى نزحت إلى الولايات المتحدة أسرة جزينى ، فقد ولد رب هذه الأسرة وهو الأستاذ نعيم جزينى فى كفرعطا بلبنان عام ١٨٩٧ وهاجر أولا إلى المكسيك ثم منها إلى الولايات المتحدة حيث اتخذ من مدينة ميتشجان بولاية إنديانا مقراً له منذ عام ١٩١٠ .

ويعتبر السيد عمر دياب زعيم الجالية الإسلامية فى شيكاغو من أوائل العرب الذين هاجروا من فلسطين إلى شيكاغو حيث استقر بها عام ١٩٢٥ وأصبح من كبار رجال الأعمال فى المدينة . وقد أرسل أولاده لإتمام تعليمهم فى المدارس المصرية حتى يتأتى لهم إتقان اللغة العربية .

وليست الهجرة إلى أمريكا قاصرة على العرب بل إنها تشمل كثيراً من مسلمى الأقطار الأخرى ، فكما أن الأسر العربية التى أشرنا إليها كانت هى الأسر الأولى التى هاجرت إلى أمريكا وأخذت تجذب إليها أسراً أخرى من الوطن العربى حتى انتشر المسلمون العرب فى كثير من الولايات الأمريكية ، نرى أن أسراً أخرى هاجرت من كثير من بلاد العالم الإسلامى وأخذت تنمو فيما بينها وتجذب أسراً أخرى من وطنها الأصلى إلى أمريكا .

ومن الأمثلة التى يمكن أن نسوقها على ذلك فضيلة الأستاذ فضل محمد خان فقد هاجر من الهند حيث ترك قريته بأنديالا بمقاطعة البنجاب وسافر إلى أمريكا وعمره لا يتجاوز ١٥ عاما وقد هبط فى مدينة سكرنتو فى ولاية كاليفورنيا التى تمتاز بجوها الجميل وبمزارعها الواسعة وحدائقها الغناء .

وقد أخذ السيد فضل محمد خان يعمل فى الزراعة بجد ونشاط حتى أصبح يملك الآن مزرعة مساحتها ٢٥٠٠ فدان فى مدينة بوتى بولاية كاليفورنيا .

ويعتبر هذا نجاحا كبيرا لمسلم مهاجر نفتخر

به جميعا ويفخر به العالم الإسلامى ، بل إن باكستان تجعل منه سفيراً غير رسمى لها فى الولايات المتحدة ، وهو حقا من رجال الأعمال الناجحين ومن الشخصيات المعروفة فى جميع أنحاء تلك الولاية . ولقد أدى كثيراً من الخدمات للمسلمين بصفة عامة ولباكستان بصفة خاصة ويعمل جاهدا على توطيد أواصر الصداقة بين وطنه الجديد أمريكا وبين وطنه الأصلى . والسيد خان عضو فى مجلس الشئون العالية بشمال كاليفورنيا وعضو فى اتحاد الكومونولث بسان فرانسيسكو ، كما أنه عضو كذلك فى كل من اتحاد زراع الأرز فى ولاية كاليفورنيا وفى المكتب الأمريكى لكبار الزارعين .

ومما تجدر الإشارة إليه أن عدداً ضئيلا جدا من الإقليم المصرى فى الجمهورية العربية المتحدة هاجر إلى أمريكا واستوطنها ، ولعل أبرزهم السيد حسن سليمان الذى هاجر إلى أمريكا منذ ما يقرب من عشرين عاما . ثم عمل جاهدا منذ سنوات على إنشاء جالية مصرية سودانية فأنشأ اتحاد وادى النيل هو وزملاؤه من رعايا الجمهورية العربية المتحدة ورعايا جمهورية السودان .

من ذلك يتبين أن الهجرة من العالم الإسلامى إلى أمريكا قد بدأت فى نهاية القرن التاسع عشر وأخذت تزداد قليلا قليلا فى بداية القرن العشرين وظلت الأسر التى هاجرت تتناسل ويزداد عددها وتزدهر أمورهم حتى شقوا طريقهم فى وطنهم الجديد وبدأت بعد ذلك تفد جاليات كثيرة من مختلف دول العالم الإسلامى .

ولقد تلا ذلك كله بدء تكوين الجمعيات ثم مجالس إسلامية فى المدن الكبرى ، وفى عام ١٩٥٢ عقد أول مؤتمر للمسلمين فى أمريكا وتم تأليف الاتحاد العام للجمعيات الإسلامية فى الولايات المتحدة وكندا حيث يعمل على السهر على مصالح الجاليات الإسلامية فى أمريكا وإيجاد وحدة شاملة منهم .

ولقد بدأ الاتصال بين تلك الجاليات الإسلامية وبين العالم الإسلامى حينما بدأت الحكومات والهيئات الإسلامية فى العالم الإسلامى توجه عنايتها نحو هذه الجاليات ، فأنشئ المركز الثقافى الإسلامى فى واشنطون وتتولى جميع حكومات الدول الإسلامية الإنفاق عليه . كما بدأت الهيئات الإسلامية فى العالم الإسلامى ترسل الوفود لزيارة تلك الجاليات وإيجاد رابطة بينهم وبين إخوانهم فى العالم الإسلامى وأصبحوا بذلك قوة فعالة لإيجاد تفاهم متبادل ومودة مشتركة بين الشعب الأمريكى وشعوب العالم الإسلامى ؟

الدكتور محمود يوسف الشواربى
الأستاذ بجامعة القاهرة

المسلمون فى الهند أيضا ..!

للأستاذ عبد المنعم النمر

- ٢ -

وعدتك فى مقال سابق (١) أن أعرض عليك نماذج من المسلمين المجاهدين الذين وهبوا حياتهم لتحرير وطنهم « الهند » من المستعمرين الانجليز إنصافا لهم من الأفكار الخاطئة الظالمة التى زعمت أنهم لم يساهموا فى حركة التحرير أو أنهم كانوا حربا عليها وعونا للمستعمرين ..

وقد رأيت قبل أن أتحدث عن الشخصيات أن أكشف عن المبدأ الذى اعتنقه هؤلاء المسلمون وقامت عليه حركة جهادهم ، وضحى الذين ضحوا منهم فى سبيله ، فإن الذى يتتبع أحوال المسلمين فى الهند بعد دخول الانجليز وسيطرتهم على البلاد يجد أنه لم يخل جيل منهم من مجاهدين كانوا حريصين على رفع راية العصيان والجهاد ضد الانجليز حرصهم على أداء شعائر دينهم ، حتى بعد أن فشلت ثورتهم الكبرى سنة ١٨٥٧ لإخراج المستعمر وتخليص بلادهم من براثنه .

فما الذى كان يحرك بعض المسلمين ويدفعهم للتضحية ؟ .

هنا يكمن السر الذى لا بد أن يعرفه القراء السر الذى هو المفتاح لإنصاف هؤلاء الأبرار المجاهدين وإنصاف تاريخهم من الظلم الذى علق به ...

كان المسلمون يحكمون الهند دولة بعد دولة وظلوا يحكمونها قرابة ثمانية قرون ونصف يقيمون فيها حكم الشريعة الإسلامية التى تعدل بين المسلم وغير المسلم ، وكانت آخر دولة لهم - وهى دولة المغول - شديدة الحرص على طبع حكمها بالطابع الوطنى الذى لم تفرق فيه بين مسلم وغير مسلم ، فاتخذت وزراء وقوادا للجيوش من غير المسلمين . ونعم سكان الهند جميعا فى ظلها بنوع من الحكم الوطنى الموحد ربما لم تشهده الهند من قبل ، ومع ذلك كان المسلمون طبعا يشعرون أنهم حكام البلاد وأن الشريعة الإسلامية هى شريعة الحاكم التى تظل بعدلها الجميع .

فلما جاء الانجليز فى زى التجار الأبرياء المتزلفين أولا ثم استطاعوا بوسائلهم الإيقاع بين الحكام ، والسيطرة على أداة الحكم ، وزحفوا قليلا قليلا حتى كانت لهم مستعمرات

---

(١) عدد شهر المحرم ١٣٨١ .

على رقعة الهند الواسعة ولهم جيوش يوسعون بها رقعة ممتلكاتهم ، ولهم نفوذ أيضا على الولايات الأخرى التى لم تدخلها جيوشهم ولاسيما فى الوقت الذى ضعف فيه الامبراطور المسلم فى دهلى ، وتمزقت البلاد إلى ولايات يحارب بعضها بعضا ، واستغل الانجليز الفرصة ونفذوا من خلال هذه الخلافات إلى السيطرة التامة على أغلب الولايات وحكامها حتى امتدت سيطرتهم إلى الامبراطور المسلم الضعيف القابع فى قلعته الحمراء فى دهلى وتصرفوا باسمه فى كل شىء ، ولم يكن له من الأمر شىء حتى صح فيه قول القائل :

وتؤخذ باسمه الدنيا جميعا
وما من ذاك شىء فى يديه

فى هذا الوقت وأمام هذه الحالة القائمة التى ضعف فيها الحاكم المسلم إلى آخر مدى حتى لم يستطع التصرف والإذن لمن يدخل دهلى أو لا يدخلها ومن يزوره أو لا يزوره ، فى هذا الوقت شعر المخلصون بالخطر ، وقام العلماء وكان على رأسهم شاه ولى الله الدهلوى وحاول محاولات مخلصة لإنقاذ الملك المسلم والحكم الإسلامى من الوافد المتحكم ، ثم جاء من بعده ولده شاه عبد العزيز الدهلوى ، وكان الخطر قد تفاقم فأصدر فتواه المعروفة سنة ١٨٠٣ التى يقول فيها : إن الهند ما دامت تحت سلطان الانجليز ولم يعد للملك المسلم فيها أى نفوذ فإنها تكون قد تحولت إلى دار حرب ويجب على كل مسلم ومسلمة أن يعتبر الانجليز أعداء له يجب عليه حربهم والتخلص منهم ، ويحرم عليهم التعاون معهم حتى يخرجوا من البلاد .

واتخذ أساس هذه الفتوى من القرآن الكريم الذى يقول : « يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء (١) » . وقوله « ومن يتولهم منكم فإنه منهم » (٢) . وغير ذلك من الآيات الكثيرة التى تكتل المسلمين ضد أعدائهم وقت الخطر الذى يحيق بهم وتحرم عليهم أى لون من ألوان التعاون معهم .

وكان شاه ولى الله الدهلوى وأولاده مثل شاه عبد العزيز صاحب هذه الفتوى وأحفاده يمثلون مدرسة فكرية خاصة قويت فى الهند واشتد ساعدها وتجمع العلماء والعامة حول أفكارها حتى كان الانتساب إليها مفخرة يحرص العلماء على التحلى بها ...

ومن أجل هذا ظلت هذه الفتوى حية فى النفوس ، فكانت نشيد الثوار سنة ١٨٥٧ لإلهاب الحماس فى نفوس المسلمين ، وكانت عقيدة المجاهدين بعد فشل الثورة حتى رأيناها

---

(١) سورة الممتحنة آية : ١ .
(٢) سورة المائدة آية : ٥١ .

تصنع منهم صوراً مكررة لمن رأيناهم من المسلمين الأول وتضحياتهم .

ثم رأيناها تعمل عملها فى حمل العلماء على إنشاء المدارس الدينية الخاصة حتى يتعلم فيها أبناء المسلمين ولا يتعلموا فى مدارس الحكومة، ورأيناها بعد ذلك تحمل المسلمين على إنشاء مدارس وكليات مدنية لأبناء المسلمين ليتعلموا فيها ما يتعلمه غيرهم من العلوم الحديثة فى مدارس الحكومة وكلياتها .

ورأيناها أيضا من وراء حركة العصيان المدنى التى ارتفع لواؤها فى الهند وظن كثير من المؤرخين — خطأ — أنها فكرة « غاندية » خالصة ، ويندهش القراء لهذا ، ولكنى أعدهم بتقديم تحقيق واف عن هذا الموضوع لأصحح التاريخ من الخطأ الكبير الذى وقع فيه ولأرد لأصحاب الحقوق حقوقهم ... وهكذا كانت فكرة أن الانجليز المستعمرين أعداء للمسلمين سلبوا منهم الحكم ، وأن حربهم أصبحت لذلك فرضا على كل مسلم ومسلمة ؛ حتى يخرجوا من البلاد ، كانت هذه الفكرة هى التى تحرك بعض المسلمين للجهاد ضد الانجليز ، وهم وإن كانوا قليلين . . إلا أنهم كانوا يمثلون بقاءها حية فى بعض النفوس كانوا يمثلون روحا عنيدة من المقاومة لم تمت ولم تخمد ، بل ظلت رايتها تخفق ويسلمها جيل إلى جيل حتى تنبهت الأغلبية فقامت فى شبه دوار وخوف تلتمس الطريق فى رعب وتكتفى بغايات قصيرة ، وبمطالب موضوعية محلية . وربما قام من هذه الأغلبية متحمس فدائى فدعا إلى الاستقلال الذاتى ولم يجرؤ على طلب الاستقلال التام ... هذا فى الوقت الذى كان فيه المسلمون أو أغلبيتهم هم دعاة التضحية ، دعاة الاستقلال التام . دعاة طرد الانجليز ، وإخراجهم من الهند . يستهدون إلى ذلك كله بوحى من دينهم وعقيدتهم ، وإليك مثلا من أمثلة عديدة : رجلا من الرجال المجاهدين الذين تقدموا الصفوف وحملوا الشعلة فى وقت حالك الظلام يدعو إلى اليأس الشديد والانطواء إن لم يدع إلى التزلف والقربى للحكام المسيطرين الأقوياء .

هذا المثل أو هذا الرجل هو شيخ الهند « محمود الحسن » .

رجل نبت فى بيئة دينية ، خرجته مدرسة من المدارس الدينية التى أنشأها العلماء المجاهدون الذين حملوا السلاح وقادوا الجيوش لحرب الانجليز فى ثورة سنة ١٨٥٧ وعادوا من الهزيمة فى ميدان الحرب ليبدءوا نوعا من الكفاح السلمى فى ميدان العلم والدين ضد الانجليز وتعاليمهم وتقاليدهم وسمومهم ضد الإسلام .

تخرج فى مدرسة دار العلوم «ديوبند» بل كان أول طالب فيها عند إنشائها وتولى تربيته وتنشئته هؤلاء العلماء المجاهدون من أمثال مولانا محمد قاسم نانوتوى ومولانا رشيد أحمد الجنجوهى وغيرهم ممن أنشئوا هذه القلعة الدينية فى مدينة صغيرة وفى مسجد صغير، وتخرج هذا الطالب سنة ١٢٩٠هـ — ١٨٧٧م - وكان أول ثمرة لهذه الدار. كان صغيراً عند ما قامت الثورة واندلعت شراراتها الأولى من البلدة التى كان يعمل فيها والده «ذو الفقار على خان» فانطبعت فى ذهنه وهو صبى المناظر المثيرة التى صاحبت قيام الثورة من قلعة مدينة «ميرث» ثم تلقى مع العلوم العربية والدينية روح الجهاد والتضحية من العلماء المجاهدين الذين درسوا له، وأحس منهم - وهو شاب روح المرارة التى أحسوها بعد هزيمتهم مع روح الكراهية للانجليز - الحقد عليهم فلما بدأ يدرس فى الدار التى تخرج فيها أخذ هو الآخر يقوم بدوره فى تربية الطلاب. ولكن الشحنة التى تلقاها من أساتذته كانت أقوى من أن يحصرها ميدان الدرس، فبدأ الشيخ يبحث عن ميادين جديدة يفرغ فيها هذه الشحنة التى تحركه وتؤرقه وتكاد تحرقه ...

وكان لايزال هناك - كما قلت - مسلمون يعتنقون فكرة الجهاد، ولما يلقوا السلاح ضد العدو الدخيل، ويحاولون - قدر طاقتهم وكما ترسم لهم عقيدتهم - إخراجه من البلاد. يوجد قليل من هؤلاء فى قلب الهند، وكثير منهم على الحدود الغربية فى المناطق الجبلية. فأسرع الشيخ للاتصال بهم وتنظيم الحركة معهم.. واكتفى مبدئيا بجمع المال والمعونات من قلب الهند لهؤلاء المجاهدين ليستمروا فى حركتهم، ثم اختار تلميذاً من تلامذته الذين تخرجوا على يديه بعد أن توسم فيه روح العمل والجهاد، وأرسله إلى الحدود إلى الميدان الذى اختاره المجاهدون ليقوى عزمهم ويشد أزرهم ويحول بينهم وبين ما يحاوله الانجليز بألاعيبهم ودسائسهم من تفرقة صفوفهم والقضاء عليهم، وكان رسوله هذا عالما من العلماء هو «مولانا عبيدان السندى» الذى أسلم وهو صغير، وشاء الله له أن يكون من الأفذاذ المجاهدين والعلماء العاملين، ومن حقه علينا أن نفرد له ترجمة خاصة، فلنتركه الآن على الحدود وفى أفغانستان لنستمر مع أستاذه شيخ الهند محمود الحسن.:

وكان تأليف حزب الرابطة الإسلامية سنة ١٩٠٦ يمثل فى رأى الانجليز تسليما من المسلمين عامة بالأمر الواقع. ولذلك فرحوا له، واغتبطوا به، وأشادت صحفهم فى لندن وفى الهند بمغزاه فكان كل شىء فى الهند يوحى

باليأس والاستسلام ، ولكن أمثال الشيخ من أصحاب الهمم والعزائم والرسالات الوطنية يتخذون دائماً من عوامل اليأس وريحها السموم ريحا تلهب جذوات العزائم فيهم ، وتمدهم بطاقات تدفعهم إلى الأعمال التى تبقى على مر الزمن دروساً للمكافحين والمجاهدين وتعلمهم ألا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس . .

وكان الشيخ يعرف كل هذا ويحسه ويقدر الظروف التى يمر بها وتمر بها بلاده ، ويعرف بخبرته وخبرة أساتذته كثيراً من أساليب الحرب السرية التى تضمن له النجاح فى أهدافه وألا يزج به فى سهولة إلى أعماق السجون أو جزائر المنفى القاتلة . .

ولذلك رأيناه يتصل بأنصاره الكثيرين بطريقة عجيبة لم يكن من السهل أبداً أن تحوم حولها شبهة من الشبهات وهى التى عرفت فيما بعد باسم « حركة المناديل الحريرية » فكان يكتب لأنصاره على مناديل حريرية مستعملا حبراً سريا لا يمكن اكتشافه ، وبهذه الوسيلة الغريبة استطاع أن يتصل بالمجاهدين على الحدود وفى مختلف البلاد فى قلب الهند . . لم يستعمل الورق الذى تتجه إليه الأنظار وتبحث عنه أيدى المفتشين من رجال الشرطة . .

وكانت الفكرة التى يعمل لها الشيخ وأنصاره واضحة مفهومة لهم وهى إخراج الانجليز من الهند وبالتالى من البلاد الإسلامية التى استعمروها لتأمين طريقهم للهند مثل جنوب شبه الجزيرة العربية وعدن ومصر لأنهم حين يفقدون الهند لا يجدون مبرراً للتمسك بهذه البلاد . .

وكانت العاطفة الإسلامية المتأججة فى نفوس هؤلاء تبعث فيهم الإحساس دائماً بمسئوليتهم المشتركة فى استعمار البلاد العربية ، فلو أن الهند لم تستسلم للانجليز فى بادئ الأمر لما وجد هؤلاء ضرورة لاحتلال هذه البلاد الإسلامية . . وكان هذا الإحساس يؤرق هؤلاء المسلمين باستمرار .

كانت هذه فكرة الشيخ وأنصاره ، ومن المهم أن أكرر وأؤكد أن هذا الزعيم المسلم كان يعمل فى أوائل هذا القرن لإخراج الانجليز من الهند نهائيا بينما هذا المبدأ لم يعتنقه حزب المؤتمر إلا فى يناير سنة ١٩٣٠ .

أما الوسيلة التى أعدها لبلوغ هذا الهدف العظيم فكانت تتلخص فى نقطتين :ـــ

١ ــ إثارة المتاعب والقلاقل فى وجه الحكم الانجليزى فى الهند حتى لا ينعموا باستقرار فيها وحتى لا يظل الشعب مستقيما راضيا بحكمهم . .

٢ — انتهاز الفرص للاتفاق مع أعداء الانجليز ليقوموا بهجوم من الخارج على الهند، ويقوم الشعب فى الوقت نفسه بثورة فى الداخل عليهم فتكون النهاية المحتومة لهم، ويخرجوا من الهند..

وقد واتت الشيخ فرص عديدة لتعبئة الرأى العام المسلم على الخصوص ضد الانجليز. فقد ساعد الانجليز أهل البلقان فى حربهم ضد دولة الخلافة، وهم قد ساعدوا الطليان فى احتلال طرابلس إحدى ولايات دولة الخلافة - والمسلمون فى الهند كانوا ينظرون نظرة تقديس إلى الخليفة العثمانى، ويعتبرونه الملاذ الأعلى لهم، بعد أن فقدوا ملكهم فى أرض الهند.. فكانت حساسيتهم شديدة لكل ما يتعرض له من محن. ثم كانت ثالثة الأثافى - كما يقولون - وهى إعلان الانجليز الحرب على الخليفة عند ما قامت الحرب العالمية الأولى..

واستغل الشيخ وزملاؤه كل هذا لإثارة النفوس ضد الانجليز الذين شعروا بحقيقة الخطر الذى يتربص بهم من وراء ثورة المسلمين وقلقهم مما كبدهم كثيراً من المتاعب واضطرهم لبذل كثير من الوعود للمحافظة على دولة الخلافة والاعتذار للمسلمين بأنهم لم يبدءوا بإعلان الحرب عليها بل كانت هى البادئة إلى آخر ما نعرفه من وسائل الانجليز فى مثل هذه الظروف.. ولكن مرجل النفوس ظل مع ذلك يغلى..

ووجد الشيخ أنه لابد له من عمل خارجى يتم به خطته، ولكن كيف يتم له ذلك وهو فى قلب الهند، ومن حوله العيون، ترصد حركاته، وتراقب تصرفاته، إنه لا بد أن يسافر للخارج بنفسه ليتصل بأعداء الانجليز، ويتفق معهم على وضع الخطط اللازمة لتنفيذ فكرته.

ولكن كيف يسافر والحرب قائمة وإلى أين؟ لم تكن هناك إلا حيلة واحدة يمكن للشيخ أن يعتمد عليها.. وهى الحج.. الذهاب للأراضى المقدسة لأداء الفريضة، الانجليز لم يتعودوا التعرض للناس فى عباداتهم أو هكذا يعلنون.. فلتكن الرحلة للحج - إذن - هى الثوب الذى يلبسه الزعيم ويتخفى تحته ليصل إلى غرضه، والحجاز يحكمه الأتراك وهناك سيتاح له الاتصال بمن يشاء من زعماء الأتراك ومن هناك يمكنه السفر إلى استامبول، ويتصل برجال الحرب والحكومة ويتفق معهم على وضع الخطط لإنقاذ الهند وطرد الانجليز.

وأعلن الشيخ أنه سيسافر إلى مكة لأداء فريضة الحج.. وأسقط فى أيدى الانجليز كيف يتصرفون؟ هل يمنعونه ويتحملون تبعة منع مسلم من أداء الفريضة؟ هل يتركونه

يتصل بزعماء الأتراك وفى هذا خطر عليهم ؟ ماذا يعملون ؟ .

حاولوا بطرق مختلفة أن يحولوا بين الشيخ وبين السفر ... أحيانا لا يوجد له مكان ، وأحيانا الأوراق ربما تتأخر ، والانجليز يتقنون التصرف دائما من الأبواب الخلفية ، ولكن أنصار الشيخ كانوا بالمرصاد لكل هذه الألاعيب ، كانوا منبثين فى كل مكان ، وفى كل مصلحة ... فتمت الأوراق ... وبدأ الشيخ رحلته . . . من ديوبند شمالى دهلى والشعب يتهافت على المحطات ، يرى الشيخ ، ويلقى عليه نظرة قبل أن يرحل ، وكان يظن أنه سيترك الهند ، ليقيم بالحجاز ، فراراً من المتاعب . ، ودهش الانجليز لاستقباله وتوديعه للشيخ فى كل محطة يمر بها .

كان ذلك فى شوال سنة ١٣٣٧هـ - ١٩١٥م واستطاع أنصار الشيخ وعلى رأسهم مولانا « محمد على » ، وأخوه « شوكت على » ، أن يفسدوا كل المؤمرات التى دبرها الانجليز ليقبضوا على الشيخ قبل رحيله من بومباى وسافر الشيخ ووصل إلى الأراضى المقدسة ليؤدى فريضة الحج ، وليبدأ أخطر اتصالاته بزعماء الأتراك ورجال الحرب فيها ، ويضعوا الخطط ، ويعقدوا الاتفاقيات لإنقاذ الهند . ولكن الحوادث تجرى بسرعة وعلى غير ما كانوا يتوقعون ، ويتم للانجليز على الأرض المقدسة وبأيدى العرب المسلمين مالم يستطيعوا أن ينالوه فى الهند بما سأتناوله فى العدد القادم إن شاء الله .

عبد المنعم النمر

شرائط العلم وما يصلح له

١ — قالوا : لا يكون العالم عالماً حتى تكون فيه ثلاث خصال : لا يحتقر من دونه ، ولا يحسد من فوقه ، ولا يأخذ على العلم ثمناً .

٢ — ودخل رجل على عبد الملك بن مروان ، وكان لا يسأله عن شىء إلا وجد عنده علما ، فقال له : أنىّ لك هذا ؟ فقال : لم أمنع قط يا أمير المؤمنين علما أفيده . ولم أحتقر علما أستفيده ، وكنت إذا لقيت الرجل أخذت منه وأعطيته .

حيرة الأوهام

للأستاذ على العمارى

منذ فجر التاريخ والأوهام حائرة ، وستظل الأوهام بل العقول حائرة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وما دام الغيب سراً مجهولا ، وما دام الغد حجابا مضروبا ، والحياة لغزاً مبهما ، فسيظل أصحاب العقول يتهمون عقولهم ، أو يخاطرون بعقائدهم ، أو يعتصمون بالإيمان ، أو يقفون حائرين مبهوتين ، تسمع منهم همهمة لا تبين ، أو تلمح فى عيونهم أطيافا لا تفصح عن شك أو يقين .

وسر الحيرة أن العقل يريد - دائما - أن يحلل ويعلل ويدلل ، ويظن أنه يستطيع أن يصل إلى كل سر ، وأن يكشف كل مُخبّأ ، وهو وإن راد الفضاء ، وتطلع إلى سكنى الكواكب لا يزال يحبو فى مهده إذا ذكرنا حقائق الكون الكبرى ، ولن يزيده كشفه لهذه المجاهل من أسرار الكون إلا إيمانا بالجهل ويقينا بأن بينه وبين المعرفة الكاملة آماداً واسعة ، وكل يوم يطلع يأتى بجديد يدلنا على أن البشرية عاشت قرونا طويلة ترسف فى أغلال الجهل . وعقيدتى أن الغد المجهول سيجيئنا فى كل مطلع شمس بما يجعلنا نسخر من عقولنا ، ونكل العلم كله لله وحده .

وفى الحياة قضايا كثيرة ومشاكل ذوات عدد حيرت الأوهام فى الماضى ، ولا تزال تحيرها .

ومن هذه القضايا ما عبرت عنه هذه القصة القصيرة :

سأل معاوية بن أبى سفيان جلساءه يوما ما أعجب الأشياء ؟ فقال بعضهم : إكداء العاقل ، وحظ الجاهل ! .

وإذا كان جليس معاوية قد وصف هذه الظاهرة بأنها أعجب الأشياء ، فإن قوما من الشعراء والمارقين قد عرضوها فى معرض كريه ، ينكره المؤمنون ، فقال أحمد بن يحيى ابن اسحاق المشهور بابن الراوندى :

سبحان من وضع الأشياء موضعها
وفرق العز والإذلال تفريقا
كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه
وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذى ترك الأوهام حائرة
وصير العالم النحرير زنديقاً

وأشار أبو العلاء المعرى إلى هذه القضية بما حمل الناس على رميه بالكفر والإلحاد.

والحق أن هذه الظاهرة شغلت بال كثير من الفلاسفة والحكماء والشعراء حتى العوام فيها، وخبطوا فى شأنها، ويقل أن تجد كتابا من كتب الأدب القديمة خلا من الإشارة إليها، ويقل أن تجد مجلسا يتعرض لحياة الناس وحظوظهم لم يخض فيها.

والناس فيها فرق:

فمنهم من اكتفى بتسجيل هذه الظاهرة، وقد رأينا هذا التسجيل فى العصر الجاهلى على لسان المأمور الحارثى فى خطبته المشهورة حيث يقول: «رب حول مكد، وعاجز مثر». وأكثر المعتدلين لا يتجاوزون هذا التسجيل.

ومنهم من يتجاوز هذا التعبير المتوقف إلى الإعلان عن حيرته، والتعبير عما يعتلج فى نفسه من العجز عن تعليل هذه الظاهرة، فلاهو بالمؤمن الخالص، ولا هو بالملحد الضال.

وطائفة ثالثة ضلت الطريق، وكشفت القناع، وضاقت صدورها، واضطرب تفكيرها، وبهت فى قلوبهم نور الإيمان، وضعف فى نفوسهم وازع الدين، وحرمهم الله برد اليقين، فجاءوا بها عوراء مكشوفة، وأرسلوها حمقاء مدخولة، فمن ذلك ما يقوله عبدان المعروف بالحوزى، وكان خفيف الحال، متكلف المعيشة:

يكلفنى التصبر والتسلى
وهل يُسطاع إلا المستطاع
وقالوا قسمة نزلت بعدل
فقلنا ليته جور مشاع

وهذا القول مع ما فيه من سوء الأدب أخف مما قيل فى معناه.

* * *

أما الطائفة الأخيرة فقد حاولت تعليل هذه الظاهرة، تعليلا ساذجا مرة، وعميقا مرة أخرى، وأكثر الشعراء، والأدباء على أن الجد والمال لا يجتمعان، وأن من أعطاه الله عقلا وافرا احتسب عليه من رزقه.

وفى ذلك يقول أبو تمام:

ينال الفتى من دهره وهو جاهل
ويكدى الفتى من دهره وهو عالم
ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد
ولا المجد فى كف امرئ والدراهم
ولو كانت الأرزاق تجرى على الحجا
إذن هلكت من جهلهن البهائم

ويقول أبو الطيب المتنبى:

وما الجمع بين الماء والنار فى يدى
بأصعب من أن أجمع الجد والفهما

ومن ذلك قول أبى الخير المروزى الضرير:

تنافى العقل والمال فما بينهما شكل
هما كالورد والنرجس لا يحويهما فصل
فعقل حيث لا مال ومال حيث لا عقل

وبالغ الشعراء فى هـذا المعنى حتى قالوا : إن الإنسان إذا أراد أن يميز بين اثنين جمعت بينهما صناعة ، ويعرف أيهما أعقل، فلا ينظر فى شىء غير ما جرت به الأرزاق :

فحيث يكون الجهل فالرزق واسع
وحيث يكون العلم فالرزق ضيق

وهـذا التعليل وإن صدق فى حالات ، يتخلف أيضا فى حالات كثيرة ، فنحن نجد كثيراً من العقلاء نالوا بسطة فى الرزق ، كما نجد جاهلين كثيرين لا يجدون قوت يومهم ، وقد تجمع الصناعة بين اثنـين أو أكثر ، ثم نجد الأوفر رزقا ، هو الأوفر عقلا وعلما.

حقيقة نرى هـذه الظاهرة بارزة فى كل مجتمع : عاقل ما تبلّ أنمله ، وجاهل باليدين يغترف — كما يقول الشاعر ابن لنكك — ولكن التعليل بالعداوة بين العقل والمال ، والصداقة بين الجهل والغنى ، تعليل شعرى .

ومن هؤلاء من وجد سلواه فى (الحظ) فهو يرجع ما يراه من حرمان العاقل العامل ، ووجدان الجاهل العاجز إلى ما قسمه الله للناس من الحظوظ ، وأكثر هؤلاء من الذين جار عليهم الزمن ، وأدركتهم حرفة الأدب ، فهم قد اعتقدوا أن ما أصابهم إنما هو سوء الحظ ، وليس غير ، وهذا باب واسع تفننوا فيه ، وأتوا بالمطرب المعجب ، ومن الجيد فى ذلك قول أبى العلاء المعرى .

لا تطلبنّ بآلة لك رتبة
قلم البليغ بغير حظ مغزل
سكن السماكان السماء كلاهما
هـذا له رمح وهـذا أعزل

وهذه نظرة من أبى العلاء إلى اختلاف الحظوظ بين كل الكائنات ، وقد عدد الشعراء طائفة اختلفت بينها الحظوظ .

فالجدود هى التى جعلت جمادى تقصر عن رجب ، والحظ هو الذى جعل شهر الصوم عطلا من العيد ، وطوق هلال العيد فى جيد شوال :

والحظ حتى فى الحروف مؤثر
يختص بالترقيق والتفخيم

والتعليل بالحظ قريب من فكرة المتدينين ، وهم يرون أن أفعال الله تعالى لا تعلل ، وأنه سبحانه - كما أخبر عن نفسه - لا يسأل عما يفعل ، والله سبحانه خلق الغنى والفقر ، والصحة والمرض ، والخصب والعقم « يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور ، أو يزوجهم ذكرانا وإناثا ، ويجعل من يشاء عقيما إنه عليم قدير » وفضّل بعض الكائنات على بعض فجعل من الأيام ليلة القدر ، ومن الشهور أربعة حرما ، وجعل من الأمكنة حرمه الآمن ، ومسجد رسوله الكريم .

والله سبحانه قد بين وأرشد ، ووضع المعالم لمن يريد أن يهتدى ، فقال فى كتابه

العزيز : « ولولا أن يكون الناس أمة واحدة لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفا من فضة ومعارج عليها يظهرون . ولبيوتهم أبوابا وسرراً عليها يتكئون . وزخرفا ، وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا ، والآخرة عند ربك للمتقين » .

والحق أن المال ليس كل شيء في الحياة ، وأنه وإن كان سببا من أسباب السعادة والاستقرار لكنه ليس كل السبب ، بل ربما كان مصدر بلاء وشقاء ، ولله سبحانه ألطاف كثيرة ، ونعم لا تعد ولا تحصى ، وطالما رأينا أناسا حرمهم القدر من المال ولكنه أعطاهم الصحة ، وأعطاهم الرضا فكانوا أسعد حالا من أصحاب الأموال .

والعقل نعمة كبيرة ، والعلم نعمة كبيرة ، فإذا حرم العاقل ، وساء حظ العالم ، فإن فيما عندهما خلفا .

ولو كان الغنى خالصا من مكدرات الحياة لكان شيئاً يؤسف عليه كل الأسف ولكن الإنسان يجد المال فيجد بجانبه المنغصات ، وربما كان أحد المنغصات همه بهذا المال ، وكثرة تفكيره فيه ، وتطلعه دائما إلى المزيد ، وهذا الذي سماه المتنبي فقرا في قوله :

ومن ينفق الساعات في جمع ماله
مخافة فقر فالذي فعل الفقرُ

ومن الطرائف في هذا الباب جواب رجل ظريف قيل له : أيسرك أن يكون لك ألف درهم ؟ فقال : نعم ، وأضرب مائة ، فقيل له : وضرب المائة لِمَه ؟ فقال : لأنه لا يكون شيء إلا بشيء .

وربما غفل الفيلسوف الكبير عن نعمة الله عليه فأرسل كلمة تحمل نصف الحقيقة فقط ، سُئل برناردشو عن رأيه في العالم فقال : إن العالم كلحيتي وصلعتي ، تفاوت في الإنتاج ، وسوء في التوزيع . يريد أن مخه يفكر كثيرا وليس له نصيب من الشعرَ ، وأن ذقنه مع أنها لا تفيد العالم شيئا خصيبة .

وهذا نصف الحقيقة ، أما النصف الآخر فهو أن صلعة هذا الفيلسوف هي التي خلدته في التاريخ ، وليس لحيته .

(وبعد) فهذه جولة مع الأوهام الحائرة والعقول الزائغة ، والنفوس المؤمنة وليس له صلة بالنظم الاقتصادية السائدة في العالم اليوم

سبحان من قسم الحظو
ظ فلا عتاب ولا ملامه
أعمى وأعشى ثم ذو
بصر وزرقاء اليمامه

وما أروع قول الله تعالى وما أصدقه : « من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ، ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون » .

علي العماري

دراسات فى علم المعنى

«السيمانتيك»

للدكتور كمال بشر

إن الوعى اللغوى للعصر الذى نعيش فيه الآن آخذ فى الازدياد والنمو يوما بعد يوم وذلك راجع بالطبع الى شعور الناس بأن سبل الحياة ومسئولياتها أصبحت ضخمة معقدة ، بحيث أصبح من الصعب إن لم يكن من المستحيل - أن يعيش الفرد فى عزلة عن الجماعة التى ينتمى إليها ، أو الجماعات الأخرى المجاورة التى تشاركه نفس الشعور بالحاجة إلى الاختلاط والاندماج الاجتماعى .

وللغة بين وسائل الاتصال بين الناس مركز خاص ومكانة واضحة فى كل عصور التاريخ فلقد وجدت اللغة - لغة من نوع ما - منذ أن وجد الإنسان على وجه الأرض ، ووجد نفسه مضطرا إلى الاتصال بأخيه فى بيئته ، كى يقضى حاجاته وينفذ رغباته التى لا غنى له عنها والتى لا يمكنه فى أغلب الأحايين الحصول عليها وحده بدون مساعدة أو معونة خارجية وقد تتعدد وسائل التعاون بين الناس وتتنوع ولكن ليس من شك فى أن اللغة هى أهم هذه الوسائل ، بل هى أساسها كلها ، فاللغة هى الطريق الأول إلى إزالة الحواجز بين الأفراد والجماعات ، وهى الدعامة الكبرى فى بناء أى مجتمع وتكوينه على أسس من التعاون والألفة والود . وهى ذلك الرباط المقدس الذى يربط بين الناس مهما اختلفت درجاتهم الثقافية والاجتماعية وفى الحق أن اللغة هى الأداة الكبرى التى تحفظ للمجتمع شخصيته وقوته ، وهى التى توحد بين أفراده وجماعاته مهما تعددت طرق الشقاق والنفوذ بينهم : وبالجملة يمكن القول أنه لا وجود لمجتمع إنسانى بدون لغة ، أى بدون وسيلة للتفاهم بين أفراد هذا المجتمع والتعاون فيما بينهم ، كما لا يمكن تصور لغة بدون مجتمع تنمو فى أحضانه وتتفاعل مع مظاهر الحياة فيه .

وكما تكون اللغة وسيلة التفاهم والتعاون قد تكون طريقا من طرق إثارة الشقاق والخلاف بين الناس ، ويروى لنا التاريخ فى الماضى والحاضر أمثلة كثيرة من هذا القبيل . فما الأزمات السياسية فى الواقع إلا نتيجة لسوء فهم الفلسفات والأفكار الشائعة فى المجتمعات المختلفة ، وبعض هذا الفهم الخاطئ مرجعه إلى الاختلاف فى فهم

معانى الكلمات التى تعبر عن تلك الفلسفات والأفكار وعن العقائد والتقاليد والمثل التى تتبناها المجتمعات المتنوعة ، ومثل هذا ولا شك من شأنه أن يجر الناس إلى ويلات الحروب والإقدام على أعمال الخراب والدمار التى تتمثل فى الحروب الكبيرة والصغيرة على السواء .

ومعنى ما تقدم أن اللغة سلاح ذو حدين أو أداة يكمن فيها الخير والشر معا فقد تكون وسيلة من أنجح وسائل التعمير ، كما أنه من الممكن أيضا أن تتخذ معاول هدم وتخريب ولسنا نغالى إذا قررنا أن لفظا واحدا أو كلمة واحدة من قائد أهوج أو زعيم مغرور قد تعنى هلاكا ودمارا ، كما أن كلمة أخرى يحملها الأثير من فم إنسان خير نبيل قد تفسد على الأشرار خططهم ، وتعود بالعالم إلى السلم والطمأنينة والرخاء .

كل هذا الذى قلناه جعل الموضوع بحثنا ـ وهو السمانتيك أو علم المعنى ـ أهمية خاصة فى الدراسات الإنسانية بوجه عام . وفى الدراسات اللغوية بوجه خاص ، وذلك لأنه يتعرض لمشكلة دقيقة خطيرة ، هى مشكلة دلالة الألفاظ أو معانى الكلمات . وهى ـ كما ترى ـ مشكلة تتعلق بصميم حياتنا فى المجتمع ، ولا يمكن الهروب منها أو التنكر لها . لذلك لم يكن غريباً أن تشغل هذه المشكلة بال العلماء فى القديم والحديث ، وأن يتناولها بالبحث كثير من الدارسين فى مختلف العلوم والفنون فبحوث الألفاظ ودلالاتها أو الألفاظ وعلاقتها بمعانيها بحوث معروفة فى علم النفس والمنطق والفلسفة والاجتماع والأنثروبولوجيا والنقد الأدبى وعلوم البلاغة ، وفى علم اللغة أيضا دون شك : كل يتناول المشكلة من زاويته الخاصة طبقا لمبادئه وأسسه ، وكل يحاول الوصول إلى حلول سليمة لهذه المشكلة التى تتوقف عليها سعادتنا أو شقاؤنا فى هذه الدنيا التى نعيش فيها ؛ إذ أن الخلاف فى فهم معانى الكلمات قد يقودنا ـ كما سبق أن ذكرنا ـ إلى حروب طاحنة تقضى على الإنسانية وحضارتها . « فالديمقراطية كنظام سياسى يفهمها الروس فهما مباينا لفهم الأمريكى لها ، والاشتراكية عند الانجليز غيرها عند الألمان أيام هتلر ، والحرية لدى هؤلاء وهؤلاء تتخذ مظاهر متباينة »(١) . وليس ببعيد أن يؤدى مثل هذا الخلاف فى الفهم إلى حرب ضروس كتلك التى قاسينا أهوالها وشرورها فى أعوام ٣٩ ـ ٤٥ ، نتيجة لعدم اتفاق المعسكرين المتحاربين على دلالات هذه الكلمات وأمثالها . ولقد ألحت هذه الحقيقة إلحاحا شديداً على الفيلسوف ولدن ، حتى جملته

---

(١) دلالة الألفاظ للدكتور إبراهيم أنيس ص ١٠٥ .

يصرح - فى معرض الكلام على مفهوم كل من الديمقراطية والشيوعية - بأن « أكثرنا يود بإخلاص أن يعرف أسباب تفضيل الديمقراطية على الشيوعية أو الشيوعية على الديمقراطية . نريد أن نتأكد من ذلك ، لأن هذا الموضوع قد قتل من أجله عدد كبير جداً من الناس ، ويبدو أن عدداً أكبر سوف يلقى حتفه لنفس السبب فى المستقبل غير البعيد [1] » .

هـذه الحقائق وغيرها دفعت العلماء والباحثين إلى دراسة معانى الكلمات ودلالاتها دراسة علمية دقيقة ، وإلى التعرف على جوانب المشكلة تعرفا كاملا ، واضطرتهم إلى رسم الخطط والمناهج الكفيلة بالوصول إلى نتائج صحيحة يمكن الاعتماد عليها والأخذ بها فى هذا المضمار . وفى السنوات الأخيرة تشعبت الدراسة الخاصة بهذا الموضوع إلى ثلاثة اتجاهات تمثل وجهات نظر مختلفة طبقا لمبادئ وأهداف الدارسين . هذه الاتجاهات أو المناهج تعرف جميعا باسم عام هـو Semantics أو علم المعنى . ولكن بالرغم من هذا الاتفاق فى الاسم فإنها تختلف فيما بينها اختلافا واضحا ، وليس من المأمول أن يحدث بينها تنسيق كامل ، حيث إن كل جهة منها تتبع طريقا خاصا ، وتنهج نهجاً معينا .

وأول ما ظهر فى هذا المجال من هـذه الأنواع الثلاثة من الدراسات هو علم المعنى اللغـوى (Linguistic Semantics) . فدراسة المعنى كعلم مستقل ، أو شبه مستقل - إنما ظهرت أول ما ظهرت سنة ١٨٣٩ ، على أن البعض آنذاك كان يعد علم المعنى جزءا خاصا من علم القواعد ، كما يبدو ذلك واضحا فى بحث الأستاذ (Reisig) الخاص بعلم اللغة اللاتينية . أما الدراسات اللغوية المنظمة ذات الصبغة العلمية فلم تظهر إلا فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر .

ولقد كان العالم الفرنسى Brèal أول من استعمل كلمة Sémantique سنة ١٨٨٣ ليعنى بها « علم المعنى » فى رسالة له خاصة بهذا الموضوع ، ثم ظهرت ترجمة انجليزية لهذا البحث سنة ١٩٠٠ بعنوان Semantics وبتقادم الزمن أصـاب هـذا المصطلح الانجليزى نوع من الغموض واللبس ، فاضطر الناس فى وقت من الأوقات إلى الاستعاضة عنه بالمصطلح Semasiology الذى كان معروفا من قبل ، والذى كان يطلق فى اللغة الانجليزية على نوع معين من دراسة المعنى . ولكن المصطلح Semantics نظراً لقصره وخفته فى النطق - لم يلبث أن استرد مكانته

---

(١) انظر The Vocabulary of Politics, T. D. Weldon, P. 10

وأصبح الآن ثابتاً مقرراً في الدراسات اللغوية الخاصة بالمعنى ومشكلاته (١) . ومن الجدير بالذكر أن Bréal لم يكن الرائد الأول في دراسة المعنى ، بل إنه كان الرائد في استعمال كلمة Sémantique التي نقلت إلى الانجليزية باسم Semantics . ولقد كانت هناك محاولات جدية في دراسة المعنى بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور قبل Bréal وقبل ظهور المصطلح الذى ابتكره (٢) .

أما الاتجاه أو المنهج الثاني من مناهج دراسة المعنى فهو المنهج الفلسفي في السنوات الأولى من العقد الثالث من هذا القرن الحاضر أدخل جماعة من الفلاسفة البولنديين المصطلح Semantics إلى علم المنطق الرمزى (Symbalic Logic) . وهناك أطلقوه على دراسة متخصصة تخصصاً عالياً ، تتعلق بالرموز والعلامات ومعانيها . ومنذ ذلك الوقت أصبحت هذه الدراسة تعرف بعلم المعنى الفلسفي (PhilosophicalSemantics) ويقرر أوعاف أن علم المعنى الفلسفي في صورته واتجاهاته الحاضرة يتسم بالصعوبة والتعقيد حتى إنه لم يعد من المستطاع فهمه

(1) انظر William, Words and theirUse, p.8.

(2) أنظرFirth, papers in Linguistics, p.15.

أو إدراكه بسهولة إلا من مجموعة من العلماء المتضلعين ، وبخاصة أولئك الذين أدخلوا هذا النوع من الدراسة إلى هذا المجال الجديد (١) .

وفي السنوات الأخيرة نشطت حركة كبيرة في دراسة السيمانتيك على مستوى شعبي ، وبخاصة في أمريكا . وذلك لأن كثيراً من الظروف والملابسات في العالم الذى نعيش فيه الآن جعلت الناس في كل مكان يشعرون بأنهم فشلوا فشلا واضحاً في التفاهم فيما بينهم ولم يشذ عن ذلك أصحاب اللغة الواحدة وهذه الحقيقة قد خلقت في الناس روح التشاؤم وملأتهم بخيبة أمل ، غير أن المتفائلين منهم لم يقفوا مكتوفي الأيدى إزاء هذه المشكلة فأخذوا يعملون على إيجاد الحلول المناسبة لها ، وينادون بأن كل ما نحتاج إليه هو أن نتفق على معاني الكلمات التي نستعملها وعلى مفهومات المصطلحات التي نحتاج إليها في حياتنا . وبمعنى آخر رأى هؤلاء أن دراسة السيمانتيك أمر ضرورى لعلاج أمراض مجتمعنا الحديث .

ولقد كان العالم البولندى كورزيبسكى (Korzybski) رائد هذه الحركة الجديدة في الولايات المتحدة . وكانت له أهداف عملية يرمى إليها من وراء هذه الدراسة الشعبية التي

(1) انظر Williamm, op.p.8.

عرفت فيما بعد باسم « علم المعنى العام » (General Semantics) . وقد استمرت هذه الحركة فى النمو والانتشار حتى جاء ستوارت تشيس (Stuart Chase) وآخرون فدفعوا بها دفعة قوية أكسبتها شعبية ساحقة فى مختلف المجتمعات ، وأصبح القارىء العادى يهتم اهتماما كبيرا بهذا النوع من الدراسة .

ويتصل بهذه الحركة غير اللغوية فى دراسة المعنى ما قام به الأستاذان الانجليزيان أوجدن وريتشاردز (Ogden and Richards) من بحوث ودراسات أو دعاها كتابهما المشهور « معنى المعنى The Meaning of Meaning) . كما يعد البحث الذى وضعه الأستاذ أوجدن وسماه «الانجليزية الأساسية» (Basic English) (١) خطوة أخرى فى سبيل إرساء قواعد هذا الفرع من الدراسة التى أحدثت فيما بعد ثورة واضحة الآثار فى نظريات الجمال والنقد الأدبى . غير أن كتابة الأستاذين أوجدن وريتشاردز فى هذا الموضوع تتسم بالطابع النفسانى المشوب بصبغة فلسفية . وليس هذا بمستنكر على الرجلين، فهما عالمان نفسيان بالحرفة والصنعة، ومن ثم كان الأسلوب النفسانى واضحا فيما دبجاه وسجلاه من بحث وتحليل فى هذا الموضوع.

وكان من أهم أهداف المنهج الثالث فى دراسة السيمانتيك تخليص الفكر الإنسانى من المغالطات اللغوية ، وتحريره من الزيف الناتج عن سوء استعمال الكلمات . وتخبرنا مارجريت شلاوش بأن سبب اهتمام كورزيبسكى بالسيمانتيك العام إنما يرجع إلى اعتقاده بأن دراسة المعنى من الممكن أن تكون دواء ناجعا لأمراض الإنسانية فى الحياة الاجتماعية (١). ولقد تبع كورزيبسكى فى هذا الرأى كثير من العلماء ممن تأثروا بأفكاره وكتاباته التى صارت فيما بعد الدستور الأساسى فى دراسة المعنى على مستوى شعبى عام .

والواقع أن مذهب كورزيبسكى وأتباعه فيه شىء من المبالغة من وجهة نظر علماء اللغة . فكثيراً ما يتبين لنا أن تحليل المعنى قلما يؤدى إلى إيجاد حلول عملية لمشكلاتنا الاجتماعية . ولكن هذا لا يعنى أننا ننكر أهمية دراسة معانى الكلمات وتحديد هذه المعانى تحديداً دقيقاً . إن هذه الدراسة

---

(١) « الانجليزية الأساسية » بحث قصد به إلى تبسيط اللغة الانجليزية ، كى تصبح لغة عالمية ، وذلك بالتركيز على الكلمات الأساسية التى تكفى للفهم ومن رأى صاحب هذا البحث أن معرفة عدد محدود جدا من الكلمات الواضحة المعنى خير من معرفة أضعاف هذا العدد الكلمات الغامضة والمشكوك فى معانيها .

(١) انظر Hargaret Schlauch' The Gift of Tongues'p' 130 ·

تساعدنا بلا شك على توضيح معالم الطريق أمامنا ، وترشدنا إلى الموقف الذى يجب أن نتخذه تجاه معانى الكلمات ، بحيث يصبح من المستطاع أن نبدى رأيا واضحاً فى هذه المعانى سواء أأمكننا إقناع الناس بالمعانى الصحيحة أم لم يمكننا ذلك .

وترى مارجريت شلاوش أن هذا الموقف من اللغويين إزاء معانى الكلمات يجب أن يتبع أيضا فيما لو أسىء استعمال الكلمات فى مجالات الحياة العامة . فمن المألوف أن يستغل بعض الناس — كالصحفيين غير المسئولين مثلا — استعمال الكلمات استغلالا سيئا ، ويضعوها فى معان غامضة أو غير محددة ، قصداً إلى خدمة هدف معين ، ترى إليه الصحيفة ، دون أن يتعرض أصحابها لنقد القراء أو اعتراض القانون عليهم . وفى استطاعة اللغوى فى هذه الحالة أن يشير إلى الأخطاء التى وقعت من هؤلاء الصحفيين فى هذا الشأن . ولكنه — بوصفه لغويا — لا يمكنه أن يقدم حلولا عملية يفرضها عليهم فرضا ؛ لأن هذا ليس من اختصاصه فى شىء . كل ما يستطيع أن يعمله اللغوى هو أن يعرض خدماته لمن يشاء منهم ، ومن غيرهم من علماء الاجتماع والاقتصاد والعلوم الأخرى ، حين يتعاملون مع اللغة ويتعرضون لمشكلاتها . بل من الممكن أن يتعاون اللغوى مع هؤلاء جميعا فى دراسة مشتركة للمشكلات اللغوية التى تقابلهم فى مهنهم المختلفة . والدارسون فى هذه الحالة يقومون بهذا العمل الجماعى بوصفهم مواطنين عندهم رغبة صادقة فى تصحيح الأخطاء الشائعة فى استعمال الكلمات . ومن ثم فقد يضطرون جميعا إلى ترك مكاتبهم وقاعات بحثهم ، ويخرجون إلى الشارع والأسواق ليشتركوا مع الناس العاديين فى حياتهم اليومية ، بغية تصحيح الأوضاع فيما يختص بالسلوك اللغوى . ومعنى هذا فى نهاية الأمر أن اللغويين تكون لديهم الفرصة لأن يستفيدوا ويفيدوا فى وقت واحد ، وبخاصة إذا اتحدت الأهداف ووضحت المقاصد عند جميع الدارسين ، ومتى كان هناك احترام متبادل للطرق العلمية فى البحث ، واعتراف من الجميع بأمراض المجتمع ومشكلاته . وقد يحتاج اللغويون حينئذ إلى معونة العلوم الأخرى كعلم النفس وعلم الاجتماع . وتختتم مارجريت شلاوش رأيها فى هذا الشأن بأنه ليست هناك دراسة لغوية يمكنها أن تقدم فرصة للتعاون العلمى أطيب وأحسن من تلك التى تقدمها لنا بحوث المعنى ودراساته فى ظل الملابسات والظروف الاجتماعية المختلفة(١) ؟

دكتور كمال بشر

---

(١) انظر مارجريت شلاوش ، المرجع السابق ص ١٣١ - ١٣٢ .

رأى فى الشعر الجديد

للأستاذ ابراهيم محمد نجا

نعنى بالشعر الجديد ذلك اللون من الشعر الذى ظهر فى العراق منذ نحو عشر سنوات ، ومن العراق انتشر فى لبنان ، ثم انحدر إلى مصر . ونسميه جديدا من باب التجاوز لأنه - كما سنرى - ليس جديدا فى المضمون ، وجدته فى الشكل جدة نسبية ، لأنه يقوم على جعل المقطع الصوتى - أو التفعيلة كما يعبر علماء العروض - هو الوحدة الجزئية التى تتألف منها القصيدة ، بدلا من البيت الذى يتألف من عدة مقاطع ويعد وحدة متماسكة تتألف منها القصيدة فى الشعر العربى المألوف ، وبذلك أصبح البيت فى الشعر الجديد لا يتألف من شطرين متساويين فى عدد المقاطع ، كما هو الشأن فى الشعر المألوف ، وإنما يتألف من مقطع أو عدة مقاطع يختلف عددها فى بيت عنه فى سائر الأبيات ، دون أن يخضع ذلك لقاعدة مقررة أو نظام معروف ...

وهذا هو الفارق بين الشعر الذى يسمونه جديدا ، والشعر الذى نعرفه ونألفه ، وهو كما رأيت فارق شكلى نسبى ، لا يتعدى الشكل إلى المضمون بحال من الأحوال . ولكن ما الذى عمل على ظهور هذا الشعر ؟ .

فى رأينا أن هناك عدة عوامل أدت إلى ذلك ، ومن أهمها :

أولا : انتقال مجتمعنا العربى من إطار الحياة الخيالية السلبية ، إلى نطاق الحياة الواقعية الإيجابية ، فانحسر الشعر الرومانسى الخالص أو كاد ، على حين طغى الشعر الواقعى وساد .

والفارق بين اللونين فارق فى الهدف والاتجاه وطبيعة المضمون من غير شك ، ولكن بعض الشعراء تجاوزوا الحد ، فأحدثوا فى الشعر هذا التغيير الذى يمس الشكل ، متأثرين بالشعر الغربى الحديث من جهة ، وليثيروا انتباه الناس إليهم وإلى شعرهم من جهة أخرى .

ثانياً : تجنى بعض النقاد على الشعر العربى القديم خاصة ، والأدب العربى عامة ، واتهامهما بالجمود والضيق والتكلف ، مما حدا بالكثيرين من الشباب إلى إهمال هذا الأدب ، والاتجاه إلى الأدب الغربى لدراسته ومحاكاة كل ما فيه من صور وألوان .

ثالثاً : سيطرة الصحافة على الأدب فى السنوات الأخيرة ، وضعف الثقافة العربية لدى الكثيرين من أدباء الشباب ، فمال الأدب

الحديث ، ومنه الشعر ، إلى السهولة التى توشك أن تكون ابتذالا ، وإلى الثورة الجامحة على القيود الفنية التى تتطلب جهداً ودراسة .

هذه هى أهم العوامل التى أدت إلى ظهور هذا الشعر ... ونسأل بعد ذلك : ما الذى ساعد على انتشاره ؟ .

ونجيب عن ذلك فنقول :

إن أول عامل ساعد على انتشار هذا الشعر ، هو توقف مجلة الرسالة عن الصدور ، بعد أن استمر يصدرها أديبنا العظيم الزيات سنوات طوالا ، وكانت الرسالة هى وحدها المجال الفسيح الذى لا يتحقق فى غيره الظهور والتفوق لشاعر من ناشئة الشعراء ، أو مذهب من مذاهب الشعر ، كما كانت تهدم كل محاولة يريد بها أصحابها هدم الثقافة العربية والأدب العربى ، سعيا وراء مآرب شخصية ، ومنافع ذاتية ، ولا تعترف بالثورة على القيود الفنية التى بدونها لا يكون الأدب فنا ، وإنما يصبح ثرثرة فارغة ، ولغوا عقيما .

ويلى ذلك فى الأهمية أن اختفاء الرسالة قد مكن لبعض المجلات اللبنانية فى مجال الأدب ، فوسعت صدرها لهذا اللون من الشعر ، ونوهت بأصحابه بينما طوت صفحاتها عن الشعر المألوف ، وأهملت أصحابه إهمالا منقطع النظير !

ويأتى بعد ذلك أن بعض النقاد المحدثين قد تعصبوا للشعر الجديد ، لا لإيمانهم بقيمته ، واعترافهم بجدواه ، ولكن لأنه سيفتح الطريق أمامهم إلى الشهرة السريعة المستفيضة ، إذا هم عملوا على أن تكون له السيادة والقيادة فى مجال الأدب .

وهكذا انتشر هذا الشعر ، وملك أصحابه الغرور ، فظنوا أنهم الشعراء ، وأن المجد قد دان لهم ، فأخذوا يطلعون علينا كل يوم بديوان جديد ، وساعدهم على ذلك أن أغلب هذا الشعر لا يحتاج إلى التأنى وبذل الجهد إلا إذا كانت الثرثرة الفارغة تحتاج إلى شىء من ذلك وأن الديوان الواحد لا يحتاج إلى أكثر من عشر قصائد تكتب كل كلمة أو كلمتين فى سطر ، فيمتلئ الديوان ويفيض .

ثم نسأل أصحاب هذا الشعر : لماذا تنكبتم طريق الشعر المألوف ، وسرتم فى طريق الشعر الجديد ؟ .

وتعال معى نسمع ما يقولون .

يقولون إن شعرنا الجديد ، فى إطاره الجديد ، يتيح لنا الحرية للتعبير عن تجاربنا الجديدة .

ويقولون إن شعرنا الجديد لا يجعل القصيدة مكونة من أجزاء لا يتم فيها التماسك والامتزاج ، ولكنه يجعلها وحدة متكاملة تنساب كما ينساب الماء فى النهر العظيم ،

أو الجدول الرقراق ، وبذلك تقدم لنا صورة متكاملة السمات والقسمات ، متآلفة الألوان والظلال .

ويقولون إن هذا الشعر لا يضطر صاحبه إلى استخدام كلمات يكمل بها بيته ، ويصل بها إلى قافيته ، دون أن تضيف هذه الكلمات شيئا إلى جوهر الصورة التى تتألف منها القصيدة .

هذا ما يقولون .

ونحن فى رفق وهوادة نقول لهم :

إذا كنتم تريدون بالحرية فى مجال الشعر ، الحرية المطلقة ، فنحن نعترض على ما تريدون ؛ لأن تلك الحرية هى الفوضى التى تهدم دون أن تبنى ، ومن ثم لا تصلح أساسا لعمل إيجابى نافع ، فى أى مجال من مجالات الأدب ، وفى أى قطاع من قطاعات الحياة .

وإذا كنتم تريدون الحرية المنظمة الملائمة ، فإن هذه الحرية تتجلى فى شعرنا المألوف المعاصر على نحو يحقق لهذا الشعر التطور المطلوب ، والحيوية المنشودة ، وإلا فهل كان امرؤ القيس والأعشى ، أو جرير والفرزدق ، أو أبو تمام والمتنبى . . هل كان هؤلاء يقولون قصائدهم على النمط الذى يقوله العقاد فى قصيدته عن « المصرف » :

فى سكتى أبدا ، وما
من سكة أبدا إليه ، ولست ألغز عندما
أصف الطريق أو الحمى
انظر بعينيك البناء سما وطال وأظلما
واسأل : أهذا مصرف ملئوا جوانبه دما ؟
تجد الصواب مجسما

أو على النحو الذى يقوله إلياس فرحات فى قصيدته « الحمامة » :

يا عروس الروض يا ذات الجناح يا حمامة
سافرى مصحوبة عند الصباح بالسلامة
واحملى شوق فؤاد ذى جراح وهيامه

هذا هو التجديد الذى لا يقوم على التبديد ، وهذه هى الحرية التى لا تضل القصد ، ولا تنحرف عن الطريق ؛ لأنها دائما تنظر إلى الماضى ، وتتأمل الحاضر ، وتتطلع إلى المستقبل .

أما تماسك القصيدة تماسكا عضويا ، واعتمادها على الصورة المتكاملة الموحية ، فذلك أمر قد فرغ من تقريره نقاد الشعر منذ سنوات وسنوات ، ونحن نجده فيما كتبه العقاد وطه حسين وميخائيل نعيمة ، كما نلمسه واضحا فى شعر العقاد وأبى ماضى وعلى طه وأمثالهم من الشعراء المعاصرين الذين لم يكتب واحد منهم قصيدة واحدة على مثال هذا الشعر الجديد ، وإن كانت قصائدهم حافلة بالتجديد ، كما ينبغى أن يكون التجديد .

بقى بعد ذلك ما يزعمه أنصار هذا الشعر « الجديد » من أن الشعر المألوف يضطر

صاحبه إلى أن يستخدم كلمات يكمل بها البيت، ويصل بها إلى القافية ، دون أن تضيف هذه الكلمات شيئاً جديداً إلى البيت أو القصيدة .

ونحب أن نقول أولا إن الكلمات تستعمل فى الشعر لأغراض أهمها إضافة معنى جديد ، أو إلقاء مزيد من الضوء على معنى سابق ، أو انسجام الصوت ، وتناسق النغم فى القصيدة ، فما يظنه هؤلاء الغافلون كلمات لا معنى لها فى الشعر المألوف ، ليس إلا كلمات ذات معنى مقصود ، حين نفهم « المعنى » فهما واسعا عميقا ، بحيث يشمل ما تشعه الكلمة من ضوء ، وما تبعثه من نغم ، وإن لم يكن لها فى سياقها معنى جديد .

وليس معنى ذلك أن الشعر المألوف يخلو من الكلمات التى كان ينبغى أن تستبعد منه ، ولكن معناه أن هذه الكلمات إن وجدت فى الشعر المألوف . فلها نظائرها فى الشعر الجديد ، وهى هنا وهناك عيب من عيوب الشعر ، سواء كان هذا الشعر من هذا اللون أو ذاك .

ومن قال إن « كمية » الكلمات هى مقياس بلاغة الكلام ، فكلما زادت هذه الكمية ، نقصت البلاغة ، وحين تنقص تلك ، تعظم هذه وتزيد ؟! ألا يتذوق هؤلاء الناس بلاغة الكلمات إلا إذا عدوها على الأصابع ، أو قاسوها بالأشبار ، أو كالوها أو وزنوها بما شاءوا من المكاييل والموازين ؟ .

ثم أين الكلمات التى لا معنى لها فيما أسلفناه من شعر العقاد وفرحات ؟ أيمكن أن نحذف كلمة واحدة من هذا الشعر دون أن تختل الفكرة ، وتهتز الصورة ، ويضطرب الإيقاع .

والآن فلنقرأ هذه المقطوعة من قصيدة « جديدة » عنوانها « من شاعر سورى إلى مواطن أمريكى » :

لكن رئيسك يحسبنى
يحسبنى هنديا أصفر
هنديا من أو كلا هو ما
ويريد استملاك الدنيا
بالدولار
وأنا يؤسفنى . .
يؤسفنى . .
لن أرهن حجراً من وطنى
دولارك لا يشرى شيئا
لا يشرى ذمم الأحرار

فانظر كيف كرر الشاعر كلماته فى هذه المقطوعة الصغيرة من القصيدة ، لا لشىء إلا لمراعاة الإيقاع والتنغيم ؟ وهذا النموذج من الشعر ليس من شعر نكرة من نكرات ما يسمونه الشعر الجديد ، ولكنه من شعر نزار قبانى . وهو من رواد هذا الشعر ، وإن كان قد نفض يديه منه ، وعاد إلى سواء السبيل .

قلنا فى أول المقال إن اختلاف عدد المقاطع فى بيت عنه فى سائر الأبيات . هو الفارق بين الشعر الجديد والشعر المألوف ، ونضيف هنا فارقا آخر بين هذين اللونين من الشعر ، وإن كان هذا الفارق لا يظهر إلا عند طائفة من الشعراء تجاوزت ثورتهم كل حد ، فأهملت القافية كل الإهمال ، أو منحتها الحرية المطلقة ، فهى تظهر كما تشاء ، وتختفى كما تريد ، من غير ضابط أو مقياس .

ولنقرأ معا هذه الآبيات :

يا سائرا والعزم فى عيونه أراه
احمل لهم ... لإخوتى هناك
دمى . . دم الرفاق حيث يوجدون
وعذرنا
فنحن لا نزال
عيوننا مشدودة إلى السماء
نذب عن حقولنا جحافل الجراد
والبوم والغربان ...

إلى آخر ما قال ، هذا الشاعر المفضال !

فهنا تختفى القافية التى لها أثر كبير فيما يشيع فى الشعر من إيقاع وترنيم ، وهنا أيضا تكرار للكلمات دون أن يكون هناك داع إلى هذا التكرار .

ثم يبقى بعد ذلك هذا السؤال الأخير : هل استطاع هذا الشعر الجديد أن يتسع لفن جديد من فنون الشعر لم يتسع له الشعر المألوف ؟

لقد قدم لنا الشعر المألوف أروع النماذج من الشعر القصصى والتمثيلى وشعر الملاحم ، فأين النماذج التى قدمها الشعر الجديد فى هذه الفنون ؟ وأين الفن الجديد الذى أضافه إليها هؤلاء الشعراء « المجددون » ؟

على أن الشعر الجديد يفقد فى كل صوره عنصرا هاما من عناصر الفن ، هو عنصر التنسيق ؛ لأنه يوزع مقاطعه الموسيقية توزيعا أساسه الفوضى لا النظام ، ومن ثم تصبح موسيقا الشعر أقرب إلى موسيقا النثر ، مع أن الموسيقا هى العنصر الأساسى الذى الذى يفرق بين الشعر والنثر من أول وهلة ، وقبل أى تنقيب .

ونحن نجد فى قصيدة إلياس فرحات أن الشطر الأول يختلف عن الشطر الثانى فى عدد المقاطع ، ولكن انظر إلى الشاعر كيف جعل هذا الاختلاف لا يقف عند البيت ، ولكنه يتجاوزه إلى المقطوعة ، بل يتجاوزه إلى سائر المقطوعات ؟

وهاك مقطوعة أخرى من القصيدة ، لتتبين صدق ما نقول :

رفرفى فى روضة « الأفق الجميل » وتغنى
وانظرى محبوبتى عند الأصيل وتأنى
فهى إن تسألك عن صب عليل كان عنى

وكذلك صنع شاعرنا العظيم العقاد فى قصيدته ، فلاءم بين مقطوعاتها ، بحيث صارت القصيدة آية من آيات التوزيع الموسيقى الجميل ، والتناسق الصوتى البديع ، ولنستمع معا إلى هذه المقطوعة :

فيه دم لا شك فيه
فى كل طرس أو كتاب أو سجل يحتويه
ودم المقتر والسفيه
يجرى هناك ، وأنت تحسبه من الورق الرفيه
نغليه كالدم فى العروق سرى ، وكالدم نتقيه
وسل المدلس والنزيه

إنه التنسيق الذى يدرك الشاعر بحاسته الفنية الأصيلة أنه الإطار الذى لابد أن تتجلى فيه كل صورة من صور الفنون .

وإنصافا للحقيقة نقول إننا نتذوق جمال هذا الشعر الجديد فى بعض النماذج ، ولكنها نماذج نادرة قد حرص أصحابها على شىء من التنسيق فى توزيع المقاطع المختلفة ، والقوافى المنوعة ، فاحتفظوا لشعرهم بالنغم المميز ، والإيقاع الذى لا يشبهه فى النثر إيقاع .

وهؤلاء الشعراء كلهم من الذين درسوا موسيقا الشعر المألوف ، وفى ظلالها عاشوا يقولون الشعر سنوات .

فهذه النماذج نعدها لونا من ألوان التجديد لا تخرج الشعر من جوهره المعروف ، ولا تنحرف به عن تطوره الملائم ، وفرق كبير بين أن نجدد فى الشعر العربى ، وبين أن نأتى بما يخالف طبيعة هذا الشعر ، ثم نقول إننا قد أتينا بشعر جديد !

أما هذه « القصائد » الكثيرة التى جادت بها قرائح الكثيرين من « الشعراء » الذين انتهزوا فرصة هذه الفوضى فأحدثوا هذه الأشياء التى تجردت من كل لون من ألوان الإيقاع والتنسيق ، فلا نقول عنها إلا أنها لغو أطفال ، وإن صدرت عن رجال أو أشباه رجال !

وبعد ، فقد بدأ صوت هذا الشعر يخفت ، ولن يرتفع هذا الصوت بعد ذلك ، وبدأت أمواجه تنحسر عن الشاطىء ، ولن تعود إليه أبدا . وسيظل الشعر المألوف ، بجوهره الأصيل ، وطبيعته الفنية ، خالدا خلود الفن ، باقيا ما بقيت الحياة .

ابراهيم محمد نجا

مع قضايانا

إنّنا عائدون

للأستاذ احمد الشرباصي

لا يختلف عربيان واعيان، ولا مسلمان عاقلان، فى أن نكبة فلسطين كانت الشوكة الكبيرة المسمومة التى غرسها الاستعمار الغربى فى قلب الشرق العربى الإسلامى، وإذا كانت هذه المحنة قد طوت بين جنباتها منحة - إذ أيقظت القلوب وهاجت النفوس فانبعثت الثورة، وأقبلت الصحوة، وأخذنا طريقنا نحو التحرير والتطهير والتعمير، وشرعنا ندعم كياننا العربى ونثبت وجودنا المؤمن - فإنه ما زال فى رقابنا دين مستحق نحو عروبتنا وإسلامنا، نذكره ولا ننساه، وإذا كنا أحيانا نخفيه ولا نبديه، فإننا على الدوام نتطلبه ونرتجيه، وهو أن تعود فلسطين، أو أن يعود أهل فلسطين إلى فلسطين، لأن الله عز شأنه وجل أمره، يريدها عربية إسلامية، فيجب أن تكون. « والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون ».

يجب أن تعود فلسطين، ولذلك نهتف فى الصباح والمساء قائلين مع المشردين من أبناء فلسطين: « إننا عائدون »... ولكن من نحن حتى نقول « إننا »؟... إن « نا » ضمير يدل على الجمع أو العظمة، فالله الكبير المتعال يقول مثلا: « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »، والله قادر بسلطانه وسطوته على أن يحفظ ذكره، وأن يجمع له من أسباب التعظيم والتأييد ما يبقى به ويدوم، فمن نحن؟...

نحن أولا ننبسط ونتسع فى رحاب رقعة كبيرة قديمة هى الشرق الروحى المؤمن، والشرق هو مهبط الديانات ومبعث الرسالات ومسرى دعوات السماء والروح، ومن الشرق أشرقت المدنيات فى مصر والشام والهند، ولذلك سمى « الشرق »!..

ثم نحن نتجمع ونتركز فى رقعة أضيق نطاقا، ولكنها أعمق روحا ونفسا، وهى رقعة العروبة التى تقع فى صميم الشرق، فنحن العرب، العرب الذين اختارهم ربهم ليكونوا

حملة رسالته وناشرى دعوته بين العالمين ، فكان ذلك تكريما من الله أى تكريم .

ثم نعود فننبسط فى رقعة أوسع وأفسح ، ننبسط فى مجموعة المسلمين ، والمسلمون هم الذين يردد كل واحد منهم قوله تعالى : « إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين » ، « قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين » .

وهم الذين يقول ربهم فى كل من استقام ضميره منهم : « ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين » .

ثم نعود فنكون مزاجا عجيبا فى هذه المنطقة الكريمة ـ منطقة العروبة المؤمنة ـ فنمثل العرب المسلمين أو المسلمين العرب ، فيتمثل فينا الوعاء الطاهر والروح النبيل ؛ لأن العروبة وعاء الإسلام ، والإسلام روح العروبة ؛ فنحن العرب الذين أسلموا وآمنوا ونحن المسلمين الذين تجرى فى عروقهم خصال العروبة ، وإذا كان مهيار الديلمى يقول عن نفسه :

وجمعت المجد من أطرافه
سؤدد الفرس ودين العرب

فالعربى أولى بالفخار والازدهار ، لأنه تحلى بشيم العروبة الأصيلة التى زكاها وأعلاها وقواها رب العالمين ، حتى قال جل جلاله : « كنتم خير أمة أخرجت للناس » ! .

والمسيحى العربى فينا ـ وإن كان مسيحيا فى دينه وعقيدته وعبادته التى يتمتع بحريته فيها ـ هو فى الوقت نفسه مسلم بلسانه وبيانه ، مسلم بلغة القرآن المجيد التى يتحدث بها ، مسلم بالعادات والتقاليد التى يشترك فيها مع جيرته وأبناء بيئته المسلمين ، مسلم بقوميته التى يغار عليها مع زملائه فى الوطن المؤمن الكبير ، فالكل فى خدمة العروبة وإعزازها سواء ! .

فنحن أبناء الشرق والعروبة والإسلام ، نحن الجامعين بين فضائل الإيمان وفضائل القومية ، نحن الموثقة أواصرنا بحمى ربنا وسمو مبادئنا وجلال تاريخنا ، نحن الذين نقول : « إننا عائدون » ! .

وإذا قلناها فى إخلاص وإجماع ، وبعزم وتصميم ، استمعت الدنيا ووعى التاريخ واستجاب القدر ؛ لأن رسولنا الصادق المصدوق يقول : « يد الله مع الجماعة » ويقول : « لا تجتمع أمتى على ضلالة » ويقول : « لا تزال طائفة من أمتى على الحق ظاهرين حتى تقوم الساعة » .

وشاعرنا يقول :

إذا الشعب يوما أراد الحياة
فلا بد أن يستجيب القدر
ولا بد لليل أن ينجلى
ولا بد للقيد أن ينكسر !

نعم : إننا عائدون بإذن الله إلى أرضنا

ووطننا وحمانا فلسطين ، لأننا نؤمن بالله سبحانه ، والله جل جلاله من أسمائه « المبدئ المعيد » . ولأننا نريد أن نكون أعزة فى بلادنا ، أبطالا فى ديارنا ومن أجل حريتنا وكرامتنا . وآباؤنا العرب الأماجد يسمون البطل الشجاع « معاوداً » ، لأنه يعاود الكرة مرة بعد مرة ، ولا يمنعه ما رأى من شدة الحرب أن يعود إليها ، وأمير القوم عند العرب يسمونه « العود » تشبيها له بالجمل الكبير الذى تعود الرحلة ، وعاود المسير ، واعتاد تحمل المصاعب والمشقات ! .

إننا عائدون إلى فلسطين ، لأن فلسطين موطن أبينا إبراهيم عليه السلام ، ونحن أولى الناس بإبراهيم أبى الأنبياء لأن نبينا محمداً صلوات الله وسلامه عليه هو أولى الناس بإبراهيم كما يقول القرآن الكريم : « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين » ويقول : « قل صدق الله فاتبعوا ملة إبراهيم حنيفا » ويقول : « ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا » ويقول : « ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا » ويقول : « قل إننى هدانى ربى إلى صراط مستقيم دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا » .

وما دام ديننا هو دين إبراهيم الحنيف الذى كان مسلما ، وما دام نبينا مأمورا بأن يتبع هذه الملة الحنيفية السمحة ملة إبراهيم ، وما دمنا مأمورين باتباع هذه الملة المسلمة المستقيمة التى دعا إليها إبراهيم وآمن بها ، فنحن إذن الأمة الوارثة لتراثه ، ونحن أولى الناس به ، وأحق الناس بأن يغار على موطنه ودياره .

وإننا عائدون إلى فلسطين ، لأن فلسطين مولد عيسى عليه السلام ، ونحن أحق الناس بعيسى عليه السلام ، لأنه النبى الذى سبق نبينا ، وهو الذى بشر بنبينا ، فكانت هذه البشارة إيذانا بأن محمداً الخاتم الجامع هو الوارث لعيسى كما أنه الوارث لغيره من الأنبياء : « وإذ قال عيسى بن مريم يا بنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين » .

ونحن أولى الناس بعيسى ، لأننا نحن الذين كرمناه وطهرناه ونزهناه ، ولم نحرف فى قوله ، ولم نسرف فى أمره ، ولم نغال فى الارتفاع به ، كما أننا لم نظلم بهضمه حقه ، وهذا كتابنا ينطق فى عيسى بالحق والصدق ، ويصفه وصف التكريم والتعظيم ، وينعته نعت التمجيد والتحميد ، فيقول عنه : « إذ قالت الملائكة يا مريم

إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهـــا فى الدنيا والآخرة ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » . ويقول : « إذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتى عليـــك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس ، تكلم الناس فى المهد وكهلا ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيـل ، وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا بإذنى ، وتبرئ الأكمه والأبرص بإذنى ، وإذ تخرج الموتى بإذنى ، وإذ كففت بنى إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين . وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون » . ويقول على لسان عيسى : « قال إنى عبد الله آتانى الكتاب وجعلنى نبيا ، وجعلنى مباركا أينما كنت وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا . ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذى فيه يمترون » .

إننا عائدن إلى فلسطين ، لأنها بلد الأنبياء والمرسلين فيها نبتت شجرة النبوة وتفرعت أغصان الرسالة ، ونحن الأمة التى انتهت إليها مواريث النبوات والرسالات ، ولذلك يقول القرآن الكريم : « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير » . ويقول : « ألم ، الله لا إله إلا هـو الحى القيوم . نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » . ويقول : « وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال : أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين » ويقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : « قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ، ونحن له مسلمون » .

إننا عائدون إلى فلسطين ، لأنها أولى القبلتين فى الإسلام ، فإلى عاصمتها بيت المقدس وإلى المسجد الأقصى فيها ، كان رسولنا عليه الصلاة والسلام يتجه فى صلواته ، وظل ردحا من الزمن يتخذ من بيت المقدس وجهة وقبلة ، حتى أمره الله جل جلاله بالاتجاه إلى الكعبة ، فكان هذا الجمع بين القبلتين فى الإسلام مزجا إلهيا كريماً يوحى بوثيق

الارتباط بين مكة والقدس ، وبين القبلة السابقة والقبلة اللاحقة الدائمة الباقية ، فإذا اتجه المسلمون إلى الكعبة فى صلواتهم مرت بخواطرهم ذكرى الاتجاه النبوى إلى بيت المقدس ، فأدركوا أن مواريث النبوة لا تتوزع ولا تتقطع ولا تتجزأ ؛ لأنها هبة الله ، فيجب أن تبقى مصونة تحت لواء الله : « ولله المشرق والمغرب فأينما تولوا فثم وجه الله إن الله واسع عليم » .

إننا عائدون إلى فلسطين ؛ لأنها مسرى نبينا عليه الصلاة والسلام ، ونهاية رحلته الأرضية فى حادث الإسراء ، وبداية رحلته السماوية فى حادث المعراج ، وكان اتخاذ فلسطين مقراً لهذه البداية وتلك النهاية رمزا قويا إلى أن فلسطين هى واسطة العقد فى وطن المسلمين . وأنها يجب أن تكون فى قمة الإعزاز عند المؤمنين ، وبخاصة أنها كانت الموطن لإمامة النبى محمد لإخوته الأنبياء والمرسلين ، فوق أنها بلد الإسراء والمعراج والله جل جلاله يكرم هذه الذكرى ، ويعطيها حقها من الرفعة والسمو . فيقول : « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير » .

وإننا عائدون إلى فلسطين لأنها ثالث الحرمين ، والرسول يقول : (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : مسجدي هذا . والمسجد الحرام ، والمسجد الأقصى) ، ولا يتيسر لأبناء الإسلام أن يشدوا رحالهم إلى المسجد الأقصى آمنين مطمئنين ، أعزاء كرماء ، إلا إذا كانت فلسطين حرة عربية مسلمة ، ولذلك يجب أن نعود إلى فلسطين ، وأن نهتف من الأعماق قائلين : إننا عائدون ! .

أحمد الشرباصي

الإيثار

ذكر من قصص الإيثار أن كعب بن مامه آثر رفيقه النمرى بالماء على نفسه حتى مات هو عطشا ونجا النمرى ، وفيه يقول حبيب بن أوس الطائى :

يجود بالنفس إن ضن البخيل بها ... والجود بالنفس أقصى غاية الجود

كيف انتشر الاسلام

للأستاذ عباس طه

« إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

صدق الله العظيم .

أراد الله تعالى أن تكون بلاد العرب مهبطا لأنوار الدين العالمى الذى هو آخر الديانات والرسالات ، فأرسل به خاتم أنبيائه محمدا صلى الله عليه وسلم ، فلما تم نزوله ، واختار الله رسوله لجواره انتشر نوره فى الخافقين ، فعنى الباحثون بمعرفة المسالك التى سرى منها إلى العالم كله . ومن هؤلاء الباحثين المستشرق الألمانى الأستاذ « مارتن هارتمان » الذى عنى بهذا الموضوع فى كتابه « الإسلام » فكتب فيه بحثا قيما نعتمد عليه فى هذا المقال:

لبلاد العرب منفذان إلى الشرق وهما : العقبة ، وهى على طريق الشام والطف بجوار نهر الفرات ، وقد انتشر الإسلام منهما إلى الشام وأرمينية وبلاد القوقاز وأزربيجان ووصل إلى بخارى وكابل عاصمة بلاد الأفغان فى القرن السابع وإلى خوارزم فى أوائل القرن الثامن ، وما زال يمتد حتى تعدى حدود الصين من تيانشان ودخل مدينة كاشغار من بلاد المغول وبلغ بلاد السند ، وكانت مدينة مولتان مركزا للدعوة الإسلامية ، ومن هناك انتشر فى شمال الهند حيث ظهر فى سنة ١٠٠٥م رجل من مدينة لاهور يقال له الشيخ إسماعيل أبلى فى الدعوة إلى الإسلام بلاء حسنا ، وتلاه فى الدعوة إليه فى تلك الأصقاع رجل يقال له محي الدين تشيشتى توفى توفى سنة (١٢٣٤) م .

وقد اشتد انتشار الإسلام فى ذلك العهد بشمال الهند حتى آل إلى المسلمين الملك فى البنغال (سنة ١٢٠٠) م كما توج أول ملك مسلم فى كشمير من بلاد المغول سنة ١٣٠٠ م ومنها انتقل الإسلام إلى تبت الصغرى ، وقد وصل إليها أيضا من ولاية يونان فى جنوب الصين .

دخل الإسلام إلى بلاد الصين من منفذين: الساحل الجنوبى ومن الولايات المتاخمة لبلاد التركستان .

وقد روى أن علاقات حسنة تبودلت بين بغداد والصين على عهد الخلفاء العباسيين وكان الدعاة المسلمون يؤمون تلك البلاد من طريق ما وراء النهر .

وقد ظهر الإسلام مبكرا فى بلاد الصين على بعد الشقة بينها وبين البلاد العربية حتى أنه بنى مسجد فى ولاية شينزى سنة ٧٤٢ م أى بعد البعثة المحمدية بنحو مائة سنة ، وكان

من أثر هذه الحركة أن انتشر الإسلام فى شمال الصين بدخول قبائل الويجور فيه ، وقد وصل بعضهم إلى المناصب الحكومية الرفيعة ، ونزح لهذا السبب كثير من الفرس إلى الصين ونشروا فيها لغتهم حتى أن كثيرا من مسلمى الصين يعدون الفارسية لغة المثقفين منهم .

وقد دخل فى الإسلام كثير من اليهود ، هناك فزاد بهم زيادة كبيرة يصعب تقديرها .

ولما دخلت بلاد التركستان المسلمة إلى حوزة « الصين » ، واحتك المسلمون بأهلها تعرفوا منهم سماحة الإسلام وفضائله فكان ذلك سببافى زيادة انتشاره فى تلك الأصقاع .

وفى هذا العهد بدأ ظهور رؤساء وقادة من أصل تركى فى الصين حتى أن القيصر الصينى كين لنج تزوج أميرة تركية ، وأمر ببناء مسجد إكراما لها ولحاشيتها .

وقد اشتهرت أسماء رجال من الترك تولوا الإدارة والقيادة العسكرية ، كذلك وجد نحو عشرين ألف أسرة تركية فى مدينة بكينج عاصمة الصين ، وقد كان لهم ثلاثة عشر مسجدا يقيمون فيها الصلاة ، وارتفع شأن المسلمين فى الصين إلى حد أنهم أحدثوا ثورة فى كانصو وشينزى سنة ١٨٦٤ فلم تنجح الحكومة فى إخمادها إلا بعد مكافحتها عشر سنين ، وفى هذه السنة نفسها تمكن يعقوب بك الطشقندى من اقتطاع التركستان من المملكة الصينية فلم تستطع الحكومة استردادها إلا بعد موت هذا الزعيم .

أما المنفذ الآخر الذى سلكه الإسلام إلى الصين : وهو الساحل الجنوبى ، فقد عرفه العرب والفرس منذ زمن بعيد ، وقد تأسست جالية إسلامية فى كانتون منذ العصور الأولى فى الإسلام . وروى أن الخليفة العباسى أرسل أربعة آلاف جندى لمساعدة قيصر الصين فى بعض حروبه . وكان المسلمون يفدون من بلادهم للعيش فى الصين . لذلك قويت شكيمتهم هناك .

إن الذى يتأمل بعد الشقة بين بلاد الصين وبلاد العرب لا يسعه إلا أن يكبر تلك الروح التى كانت تدفع المسلمين إلى تجشم هذه المتاعب لنشر دينهم فى الخافقين ، ويدرك أنه بمثل هذه القلوب الكبيرة تعتز الأمم وترقى وتبنى لنفسها ولخلفائها مجدا يخلد خلود الدهر . وقد عجز دعاة الأديان الأخرى عن أن يصلوا إلى الصين إلا فى القرون المتأخرة ، وعجزت المدنية الأوربية عن أن تتعدى الحدود الشرقية للصين حتى آخر القرن التاسع عشر .

ولكن المسلمين لم يجتازوا حدود السواحل فحسب ، بل استطاعوا نشر دياناتهم وثقافتهم فيها أيضا .

عباس طه

ما يقال عن الإسلام

١ - الدعوات الإسلامية
٢ - والإسلام ووحدة الجماعة

للأستاذ عباس محمود العقاد

عرضت صحيفة «التايمز» الأدبية لكتابين من الإسلام فى عدد واحد، وهو العدد الصادر فى الحادى عشر من شهر أغسطس الماضى (سنة ١٩٦١).

والكتابان هما: كتاب «الدعوات والصلوات الإسلامية» Moslem Devotions لمؤلفته السيدة كونستانس بادويك، وكتاب «الإسلام ووحدة الجماعة» Islam and the Intepation of Society لمؤلفه: الدكتور مونتجومرى وات، أشهر المؤلفين عن الإسلاميات من المستشرقين الانجليز فى الوقت الحاضر.

ينقسم كتاب الدعوات إلى ثلاثة أقسام: قسم الدعوات والصلوات المفروضة، وقد جمعت فيه المؤلفة آيات من القرآن الكريم، ومن التحيات ودعوات القنوت، التى تتلى فى الصلوات الخمس وفى غيرها من صلوات يؤديها المسلم أحيانا وإن لم تكن من أركان العبادة.

والقسم الثانى: يشتمل على دعوات توافق دعوات الصلاة وتضاف إليها من قبيلها على سبيل التوسع والتفسير.

والقسم الثالث: تسبيحات مستقلة يتعبد بها المسلم على انفراد أو مع الجماعة، وأكثرها من دعوات الصوفية باللغة العربية، وغير العربية.

والمؤلفة تسمى هذه الأقسام الثلاثة بأسماء ترتضيها وتفضلها الدلالة على غرضها، فمنها قسم داخل الصلاة المفروضة وقسم على عتبة الصلاة المفروضة، وقسم خارج هذه الصلاة يختاره المسلم ولا يلزم أن يكون من باب الفرائض ولا من باب السنة النبوية، بل يجوز لكل مسلم أن يختار له عبارته ومعناه ومناسبته على حدة أو مع إخوان له فى الطريق وفى حلقات الأذكار الخاصة.

وجملة ما اختارته المؤلفة مقبول عند جماعة المسلمين مع اختلاف المذاهب، إلا طائفة منه يتمادى بها الشطط إلى القول بالحلول أو القول «بوحدة الوجود» على النهج الذى يرفضه أهل السنة بالإجماع، وهو ذلك النهج

الذى يوشك أن يتطوح بأهله إلى تأليه الكون بمظاهره المادية وبواطنه الخفية ، وليس هذا القسم من الدعوات بالكثير وإن كان ناقد الكتاب يقول إن دعواته أقرب إلى تسبيحات المتصوفة منه إلى العبادات العامة أو العبادات المقررة للجميع ، وهى على حد تعبيراتهم « العبادات الأرثوذكسية » .

ويقول ناقد الصحيفة الأدبية : « إن نشر هذه الدعوات بين المسيحيين ، وهى مما يغلب عليه اللطف المستحب ، خليقة أن تقرب أسباب التفاهم بين الديانات فيما هو أقرب الأمور إلى جوهرها جميعا وهو العبادة . وإن العبادة الإسلامية بأسلوبها الصوفى على الخصوص لتحمل كثيراً من معانى المشابهة والمشاركة بينها وبين العبادة المسيحية » .

ويمضى الناقد قائلا : « ولم تقصر المؤلفة اختيارها على هذا النوع — يعنى نوع الدعوات الصوفية الخالصة - بل هى تعرض لنا ما يلتبس بشىء من الكثافة فى أوراد المتصوفين المعاصرين ، وأن هذين النمطين من أنماط الدعوات الصوفية ليظهران معا بين المسلمين كما يظهران متصاحبين فى تقاليد أكبر الكنائس الغربية » .

نقول : إن عيب هذا الكتاب وأمثاله أن مؤلفيها يحشرون فيها كل ما ينقلونه عن الإسلام إلى صعيد واحد ، ولا يكتفون بالجانب الخالص منه متعللين بدعوى الحيدة واجتناب التحيز لهذا الفريق أو ذاك فيما ينسبونه إلى أتباع الديانة التى هم غرباء عنها ، متهمون بالغرض إذا تشيعوا لفريق من أتباعها على غيره . . . ولولا هذا الخلط الذريع لكانت هذه الدعوات عنوانا صالحا للديانة الإسلامية فى جوهرها ، وهو جوهر العبادة كما قال ناقد الكتاب .

وعندنا أن الإسلاميات التى تنشر فى الغرب تحتمل الترتيب والتقديم بالأولية من وجهة النظر الإسلامية ، فأجدرها بالنشر - وأولها فى هذا الترتيب - أمثال هذه الدعوات والصلوات ، على شريطة السلامة من شوائب التصوف الكثيف كما وصفه ناقد الكتاب ، ومن شوائب التصوف المدخول الذى تطرق إلى الإسلام من بقايا الديانات الشرقية الخالية ومنه ذلك الإغراق فى دعوى الحلول ودعوى « الإلهية الكونية » التى تسمى عند أصحابها بوحدة الوجود ، ولا ينكر المسلم أن يؤمن بالتجلى الإلهى فى آيات الكون بين السموات والأرضين ، فإنه مأمور بالبحث عن هذه الآيات بنصوص الكتاب ووصايا الأحاديث النبوية ، ولكنه ينكر أن يؤمن بالوثنية الكونية التى تصدق على من يؤله الكون كما تصدق على من يؤله جزءا من أجزائه ، فهو فى تنزيهه للوجود الإلهى لا يرفض عقيدة من العقائد كما يرفض هذه « الوثنيات » .

فإذا سلم كتاب الدعوات الإسلامية من أوراد أدعياء الصوفية ، ومن لوثة الحلول ، ووحدة الوجود فكل ما بقى منها فهو الدين الحق على أفضل ما يكون فى عقل الإنسان وضميره ، وليس لدين من الأديان دعوات ، أو صلوات ترتقى إلى أفق من التنظيم أرفع من أفقها الذى ارتفعت إليه فى الإسلام .

فنى البرهمية سبحات من التصوف الروحانى تعلو إلى الذروة بين الدعوات الدينية ، ولكنها تفارق التوحيد دائما كلما أوغلت فى أعماق العقيدة أو رجعت إلى التشبيه بالقوى الطبيعية . وكثيراً ما ينتهى بها أسلوبها فى التنزيه إلى فناء : كالعدم يتساوى فيه الوجود المطلق و « اللاوجود » على الإطلاق !.

وفى غير البرهمية من الديانات الكبرى أوصاف للإله تهبط بالخالق إلى مشابهة الخليقة وتنسب إليه أفعال كأفعال أرباب الديانات الأولى ، وهذه جميعا شوائب للإيمان بالربوبية يتنزه عنها الإسلام ، ولا تخفى على غير المسلمين بل يحسبها بعضهم غلوا فى « الإبعاد بين الخلق والخالق ! » .

ودعوات الإسلام حقيقة أن تسكت المتخرصين عليه ممن يتهمونه بالمادية أو بالوقوف عند حدود الحياة « العملية » التى تتجافى بالمسلمين عن صفاء الروح وتلصقهم بنعيم الأرض حتى حين يتصورون نعيم السماء .

ولو أن كتاب الدعوات الإسلامية خلا من الدعوات المدخولة لكان فى الطليعة من الكتب التى يحق لها النشر بين الأوربيين من وجهة النظر الإسلامية ، ولكننا نستكثر على مؤلف غير مسلم أو مؤلفة غير مسلمة أن يعمل لإبراز الإسلام على هذه الصورة المثلى ، وحسبه أنه يعف عن محاسنه فلا يطمسها .

* * *

أما الكتاب الآخر عن الإسلام ووحدة الجماعة فقد كتبنا عنه منذ شهرين فى مجلة منبر الإسلام ، وخلاصته فى بضعة سطور أن الدعوة المحمدية كانت دعوة تجديد بين أناس غير محافظين ؛ لأن كفار قريش كانوا قد تبدلوا فى معيشتهم وخالفوا سنن البداوة العربية من قبلهم . ولكن الفارق بين تجديدهم وتجديد الإسلام أن الإسلام أعطى ضمير الفرد « مثلا أعلى » يستقيم عليه وجوده بين أبناء قومه وبين بنى الإنسان عامة ، وأنه أعطى الجماعة الإسلامية كيانا يسمى « الأمة » ، ويجعل لها من ثمة قبلة واحدة وإمامة واحدة تثبت على تقلبات الأيام وصروف التاريخ .

وإنما نعود إلى الكتاب على هذه الصفحات لنعلق على تعليق الصحيفة الانجليزية ، فإن ناقد التاريخ - على خلاف العادة فى هذه

الصحيفة ـ قد أنحى على الكتاب ومؤلفه إنحاء يكاد أن ينحدر إلى الإهانة والتنديد، ولعله بهذا المسلك العجيب يعزز الشبهة التى تساور أذهان قراء الصحيفة فى السنوات الأخيرة، وهى شبهة الهوى المصبوغ بصبغة التطرف الاجتماعى الذى يقترن أحيانا بالإسرائيليات ونزعات الهدم والفوضى فى الفن والأدب. وكأنما استحق الدكتور مونتجومرى ذلك الإنحاء عليه من ناقده المتطرف لأن كتابته فى نظره قد تحسب من قبيل المحاباة للإسلام، وإن تكن فى نظر القارئ المسلم دون حق الإسلام فى التعظيم والتحقيق.

وأكبر مآخذ الناقد على مؤلف الكتاب أنه نسى «قابلية الدين» للمفارقات وهو يكتب عن الإسلام وعن النظم السياسية والاجتماعية فى تاريخه، فاستعظم على الإسلام أن ينجو من الاتهام بمصادمة الواقع ومخالفة المعقول، كأنه كان يطالب المؤلف بتكرار المقال عن جمود النظام الاجتماعى فى الإسلام لأنه لم يقرر مبادئ الاجتماع التى تتابعت بعد قيام دعوته لينقض بعضها بعضا إلى هذا الزمن الأخير، وليس تعليقنا على هذا التعليق إنكاراً لما ادعاه عن موقف الإسلام من المذاهب الاجتماعية التى ظهرت منذ قيامه ولا تزال تظهر إلى اليوم، ولكننا نعلق عليه لنقول إن الإسلام قد استوفى شرط الدين حقا لأنه عقيدة تثبت على تقلب المذاهب الاجتماعية ولا تزول مع كل عقيدة منها، وقد يزول نظام رأس المال ويزول غيره من النظم التى تعاديه أو تواليه، ولكن الإسلام يقيم للمجتمع نظاما قويما لا يعنيه تبدل الأسماء حين يكفل له تحريم الاحتكار ويوجب فيه إنصاف العاملين ومعونة العاجزين عن العمل، وأيما نظام يمتنع فيه كنز الذهب والفضة وتداول الثروة بين الأغنياء، ويلتزم فيه المجتمع بأعباء الضعفاء والمحرومين فهو نظام إسلامى مشروع، وهو كذلك نظام إنسانى متجدد، والمسلمون الذين يطبقونه أناس مفروض فيهم أنهم خلائق عاقلة، تنطلق أيديها بتدبير مصالحها ولا تملى عليها قبل ولادتها إملاء الحروف والبنود، لكى تطاع على السماع، ولا تسمح لمن تملى عليهم بموقف غير موقف الخضوع والاتباع.

عباس محمود العقاد

آراء وأحاديث

كلمة الأستاذ الأكبر فى هيئة التخطيط:

فى مساء يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الأول (٢٨ أغسطس) اجتمعت هيئة التخطيط لقانون الأزهر الجديد ، وافتتحها فضيلة الإمام الأكبر بالكلمة التالية:

إخوانى :

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

إن الأزهر الذى حمل رسالته بأمانة وسهر عليها فى مدى عشرة قرون كاملة يعالج فيها تفسير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويبين للمسلمين أخلاق الإسلام وآداب الإسلام ، والمعاملة التى أخرجها الله لعباده — إنه الآن على أبواب عهد جديد مجيد إن شاء الله .

وإنى لأجد نفسى بين عدة لجان أتردد فى أيها أبدأ بشكره ، أنبدأ بشكر رجال الإقليم الشمالى على تلك الزيارة الكريمة ؟ أم بشكر رجال الإقليم الجنوبى على استقبال إخوانهم الشماليين للعمل على تنظيم الأزهر تنظيما يتفق مع مبادئه .

أيها الإخوان :

لقد مرت على الأزهر عدة تنظيمات ، ولكن لم يكن من بينها تنظيم كهذا التنظيم الذى صدر به القانون أخيرا . والذى أقره مجلس الأمة لإقليمى الدولة الشمالى والجنوبى ، هذا التنظيم الذى يتناول الأزهر من بدايته إلى قمته فيتناول جمعيات تحفيظ القرآن الكريم كما يتناول كليات الطب والزراعة والهندسة بجانب كليات الدراسات الإسلامية والعربية ، وهو يشتمل على الخير كله الذى يعم الأزهر ويعم العالم الإسلامى بهذا البعث الجديد ، وكلنا يعرف مهمة الأزهر فى الحياة وهى مهمة لها خطرها ومكانتها .

وهذا التنظيم يشمل هذه المهمة ويؤكدها.

وإنى أحمد الله وأشكره ، على ما أنعم علينا من هذه النخبة الكريمة من علماء الإقليمين الذين سيكون لجهودهم المشكور المتواصل أعظم الأثر فى تخليص الإسلام من الشبهات التى علقت به وليست منه وإظهاره دينا كريما لا شائبة فيه ولا جمود .

هذا شىء مما ستعالجونه أيها الإخوان ، والذى هو بين أيديكم ، تعالجونه بما أعرفه فيكم من الإخلاص والإيمان وما ينتظره منكم الأزهر والعالم الإسلامى كله .

وقد بدا لى فى رحلتى إلى الشرق الأقصى أن هناك شعوبا تتطلع إلى الأزهر وتنتظر منه الإيمان والإرشاد وتنتظر أن يقدم لها غذاء لأرواحها شهيا لا غصة فيه ، وقد مرت على الأزهر أطوار ذاق فيها مرارة الجمود ومرارة العقم .

وقد آن الأوان لأن ينفض هذا الغبار ويظهر مبادئ الإسلام قوية واضحة ، فلا اجتهاد أغلق بابه ، ولا حرية نافعة يحجر فيها على الإنسان فى سبيل الفهم والعلم والتطور .

وإنى أضع هذه الرسالة بين أيديكم مع ثقتى فى أنكم ستبذلون جهدكم بما عرف فيكم من إخلاص وكفاءة وإيمان .

ولست أخص بالشكر جماعة دون جماعة ، ولكن أشكر الله الذى هيأ رجل الجمهورية الأول الرئيس جمال عبد الناصر وهيأ لرجال الأزهر ورجال الجمهورية جميعا لهذا الإعداد العظيم الذى يؤكد رسالة الأزهر ويدعمها . وختاما لكم تمنياتى أن يكلل الله جهودكم بالنجاح والصلاح .

وفقنى الله وإياكم أجمعين .

وفى هيئة تخطيط المعاهد :

وفى الجلسة التى عقدتها هيئة التخطيط للمعاهد الأزهرية ألقى فضيلته الكلمة الآتية :

باسم الله ، وبحمد الله ، وشكره ، وباسم حق الأمة علينا فى التعليم ، وباسم حق الإسلام علينا فى الانتشار والذيوع نفتتح الجلسة مع إخوانى وأبنائى رجال التعليم والتهذيب والتثقيف مستعينين بالله للوصول إلى الغرض المقصود وإلى الهدف المحدد لهذا القانون الجديد الذى وحد بين طوائف الأمة وجعلها طائفة واحدة فى التفكير والتثقيف بعد أن كانت فيما أرى ويرى الناس طائفتين يشبه أن تكونا متخاصمتين كل طائفة لها تفكيرها ولها وجودها ولها دائرة عملها ، ولا شك أن الأمة التى تلتئم من طوائف هذا شأنها تكون أمة هزيلة ضعيفة فى تصورها لأهداف حياتها . أما الآن فنحن نرحب برجال التربية والتعليم ، والأزهر يضع يده وجميع إمكانياته معهم فى النهوض بالأمة والسير بها فى سبيل التقدم والازدهار . ولن يكون هناك بعد هذا رجل أزهرى ، ورجل تربوى ، بل الكل أزهرى والكل تربوى . وهذا من فضل الله علينا ، وهذا هو المنطق الوحيد الذى حظيت به تلك الوحدة التى سرنا إليها فى الجمهورية العربية .

وإنا نشكر الله سبحانه وتعالى على أن مهد لنا ذلك السبيل ، فكنا بالأمس طائفتين يشبه أن تكونا متخاصمتين ، كان الأزهرى ينظر إلى غيره وغيره ينظر إليه كما ينظر الأباعد بعضهم إلى بعض ، وكأن لم يجمعهما وطن واحد ولم تظلهما سماء واحدة ، ولم يفترشا أرضا واحدة ، ولكن من الأمس فقط اجتمع الأزهرى مع غير الأزهرى متصالحين متنافسين مشتركين فى المهمة وفى الهدف وفى السعى إلى الغاية التى يهيئونها لأبناء الجمهورية العربية لا فرق بين مصر ولا بين سورية فالكل سواء فى سورية ومصر والجمهورية العربية بإقليميها وبأجزاء كل إقليم ، أصبح الجميع وحدة لا تعدد بينها فى التفكير ولا فى الهدف ، وهذه غاية كنا نرجوها من الله من عهد بعيد . كان الأزهرى ينظر إلى غيره كما ينظر إلى الأجنبى ، وكان الأزهرى ينظر إلى غيره أيضا نظرة اشمئزاز أو كما يخيلها له وجوده الدينى ، فيفاضل بين نفسه وإخوانه الأزهريين وبين إخوانه غير الأزهريين ، ولكننا الآن والحمد لله قد اجتمعنا جميعا حول مائدة واحدة لبحث قانون التعليم فى الجامع الأزهر - التعليم المشترك بين أبناء الأمة جميعها - الذى يبتدئ بتحفيظ القرآن الكريم ، وهو هو الأساس فى التعليم العام والتعليم الخاص عندنا وعند غيرنا ، ومعاذ الله أن يكون هناك غيره فكلنا واحد ذو تفكير واحد ، فنبتدئ التعليم من تحفيظ القرآن الذى هو الأساس المقدس عند الجميع وينتهى بالكليات فى التعليم الجامعى العام . هذه هى الجلسة الثانية ، وقد سرتنى بالأمس الجلسة الأولى التى كانت تمثل طوائف التخطيط الجامعى الجامعة الأزهرية وقد وصلنا والحمد لله إلى ما اطمأنت إليه قلوبنا ونحن سائرون أيضا معهم إلى أن نصل إن شاء الله لما يطمئن قلوبنا فنحن متحابون والله سيسهل لنا بلوغ الأهداف والوصول إلى الأغراض ، وإنى أكل بعد ذلك العمل إلى الإخلاص الذى نؤمن به عند إخواننا رجال التربية والتعليم ، وبعد أن أشكرهم على تلك الجهود التى بذلوها . أما أبناؤنا رجال الأزهر فإنى أدخر لهم عند الله شكراً لا يعاد له شكر لا منى ولا من أكبر منى فإن شكر الله وثواب الله هو أجزل من شكر العباد وعلى الله التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ؟

فى لجنة التنظيمات الإدارية :

وألقى فضيلة الأستاذ الأكبر الكلمة التالية فى اجتماع هيئة تخطيط التنظيمات الإدارية والمالية واللوائح للمعاهد والكليات :

باسم الله والحمد لله نفتتح الاجتماع الثالث لهيئات التخطيط لقانون تنظيم الأزهر الجديد الخاص بهيئة تخطيط التنظيمات الإدارية والمالية واللوائح لمعاهد الأزهر وكلياته ، وإنى طالما تمنيت على ربى أن تجتمع طوائف المثقفين الدينيين والمدنيين حول مائدة واحدة هى مائدة العلم والتثقيف .

وإنى لأثق فى إخلاصكم للقيام بوضع الخطط والأسس التى تهدف للوصول بالأزهر إلى مستقبل متكامل ، وأكرر شكرى باسم الأزهر وباسم المسلمين لكم على جهودكم ، وإنى إذ أذكر هذا أسجله فى تاريخ حياتى وفى تاريخ الأزهر الذى ظل عشرة قرون كاملة يحمل رسالة الدين ونشر اللغة العربية .

وإن شاء الله سيستمر عشرات القرون حاملا لواء الدين والعلم كل ذلك بفضل إخلاصكم وتآزركم فى النهوض به ، وفقكم الله الخير .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

شيخ الأزهر يستقبل :

مدير جامعة الادفنتست بأمريكا :

استقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمكتبه دكتور رالف واطسن ، مدير جامعة الادفنتست بواشنطن ، يرافقه مستر روبرت دارنل الأستاذ بكلية الشرق الأوسط فى بيروت ، ومستر وليم لاشر الأستاذ بكلية الادفنتست والأستاذ عنتر يعقوب سكرتير جمعية الادفنتست بمصر الجديدة .

وقد دار الحديث حول جهود الأزهر فى سبيل نشر الثقافة الإسلامية فى أنحاء العالم وفى سبيل نشر السلام فى الأرض ، كما تناول ما يقدمه الأزهر لطلاب البعوث الإسلامية الذين تزيد جنسياتهم على الخمسين وتهيئة أسباب الراحة والاستقرار لهم .

ثم سأل الزائر عن مستقبل الأزهر بعد إعادة تنظيمه ، فأجاب فضيلة الأستاذ الأكبر بأن الأزهر فى ظل القانون الجديد سيكون دينياً وعلمانياً ، وسيخرج الأطباء والمهندسين ، وسيوفدهم إلى العالم الإسلامى وسيعالج الطبيب الأزهرى القلب والروح بجانب علاجه للبدن .

وسأل الزائر فضيلته عما إذا كان هناك وسيلة للتعاون بين الديانات للدعوة إلى السلام فى أنحاء الأرض ، فأجاب الأستاذ الأكبر بأن الديانات من الله ، والله وحده هو السلام ، ودعوته إلى خلقه باسم السلام . الذى هو عنوان الإسلام ، فالإسلام يدعو إلى السلام ، وإلى دار السلام والله تعالى يقول : « قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا . ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله » .

فعبر الزائر عن إعجابه بمبادئ الإسلام. ثم صرح لفضيلة الأستاذ الأكبر بأنه عضو فى جمعية السبتيين التى توجد لها إدارة فى واشنطن، وفروع فى أنحاء العالم، وهى تقوم على الدعوة إلى السلام والبعد عن الخمر والميسر والتدخين وأكل الخنزير.

وقد دعا الزائر فضيلة الأستاذ الأكبر لزيارة الولايات المتحدة وقال: وسأكون فى استقبال فضيلتكم فى واشنطن وسيكون لهذه الزيارة أثرها الطيب.

فوعده فضيلته بتلبية هذه الزيارة، وشكره على مشاعره الطيبة.

ويستقبل أيضاً إمام عمان:

واستقبل فضيلة الأستاذ الأكبر بمنزله سمو الأمير غالب بن على إمام عمان، يرافقه شقيقه الأمير طالب بن على، والشيخ أحمد ابن عبيد، والشيخ سليمان محمد.

وقد شهد المقابلة الأستاذ الدكتور محمد البهى مدير الإدارة العامة للثقافة الإسلامية، والأستاذ أحمد نصار مدير مكتب شيخ الجامع الأزهر.

ودار الحديث حول واجب العلماء والأمراء فى مؤازرة الكفاح من أجل الحرية فى جميع البقاع، وبخاصة فى عمان.

قال فضيلة الأستاذ الأكبر: إن الأزهر يضع يده فى أيديكم لنؤكد تضامننا ووحدتنا لمحاربة المستعمرين الطغاة بما حارب به رسول الله، وللعمل على دعم السلام وتأكيده فى كل مكان، وإنى ليحزننى أن أسمع عن محميات عدن باعتبارها محمية من المستعمرين، إن هذا من باب الابتلاء، ابتلينا بهذه الحماية من المستعمرين ولكن فى وقت قريب سيزول هذا الاستعمار البغيض. إننا نريد أن تكون البلاد لأهل البلاد، نريد أن نكون أقوياء فى الدفاع عن أوطاننا، وفى الاحتفاظ بكرامتنا.

ثم تطرق الحديث حول إعادة تنظيم الأزهر فقال الزائر: لقد سررنا بتطوير الأزهر، ونهنئ أنفسنا بهذه النهضة الموفقة، كما زاد من سرورنا أن الأزهر سيكون له مجمع بحوث إسلامى يضم بين أعضائه ممثلين من مختلف البلاد الإسلامية للعمل لتوحيد الرأى ليخرج على جميع المسلمين فى رأى موحد على أساس من كتاب الله وسنة رسوله، بغض النظر عن اختلاف المذاهب.

ثم طلب سموه من فضيلة الأستاذ الأكبر أن تمثل «عمان» فى هذا المجمع الإسلامى الكبير، كما صرح بأنه سيعمل على إيفاد الطلاب من عمان للدراسة فى الأزهر بعد التخلص من الاحتلال البغيض.

ثم أضاف الزائر أن عدد سكان عمان

مليون ونصف مليون من المسلمين مذاهبهم مختلفة ، وأكثر المذاهب عددا مذهب الأباضية.

فقه الأباضية :

وقد صرح الدكتور محمد البهى المدير العام للثقافة الإسلاميه بأن الأزهر سيعنى بفحص تراث الأباضيين ، حتى تكون كلمة المسلمين واحدة ، ثم أعلن أن إدارة الثقافة على استعداد لتلبية كل رغبة لنشر الثقافة الإسلاميه فى أى مكان ، كما وعد ببحث كتاب « جامع ابن بركة » فى الفقه الإسلامى الذى قام بتأليفه الشيخ أبو محمد عبد الله بن بركة ، وهو من المخطوطات القيمة ، حتى يمكن الانتفاع به .

وقد شكر فضيلة الأستاذ الأكبر إمام عمان على زيارته وقال له : إنها لمناسبة سعيدة أن اقترنت زيارتكم لنا بمناسبة كريمة هى ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وإنه لفأل طيب نرجو أن يكون بادرة طيبة لجمع الكلمة وتوحيد الجهود لمقاومة الغاصب فى عمان وفى كل مكان ، وفى نشر السلام فى الأرض ونرجو أن يمنحنا الله القوة والوحدة ويهيئ لنا سبيل التضامن لنواجه كل دولة باغية ، ولنعمل جاهدين حتى يعم بلادنا سلام وخير ورخاء .

وفاة عالم جليل

نعى إلينا ـ والمجلة ماثلة للطبع ـ فضيلة الأستاذ الكبير الشيخ عبد الرحمن عيسى مدير المجلة السابق ومدير تفتيش العلوم الدينية والعربية ، والمجلة إذ تشارك أسرته وإخوانه وتلاميذه شعور الأسى تتوجه مخلصة إلى الله العلى القدير أن يتغمد فضيلته بالرحمة وأن يسكنه فسيح جناته ، وفاء ما قدم للعلم والدين من جليل الخدمات .

الكتب

نقد وتعريف

محمد عبد الله السمان

١ - وسطية الإسلام

لفضيلة الشيخ محمد محمد المدنى :

رسالة لأستاذنا الشيخ محمد المدنى هى إحدى حلقات دراسات فى الإسلام التى تصدرها وزارة الأوقاف ، بحثها جاء مركزاً يوائم صغر حجمها ، وهدفه أولا أن يقتنع المسلم بأنه يعتنق أكمل الأديان وأعدلها ، وفكرته آية كريمة من كتاب الله تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ... » .

أما أسلوب البحث فهو الإفصاح عما يراود الأفكار من شبه ، وأما معنى الوسط فتعريفه فى اللغة : اسم لما بين طرفى الشئ ، وهذه كلها بمثابة مقدمات بين يدى البحث .

عرض أستاذنا بعد ذلك لمظاهر الوسطية : المزاوجة فى طبيعة الإنسان ، الاعتراف بالواقع البشرى ، مسايرة الفطرة وتهذيب الغرائز ، بساطة العقيدة ويسر التكاليف .

وواصل فضيلته بحثه بفصل عن هدى الإسلام فى الزواج والطلاق ، فالزواج سنة طبيعية لا بد منها فى بقاء النوع الإنسانى ، ورابطته مقدسة أسماها القرآن « عقدة النكاح » إشعاراً بأنها رابطة وثيقة يجب الحرص عليها ، وأن فصم ميثاقه الغليظ مما لا يحبه الله تعالى .

وتحدث فضيلته عن الوضع الاجتماعى لكل من الرجل والمرأة . فالأحكام التى تشرع للناس ويصلح عليها شأنهم هى التى توافق طبيعتهم وواقع أمرهم ، ثم ختم أستاذنا بحثه بدراسة موجزة عن بعض أصول الأحكام : القطعيات والظنيات فى الشريعة .

أسلوب المشرع فى العقائد والعبادات والمعاملات ، مجىء التكاليف فى حدود الاستطاعة ، وهو المعبر عنه بنفى الحرج .

إن موضوع الرسالة لم يلتزم كله المدلول اللفظى لكلمة الوسطية ، لأن أستاذنا لم يربط به بعض بحوثه . . كالزواج والطلاق وتحديد الوضع الاجتماعى للمرأة والرجل ، وفضيلته عنى بعرض المعانى الإسلامية عرضاً موفقاً . وإن كان لم يتخلل هذا العرض مناقشة كما عودنا فى كثير من دراساته ، وهو بلا شك من المعروفين بغزارة العلم ، وعمق التفكير ...

٢ — تأملات فى المجتمع العربى

للأستاذ مالك بن نبى

المؤلف عالم جزائرى ، ثقافته أوربية فى التخطيط والمنهج ، إسلامية فى الفكرة والهدف ، وهو مهندس يعنى بالنظريات الرياضية فى شتى أبحاثه التى قدمها المكتبة العربية تحت عنوان « مشكلات الحضارة » وهى زهاء العشرة .

وكتابه الجديد تناول فيه : الصعوبات فى المجتمع ، والمبررات فى المجتمع ، القيم الإنسانية والاقتصادية ، الديمقراطية فى الإسلام ، التضامن الإفريقى الآسيوى . .

وأستاذنا المؤلف يرى أن عبارة ... الديمقراطية فى الإسلام . . مما لا تشعر عادة بأنه يتضمن مسلمة لم يسلم بها أحد تسليم المقتنع ، وإنما نسلم بها خضوعا لمسايرة العرف الذى فرضته علينا الحضارة الغربية ، حتى أصبحنا نضم إلى الإسلام كل ما نعتقد أنه ذو قيمة حضارية دون أى تمحيص فيما يربطه أو يحدد درجة ارتباطه بالإسلام أو ينزه عنه الإسلام ، فلفظة الديمقراطية تعبر عن سلطة الشعب . وهى لفظة مستوردة عرفت فى اللغة اليونانية قبل خمسة قرون قبل الميلاد ، ولفظة الإسلام لم تعرف إلا فى القرآن ، إذن فالصلة التاريخية والجغرافية مفقودة ، ومعنى هذا أنه لا ارتباط بين الديمقراطية . . والإسلام .

لا ريب فى أن مدلول لفظة الديمقراطية هو حكم الشعب ، والإسلام لا يتنكر لهذا المبدأ ، والتزام المسلمين بالقرآن فى الحكم لا ينفى الاعتراف بوجوده ، فالقرآن نصوص بمثابة أصول . يفسرها ويخرج فروعها المسلمون ، والدساتير الوضعية القديمة والحديثه لها إطار وخطوط عريضه ، يعمل فكر الشعب داخلها ، ويشرف على تطبيقها ، وأعتقد أن أمر الشورى الوارد كمبدأ فى القرآن نفسه ، إن دل على شئ فإنما يدل على الاعتراف بوجود الشعب المسلم .

ولا يمكن بعد ذلك أن يكون التباعد التاريخى والجغرافى يبعد كلمة الديمقراطية عن الإسلام،ما دامت مدلولات الديمقراطية هى الاعتراف بوجود الشعب ، والمؤلف فى نهاية هذا الفصل يتفق معنا ، بل يرى أن عناصر التشريع الإسلامى تكون الجانب الاجتماعى فى الديمقراطية الإسلامية ، وأن المبادىء التى قررها الإسلام فى المجالين السياسى والاجتماعى وضعها فى أساس ما يمكن أن نطلق عليه الديمقراطية الإسلامية .

المؤلف أستاذ متمكن من الثقافة الإسلامية ، وإن كنا نود أن تكون عنايته بالأحاديث

للنبوية أدق لاسيما فى الحديث المشهور الذى سأل فيه جبريل الرسول عن الإسلام والإيمان.

٣ — بين يدى عمر

للأستاذ خالد محمد خالد

الأستاذ خالد فى كتابه الأخير هذا ، أديب فنان رقيق الإحساس ، أجلسنا على مائدة عمر بن الخطاب ، وقدم لنا ألوانا شهية من سيرته ـ رضوان الله عليه ، وهو يذكر فى مقدمته أنه : لن يكتب تاريخا لعمر ، ولا يزيد الناس معرفة بعظمته وشأنه ، ولا يزكى على الله نفسه بالكتابة عن رجل أحبه واصطفاه ، والمحاولة التى يصدرها أكثر تواضعا من هـذا كله ، إنه يصغى إلى أمير المؤمنين ... لا أكثر ، ويتطلع إليه لا أقل .

وهكذا يعرض الأستاذ خالد شخصية عمر الذى كان إسلامه استجابة لدعوة الرسول حين دعا الله أن يعز الإسلام بأحب العمرين إليه : عمرو بن هشام «أبى جهل» وعمر بن الخطاب ، وفاز بها عمر ، ووسع الناس بإسلامه خيرا . ثم شخصية عمر الحاكم الكبير القلب ، التى كبرت أمانة الحكم لديه ، فتمثل المسئولية الدقيقة إزاء هذه الأمانة ، حتى كان دائب المناجاة لنفسه فى ظل عمل يظن نفسه أنه غير موفق فيه : ماذا تقول لربك غدا ؟ .

ثم شخصية عمر الحاكم الكبير القلب ، الذى كبرت لديه مسئولية الحكم ، فتعمق فى العدل والمساواة وإطلاق حرية الرأى والنقد لأساليب حكمه ، والسمو إلى أرفع درجات التواضع .

هكذا يعرض لنا الأستاذ خالد عمر بن الخطاب الذى لم يكن رجل سلطان لأنه فوق السلطان ، وإن مشهدا واحدا من مشاهده لخير مما طلعت عليه الشمس وغربت من عروش وتيجان وزخرف وصلف ، وإن الكمال الإنسانى حين أراد أن يحقق وجوده المادى المحسوس تجسد فى نماذج نادرة وباهرة من البشر ، وإن أحد هذه النماذج العليا ، لهو عمر بن الخطاب .

كما يقول العالم الأديب : الأستاذ خالد محمد خالد .

٤ — أحمد بن حنبل

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

كتاب الأستاذ الدومى يعرض شخصية أحمد بن حنبل ، الإمام الممتحن بين محنة الدين ومحنة الدنيا ، دعاه الكلام عن محنته هذه إلى إيراد تفسير لغوى للمحنة لم يسبق إليه فيمن كتبوا عن محنة الإمام ، وقد عرض هذا التفسير اللغوى فى سطور ص ٩٠ مستخرجا من قواميس اللغة مدلول لفظة « محن » .

أما الكتاب فى مجموعه فهو يقدم بشهادات من الفقهاء والمحدثين للإمام وترجمة موجزة لنشأته، ثم يعرضه كشخصية واضحة، ويتناول قصته مع المعتزلة، والنص الكامل لرسالته على الجهمية والزنادقة، وما لقيه من اضطهاد فى حكم المأمون وأخيه المعتصم، والواثق والمتوكل بنى المعتصم، ثم انفراج الأزمة فى عهد الأخير وإقبال الدنيا على الإمام وتعرضه لمحنتها.

وفى الكتاب تسجيل لقصة «خلق القرآن» وهى مخطوطة نادرة لابن الإمام، ثم للنص الكامل لكتاب الإمام عن الصلاة..

الحق أن المؤلف بذل مجهودا فى كتابه الذى يقع فى ثلثمائة وأربعين صفحة تقريبا، والمراجع التى اعتمد عليها مراجع أصيلة، ولم ينقصه جانب التحليل السريع لكثير من الأحداث والمواقف، ولا المسحة التاريخية لها، فجاء الكتاب بعد ذلك رحلة ذهنية ونفسية يقطعها القارئ فى أيام معدودة.

إلا أنه من الملاحظ أن فضيلة المؤلف لم يتقيد تقيدا تاما بالعنوان الذى رضيه لبحثه، فهو كما نعلم «الإمام أحمد بن حنبل» بين محنة الدين ومحنة الدنيا، ولا نظن أن إضافة رسالة الإمام عن الصلاة إلى الكتاب وهى فى أربعين صفحة مما يتصل بموضوع الكتاب، كما أن الاستشهاد بما يستلزمه البحث من مخطوطة ابن الإمام كان يكفى بدل تسجيل نص المخطوطة التى جاءت صفحاتها فى حوالى أربعين صفحة أيضا، وكنا نود أن يستغل هذه الصفحات الثمانين فى صلب موضوع، المحنة وهو موضوع الكتاب، لاسيما وأن المؤلف لم يناقش آراء المستشرقين فى المحنة وهى كثيرة، ولم يكن فى مراجعه إلا كتاب المستشرق «باتون».

ومع هذا فالكتاب جدير بأن يتخذ لنفسه مكانا فى المكتبة الإسلامية.

* * *

٥ — القضاء والقدر

للأستاذ عبد الكريم الخطيب

الأستاذ عبد الكريم الخطيب قدم فى العامين الأخيرين بضعة بحوث إسلامية أخذت مكانها فى المكتبة الإسلامية، وهذا كتاب جديد يعرض قضية القضاء والقدر بين الفلسفة والدين، سنكتفى بالتعريف به فى هذه المرة لنعود إلى مناقشته مرة أخرى لجدارته بالمناقشة والنقد، لأنه يتناول مشكلة دينية خطيرة، لا زالت تشغل الأذهان، ويختلف حولها كثير من العلماء والفلاسفة والمفكرين.

والبحث دراسة كاشفة لمفاهيم ثلاثة:

«الجبر والاختيار. الأسباب والمسببات. الخير والشر».

قدم المؤلف لبحثه بمدخل يتناول بإيجاز عالم ما وراء المادة ، ثم اتبع هذا المدخل ببحث عن الإنسان هذا الكون الصغير ، ثم أفرد المؤلف بابا للجبر والاختيار عند الإنسان ، وبابا للخير والشر إذ كان القضاء والقدر متعلقا بهما ، ثم يجئ بعد هذا مبحث القضاء والقدر ، وينتهي الكتاب بخاتمة تؤيد أمرين : الإيمان بالقضاء والقدر ، وترك المنازعة في القدر والتنقيب عنه .

والبحث في مجمله دراسة منطقية متعمقة ، ومجهود فكرى ضخم لا غنى لباحث عنه .

* * *

٦ — تسلية المحزونين

للشيخ محمد محمود يوسف

فضيلة المؤلف لقى ربه بالأراضي الحجازية قبل أن يرى هذا الكتاب ، وموضوعه : جولة روحية ممتعة ، في حقيقة الدنيا ، وحكمة الابتلاء ، ووسائل النجاة في هذه الحياة ، وألوان من الحكم والطرائف الشهية ، ثم موعظة أبي الحسن . . على الرضا بن موسى الكاظم ابن محمد الباقر بن على زين العابدين ثم أرجوزة تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى ، وهى في المواعظ والحكم ، وكذلك الموعظة الشعرية لصالح بن عبد القدوس .

إن موضوع الكتاب فيه تسلية حقا للذين تخلت عنهم الدنيا ، أو منحتهم الأيام نعمة الابتلاء ، والنفس في حاجة ماسة إلى الترويح ، لاسيما إذا كانت وسيلته جولة روحية ممتعة في كتاب الله وأحاديث رسوله وحكم السلف الصالح . .

* * *

٧ — إصلاح

للأديبة السيدة عزيزة الابراشى

هذه قصة تدور حول قوله تعالى : « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين » وهى قصة جديرة بالتقدير ، ودليل جدارتها تقريرها في وزارة التربية والتعليم للإقليم الشمالى .

إن هذه القصة انتزعت وقائعها من صميم المجتمع الذى تحيا فيه ، كما يقول ناشرها ، الذى رأى في نشرها تدعيما لأخلاق هذا الجيل الذى كثرت أمامه المزالق وأغراه ما في الحضارة الحديثة من تهور وانطلاق . .

وحوادث القصة تدور حول فتاة عاشت في بيئة منحرفة متحللة ، حاولت أن تتمرد على تقاليدها لتعود إلى حظيرة الأخلاق الإسلامية ، ولقيت صعابا ومتاعب ، وجاهدت جهاداً عنيفاً ، حتى استوت في النهاية على سفينة النجاة . .

محمد عبد الله السمان

بريد المجلة

وفاة الأستاذ أحمد شفيع السيد :

نعت مشيخة الأزهر فى الثامن من ربيع الأول سنة ١٣٨١ هـ إلى ربوع العربية وديار الحنيفة فضيلة الأستاذ الكبير أحمد شفيع السيد أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية كما نعاه تلاميذه المدرسون الأوائل بوزارة التربية والتعليم ، فكان لرحيله المفاجئ وقع أليم فى الدوائر الدينية والتربوية والأدبية ، وتصاعدت عليه زفرات حارة لم يحبسها أنه انتقل إلى سعة عفو الله ورضوانه العميم .

لقد ظل الفقيد قرابة خمسة وعشرين عاما بمنصبه فى الكلية يغرس فى نفوس أبنائه حب الأدب والعلم وينمى ما يبرز من المواهب والملكات تنمية يسددها البصر الثاقب ويحوطها العطف النبيل ، فكان درسه الأدبى سلسلة تتصل بدروس من سبقه من أشياخ الأدب السلفى كالمرصفى والمهدى والسكندرى وعبد المطلب ، وكان رحمه الله راوية لا يشق له غبار فهو يحفظ من شعر الجاهلية والإسلام وتراث بنى العباس والأندلس ما لا يكاد يلم به سواه ، ومن جميل ما يحمد له أنه كان يروى كثيراً من القصائد السياسية المعاصرة التى كانت تقوم بعض الأسباب دون إذاعتها كهجاء المنفلوطى لعباس ، ومرثية محرم لابراهيم الوردانى الفدائى المصرى ، وكلام بيرم التونسى فى فؤاد ، وحديث شوقى عن عرابى ؛ فيمتعنا بهما فى مجالسه إمتاعا يزيده ما يرويه من الطرائف الأدبية التى تزدحم بها كتب الأمالى والنوادر ، وله فى هذا الميدان سبق ظافر ، حتى إن حديثه العادى لا يخلو من نكتة ذوقية أو تورية فنية يرسلها عفو الساعة كما تجىء .

وكان من عاداته أن يتبسط مع طلابه فى الموازنة والنقد تبسطا سمحا نبيلا ، حتى ليروق له أن يتخلى عن بعض آرائه تشجيعا لطالب أبدى ملاحظة مهمة ، أو عقب على شرحه بجديد ، وأذكر أنى عارضت بعض آرائه فى ابن زيدون مندفعا فى مغالاة أمام زملائى بالفصل ، فابتسم الرجل ابتسام من يستمع إلى التأييد لا التفنيد ، ثم أطرى وجهة نظرى إطراء مشجعا ، ومما قاله إذ ذاك إن سلامة المقدمات دليل لا يخطئ على صواب النظر مهما اختلفت النتائج بينى وبينه ، فكانت سماحته الكريمة درسا لا أنساه ،

كما أنى حدثته ذات مرة عن أسباب الخلاف الأدبى بين زكى مبارك وعبد العزيز البشرى ، ومضت سبعة أعوام أصدر بعدها ترجمة حافلة للبشرى ، وفى خلالها ما حدثته به منسوبا إلى فى عطف وتشجيع .

ولد رحمه الله بالإبراهيمية شرقية فى أبريل سنة ١٩٠٣ ثم التحق بالأزهر عشر سنوات نال بعدها شهادة العالمية سنة ١٩٢٦ متخطيا بعض سنى الدراسة عن طريق الامتحان الخارجى حيث لا يمنع القانون إذ ذاك ، ثم اشتغل بالمحاماة الشرعية فترة قصيرة جاوزها إلى التدريس بالمعاهد الدينية تسع سنوات فانتقل بعدها إلى كلية اللغة سنة ١٩٣٧ وصار أستاذ الأدب بها كما تقدم ، وقد أشرف على كثير من الرسائل العلمية التى تقدم بها طلبة تخصص المادة فى البلاغة والأدب فكان يقترح الموضوع ويعد مراجعه ويرسم منهجه ، حتى أعان نخبة ممتازة من طلابه أصبحوا بعد حين زملاءه بالكلية فرعوا له حق الإرشاد والتوجيه ، ولم يشغله التدريس عن التأليف فأصدر كتابا عن الأدب الفاطمى والأموى ورسالة قيمة عن المتنبى وأربع مجموعات مختارة من أدب العصور ، كما كتب عدة تراجم تحليلية للبارودى والمنفلوطى والبشرى وصفى الدين الحلى ، وله ديوان شعرى ينحو فيه منحى البحترى سلاسة ورونقا ، وقد اشترك مع مع زميله الأستاذ محمود رزق سليم فأخرجا كتابا حافلا عن الأدب الحديث وزعت ملازمه متفرقة على الطلاب دون أن يجمع ، وله غير ذلك مقالات ذائعة وبحوث شوارد .

أما أخلاقه الكريمة فشاهدنا القوى على أصالتها المتينة أنك لا تعرف بين زملائه العلماء وأبنائه الطلاب إنسانا واحدا لا يلهج بالثناء عليه ، فقد كان رحمه الله يعيش لغيره لا لنفسه ، وكثيرا ما تردد على المصالح العامة والوزارات المختلفة فى شئون الضعفاء من ذوى الحاجات متحملا كل عنت وإجهاد لينهض بعاثر ، أو يذهب بمحنة ، وقد يعطى من مرتبه المحدود إذا أعوزت الحاجة وقامت الموانع ، وله فى هذا المجال أنماط من الفتوة الإسلامية جديرة أن تعيد مجد الأريحية وقصص المروءة ، ولست أحابيه فى ذلك فقد تقدم إلى عمله بين يدى الله ولم يبق للمحاباة مجال يتوهمه الناس ، وكان يجشم نفسه الرد على كل رسالة تأتيه فى شأن من شئون البذل والمسعى بعد أن ينفق غاية الجهد فى تحقيق ما يستطيع ، كما كان يسطر لزملائه وطلابه رسائل بديعة تبتدئ دائما باسم الله وحده والصلاة على نبيه ثم تفيض بضروب من المثل السائر والقافية الشرود كما نعهد فى رسائل حفنى ناصف ومحمد المويلحى

وحزه فتح الله مترسما فى أكثرها طريقة ذوى البلاغات من صدر القرن الرابع الهجرى مترسلا تارة، وساجعا تارات، فهو مرة أبو حيان ومرات ابن العميد، ولك أن تزيد.

أما ديوانه الشعرى فسأجعله موضع حديثى القادم فى مجلة الأزهر، وإنى إذ أستمطر عليه سحائب الرحمات أتلو قول الله عز وجل يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية، وإنا لله؟

محمد رجب البيومى

إلى صاحب اللغويات:

قال العلامة الأستاذ محمد على النجار فى لغوياته التى نشرت بعدد المحرم سنة ١٣٨١ تحت عنوان « فلان كفء للعمل ».

« وقد نبهنى الأستاذ الجليل محمد خلف الله عميد كلية الآداب بجامعة الإسكندرية إلى أن الاستعمال المنقود . . » .

وقد لفت نظرى فى تعبيره السابق أنه عدى الفعل « نبه » إلى مفعوله الثانى بحرف الجر « إلى » والصواب أن يعدى بعلى: فكذا ورد فى المعجمات:

ففى « مختار الصحاح » - المعجم المدرسى - « ونبهه أيضا على الشىء وقفه عليه فتنبه هو عليه » .

وفى القاموس « وهذا منبهة على كذا » . وفى الأساس « تنبهت على الأمر تفطنت له » وفى لسان العرب « ونبهته على الشىء وقفته عليه فتنبه هو عليه » .

وقد دفعنى إلى كتابة هذا ما أعرفه من حرص الأستاذ البحاثة الشديد على تقويم كل تعبير معوج. ورده إلى أصله العربى السليم، وهو حرص يشكر عليه أجزل الشكر؟

أحمد قاسم أحمد

مدرس أول بقنا الإعدادية للبنين

هل يجوز بناء حوانيت تحت المسجد؟:

وجه السيد محمد على حسين، من عدن، السؤال التالى إلى لجنة الفتوى بالأزهر وإلى لجنة الفتوى بإدارة الوعظ.

«مسجد قديم قد تخرب فى عدن وأراد أهله إعادة بنائه، وليس له موارد ينفق عليه منها ويخشى أن تتعطل إقامة الشعائر فيه، فهل يجوز بناؤه بحيث يجعل أسفله حوانيت ليصرف من ريعها على مصالح المسجد » .

فأجابت عنه اللجنة بهذا الجواب:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فنفيد بأن ذلك جائز شرعا لا حجر فيه كما هو صريح مذهب الإمام أحمد رضى الله عنه، قال فى « كشاف القناع »

الجزء الثانى صفحة ٤٧٣ طبعة العامرية الشرفية : (ويجوز رفعه ، أى المسجد ، إذا أراد أكثر أهله ذلك ، وجعل تحت سفله سقاية وحوانيت ، نص عليه فى رواية أبى داود) والله تعالى أعلم ؟ .

ووضعت لجنة الفتوى التابعة لإدارة الوعظ بالأزهر البحث التالى عن هذا الموضوع :

لم ترد نصوص من الكتاب والسنة تتناول هذا الموضوع بخصوصه ولذلك اجتهد الفقهاء فيه على ضوء المصلحة العامة التى أكدت وجوب مراعاتها النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة وعمل الخلفاء الراشدين والسلف الأخيار .

ومن هنا اختلف الفقهاء فى جواز استغلال شغل المساجد ببناء الحوانيت والمساكن أو عدم جواز ذلك ، وفى زوال صفة المسجدية عنها إذا تهدمت أو استغنى عنها ، أو عدم زوالها تبعا لرعاية المصلحة أو لرعاية التعظيم المطلوب لها ؛ ففى حاشية ابن عابدين - الجزء الثالث صفحة ٥١٢ — « إن شرط كونه مسجدا أن يكون سفله وعلوه مسجدا لينقطع حق العبد لقوله تعالى: وأن المساجد لله » .

بقاء صفة المسجدية وزوالها :

أما بقاء صفة المسجدية أو عدم بقائها فيرجع إلى الأسباب المباشرة فى إقامتها ، فهل إذا تهدم ما حولها واستغنى عنها تزول صفة المسجدية مراعاة لزوال هذه الأسباب أو لا تزول مراعاة للأثر الذى حدث واستقر ، فقد جاء فى فتح القدير — الجزء الخامس صفحة ٦٤ — ولو خرب ما حوله واستغنى عنه يبقى مسجدا عند أبى يوسف لأنه إسقاط منه فلا يعود إلى ملكه ، وعند محمد يعود إلى ملك البانى فصار كحصير المسجد وحشيشه إذا استغنى عنه ، وجاء فى حاشية ابن عابدين — الجزء الثالث صفحة ٥١٣ — ولوخرب ما حوله واستغنى عنه يبقى مسجدا عند الإمام، والثانى — أى أبى يوسف — أبدا إلى قيام الساعة وعاد إلى الملك — أى البانى - أو ورثته عند محمد » .

فرأى محمد ، وهو من أئمة الأحناف ، أن المسجدية تزول عن المسجد عند ما يتهدم ما حوله ويستغنى عنه ، ويرجع أصله إلى المالك أو ورثته وحينئذ للمالك أو لورثته أن يتصرفوا فيه من جديد حسبما يشاءون . بل إن المسجد يجوز أن ينقل من مكان إلى مكان آخر للصلحة ، ويزول عن المكان الأول صفة المسجدية ؛ فقد جاء فى المغنى لابن قدامة - الجزء السادس كتاب الوقوف والعطايا — « لنا ما روى أن عمر رضى الله عنه كتب إلى سعد لما بلغه أنه قد نقب

بيت المال الذى بالكوفة : انقل المسجد الذى بالتمارين واجعل بيتاً فيه قبلة المسجد ، فإنه لن يزال بالمسجد مصل ، وكان هذا بمشهد من الصحابة ولم يظهر خلافه ، وقد ذكر ابن قدامة هذا الدليل بعد أن ساق الخلاف فى هذا الموضوع يقوى به رأى الحنابلة فى جواز نقل المسجد وزوال صفة المسجدية عنه تبعا للمصلحة .

بقاء الحوانيت :

أما بقاء الحوانيت بأسفل المساجد أو استغلال علوها للسكنى فقد حكى ابن قدامة خلاف الفقهاء فيه وقوى الجانب الذى يرجحه حيث قال فى المغنى ـ الجزء السادس كتاب الوقوف والعطايا — « إذا جعل علو داره مسجدا دون سفلها أو سفلها دون علوها صح . وقال أبو حنيفة لا يصح لأن المسجد يتبعه هواؤه . ولنا أنه يصح بيعه ويصح وقفه كالدار جميعها ولأنه تصرف يزيل الملك إلى من يثبت له حق الاستقرار والتصرف فجاز فيما ذكرنا كالبيع ، وجاء فى كتاب الدين الخالص للشيخ محمود خطاب « ويجـــوز نقض مناره وجعلها فى حائط المسجد لتحسينه ويجوز تحويل بابه من جهة إلى جهة أخرى للحاجة ويجوز رفعه أى تعليقه — إذا أراد أكثر أهله — أى أهل المنطقة التى يقع فيها المسجد وجعل تحت سفله سقاية وحوانيت » .

رأى اللجنة :

والذى نراه أن خلاف الفقهاء فى أمر الحوانيت أو السكنى فى سفل المسجد أو فى علوه لا يقف أمام الضرورة ، فإن المساجد — كى يبقى الإشراف عليها ويدوم الاهتمام بها — لا بد لها من موارد ثابتة ، وقد تكون هذه الموارد حوانيت للتجارة أو بيوتا للسكنى فى سفل المسجد أو فى علوه . وقد اعترف بالضرورة كمبدأ عام فقهاء الحنفية ومثلوا لها بضيق مساحة البلدة وكثرة السكان فيها ، فقد روى عن أبى يوسف أنه جوز الوجهين — أى العلو والسفل — حين قدم بغداد ورأى ضيق المنازل فكأنه اعتبر الضرورة ، وروى محمد بن الحسن أنه حين دخل الرى أجاز ذلك كله أى بناء الحوانيت والمساكن فى السفل والعلو » : فتح القدير الجزء الخامس ٦٣ والله أعلم .

فضل بعض الأيام بمكة :

لبعض الأيام فى الإسلام تاريخ وذكريات كيوم بدر وفتح مكة ، ولبعض الأماكن قدر وقداسة كالبيت الحرام والمسجد الأقصى .

ولبعض الليالى والأمسيات أضواء ونفحات كليالى الإسراء ، والهجرة ، والقدر فهى من أمسيات الله التى توحى بذكريات تحيا بها موات القلوب وتطامن بها من نزعات النفس ونزغات الإثم .

وقد امتدت المغالاة إلى بعض الليالى فألصقت بها ما ليس منها ، وأضفت عليها ما تبرأ الحقائق منه ، وما تؤيد الأسانيد بطلانه . وليلة النصف من شعبان من هاتيك الليالى التى تطاول عليها التمويه والتشويه حتى كاد يطمس وجه الحقيقة ، إذ اعتمد البعض على أحاديث واهية واهنة ، وأقوال مريضة عن فضلها ومكانتها وأن من صام نهارها وقام ليلها ودعا بدعائها فى مسجد مع جماعة غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ولو كانت أوضاره ومجترحاته مثل زبد البحر ! وهطل عليه الرزق من حيث لا يدرى ولا يحتسب ، ومن بعد ذلك كله ينسخ الله عمره المحدد ويكتب له فى هذه الليلة عمراً جديداً مديداً ! ! .

فلا عجب أن رأينا العامة ومن لا يعرف المساجد ولا تعرفه بيوت العبادة يسرع إلى المسجد قبيل غروب شمس يوم النصف من شعبان ويصلى ركعتين بنية طول العمر ، ثم يرفع يديه مع الرافعين ويجأر بالدعاء الموضوع الخاص بها وهو « اللهم ياذا المن ولا يمن عليه » ويكرر الدعاء مرة أخرى لرفع البلاء ومرة أخيرة لمنع الشقاء والاستغناء عن الناس !! . ويعتمد الداعى على ما فعله فى هذه الليلة ويركن إليه ثم يفعل ما بداله بعد ذلك معتقداً أن دعاء النصف يجبُّ كل خطيئة ويمحو كل سيئة .

أما النصوص الشرعية التى يعتمد عليها الباحث ليعلم أن كل مظاهر هذه الليلة بدع دخيلة لا تقرها الشريعة الصرفة الخالصة ، ومفتريات زائفة ومحدثات باطلة وأضاليل وأباطيل من هذه النصوص ما جاء فى كتاب العارضة للقاضى أبى بكر بن العربى : « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يساوى سماعه » وفى كتاب الأحكام « ليس فى ليلة النصف من شعبان حديث يعول عليه ، لا فى فضلها ، ولا فى نسخ الآجال فيها فلا تلتفتوا إليه » . وقال الإمام النووى فى كتاب المجموع « صلاة الرغائب لأول جمعة من رجب ، وصلاة ليلة النصف من شعبان بدعتان منكرتان » .

ولا يغتر أحد بأنهما ذكرا فى كتابى : قوت القلوب ، وإحياء علوم الدين ، ولا بالحديث المذكور فيهما إذ أن كل ذلك باطل .

وهناك غير ذاك من الأدلة على أن هذه الليلة ليلة عادية تحيا كسائر أخواتها من ذلك

ما أورده الحافظ بن الجزرى فى كتابه «الحصن» والفقيه أبو شامة فى كتابه «الباعث».

وقد أزال المغفور له الأستاذ الإمام محمد عبده ما ران على وجه هذه الحقيقة من سحائب وشوائب فقال فى ص ١٣٢ من تفسيره جزء عم: ... أما ما يقوله الكثير من الناس من أن الليلة المباركة التى يفرق فيها كل أمر حكيم هى ليلة النصف من شعبان وأن الأمور التى تفرق فيها هى الأرزاق والأعمار، وكذلك ما يقولونه من مثل ذلك فى ليلة القدر فهو من الجرأة على الكلام فى الغيب بغير حجة قاطعة، وليس من الجائز لنا أن نعتقد بشىء من ذلك ما لم يرد به خبر متواتر عن المعصوم صلى الله عليه وسلم. ومثل ذلك لم يرد، لاضطراب الروايات وضعف أغلبها، وكذب الكثير منها.

ومثلها لا يصح به الأخذ فى باب العقائد ومثل ذلك يقال فى بيت العزة ونزول القرآن فيه جملة واحدة فى تلك الليلة، فإنه لا يجوز أن يدخل فى عقائد الدين لعدم تواتر خبره عن النبى صلى الله عليه وسلم ولا يجوز لنا الأخذ بالظن فى عقيدة مثل هذه وإلا كنا من الذين قيل فيهم «إن يتبعون إلا الظن»، وقد وقع المسلمون فى هذه المصيبة: مصيبة الخلط بين ما يصح الاعتقاد به من غيب الله ويعد من عقائد الدين وبين ما يظن به للعمل على فضيلة من الفضائل.

وعن هذه الليلة يقول فضيلة الإمام الأكبر الشيخ محمود شلتوت فى كتابه الفتاوى ص ١٧٥، «والذى صح عن النبى صلى الله عليه وسلم وحفظت روايته عن أصحابه وتلقاه أهل العلم والتمحيص بالقبول إنما هو فقط فضل شهر شعبان كله لا فرق بين ليلة وليلة، وقد طلب فيه على وجه عام الإكثار من العبادة وعمل الخير، وطلب فيه الإكثار من الصوم على وجه خاص؛ تدريبا للنفس على الصوم وإعداداً لاستقبال رمضان؛ حتى لا يفاجأ الناس فيه بتغيير مألوفهم فيشق عليهم. وقد سئل النبى صلى الله عليه وسلم: أى الصوم أفضل بعد رمضان؟ فقال: شعبان لتعظيم رمضان. أما خصوص ليلة النصف والاجتماع لإحيائها وصلاتها ودعاؤها فإنه لم يرد فيها شىء صحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم، ولم يعرفها أحد من أهل الصدر الأول».

محمود بن الشريف
عضو مراقبة الكتاب
بوزارة التربية المركزية

Re-organisation of Al-Azhar University is a new revolution

By

Abd El-Moneim Khattab

More than one thousand years ago, The Fatimi leader "Gawher" had built Al-Azhar Mosque. He had built it to be a place for worshipping, but gradually, the Mosque has become, not only a place where prayers are performed, but also a school where Muslims receive religious educations.

At present time, the government of revolution issued the law of the re-organisation of Al-Azhar university. The new law stipulates that besides the faculties for Islamic studies, other faculties will also be established for Engineering, Industries, Agriculture, Medicine and Administration.

Moreover, the law maintains that Al-Azhar is the greatest Islamic authority, upholding Islamic heritage and its dissemination, and the graduation of highly educated men of Religion who participate in all fields of activity and production, besides being the cultural tie that binds Arab, Islamic and foreign institutions. According to the articles of the law Arabic will be the language of studies, other foreign languages will be taught compulsory and Al-Azhar will undertake everything related to higher education and research.

Also, the law stats that the university degrees will be made equivalent to other United Arab Republic universities. The facultie's degree will be equivalent to B.A. the Specialisation degree will be equivalent to the M.A., And the scholar degree in Islamic or Arabic Studies will be equivalent to Ph. D. . Due to the new law, Al-Azhar has become, not only a religious university, but also a civic one which shares in all fields of Religion and life.

which is situated on the east. A road about 90 k.M. long joins Mecca with Guda. The Former's height above the red sea level is about 280 Meters.

The sacred temple is situated in the middle of Mecca. Its area surface is about four feddans and a quarter. In the midst of the sacred mosque there is a building about 15 meter height and its area surface about 150 square meters. Its ceiling is adorned with attractive ornaments and set up on three pillars made of aloes wood, every pillar is about a quarter meter and it is built of strong blue stones.

This building is called Kaaba or the house. At times it is called the sacred home or the aged one. It is the Kibla of all Moslems throughout the world. Kibla or the prayer niche, is the place towards which all the prayers direct their faces and hearts.

The stone situated there now is a symbol which shows the place where Abraham stood up to pray.

It is ment by evident signs or plain memorials, the proofs that show the truth of Mohamad and that he calls unto the way of God on the basis of Abraham religion.

It is ment by "who entereth it is safe" that it is a place protected from harm or hurt, God says. "Have they not seen that we have appointed a sanctuary immuve (for violence) while mankind are ravaged all around them? Do they then believe in false and disbeliene the bounty of Allah" (The surah of the spider verse 67).

God replies Abraham's request to make it safe when he raised up his eyes to the sky and prayed for safety "And when Abraham said "My Lord made safe this teuitory and preserve me and my sons from serving idols" (the Surah of Abraham, verse. 35).

In the end, pilgrimage is not a compulsory duty, but one must be able to shoulder its task at first and foremost.

In fact, God is not in need of people. Mohamad is but a messenger, Messengers like of whom had passed away before him. He whom does not believe and he who turns back does no hurt to Allah, and Allah will reward the Handful.

Mohamed does not call the people to do something quite different from what the prophets before him had called.

God says "He hath ordained for you that religion which he commended unto Noah, and that which we inspire in three "Mohamed" and that which we commended unto Abraham and Moses and Jesus saying : Establish the religion, and be not divided therein. Dreadful for the idolaters is that unto which thou callest them. Allah chooseth for himself when he will, and guideth unto himself who turneth (to reward him) (Surah the counsel V. 13).

In another place God emphasizes this case plainly. He says "And strive for Allah with the endeavour which is his right. He hath chosen you and hath not laid upon you in religion any hardship, the faith of your father Abraham (in yours). He hath named you Muslims of old time and in this (scripture) that the messenger may be a witness against you, and that ye may be witnesses against mankind. So establish worship, pay the poor-due and hold fast to Allah. He is your protecting friend. A blessed Patron and a blessed Helper ! "

Pilgrimage is one of the clear proofs that Islam is the same religion of Abraham. The sanctuary that Abraham had built with the help of his son Ismael is held in high respect and estimate in Islam.

To clarify this point of view God says : " Lo ! the first sanctuary that was founded for mankind, was that in Becca-blessed and a guidance to human beings.

In it are evident signs, even the standing place of Abraham, and he who entereth it is safe. And the pilgrimage to the temple is a service due to God from those who are able to journey thither. And as to him who believeth not, verily God can afford to dispense with all creatures ! " (Surah, the family of Imran, verse, 97).

If was said that the angles or Adem or his son shayth had built the Kaaba, but this is mere imagination. It is a matter of fact that it had been erected up by the Prophet Abraham and his son Ismael " And when Abraham and Ismael were raising the foundations of the house. Abraham prayed : Our Lord, Accept from us (this duty) Lo ! thou only thou, art the hearer, the knower. " (the Surah of the cow. verse 127).

It is not meant by the first sanctuary that it was the first one which had ever been built on the earth, but it is meant that it is the first sanctuary appointed with the view to worship God sincerely.

Becca is Mecca and it is called in some Arabic references "the mother of villages". Its harbour is Guda

THE FIRST SANCTUARY

BY

Dr. Gamal Eldin Al-Ramadi

The jews spared no effort to hinder Islam from spreading amongst the Arabs. They left no stone unturned, and used all the weapons of wickedness, mischievousness, slander, and calumny for that purpose.

They surrounded Islam with an atmosphere of falsehood. They pretended that the delicacies which God prohibted had been prohibited for many years ago on Noah, Abraham, Israel, and the children of Israel. They were not the only people interdicted form enjoying delicacies owing to their opression.

The jews pretended that, with the object to deny all sorts of opression and iniquity relating to them and to accuse the glorious Qur'an of being wrong.

But God says " Because of the wrong doing of the jews we forbade them good things which were before made lawful unto them, and because of their much hindering from Allah's ways and of their taking usury when they were forbidden it, and of devouring people's wealth by false pretences. We have prepared for those of them (who disbelieve) a painful doom" Surah the women verse 160.

God reveals their falsehood several times and shut their mouths with God's outstanding proofs. God says in the surah of the family of Imran.

"All food was lawful unto the children of Israel, save that which Israel forbade himself (in days) before the Torah was revealed. Say : produce the Torah and read it (unto us) if ye-are truthful.

[The Surah of the family of Imran verse 93].

Amongest their hollow lies they pretended that they followed the religion of Abraham and simulated that it did not differ from their religion with the intention of preventing the people from adopting Islam and inducing them to stick to the jewish religion.

God defies the jews once more and declares frankly in His glorious book that Islam does not differ from the old religion of Abraham, and

has forbidden the adornment of God which He has brought forth for His servants and the good provisions ?" (Verses 31-32, Surah 7.)

These verses do not call man to ignore the actuality of life. The second verse does not deny the adornment, while the other asks one to attend to his adornment especially at the time of devotion. Islam wants man not to perfer the life of the world on the other one. Qur'an says "Our God, give us (thy bounties) in this world !" But they will have no portion in the Hereafter. And there are men who say "Our God, give us good in this world and good in the Hereafter, and defend us from the torment of fire !" (Surah 2. verses 200-201.)

To prefer world on the Hereafter, means to prefer materialism on spiritualism which is the human values that can be conceived by the human mind and which one considers it the goal of his life. These values are justice, respecting relationship, and human brotherhood ... etc. Because the spiritual existence will last for ever, the religion calls it Hereafter. And in the Hereafter, God will reward one or punish him accordind to his deeds during his life in the world.

Thus, Islam in its orientation of man, neither changes his nature, nor outweighs one side over the other. It wishes to creat an identety for the human being. That identety is dualistic, contradictious and positive, It may be subjected to materialism and perhaps controls it. That identety feels the tangible things, and thinks over the unseen ones, it may be influenced by the actual life and it may affects the sensational world and controls it.

Equitably and justly, Islam deals with that identety in all aspects of life. And because Islam is the normal source of orientation, it is the religion of mankind. Therefore, the society which strives hard to achieve a better life, should embrace Islam as its faith and system of life.

which He has multiplied in varying colours (and qualities): Verily in this is a sign for men who celebrate the praises of God (in gratitude). It is He who has made the sea subject, that Ye may eat there of flesh that is fresh and tender, and that Ye may extract there from ornaments to wear; And thou seest the ships therein that plough the waves, that you may seek (thus) of the bounty of God, and that you may be grateful. And He has set up on the earth mountains standing firm, lest it should shake with you; and rivers and roads; that you may guide yourselves. And marks and sign-posts and by the stars (men) guide themselves. Is then who creats, like one that creats not? Will Ye not receive admonition? If Ye would count up the favours of God, never would Ye be able to number them: For God is oft-forgiving, most merciful." (Surah, the Bee, verses 4-18).

Not only the Qur'an describes the human nature as a positive and printable nature, or does not affected by sensational world but also appeals to human mind and comprehention for a rational judgement. So Qur'an says "Surely there is a sign in this for a people who reflect" "Surey there are signs in this for a people who understand."

It is quite obvious that mind cannot correctly judge, unless it is impartial and also out of any imprission. In order to issue a sound judgement, Islam wants man not to neglect his sensational life, but to raise his reasonable ideas upper it. The next verses explain these facts clearly "And in yourselves, do you not see" (Surah the wind, verse 21).

"And gave you ears and eyes and hearts, little it that you give thanks" (Verse 9. Surah 32).

"And God brought you forth from the wombs of your mothers-you know nothing and He gave you hearing and sight and hearts that you might give thanks." (Verse 18. Surah 16.)

In his loneliness, man can comprehense Divinity as well as he can apprehend that, from his actual life. Thus, man with the help of his thought, can be above the material actuality, with touch of it and without being far from it. To enable minds to issue a reasonable judgement, Islam wants people not to be under pressure of actuality and its influences. From this comes the meaning of the Ascecitism in Islam. Ascecitism does not mean to shun the actual life, but it attracts only the attention against resignation to materialism. Qur'an says "O children of Adam, attend to your adornment at every time of prayer." „Say: who

actual and sensational world, dismissing the relation between this orientation and the human nature.

Surely, materialistic or actuality in any orientation, gives the interest to man's life through its actuality alone. Hence, it is not more suitable to the human nature, than the ideal rationalism, which only considers the thinking and understanding, without giving the effects of actual existence upon man's life any consideration.

From the above mentioned facts it can be concluded that, if there is a reasonable orientation, which heeds the contradiction of the human nature, and heeds also the influences of the actuality upon man's life, this orientation will be more suitable and comfortable for the human nature. It will lead the man and his society to the required goal to realize a better human standard.

Islam is the natural origin of orientation :

But, is Islam the origin of that reasonable orientation ? Does it call the Prophet to be connected with the actuality and to examin it in the same time ? Surely, when Islam calls one to believe in God, it guides him to come nearer to actuality, and also to seek proofs, of the existence of God, in his actual life. Qur'an says :

"He has created man from a sperm-drop; and behold this same (man) becomes an open disputer ! And cattle He has created for you (men) : From them you drive warmth, and numerous benefits, and of their (meat) Ye eat. And Ye have a sense of pride and beauty in them, as you drive them home in the evening, and as you lead them forth to pasture in the morning. And they carry your heavy loads to lands that you could not (otherwise) reach except with souls distressed : For your God is indeed most kind, most merciful. And (He has created) horses, Mules, and donkeys, for you to ride and use for show, And He has created (other) things of which Ye have no knowledge. And unto God leads straight the way, but there are ways that turn aside : If God had willed, He could have guided all of you. It is He who sends down rain from the sky : From it Ye drink, and out of it (grows) the vegetation on which Ye feed your cattle. With it He produces for you corn, olives, Date-palms, grapes, and every kind of fruit : Verily, in this is a sign for those who give thought.

He has made subject to you the Night and the Day; the Sun and the Moon; and the Stars are in subjection by His command : Verily in this are signs for men who are wise. And the things on this earth

do not exactly represent the principles of that orientation as it is supposed to be, especially when it is examined by an impartial mind. However close the people reaction to these principles, it may be rejected by some of them, at least, in their interior feelings. They also cannot respond themselves with the principles of this orientation. Hence, we cannot consider this orientation as a true representation for this society.

Actually, the "deeds of the people of Al-Madinah" are not considered in the view of the Shafie school as an islamic regulations, although the Malakite school considered it as an islamic rules explained by the Prophet " peace may be upon him ". In this respect, Shafie said " 1 only accept the authentic and uttered Hadith ". It is quite apparent, that the deeds of Al-Madina people — that Shafie considered it as an incomplete proof for the authentic Hadith - are of those who had been closely associated with the Prophet and the time of revelation. They were the frist pioneers of Islam, and nearer to the islamic teachings than the others, therefore, we must put their time and society in our consideration. The Prophet Mohamad Said " The century in which 1 live is the best, then those who come after mine, then those who come after them ".

According to these two main sources, we come to conclusion that, when the principles of any orientation are compatible with the human nature in its formation, its developement and also its entention ; it will be completely convenient, especially, in guiding people and getting their interest. This will be realized after purifying their minds of other sediments so completely and replacing it with the new and the good.

Confidently, the human nature can be discribed as a nature of rational animalism and nature of spiritual materialism. It contains both dualistic and antagonistic. Moreover, it always inclines to have a connection with the sensational world, although it has the direction to be separated from it.

The human nature also has the ability to invistigate the actual existence of life, and also it can be affected by it. Being directed by a certain orientation and continuously affected by the actual existence, the human nature, or what so called the sensational world has been removed away from its normality, as if it is guided by another orientation to be higher than the actual existence, and to have the ability of testing this orientation. It will be, as far as it is away from the connection with the

enemy, so long as they are not aggressors. In this respect, Qur'ansays "And if they inclined to peace, incline thou also to it and trust in God, surely He is the hearer, the knower".

[Surah the fighting, verse 61].

Moreover, Islam neither degrades the unbelievers, nor deprives them any of their rights. It treats them kindly and justly, so long as they are not tyrant or aggressors. Qur'an says "And let not hatred of a people incite you not to act equitably. Be just that is nearer to observance of duty, and keep your duty to God".

[Surah the Table, verse 8].

Islam differs from other ideologies, which direct modern societies in thier attitude towards unbelievers, whether they are individuals or communities. These modern philosophical ideologies attempt to limit the scope of Islam and its effect, to a certain period, namely, the period of the prophet Mohamad "peace may be upon him", to a certain place which is the Arabian peninsula, and also to a certain people that is the primitive arabian tribes. They also claim that Islam cannot contribute its share towards the development of the modern human civilization, and also cannot keep what it already have obtained through this civilization. Therefore, they presumes that, to be a Muslim is to remain at the primitive stage or to cease the human progress to advance, and both the two, actually, are contrary to the human ever changing nature.

Surely, the criterion upon which the validity of Islam or the other modern ideologies, Such as Democracy, capitalism and Socialism ; is the human standard which assure the main human characteristics. The more, the principles of Islam or the modern ideologies, nearer to the human standard, is the more valid and suitable for human life. On the contrary, the more deviate and away from it, is the more unsuit to the human nature and unfit to the desirable life which man yearns and endeavours to attain through the stages of his life, from infancy to maturity.

Undoubtedly, the above mentioned standard is the goal of every one in his life, it is also the main purpose of the orientation in the name of the Divine guidance or the name of enlightening by means of knowledge, knowledge that comes from tbe contemplation of the universe or from the activity of the human minds.

As a matter of fact, when any human society is controlled by a certain orientation, its experiences

Actually, the party of the stooges of colonialists was indebted, in several ways, to the other party that held tight and adhered to Islam. It was kept away from belonging to colonialism, it felt dignity and honour because of maintainace and defence of their country against the colonialists, instead of gaining them because of serving the enemy. Now, it is the seventh year, since the begining of the Algerian war against french colonialism. The only motive for going on this long struggle is their belief and religion. Thanks to old Algerians who cultivated islamic teachings into the minds of youngesters. The french colonialism, in order to destroy the algerian nationalism, forbade the young men of learning Arabic language and attending mosques. Moreover, prevented teaching glorious islamic history, and at the same time, french imperialists provided their schools with false-knowledges about Islam, while glorifying France and its civilization. Neverthless, the struggle broke out and continued, mainly because of the algerian belief in God and Islam. Surely, it is the duty of all governments of the islamic states to revise their glorious history and that of their oponents for considering their turn, knowing that those who had embraced the islamic values, facilitated their way to leadership after gaining independence, and being sure that the existence and power of their country is not in ignoring Islam and its teachings, but in keeping the islamic spiritual and intellectual heritage.

Muslim's conduct does not represent Islam :

However, it is not our will to justify the Muslim's present condition in any society, also not to pick up the islamic teachings from their recent state as the the Orientalists mostly did. As a matter of fact, Muslim's conduct does not represent the islamic teachings completely, but the Qur'an and the prophetic traditions are the two fundamentals which represent, fully, Islam and its teachings.

Indeed, Islam is the religion which deals with all societies, it controls the structure of individuals and families, the relationship between person and another and also between Muslims and those who reject faith.

The present policy of some of the great nations is to depreciate any citizen who does not believe in their ideology, while other nations regard, as their enemies, any nation does not follow their policy and carries it out. But Islam due to its universality, neither harms any society which opposes its ideology and its way of life, nor regards it as an

Islam and its teaching, with some of islamic studies written by the European Orientalists into their own languages. The aim of these studies, was to undermine the relations between Muslims and their religion. In such studies for example, they assumed that the Prophet Mohamed "peace may be upon him" was of excessive sexual inclination, more than a person of devine message, because he married more than a woman. Also, they defamed Islam claiming that its spread was by sword not by complete conception. They tried to misinterpret the fundamental principles of Islam, such as Al-Jehad in God's way, the Muslims unity and Divorce. They explained Al-Jehad as an aggression and persumed that the untiy of Muslims, induce isolation and cut the relations between Muslims and others.

Moreover, they said that Divorce results in disintegration of family life. Muslims do it only to have a chance to satisfy their sexual lusts. It is said also that Islam is the religion of primitive people, hence, it does not suit the recent human civilisation. Being fit for people of the past, does not mean that it is suitable for people of the present time.

Those who have their culture in a western style, when they read these notions cannot refute or deny them, because what they know about Islam is limited by the outwordly features of their Muslim citizens. Unfortunately, these features on the hand of habits and customs, express their stagnation, while on the hand of behaviour, they denote to their laziness and headlessness of indulging into a new progressive life.

But mostly, those western cultured believe in the notions of the Orientalists, about Islam, its principles and Prophet. This may be why they strongly wish to turn the Islamic society, keeping religion's guidance away from the society's affairs. They attempt to confine Islam to be limited in worship, to be a mere relation between man and God without any connection with other individuals or societies.

Verily, the belief of this group in Islam and God — although wrongly understood — caused disturbance to colonialists and drove them out of the country. As a matter of fact, the present independent islamic societies did not obtain their freedom as a result of the international organization efforts, but their liberty was due to the strugggle of patriots in God's way. Therefore, all the islamic nations enjoyed their liberty and freedom as a result of Al-Jehad, one of the important islamic principles which, wrongly, considered by the imperialists as an aggressive extention.

ISLAM AND SOCIETY

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Director General of Islamic Culture Administration

When the colonialists evacuated the Islamic countries after the national movements which delivered them from its grip, and consequently, they obtained their political independence, the Islamic societies started to observe the contemporary societies which have been progressed in the industerial and scientific researches and they are trying to develop their national economical standard everywhere.

As a result of these efforts, the economical standard and the individual income increased. However, it is necessary also that these societies should look for the reasons and factors of its weakness and backwardness in the past, to eliminate it out completely.

But where these reasons and factors are? Are they in being far from Islam and its principles as mentioned in Qur'an and prophetic traditions? Or are they realized in the adherents of Islam, those who are following its principles and carrynig out its teachings?

A sort of colonialism was evacuated, but another one was attempting to enter in the same time. The frist one, which faced the national independence movements, succeeded in deviding the society into two parties. Colonialists prepared the frist party to help them in the interior governmental affairs. Naturally it was nearer to their aim and intention, but far away from Islam and its principles.

The other party, embraced the Islamic values and principles, therefor, the colonialism weakened and humiliated it. The Islamic principles and values, after this separation, became a matter of controversy between these two parties, especially when one of them accepted the Islamic teachings and proceeded with moulding the life according to it. Meanwhile, the other party developed on aversion to the other's ideas and tried to displace Islam completely, particularly from being a way of life.

During the period of occupation, colonialists used to supply their party, who was keeping away from

at all times and places. For the call to be always successful, it must be properly owned both materially and spiritually. All these forces were provided by both the call and the personality of the greatest emigant " Mohamad peace be upon him ".

As a mtter of fact, present dey emigration, is an image of emigration in olden times, when the believers had conquered the infidles and scored a great Victory over them. Nowadays, Muslims exchange visits and their leaders are doing their utmost to serve their best interests. They could conquer the imperialists, and drove them to withdraw from their lands. This Victory has come as the realisation of God's promise to true Muslim in the Quranic Verse: " God had promised, to those among you who believe and work righteous deeds that He will, of a surety, grant them in the land, inhritance (of power), as He granted it to those before them, that He will establish in authority their religion — the one which He has chosen for them, and that He will change (their state), after the fear in which they (lived), to one of security and peace : They will worship Me (alone), and not associate aught with me, if any do reject faith, after this they are rebellious and wicked ".

[Sûrah Al-Noor, Verse 55].

had met with the hostility and antagonism of his family (koraish), because he had destroyed their idols and attacked their creeds and principles. The example set by the Prophet in resisting and eliminating the wrong, must therefore be followed by every one. The great harm done to Him by the people of Mecca, at the commencement of his call, must nspire our minds with lofty values. His conduct was to emigrate from a place of tyranny and aggression, to one of security and peace. When He found that it was defficult to plant his new principles in the land of Mecca, the prophet made his way to the good land of Medina where He preached his new Religion and sowed its good seeds, following in this matter the saying of God " From the land that is clean and good, by the will of its cherisher, springs up produce, (rich) after its kind: But from the land that is bad, springs up nothing But, that which is niggardly ".

The call of Islam is a universal one, It is for all peoples be those, in Mecca or in Medina, in the East or in the West. It is a call for all places and times as well. Therefore it is the duty of true Muslims to preach this faith and build it up on a basis of good society which accepts and performs its duties according to islamic instructions, right principles and best conduct.

The memory of the emigration its causes and results, must bring to the mind of true believers a sense of the greatness of the principles of Islam, lead them along the right way which humanity at large must follow at critical periods of its history and guide them to solve their problems in peace.

O Muslims, how I wish to recommend you to liberate your hearts from sins and to glorify no one besides God. This will lead the tyrants and the aggressors to fear you and respect you as well. I advise you to free your character from bad habits and hateful customs to win the hearts of all mankind. I advise you to liberate your souls from despair and to live your life in peace and brotherliness. I also advise you to preach your Religion all the world over with keenness and islamic enthusiasm. Many a wrong call had succeeded through international trickery and persistence its falsehood. For examplel the inperialists depended on such persistence in preaching their tyrannical principles, and their efforts unfortunately met with success, but a wrong call cannot remain successfu,

those who die in sin against their souls, they say "in what (plight) where ye?" They reply: "weak and oppressed were we in the earth" They say: "was not the earth of God spacious enough for you to move your selves away (from evil)? Such men will find their abode in Hell — what an evil refuge?". (Surah, the Women, section 14. verse 97).

As a matter of fact, emigration leads to solidarity which is the cause of success and victory of nations. The emigrants of Mecca had mobilized themselves and formed with the inhabitants of Medina the great force which conquered idol-worshippers, stamped out their kingdom and established Right on solid foundations. Verily, the Prophet's emigration was a victory bestowed on both the Prophet and his faithful followers by God. The Qur'an states in this context "If you help not (your leader), (it is no matter): For God did indeed help him, when the unbelievers drove him out: He had no more than one companion: They were two — in the cave — and He said to his companion "Have not fear, for God is with us".

This was indeed a great triumph and good support for the Prophet — peace be upon Him — and all the believers. It is also a good lesson for those who preach: good and vertues, belief in God and freedom, right, justice security and peace. It teaches them how to struggle against evil, aggression, idolatry and slavery.

Emigration had changed peoples' tendencies and inclinations. It turned them from the way of evil and misery to the path of good and happiness. Emigration resulted in heathens sitting aside the worship of their idols, believing heartly in their Creator, asking only their God's help, seeking salvation from their plight, substituting Right for wrong, light for darkness, freedom for exploitation and slavery, strength for weakness and prosperity for poverty. It had laid the foundations for a happy life and guided peoples to permanent security and peace.

One who preaches new principles usually faces defficulties and obstacles, especially if his Call has any relation with religion, faith or morality. This is because human souls would resist any change. Peoples usually are devoted to what they inherit from their predecessors whether it be faiths, habits or traditions. So was the Call for Islam. Prophet Mohamad — peace be upon him —

INSPIRATION OF PROPHETIC EMIGRATION

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

O Muslims, peace be upon you.

The emigration from Mecca to Madina by Prophet Mohamad and his faithful friends, is one of the most outstanding events in Muslim annals. It was an effective factor in the spread of the Religion, the Victory of Right and the defeat of the wrong.

The emigration brought the emigrants close to other peoples with whom they concluded consequent upon these contacts and agreements, emigrants developped into an independent nation and issued local laws to regulate and control relations with its neighbours. These laws constituted strong foundations' for the structure of a super society, they also helped towards the regulation of emigrants, dealings on a basis of justice, equality and peace with their new neighbours.

The Prophet's emigration was both spiritual and corporeal. Mohamad with a group of devoted followers had left their Motherland and abandoned their families and properties for the sake of the Religion with their hearts and souls full of unshakeable faith and profound belief in it. They were confident that God would not accept the emigration merely of the body, but required also the emigration of the soul.

The Qur'an glorified emigration as a religious rite, as well as one of the duties of every Muslim who can afford it if circumstances would justify emigrating. The Qur'an further stated that a wronged Muslim who has the ability to emigrate, but would not do it, is considered — in the sight of God — as one who has abandoned the prayer.

In this respect the Qur'an says: "When angels take the souls of

his frist khaliph (Abu Bakr), then to Omer's finger afterwards. The ring was put in the finger of Othman who was very careful to keep it, and who did his utmost in doing so untill he went, one day, to the well of Arice, so as to revive the memory of the prophet by visiting the well and sitting in its shed, the matter to which Othman as well as Omer and Abu Bakr was accustomed since they had gothered together with the prophet in this very shed.

On this day, Othman took the ring off his finger and began to move it between his fingers, but unfortunately it fill into the water. Then Othman and the people strived hard searching for the ring through the water but in vain. Othman was very sorry to lost the ring of the prophet and it occured to his mind that the lost ring was both a supporting force and guiding light. When Othman lost the ring, he did not despair of God's aid, but he doubted himself to be so efficient as the two khaliphs before him ; Omer the hero of the shed and Abu Bakr the hero of Apostasy. Consequently, he authorized some of his relations to rule over the people in his name. Those authorized agences, ruled the people according to their passion and were subjected in their ruling to favouritism and sectarianism, the matter which extended the disorder and dissintion and led at last to the attrocious assasination of Othman on the hands of the rioters.

The above mentioned indications which are the symbols of the language of Distiny were written on both the face of Othman and on the pages of his history. Symbols that were interpreted by the successive happenings one after the other. These bappenings were as a whole a group of sufferings met by Qthman who financed and supported the army of Usrah " difficulty ".

The genuine predications of the prophet concerning Othman and his fate, were items of revelation that show genuineness of the great leader who was chosen by God to deliver his noble Call. Through this genuineness, the prophet was able to choose this refind group of emmigrants in which hearts, the prophet sowed the seeds of piety, to which hands he delivered the torch of struggle and on which shoulders, he put the responsibility. Then the prophet left the world, left it sured of his follower's capacity, looking with satisfaction at them building mosques and expanding Islam on both Roman and Persian Impires.

the people of Paradise, and that he will also suffer certain misfortunes" said the Prophet that was chosen by God to deliver his mission and to recieve his revelation. When Abu Mousa told Othman this bad news and congratulated him for the good tidings, Othman the martyr entered, but he did not find a place for him on the bench, then he sat down facing them on the other side of the well.

It was the will of God that the five persons who have greatly influenced both the life of Arabism and the history of mankind, to be gothered together on the board of this well abounding in life among these arid sands and deaf stones. Those five persons were : The God's Prophet who had led through God's light, all the errant mankind to the most straight way and to the noblest end. The second was the two Khaliphs of the Prophet (Abu Bakr and Omer) who have proceeded with the Call after him, made up the preaches, strengthened the weakness during the year of Apostasy and extended the light of Islam beyond the Arabian beninsula. The third was the Khaliph through which the Prophet's prediction came true and who suffered the predicted misfortune that caused the dissension and disrupt of the Muslim nations. The last one was the Judge of the arbitration who was taken in by Amr son of Al-Aass to issue the Judgement that fractionalized the united nation into two different nations and that made of the one compact religion seventy two conflicting sects.

But the well of Arice has certain other indications in the life of the third khaliph. These indications are as follow: The sitting of the Prophet and the two Omers (Omer Ben Al-khattah and Abu Bakr) beside each other on one Side of the well, and the sitting of Othman alone on the opposite one, was interpreted by saied Ben Al-Mosaiab as a sign that the Prophet and the two omers will be tombed together in Aaisha's room, and that Othman will be tombed alone in another place.

The Prophet's prediction of Othman's misfortune, was a grieve that fill Othman's heart now and then, but Othman used to relieve himself from this grieve by means of his staunch believe in God, his firm believe in Distiny assigned by God, and his strong will to sacrifice his soul and money in the cause of God. The latest one of these indications was the fall of the Prophet's ring in the well of Arice. The story of this ring was that the prophet used to put a silver ring in his finger through the latest period of his life. After the death of the prophet, the ring found its way to the finger of

Abu Mousa traced the prophet's footsteps, untill he reached the well of Arice. Then he entered its shed and found the Prophet sitting down on a bench built around the well. No sooner had he saluted the Prophet, than he was taken by the power of the prophet's majesty and solemnity, that he said to himself " I shall be the Prophet's doorkeeper today ".

A while after, a knock at the door was heard. "Who is knocking at the door" said the pious doorkeeper : "This is I." Answered Abu Bakr "This is Abu Bakr asking permission said Abu Mousa to the Prophet". At this moment, the Prophet was considering the numerous hardships that has befallen him, his people, and his companions for the sake of the Call. He was also remembering the emmigrants' sincerity, their keeping of pledges and sufferings of expatriation, poverty and harm for the sake of God's pleasure. Then the Prophet was filled with admiration and contents. So when He heard Abu Mousa mentioning the name of his friend at home, and his companion in the cave of Hiràa, he said to Abu Mousa "let him enter, and tell him that he will be one of the people of Paradise."

When Abu Mousa allowed Abu Bakr to enter and informed him of the good tidings, he entered and sat down beside the Prophet on the bench. Abu Mousa returned once again to the door, expecting his brother to come, because he let him completing his ablution, with the intention of joining him at the Prophet's presence, while he was coming to the Prophet. But Abu Mousa said to himself : "If my brother comes at this moment, he shall have share of this prophetic goodness that would benefit him in the Hereafter. But this goodness was the share of Omer who was at that instance knocking at the door. " Who is it ?" said Abu Mousa in a hast and eagerness. " It is I." said Omer. "Wait a little" said Abu Mousa and he went to the Prophet to take the permission." let him enter and tell him that he will be one of the people of Paradise". Then Omer entered and sat down beside the Prophet and Abu Bakr on the bench. Abu Mousa returned again to the door, listening from behind it to any movement, hoping that it may be his brother footsteps. After a short time the door was knocked at. The matter which made Abu Mousa's heart beat rappidly and made the hope shown on his face. "Who is coming ?" said Abu Mousa. "This is I" answered Othman son of Affan. Then Abu Mousa asked him to wait, and went to the Prophet to take permission for the new commer. "Let him enter and tell him that he will be one of

ON THE WELL OF ARICE

from the memories of Rabia Al-Awal at (Yathrib) Tiba

by

AHMED HASSAN EL-ZAYAT

Editor - in - Chief

On one splended morning of the spring in the lunar month of Rabia Al-Awal, and along the quiet way of the sacred city Tiba (Yathrb), The Prophet " peace be upon him " went out searching for calmness and contemplation. The Prophet who was accustomed to loneliness in the deserted cave of the mountain of light (Gabal Al-Nnoor), was still prefering the lonelinss as he was fond of thinking and contemplating, as means of approach to God. So he directed himself to the west of Yathreb, towards the mosque of Qubàa. He went alone besides the walls in good humour and with thankful spirit, wached by all and endeared in every heart, till he reached the well of Arice.

This spacious and pure well was protected against the sun by a shed of palm trees branches. That shed had had a door and was surrounded by gardens and fields everywhere. The Prophet entered the shed as he was accustomed to do so every monday, so as to practise his solititude. After he had performed his ablution, the prophet sat down on a bench built on the edge of the well and indulged in silent devotion, clear of every sign of worldly affairs. Such spiritual prophetic worship, that approaches the Prophet to his God, links earth with heaven, legislation with reality and the finite with the infinite, is not to be conceived, neither by the minor human mind, nor through the defective earthly explanation. The worship of Mohamad at the well of Arice was aiming, like his worship at the cave Hiraà, at seeking the aid and support of God through inspiring contemplation on God's wisdom and power.

On that particular day, Abu Mousa Al-Ashàri got up from his bed aiming to accompany the Prophet all the day. He looked for him in the mosque but did not find him, then he enquired about his place and was told that he has just led his way to the distrect of Qubàa, so.

مدير المجلة ورئيس التحرير
أحمد حسن الزيات
العنوان
إدارة الجامع الأزهر
بالقاهرة
ت : ٤٦٢١٤

مجلة الأزهر
مجلة شهرية جامعة
تصدر عن مشيخة الأزهر في أول كل شهر عربي

يشترك في تحريرها
عباس محمود العقاد
بدل الاشتراك
٤٠ في الجمهورية العربية المتحدة
٥٠ خارج الجمهورية
وللمدرسين والطلاب تخفيض خاص

الجزء الخامس — جمادى الأولى سنة ١٣٨١ هـ — أكتوبر ١٩٦١ م — المجلد الثالث والثلاثون

بسم الله الرحمن الرحيم

شخصية البحتري (*)

بقلم : أحمد حسن الزيات

الاحتفال بشاعر الشام الأكبر، ونابغة العروبة الخالد، تكريم لذكراه، وتحية لفنه، والتكريم والتحية يقتضيان الاقتصار على ما يجمل ذكره من أخلاق الشاعر وصفاته. وذلك يتسنى لمن يتحدث مختارا عن جانب من جوانب سلوكه، أو مزية من مزايا فنه. أما من اقترح عليه أن يتحدث عن شخصيته فالأمر معه جد مختلف. ذلك لأن شخصية الرجل هي صورته المعنوية تركبت من آثار الفطرة والوراثة والبيئة والطبيعة ونمط العيش ونوع الثقافة ولون الحضارة. ولأولئك كله خطوط وألوان وظلال، منها المستقيم والمعوج، والسوي والشاذ، والبارز والمستتر، وبدونها كلها لا تكمل الصورة ولا تتم المعرفة. فإذا صورت البحتري على الطريقة الواقعية التي تعتمد على اعترافاته وشهادة مواطنيه، لا على الطريقة الخيالية التي صور بها هو ممدوحيه، كنت أقرب إلى إرضاء الحق وإنصاف التاريخ. وعذر البحتري في انطباع شخصيته على هذه الصورة حال المجتمع في عصره.

(*) نص الكلمة التي ألقيت في مهرجان البحتري يوم ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦١ بجامعة دمشق.

فقد كان العصر الثانى من عصور الدولة العباسية عصر نزاع على الخلافة وصراع بين الأجناس وصدام بين المذاهب وخصام بين الأسر وتنافس فى الثروة والجاه ، وتدفق فى الترف واللهو . وتورط فى الشهوة واللذة . والشاعر الذى يعيش على صلات الخلفاء والرؤساء مقضى عليه أن يساير ويشارك ويهاوى ويحتال، فيخرج من الرأى إلى نقيضه ، وينقلب من الرجل إلى عدوه .

شخصية الوليد أبى عبادة البحترى شخصية الإنسان المطبوع والفنان الموهوب ، كانت إنسانيته لا يختلف معناها عن معنى الحيوانية فى اكتساب القوت لتحيا ، واجتناب الأذى لتنجو ، وكانت فنيته لا يبعد مداها عن أن تكون وسيلة لهذه الحياة ، تهيئ لها عدة القوة ، وتمد لها أسباب العزة كما يقول :

لى من الشعر نجوة واعتزاز
وهجوم على الأمور الشداد

كان الشعر فى عصر البحترى للشاعر بمثابة الناب والظفر للسبع ، يبتغى الرزق بالمدح ، ويتقى الأذى بالهجاء . والذى جعل للشعر هذه الوظيفة تلك الحساسية المرضية التى توارثها العرب للمدح استجابة لدواعى العصبية وطمعا فى خلود الذكر ، وكان البحترى وهو صبى يرتع بين أشجار التوت فى منبج ، أو يتنقل وهو يافع بين مضارب طيئ على الفرات ، يرد على سمعه ما تتناقله الأفواه فى القرية والبادية عما ينال الشعراء فى قصور الخلفاء والأغنياء من الجاه والثراء ، وبخاصة مواطنه أبو تمام فيطمح إلى ذلك ، وينظر فى نفسه فيجد خاطره يسمح بالشعر على البديهة دون علم بالعروض إلا ما اكتسب بالسليقة ، ولا بصر باللغة إلا ما أخذ عن الأعراب ، فيعلم أنه أوتى الملكة وأعطى الوسيلة فيقرض الشعر فى كل شىء ، وينشده فى كل مكان .

قال صالح بن الأصبغ التنوخى المنبجى : « رأيت البحترى هنا قبل أن يخرج إلى العراق يمدح أصحاب البصل والباذنجان وينشد الشعر فى مجيئه وذهابه » ومعنى ذلك أن البحترى بدأ يتكسب بالشعر فى قريته على هذه الصورة المبتذلة ، لأنه قرر فى نفسه أن يتصيد رزقه فى بحور الشعر تارة من السمك وتارة من اللؤلؤ. وما كان لفتى منبج الطامع الطامح أن يقنع بالبصل والباذنجان، دون اللؤلؤ والمرجان، وهو الذى تمرد منذ صباه على الفقر وقضى العمر كله فى جهاده ، جاهده بسلاح الشعر وحده لا بالعلم ولا بالعمل ، وسلاح الشعر يدركه الفلول فى بعض الأوقات لإعراض خليفة أو صدود وزير فلا يعمل ، فيضطر إلى التنقل من قصر إلى قصر ، أو التحول من بلد إلى بلد ، فكانت حياته حياة الطائر الغَـرد ، قوام عيشه حنجرة رخيمة وجناح خفاق ومنقار لاقط ، يغنى

حيث يكون الروض ، ويقع حيث ينتثر الحب . فإذا حل الشتاء وطمر الثلج روضه ، وحطم السيل عشه، قطع أجواز الفضاء وأثباج الماء إلى جو آخر يتوفر فيه الحب والأمن والدفء!

* * *

شخصية البحترى ككل شخصية إنسانية لها قوامان : قوام مادى مفتاحه حب المال ، وقوام معنوى مفتاحه حب الجمال وبهذين المفتاحين نستطيع أن نفتح ما استغلق من طباعه، ونفسر ما استبهم من سلوكه .

كان حديث أحلامه ومنتجع أمانيه أن يقتنى ضيعة فى منبج ، فمدح من مدح من السادة والقادة حتى بلغ فى عهد المتوكل فوق ما تمنى . ثم صار همه بعد ذلك أن يمدح الولاة والعمال ليعفوا ضياعه من الخراج . قال أحمد بن إسماعيل : كان البحترى يلزم إبراهيم بن المدبر فى كل سنة أن يسقط أكثر خراجه أو يؤديه عنه . فأراد يوما أن يشترى ضيعة جديدة واستماح إبراهيم أن يؤدى عنه بعض ثمنها ، فلامه على طمعه وقال له : يكفيك ما تملك من الضياع فقد كثرت وعظمت ، فأنشده قصيدة كان قد أعدها يقول فى مطلعها : سفاها تمادى لومها ولجاجها . حتى بلغ قوله فيها :

وما زالت العيس المراسيل تنبرى

فيقضى لدى آل المدبر حاجها

فأمر له بإتمام ماله .

كان البحترى فى سبيل حب المال يبخل به ويحرص عليه . وهل البخل معنى غير حب المال ؟ فما رواه أبو الغوث ابنه وحكم ابن يحيى ، وأبو مسلم محمد بن الأصفهانى من حديث شحه على نفسه وتقتيره على خادمه وأخيه ليس بدعا من أخلاق الشعراء فى ذلك العصر ، فقد كان البخل طبعا مكتسبا فيهم لم يخل منه إلا أفراد قلائل غيبتهم نشوة الخمر عن الفكر فى المستقبل فعاشوا فى الحاضر يوما بيوم ، كمسلم بن الوليد وأبى نواس ، والشعراء البخلاء منطقيون مع الحياة ، يصنعون ما تصنع النحل والنمل ، يدخرون بعض ما يجدون ليوم لا يجدون ، لأن موارد أرزاقهم لم تكن مضمونة ولا مأمونة . كانوا يعيشون على صلات الخلفاء وأولى النعمة ، ينادمونهم على الشراب ، ويفاكهونهم فى السمر ، ويمالقونهم بالمدح ، ويدورون من وراء رضاهم فى السياسة والحكم ، فهم فى خير ما دامت أسبابهم موصولة بالقصر ، فإذا انقطعت انقطع رجاؤهم فى العيش . ولم يكن للمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم جدٌّ أعلى فى عصر البحترى يسنى لهم طرق العيش الكريم بالتأليف والترجمة والنشر والمعونة، فكانوا بين مجدود كالجاحظ، أو مكدود كالأخفش . أما الجاحظ فقد سئل يوما عن ثروته فتبسم ضاحكا وأجاب : إنما

أنا وجارية، وجارية تخدمها، وخادم، وحمار. وقد أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك الزيات فأعطانى خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى أحمد بن أبى دؤاد فأعطانى خمسة آلاف دينار. وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولى فأعطانى خمسة آلاف دينار. فانصرفت إلى البصرة ومعى ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد. وأما على بن سليمان الأخفش النحوى الأديب فقد ضاقت به الحال فى أواخر أيامه فسأل أبا على بن مقلة أن يكلم له الوزير على بن عيسى عسى أن يجرى عليه رزقا فى جملة الفقراء. فلما كلمه انتهره الوزير انتهارا شديدا، وأجابه جوابا غليظا، وكان ذلك فى مجلس حافل، فبلغ ذلك الأخفش فاغتم، وانتهت به الحال إلى أن عاش على السلجم النئ، ويقال إنه قبض على قلبه من اليأس فمات فجأة.

* * *

وفى سبيل المال كان البحترى يحتال ويتدنى وينقل شعره من مقام إلى مقام، ومن ممدوح إلى ممدوح بعد تغيير تقتضيه الحال، قال يتحدث عن نفسه: دخلت على المتوكل يوما وفى يديه درتان لم أر أنق منهما بياضا ولا أكبر حجما. فأدمت النظر إليهما، ولم أصرف طرفى عنهما. ورآنى المتوكل على هذه الحال فرمى إلى بالتى كانت فى يمناه. فقبلت الأرض وجعلت أفكر فيما يضحكه طمعا فى الأخرى فمن لى أن قلت:

بسر من را لنا إمام ... تغرف من كفه البحار
خليفة يرتجى ويخشى ... كأنه جنة ونار
الملك فيه وفى بنيه ... ما اختلف الليل والنهار
يداه فى الجود ضرتان ... هذى على هذه تغار
وليس تأتى اليمين شيئا ... إلا أتت مثله اليسار

فرمى بالدرة التى كانت فى يساره وقال خذها يا عيار!، والعيار: المحتال. وقال أيضا يتحدث عن نفسه: كنا فى مجلس المتوكل ومعنا الفتح بن خاقان، فاعترت المتوكل للفتح هزة من السرور والرضا فقام يقبله، ووثب الفتح فقام فقبل رجليه. والتفت الخليفة إلى وقال: قل فى الفتح وفى شعرا، فأنى أحب أن يحيا معى ولا أفقده فيذهب عيشى، ولا يفقدنى فيذل بعدى، فقل فى هذا المعنى، فقلت قصيدة منها:

لا أرتنى الأيام فقدك يا فتح ... ولا عرفتك ما عشت فقدى
أعظم الرزء أن تقدم قبلى ... ومن الرزء أن تؤخر بعدى

حسداً أن تكون إلفاً لغيرى
إذ تفردت بالهوى قبل وحدى

فقال المتوكل : أحسنت والله يا أبا عبادة وجئت بما فى نفسى ، وأمر لى بألف دينار ، وكنت قد عملت هذه الأبيات فى غلام كنت أكلف به، فلما أمرنى المتوكل بما أمراً تنحيت فقلت الأبيات وأريته أنى عملتها فى وقتى ، وما غيرت فيها إلا لفظة واحدة ، فإننى كنت قلت :

ما أرتنى الأيام فقدك ما عشت ، لجعلته يا فتح ، وقد قتلا معاً وكنت حاضراً فرمحت هذه الضربة (وأومأ إلى ضربة فى ظهره) .

وقد قال الصولى إنه نقل نحواً من عشرين قصيدة من مدائحه ممن قيلت فيهم إلى غيرهم بعد أن غير أسماءهم مع سعة ذرعه فى قول الشعر ! ، وجدرى هذا أن تجاز القصيدة مرتين من غير جهد ولا كلفة .

ويدخل فى هذا الباب أمره مع غلامه نسيم ، فقد قال أحمد بن جعفر جحظة «كان نسيم ، غلام البحترى ، رومياً ليس بحسن الوجه ، فجعله باباً من أبواب الحيل على الناس ، فكان يبيعه من بعض ذوى المروءة ممن ينفق عنده الأدب . فإذا صار فى ملكه مدحه وتشوق الغلام وشبب به وتحسر عليه بمثل قوله :

دعا عبرتى تجرى على الجور والقصد
أظن نسيماً قارف الهم من بعدى
خلا ناظرى من طيفه بعد شخصه
فيا عجباً للدهر ! فقد على فقد

فلا يسع من اشتراه إلا أن يهبه له ، ولم تزل تلك حاله حتى مات نسيم فكفى الناس أمره.

* * *

وفى سبيل المال تخلق البحترى بأخلاق التجار ، فسالم الناس ودعا إلى السلم ، وعايش الأضداد وبرىء من التحيز ، ولابس العقائد والمذاهب والطوائف والعشائر وخلا من التعصب ، ولد فى خلافة المأمون ثم تنفس به العمر حتى جاوز الثمانين ، فاستغرقت حياته حياة عشرة من الخلفاء تداولوا العرش العباسى وهو يميد من الفتن والخطوب من تمارس الخصوم وتنافس العناصر وتنازع الرؤساء ، وهو مضطر إلى مصانعة هؤلاء وهؤلاء ليسلم منهم جميعاً ، ويغنم منهم جميعاً . فمدح العلوى والعباسى والعربى والتركى والسنى والشيعى دون أن يجد غضاضة فى نفسه ولا مشقة على ضميره ، لأنه يمثل المادح ولا يكونه ، ويتخيل الممدوح ولا يعينه ، ويقول فى المدح ما يقول ولا يعتقده ، ومن هنا لم يجد صعوبة ولا حرجاً فى أن ينقل القصيدة من ممدوح إلى آخر ، ولعله لم يقل الصدق إلا فى المتوكل لحبه إياه وإخلاصه له وبلوغه الحظوة والثروة فى أيامه حتى قال فيها :

أو ما ترى حسن الزمان وما بدا
وأعاد في أيامه المتوكل
أشرقن حتى كاد يقتبس الدجى
ورطبن حتى كاد يجرى الجندل

ومن معانى مسايرته ومهاواته أنه لم يتبع سياسة معينة ، ولم يعتقد نحلة خاصة ، وإنما كان يستن سنة الدولة ويذهب مذهب الحاكم .

حدث إبراهيم بن عبد الله الكجي قال : قلت للبحترى ويحك ! أتقول فى قصيدتك التى رثيت بها أبا سعيد :

أأفاق صب من هوى فأفيقا :
... ...
يرمون خالقهم بأقبح فعلهم
ويحرفون كلامه المخلوقا

أصرت قدريا معتزليا ؟ فقال لى : كان هذا دينى فى أيام الواثق يعنى (أيام كانوا يقولون بخلق القرآن) ثم نزعت عنه فى أيام المتوكل (أى حين نزعوا عن هذا القول) .

فقلت له يا أبا عبادة : هذا دين سوء يدور مع الدول .

وقد اتهمته العامة بالثنوية فى أيام المعتمد لقوله :

ولم أر كالدنيا حليلة صاحب
محب متى تحسن لعينيه تطلق
تراها عيانا وهى صنعة واحد
فتحسبها صنعى لطيف وأخرق

(والثنوية يقولون بالهين إله للخير وإله شر كما تعلمون) فخاف على نفسه وقال لابنه أبى الغوث وكان مقيما معه : قم يا بنى نطفئ هذه النائرة بخرجة نلم بها شعثنا ثم نعود ، وهى الخرجة التى زار فيها إيوان كسرى وقال فيه قصيدته المعروفة . والحق أن البحترى كان لنشأته القروية البدوية بعيداً عن مذاهب الحضريين فى الدين والفلسفة ، فلم يستمد شعره إلا من إلهام الخاطر ووحى الطبيعة .

* * *

وفى سبيل المال ركب البحترى الأسفار وهو فى طور الحداثة ، يشهد على ذلك قوله :

وقائلة والدمع يصبغ خدها
رويدك يا ابن الست عشرة كم تسرى
فقلت أحق الناس بالعزم والسرى
طلاب المعالى صاحب الست والعشر

وقوله :

تقاذفنى بلاد عن بلاد
كأنى بينها خبر شرود

فطوف بالشام ، وجول فى العراق ، وأوغل فى الجزيرة ، وبين جنبيه الأمل الحافز ، وفى يديه كتب الوصايا التى زوده بها أستاذه أبو تمام إلى الممدحين من ذوى المروءات والرياسات فى تلك البلاد . ولكنه كان دائب الحنين إلى الشام يستوقد شوقه إليها وافد النسيم من الغرب ، فيقول لنفسه :

حبذا العيش فى دمشق إذا ليلها برد
حيث يستقبل الزمان ويستحسن البلد

أو يقول للمعتز :

هل أطلعن على الشآم مبجلا
في ظل دولتك الجديد المونق
شهران إن يسرت إذنى فيهما
كفلا بألفة شملي المتفرق
قد زاد في شوقي الغمام وهاجني
زجل الرواعد تحت ليل مطبق

أو يقول لأبي الصقر :

تراك مخلى في غـــير أرضى
وإنها ضى إلى بلدى يسير
وأعتقت الزمان فمر بعتق
إلى بلدى ، وأنت به جدير

* * *

ذلك بعض ما يفتحه علينا حب المال من شخصية البحترى ، أما ما يفتحه حب الجمال منها وهو مفتاحها الآخر فكل ماينبثق عن روحه ونفسه وقلبه وذوقه من الأعمال والخلال ، ولكن هذا المفتاح المعنوى لا يمكن أن يفضى بنا الباب الذى يفتحه إلى جانب مستقل من حياة الشاعر له مميزاته وخصائصه ، فإن العناصر المادية والمعنوية تتقارب وتتضارب وتتفاعل فيؤثر بعضها في بعض، ويتأثر بعضها ببعض، فلا يكون هناك حس محض ولا معنى خالص ، فالأناقة التى اشتهر بها البحترى فى تنضيد ألفاظه وتنسيق جمله، وهى أثر من آثار حب الجمال ، تفارقه فى اختيار هندامه وتأثيث بيته ، فقد كان كما رووا من أوسخ خلق الله ثوبا وأداة ، ووساخة الثوب وقذارة الأداة أثر من آثار حب المال ، وحب الجمال مقتض، وحب المال مانع ، وهذا أقوى من ذلك وأولى .

على أن صفة القذارة فى الملبس والأثاث تطل فى أيام الفقر والبداوة والتجوال ، ولكنها لا تكاد تصدق أيام النعمة السابغة والحياة المترفة أيام المتوكل والفتح ، إلا إذا كانا يحتملان منه ما كان الوزير المهلبى وزير معز الدولة بن بويه يحتمل من أبى الفرج الأصبهانى ، فقد كان المهلبى مترفا متنطسا يأنف من أن يأكل بالملعقة مرتين ، فكان له عن يمينه خادم يناوله فى كل لقمة ملعقة ، وعن يساره خادم يأخذها ، وكان صاحب الأغانى يجالسه ويؤاكله، وكان قذر الهيئة رث الثوب لا يغسله ولا يبدله ، فيحتمل الوزير ذلك منه لعلمه وحسن حديثه ، وحدث يوما أن المهلبى كان يأكل معه لونا من ألوان الحلوى صنع له ونسب إليه وهو المهلبية ، فسعل أبو الفرج سعلة شديدة خرجت معها نخامة غليظة فوقعت فى الصحفة ، فلم يزد الوزير على أن أمر برفع الصحفة ووضع أخرى واستأنف الأكل .

* * *

ومن أثر حب البحترى للجمال حبه للطبيعة، فقد فتن بها منذ الحداثة فى الغيم والصحو ، والجبال والأمواه ، والحقول والرياض ، كما فتن بروائع الصنعة فى القصور الفخمة والأبنية

العجيبة كإيوان كسرى وبركة المتوكل وقصر المعتز بالله، وقصائده فى وصف هذه البنى أمثلة فريدة فى الشعر العالمى، وهل تجدون أبدع وأرق من قوله فى وصف ليلة صافية ساجية تلألأت نجومها وتألق دجاها :

كاد دجى الليل من طلاقته
يقمر والأفق ساقط قمره

ومن أثر حبه للجمال كلفه بالجوارى والغلمان، فقد أحب وهو يافع علوة الحلبية وهى من قيان الشام، وكان حبه إياها صبوة من صبوات المراهقة فانتهى بالجفاء منها وبالهجاء منه. ثم رحل إلى العراق فشارك شعراءه فى حياة اللهو والمتاع، وتتبع الجمال فى مظهريه المؤنث والمذكر، ووصف الحب فى حاليه الخيالى والواقع. ولكن حب البحترى كان حب الشهوان العابث لا حب الولهان المتيم. أحب المرأة بحسه لا بنفسه، وتغزل فيها بلسانه لا بقلبه. فمذهبه فى الغزل كمذهبه فى المدح : يصور أحوال المحبوب، كما يحلل أخلاق الممدوح، من ذاكرته وخياله، لا من وجدانه وواقعه، والفضل فى إخفاء هذا الزيف عن القارئ إنما هو لبراعة ذهنه، وعبقرية فنه، وواقعية خياله، وقدرته على تصوير النفس الإنسانية تصويرا مجردا يصدق جوهره على كل نفس. اسمعوا مثلا قوله يتغزل :

أصبا الأصائل إن برقة ثهمد
تشكو اختلافك بالهبوب السرمد
لا تتعبى عرصاتها إن الهوى
ملق على تلك الرسوم الهمد
دمن موائل كالنجوم فإن عفت
فبأى نجم فى الصبابة نهتدى

فهل تجدون فيما قرأتم أبدع من هذا التصوير وأرق من هذا الوصف وأصدق من هذا الشعور؟ ولكن الذى يكشفه هو أن تسألوه : مالك ولبرقة ثهمد وليس لك فيها خولة ؟!

إن زيف الغزل البحترى جاء من زيف حبه، وبعيد أن يحب المرأة الحب الصادق من لا يحترم جنسها ولا يثق به. أليس هو القائل فى النساء ؟

وعلى غيرهن أحزن يعقو
ب وقد جاءه بنوه عشاء
وشعيب من أجلهن رأى الوحدة
ضعفا فاستأجر الأنبياء
واستزل الشيطان آدم فى
الجنة لما أغرى به حواء
وتلفت إلى القبائل وانظر
أمهات ينسبن أم آباء
ولعمرى ما العجز عندى إلا
أن تبيت الرجال تبكى النساء

* * *

ومن أثر حبه للجمال النفسى حبه للصداقة

والصديق فقد كان لطبيعته المسالمة ونفسيته الشاعرة وحاجته إلى المعونة يطلب الصديق ويحرص عليه ويتعهده . وكثرة أشعاره فى العتاب والإعتاب تدل على استبقاء الأصدقاء ومعاودتهم ، وقصائده فى رثاء من ذهب منهم تنبئ عن الحزن عليهم والوفاء لهم . ولقد صادق أبا تمام ودعبلا والفتح بن خاقان وأبا العيناء والمبرد ومحمد ابن بسام وإبراهيم الصولى والفضل اليزيدى وغيرهم من نوابغ العصر فما ذموا عهده ولا أنكروا وده ، على الرغم مما يكون بين الأنداد من التنافس والتحاسد . ولكنه يقول أحيانا لمثل المبرد : أحبك ولكن الفن أحب إلى منك !

حدث البحترى نفسه قال : خرجت من منزل أبى الصقر (أحد وزراء المعتمد) نصف النهار فى تموز ، فقلت ليس بقربى منزل أقرب من منزل المبرد ، وكان منزلى بعيداً بباب الشام ، فجئته ، فأدخلنى إلى حويشة له ، وجاء بمائدة فأكلت معه لونين طيبين وسقانى ماء باردا ، وقال لى : أحدثك إلى أن تنام ، فجعل يحدثنى أحسن حديث ، فحضرنى لشؤمى وقلة شكرى بيتان ، فسألته أن أنشدهما ، فقال ذلك إليك ، وهو يظن أنى مدحته بهما ، فقلت :

ويوم كحر الشوق فى صدر عاشق
على أنه منه أحر وأومد
ظللت به عند المبرد قائلا
فما زلت فى ألفاظه أتبرد

فقال لى : قد كان يسعك إذا لم تحمد ألا تذم ومالك عندى جزاء إلا أن أخرجك . والنكتة التى اصطادها من الحر ومن معنى المبرد هى التى ورطته هذه الورطة .

كذلك كان من أثر حبه للجمال النفسى حبه للعباقرة من كل جنس ، يشهد بذلك قوله فى سينيته التى وصف بها إيوان كسرى .

وأرانى من بعد أكلف بالأشراف
طرا من كل أس وجنس

وكذلك اعترافه بالجميل لأهله ، وذلك واضح فى قوله من هذه القصيدة نفسها :

عمرت للسرور دهراً فصارت
للتعزى رباعهم والتأسى
فلها أن أعينها بدموع
موقفات على الصبابة حبس
ذاك عندى وليست الدار دارى
باقتراب منها ولا الجنس جنسى
غير نعمى لأهلها عند أهلى
غرسوا من زكائها خير غرس
أيدوا ملكنا وشدوا قواه
بكماة تحت السنور حمس

وأمره مع أبى تمام شاهد آخر على أصالة هذا الخلق فيه . فقد رووا أن بعض الناس

سمع شعره فقال له : أنت والله أشعر من أبى تمام ، فقال والله ما ينفعنى هذا القول ولا يضر أبا تمام . والله ما أكلت الخبز إلا به . ولوددت الآن أن الأمر كما قلت ، ولكنى والله تابع له آخذ منه لائذ به . نسيمى يركد عند هوائه ، وأرضى تنخفض عند سمائه ، والاعتراف بالجميل والحق دليل الاعتداد بالنفس والثقة بالقدرة .

* * *

أما ما نسب إليه مما ينافى حب الجمال ويجافى سلامة الذوق ففيه نظر وله تأويل . قالوا إنه كان بغيض الإنشاد ، يتشادق ويتزاور فى مشيته جانبا أو القهقرى ، ويهز رأسه مرة ومنكبيه أخرى ، ويشير بكمه ، ويقف عند كل بيت ويقول أحسنت والله ، ثم يقبل على المستمعين قائلا : مالكم لا تقولون أحسنت ؟ هذا والله مالا يحسن أحد أن يقول مثله .

وهذه الحادثة إن صحت لم تقع إلا مرة واحدة كانت فى مجلس المتوكل ، ولم يروها إلا رجل واحد كان أبا العنبس الصيمرى ، وهو رجل ماجن مزاح كان ينادم رضاع الكأس فيخترع لهم الأضاحيك ويروى الأفاكيه ، قال يروى هذا الخبر لجحظة :

« كنت عند المتوكل والبحترى ينشده :

عن أى ثغر تبتسم
وبأى طرف تحتكم

فكان يتشادق ويتزاور إلى آخر ما وصف . فضجر المتوكل من ذلك وقال لى :

بحياتى اهجه على هذا الروى الذى أنشدنيه . فقلت :

أدخلت رأسك فى الحرم
وعلمت أنك تنهزم

إلى آخر ما أنشد من ركة وقحة ، فالحادثة إذا قبلنا فى إثباتها خبر الواحد وهو مجروح بمجونه ، مهزلة فى مجلس شراب زالت فيه الكلفة وذابت التفرقة وانطلق المكبوت من الوعى الباطن ، فما كان من البحترى كان سورة كأس ونشوة طرب ، وما كان من الصيمرى كان فرصة تهريج ونهزة دعابة ، وما كان من المتوكل كان عبثا بالشاعر ولهوا بالنديم ، على أن المرة الواحدة وإن وقعت فى الصحو لا تكسب خلقا ولا تنشئ عادة ولا تثبت نقيصة .

* * *

هذه أيها السادة صورة تقريبية لشخصية الشاعر الأكبر رسمتها فى إطار الزمن المقدر لعرضها عليكم ، فإذا أضفت إليها بعض الصفات الخلقية التى تجمعت كل صفة منها من طريق ، كقول أبى الفرج إن لحيته كانت سمراء طويلة ، وقول ابن الرومى إن وجهه

البقية على الصفحة التالية

الفاعل فى اللغة العربية

بين المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول

للأستاذ عباس محمود العقاد

كتبنا فى العدد الماضى عن المقارنة بين لغتنا واللغات الهندية الجرمانية فى موضوع الجملة الإسمية والجملة الفعلية ، وأشرنا إلى رأى بعض المستشرقين الذين يعللون غلبة الفعل على الإسم فى ابتداء الجمل بالقدرية الشرقية وانطباع الشرقيين على إبطال كل فعل غير فعل القدر ، مع إنكار « الثبوت » على الشخصية الإنسانية ... وقلنا فى مناقشة ذلك أن لغة الضاد تستخدم كلا من الجملتين الإسمية والفعلية فى موضعها ، فهى أوفى من غيرها فى هذا الباب ، وأن الفاعل لا يكون فى كل جملة إنسانا أو كائنا حيا ، فلا محل هنا للقول بإنكار « الشخصية الإنسانية » .

ونعرض فى هذا المقال لمقارنة أخرى بين

« بقية المنشور فى الصفحة السابقة »

كان مسنونا ذنوبا ، وقول أبى العلاء إن قدميه كانتا كقدمى ديك ، وقول الصولى إن جسمه كان قصدا بين الطول والقصر وبين السمن والهزال ، وإن بدنه كان معافى طول عمره لاعتداله ، فلم يشك علة فى جسمه ، ولا عقدة فى نفسه ، استطعنا أن نتبين من خلالها على اختلاطها وإجمالها ، معارف هذا الفنان العظيم الذى حمل قيثارة الشعر بعد أبى تمام فزاد فى أوتارها وتر الوصف الدقيق المصور ، وفى ألحانها لحن الغزل الرقيق المعبر ، فكان خليقا بقول صاحب المثل السائر فيه : « أما البحترى فأراد أن يشعر فغنى » ، والفضل فى فضله إنما كان لأمه الشام مثابة الأدب الخالص والعروبة النقية والإسلام الصحيح ، فإنها بفضل ماحباها به الله من زكاوة التربة وأصالة الفطرة وفتون الطبيعة قدمت إلى هيكل الشعر فى حبيب والوليد وأحمد (عزّاه ولاته ومناته) كما قال ابن الأثير ، وأعادت إلى العرب الخلص سبق الشعر ممن غلبهم عليه من الشعراء الموالى بإنجابها العباقرة الخمسة : أبا تمام ، وأبا عبادة ، وأبا الطيب ، وأبا فراس ، وأبا العلاء . فالاحتفال بالبحترى احتفال بها ، وتكريم البحترى تكريم لها ، والله سبحانه وتعالى يخلد فى رحمته وجنته روح الإبن ، ويكلأ بعينه وعونه حياة الأم .

أحمد حسن الزيات

لغتنا وتلك اللغات ، وهي المقارنة بينها في موضوع الفعل المبني للمعلوم والفعل المبني للمجهول ، وهو موضوع له اتصال بموضوع الفاعلية ، واستعداد اللغة لإثبات الفاعل على حسب درجاته من الأثر أو درجات العلم به عند السامع .

فالفعل المبني للمعلوم موجود في لغتنا وفي اللغات الأخرى ، ولكن صيغة المبني للمجهول تختلف كثيرا بين هذه اللغات ، لأن اللغة العربية تدل على المبني للمجهول بصيغة خاصة في أوزان الفعل الثلاثي والفعل الرباعي أو الخماسي أو الفعل المزيد على الجملة ، ولكن اللغات الأخرى تدل على المبني للمجهول بعبارة لا اختلاف فيها لتركيب الفعل على كلتا الحالتين .

نحن نقول فتح الرجل الباب ، ونقول « فتح الباب » بصيغة المجهول ، ولكن العبارة الأوربية التي تدل على ذلك تقابل قولنا (إن الباب يكون مفتوحا ، أو إن الباب صار مفتوحا) وهو تعبير يخلو من دقة الصيغة العربية ، لأنه أقرب إلى الوصف منه إلى الإخبار ، ولا سيما التعبير الغالب عندهم وهو ما يقابل قولنا (إن الباب مفتوح) .

وتزيد اللغة العربية بصيغة لا وجود لها عندهم . وهي صيغة الفعل المطاوع ، فيقول القائل (انفتح الباب) ويعبر بذلك عن معنى لا تدل عليه دلالته الدقيقة كل من صيغة المبني للمعلوم وصيغة المبني للمجهول .

ويظهر الفارق في الدلالة على المعاني المختلفة في استخدام الفعل في الجمل المفيدة على حسب دلالتها .

فإذا قلنا « فتح محمد الباب » فهذا خبر لمن يهمه أن يعرف من الذي فتح الباب .

وإذا قلنا « فتح الباب » فقد يكون الخبر موجها — أيضا — إلى سامع يهمه أن يعلم شيئا عن الفاعل ، ولكن المتكلم يخبره بأنه لا يعرفه أو يخبره بأنه يعرفه ولا يريد أن يذكره .

ولكن هناك حالة غير هذه وتلك ، وهي حالة إنسان ينتظر فتح الباب ولا يعنيه من الذي فتحه كما لا يعنيه أن يقول له المتكلم إنه يجهله أو يسكت عنه .

في هذه الحالة يقول العربي : « انفتح الباب » فيؤدي المعنى المطلوب بغير خلط بينه وبين الحالات التي ينتظر السامعون خبرا عن فاعل الفتح ، معلوما كان أو مجهولا أو مسكوتا عنه مع علم السامع به تعمدا لإخفائه أو لإهماله .

واللغة الدقيقة التي استوفت وجوه الدلالة هي اللغة التي تلاحظ مقتضى الحال في كل عبارة من العبارات الثلاث ، ولا تستخدم عبارة واحدة لموضعين ملتبسين ، بل تستخدم كل عبارة لموضعها الذي لا لبس فيه .

وهذه هي صفة اللغة العربية في وفائها بالمعاني المقصودة على حسب إرادة المتكلم والسامع ، أو على حسب ضرورة التفاهم بين الإثنين .

على أن درجة الفاعلية فى الاسم تثبت فى اللغة العربية باستخدام صيغ أخرى تتمم هذه الصيغة من صيغ البناء للمعلوم أو البناء للمجهول أو فعل المطاوعة .

فهناك صيغة المبالغة من مادة الفعل نفسه بغير حاجة إلى مادة مستعارة من غيرها .

ففى اللغة العربية فعّال للمبالغة تعطينا من مادة الفتح كلمة « فتاح » بمعنى الكثير الفتح والمقتدر على الفتح على السواء ، ولا مقابل لهذه الصيغة فى اللغات الهندية الجرمانية إلا باستخدام جملة أو عبارة مركبة من عدة كلمات .

وفى اللغة العربية صيغة من صيغ المبالغة تحكى الصفة المشبهة باسم الفاعل ، لأنها تدل على حالة ملازمة بغير اعتبار للحدث والزمان.

ومنها فى فتح كلمة « فتوح » بمعنى المطرق أول موسمه، فإن لها دلالة غير دلالة كلمة (فاتح) وغير مجرد المبالغة ، لأن الفاتح لا يلزم منه التكرار كما يلزم من الفتوح .

أما الصفة المشبهة ـ عموما ـ فهى أعجب من ذلك فى دقة الفهم ودقة الوضع وجريان الأوزان والمشتقات فى هذه اللغة على أساس عميق يدل على عراقتها كما يدل على بعد عهد أبنائها بالتفرقة بين المفاهيم الذهنية .

ومن هذه الدقة أن اسم الفاعل لا يوجد فى مواد الكلمات التى لا يقصد بها الحدث فى الزمان ، وإنما توجد الصفة المشبهة وحدها لأنها أوفق لأداء معنى الصفات الملازمة فى صيغة الفاعل أو صيغة الإحداث .

ولهذا تجرى على الألسنة كلمة « كريم » ولا تستخدم كلمة « كارم » ، مع سهولتها على اللسان فى وصفها المطرد ، لأن الكرم صفة لا تحدث فى كل عطاء أو كل منحة أو كل صنيع معدود من الصنائع الكريمة ، ولكنه صفة ملازمة ولو لم يحدث فعل الكرم غير مرة واحدة أو مرات محدودة ، فإن الذى يعمل عمل الكرماء « كريم » ولو لم تتعدد أعماله ، أو هباته ومروءاته ، ومن قيل إنه « كرم » فأفعال الكرم منتظرة منه على الدوام وليست كالحادث المرتهن بزمان محدود ، ولو تكاثر أو تعدد حينا بعد حين .

وإذا جاءت الصفة المشبهة على وزن «أفعل» كان بها الغنى عن أفعل التفضيل ، لأنها تدل كذلك على صفة ملازمة لا تختلف فى صاحبها بمرات الحدوث ولا بدرجاته ، إلا أن تكون المفاضلة بين موصوفين اثنين فإنها فى هذه الحالة تدل على التفضيل بزيادة فى نوع الصفة لا فى المرات والدرجات ، فيقال هذا أشد بياضاً من ذاك أو أوضح بياضا من ذاك ، ولا يقال هذا أبيض منه بهذا المعنى إلا لضرورة من ضرورات الشعر ينص عليها

لا جرم أن اللغة التى تثبت للفاعل درجاته وأنواعه بهذه الدقة لجديرة أن تعلو على مثال

النقد من هذه الناحية إن لم نقل إنها أعلى من منال الناقدين من نواحي شتى، فلا يقال فيها إن تعبيراتها مقصورة على الجملة الفعلية لأنها تبطل «الثبوت» للفاعل ذهابا مع «القدرية» أو ذهابا مع سواها .

* * *

ونحن بصدد الكلام على المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول لا يفوتنا أن نعرض للأفعال التى ترد على الدوام مبنية للمجهول وتدل فى الأغلب الأعم على الإصابة بالعلل والطوارئ التى لا عمل فيها لإرادة المصاب، أو التى يكون المصاب فيها أبداً بمقام نائب الفاعل ولا يكون فاعلا مريدا لفعله .

من هذا القبيل كلمات «زكم، وصرع، وهزل وفلج» وما جرى مجراها .

ومن اللغويين من يقول إن هذه الأفعال بنيت على المجهول اجتناباً لنسبة المرض إلى فاعله فى هذا المقام، وهو الله .

ولكنه سبب غير صحيح، لأن العربى قبل الإسلام يقول فى الدعاء «قاتله الله، وأهلكه الله، وأبعده الله»، ولا يتجنب نسبة الفعل إلى الله، مع أن القتل والهلاك والإبعاد أشد ولا شك من الزكام، وأولى بالتحرز من ذكر الفاعل - إن كان هو السبب - أن يقع التحرز فيما هو أشد من تلك العلل جمعاء، وهو الموت .

ولقد نزل القرآن الكريم وفيه آيات النكال والنقمة مقصودة بنسبة هذه الأفعال إلى الله جل وعلا، لأن نسبتها إليه هى محل العبرة والتذكير .

فليس بناء تلك الأفعال على المجهول تجنبا لذكر الفاعل من عهد الجاهلية، ولكنها ترد بهذا البناء على قدر عمل المصاب بها، وليس عمل المصاب بها إلا كعمل نائب الفاعل أو عمل المفعول الواقع عليه فعل الإصابة .

وإننا لنزداد علما بالدقة فى تكوين هذه اللغة إذا لحظنا أن كلمة «مات» تأتى على غير البناء للمجهول لأنها فعل لازم لا مفعول له غير المصاب به، ولأن الإصابة بالموت سواء فى كل من مات ولا اختلاف فيه بين المرات والدرجات .

ولمثل هذا السبب ترد الصفة المشبهة من اللازم فى غير الثلاثى، كالمطمئن والمستقيم وما فى معناهما، لأن اللازم أقرب من المتعدى إلى صفة اللزوم، وأبعد منه عن الحدث المتكرر .

وهذه إحدى المقارنات التى تثبت للغة العربية فضلا لا يثبت لغيرها من لغات الحضارة، فلعله شفيع لها عند أبنائها الذين يحتاجون منها إلى شفاعة، جهلا منهم بذنوبهم وجهلا منهم بفضائلها وحسناتها .

عباس محمود العقاد

التفكير الفلسفي في الشعر العربي

للأستاذ الدكتور محمد البهي

إن الشعر لون من ألوان التعبير عن الحياة وعن تفاعل الإنسان مع أحداثها وعما يجرى فيها من تعبيرات، من شأنها أن تحرك مشاعر الإنسان أو تلفت نظره إليها ولكنه يتميز عن أى لون آخر من ألوان التعبير - وبالأخص عما يسمى بالنثر - بجمال الخيال فى التصوير وبموسيقى الوزن فى الصياغة. وهو لذلك إن كان يعبر عن واقع فى الحياة فهو ينقل هذا الواقع - بفعل الخيال والسحر - من مجال الحقيقة إلى نطاق الذوق والإحساس الفنى، وهو يجمع لهذا السبب بين الإمتاع من جانب وتقرير الواقع من جانب آخر.

وربما لهذا الازدواج يتميز الشعر عن الفلسفة التى هى تعبير دقيق عن الواقع؛ وتعبير خال من فضفاضية الخيال وسحره، ومن موسيقى الوزن ونغمته. وهنا إذا أخذ الشعر بمنطق التفكير الفلسفى وباتجاهه فى التعبير اقترب من الفلسفة أو أصبح فلسفة، ولكن عندئذ روعى فى التعبير فيه مذهب الشعر فى الوزن، دون أن يكون لخياله أو لنغم وزنه أية صلة به.

والتفكير الفلسفى هو العمل العقلى صاحب المنهج فى خطواته، الشارح لحقائق الوجود العام والوجود الإنسانى بمفهومه الخاص.

فهو كما يحاول أن يشرح علة الوجود يحاول أن يشرح طبيعة الإنسان فى تكوينه، وتفكيره، وسلوكه، وفى غايته فى الحياة. وإذن ليس التفكير الفلسفى قاصراً على بحث ما وراء الطبيعة، أو على بحث المقاييس الخلقية، وأسلوب التفكير لدى الإنسان. بل كما يتناول هذه المجالات يتناول أيضا الطبيعة والطبائع الحية فى أجناسها العديدة.

وإذا أخذنا الشعر بالمفهوم الذى ذكرناه أولا، وأخذنا التفكير الفلسفى بهذا التحديد الأخير - فإنا لا نستطيع أن نؤرخ التفكير الفلسفى فى الشعر العربى إلا منذ أن كان هناك تفكير فلسفى بالمعنى المصطلح عليه فى تاريخ الثقافة العربية، إلا منذ وقت دخول الفكر الإغريقى الجماعة الإسلامية واتصاله بالاتجاه الإسلامى الخالص وامتزاجه بمبادئ الإسلام.

أما الإسلام نفسه فلا نستطيع أن نسميه تفكيراً فلسفياً، حين نتحدث عن التفكير

الفلسفى فى الشعر العربى ، منذ أن قامت الدعوة الإسلامية ، وتأثر العرب بوصايا الإسلام وتعاليمه . لا نستطيع أن نسمى الإسلام تفكيراً فلسفيا لأنه ليس صنعة لإنسان ، وإنما هو دعوة الخالق لهداية البشر كافة إلى الصراط المستقيم فى السلوك فى الحياة : فى تصرف الفرد مع نفسه وفى معاملته مع غيره . والخالق فوق الإنسان ووحيه فوق صنعة الإنسان كذلك .

وإذا أردنا أن نعبر عن تأثر الشعر العربى بالدعوة الإسلامية وبمبادئ الإسلام فذلك موضوع آخر يختلف كل الاختلاف عن الموضوع الذى نتناوله الآن ، وهو : التفكير الفلسفى فى الشعر العربى . ويجب أن يكون عندئذ عنوان الموضوع : « الإسلام والشعر العربى » .

والوقت الذى اتصل فيه الفكر الإغريقى بالأدب العربى وأصبح هذا الأدب فى نثره وشعره معبراً عن مشاكل هذا التفكير ، وعن حلول هذه المشاكل ، وعن الآراء المختلفة لهذه الحلول - متأخر عن دخـــول الفكر الإغريقى نفسه إلى الجماعة الإسلامية . إذ أن عملية الترجمة والنقل إلى اللغة العربية لهذا الفكر من لغته الأولى ، وهى الإغريقية ، أو من لغته الثانية وهى السريانية استغرقت وقتا طويلا . وبالأخص بعد ما احتاج الأمر إلى إعادة النقل من جديد إلى اللغة العربية على عهد الرشيد . هذا بالإضافة إلى ما يتطلبه من زمن آخر الاطلاع على قضايا هذا الفكر ، وفهمه ، ومراجعته ، والتعليق عليه بتبنيه أو برفضه .

على أننا لا ننسى أن تأثر الشعراء العرب بالتفكير الفلسفى الدخيل ، وتعبيرهم عما تأثروا به منه فى قصائدهم المختلفة ، لم يكن ليبدأ قبل أن تنتهى الخصومة الفكرية بين علماء العرب والمسلمين حول هذا الفكر الدخيل فى مجال الاتجاهات العقيدية ، وقبل إنتاج المفكرين العرب والمسلمين الإنتاج الأصيل فى مجالات علمية أخرى كمجال الرياضة والطبيعة ، وإن تأثروا فيما أنتجوا فيها بهذا الفكر .

لم يكن ليبدأ تأثر الشعراء العرب بالتفكير الفلسفى الدخيل قبل تلك الخصومة الفكرية فى مجال العقيدة وقبل الإنتاج الأصيل فى هذه المجالات العلمية ، لأن الطابع الذى سيطر على التوجيه والتفكير العربى والإسلامى بعد دخول المنطق الأرسطى ، ودخـــول بقية جوانب التفكير الإغريقى الأخرى - حمل المفكرين والموجهين العرب والمسلمين عامة على أن لا يتخذوا من الأدب المجال الذهنى ويجعلوه صاحب الحظوة الأولى ، وأنه كل شىء فى حياتهم كما كان الحال قبل الدعوة الإسلامية ،

وأبقى للمجالات التوجيهية والفكرية الأخرى غير الأدبية الأسبقية بين العلماء والموجهين العرب والمسلمين . وذلك أمر ضرورى ؛ لأن الدعوة الإسلامية ، منذ أن قامت شغلت قلوب العرب والمسلمين ، وشغلت تفكيرهم سواء فى نشر مبادئ الإسلام أو فى رد الهجوم عليها زمنا طويلا . ونشر العقيدة الإسلامية أو الدفاع عنها أصبح من أجل ذلك هدفا أوليا ، وأصبح ذا تقدير أول يسبق أى موضوع آخر ، وإن كان لهذا الموضوع الآخر شأن أى شأن سابق فى حياة العرب كالأدب مثلا ، وبالأخص الشعر منه .

ولم يكن من السهل على العرب والمسلمين بعد الدعوة الإسلامية ، وبعد أن قام مجتمعهم على أساس منها ، أن يعود تركيز التفكير الإسلامى ، وتوجيه الجماعة الإسلامية إلى ما كان عليه الوضع أيام الجاهلية وهو الأدب والشعر بوجه خاص ، عندما يزحف الفكر الإغريقى بوثنيته وبمنطقه الخادع المغرى ؛ لأنه إذا كانت حرارة الإيمان قد دفعت العرب وقت الدعوة الإسلامية على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى تركيز أمر حياتهم فى شأنها — فإن الخطر الذى صاحب دخول الفكر الإغريقى وظهور الوثنية من جديد فى صورة فلسفية أيام العباسيين ، كان لابد أن يحمل هؤلاء العرب الذين تبنوا الدعوة الإسلامية من قبل ، والمسلمين من غير العرب الذين شاركوهم هذا التبنى ، على الدفاع عنه ، وعلى تركيز التوجيه والتقدير معا على الجانب الإسلامى عقيدة ومنهجا فى الحياة ، وعلى أن يظل الأدب العربى وبالأخص الشعر فى التقدير الثانى أو المحل الآخر . حتى إذا تبلورت المذاهب العقيدية ، وتحددت المجالات العلمية الرياضية والطبيعية لعلماء العرب ومفكريهم — ابتدأ الأدباء يعرضون فى أدبهم هذا التفكير الفلسفى ويعرضونه فى أشعارهم بوجه خاص .

والقرن الثالث الهجرى يعتبر على وجه التقريب المسرح الزمنى لظهور التفكير الفلسفى فى مبادئه أو فى التأثر به فى الشعر العربى . ونجد فى شعر أبى تمام والمتنبى وابن الرومى وأبى العلاء المعرى نماذج واضحة للتعبير عن هذا التفكير .

وتعبير هؤلاء الشعراء عن هذا التفكير الفلسفى يختلف فيما بينهم فى مدى التأثر به ، ولهذا التعبير صور مختلفة :

(ا) فمرة يأخذ هذا التعبير صورة تمدح بالاطلاع عليه أو صورة رغبة فى الانصراف عنه. فيقول المتنبي مشيدا باطلاعه على الفلسفة الإغريقية وأربابها :

مَنْ مُبلغ الأعراب أنى بعدها
جالست رَسْطاليس والإسكندرا
وسمعت بطليموس داوِى كُتْبِه
مُتملكاً مُتبديا مُتحضِّرا
ولقيتُ كلَّ الفاضلين كأنما
ردَّ الإله نفوسَهم والأعصرا
نُسقوا كما نُسق الحسابُ مُقدَّما
وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرا

بينما يعبر البحترى مثلا - وهو ممن عاش بين أبى تمام والمتنبى - عن عدم حاجته على الأقل إلى الفكر الإغريقى فى أسلوب صياغته إذ يقول :

كلفتمونا حدودَ منطقكم
والشعرُ يُغنى عن صدقه كذبُهْ
ولم يكن ذو القروح يلهجُ بالمنـ
ـطقِ ما نوعُه وما سببُه

ونحن إذا وقفنا عند قول البحترى هذا نجده يصيب فى أن دائرة الشعر هى دائرة الوجدان وليست دائرة العقل والمنطق، وأن أثر فضفاضية الخيال فيه على الوجدان وعلى قيادة النفوس عن طريق إثارة هذا الوجدان وإلهابه - أشد وأقوى مما لو دخل الشاعر به مجال العقل والمنطق المجرد . وفى اعتقادنا أن البحترى لا يقصد بقوله : « والشعر يغنى عن صدقه كذبه » إطلاقا أن فى الكذب غناء . وإنما يقصد أن الهدف من الشعر يتحقق وإن كان التعبير فيه أوسع مدى من مدلوله، وأفسح رحابة من دائرة الواقع التى يريد أن يترجمها . وهذا الهدف هو إثارة الوجدان، وقيادة الجماعات والرأى العام عن طريقه .

(ب) وقد يكون هذا التعبير تمجيدا للعقل واستهانة بما عداه . فنرى المتنبى يقول :

لولا العقولُ لكان أدنى ضيغمٍ
أدنى إلى شرفٍ من الإنسان

ونرى أبا العلاء المعرى فى إشادته بالعقل يقصر المعرفة على دائرته وعلى حصيلة إنتاجه فيقول :

سأتبع مَنْ يدعو إلى العقل جاهدا
وأرحلُ عنها ما أمامى سوى عقلى

ويقول فى قصيدة أخرى :

كذب الظنُّ لا إمامَ سوى العقـ
ـلِ مشيراً فى صبحه والمساء

فإذا ما أطعته جلبَ الر
حمةَ عند المسير والإرساء

(ج) وقد يكون تضمينا لفكرة فلسفية كما يعبر أبو العلاء عن العناصر فيما يقول :

نُرَدُّ إلى الأصولِ وكلُّ حيٍّ
له فى الأربعِ القُدُمِ انتساب

كما يقول :

آليتُ لا ينفكُ جسمىَ فى أذى
حتى يردَّ إلى قديمِ العنصر

وكما يقول المتنبى :

تبخل أيدينا بأرواحنا
على زمان هُنَّ من كسبه
فهذه الأرواحُ من جوِّه
وهذه الأجساد من تُربِهِ

وكما يعبر أبو العلاء نفسه فى صلة الجسم بالنفس عن تبعية الجسم لها فى مظاهره وإعراضه فى قوله :

فإناؤكِ الجسمُ الذى هو صورة
لك فى الحياة فحاذرى أن تُخدعى
لا فضلَ للقدحِ الذى استودعتهِ
ضَرَباً ولكن فضله للمودع

وفى قوله أيضا :

يا روحُ كمْ تحملين الجسمَ لاهيةً
أبليته فاطرحيه طالمَا لَبِثَا

وعلى نحو ما يقول أبو تمام :

شاب رأسى وما رأيت مشيبَ الـ
ـرأسِ إلا من فضل شيب الفؤاد
وكذاك القلوب فى كلِّ بؤس
ونعيمٍ طلائعُ الأجساد

وعلى نحو ما يعبر أبو العلاء عن فكرة الجبر وعدم الاختيار :

ما باختيارى ميلادى ولا هَرَمى
ولا حياتى فهل لى بعدُ تخيير
ولا إقامةَ إلا عن يدى قدر
ولا مسيرَ إذا لم يُقضَ تيسير

وفيما نراه فى تحديد الفضيلة لأبى تمام فى قوله :

إذا المرءُ لم يزهدْ وقد صُبِغَت له
بزخرفها الدنيا فليسَ بزاهد

وكما فى قول المتنبى :

كل حلم أتى بغير اقتدار
حجةٌ لاجئٌ إليها اللئام

وكما يشير أبو العلاء إلى فكرة التناسخ التى جاءت إلى المسلمين عن طريق الفكر الإغريقى والفكر الدينى الهندى معا ، وإن لم يظهر إيمانه بها على الإطلاق :

يقولون : إنَّ الجسمَ ينقل روحه
إلى غيره حتى يُهذِبَه النقلُ

فلا تقبلن ما يخبرونك ضلة
إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل

(د) وقد يكون هذا التعبير عن التفكير الفلسفي في الشعر العربي تأثرا بمنهجه واسترابة في كل معرفة سابقة، وأبو العلاء المعري يعتبر مقدم الشعراء المتفلسفين في هذا الجانب ويذكر أولا أن الشك أمر طبيعي للنفوس فيما يقول:

ويعترى النفسَ إنكارٌ ومعرفةٌ
وكل معنىً له نفيٌ وإيجابُ

ثم يأخذ في الشك في المعارف السابقة فيقول:

وما آدمٌ في مذهب العقلِ واحدُ
ولكنه عند القياسِ أوادم

كما يقول أيضا:

دينٌ وكفرٌ وأنباءُ
تقصُّ وتوراةٌ وإنجيلُ
في كل جيل أباطيل ملفقةٌ
فهل تفرّدَ يوماً بالهدى جيل

وكما يقول:

هفت الحنيفةُ والنصارى ما اهتدت
ويهودُ حارت والمجوسُ مضللهْ

اثنان أهل الأرض: ذو عقلٍ بلا
دينٍ وآخر ديِّنٍ لا عقلَ له

على أنا قد نجد لأبي العلاء في شعره تعبيرا يثبت به وجود الله، سواء أكان ذلك من باب التقية أو من باب تردد النفس بين الإثبات والنفي، فيقول:

أثبِتُ لي خالقاً حكيماً
ولست من معشرٍ نُفاة

ويقول:

انفردُ الإلهُ بسلطانه
فما له في كل حال كفاء
ما خفيت قدرتُه عنكم
وهل لها عن ذي رشادٍ خفاء

ويقول أيضا:

أما ترى الشهب في أفلاكها انتقلت
بقدرةٍ من مليكٍ غير منتقلِ

(هـ) وقد يكون التأثر بالفكر الفلسفي في الشعر سيرا به في منطق استدلاله وتركيب قضاياه على نحو ما يقول أبو تمام:

فقسا ليزدجروا ومن يكُ حازماً
فليقسُ أحياناً على مَنْ يرحمُ
وإخالكم كيْ تغمدوا أسيافكم
إن الدمَ المعتدَ يحرُسُهُ الدمُ

ويقول أيضا:

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى
فالسيلُ حربٌ للمكان العالى

ويقول :

ليس الحجابُ بمقص عنك لى أملا
إن السماءَ تُرجّى حين تُحتجبُ

ويقول :

لا تنكروا ضربى له مَنْ دونه
مثلا شروداً فى الندى والباس
فالله قد ضرب الأقلَ لنوره
مثلا من المشكاةِ والنبراسِ

وعلى نحو ما نرى للمتنبى فى قوله :

من يهنْ يَسْهلِ الهوانُ عليه
ما لجرحٍ بميت إيلامُ

وفى قوله كذلك :

فإن الجرحَ يَنْفرُ بعدَ حين
إذا كان البناءُ على فسادِ

وعلى نحو ما نرى لابن الرومى فى قوله :

إذا غَمَرَ المال البخيل وجدته
يزيد به يُبْساً وإنْ ظُنَّ يَرْطبُ
وليس عجيباً ذاك منه فإنّه
إذا غمرَ الماء الحجارةَ تَصْلُبُ

وفى قوله :

عدوكَ من صديقكَ مستفادُ
فلا تَسْتَكْثِرَنّ من الصِّحابِ
فإن الداءَ أكثرَ ما تراهُ
يكونُ من الطعامِ أو الشراب

والشعراء الثلاثة : أبو تمام والمتنبى وأبو العلاء أكثر الشعراء الفلسفيين تأثراً بقضايا الفكر الإغريقى وبمنهجه . أما البحترى فهو أقل الشعراء الحكميين نقلا عن الفكر الإغريقى أو سيرا فى منهجه ، وإن لم يخل شعره من العقل الذى هو أحد مظاهر التفكير الفلسفى : فعندما يقول :

والعقلُ منْ صيغة وتَجْرُبة
شكلان : مولوده ومكتسبه

ويقول كذلك :

وسألت من لا يستجيب وكنت فى اسـ
ـتخباره كمجيب من لا يسأل

عند مايقول هذا أو ذاك يعطى القارئ له صورة من الشعر فى صياغة الفلسفة ودقة المنطق.

أما ابن الرومى فتأثره بالتفكير الفلسفى كان أكثر بالنزعة التى سادت التصوف الشرقى ، وهو التصوف الهندى من الميل إلى العزلة والتنفير من الحياة القائمة . وصاحب مثل هذه النزعة يحاول من جانب آخر ، فى استمرار وفى تأكيد ، الاعتراف بالله والتدليل على وجوده . وهذه الظاهرة نجدها فى شعره عندما يقول :

وإخلاصُنا التوحيدَ لله وحدَه
وتَذْ بيبُنا عن دينه فى المقاوِمِ
بمعرفة لا يَعْرفُ الشكُّ بابَها
ولا طعنُ ذى طعَن عليها بهاجم

وإعمالُنا التفكيرَ فى كلِّ شُبْهَةٍ
بها حجةٌ تُعيِي دُهَاةَ التراجمِ

ثم بعد ذلك نجده يدعو إلى عدم التأثر بالحياة التى يعيشها الإنسان على الأرض فى صور مختلفة .

مرة عن طريق استخدامه تجربته الخاصة فى قوله :

حضنتَ على حَظْلى لنارى فلا تدعْ
- لك الخيرُ - تحذيرى شرورَ المحاطبِ

ومن يلقَ ما لاقيتُ من كل مجتنى
من الشَّوكِ يزهدْ فى الثمارِ الأطايبِ

إذا اقتنى الأسفارُ ماكرِّه الغنى
إلى وأغرانى برفضِ المطالبِ

ومن نكبة لاقيتُها بعدَ نكبة
رهبتُ اعتسافَ الأرض ذات المناكبِ

فصبرى على الإقتارِ أيسرُ مَطْلَبا
على من التغريرِ بعدَ التجاربِ

ومرة بنصحه بالاكتفاء الذاتى فى قوله :

إذا لم يكن عندى سوى ما يَكفُنى
فشُحى عليه مثلُ شحى على عرضى

لأنى متى أتلفته احتجت حاجة
تُزيلُ مَصونَ العِرضِ فى طلب القرْضِ

* * *

وعلى أية حال مهما كان للتفكير الفلسفى أثره الإيجابى فى توسيع رقعة التفكير فى الشعر أو فى صقل التعبير فيه فإن له أثرا آخر يبعد الشعر عن مجاله الأصيل وهو الوجدان ، وبذلك يفقد شيئا قليلا أو كثيرا من خاصيته فالخيال عنصر رئيسى فى إثارة الوجدان ، بينما المنطق هو الأساس الأول فى التفكير الفلسفى .

مجالان مختلفان : مجال العقل ومجال المنطق وتعبيران متقابلان : تعبير الفكر الفلسفى وتعبير الشعر ، وأولى — لكى يبقى للفكر الفلسفى منطقه وتأثيره على العقل ، ولكى يبقى للشعر خياله وتأثيره على الوجدان — ألا يخضع الشعر للتفكير الفلسفى ومنهجه وطريقة تعميقه ، كما لا يخضع التفكير الفلسفى فى أسلوبه وصياغته للعنصر الأساسى للشعر وهو الخيال .

وبذلك يبقى للإنسان فى التأثير طريقان :

طريق العقل لمن يؤثرون متعة العقل .

وطريق الخيال لمن يتأثرون بالوجدان أكثر من تأثرهم بالعقل ومنطقه .

الدكتور محمد البهى
المدير العام للثقافة الإسلامية

الأخلاق من أدب النبوة

الحياء

من كلام النبوة الأولى

للأستاذ محمد محمد المدنى

روى البخارى فى صحيحه وأحمد فى مسنده وأبو داود فى سننه عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ماشئت) .

وهذا القول النبوى الكريم يمكن أن يفهم على معنيين .

أحدهما أنه إرشاد إلى علامة صادقة وبرهان مقنع يهدى المؤمن إلى ماهو خير فيقبل عليه وإلى ماهو شر فينصرف عنه .

فمعنى الكلام : أعرض على نفسك كل شىء قبل أن تفعله فإن أدركك حياء من فعله فهذا دليل على أنه فعل قبيح فانصرف عنه ، وإذا اطمأن إليه قلبك ولم تستح منه نفسك فاعلم بأنه خير وصلاح فأقبل عليه .

وهذه خاصية من خواص المؤمن الذى يعلم أن له ربا يطلع عليه ولا يغيب عنه فهو رقيب عليه حسيب على جميع أعماله ، إن هذا المؤمن كلما هم بفعل وجد نفسه من حيث يريد أو لا يريد معقبة على هذا العمل فيدركه حياء وانقباض إذا كان قبيحا ويدركه إقدام واطمئنان إن كان حسنا .

فهذا القول المأثور عن النبوة الأولى : يحيل المؤمن إلى هذه العلامة النفسية التى لا تفارقه ، وهى الحياء من الشىء أو عدم الحياء منه .

وفى القرآن الكريم : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » . فالفرقان الذى يجعله الله للمتقى هو ذلك الإحساس النفسى الخفى أو هذا الهتاف القلبى بأن شيئا ما ، حسن وشيئا ما ، قبيح .

فالمؤمن المتقى توجد عنده ملكة الفرق بين ما يرضى الله وما يغضبه وذلك هو الفرقان ولا مانع من أن يكون هو الحياء من الشىء أو عدم الحياء منه .

وقد وردت كلمة (الفرقان) فى كتاب الله

عز وجل بمعان كلها تتصل بالفرق بين الحق والباطل) ومن ذلك أن القرآن الكريم يسمى (الفرقان) : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا » ، ومن ذلك أن الله تعالى أطلق على يوم التقاء الجمعين ببدر (يوم الفرقان) وفى بعض ما فسر به قوله تعالى : « ألم . الله لا إله إلا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه ، وأنزل التوراة والإنجيل . من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان » إن (الفرقان) فى هذه الآية ليس المراد به (القرآن) لأن القرآن قد ذكر فى صدر الكلام حيث قال : « نزل عليك الكتاب بالحق » فلا يحسن التفسير الذى يؤدى إلى أن فى الكلام تكرارا ولأن التعبير جاء فى شأن (الفرقان) بقوله (أنزل) دون قوله (نزل) كما جاء فى سورة الفرقان : « تبارك الذى نزل الفرقان على عبده » والغالب فى القرآن التعبير عن نزوله بقوله : (نزل) لإفادة معنى التنجيم وأنه لم ينزل دفعة واحدة ، وإذاً فالفرقان فى هذه الآية ليس هو القرآن وإنما أراد الله تعالى به (العقل) فإنه فرقان للإنسان يفرق به بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، وما ينبغى أن يقدم عليه أو يتركه .

والتعبير بالإنزال على هذا المعنى كالتعبير به فى قوله تعالى : « وأنزلنا الحديد » والقصد منه إفادة أن العقل منحة إلهية للإنسان بمقتضى الخلق والتكوين ، فهى فى أصلها وفى تفاوت الناس حظوظا منها ، هبة ونعمة ومنحة لا دخل فيها للإنسان .

وهذا المعنى يتلاقى من قريب بمعنى « الفرقان » الذى ذكرناه فى قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » فكلاهما يدل على أن الله يمنح بعض عباده ملكة أو قوة يفرق بها بين الخير والشر ، والحسن والقبيح ، ونحو ذلك ، وقد ربطت هذه الآية « إن تتقوا الله يجعل لكم فرقانا » بين التقوى والفرقان بأسلوب الشرط والجزاء لتدل على أن من ثمرات التقوى حصول ملكة التمييز والتفرقة ، وهى ملكة كريمة عظيمة الآثار فى حياة الناس ، فإن الذى يمنح ملكة الفرقة والتمييز بين الأشياء مثله كمثل الذى يمنح نعمة البصر ، والذى يحرمها مثله كمثل الأعمى ، والإنسان كما هو محتاج إلى نور البصر ، محتاج إلى نور البصيرة .

وقد ورد فى القرآن أيضا « واتقوا الله ويعلمكم الله » والمراد الربط بين التقوى والعلم لا على معنى أن الله تعالى يهب المتقين من لدنه علما ربانيا فحسب ، كما يعتقد المتصوفة ، ولكن على معنى أنه يجعله بالتقوى مستكملا لأسباب العلم والعرفان ، فيبحث ويستطلع ويستكشف متعلقا بهذه الأسباب ، فيعلم ، فالأساس فى هذا كله هو النور الذى يجعله الله تعالى للمؤمن .

وفى القرآن الكريم عن يوسف وامرأة العزيز : « ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه، كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء » فالبرهان الذى رآه يوسف والذى لولاه لهم بها هو الحياء الذى يتحدث عنه القول النبوى المأثور ، وهو الفرقان الذى تتحدث عنه الآية السابقة ، ومما يدل على ذلك أن امرأة العزيز فقدت هذا البرهان فراودته عن نفسه والمرأة لا تراود الرجل عن نفسه إلا إذا لم يبق عندها ذرة واحدة من الحياء ، لكن يوسف لما رأى برهان ربه استعصم وما كان ذلك البرهان إلا الحياء كما يفهم من موضع آخر من هذه القصة « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال: معاذ الله إنه ربى أحسن مثواى» فهى تراود و تغلق الأبواب و تعرض نفسها باذلة عرضها على هذا النحو لأنها لم تر البرهان الذى هو الحياء وهو يتمثل ربه الذى أكرم مثواه فيدركه الحياء من أن يراه مسيئا وقد أحسن إليه وسواء أفسرنا الرب فى قوله : « إنه ربى أحسن مثواى » بأنه الإله الخالق جل جلاله أو بأنه سيد القصر الذى اشترى يوسف فأصبح سيده وربه أى مالكه فإن المعنى أن يوسف يستحى من هذا الرب أن يراه فى هذا الوضع الشائن ولذلك يستعصم ويفر من المرأة الحسناء التى راودته وتهيأت له وهيأت له جو الأمان فيسبقها إلى الباب .

فالحياء إذا برهان المؤمن وفرقان ونور مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ولذلك ورد أن رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم قال : (الحياء هو الدين كله) وقال : (من لا حياء فيه لا خير فيه) .

المعنى الثانى الذى يمكن أن يفهم عليه هذا القول النبوى هو معنى الإيعاد لا معنى الإرشاد يقول له :

إذا فقدت خلق الحياء فافعل ما بدا لك فقد أصبحت خارجا عن دائرة العتاب والحساب وهذا ينطوى على تهديد عظيم فإن قوله عليه الصلاة والسلام (فاصنع ما شئت) شبيه بقوله تعالى: « اعملوا ما شئتم إنى بما تعملون بصير » .

وسواء أكان معنى القول النبوى المأثور هو هذا أو ذاك فإن الأمر يدل مبلغ ما للحياء من أهمية وشأن خطير ، ولذلك اتصل خلق الحياء بحركات الجسم الطبيعية بتكوين إلهى فى الإنسان خاصة ، فهو الذى يحمر وجهه خجلا إذا رأى أو أقبل على ما يشينه وقد يبلغ الحياء الخلقى لبعض الأفراد إلى أنهم لا يستطيعون السيطرة على أعضائهم ولا يمكنهم التحرك فى المجالس التى يستحيون منها فهى إذا طبيعة جبلية تساعد على تركيز هذه الفضيلة النفسية .

ومما يوصف له أن بعض المجتمعات تعمل

على إماتة هذه العاطفة حسا ونفسا وذلك بتهوين أمر الرذيلة وتفخيم شأن الحسرية والمدنية الكاذبة ولذلك نرى البيئات الفطرية يظل الحياء فيها غضا بينما نرى البيئات الصناعية قد استهانت بكل الموازين واجترأت على اقتحام جميع الحدود .

فاللهم ارزقنا الحياء واجعله برهانا لنا وفرقانا وعصمة وهدى وأمانا .

وقد يظن بعض الناس أن الحياء خلق سلبي بمعنى أن الإنسان يقف بالحياء موقف الذى لا يفعل ، ليس بخلق إيجابى وهذا ظن خاطىء فإن الحياء كما هو خلق مانع هو أيضا خلق دافع فإنك إذا كنت مكلفا بعمل راودتك نفسك أن تتكاسل عنه ثم تذكرت موقفك ممن كلفك فإن الحياء حينئذ يدركك فتندفع إلى العمل حتى لا تقف موقف المقصر .

ثم إن ميادين الحياء لا تنحصر ، فكل جانب من جوانب الحياة يصلح بهذا الخلق ويفسد بضياعه : إذا كنت عالما وأفتيت الناس ارتجالا دون بحث ودرس واطمئنان إلى ما أفتيت به فإن هذا مناف للحياء .

إذا كنت قاضيا وحكمت بالهوى أو قصرت فى معرفة الحق فإن هذا وذاك منافيان للحياء .

إن صاحب الحياء يستحى من أخيه ومن ابنه ومن زوجته ومن المجتمع بل يستحى من نفسه وهو فى هذا كله يذكر ربه الذى يراه وإن لم يكن يراه ولا بد لنا من أن نفرق بين الحياء والضعف والانكماش فإن للحياء حدا إذا تجاوزه انقلب ضعفا وقصورا وهذا هو الشأن فى جميع الفضائل فالشجاعة إذا خرجت عن حدودها ومواطنها أصبحت تهورا ، والصبر إذا خرج عن حدوده ومواطنه أصبح تبلدا فكذلك الحياء قد تزيد فى بعض النفوس أخلاطه وتختل مقاديره فيصبح ضعفا وانكماشا ونقصا ولذلك نرى فى المجتمعات بعض الأفراد يستحيون من الشىء لمجرد أنه لم يؤلف وإن كان صلاحا ورشادا وإلا فما هو المبرر لأن يستحى طالب الجامعة الفقير بأن يزاول عملا بعد الظهر يستعين به على إتمام دراسته مثلا ، وما هو المبرر لأن تستحى الفتاة من أن تغطى شعرها وهى فى الجامعة وما هو المبرر لأن يركب الفقير الدرجة الأولى حياء من أن يراه زميل له وهكذا .

إن بين الفضيلة والرذيلة فى العادة خيطا رفيعا واللبق الحصيف صاحب الوعى والفرقان والبرهان هو الذى يدرك الحد الذى يجب ألا يتجاوزه .

محمد محمد المدنى
عميد كلية الشريعة

العربُ في أندونيسيا

للأستاذ عبد القادر عبد الله الجفري

في مدينة صولو بأندونيسيا التقى صاحب هذه الدراسة الأستاذ عبد القادر عبد الله الجفرى بفضيلة الإمام الأكبر الأستاذ الشيخ محمود شلتوت شيخ الجامع الأزهر .

وتوثيقا للتعارف بين المسلمين وتداونهم فى مختلف ديارهم طلب الإمام الأكبر من الكاتب إعداد دراسة عن « العرب فى أندونيسيا » وحالتهم الاجتماعية ، وما ينقصهم ويعترض سبيلهم فى أداء رسالة الإسلام وتعاليمه .

وسوف يجد القارئ متعة فى التعرف على أحوال إخوانه فى الشرق الأقصى ... وسوف يتحقق أننا جميعا أمة واحدة — حتى فى المتاعب والآلام ! وسيجد الاستعمار يصطنع بذور الشقاق ثم ينميها بين عرب أندونيسيا ، ليغدو العرب المسلمون : علويين وإرشاديين يضرب بعضهم وجوه بعض ، بأسهم بينهم شديد ، وعدوهم يتناحرهم سعيد .

والكاتب عربى علوى ... وإن كان يدعو ويلح لوحدة الصف والتئام الشمل ، وهو يعرض نشاط المعاهد العربية فى ربوع أندونيسيا رغم ما يرهق العرب من خلافات ومشكلات ويعرض تجارب تعليمية تستحق الدرس والتقدير وهو يرجو لهذا النشاط المزيد حين تظفر هذه الجهود المحدودة برعاية الحكومات العربية والإسلامية ، وفى مقدمتها الجمهورية العربية المتحدة بأزهرها العتيد .

أشرق نور الإسلام فى الشرق الأقصى فى منتصف القرن السابع الهجرى ، ومنتصف القرن الرابع عشر الميلادى تقريباً ، وأخذ ينتشر ويمتد فى ربوع الأرخبيل الأندونيسى وشبه جزيرة الملايا وجزائر الفلبين بواسطة التجار والرواد الإسلاميين الذين كانوا يجوبون البحار . وكانت شبه جزيرة الملايا وسومطرة الغربية الشمالية وجزيرة صولو بالفلبين وجزيرة جاوة هى أول ما حظيت فى الشرق بالسعادة الدينية الإسلامية ، فقد وفد إليها التجار الحضرميون من طريق خليج البنغال وسيلان ومن طريق الهند الصينية فى ذلك العهد . وهم أفراد من أسرة آل عبد الملك كما كشفت عن ذلك الوثائق وشواهد قبورهم . وعبد الملك هو ابن على ابن علوى

من أحفاد المهاجر السيد الشريف أحمد بن عيسى ابن محمد بن على العريضى الذى هاجر بأسرته من البصرة إلى حضرموت فى سنة ٣١٧ هجرية .

هاجر عبدالملك من حضرموت فى أواسط القرن السادس الهجرى [1] واستوطن عبد الملك فى السند فى أحمد أباد وأعقب هناك وانتشر أحفاده فى بلاد الهند.

تاريخ الإسلام فى جزائر الشرق الأقصى

لم يكن أولئك الدعاة الأولون للإسلام فى جزائر الشرق الأقصى رواداً للاستعمار، ترعاهم حكومات وتسجل حركاتهم وتنقلاتهم، ولم يكونوا بعثات تبشيرية تموِّلها منظمات وهيئات من ورائها الدول الاستعمارية فاتحة تخط لها خطوط سياستها وتدون تقاريرها. بل إنما كانوا رجالا مؤمنين فى صور تجار ترجح فى نفوسهم كفة الدين كفة الدنيا، فلم تكن هناك لهم آثار كآثار الفاتحين ولا سجلات كسجلات المبشرين المأجورين. لهذا لم تكن هناك مصادر يستقى منها المؤرخ لدخول الإسلام ما يشفى الغليل بل كان للاستعمار الهولندى فوق هذا وذاك جهود جبارة لطمس الآثار وجهود جبارة فى استئصال وتقصى الكتب التى لها علاقة بالإسلام حين دخوله واحتجازها بشتى الوسائل والأساليب، لغرض هو فصل الحاضر عن الماضى ليتسنى له تشويه الحقائق التاريخية وبذر الخرافات وطمس الصلات التى ربطت بين الشعب الأندونيسى وأخيه الشعب العربى، ودس الكذب على التاريخ وأبطاله.

بالرغم من ذلك كله فإنه لا تزال هنا وهناك قرائن ووثائق احتفظت بها بعض الأسر المالكة فى المقاطعات والجزائر. وهنا وهناك آثار وشواهد فى المعابد والمقابر تضىء لنا السبيل إلى الحقائق وتدل دلالة قاطعة لا مجال لإنكارها ولا مندوحة لأولئك الذين كتبوا التاريخ الإسلامى من المتأخرين فأساءوا إلى ماضى الوطن السعيد وتاريخ الشعب المجيد، وقدموا للأجيال الناشئة صوراً تاريخية مضطربة مذبذبة كلها تشكك وافتراضات والتواء.

ترى ماذا كان يدفع أولئك الذين تصدوا للكتابة للأجيال؟ وماذا دعا العلماء المسلمين فى الوقت الحاضر وبعد زوال أعداء الإسلام المستعمرين من رجال الأحزاب الإسلامية ألا يكشفوا عن تلك الحقائق اللامعة، ويردوا هذه المغالطات والافتراضات التى كتبت ودرست للناشئة الإسلامية الأندونيسية فى عهد حريتها؟ أكان هذا منهم لعدم تتبعهم للقرائن والوثائق وربط بعضها ببعض حتى تتكون الصورة الصادقة ويظهر الحق؟ أم

---

[1] يراجع كتاب «عقود الماس» للعلامة المؤرخ السيد علوى بن طاهر الحداد العلوى — طبع سنغافورة.

أن الحزبيات والأغراض السياسية أضاعت بينهم هذه اللبنات الأساسية لبناء الوطن الجديد، لأن لكل أفهاما وأغراضا أنستهم هذه الناحية من تاريخ الوطن وغطت هذا الجانب العزيز من حضارته ونهضته فاختفت بين هذه المتناقضات ؟ أم أن حرارة القومية والوطنية طغت على الناس فبغضت إليهم أن يدخل فى تاريخ أوطانهم وحضارتها رجال ينتمون إلى أمة أخرى ؟ .

إن التاريخ مرآة الشعوب الصافية ، لا يكدرها ولا يشوهها إلا ما يلقى عليها من ظلال العصبية ، ودخان الأغراض الشخصية والسياسية ، وأن هذه إساءة متعمدة إلى الإنسانية جمعاء فى مراحل تطورها وفى مجال اتجاهاتها إلى الرقى والكمال وفى أدوار تقاربها فى سبيل الإخاء والتعاون .

ولعل هؤلاء الكتاب إنما كانوا يستقون من المستنقعات التى حفرها الاستعمار . وكم ترك الاستعمار من ألغام وبث من سموم فى أجزاء البلاد وثراها !

إن العرب الحضرميين ، والعلويين منهم بوجه خاص . هم السابقون الأولون الذين حملوا مشعل الإسلام إلى الشرق الأقصى وجزائر القمر ومدغشقر وإفريقيا الشرقية . ولكيلا نطيل بنقل النصوص فإنا نحيل الباحث أولا على كتاب : نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر » للمؤرخ شمس الدين الأنصارى الدمشقى المعروف بشيخ الربوة المتوفى فى القرن الثامن الهجرى تقريبا ـ وقد طبع كتابه هذا سنة ١٢٨١ وإن كانت عليه ملاحظة فى أسباب هجرة العلويين إلى الشرق الأقصى ، وكتاب : عادات المورو ودينهم فى الفليبين للدكتور نجيب صليبى اللبنانى المطبوع فى جزءين عام ١٩٠٥ فى مانيلا . والدكتور نجيب صليبى مهاجر من أهالى حوران توفى عام ١٩٣٥ م والمورو هم المسلمون كما يسميهم الأسبان ، ونحيل أيضا إلى كتاب : حاضر العالم الإسلامى وتعليقات الأمير شكيب أرسلان وتعقيباته عليه : مادة دخول الإسلام إلى جاوه فى الجزء الأول من ص ٢٧٦ إلى ص ٣٧٥ الطبعة الثانية القاهرة ، ومادة : بيانات عن الحضارمة فى الجزء الثالث من ص ١٢٠ إلى ص ١٨٣ الطبعة الثانية القاهرة أيضا . كما أن فى إدارة أوقاف مسجد (امفيل) بسرابايا الذى أسسه الداعية الإسلامى الأول بجزيرة « جاوه » الشرقية آثارا ووثائق من عهد ذلك الفاتح الدينى . وقد نشرت تلك الإدارة منذ عامين نشرة تتضمن سلسلة نسبته إلى السيد الشريف المهاجر أحمد بن عيسى النقيب ، الذى جاء حضرموت واستوطن بها سنة ٣١٧ هـ .

وقد اكتشف المكتب الدائم لضبط أنساب العلويين فى الشرق الأقصى التابع

للرابطة العلوية ، وثائق انتساب السلاطين والأمراء فى (فونتيانا) بجزيرة كالى مانتن الأندونيسية وفى فلنباغ بجزيرة سومطرة الشرقية وسلاطين جاوة الوسطى وجاوة الغربية وأمراء وعلماء فى آجيه بسومطرة الغربية الشمالية .

على أنه توجد أسر كثيرة انصهر أبناؤها فى الشعب الأندونيسى فتسموا بأسمائه ، وحملوا ألقاب الشرف الأندونيسى منذ سبعة أجيال وخمسة ، لكنهم رغم ذلك لم يزالوا يحتفظون بوثائق سلاسل النسبة العلوية . وقد حداهم إلى حمل الأسماء والألقاب الأندونيسية التهرب من القانون الاستعمارى الذى لا يسمح بالتملك ـ وخصوصا للأراضى الزراعية ـ والتنقل فى أرجاء البلاد بحرية ، والتعلم فى المدارس الهولندية ، واحتلال الوظائف الإدارية البلدية ، إلا لأولئك الذين يتمتعون بالإضافة إلى أندونيسيتهم بشرف لقب (رادين) وهو لقب له دلالة على الاتصال بالأسر المالكة نسبا أو مصاهرة.

فالزعيم الإسلامى الكبير الحاج عمر سعيد شكرو أمينوتو مؤسس حزب (شركة إسلام) أول منظمة إسلامية أندونوسية ، وختنه الدكتور الشهير (سوتومو) أعلنت نسبتهم بعد وفاتهم فى زمن الاستعمار . ولا أزال أذكر يوم نشرت جريدة (ماتاهارى) بجاوة ثانى يوم وفاة الدكتور سوتومو عام ١٩٣٤ ميلادية ـ نسبة المنتمى إلى أسرة آل باعبود العلويين ، وهذا مجال يمتد ويدفع إلى الإطالة والإسهاب ، فلنكتف بهذا ، إذ أن القرائن والوثائق فى هذا الموضوع كثيرة ، ولا تزال شاخصة .

وقد جمع الأستاذ الشاعر المرحوم السيد أحمد بن عبد الله السقاف العلوى جزءين فى تاريخ الإسلام بأندونيسيا ، يصح أن يقال بحق إنه أصح تاريخ مدعم بالمصادر والبراهين: ولكنه لا يزال مسودة . . وقد أهدى من ورثة ذلك الأستاذ للسيد العلامة المؤرخ علوى بن طاهر الحداد مفتى جهور بجزيرة ملايا . بدأ تاريخه رحمه الله بعهد ما قبيل الإسلام مباشرة وما كانت عليه الأمة الجاوية من دين وعادات إلى آخر عهد الاستعمار .

الدعاة الأولون وأسلوب نشر الإسلام بجاوة

كان الداعية الأول بجاوة الشرقية الشريف: رحمت ، وهو من أحفاد الشريف أحمد بن عبد الله بن عبد الملك بن محمد بن على صاحب مرباط ــ بظفار ــ العلوى ــ هاجر جده الأعلى عبد الملك المذكور إلى السند ، واستوطن أحمد أباد فى منتصف القرن السادس الهجرى وأعقب هناك وانتشر عقبه فى الهند ، وكان لهم هناك مقام سام ،

ويعرفون بآل عظمة خان ، وانتشر رجال تلك الأسرة خصوصا بعد اختلال الأمن فى الهند وحروب آل طلغلق والمهراجات ، فقد كان منهم من ذهب بطريق الهند الصينية ، ومنهم من ذهب إلى البنغال ، وعبر من خليج بنغالة إلى شبه جزيرة الملايا وسومطرة وهما إسحق ، وأبو بكر ، فالأول أقام برهة فى (سيقون) فى الهند الصينية ، والثانى ذهب إلى الملايا وتزوج بكريمة سلطان جوهور ، وتتابع الإخوة وأبناء العمومة إلى جزائر الشرق .

وقد وطئ الداعية الأول بجاوة الشريف رحمة الله مؤسس مسجد أمفيل بسربايا جزيرة جاوة عن طريق الهند الصينية ، وتبعه بعده أخوه إسحق الآنف الذكر المقبور الآن فى بونغ بجاوة الشرقية ويعرف بلقب (سونن بونغ) ، ثم جاء بعدهما ابن إسحق « الشريف محمد عين اليقين » المقبور فى فيرى بجاوة الشرقية أيضا والمعروف أيضا بلقب (سونن فيرى) — وقد تزوج هذا بكريمة الملك البوذى فى ماجافاهيت بجاوة الشرقية ، تزوجها بعد أن أسلمت فى حكاية مشهورة يتناقلها الأحفاد عن الأجداد محفوفة بكثير من الخرافات والأساطير . والمشهور أن الشريف محمد عين اليقين هذا مجاب الدعوة وقد ظهرت على يديه خوارق مشهورة . وكل أولئك أعقبوا فى هذه البلاد ، ومن أشهر أبناء الداعية الأول الشريف رحمة الله ابنه المدعو الملك ابراهيم المقبور فى مدينة فرسى بجاوة الشرقية ، وتلا أولئك الدعاة الشريف هداية الله المقبور فى (فونغ جاتى) جبل الساج فى مدينة شربون بجاوة الغربية . وفى تلك الأثناء اشتهر (رادين فتاح) وهو ابن ملك ماجافاهيت من زوجة ثرية صينية أسلم ذلك الأمير على يد الشريف إسحق وسمى عبد الفتاح ، وهو الذى أسس مدينة دماك بجاوة الوسطى . وهو أيضا أحد العلماء الإسلاميين الملقبين بلقب والى سوغو ، يعنى الأولياء التسعة الذين بنوا مسجد دمـــك الشهير القائم إلى اليوم ، وعبد الفتاح هذا هو الذى حارب أباه البوذى بعد أن ظهرت منه المقاومة للدعوة الإسلامية والتدابير للقضاء على أبطالها ، وعلى يده انهارت مملكة ماجافاهيت الشهيرة .

أما طريقة أولئك الدعاة فى نشر الإسلام : فانهم جعلوا من منازلهم معاهد ومدارس لإيواء المريدين والطلاب من أبناء الشعب وشبابه ، والقيام بتكاليف معاش بعضهم ، وتعليمهم العقائد الدينية والواجبات العينية والمبادئ الإسلامية الطاهرة دون أن يتعرضوا لإنكار العادات التى لا تمس العقائد ثم بث المتخرجين فى النواحى والقرى لإقامة

المصليات والمعاهد لتعليم القرآن والأحكام على ذلك الأسلوب.

ولقد كان لهذه الطريقة السهلة أثر فعال حيث إن أكثر الأهالى لم يزالوا على الفطرة، وقد سوا فى هذا الدين أشياء رفعت الروح الإنسانية فيهم من حضيض الحيوانية والاستعباد.

وقد وجد الدعاة الأولون التربة الخصبة الطاهرة، فسرعان ما انتشر الدين الحنيف فى أرجاء أندونيسيا، وكان لمرونة أولئك الدعاة وصبرهم نصيب وافر فى تحبيب هذا الدين الحنيف الذى أبقى على كثير من الأعياد والأفراح الموسمية وإحياء الليالى بالسهرات التمثيلية والرقص، بل أدخلوا فى كل ذلك عنصراً جديداً على الأغانى والأناشيد من الآداب والحكم والفلسفة وجعلوا من الأبطال الخياليين فى التمثيليات أبطالا إسلاميين، مما حول الصور الفنية إلى معانى إنسانية إسلامية وبهذا لقى انتشار الإسلام كل سهولة.

تتابع هجرة العلويين:

بفضل أولئك الدعاة الأولين وأبنائهم دخل الإسلام كل جزائر أندونيسيا والفيلبين وبالإسلام لمع اسم أندونيسيا، وكانت تعرف فى ذلك الزمان بواق واق، وأصبحت السفن التى يمتلكها التجار العلويون، أو يستأجرونها تمخر عباب بحر الهند ما بين خليج بنغال وملايا وسرنديب ومدغشقر يقودها ربابنة منهم، ولا تزال بقايا أسرهم الجديدة فى هذا المهجر معروفة إلى اليوم فى آجية بسومطرة الغربية وفليمباغ بسومطرة الشرقية وفى شبه جزيرة ملايا من أسرة آل الزاهر وآل الجفرى، وتتابع ورود أفراد العائلات العلوية إلى هذه الجزائر خصوصا بعد اختلال الأمن بحضرموت وتنازع القبائل على النفوذ والسيطرة. واستمر الاتصال المباشر بصورة دورية بين جزائر الشرق وحضرموت أثناء القرن الحادى عشر الهجرى. وتكونت أسر جديدة منهم فى المهجر من كل تلك الأسر المعروفة من العلويين فى حضرموت. وتناسلوا وانبثوا فى أرجاء هذا الشرق الخصيب المسلم، ولم يكن غير العلويين أحد من الحضارم يعانى الأسفار ويغامر فى البحار؛ إذ أن أهالى حضرموت يومئذ كان أكثرهم بادية وزراع، والطبقة المتنورة التى لا تقل عن طبقة العلويين علما وثقافة هم المشايخ الصوفية المعروفين من آل عمودى وآل بافضل وآل باقشير وآل با وزير. وكانت هذه الأسر قليلة الأفراد، وكانت إلى ذلك تنعم

بسلطة روحية فى القطر الحضرمى ، ولهم مما تغله الأوقاف والأطيان المحبوسة ما يغنيهم عن النزوح عن الوطن الحضرمى .

الاستعمار الهولندى وأثره :

فى أواخر القرن العاشر الهجرى ومطلع القرن الحادى عشر منه بالذات عرفت أندونيسيا ذلك النوع الجشع من البشر الذى وفد باحثا عن خيرات الشرق وحاصلاته التى كان يشتريها فى بلاده أوروبا بوزنها ذهبا وفضة ، واستحكم الغريب الهولندى الذى منيت به أندونيسيا وثبتت أقدامه فيها بالخداع والمكر ثم بالقوة . وفى تلك الأجواء أخذت وسائل النقل والمواصلات فى الكثرة والتحسن ثم شقت قناة السويس ، وأضحت السفن والبواخر غادية رائحة من وإلى الشرق الخصيب الغنى ، وتطورت المنتجات وتنوعت المصنوعات . وشرع المهاجرون الحضرميون يغدقون على أسرهم وعائلاتهم بحضرموت من ثمرات جهودهم التجارية ، وظهر فى تلك الأسر الحضرمية تطور فى أسلوب المعيشة ، حينئذ تفتحت عيون الحضارم من سكان الأرياف والبوادى والزراع والعمال وبدأ سيل الهجرة يتدفق على هذه الجزائر الغنية ذات المعيشة السهلة ، والأهالى الطيبين .

وحمل هذا السيل الجارف فى غواربه أخلاطا وأوشابا من الآدميين والجهال والرعاع معتمدين على قوة سواعدهم وجلدهم لا سلاح لهم من دين ولا ثقافة ولا معرفة لهم بأساليب التجارة ، ولا مال يتأثلون به ولا شىء من المؤهلات ، فماذا يصنعون ؟ وفى أى سبيل لطلب المال والثروة يسلكون ؟ لم يكن أمام هؤلاء بادئ ذى بدء إلا الاستجداء ، ويتجمع من الاستجداء ، ما شاء الله من المال ! ! هنا يتدربون على البيع والشراء لبعض الحاجيات الصغيرة ، فيدورون فى الحارات والقرى والمنازل يبيعون بضائعهم بالدين والنسيئة ويدفع الثمن مقسطاً بأرباح كبيرة ، ثم تغريهم سذاجة الأهلين وطيبتهم فيبدءون فى السير فى طريق المراباة والحيل . ولقد نبغ منهم الكثير فى هذه العمليات فاحتلوا مكانا من هذه الدنيا الصاخبة بالسكان وامتازوا فى اختراع أساليب الابتزاز ، وانبثوا فى الدساكر والقرى ، وأثرى جلهم إن لم نقل كلهم ثراء فاحشاً حيث كانوا لا يتورعون فى الوسائل الابتزازية ، مستغلين الطيبة النفسية فى الأندونيسيين . وهكذا اشتد تيار الهجرة من جميع أجزاء الجنوب العربى ، ومن جراء ذلك كان بدء التحول فى تاريخ العرب بأندونيسيا .

صورة نظيفة :

لقد كان العربى المهاجر حتى أواخر القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر صورة صادقة للمسلم الداعية ، والعربى المجاهد . فقد كانوا إلى جانب أعمالهم التجارية النزيهة ومعاملاتهم الطيبة ، وصناعاتهم النافعة يجعلون من بيوتهم مدارس ومعاهد لتعليم الدين والقرآن واللغة العربية ، ومن المساجد التى أقاموها ملتقى الأخوة والتعارف والتعاون على البر والتقوى . وكانوا يوالون الزيارات ونشر الدعوة بين إخوانهم الأندونيسيين فى القرى النائية ويبنون فيها المعاهد والمساجد ، ويتصلون بشيوخها المسلمين ويعينونهم بالجاه والمال على نشر التعاليم الإسلامية ، وكان الاستعمار ينظر إلى هؤلاء الرجال نظر العدو الحاقد لأنه يراهم السد المنيع دون انتشار التبشير والتضليل ، والمصدر الذى يبعث روح المقاومة للإخلاد والرضى بحكم الأجنبى غير المسلم ويقدح فى وطنية الأندونيسيين زناداً يحول دون التعاون مع الأهداف الاستعمارية الهدامة ، وهم الروح القوية التى تشد أزر الإسلام فى هذه البلاد وبهم تتوحد صفوف المسلمين ، كان المستعمرون يسمون ذلك العربى :

المدرسة الجوالة .

أما الأهالى فكانوا ينظرون إلى أولئك الرجال نظرهم إلى الآباء الروحيين ، فيجلون كل ما يتصل بهم وبهذا الدين الحنيف ، وقد بلغ بهم من إجلالهم أن يتبرك أهل القرى بآثار أقدامهم إذا مر أحدهم فى القرية فيأخذون التراب الذى مسته أقدامهم وينشرونه فى منازلهم ! وإذا رأى أحدهم قصاصة من الورق عليها كتابة عربية على الأرض رفعها وقبلها بكل حنان واحترام كأنها من المصحف الشريف ! .

فإذا كانت هذه الصورة من إجلالهم للعرب والعربية ، فناهيك بنفوذ تعاليمهم فيهم .

ولقد امتزج العرب الأولون حتى حدود هذا التاريخ بالأهالى وخالطوهم بالمصاهرة ، والتحمت النسبة وتبادلوا المواريث ، ولهذا انصهر الكثير من أبنائهم وأحفادهم فى الأندونيسيين لغة وسحنة وعادات وأزياء بحكم البيئة والأمومة .

لقد كان ذلك العربى الطاهر النزيه هو العدو للاستعمار ، هناك بدأت السياسة الاستعمارية تفكر فى طريقة للحد من هذا النفوذ ، وظلت تضرب أخماسا فى أسداس كى توجد الثغرة التى تنفذ منها إلى حفر الهوة بين العرب والأهالى ، أما إيصاد الأبواب فى وجوه المهاجرين فقد بدأت فيه بسن القوانين

ووجوب دفع ضريبة دخول فاحشة على المهاجرين الواردين ، كما ضايقت تنقلات العرب بين القرى والدساكر بإيجاد أذونات رسمية للتنقلات لا يمكن الحصول عليها إلا بشق الأنفس تحديدا للنشاط العربى والروح الدينية.

الاستعمار يتعلق بالأوشاب :

لاشىء أمام الاستعمار لينفذ منه إلا أولئك الذين وفدوا أخيرا من الحضارم كالوباء الذى يحمل معه جراثيم الانحلال والانهيار ، نعم لم يكن هناك غير المرابين المنبثين فى الدساكر والمدن والقرى ، وأفسح الاستعمار لهم المجال وسمح لهم بمعاطاة الربا وبيع الأثاث المنزلى بالتقسيط المضمون قانونيا ، وعلمهم بواسطة المحامين مواد القانون الاستعمارى التى تضمن للدائن حق الحجز والمصادرة ، فاندفع أولئك الأجلاف يعيثون فى الأرض فسادا ، فأغرقوا الموظفين وأرباب المناصب الحكومية والصناع والعمال وصغار التجار حتى الجنود والشرطة بالديون الباهظة ورباها المضاعف ، وسهلوا نظريا طريقة الدفع بالتقسيط الشهرى والسنوى وتعلموا كيف تكتب الوثائق والبوالص التى تخول لهم حق المصادرة والحجز إذا تأخر الدفع أو تقرر العجز ، فنبغ فى ذلك البدوى الأمى الحضرمى .

ولو ثقفت يوما حضرميا
لجاءك آية فى النابغينا

وغصت المحاكم بالمرافعات بين المرابين والأهالى وأرباب المناصب والموظفين والصناع منهم .

تشويه وتفرقة :

وهنا بدأت سمعة العرب تسوء لدى الأهالى وكانت الجرائد والمجلات الأجيرة للاستعمار تزيد الشقة اتساعا بما تنشره من الحوادث الجارية من هذا النوع لغرض تشويه سمعة العرب .

وحينئذ ألف الهولنديون كتب المطالعة باللغة الأندونيسية لتدرس فى المدارس الأهلية الحكومية ، وألهمتهم هذه الحوادث مادة لإنشاء القصص والحكايات فيها ، فصوروا الحضرمى عندما يهبط إلى موانى جاوة ، وهو فى خشونة البداوة وقذارة الفقر ووحشية الجهل حافيا نحيفا لا يحمل إلا وسادة متسخة وغطاء قذرا ، وصوره وهو يدور فى الشوارع على صغار الباعة يجمع الربا اليومى للدين ، متوشحا خريطة نقوده متأبطا هراوته حافيا مشمرا إزاره إلى ركبتيه ، وصوروه وقد انتفخ كرشه وترهل جسمه وغلظ وجهه وصوروه فى بيته وهو يضرب خادمه الأندونيسى وينهره ويطرده ، وأخيرا صوروه وهو يترافع فى المحاكم وبعض الأهالى ، وبين هذه الصور تساق القصص الشيقة ، بأسلوبها

(البقية على صفحة ٥٧٠)

دراسة عن علي مبارك

للأستاذ محمود الشرقاوى

— ٢ —

كان إخلاص على مبارك وشغفه بتعليم أبناء وطنه كفيلان بأن يبلغا بجهده غاية النجاح . فقد خرج من المدارس التى كان يشرف عليها ويؤلف لها ويدرس فيها ، نوابغ ومجيدون للغة الفرنسية إجادة من درسوها فى فرنسا (١) . وكان ، مع ذلك ، لا يشق على التلاميذ ولا يمتهنهم - كما كان الحال إذ ذاك - ولا يرهقهم . كان يمنع ضرب الأطفال منعا باتا ويشجعهم بالهدايا ، ويحثهم على أن يلعبوا ويظهروا من نشاطهم البدنى ما يستطيعون . ويوصى معلميهم بأن يأخذوهم بالرأفة والرقة والملاينة . وقد كانت نسبة المجانية فى عهده ٤١ ٪ فى المدارس الأميرية ، و٢٣ ٪ فى المكاتب الأهلية (٢) .

وآية إخلاصه فى العمل وجلده عليه ما نجده منه عند ما تولى ، مرة واحدة ، جملة من أخطر المناصب وأضخمها مسئولية وأعظمها شأناً وأشقها أداء . فهو فى وقت واحد ، مدير لسكة الحديد ، ووزير للمعارف ، والأشغال ، والأوقاف ، وناظر للقناطر الخيرية ، وملحق بحاشية إسماعيل . وقد قام بجهد هذه المناصب والأعمال كلها على أتم وجه وأكمله . وكان يعمل فيها بالليل والنهار . وهو فوق ذلك كله ، يشتغل بأمر التلاميذ والمعلمين وكتبهم . ويزور « ديوان المدارس » مرتين فى كل يوم . ويضع ، فى نفس الوقت أيضا ، لائحته المشهورة لإصلاح التعليم فى الكتاتيب . وينشىء مدرسة دار العلوم لتسد حاجة التعليم من المعلمين . وينشىء دار الكتب المصرية وينظمها . فقد صدر أمر إسماعيل بإنشائها - فى ٢٠ من ذى الحجة سنة ١٢٨٦ (١٨٧٠م) بناء على مذكرة رفعها إليه على مبارك باعتباره وزيراً للمعارف ، وكانت دار الكتب أول إنشائها تابعة لهذه الوزارة .

وفى ٢٢ صفر من سنة ١٢٨٨ (١٨٧١م) أصدر إسماعيل أمراً بضم جميع المدارس إلى « ديوان المدارس » ، وفصل المدارس التى تتبع وزارة الأشغال وضمها إلى هذا الديوان ، وأن

---

(١) ص ٤٥ من الجزء التاسع من الخطط .

(٢) من تقرير له بتاريخ أول يوليو سنة ١٨٨٩ رفعه للخديو ونشرته جريدة اللواء بتاريخ ٢١ مارس سنة ١٩٠٧ [العدد ٢٢٩١] .

يستقل على مبارك بإدارة هذا الديوان «لما رآه فى ذلك من صالح المصلحة» كما جاء فى أمر إسماعيل .

مدرسة دار العلوم :

وفى التاسع من ربيع الثانى سنة ١٢٨٨ (يوليو سنة ١٨٧١) صدر أمر إسماعيل بإنشاء مدرسة « دار العلوم » وطلب منشئها ووزير المعارف على مبارك من شيخ الأزهر أن يختار له بعض العلماء ليدرس فيها التفسير - بمرتب أربعة جنيهات فى كل شهر - على أن يلقى فى كل أسبوع درسين زمن كل منهما ساعة ونصف . وأن يختار لهذه المدرسة عشرة من طلبة الأزهر يلحقون بها . على أن يمنح كل منهم إعانة شهرية قدرها خمسة وعشرين قرشاً(١) وكان الذين اختارهم شيخ الأزهر للتدريس فى « دار العلوم » هم : الشيخ حسين المرصفى ، والشيخ عبد الرحمن الجيزاوى ، والشيخ أحمد شرف الدين المرصفى . كما اختار للالتحاق بالمدرسة عشرة من الطلبة ، نجد أسماءهم فى أمر من أوامر وزير الأوقاف ، على مبارك(٢) .

وكانت دار العلوم عند إنشائها ملحقة بدار الكتب ، فى باب الخلق ، وكانت تقبل الطالب إذا كانت سنه بين العشرين والثلاثين .

وقد بدأت دار العلوم سنتها الأولى بهؤلاء العشرة من الطلبة . ولكنها عند ما بدأت سنتها الدراسية الثانية يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٧٢ (٢٤ جمادى الأولى سنة ١٢٨٩ هـ) زاد عددهم إلى خمسين .

ومن تعلم فى دار العلوم : حسن باشا جلال ، ومحمد باشا صالح ، وعبد الرحمن باشا سيد أحمد ، ممن بلغوا أرقى الدرجات فى التعليم وفى القضاء . وكلنا يعلم مكانة دار العلوم منذ نشأتها . وفضل رجالها على اللغة والتعليم والثقافة . فهى ، بذلك ، من أبرز أعمال على مبارك . لذلك نرجو أن نعتذر فى هذا الاستطراد الطويل فى الحديث عنها . إذ لولا إخلاصه وتفكيره وجلده ما كانت «دار العلوم» أو على الأقل ما كانت بهذه المثابة والمنزلة فى تاريخنا الفكرى والتعليمى والثقافى .

عالم مؤرخ أديب :

وعلى مبارك يجمع بين صفات العالم وسمات الأديب وخصائص المؤرخ . فهو فى حديثه عن الزراعة(١) مثلا يذكر نشأتها وتطورها منذ كانت عملا بدائياً يقوم به الناس فى

(١) نص خطاب على مبارك إلى شيخ الأزهر موجود فى ص ٩٣٣ من الجزء الثانى من المجلد الثالث من كتاب تقويم النيل لأمين باشا سامى .

(٢) فى ص ٩٤٨ من المصدر السابق نص الأمر وأسماء الطلبة .

(١) المسامرة الثامنة والثمانون . ص ٨٠١ - ١٠٤١ - جزء - ٣ - من « علم الدين » .

العصور القديمة ويستعملون فيه أيديهم وأرجلهم وتلك الأدوات الساذجة البسيطة من الخشب والحجارة . ويذكر إلى ذلك إحصاءات دقيقة عن تقدم الزراعة فى فرنسا فى القرن التاسع عشر ونماء الثروة القومية بسببها ، وهو لا يدع حديث الزراعة حتى يذكر شيئاً من الشعر العربى القديم .

ونجد ذلك فى شىء كثير جداً من مسامراته فى « علم الدين » .

وكان حريصاً على المعرفة والكشف مغرما بهما صبوراً على ما يقتضيان من مشقة وتأن وجهد . وفى حديثه عن زيارته وكشفه « لجبل المرمر »[1] فى بنى سويف ، مظهر واضح الدلالة على ذلك .

مصرى العاطفة :

وكان مصرى القلب والعاطفة منصفا . يدل على ذلك — إلى جانب ما أسلفنا من الدلائل — ما قام به فى فترة يسيرة تولى فيها أمر « وكالة مجلس التجار » ، فقد حمد له التجار المصريون عدله فيهم ، وإنصافه لهم . بعد سلفه الأرمنى الذى كان يظلمهم ويتحيفهم . لذلك كان أسفهم طويلا ، وحزنهم عميقا عندما فصل من عمله هذا .

وكان طبيعيا أن تؤهل هذه الصفات والأخلاق ، وهذه الكفاية صاحبها لينال ثقة الحاكمين ، وخاصة إسماعيل ، فقد رأينا أنه ولاه فى سنة ١٢٨٤ (١٨٦٧ م) ثلاث وزارات . ثم نجد أمراً من إسماعيل — تاريخه ١٣ جمادى الآخرة من نفس السنة — يقضى بتعيينه « وكيلا عاما لديوان المدارس » ، ومن صيغة هذا الأمر ندرك الثقة التى كان يوليها إسماعيل إياه ، والمكانة التى نالها عنده ، وندرك الأهمية التى كان ينظر بها إسماعيل إلى مشروع على مبارك هذا الذى وضعه لإصلاح التعليم . حتى يضع المجلس الذى يناقش المشروع تحت رياسته . ونجد بعد ذلك — فى ٤ صفر من السنة نفسها — أمرا آخر من إسماعيل بتقرير النظام الذى وضعه على مبارك وأقره المجلس (١) .

ثم نجد على مبارك قد تولى من إسماعيل هذه الوزارات نفسها بعد ذلك مرة أخرى

---

(١) ص ٤١ جزء ١٠ من الخطط .

(١) كان أعضاء المجلس هم : الشيخ عبد الهادى الإبيارى ، والشيخ اسماعيل الحلبى، مفتى الأوقاف ووكيل الأزهر سابقا ، وأحمد أبو مصطفى عمدة مليج روضة ، ومحمد الصيرفى عمدة بلقانة بحيرة ، والسيد محمود العطار من عمد المحروسة ، والحاج يوسف عبد الفتاح « سر تجار مصر » ، وعبد الله بك من أعضاء مجلس استئناف مصر ، واسماعيل بك ناظر للهندسخانة والرصدخانة ، ورفاعه بك ناظر قلم ترجمة ، وعلى بك مبارك وكيل « ديوان المدارس » : عن فرمان اسماعيل ص ٢٨٧ جزء ٣ مجلد ٢ من « تقويم النيل » .

فى سنة ١٢٨٦ (١٨٦٩ م) بعد ما أحرز من نجاح فيها فى المرة السابقة. فلما رأى إسماعيل بعد ذلك أن يكل أمر هذه الوزارات الثلاث إلى ابنه الأمير حسين كامل، بعد ضم بعضها إلى بعض، اختار على مبارك مستشارا له، فى ٢١ جمادى الآخرة من سنة ١٢٨٩ (١٨٧٢ م).

وقد روى أمين باشا سامى قصة ذات دلالة كبيرة على إخلاص على مبارك لوطنه، وعلى بعد نظره، كما تدل على العقلية العالية التى كانت تسيطر على تفكيره. والتى كان يريد أن تتقدم عن طريقها مصر.

فقد كان فى مدرسة « أنجال إسماعيل » التى كانت فى المنيل، عالم فرنسى يدرس فيها علوم الرياضة والطبيعة والكيمياء، اسمه مسيو فيدال، ثم رأى إسماعيل أن يرسل أبناءه إلى أوربا، وأن يستغنى عن خدمات بعض المدرسين الأوربيين، ومنهم العالم فيدال. وقدم مصر فى ذلك الوقت مبعوث من حكومة اليابان وطلب من فيدال أن يذهب معه إلى اليابان بمرتب أزيد مما كان يعطاه فى مصر، على أن يزاد فى كل سنة، وعلى ألا يترك اليابان إلى فرنسا إلا مرة كل خمس سنوات، فقبل. وعند ما علم على مبارك ذلك أبلغه إلى إسماعيل ملتمسا أن تحرص مصر على بقاء هذا العالم الكبير فيها، لتنتفع به.

واستطاع على مبارك إقناع إسماعيل بإبقائه فبقى، وتخرج على يديه عدد من كبار الرجال فى مصر (١).

ونجد آثارا من طبيعة على مبارك وخصائصه النفسية، لا فى تصرفاته وأعماله وحدها، بل فيما يضع من قوانين ولوائح ونظم أيضا. فقد رأينا فى مشروعه الذى وضعه للتعليم وإصلاح النظم المدرسية، أنه فرض « المصروفات المدرسية »، ولكنه تركها من غير تحديد، يدفع القادر منها ما يشاء عند ما يشاء، فهو لم يضع لوائح ونظما للإعفاء منها ولا لتحديد مقاديرها ومواعيد سدادها، بل ترك للناس أن يصنعوا ذلك بوحى من ضمائرهم وخلقهم. أشعرهم بأن الحكومة لا تستطيع وحدها أن تعلمهم، وأن ما وقف على التعليم والبر لا يكفى لتعليم أبنائهم، وأن عليهم أن يسهموا فى ذلك، كل بالقدر الذى يستطيعه، بلا سطوة من قانون ولا قوة، ولا حرمان لمن لا يدفع، ولو كان قادرا، وهذه هى سماحة الإسلام وتربيته وتهذيبه. تلك التى تجعل للمحتاج حقا فى مال القادر، وتجعل ضمير هذا القادر هو الحافز

(١) ملخص عن ص : ٦٠٥ من كتاب تقويم النيل ، المجلد الثانى من الجزء الثالث

على أن يفعل ويبذل ، وهـذه أيضا هى الاشتراكية الحديثة بأرفع دلائلها ومعانيها .

وقد رأينا أن ضمائر الناس وحدها كانت سببا فى ازدهار المدارس ، وزيادة عـــدد التلاميذ زيادة كبيرة .

على مبارك بقلمه :

هذا الرائد المصرى العظيم ، الذى قام ، وحده ، بجهد يقصر عنه جهد العشرات من الرجال . فى دفع مصر دفعا قويا مضطردا نحو الحضارة الحديثة فى مظاهرها المادية والثقافية . كما نجد تفصيله فى هذه الدراسة ، هذا الرائد العظيم كتب بنفسه قصة حياته وجهاده (١) ، فجاءت قصته هـذه صفحة من أجمل وأروع ما نجد فى الأدب العربى - إلى عصره - من صفحات . وكان صدقه فيها وتسجيله ، ببساطة وإخلاص ، أحداث حياته وشقوته وشقوة أهله وأشباههم من الفلاحين ، وتسجيله ما لقى فى طفولته وصباه من المحن . كان صدقه وهو يسجل ذلك كله ، من أهم ما أضفى على هـذه الترجمة من قوة وعمق ، وأبرز لها من قيمة وتقدير .

وبعض الذين ترجموا له يضيفون إلى اسمه لقب « الرومى » ، وإن كان جورجى زيدان يذكرها «الروجى» ، ولعله تصحيف . ولست أدرى هل نستطيع أن نتخذ من نسبته إلى « الروم » ، دلالة على أن فى أصله دماً غير مصرى أم لا . على أن كل الدلائل وما سمعته عن الذين كانت له بهم صلة صداقة أو قرابة أو نسب تدل على أنه كان أصيلا فى مصريته ليس فى عروقه دم دخيل .

وقبل أن نلخص هذه الترجمة الشائقة الفريدة عن سيرته . لابد أن نشير إلى أمر له دلالة كبرى فى التعريف بعلى مبارك ، وإدراك عظمته النفسية .

فهو فى هـذه الترجمة يذكر أشياء ندر أن يذكرها أحد عن صباه وطفولته . وبخاصة من بلغ مبلغه من الجاه والمجد والمكانة . نجد فى حديثه عن صباه وطفولته ما لقى هو وأهله من الهوان والمذلة ، وما قاسى وقاسوا من الفقر والشقاء والمحنة . وهو يفصل ذلك تفصيلا فيه صدق وعاطفة . لاتحس معه أنه يخجل مما كان فيه من هوان وذل ، وما كان فيه أهله من فقر وشقاء ومحنة . بل لعلك واجد من حديثه بعض شىء من الفخار والاعتزاز ، لأنه استطاع بكدحه وجهده وصبره أن يخرج من كل هـذا الفقر والذل والهوان ، وأن يعلو بقدره ويسمو بمكانته إلى أعلى مقام يمكن أن يصل إليه مصرى فى ذلك الزمان . وهو بذلك يضرب أروع المثل للشباب ، وأعظم القدوة لمن يريد ألا يعرف المستحيل ولا أن يعترف به .

---

(١) من ص ٣٧ إلى ص ٦١ من الجزء التاسع من الخطط .

وهذا الاعتراف من على مبارك بهوان أصله وحقارة ماضية . صادق كل الصدق من الناحية الفنية ، رائع أيضا من الناحية التصويرية . فأنت تقرأ له هـذه الصفحات التى أطال فيها وأجاد ، فتحس معه بالحزن او الأسف أو الغضب أو الإشفاق . حسبما يتحدث هو من وقائع حياته وإحساسه . ولـكنك فى كل هذا جميعا ، معجب أشد الإعجاب بقوة هذه النفس وعظمة هـذه الشخصية التى لا تشعر بشىء ما من « مركب النقص » فيحاول صاحبها أن يخفى أو يتستر ، أو يدعى لنفسه ما يشاء . بل يجعل هـذه الاعترافات منارا يهتدى به نظرائه وأشباهه من أبناء هذه الأمة من الفلاحين . فلا يعتقدون أن شيئا فى الحياة ، أو منصبا مهما سما وعلا ، بعيد على جهدهم وكفاحهم وصبرهم .

وهذا درس آخر من أعظم الدروس التى نفيدها من حياة على مبارك .

وهذه الترجمة الأمينة الصادقة المفصلة التى كتبها على مبارك لنفسه ، انتزعها صديقه وزميله وتلميذه محمد باشا درى الحكيم وطبعها فى رسالة صغيرة (١) . زاد عليها ذكر أعماله ومؤلفاته فى السنين الأخـيرة . منذ وقف على مبارك بترجمته لنفسه حتى مات ، ويقول درى باشا فى مقدمة رسالته أنه هو الذى رسم لعلى مبارك الصورة المتداولة عنه من الذاكرة ثم أرسلها إلى أوربا فطبعت على النحاس ، وقد صدر بها رسالته تلك وكذلك لخص هذه الترجمة المرحوم الأستاذ إلياس الأيوبى (٢) ولخصها أيضا المرحوم الأستاذ أحمد أمين فى ترجمته له (٣) .

مؤلفاته :

لعلى مبارك عـدد كبير من المؤلفات . تتناول مواضيع مختلفة كالتاريخ ، والأدب

---

(١) تاريخ حياة المغفور له على مبارك باشـا : طبعت فى مطبعة محـمد باشا درى التى سمـاها المطبعة الطبية الدرية بحارة السقايين بمصر المحمية سنة ١٣١١هـ ١٨٤٩ م أما محمد باشا درى الحـكيم فقد ولد بالقاهرة سنة ١٢٥٧هـ (١٨٤٠م) ثم التحق بالجندية فى عهد محمد على ، ودخل مدرسة المهندسخانة وكان ناظرها على باشا مبارك ، ثم اتجه لدراسـة الطب فدرسـه فى باريس حتى أصبح أقـدر الجراحـين المصريين فى عصره ، وبعـد الاحتـلال الانجليزى أحيـل إلى المعاش فأنشأ المطبعـة التى أشرنا إليهـا واشتغل بها وبالتأليف حتى مات فى ٣٠ يولية سنة ١٩٠٠ [توجد ترجمة وافية له فى الجزء الثانى من كتاب تراجم مشاهير الشرق فى القرن التاسع عشر لجـورجى زيـدان ص ١٩٢ — ١٩٧ وكتاب البعثات العلمية فى عهد محـمد على ثم فى عهـد عباس الأول وسعيد ، للأمير عمر طوسون ص ٥٦٦ - ٥٦٩

(٢) راجع ص ١٧٢ ـ ١٩٧ من كتـابه تاريخ مصر فى عهد إسماعيل الجزء الثانى .

(٣) فى كتابه زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ص : ١٨٤ — ٢٠١ .

والهندسة العسكرية ، والطب ، والجغرافية ، والحساب ، والحديث الشريف وشرحه ، والموازين والأقيسة ، والهجاء والتمرين على القراءة .

ومن عرض هذه الكتب ، نعرف أن على مبارك كان رجلا موسوعيا متنوع الثقافة ، محيطا بشيء كثير من المعارف التى كان يحتاجها أهل عصره . وكانت مصر تحتاج إليها وإلى من يعرفها فى تلك الفترة الحاسمة من تاريخها .

وهذا ما عرف من مؤلفاته : (١) .

١ — تذكرة المهندسين ، وتبصرة الراغبين . طبع سنة ١٢٩٠ (١٨٧٣) م .

٢ — تقريب الهندسة لاستعمال العسكرية المصرية . طبع فى مطبعة وادى النيل سنة ١٢٩٨ (١٨٨٠ - ١٨٨١) م .

٣ — تنوير الأفهام فى تغذى الأجسام . طبع فى مطبعة المدارس سنة ١٢٨٩ هـ ثم فى مطبعة الجمهور سنة ١٩٠٣ م .

٤ — جغرافية مصر . طبع فى مصر سنة ١٨٩٤ م .

٥ — حقائق الأخبار وأوصاف البحار . ألفه لتلاميذ روضة المدارس المصرية طبع مطبعة وادى النيل سنة ١٢٨٧ هـ .

٦ — الخطط التوفيقية ، تكملة لخطط المقريزى . ثم طبعها فى مطبعة بولاق الأميرية سنة ١٣٠٦ هـ .

٧ — خلاصة تاريخ العرب . ترجمة كتاب العالم الفرنسى سيديو . طبع فى مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٠٩ هـ .

٨ — خواص الأعداد . طبع فى مطبعة المدارس سنة ١٢٨٩ هـ .

٩ — شرح الحديث الشريف : « اعمل يناك كأنك تعيش أبدا » .

١٠ — طريق الهجاء والتمرين .

١١ — علم الدين ، وهو مسامرات علمية أخلاقية عمرانية ، طبع فى مطبعة جريدة المحروسة سنة ١٢٩٩ (١٨٨٢) م .

١٢ — الميزان فى الأقيسة والمكاييل والأوزان . أثبت فيه أن أصل الأقيسة والأوزان كلها مصرى . وأن الأقيسة والأوزان العبرية والرومانية مقتبسة من الأقيسة والأوزان المصرية القديمة . طبع الجزء الأول فى مصر سنة ١٣٠٩ .

١٣ — نخبة الفكر فى تدبير نيل مصر طبع فى مطبعة وادى النيل سنة ١٢٩٨ هـ وفى آخره جدول يحتوى على غاية التحاريق وزيادة النيل والصرف ، وتحوله إلى أمتار من ابتداء سنة ٢٠ هجرية .

هذه هى مؤلفاته المعروفة ، كما سجلها سركيس ، ولكن هناك مؤلفات له لم تطبع

---

(١) نقلا عن « معجم المطبوعات العربية والمعربة » . ليوسف سركيس .

فهو يقـول فى ترجمته أنه ألف كتابا فى فن الاستحكامات العسكرية ، وسوق الجيوش وترتيبها ، والمناورات الحربية . ولـكنه لم يطبع ، وفقد منه . وكـذلك يقول فيها إنه ألف كتابا فى فن « العمارة » لم يطبع .

وكان على مبارك يستعين بمن يأنس عنده القدرة على أن يشاركه فى تأليف هذه الـكتب وهو يسجل ذلك بنفسه . كما نجد فى ترجمته للمرحوم صالح مجدى بك ، فقد ذكر أنه أعانه فى تأليف كتابه « طريق الهجاء والتمرين » .

كذلك كتاب سيديو (١) « خلاصة تاريخ العرب » كان على مبارك هو الذى أمر بترجمته وراجع هذه الترجمة . ولـكن الذى ترجمه إلى العربية فعلا ، هو محمد أفندى ابن أحمد عبد الرازق أحد المترجمين فى نظارة المعارف التى كان يتنظر عليها على مبارك . وقد هذب الترجمة ، وصحح عبارتها الشيخ سيد الشرقاوى الشرشيمى .

نجد فى المقدمة التى كتبها على مبارك لهـذا الـكتاب ما يلى : (... أمرت بترجمته وأنا ناظر على ديوان المعارف سنة ١٢٨٥ هـ المرحوم محمد أفندى بن أحمد عبد الرازق ، أحد المترجمين بقلم ترجمة الديوان ومعلمى اللغة الفرنسية . ثم أمرت أساتذة بقراءته فقرءوه ثم أمرت بطبعه ، ثم خرج على مبارك من وزارة المعارف ، فلما عاد إليها فى سنة ١٣٠٥ وجد الـكتاب لم يطبع ، ومنه أبواب لم تترجم وأخرى لم تستوف حقها من الترجمة : (فترجمنا ذلك وصححنا الـكتاب وقابلناه على الأصل كلمة كلمة ثم كلفنا الشيخ عبد الرحمن بن العلامة الشيخ السيد الشرقاوى الشرشيمى المتوفى سنة ١٢٨٨ بأن يراجعه من الناحية العربية وكان ما يراجعه الشيخ يعرض علينا) .

كذلك نجد فى ترجمته لمحمد أفندى عثمان الونانى (١) ـ وهو أحـد معاصريه الذين استكتبهم تاريخ حياتهم وضمنها كتابه « الخطط » ـ نجد فى هذه الترجمة أن صاحبها نقل إلى العربية قصصا فرنسية ، بتكليف من على مبارك .

ونجـد على مبارك نفسه يقول فى ترجمتـه المرحوم صالح مجدى بك « ... وطالما استعنت بقلمه على تأليف كتب متنوعة فى فنون شتى (٢) كما يقول فى ترجمتـه أيضاً ... « أحيلت على عهدتى ، وإنا ناظر القناطر الخيرية ، مأمورية تأليف كتاب الهجاء والتمرين فطلبت المترجم من ديوان المدارس ، بأمر عال ، لحضر عندى

(١) مستشرق فرنسى من القرن التاسع عشر وهو مستشرق منصف للعرب وتاريخهم وحضارتهم.

(١) ص ٦٤ – ٧٥ جزء ٧١ من الخطط .
(٢) ص ٢٣ جزء ٨ من الخطط .

واشتغل معى بالكتاب المذكور »(١) ويقول أيضاً إنه — أى صالح بك — باشر معه « بعض التاريخ الذى عملته للديار المصرية فى عدة مجلدات. وبعض رسائل جمعتها وطبعت بمعرفته فى جرنال روضة المدارس التى أنشأتها فى نظارتى على ديوان المدارس »(٢).

ولست أدرى ما هو الكتاب الذى يقصده على مبارك، والذى ألفه عن تاريخ مصر فى عدة مجلدات. هل هو كتاب الخطط نفسه؟ لأننا لم نعرف له كتابا سواه « عن تاريخ مصر فى عدة مجلدات »، ولكن لماذا لم يقل على مبارك أنه اشترك معه فى تأليف « هذا الكتاب »، فقد ورد حديثه عن مجدى بك فى كتاب الخطط نفسه.

هل نفهم هذا – رغم هذا الخروج عن مألوف الكتابة – أم أن لعلى مبارك كتابا آخر لم يعرف فى تاريخ مصر. هو الذى قصده بهذه الإشارة وشاركه فيه صالح مجدى بك ...؟.

وفى مقدمته لكتاب « علم الدين » يقول أنه استعان « فى تهذيب عبارته وتحسين إشارته ببعض جهابذة الأساتذه، لاسيما العالم الفاضل السيد الأجل عبد الله باشا فكرى وكيل ديوان المعارف — وكان على مبارك حين ألف الكتاب وزيرا لها — فإنه صرف عنايته إلى تنقيح ما اطلع عليه من هذا الكتاب وليس بالقليل، فهذب معانيه. وشذب مبانيه وقرب مجانيه (١).

الخطط التوفيقية :

ليس كتاب الخطط هذا أهم وأعظم مؤلفات على مبارك فقط. بل هو من أهم وأعظم ما ألف فى اللغة العربية كلها، فى جميع العصور، أراد به على مبارك أن يكمل ما فات المقريزى فى خططه، وأن يسجل ما طرأ على خطط مصر وبلادها وقراها من تغيير، بعد أن وصفها المقريزى، وأن يترجم لمن لا نجد ترجمتهم فى خططه ممن تركهم، أو عاشوا بعده. فهو لذلك متأثر بالمقريزى، يقتديه ويقتبس منه أشياء كثيرة.

البقية فى العدد القادم

محمود الشرقاوى

(١) ص ٢٤ جزء ٨ من الخطط.

(٢) ص ٢٤ جزء ٨ من الخطط.

(١) ص ٧ — ٨ من الجزء الأول

نفحات القرآن

الشخصية الأدبية ومقوماتها

للأستاذ عبد اللطيف السبكى

ا ـ خذ العفو ، وأمر بالعرف ، وأعرض عن الجاهلين .

ب ـ وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم .

من خصائص الإنسان وصفه بالشخصية إن كان ذا شخصية .

وقد اتسع مجال القول فى تحديدها ، وبيان عناصرها . . ونحن نجد أن مفهوم الشخصية يتنوع ، وأن لكل نوع منها عناصر توائمه فى بابه ، كشخصيات الأبطال فى الحروب ، والسياسة وعباقرة العلم ونحو هذا .

وما قصدت الاستيعاب ، ولا الموازنة فى مقامنا هذا ، وحسبنا أننا حينما نشهد لامرئ بشخصيته لا يشق علينا أن نذكر عناصرها البادية فيه ، والتى حملتنا على اعتباره ذا شخصية بين الرجال أو النساء ، بل بين الأحداث من الولدان .

وإنما قصدت الحديث عن الشخصية المرموقة فى القرآن فوجدتنى أمام فيض واسع من النعوت الكريمة التى يشهد الله لأصحابها ، ويعتبرهم فى مقدمة الجماعات الإنسانية .

وهم بمقتضى هذا أصحاب شخصيات ولا جرم ، وكذلك الناهجون منهجهم فى أى جانب من جوانب العظمة يكونون أشبه بهم إلى الحد المستطاع فى شأنهم المفروض .

وغير خاف أن الشخصية فى مثلها الأعلى من كل وجه إنما تتوافر عناصرها فى إنسان تعهده الله بالتربية ، وفضله على جميع خلقه ، وختم به رسالاته ، وشهد له بما لم يشهد به لغيره من أنه « على خلق عظيم » ، وأن فيه لنا أسوة حسنة ، أو هو الأسوة الحسنة بالذات .

فإذا شئنا التماس العناصر الأدبية فى شخصية هذا الإنسان الكامل ، وشئنا الاقتباس منها للأسوة به عزت علينا الإحاطة بها إلا فى جهد غير يسير ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ .

ولدينا الآن فى هذا الحديث آيتان ، فيهما ثلاثة أصول كافية لمن شاء الأخذ بنصيب من كمال الشخصية بين خلطائه وعارفيه .

١ — خذ العفو — بهذا يأمر الله رسوله ومن تبعه على دينه . والعفو واسع المفهوم فهو التجاوز عن المسيء، وهو الترفق بالناس فيما يطلب إليهم ، وفيما يبدر عن طباعهم قولا ومعاملة ، والترفق بهم فى التوجيه إلى الطاعات ، والمواساة بما تسمح به أنفسهم عن المال بعد حوائجهم ونحو هذا من التيسير على الناس دون تعسير .

والعفو بهذا التصوير الشامل أصل فى مكارم الأخلاق ، وفى الأخذ به دعم للشخصية . .

وهو من وراء ذلك أساس عتيد فى بناء المجتمع ، وغرس المحبة المتبادلة ، وبهذا التعميم أمرنا الرسول فى سنته كما علمنا فى مسلكه وسياسته فقال: (يسروا ، ولا تعسروا) وقال (أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم)

ولكن العفو على عمومه المرغوب فيه لا يكون شاملا للمسيء فى دينه ، والمنتهك لحقوق الله ، والمتعدى لحدوده فيما نهى عنه وإلا كان العفو مضيعة للحقوق . ونقضا لنظام المجتمع ، ونبذا لمبادئ الدين ، وليس الأمر كذلك :

٢ — « وأمر بالعرف » والعرف يرادف المعروف ، وهو كل ما يكفل خيرا للناس مما شرع الله فى دينه أو تعارف عليه الناس فى مجرى حياتهم المتجددة ، أو اهتدت إليه العقول المستنيرة مما يساير المصالح المنشودة ، ولا يناقض مبادئ الدين ، ولا يكون ناجما عن الأهواء والتحلل والمعروف بهذا التفسير الفسيح يقابله المنكر : مما نهى الله عنه أو يكون مجلبة للضرر بالنفس أو بالغير فى شخص أو فى مال أو بنظام اجتماعى .

ومبدأ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر يعتبر خصيصة من خصائص الدين الحق على ألسنة الرسل جميعاً .

وقد نبه القرآن أمة محمد بالذات على أن هذا المبدأ شعار يتصل بها أكثر من سواها .

ثم زكاها القرآن بهذا المبدأ ، حتى كأنه شأن خاص بها ، وذلك باعتبار ما تهيأ لها من دين كامل ، وتهذيب واسع حتى تيسر لها أن تتبادل النصح ، وتتسابق إلى الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، ولم يتهيأ لسواها أن يبلغ هذا المدى «كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر » .

وليس ذلك مدحا فقط ، بل هو حض وإغراء على التزام هذا المبدأ ، وفيه ترفع عما كان عليه بنوا إسرائيل «كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون » .

ومن مقتضيات الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أن تثور أحقاد الفئات الخبيثة ، وأن تطول ألسنة السفهاء ؛ حتى تنال من شخصيات النصحاء الخيرين .

فيكون الموقف بحاجة إلى صلابة فى الحق، واستمرار على حسن التوجيه وإعراض عن سفه السافهين وذلك هو الأصل الثالث فى الآية.

٣ — «وأعرض عن الجاهلين».

نعم!! من مقتضيات النجاح فى الخير إهمال الحمق، وعدم النزول إلى مسايرتهم والاعتزاز بالذات وفى هذا المبدأ أكثر من سواه تتمثل عظمة الإنسان على من دونه شخصية.

وفى هذا المبدأ ترجمة لما تنطوى عليه النفس من كرامة، واقتناع بالخير، وبذله فى ارتياح إليه.

فهيهات أن تنجح دعوة ليست نابعة من القلب، وليست نفحا لما فيه من إيمان مستقر بالمثل العليا.

هذه أصول ثلاثة ذات أثر كبير فى تكوين الشخصية فى الأفراد، وربط الوشائج فى صفوف المجتمع.

غير أنها كما تحدثنا عنها أصول تعليمية، تحتاج إلى حمل النفس عليها لتعتادها، حتى تكون خلقا كسبيا، وينعكس ضوءه على مسلك الإنسان فى حياته الخاصة، والعامة.

لذلك كانت بحاجة إلى تعهدها من نزغات الشيطان، والتحصن من هجماته الثائرة فى خفاء.

٤ — وقد رسم الله كيف نصده بسلاح لا يفل، فقال سبحانه: «وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله، إنه سميع عليم».

فالاستعاذة بالله سياج لتلك الأصول الأدبية أن ينتزعها الشيطان ممن يركن إليها، ويأخذ بها.

والركون إلى الله كفيل — ولاشك — بحفظ المقومات الأدبية من الذبذبة والوهن، فإن الشيطان دائب على غواية الإنسان كما تحدى ربه بذلك «لأغوينهم أجمعين».

ولكن الله — تعالى — ألزم نفسه أن يرعى المحتمين فى جنابه، ويدرأ عنهم الشيطان ومكايده «إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين».

وقد يئس الشيطان نفسه من فتنة المستعيذين بالله منه، فقال بعد تبجحه، وتحديه، إلا عبادك منهم المخلصين — بفتح اللام — يعنى لن أتغلب على من استعاذوا بك دائما، واستخلصتهم من شرورى، وهديتهم بهديك يا ألله!!.

وقد كان الركون إلى الله والاستعاذة به سنة أسلافنا الصالحين، ولا يزال شأنهم كذلك: وقليل ما هم فى الجماعات اليوم.

والله — سبحانه — يردنا إلى معالم ديننا، ويوجهنا إلى القدوة بصالحينا، فيشيد بهم لنأخذ مأخذهم، ونتأسى بهديهم فنفوز فوزهم أينما كنا.

« إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا ، فإذاهم مبصرون » . كلما ألم الشيطان بخاطرهم تذكروا عداوته للإنسان ، وتهيبوا جانب ربهم فتزول عنهم الوساوس، وتنجلي عن بصائرهم غشاوة الغفلة فيبصرون ما كان يحجبه عنهم الشيطان من مهاوى الزلل وقبح العاقبة ، فيثوبون إلى رشدهم ويحتفظون بنجوتهم من غضب الله ، ومن سقطاتهم في البيئة المخالطة وغيرها .

هذه كلمات موجزة في تكوين الشخصية ، وإن لم تكن هذه الأصول الثلاثة كل عناصرها فهي من أقوم العناصر المجدية في اكتسابها، ومن أشد الروابط بين صفوف المجتمع في دنيانا .

ولعلها إذا اكتملت في إنسان هانت عليه البقية منها ، فالجانب الخلقي آكد المبادىء الإنسانية ، وأبرز مشخصات الفرد والجماعة ، وأضمن وسيلة إلى النجاة هنا وهناك .

وإن لم يكن خلق فهي إنسانية واهنة ، وكرامة مثلوبة ، أو هي شخصية من باب الأضداد وإن شئت فقل : هي بهيمية ، أو أضل سبيلا .

فاللهم هيء لنا خلقا نشيد عليه كرامتنا ، ونقيم به أركان مجتمعنا ، ونشرف به أمتنا ، ونكسب به رضوانك .

عبد اللطيف السبكي
عضو جماعة كبار العلماء

(بقية المنشور على صفحة ٥٥٧)

المشحون بما تشمئز منه النفوس الإنسانية ، والواقع أنها صور من الواقع السيء !!.

نقرأ هذه القصص في كتب المطالعة المدرسية المسماة : (ماناهاري تربيت) أي شروق الشمس بأجزائها الأربعة للمدارس الابتدائية الأهلية الحكومية الاستعمارية ، وخريجوها هم الطبقة المثقفة عصريا ! والجرائد اليومية الأجيرة تنشر سلسلة المرافعات وتفاصيل محاكمة ذلك العربي الذي تزوج فتاة أندونيسية بالرغم عنها لأن أباها زوجها ذلك العربي اتقاء محاكمته في الديون والربا المتجمد عليه بعد عجزه عن وفائها ، وتطيل المحاكم القضية نحو سنة ! وتعلق المجلات على ما تنشره الجرائد ويدوى صدى ذلك في العالم كله، وتبيت القضية حديث السامر !!

(البقية في العدد القادم)

عبد القادر عبد الله الجفري

من شعراء الأزهر :

العاطفة الدّينيّة فى شعر أحمد شفيع

للأستاذ محمّد رجب البيّومى

رحم الله أستاذنا الكبير أحمد شفيع السيد فقد كان مع شاعريته الأصيلة ، راوية قوى الحافظة ، وأكبر مميزات الأديب لديه أن يكون واسع المحفوظ من تراث الأوائل ، فإذا أتاه طالب من أبنائه يعرض عليه بعض آثاره استمع إليه ، ثم اتجه إلى مناقشته فيما يحفظ ويروى للشعراء ، وكان ينسب الركاكة والتهافت فى بعض ما نقرأ من الشعر الحديث إلى ضعف الرواية وقلة الإلمام بالروائع من أشعار السابقين ، ونحن الآن بحاجة ماسة إلى أساتذة من أمثاله يذودون عن البلاغة العربية والعبارة الحرة بما يروون من نماذج ويحللون من شواهد ، إذ أن أكثر متشاعرى اليوم لا يلتفتون إلى الآثار الشعرية فى أدب العرب قدر ما يلتفتون إلى المذاهب المعاصرة فى الأدب الأوربى فهم يلوكون المصطلحات الفنية لوكا سطحيا ، ثم يأتون فى قصائدهم بما يخيل إليهم أنه السبق الجرىء فى مضار التجديد ، وتقرأ ما تقرأ ، فلا تطالع غير الإسفاف الركيك ، والتهافت المتخاذل ، ولو رجع هؤلاء إلى مذهب شفيع فى الرواية والإلمام لردوا على الشعر العربى ديباجته الناصعة ، وارتقوا باللفظ والمعنى أو الشكل والمضمون - كما يحلو لهم أن يقولوا الآن - ارتقاء تحمد عقباه .

وطبيعى أن يكون شعر أستاذنا الجليل من الطراز الأول نصاعة بيان ، وسلاسة تركيب وسنقصر الحديث هنا على عاطفته الدينية ، وأثرها فى إنتاجه الحافل ، إذ أن صداها القوى فى تراثه الأدبى قد فاق كل صدى سواه ، والرجـــل كأستاذ كبير بالأزهر له ثقافته الإسلامية الواسعة ، وروحه الدينى الشفاف يخضع لتأثير روحى يجذبه إلى نطاق الرسالة المحمدية ، فهو يجيد القول فى كل موضوع إسلامى مهما تكررت مناسبته ، وتعددت ظروفه ، فأنت تجد له إنتاجا متعددا فى موضوع واحد كالهجرة النبوية إذ لا يكاد يمر عام دون أن يستلهم هذا الحدث التاريخى الفذ ، فيفيض خاطره بإلهام رفيع ! ! وقل مثل ذلك فى المولد النبوى ، وفى الإسراء

والمعراج ، وفى ذكريات بدر ، وفتح مكة ، ومع تقارب هـذه الموضوعات وتشابه ملابساتها تشابها يدعو إلى التكرار والترديد ، فلن تجد فى شعره الدينى على كثرته فضولا تضيق به ، أو توافقا تنكره ، فلكل قصيدة جوها الفريد ، وينبوعها البكر الذى يتدفق نميراً صافياً دون أن تغشى صفحته الوضيئة غاشية من سأم أو فتور ، وبعض الشعراء يكثرون القول فى الذكريات الإسلامية ، ولكنهم يتطرقون إلى الحاضر السياسى فرارا من الرتابة المألوفة والحديث المعاد ، ولكن شفيعا لا ينتقل من جوه الروحى الخالص ، بل يعرض لوحاته الشعرية مصقولة زاهية ، متميزة متفردة ، وفى معارج الخيال آفاق متباعدة تطل على مشاهـد تختلف منحى وموضوعا ، وتتحد هدفا وغاية ، وهنا تأتى الطرافة الخالبة ، طرافة الخيال المجنح الذى يجانب الواقع المألوف مجانبة تجعل لكل موضوع زوايا كثيرة ؛ وفى كل زاوية منظر خاص ينفرد بلونه وجوه وأصدائه ، فتتلون المشاهد ، وتتفرج الزوايا ، والموضوع هو الموضوع .

خذ مثلا موضوعا إسلاميا كرسالة محمد صلى الله عليه وسلم فإنك واجد فى الحديث عنها أفانين مختلفة ، فى قصيدة أولى يتجه الشاعر إلى هلال محرم وهو ذو صلة وثيقة بتطور الرسالة ، فيتحدث عن تألقه فى الأفق ، وبزوغه آلاف السنين دون سأم أو لغوب ، ويصور تعلق الأبصار برؤيته ، وازدياده على التعاقب لمعانا وجدة ، ويرسم أدوار القمر من هلال وليد إلى بدر كامل إلى محاق أسيف ثم يفلسف هذا التسلسل فيذكر أدوار الحياة للإنسان من طفولة مبشرة ، إلى شباب مونق إلى كهولة باهتة ، ثم ينتقل بعد هـذا التصوير الخيالى إلى موضوعه الأصلى فينسج حوله أضواء لامعة تتجه إلى مشرق الشمس التى عميت عنها العيون ، والخفاش الذى يتراقص فى الوهج المشع دون أن يبصر ضياء الضحى ورونق الصباح ، والنعام الهاجع فى كناسه ، والآساد الواثبة من أجم إلى أجم ، كل ذلك فى ديباجـة مشرقة ووضوح مونق يتجلى فى مثل قوله عن الهلال .

طوى الأرض آلاف السنين فما ونت
ركائبه يوماً ولا كل دائره
وكم تشخص الأبصار فى مستهله
فأعجب إذ لا يسأم الدهر ناظره
تعد به الأعوام مهما تطاولت
فيا لسجل لم تُحَبَّرْ دفاتره
يمثل أطوار الحياة ، طفولة
يليها شباب يقطر الحسن ناضره
وبعدهما شيب ، كذاك هـلاله
يكمل بدرا ، والمحاق أواخره

يذكرنا مسراه فى هدأة الدجى
بمسرى رسول الله يرعاه آسره
رفيقان فى غار خفى تواريا
وحولهما نور تفيض بواهره
لقد عشيت عن مشرق الشمس أعين
يرين عليها من ضلال دياجره
وما يبصر الخفاش فى رونق الضحى
فهل يبصر الكفار ما الله ساتره
وليس فرارا ما أتاه محمد
فليس يطيق الضيم إلا أصاغره
يقيم النعام وادعاً فى كناسه
وتجلو عن الغاب المهين قساوره

وهو فى قصيدة ثانية يصور البعثة المحمدية تصويرا جميلا يبرز أثرها فى العالم ، وصداها فى تقويم الأخلاق ، وتصحيح المعايير ، فيشبهها تارة بالمطر يهمى على الجديب المقفر فيورق ويخصب ويهتز ، وتارة بالشفاء الناجع يحل محل الداء المستفحل ، فينفح الجسم بالعافية والفتاء ، وتارة بالربيع المزهر المونق وقد كسا الروض ديباجة خلابة تتراقص بها الطيوف والأضواء ، وتعبق فيها الورود بالشذى المعطر ، وتارة أخيرة بالصباح يبسم فى الكون بعد ظلام حالك ميئس فيرتفع ضياؤه منيرا فى الوجود وقد بهر العيون وخلب الألباب ، ثم يفلسف الفكرة فيعقد موازنة بين نور الشمس ونور الرسالة وبين الشك واليقين ، وكيف يمور الريب فى القلوب موراً يبعث الكمدر والوحشة والانقباض ، ولكن اليقين يبعث ارتياحا رائقا ، وأنسا بهيجا ، وهل الإيمان غير يقين رسخ أصله ، وعمقت جذوره واستطالت سيقانه فتهدلت عليها الغصون بالأثمار .

أرأيت السماء تمطر قوما
بعد جدب يطول فيهم ثُواؤه
أرأيت الشفاء وافى مريضا
بعدما أياس الأساة شفاؤه
أرأيت الربيع يخطر فى الرو
ض فيهتز نوره ورواؤه
أرأيت الصباح يبسم فى الكو
ن فيسمو فوق الوجود لواؤه
إنه أحمد النبيين وافى
فزها الكون واستنارت سماؤه
مشرق الشمس دون مولد فذ
فاض فى الكون بالسلام ضياؤه
وضياء القلوب أجدى وأبقى
من ضياء إلى الجنون انتهاؤه
رب قلب يمور بالشك مَوْرا
زال بالدين ريبه ومراؤه
فاطمأنت من القلوب صدور
طاح عنها الهوى وطار عماؤه
يكدر القلب إذ يداخله الشك

ويبدو عند اليقين صفاؤه
وكذاك النفوس بالشك حيرى
وضياء الإيمان فيها جلاؤه

ثم فى قصيدة ثالثة يتجه الشاعر إلى القطر الحجازى ! هذا القطر الجديد الموحش يفيض عليه خير السماء فماذا يُنبت ؟ ! إنه ينبت للوجود خير الورى محمد بن عبد الله ! فيصير أخصب بقعة ذات رواء واخضرار ! ! هذه الحقيقة الهادئة تدفع الشاعر إلى فلسفة هادئة مثلها فينظر إلى الجدب الحقيقى فيراه فى النفوس الماحلة من الخير لا فى الصحراء القاحلة ذات الرمال والسموم ! وينظر إلى شعوب ترتفع بهمة بطل عظيم فيصل بها إلى المجد والعزة والاستقلال ، وشعوب ينتشر أبناؤها انتشار الجراد فى كل صقع ، ولكنهم يكرون عليها بالنوائب القاتلة ، والبلاء المحيق ، فمجد العرب فى مبدئه مجد بطل واحد هو الرسول الأعظم وإذا أنبتته الصحراء القاحلة فأى بنات ذاك الذى سمت به على الحدائق والرياض ! ! ذلك تصوير شعرى وتفكير منطقى زاوج بينهما الأستاذ حين قال :

تبسمت الدنيا فناج القوافيا
وعاد صباحا مابدا قبل داجيا
وأسفر نور الدين فى الكون كله
فأضحى به القطر الحجازى زاهيا
قفارٌ ولكن أنبتت أطيب الورى
وجدب ولكن كان أخصب واديا
وما الجدب إلا فى النفوس رخيصة
وما الخصب إلا فى النفوس غواليا
ورب شعوب مجدها مجد واحد
وأخرى من الآلاف تشكو الدواهيا

هذه نماذج مختارة من قصائد ثلاث ، تصور تعدد الزوايا المختلفة فى نظرة شاعر مؤمن إلى نبيه الكريم وللأستاذ غيرها - فى الموضوع نفسه - كثير وكثير ، ومجلة الأزهر فى سنواتها المختلفة حافلة بقصائده الإسلامية وقد ألممنا ببعضها فى هذا النطاق لنرى كيف يخلق الخيال من النهر الدافق جداول متشعبة متفرعة تختلف مجرى ولونا وسمة ، وتلتقى عذوبة واطرادا وصفاء ، وهى بعد نزهة العين وبرد الصدر وشفاء القلوب .

وإذا كانت عاطفته الدينية قد ظهرت شفافة رائعة فى قصائده المحمدية ، فقد اتخذت لها إطارا آخر فيما قال الشاعر تمجيدا الأزهر وزيادا عن رسالته ، إذ يراه - كما هو بحق - معقل الدين ومنار الهدى ، وموئل الحنيف ، وللأستاذ فى إطراء الجامعة الأزهرية شوارد سوائر ، وفرائد سواحر ، يؤيدها بالتاريخ الناطق ، والدليل الصادق ، فيتساءل عن زعماء الشعب من أبنائه ، وحماة البيان من أدبائه وأعلام الشريعة من فقهائه ، ويرد

على خصومه ردودا مقنعة لا تنحدر إلى المهاترة ولكنها تدعو إلى سبيل الحق بالحكمة الرائعة والموعظة الحسنة ، كأن يقول : ـ

معقل الدين وهو فى ريعانه
ومنار الهدى ومعلى مكانه
نهض الشرق بالرسالة فى الناس
وشب الحنيف فى إيوانه
لم يقم جوهر بناء ولكن
شاد صرح العلوم فى بنيانه
كم تولى بلاد مصر ولاة
فاستمدوا الولاء من سلطانه
زعماء البلاد منه أفاضوا
وحماة البيان من فرسانه
لغة العرب فى ذراه استطالت
فأواها بوارف من جنانه
جنة الأرض حين أقفرت
الأرض ولج الزمان فى عدوانه
قل لمن رام بالكنانة كيدا
فى الكنانى عصمة من طعانه
سائلوا مصر يوم ثار بنوها
كيف كان الجهاد من فتيانه

وهذا دفاع مجيد له أمثاله الكثيرة فى قصائد متعددة سمعتها منه قديما دون أن أجد لها مصدرا مطبوعا يرجع إليه الناس ، وللشيخ ـ رحمه الله ـ فى أعلام الأزهر من الراحلين مراث جيدة شفعها بدفاع حار عن رسالته فى نصرة الإسلام ، وحماية اللغة ، وصيانة العلم والأدب ، ولا أزال أذكر من بينها مرثيته الرائعة لصديقه الأستاذ محمود أبى العيون ، فقد جزع الرجل لمصرعه الأليم جزعا تؤججه اللهفة ، ويضرمه الالتياع ، وقد ملك الزمام فلم يندفع وراء عاطفة إلى النواح والعويل ، بل نظر نظرة موضوعية إلى جهاد الفقيد وكفاحه الدينى والسياسى فقال كلمة التاريخ عنه فى إطار شعرى جميل ، وأشهد لقد وفق فى مرثيته تلك ، فكرة وتصويراً وتعبيراً ، فهو يصور آثاره المتتابعة بالشآبيب الهاطلة ، وصوته المجلجل بالعاصفة المدوية ، وبيانه الرائع بالنمير تارة ، وباللظى تارة ثانية ، ثم يرسم صورة دامية آسفة ليوم نعيه ، وقد صبغ النهار بحالك غربيب ، فالليل ممدود الرواق ، وقد أمسكت العنادل لهواتها عن الشدو ، بينما انفجرت الغربان بالنعيب صور رائعة مشجية يضفى عليها الحزن ثوبا من الجلال والروعة والوقار ، وهى بعد عاطفة حية ترى فى الطبيعة انعكاسا صادقا لمرآة النفس الحزينة ، وما يشع فى جنباتها من وحشة وانقباض ، ودونك بعض ما قال عن أبى العيون :

فى كل ناحية ترى آثاره
كالغيث شؤبوبا على شؤبوب

كم ذا يجلجل صوته فيهزنا
كالعاصفات تهز كل قضيب
وتفال من عجب نمير بيانه
ناراً تلظى فى نهى وقلوب
يا يوم نعى أبى العيون تركتنا
ربع النهار بحالك غربيب
فالليل ممدود الرواق مخيم
والصبح آذن ضوؤه بمغيب
وترى العنادل أمسكت لهواتها
شجنا ، والغربان شر نعيب
أدى رسالة ربه حتى إذا
هتف الحمام أجاب خير مجيب

ويستطيع القارئ أن يلمس روح البحترى فى هذه الدمعة الحارة ، فالوضوح والسلاسة والرقة مع الشجن واللوعة والأسف كل ذلك يذكرنا بمراثى الوليد ! ! وما زال البحترى صاحب مدرسة خاصة توسم عواطف النفوس شفافة رقراقة تطالعها العيون دون ستار ، وقد كانت هذه الروح الصافية تسود شعراء الجيل الماضى فتتضح كثيرا فى أشعار صبرى وحافظ والرصافى والهراوى والجارم على تفاوت مختلف ، وها هى ذى تلوح فيما نطالعه من قصائد شنيع ! ! وأكاد أجزم أن الشاعر مع إعجابه بالمتنبى فى دروسه بالكلية لا يسير معه فى طريق ، وإنما أستاذه البحترى رضى أم أبى ، فهو يمتح من معينه ، ويسير فى طريقه ! وكم للبحترى من أبناء معرقين ! .

على أن الإنصاف يدفعنا إلى الحديث عن الشعر الفكاهى الذى ساقه الأستاذ فى بعض أبنائه الأزهريين ، فهو مع تعصبه المفرط لمعهده الجليل ينحو باللائمة والنادرة على من يحيد عن القصد فى رأيه ، وعندى قصيدة مرحة — لم تنشر بعد — قالها الشاعر فى طالب أزهرى ظل يرتدى العمامة والكاكولة ردحا من الزمن ، ثم انقلب فجأة لا إلى الطربوش بل إلى القبعة ، فكان مرآه مدعاة عجب كثير ، ولم يفت شفيعا أن يرسم له صورة فكهة تتسم فى أولها بالجد والتوجيه ، ولكنها تنتقل شيئا فشيئا إلى الدعابة الطريفة حتى تثير الضحك ، ومن لا يضحك فينا من صورة ديك نافش لا يصحب هزم دجاجة ضعيفة ، ومن عجاجة ثائرة تنهض خلف الذيول الضافية التى تكنس كل طريق ، وقد أرسلت من غير حاجة ! ! مع أن الشاعر نفسه يرتدى الجبة الواسعة والقفطان الفضفاض ولكنه يقول :

أصبح الشيخ خواجة
بعد ما بدل تاجه
تاج عز وفخار
أطفأ الحمق سراجه
لم يبال الذوق لما
عرضت للنفس حاجة

آثر الضيق حتى
ضيق الله رتاجه
أشعث الرأس حزينا
كدر الدهر مزاجه
نافش كالديك لكن
ماله عزم الدجاجه
وشيوخ العلم إن ساروا
أثاروها عجاجة
ذات أذيال طوال
أرسلت من غير حاجة
كنست كل طريق
لم تدع حتى لجاجه ! !

فهل يكون هذا التندر الطريف غير إذعان مطيع لروح مطراب يرفرف فى جوانح الشيخ ويميل إلى الترويح والتنفيس ! ! ولو شئنا أن نسجل طرائف الرجل فى هذا المجال لاحتجنا إلى بحث آخر ، ولكننا نقف عند هذا القدر مترحمين على الراحل العزيز سائلين له أعلى الدرجات فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

محمد رجب البيومى

الرجل والعصفور

فى المثل أن رجلا نصب للعصافير فخا ، فارتبن به وبالفخ ، وضربه البرد ، فكلما مشى إلى الفخ وقد انضم على عصفور قبض عليه ودق جناحه وألقاه فى وعائه دمعت عينه مما كان يصك وجهه من برد الشمال . فتشاورت العصافير فى أمره ، وقلن : لا بأس عليكن ، فإنه رجل صالح رحيم رقيق الدمعة ، فقال عصفور منها :

« لا تنظروا إلى دموع عينيه ، ولكن انظروا إلى عمل يديه » .

صفحات مشرقة من تاريخ القضاء في الإسلام

للدكتور جمال الدين الرمادي

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتولى أمور القضاء بنفسه فى صدر الإسلام ، وكذلك كان شأن أبى بكر الصديق رضى الله عنه أول الخلفاء الراشدين ، فلما ولى عمر بن الخطاب الخلافة كانت رقعة الأمة الإسلامية قد امتدت واتسعت ، وكانت أمور المسلمين قد تعددت وتعقدت وبلغ نفوذهم الشام والعراق ومصر وغيرها من الأقطار والأمصار مما دعا الخليفة عمر بن الخطاب إلى التفكير فى أمر القضاء بين الناس ، وقد ساعده على هذا التفكير أن الخليفة كان قائد الجيوش والمشرف على الأعمال الحربية ، وشتى الغزوات والشئون الإدارية للجيش والحكومة .

ولذلك عول عمر بن الخطاب على فصل الولاية العامة عن القضاء ، وخرجت فكرة الخليفة من حيز التفكير إلى حيز التنفيذ ، ومضى يعين من ينوب عنه فى القضاء والفصل فى المنازعات والمخاصمات بين الرعية فولى أبا الدرداء على المدينة وولى شريحا على الكوفة وولى أبا موسى الأشعرى على البصرة .

وكان عمر بن الخطاب يحاول بهذا النظام أن يتفرغ للأعمال الكبرى فى ولايته .

رسالة عمر بن الخطاب إلى الأشعرى :

وقد كتب عمر بن الخطاب إلى أبى موسى الأشعرى رسالة قيمة توضح كيفية التقاضى فى الإسلام ، وتعتبر من أروع النماذج الرفيعة فى قوانين المحاكمة والقضاء ، ففيها يقول عمر « سو بين الناس فى وجهك وعدلك ومجلسك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك » .

وهو يشير فى هذه الفقرة إلى وجوب التسوية بين الخصمين فى كل شىء ، ومما يروى فى هذا الصدد أنه كان بين أبى بن كعب وعمر ابن الخطاب منازعة وخصومة فى حائط فقال بينى وبينك زيد بن ثابت ، فأتياه فضربا عليه الباب فخرج فقال : يا أمير المؤمنين ألا أرسلت إلى حتى آتيك ..؟ فقال عمر فى بيته يؤتى الحكم ، فأخرج زيد وسادة فألقاها عمر وقال : هذا أول جورك ، وأبى أن يجلس عليها .

وهكذا أبى عمر بن الخطاب أن يجلس على وسادة وهو أحد الخصمين حتى لا يظن ظان أن القاضى يؤثر أحد الخصمين على الآخر بل يجب أن يسوى بينهما ، فلا يرفع عظيما ، ولا يضع حقيرا .

وطلب عمر فى هـذه الرسالة أن يصغى القاضى إلى مقال الخصمين ، وفى ذلك يقول فافهم إذا أدلى إليك الرجل بالحجة ، فامض إذا فهمت ، وامض إذا قضيت ، فإنه لا ينتفع منكم بحق لا نفاذ له .

بعض ما تضمنته الرسالة العمرية :

طالبت الرسالة العمرية بإحضار البينة حتى يستطيع القاضى أن يحكم بمقتضاها حسب قواعد الشريعة الإسلامية السمحاء . كما أشارت إلى الشهود حين ذكرت « المسلمون عدول إلا مجلوداً فى حد أو مجربا عليه شهادة الزور أو ظنينا فى ولاء » .

ونصحت بكظم المشاعر والعواطف وعدم الضيق والضجر كما وضحت موارد الشريعة الإسلامية الغراء .

وصفوة القول أنها أرست قواعد القضاء فى الإسلام لما تضمنته من نصائح غالية للقضاة توجههم إلى سواء السبيل، وتحول بينهم وبين اقتراف المنكر أو الجنوح نحو الباطل والانحراف عن العدالة .

ولذلك اختار الخلفاء المسلمون القضاة أحسن اختيار ، واتقـوا فى ذلك الله ما استطاعوا ، ولم يعينوا فى هذا المنصب إلا كل من وثقوا فى أخلاقه وسيرته، بل إنهم كانوا يمتحنون القضاة قبل أن يسندوا إليهم هذه الوظيفة ، واشتهر من القضاة المسلمين القاضى « شريح » الذى ظل فى منصبه نحو ستين عاما ، وطار صيته فى الآفاق .

واشتهر من قضاة الدولة الأموية عامر الشعبى إذ سأل عبد الملك بن مروان عن رجل يوليه القضاء فقال له روح ابن زنباع : « أدلك على رجل إن دعوتموه أجابكم ، وإن تركتموه لم يأتكم ، ليس بالملحف طلبا ، ولا بالمعز معروفا ، عامر الشعبى » .

فولاه قضاء البصرة ، وفى ذلك يقول ابن عيينه « ابن عباس فى زمانه والشعبى فى زمانه ، والثورى فى زمانه » . وذلك لحفظه ومكانته فى الفقه ، وثقة فى الحديث ، ورياسة فى العلم كالشمس فى الآفاق .

القضاء فى الدولة العباسية :

واعتمدت الدولة العباسية على طائفة ممتازة من القضاة نذكر منهم يحى بن سعيد الأنصارى، قاضى أبى العباس السفاح ، وشريك قاضى أبى جعفر المنصور ، وابن أبى دؤاد قاضى المعتصم والواثق .

كما نذكر منهم كذلك يحى بن أكثم قاضى المتوكل ، والقاضى إسماعيل المالكى . وكان يقال له : مالك الأصغر . وفيه قال المعتضد لوزيره ابن وهب :

واستوصى بالشيخين الفاضلين اسماعيل بن

إسحق القاضي - وموسى بن إسحق الخطمي خيرا، فإنهما ممن إذا أراد أحد بأهل الأرض سوءا دفع عنهم بدعائهما.

واشتهر في المغرب والأندلس من القضاة أسد بن الفرات والباجي وابن العربي وابن رشد وعياض والمقرى ومنذر بن سعيد وغيرهم من الثقاة.

عقد امتحانات للقضاة :

وكان قاضي قضاة المتوكل يحيى بن أكثم يتولى امتحان من يترشح للقضاء بنفسه حتى لا يتعين في منصب للقاضي إلا من أثبتت التجارب وأثبت ماضيه أنه جدير به . وجاء في كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة أن يحيى ابن أكثم كان يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل : ما تقول في رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه ، فولد لكل واحد من امرأته ولد . ما قرابة ما بين الولدين ؟ فلم يعرفها فقال له يحيى : كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه .

وليس هذا الامتحان شططا من العمل أو بدعة جديدة أتى بها المسلمون المتأخرون إذ يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم امتحن معاذا لما أراد بعثه لقضاء اليمن فقال له : بم تحكم ؟ فقال : بكتاب الله والحديث الخ...

ولما أراد ابن هبيرة تولية إياس أرسل للامتحان فسأله بقوله : أتقرأ القرآن ؟ قال نعم ، قال : أتفرض الفرائض ؟ قال : نعم . قال : أتعرف من أيام العرب شيئا ؟ قال نعم؟ قال أتعرف من أيام العجم شيئا قال : أنا بها أعرف فولاه القضاء .

وجاء في كتاب نفح الطيب لأبي العباس المقرى : « كانوا في عاصمة الخلافة في الأندلس لا يقدمون أحدا للفتوى ولا لقبول الشهادة حتى يطول اختباره ، وتعقد له مجالس المذاكرة ويكون ذا مال في أغلب الأحوال » .

وهكذا كان الامتحان عنصرا من عناصر التعيين في مناصب القضاة كما كان التعيين بالمعرفة السابقة أي بطول الخبرة دون تحيز أو محاباة ، أو بشهادة الثقة أي أن يشهد له جماعة من الثقاة بطول الباع في فهم كتاب الله والسنة وغير ذلك من أمور الشرع الشريف.

شريح القاضي يحكم على الوالي :

وقد كان القضاة المسلمون يحكمون بالعدل والقسطاس المستقيم دون أن يخافوا لومة لائم بل إنهم كانوا لا يترددون في الحكم على الخليفة نفسه إن لم يستطع إحضار البينة . ومثال ذلك أن علي ابن أبي طالب تحاكم إلى قاضيه شريح في درع له لقي نصرانيا يبيعها فقال له علي : هذا درعي بيني وبينك قاضي المسلمين ، ولما حضرا مجلس القضاء قال علي : اقض بيني وبينه يا شريح فقال : ما تقول يا أمير المؤمنين ؟ فقال علي : هذه درعي ذهبت مني

منذ زمان فقال شريح : ما أرى أن تخرج من يده ، فهل لك بنية ؟ فقال على : صدق شريح . فقال النصرانى : أما أنا فأشهد أن هذه أحكام الأنبياء ، أمير المؤمنين يختار قاضيه ، وقاضيه يقضى عليه ، هى والله يا أمير المؤمنين درعك اتبعتك مع الجيش ، وقد زالت من جملك الاورق فأخذتها ، فإنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال على : أما إذا أسلمت فهى لك ، وحمله على فرس عتيق .

عدالة القضاء فى الأندلس :

وحدث ما يشبه ذلك فى الأندلس على يد القاضى منذر بن سعيد البلوطى الذى تولى منصب القضاء فى خلافة الناصر الأموى وذلك أنه احتاج إلى شراء دار من قرطبة لحظية من نسائه ، فوقع استحسانه على دار كانت لأولاد زكريا أخى نجدة وكانت بقرب النشارين فى الربض الشرقى منفصلة عن دوره ، ويتصل بها حمام له غلة واسعة ، وكان أولاد زكريا أخى نجدة أيتاما فى حجر القاضى فأرسل الخليفة من يقومها ، وأرسل ناسا أمرهم بمداخلة وصى الأيتام فى بيعها عليهم ، فذكر أنه لا يجوز بيع هذه الدار إلا بأمر القاضى منذر ، فقال لرسوله : البيع على الأيتام لا يصح إلا لوجوه منها الحاجة ومنها الوهى الشديد ومنها الغبطة ، فأما الحاجة فلا حاجة بهؤلاء الأيتام إلى البيع ، أما الوهى فليس فيها ، وأما الغبطة فهذا مكانها فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين الغبطة أمرت وصيهم بالبيع ، وإلا فلا ، فنقل جوابه إلى الخليفة فأظهر الزهد فى شراء الدار طمعا فى أن يتوخى رغبته فيها .

وخاف القاضى أن تنبعث منه عزيمة تلحق الأيتام سورتها فأمر وصى الأيتام بنقض الدار وبيع أنقاضها ، ففعل وباع الأنقاض فكانت لها قيمة أكثر مما قومت به للسلطان.

فاتصل الخبر به فعز عليه خرابها وأمر بتوقيف الوصى على ما أحدثه فيها ، فأحال الوصى على القاضى أنه أمره بذلك فأرسل عند ذلك للقاضى منذر وقال : أنت أمرت بنقض دار أخى نجدة ؟ فقال له : نعم : فقال وما دعاك إلى ذلك ؟ قال : أخذت فيها بقول الله تعالى : « أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها ، وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا، مقوموك لم يقوموها إلا بكذا ، وبذلك تعلق وهمك ، فقد بعنا أنقاضها بأكثر من ذلك ، وبقيت القاعة والحمام ، ونظر الله تعالى للأيتام فصبر الخليفة عبد الرحمن على ما أتى من ذلك وقال : نحن أولى منك فى إنفاذ الحق .

والشاهد فى هذه القصة أن القاضى منذر ابن سعيد البلوطى لم يتأثر بكلام الخليفة ، بل

تصرف فى حدود الشرع الشريف دون خوف ولا وجل ورائده فى ذلك كتاب الله العزيز وسنته الكريمة ووجه الحق لا يرضى بغيره بديلا .

اختصاصات القاضى :

وقد استقر الرأى فى الشريعة الإسلامية على أن تولية القاضى إن كانت عامة شمل نظره فصل المنازعات والخصومات واستيفاء الحقوق وإيصالها إلى مستحقيها ، بعد الثبوت ، واختيار الأوصياء على من لا يجوز تصرفه من المجانين والصغار والسفهاء ، والمفلسين ، والنظر فى الأوقاف ، وتنفيذ الوصايات ، وتزويج الأيامى ، وإقامة الحدود ، والنظر فى المصالح العامة من منع الضرر فى الطرقات والأفنية وإحداث ما يضر بالمارة من البناء وغيره ، وتصفح الشهود والنواب عنه .

وقال ابن سهل فى مقدمة كتاب التبصرة : إن خطة القضاء أعظم الخطط قدرا وإليها المرجع فى الجليل والحقير بلا تحديد ، وإن على القاضى مدار الأحكام ، وإليه النظر فى جميع وجوه القضاء من القليل والكثير بلا تحديد وقال : ويختص القاضى بوجوه لا يشاركه فيها غيره من الحكام ، ومن ذلك النظر فى الوصايا والأحباس والترشيد والتحجير والتسفيه ، والقسم والمواريث والنظر للأيتام ، والنظر فى مال الغياب ، والنظر فى الأنساب ، وزادوا الجراحات والديات والتسجيل والإثبات .

وقال ابن الأميين القرطبى : « وللقاضى النظر فى جميع الأشياء إلا فى قضية الخراج واختلف هل له قبض أموال الصدقات وصرفها فى مستحقها إذا لم يحضر الناظر فقيل ذلك له وقيل لا » .

المحتسب :

وأسندت إلى المحتسب بعد ذلك أمور النظر فى مصالح الأبنية من ضررها والمضايقة فى الطرقات ، كما أسندت إليه ثلاثة أنواع من الدعوى أحدها فيما يتعلق ببخس فى ثمن أو مثمن أو تطفيف ونقص فى كيل أو وزن ، وثانيها فيما يتعلق بغش أو تدليس فى ثمن أو مثمن ، وثالثها فيما يتعلق بمطل غنى فى دين ثابت دون مناكرة ، ومن ذلك النفقات المقدرة من المجلس الشرعى على الزوجات والأقارب التى يماطل أصحابها .

كما يتفقد المحتسب مجارى المياه العامة فى المدينة فإن احتاجت إلى إصلاح أصلحها إن أمكن وإلا نبه ذوى السلطة إلى الإصلاح ، كما يأمر بتنقية الشوارع وتنظيفها ، كطرح الأزبال والقمامات وإراقة المياه التى تنشأ عنها الأوحال ، وربط الدواب ونحوها والمرور

بأحمال الحطب الكبيرة التى من شأنها إيذاء المارة وإطلاق الكلاب الضارة المؤذية ، وإلزام أصحاب البناء المتداعى بهدمه أو إصلاحه ، كما أسندت إليه أمور النظر فى الأسواق كترتيب مقاعد الباعة حتى لا تقع مضايقة أو شجار ، واختيار العرفاء والأمناء فيها ، واختيار القائمين على الوزن والكيل واختيار السماسرة والدلالين وفحص المبيعات التى يدخلها الغش كالسمن والزيت واللبن والدقيق ، ومراقبة بيع الفاكهة واللحوم حتى لا يختلط الجيد بالردئ منها ، ومنع الباعة من احتكار أو خزن ما يحتاج إليه الناس من طعام ونحو ذلك .

وللمحتسب كذلك النظر فى الحمامات والمساجد والمعاهد العلمية والوقوف فى مواطن الريب ، وارتداء الملابس الخارجة ونحو ذلك .

أما ما خرج عن هذه الأمور من سائر الدعاوى فى العقود والمعاملات ، والحقوق والمطالبات التى تتوقف على الشهود والبيانات فلا دخل للمحتسب فى الحكم فيها ولو كانت الدعوى فى شىء يسير .

كاتب المحكمة :

وكان الخلفاء المسلمون يدققون فى اختيار كاتب المحكمة ويروى ابن عبد ربه فى كتاب العقد الفريد ، أنه يشترط فيه أن يكون عالماً بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث .

ولذلك امتلأت وأمرا الخلفاء العباسيين وغيرهم بالتوصية فى اختيار الكاتب الذى يكتب المحاضر ويحرر السجلات ، ويوقع إعلانات الحضور .

الحاجب :

أما الحاجب فهو صاحب الباب الذى يقدم إلى القاضى أرباب الدعاوى والحاجات ويستأذن فى دخولهم إليه ، وفى ذلك يقول الحافظ بن حجر فى الفتح : وظيفة البواب أو الحاجب أن يطالع الحاكم بحال من حضر ولا سيما من الأعيان لاحتمال أن يجىء مخاصماً ، والحاكم يظن أنه جاء زائرا فيعطيه حقه من الإكرام الذى لا يجوز لمن يجىء مخاصماً ، وإيصال الخبر للحاكم بذلك أما بالمشافهة وإما بالمكاتبة .

أعوان القاضى :

وكان للقاضى أعوان وخدمة العدالة . والأعوان هم بمنزلة الشرطة للوالى وهم حرسه وجنده الذين يستعين بهم على جلب العصاة وزجر الطغاة .

أما الخدمة فهم خدام العدالة ويروى ابن ميارة أنهم من لهم معرفة ببعض مبادىء الخصام وفصول الكلام وهم الذين يتكلمون فى المسائل المهمة ويسمون الوكلاء .

رواتب القضاة :

وكان للقضاة يمنحون رواتب سخية حتى يتفرغوا للأحكام بعد أن يطمئنوا على معاشهم ورزقهم وقال الكرابيسى من الشافعية : « لا بأس للقاضى أن يأخذ الرزق على القضاء عند أهل العلم قاطبة لا أعلم بينهم اختلافا . وقد كره ذلك قوم منهم مسروق ولا أعلم أحدا حرمه » .

وقد اتسعت أرزاق القضاة لما ولى عمر ابن الخطاب وامتدت رقعة الأمة الإسلامية . وفى طبقات ابن سعد أن عمر رزق عياض ابن غنم حين ولاه حمص كل يوم دينارا وشاة واحدة .

وكان راتب القاضى فى مصر ألف دينار . ففى حسن المحاضرة ، ثم ولى عبد الرحمن الخولانى وجمع له القضاء والقصص وبيت المال فكان يأخذ رزقه فى السنة ألف دينار ، وفى الدولة العباسية كان راتب القاضى فى المدينة المنورة أربعة آلاف دينار ، وجاء فى كتاب القضاة للنبهانى : « وعرض أمير المؤمنين الرشيد على المغيرة ابن عبد الرحمن المخزومى قضاء المدينة وجائزته أربعة آلاف دينار ، فامتنع ، فأبى الرشيد إلا أن يلزمه فقال : والله يا أمير المؤمنين لأن يخنقنى الشيطان أحب إلى من القضاء ، فقال الرشيد : ما بعد هذا شىء ، وأعفاه وأجازه بألفى دينار .

القاضى والإمام العادل :

والشاهد فى هذه القصة أن القضاة كانوا يمنحون رواتب سخية فى شتى العصور الإسلامية لما كان لمنصب القاضى من حرمة ومكانة بل كان بعض المسلمين يتخوفون منه خشية أن يجوروا فى أحكامهم . وهذا مما يزيد المنصب رفعة وعلوا .

وجاء فى حديث عن ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم : لا حسد إلا فى اثنتين : رجل أتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الحق ، ورجل أتاه الحكمة فهو يقضى بها . وجاء فى حديث عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم قال : هل تدرون من السابقون إلى ظل الله تعالى يوم القيامة ؟ قالوا الله ورسوله أعلم . قال : الذين إذا أعطوا الحق قبلوه ، وإذا سئلوه بذلوه ، وإذا حكموا للمسلمين حكموا كحكمهم لأنفسهم .

وفى الحديث الصحيح سبعة يظلهم الله تحت ظل عرشه وبدأ بالإمام العادل » .

جمال الدين الرمادى

الرسول ... الإنسان

للأستاذ فتحى عثمان

> لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا »

على قدر (واقعية الرسالة) .... يكون نصيبها من النجاح .

وعلى قدر (إنسانية الرسول) .... يكون إدراك الناس لطبيعة الرسالة الواقعية .

فالناس يعرفون الرسالة من خلال (شخصية) صاحبها ....

وقد تبهر الناس (الشخصية الملائكية) القدسية إلى حين ، ولكنهم لا يستريحون لصحبتها دواما فى كل حين .

وقد تبهر الناس (الشخصية الساحقة الطاغية)، ولكن مثل هذه الشخصية إن صلحت للزعامة الموقوتة ، لا تصلح للهداية الموصولة والرسالة الخالدة .

ومن هنا كانت شخصية محمد (الرسول الإنسان) ، خير دعوة ودعاية لرسالته ... فيها البساطة الآسرة ، والإنسانية الغامرة ، والجاذبية الساحرة !

فيها يعرض الرسول الإنسان نفسه ... على كل إنسان !

فيها يكون المثل الأعلى قريبا ... قريبا ... إلى العقول والقلوب !

* * *

كان اختيار البيئة العربية لرسالة الإسلام فى ذلك الوقت ، أول إشارة لطبيعة هذه الرسالة .... فالعرب كانوا خير النماذج (للإنسانية) فى عصرهم .

• كانوا بسطاء .... ولكنهم ليسوا بالسذج التافهين . ففى أدبهم وشعرهم دليل الحكمة والحصافة ، والشعور والوعى ، والذوق والرقة .

• كانوا يحيون حياة الحرية والمساواة.... يحيونها ولا يفلسفونها ، ولذا لم يحتج الإسلام إلى تقرير هذين الأصلين تقريرا مباشرا كثيرا ، إذ هما شىء قائم وأمر واقع فى (حياة) العرب ... فى مشاعرهم ووجدانهم ، فى عاداتهم وتقاليدهم ... بديهية مقررة فى كيانهم ذاته ، لم يعرفوا (الحق الإلهى المقدس) لحكم ، ولا (الدم الأرستقراطى الرفيع) لأسرة !

* كانوا يحيون حياة التكافل والتعاون ، وكانت فوارق الثروات فوارق مادية لا إنسانية .. كان هناك حقا أغنياء ومترفون ، ولكنهم لم يكونوا متسلطين أو متألهين ! ! كان العربى الفقير يخاطب أغنى الأغنياء فى بساطة وقوة ...

ولنترك وضع (الرقيق) جانبا ، فقد كان وضعا اجتماعيا عالميا ، وكان عند العرب أهون منه فى كثير من المجتمعات .

ومن هذا (الرصيد الإنسانى) الكبير ، جاء (الرسول الإنسان) :

« لقد جاءكم رسول من أنفسكم
عزيز عليه ما عنتم
حريص عليكم
بالمؤمنين رءوف رحيم »

* * *

ولم تأت رسالة محمد من السماء إلى هذه البيئة الإنسانية ، لتروع برهبة الغيب ما أمن منه الواقع القائم ...

* فمحمد لا تربطه بالسماء أسباب غير الوحى ...

« قل إنما أنا بشر مثلكم ... يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد ، فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ، ولا يشرك بعبادة ربه أحدا » .

« قل إن أدرى أقريب ما توعدون ، أم يجعل له ربى أمدا . عالم الغيب ، فلا يظهر على غيبه أحدا . إلا من ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا . ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم ، وأحاط بما لديهم ، وأحصى كل شئ عددا » .

« قل لا أملك لنفسى نفعا ولا ضرّا - إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » .

* ومحمد ليس رسولا من الملائكة ، وإنما هو الرسول الإنسان ...

« وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر ثم لا ينظرون . ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجــلا ، وللبسنا عليهم ما يلبسون » .

* وشاهد الرسول على رسالته هو المنطق والبيان ...

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا . أو تكون لك جنة من نخيل وعنب ، فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا . أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا ، أو تأتى بالله والملائكة قبيلا . أو يكون لك بيت من زخرف ، أو ترقى فى السماء - ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه ، قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا !! وما منع الناس أن يؤمنوا

إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا : أبعث الله بشرا رسولا ؟؟ قل لو كان فى الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا . قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم ، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا » .

* والوحى الذى ينزل على الرسول يقرئه القرآن ، فالسماء لا تنزل رسائلها ألواحا وقراطيس « ولو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه بأيديهم ، لقال الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين » ! ! .

لقد استنفدت المعجزات الحسية الصارخة أغراضها ، وأضحت غير ذات موضوع ...

« وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون، وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ، وما نرسل بالآيات إلا تخويفا » .

وجاء الإسلام يكرم العقل الإنسانى ويخاطبه بالبرهان ، ويصرفه عن التماس الدليل فى غير الكون الفسيح وبغير المنهج الرشيد ...

« وقالوا : لولا نزل عليه آية من ربه ، قل إن الله قادر على أن ينزل آية ، ولكن أكثرهم لا يعلمون . وما من دابة فى الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ، ما فرطنا فى الكتاب من شىء . ثم إلى ربهم يحشرون » .

* والوحى الإلهى الذى ينزل على الرسول يسد كل ذريعة للتعالى والتحكم باسم الله او شريعته ...

« إنما أنت منذر ولكل قوم هاد »

« إن عليك إلا البلاغ »

« لست عليهم بمسيطر »

« قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربى ، وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم ، أنلزمكموها ـ وأنتم لها كارهون ؟ ويا قوم لا أسألكم عليه مالا ، إن أجرى إلا على الله ، وما أنا بطارد الذين آمنوا ، إنهم ملاقو ربهم ، ولكنى أراكم قوما تجهلون . ويا قوم من ينصرنى من الله إن طردتهم ، أفلا تذكرون . ولا أقول لكم عندى خزائن الله ، ولا أعلم الغيب ، ولا أقول إنى ملك ، ولا أقول للذين تزدرى أعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ، الله أعلم بما فى أنفسهم إنى إذن لمن الظالمين » .

ولقد كان رسول الإسلام بعيدا عن الثروة أو السطوة . فلم يكن نبيا ملكا كداود أو سليمان ، بل كان يجوع ويشبع ، ويصبر على الضعف حتى يقوى .

« قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله ، لكل أمة أجل، إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » .

« قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ، ولا أقول لكم إنى ملك ، إن

أتبع إلا مايوحى إلى ، قل هل يستوى الأعمى والبصير ـ أفلا تتفكرون ؟ ؟ » .

« وقالوا : مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ، لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا ! أو يلقى إليه كنز ، أو تكون له جنة يأكل منها ، وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا ! انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا ، فلا يستطيعون سبيلا » . » وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ويمشون فى الأسواق ، وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ـ أتصبرون ؟ وكان ربك بصيرا » .

* * *

ورسول الإسلام ، إنسان فى مشاعره وأحاسيسه .

« قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون ، فإنهم لا يكذبونك ، ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون . ولقد كذبت رسل من قبلك ، فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ، ولا مبدل لكلمات الله ، ولقد جاءك من نبأ المرسلين . وإن كان كبر عليك إعراضهم فإن استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض أو سلما فى السماء ـ فتأتيهم بآية ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى ، فلا تكونن من الجاهلين » .

« فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك ، وضائق به صدرك ـ أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك ، إنما أنت نذير والله على كل شئ وكيل » .

« وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره ـ وإذن لاتخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا . إذن لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ، ثم لاتجد لك علينا نصيرا » .

« فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا » .

« وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله ، وتخفى فى نفسك ما الله مبديه ، وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه » .

«عبس وتولى . أن جاءه الأعمى . ومايدريك لعله يزكى ؟ أو يذكر فتنفعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهى . كلا إنها تذكرة » .

نحن نحس إننا أمام الرسول الإنسان ، الذى تتبادله مشاعر الخوف والرجاء ، والإشفاق والثبات ... إنه لا يدعو بعجرفة الدعى المتعاظم ، أو الفارغ الأحمق .

« وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته ، فينسخ الله ما يلقى الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، والله عليم حكيم . ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة الذين

فى قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم ، وإن الظالمين لفى شقاق بعيد . وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم ، وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم » .

« حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا ، فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » .

* * *

ولقد كان رسول الإسلام يحيا حياة الإنسان : يصوم ويفطر ، ويقوم وينام ، ويتزوج النساء ، ويعلن أن هذه شريعته وسنته « فمن رغب عن سنتى فليس منى » .

ورسول الله ، الأتقى والأعلم بالله ، والأزهد فى الدنيا والأحرص على الآخرة ، نسمع منه هذا اللحن الإنسانى الرائع : حبب إلى من دنياكم ثلاث : الطيب ، والنساء ، وجعلت قرة عينى فى الصلاة !

ورسول الله ، إنسان فى مشاعره تجاه الزوجة والولد ... حتى ليهمّ أن يحرّم على نفسه ما أحل الله له يبتغى مرضاة أزواجه !..

وحتى يصرح أن ابنته فاطمة قطعة منه — يريبه ما رابها ! ... وحتى يطيل السجود ، لأن ابنه ارتقى ظهره وهو ساجد ، فكره أن « يعجله » إلى الهبوط قبل أن يقضى رغبته فى الصعود !! .

فإذا ماقسى الرسول الإنسان يوما على نفسه ، فهو يعفى أمته من المتابعة والاقتداء ... إنه يواصل الصيام وينهى المسلمين عن الوصال ويقول « لست كهيئتكم ، إنى أبيت عند ربى يطعمنى ويسقنى » .

وشريعته يقوم التكليف فيها على الطاقة والوسع « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » ، والرسول الإنسان يقول « إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » . ومن هنا جاءت الشريعة بالإباحة فى حالة الضرورة : « وقد فصل لكم ما حرم عليكم - إلا ما اضطررتم إليه » ، والرسول الإنسان يقول « رفع عن أمتى الخطأ ، والنسيان ، وما استكرهوا عليه » .

ذلكم هو الرسول الإنسان ، الذى تحتاجه الإنسانية فى كل زمان ...

بلا تهاويل ولا طلاسم ...

بلا تأسيس على الخوارق ...

بلا طغيان ولا تفزيع ...

« فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله ، إن الله يحب المتوكلين » .

« الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم » .

فتحى عثمان

مراكز اللغة العربية فى الهند

للأستاذ محمد اسماعيل الندوى

ظلت الهند حصنا من حصون اللغة العربية طوال تاريخها الإسلامى المجيد. فقد فتح العرب السند سنة ٩١ هـ، ومنذ ذلك الوقت بدأ تفاعل الثقافتين العربية والهندية. وظهر من الهنود أدباء وشعراء باللغة العربية أمثال أبى عطاء السندى، شاعر من مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية، وابن الأعرابى لغوى شهير، وأبى معشر نجيح السندى، محدث شهير صاحب كتاب المغازى.

ولما انفصلت الهند عن الدولة العباسية بعد ما استشرى الضعف والانحلال فى جسد الخلافة العباسية، تكون للهند كيان مستقل، وظلت تحت حكم الأتراك والمغول من المسلمين إلى القرن الثامن عشر الميلادى. وفى غضون هذه المدة استخدمت اللغة العربية لغة دينية وعلمية، وألفت بها جميع الكتب فى الدين والعلم. وظهر من الهنود أدباء وشعراء ومصنفون وقد ألف الإمام حسن بن محمد الصغانى من رجال القرن السابع الهجرى، «العباب الزاخر» الذى عد من مراجع اللغة العربية. وألف الشيخ محمد أعلى التهانوى من رجال القرن الثانى عشر «كشاف اصطلاحات الفنون»، وهو معجم للمصطلحات العلمية يغنى عن مراجعة آلاف من الصفحات. وألف السيد مرتضى البلكرامى المشهور بالزبيدى الذى دفن فى مصر سنة (١٢٠٥ هـ) كتاب «تاج العروس»، وهو أشهر من أن يعرف. وألف الشيخ محمد بن طاهر الفتنى سنة (٩٦٦ م) كتاب «مجمع بحار الأنوار فى التنزيل ولطائف الأخبار»، جمع فيه غريب الحديث وما ألف فيه، فجاء كالشرح للصحاح الستة.

وفى الشريعة الإسلامية أضاف العلماء الهنود إلى المكتبة العربية ثروة كبيرة، مثل كتاب «كنز العمال» للشيخ على بن حسام الدين المتقى من رجال القرن العاشر. وهو ترتيب «جمع الجوامع» للسيوطى. وكتاب حجة الله البالغة للإمام ولى الله الدهلوى سنة (١١٧٩ م) فى أسرار أحكام الشريعة الإسلامية وفلسفة التشريع وهو كتاب مبتكر فى موضوعه لا يوجد له نظير فى المكتبة العربية على سعتها.

المركز الأول: المدارس العربية

هذه صورة اللغة العربية إلى منتصف القرن التاسع عشر الميلادى. وبعد هذه الفترة

من الزمان حدثت حوادث هائلة فى الهند ، ومن أهمها احتلال الانجليز والثورة الكبرى ضدهم تلك التى قام بها العلماء المسلمون سنة ١٨٥٧ م . وقد ابتلى المسلمون بالانجليز فأوقفوا نشاطهم الدينى ، وأعدموا العلماء والزعماء ، ونفوا كثيراً من رجال الدين إلى البحر الأسود . وكانت هذه أكبر نكبة على كيان الأمة الإسلامية ومستقبلها فى الهند ، وعلى تراثها الدينى المجيد .

ونشأت هناك بعد ذلك نزعات عديدة لدى المسلمين للحفاظ على كيان الدين والتراث الإسلامى الذى توارثوه عن أجدادهم طوال هذه القرون ، وللذود عن الإسلام ضد الحملات المسيحية التى تمثلت فى الحركتين التبشيرية والاستشراقية .

وقد أنشأ صفوة من العلماء وعلى رأسهم العالم الجليل الشيخ محمد قاسم النانتوى معهدا عربيا كبيرا وهو مدرسة « دار العلوم » بمدينة « ديوبند » سنة ١٢٨٣ هـ . وكان من أهداف هذه المدرسة المحافظة على التراث العربى الدينى ودراسة اللغة العربية والشريعة الإسلامية ، وتخريج مجموعة من رجال الفكر والدين والزعماء المسلمين ليقودوا الأمة الإسلامية فى الهند .

ولم تكن هذه المدرسة حديثة ولا فريدة فى نوعها ورسالتها فى الهند . بل سبقتها مراحل شتى فى هذا المضمار . وظلت هذه المدارس العربية أكبر مركز للغة العربية وثقافة الإسلام طوال العصور الإسلامية . وقد مرت هذه المدارس بخمس مراحل فى تاريخها المجيد .

١ — القرون الثلاثة من السابع إلى العاشر الهجرى (١٣ — ١٦ م) .

٢ — من العاشر إلى الحادى عشر الهجرى (١٦ — ١٧ م) .

٣ — من الحادى عشر إلى الثانى عشر الهجرى (١٧ — ١٨ م) .

٤ — من الثانى عشر إلى الثالث عشر الهجرى (١٨ — ١٩ م) .

٥ — من الرابع عشر إلى يومنا هذا (١٩ — ٢٠ م) .

وكانت مدرسة ديوبند على منوال مدرسة نظام الدين فى المناهج ونظام التدريس . ولا يزال منهجها يسمى بالمنهج النظامى . وأما مدرسة نظام الدين فكانت تسمى بالمدرسة النظامية . نسبة للشيخ ملا نظام الدين (ولد سنة ١٦٧٩ م وتوفى سنة ١٧٤٨م وكانت له فى الهند شهرة لاتضارع) . ولم تكن مدرسة بالاصطلاح الحديث الذى تنقسم فيه المدرسة إلى مرحلتين ثانوية وابتدائية ، بل كان لها نظامها المأخوذ عن المدرسة النظامية التى كانت فى بغداد . وإذا أردنا أن نحدد هذا النظام فى ضوء النظم الدراسية المعاصرة ، فإننا نستطيع القول بأنها كانت ولا تزل تجمع بين المرحلتين التحضيرية

والجامعية فى آن واحد . وكان الشيخ ملا نظام الدين قد وضع منهجا جديدا لمدرسته . يشتمل على اللغة العربية أدبا ونحوا وصرفا وبلاغة ، والحديث والتفسير والفقه والأصول ، والمنطق والفلسفة . ولم يكن هناك نظام المحاضرات الذى اشتهرت به العصور الإسلامية واشتهر فيه أبو على القالى «صاحب الأمالى» والمبرد «صاحب الكامل» والمحدثون والفقهاء . بل كانت تدرس الكتب المشهورة فى المواد الأساسية التى ذكرناها . وهذا المنهج فى اختصار هو كما يلى :ـ

(١) فى الصرف ـ « الميزان » و « المنشعب » الصرف للمبرد و « الشافية » .

(٢) فى النحو ـ « النحو للمبرد » و « الكافية » وشرح الجامى .

(٣) فى المنطق ـ « إيساغوجى » ، و « الصغرى » و « الكبرى » و « التهذيب » . و « القطب » .

(٤) فى الفلسفة ـ « الميبذى » ، و « صدرا » ، و « سمش البازغة » .

(٥) فى الرياضيات ـ « خلاصة الحساب » والإقليدس .

(٦) فى البلاغة ـ « المختصر المعانى » و « المطول » .

(٧) فى الفقه ـ « شرح الوقاية » و « الهداية » .

(٨) فى الأصول ـ « نور الأنوار » و « التلويح » ، و « مسلم الثبوث » .

(٩) فى الكلام ـ « العقائد النسفية » و « شرح العقائد للجلال » ، والمير الزاهد و « شرح المواقف » .

(١٠) فى التفسير ـ « تفسير الجلالين » و « تفسير البيضاوى » .

(١١) فى الحديث ـ مشكاة المصابيح .

ومن أهم مميزات هذا المنهج أن نظام الدين لم يركز جهوده كلها على الحفظ الأصم لهذه الكتب المقررة ونصوصها بل كان يهدف إلى أن يحصل الطالب على ملكة تتفتح بواسطتها بصيرته على آفاق من العلوم المختلفة ، ويتمكن من البحث والتنقيب بغير أن يقتصر على الكتب المقررة .

وكان هذا النوع من المناهج مفيدا جدا لأهل القرن السادس والسابع عشر الميلاديين .

ولكن مدرسة ديوبند التى أنشئت فى بداية القرن العشرين لأهداف سامية ـ وهى إنشاء طائفة من العلماء الذين يحافظون على التراث العربى الإسلامى القديم ويقودون الأمة الإسلامية ويردون الحملات المسيحية ـ كانت الغاية من إنشائها تتطلب إعادة النظر فى هذا المنهج ونظم التدريس . ولكن هؤلاء العلماء لم يبالوا بهذه الحقيقة .

وقد ازدهرت مدرسة ديوبند بمرور الأيام وبدأت تسمى بالأزهر الآسيوى لكثرة

طلابها وأساتذتها وشهرتها فى الشرق الإسلامى ثم أنشئت مئات من المدارس العربية على منوال مدرسة ديوبند فى شرق الهند وغربها وشمالها وجنوبها . ومن هذه المدارس التى تعتبر كمدارس ثانوية أو كليات لجامعة ديوبند فى أنحاء الهند المدارس الآتى ذكرها بعد :

اسم المدارس	المدينة	الولاية	زمن إنشائها
مدرسة مظاهر العلوم	سهارنبور	يوبى	سنة ١٨٦٦ م أنشأها الشيخ سعادت على .
المدرسة الأمينية	نيودلهى	دلهى	سنة ١٣١٥ هـ أنشأها الشيخ أمين الدين .
مدرسة الإصلاح	سراى مير	يوبى	سنة ١٣٢٧ هـ أنشأها الشيخ أصغر حسين .
جامعة مفتاح العلوم	مئو	يوبى	سنة ١٢٩٦ هـ الشيخ إمام الدين البنجابى
جامعة مظهر العلوم	بنارس	يوبى	بعد سنة ١٩٠٠ .
مدرسة الشاهى	ميراد آباد	يوبى	سنة ١٩٠٠ م .
الجامعة الحسينية	رانديو	بومباى	سنة ١٩١٧ م أنشأها الشيخ محمد اسماعيل .
المدرسة الأشرفية العربية	كجرات	بومباى	الشيخ أحمد على السهارنبورى .
الباقيات الصالحات	ويلور	مدراس	أنشأها الشيخ شاه عبد الوهاب بعد سنة ١٨٥٧ م .
جامعة دار السلام	عمر آباد	»	أنشأها الشيخ محمد عمر سنة ١٩٢٤ م .
المدرسة الجمالية	مدراس	»	أنشأها الحاج جمال الدين راوتر .
الجامعة اللطيفية	ويلور	»	قبل سنة ١٨٥٧ م أنشأها الشيخ عبد اللطيف .
مدرسة معدن العلوم	وانمبارى	»	بعد سنة ١٩٠٠ م .
مدرسة إشاعة الحسنات	بيارم بيت	»	بعد سنة ١٩٠٠ م .
مدرسة منبع الأنوار	لال بيت	»	قبل سنة ١٨٥٧ م .
دار العلوم بهوبال	بهوبال	مدهيابهارت	سنة ١٩٠٠ م .
الجامعة المحمدية	راى درج	آندهرا	بعد سنة ١٩٠٠ م .
المدرسة الإسلامية	كرنول	آندهرا	أنشأها الشيخ سلطان أحمد سنة ١٨٩٦ م .
المدرسة الإسلامية	غاريبور	»	بعد سنة ١٩٠٠ م
كلية حشمة رحمت	»	»	»
دار العلوم سلفية	لهراى سرائى	»	»
المدرسة النظامية	حيدر آباد	»	»
جامعة مدينة العلوم	بلمكل	كيرالا	»

اسم المدارس	المدينة	الولاية	زمن إنشائها
مدرسة سبيل الرشاد :	بنكلور :	ميسور	بعد سنة ١٩٠٠م
المدرسة العربية العالية :	كلكتا :	بنجال	الحكومة الهندية .

هذه صورة موجزة لأشهر المدارس العربية فى الهند . وهناك مئات من المدارس الأخرى فى كل ولاية من الولايات التى تضم أكثر من عشرين مديرية ، ويرسل الطلاب من هذه المدارس إلى مدرسة ديو بند للتخصص فى الحديث أو التفسير أو المنطق أو الفلسفة أو الفقه الحنفى . وقد تركنا مئات من المدارس العربية التى تقوم برسالتها فى أنحاء الهند ولكنها لم تنل أى شهرة . وعلى سبيل المثال نذكر بعض المدارس فى ولاية بهار وحدها التى تشتمل على أكثر من عشرين مديرية ولم نذكرها فى الجدول السابق . وفى مديريه بَتْنه مثلا توجد مدرسة شمس الهدى والمدرسة العزيزية ، والمدرسة الإسلامية كنذرى ، والمدرسة المحمدية والمدرسة القومية ، والمدرسة الحنفية ، ومدرسة منار الإسلام ، والمدرسة الإسلامية بهابورة وفى مديرية « آره » توجد أربع مدارس ، وفى مديرية « جيا » خمس مدارس ، وفى مديرية « مظفربور » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « تسارة » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « جميارن » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « دوبهنكا » ست مدارس ، وفى مديرية « بهاكل ُيور » تسع مدارس ، وفى مديرية « ستال برجنا » ثلاث مدارس ، وفى مديرية « بورنية » عشر مدارس ، وفى مديرية « ناكيور » مدرسة واحدة ، وفى مديرية « أريسة » ست مدارس ، وفى مديرية « ُبوزُولية » مدرسة واحدة ، وفى مدرسة جهانى باسة مدرسة واحدة وكذلك حال الولايات الأخرى ومديرياتها فى أنحاء الهند ولا يمكن لنا أن نستوعب جميع هذه المدارس .

ويدرس فى جميع هذه المدارس نفس المنهج الذى سميناه بالمنهج النظامى ، وبمرور الأيام أنشئت بمدرسة ديو بند شعب وفروع للتخصص ، وقد لعبت مدرسة ديو بند دورا رائعا فى الهند وأنجبت كثيرا من العلماء والزعماء والمصنفين والكتاب .

ولكن هذه المدرسة أو الجامعة لم تهتم بالأدب العربى كما اهتمت بالصرف والنحو واللغة والمنطق ، ولا يدرس هناك فى الأدب العربى إلا المقامات للحريرى ، وديوان المتنبى وديوان الحماسة طوال السنين الجامعية ، ولذلك كان طلاب هذه المدرسة بعيدين عن تذوق الثقافة العربية السليمة ، ولم يظهر منها الأدباء والشعراء فى اللغة العربية كما

ظهروا فى العصور الماضية ، وكان حال هذه المدرسة الكبيرة وشقيقاتها فى شرق الهند وغربها إلى الآن كشأن الأزهر القديم قبل سنة ١٩٠٠ م . والعلوم التى لا تزال تدرس فى هذة المدرسة وشقيقاتها لا تصلح للعصور التى نعيش فيها الآن ، ولا يتمكن الطالب الذى يتخرج من هذه المدارس العربية أن يفهم الإسلام فهما سليما . ولا يستطيع هؤلاء المتخرجون أن يسيروا مع موكب الحضارة كما فشل هؤلاء فى قيادتهم وزعامتهم للأمة الإسلامية فى القرن العشرين .

ولذلك قام مصلح كبير فى نهاية القرن التاسع عشر الميلادى لإصلاح المنهج النظامى الذى لا يزال يدرس فى المدارس العربية ولا سيما فى مدرسة ديوبند ، وهو العلامه محمد شبلى النعمانى ، وهو أيضا تخرج على أيد العلماء القدماء ولكنه اشترك فى الحركة الإصلاحيه مع السيد أحمد خان منشئ الجامعة الإسلاميه بعليكرة فى بداية الأمر .

مدارس الهند والقرن العشرون :

ونحن لا نريد أن نتحدث عن السيد أحمد خان والجامعة الإسلامية بعليكرة . لأن الجامعة لم تكن جامعة عربية بل كانت على طراز الجامعات المعاصرة فى أوربا ، ولم تكن تدرس فيها اللغة العربية والدراسات الإسلامية إلا كمواد إضافية كشأن جامعات العالم . ولذلك استطاع محمد شلبى النعمانى أن يحمل لواء الإصلاح فى الهند . فنقد المنهج النظامى ودعا إلى تغيير هذا المنهج وتقريبه إلى حياتنا المعاصرة . وبدأ ينشر مقالاته النقدية باللغة الأردية من سنة ١٨٩٠ م . وقد أتيحت له الفرصة بعدئذ لكى يسافر إلى مصر ويتصل بالشيخ محمد عبده معاصره فى الحركة الإصلاحية وعلى مبارك باشا منشئ دار العلوم بالقاهرة . وقد انصب نقد شبلى النعمانى على الأهمية الزائدة التى أعطيت للنص ومعانيه وما يتفرع عنه من استنتاجات وقلة العناية بالنواحى الواسعة من الموضوع . وكان مما نبه إليه أن الشيئين المهمين فى الدراسة اللاهوتية هما : أولا تحصيل الفرع الخاص ، وثانيا تعميق الفكر والقدرة على الدرس المستقل كما أوضح أن امتلاك ناحية العربيـــة لم يزل بعد دون المستوى المطلوب وأنه من الواجب مضاعفة الاهتمام بالعلوم القرآنية وعلى الأخص بدراسة الإعجاز . وأشار أخيراً إلى ما لاحظه من أن العلوم التى اتخذها العرب عن الإغريق لا تزال تدرس كما أخذت خلال العصور الوسطى دون أى تقدم .

ولم يكن لهذا النقد جدوى . لأن المدارس العربية فى الهند أثارت خصومات شديدة هذه وكفره علماء مدرسة ديوبند ولكنه استمر فى دعوته ونقده حتى قامت فى الهند منظمة كبيرة باسم « ندوة العلماء » لاصلاح المنهج

النظامى وإنشاء مدرسة عربية جديدة لتحقيق الأهداف التى ينادى بها المفكرون الجدد وقد انضم شبلى إلى هذه المنظمة وأنشئت مدرسة «دار العلوم لندوة العلماء» فى مدينة «لكهناو» سنة ١٣٨٣ هـ لتحقيق هذه الأهداف واختير محمد شبلى مديراً لهذه المدرسة، والشيخ عبد الحى الحسنى صاحب نزهة الخواطر وكيلا لها. وقد وضع محمد شبلى منهجا جديدا لهذه المدرسة الحديثة وألغى المنهج النظامى القديم وأضاف إلى هذا المنهج كثيرا من الكتب الأدبية واللغوية أمثال «نهج البلاغة» وأسرار البلاغة ودلائل الإعجاز والكشفات الزمخشرى، والمفصل الزمخشرى ومغنى اللبيب لابن هشام ومادة الإنشاء والتعبير والعلوم الحديثة الرائجة فى ذاك الوقت فى الجامعات المعاصرة:

وقد نجحت هذه المدرسة نجاحا عظيما فى رسالتها وأنجبت رجالات كبيرة مثل البحاثة والمؤرخ الكبير السيد سليمان الندوى الذى وضع قاموسا عصريا للغة العربية من العربية إلى الأردية.

والأسف أن مدرسة دار العلوم لندوة العلماء قد تناست رسالتها بمرور الأيام، وتتقرب كل يوم إلى مدرسة ديوبند لأن قادة هذه المدرسة لم يبذلوا جهودهم فى السنين التالية لتغيير المنهج القديم الذى وضعه محمد شبلى النعمانى لبداية القرن العشرين وتقريبه إلى حياتنا المعاصرة فى نهاية القرن العشرين

ولذلك نوافق نحن الدكتور فيضى مدير جامعة كشمير فى الهند الذى وجه نقده إلى جميع المدارس العربية فى محاضرته التى ألقاها فى مؤتمر الثقافة الإسلامية بجامعة برنستون فى الولايات المتحدة سنة ١٠٥٣ م. إذ قال: «إن دراسات المستشرقين من الغرب ليست معروفة عند علماء الهند، والذى تسوقه الصدفة منها إلى علمهم يقابل بالعداء الذى يكاد يصل إلى حد التعصب الأعمى وأنه لا اهتمام هناك بالتقدم الحديث فى العلم والفلسفة والتاريخ والدين المقارن ولا تقدير لضرورة معرفة اللغات السامية الأخرى كالسريانية، والعبرية، والآرمية، والحبشية مع أهميتها للبحث النقدى، وأن معرفة اللغات الأوربية الحديثة - الانجليزية، أو الالمانية تعتبر عند هؤلاء علما فارغا

واضح - إذن - أن التربية الدينيه التى كانت فى تلك المدارس تحتاج إلى إصلاح كبير من وجهة نظر القرن العشرين. وليس من المستطاع مقارنتها بالدراسة الجامعية فى اللاهوت، فى أى جامعة حديثة مثل أكسفورد أو روما أو شيكاجو. إذ لا اهتمام فى المدارس العربية فى الهند بدراسة التاريخ الحديث والدين المقارن والمنطق والحديث وعلم النفس والميتافيزيقيا كما يفهمها العصر الحديث.

(البقية فى الجزء القادم)

محمد اسماعيل الندوى

اختلاط الجنسين فى نظر الإسلام

للأستاذ سعد الدين الجيزاوى

لم تغفل التشريعات الإسلامية أمر اختلاط الجنسين باعتبار أن ذلك أمر تقتضيه ظروف الحياة الاجتماعية التى عنى الإسلام بتنظيمها وبنائها على أسس سليمة غفل عنها الناس وأخذوا يتخبطون فيها ويلتمسون لمجتمعاتهم نظما يقتبسونها من الغرب أو من الشرق . فكان هذا العثار الذى لا قومة منه إلا بالأخذ من مناهل النظم التى اختطها الإسلام .

ونود هنا أن نعرض لموضوع اختلاط الجنسين على ضوء التعاليم الإسلامية لنرى كيف عالج الإسلام هذا الموضوع الحساس .

وقد هدانا البحث إلى إن أهم ما عنى به الإسلام حول هذا الموضوع يرجع إلى أصول أربعة :

١ — الأصل الأول : وهو قاعدة عامة نطق بها الرسول الكريم تحدد ما ينبغى أن تكون عليه حال المختلطين حين تضطر الظروف الناس إلى اختلاط ، وذلك الأصل هو قول النبى عليه الصلاة والسلام : « ما اختلى رجل وامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما » . وبديهى أن المراد هنا المرأة الأجنبية عن الرجل ، لا زوجته ولا إحدى محارمه ، وإذن يكون منبع الفساد الناشئ عند الاختلاط إنما هو من الانفراد . . انفراد الرجل والمرأة لا من مجرد اختلاط بين مجموعة من النساء والرجال .

وإذا نحن سألنا أنفسنا عما نشاهده ونراه ونسمعه تأكدت لنا دقة هذه القاعدة وعمق فلسفتها .

ولا يتسع بنا المقام لذكر ما ورد على لسان الشعراء عن (الرقيب) وما يتمناه الشاعر من الخلوة والانفراد بمن أحب كيفما كانت النتائج . . كقول جميل بثينة على سبيل المثال :

وما أنس م الأشياء لا أنس قولها
وقد قربت نضوى : أمصر تريد ؟
ولا قولها : لولا العيون التى ترى
أتيتك . فاعذرنى ، فدتك جدود

ونحن نعلم ما رتبه الفقهاء على الخلوة الصحيحة التى يختلى فيها الرجل بامرأة بحيث لا يدخل عليهما أحد فى مكان الاختلاء إلا بإذن . إذ جعلوا هذه الخلوة كالدخول الحقيقى فيما يتعلق بأحكام العدة والمهر

والنفقة ... فى حين أنهم اعتبروا الخلوة التى يمكن أن يدخل فيها على المختليين شخص آخر فى مكان الاختلاء بدون إذن . . خلوة فاسدة ولم يرتبوا عليها ما رتبوا على سابقتها من أحكام .

ومن هنا نرى أن الاختلاط من حيث هو اجتماع عدد من الجنسين لضرورة غير ممنوع ، وإنما الذى تجب مراعاته والحيلولة دونه هو اختلاط شخصين اثنين ذكر وأنثى فى خلوة وبعد عن أعين الناس . . لأن الغرائز الجنسية حينئذ تنطلق بعيدة عن « قيود المجتمع » أو « أعين الرقباء » كما يقول الشعراء ، وتجد النظرات منافذ إلى القلوب لا تتاح لها فى ملأ من الناس ، والأحاديث تجد حرية لا تجدها على مسمع من الناس فيحدث ما يحدث من مفاسد .

ومن ثم نجد الآباء والأمهات يشددون الرقابة على أولادهم وبناتهم ، ويحولون بقدر الإمكان دون إتاحة الفرصة لاختلاط أبنائهم بالغير فى مثل هذا الاختلاء .

ولنلق نظرة إلى مجتمعنا الحديث : هل اختلاط الفتيان والفتيات فى الجامعات وغيرها من المرافق العامة مدعاة إلى الفساد إذا روعيت حدود الآداب واللياقة ؟ .

لنعد إلى الماضى : فقد كانت هناك نسوة الرسول عليه الصلاة والسلام ونسوة الصحابة الكرام ، يخرجن وراء الجيوش ، ويقمن بإعداد الطعام للمقاتلين . . وكن يضمدن جراح المصابين : من أزواجهن وغير أزواجهن . .

وكان نسوة يذهبن إلى النبى الكريم يسألنه عن أمور دينهن ، وكان رجال يذهبون إلى السيدة عائشة رضى الله عنها بعد انتقال الرسول الكريم يسألونها : « ما كان النبى يصنع فى بيته » ؟ وغير ذلك من أمور الدين . .

وعلى مر العصور كان نساء يتعلمن من رجال ويسرن وراء الجيوش ، وكان رجال يتعلمون من نساء . . ولم نسمع أن هناك فساداً نشأ من مثل هذا الاختلاط . . فماذا حدث إذاً ؟ ؟ .

إنه التبرج والاستهتار بالقيم الإنسانية لا مجرد الاختلاط ، لقد كانت المرأة فى العصور السالفة تحترم أنوثتها وتضن بها أن تبتذل وترخص . ومن ثم كانت لا تضار بالاختلاط .

أما اليوم فإن المفاسد التى تنشأ من الاختلاط الذى تدعو إليه الضرورة لم تنشأ من مجرد الاختلاط وإنما تنشأ من تبذل المرأة والفتاة وإرخاصهما لأنوثتهما ، وإبراز المحاسن التى ينبغى أن تضن بها المرأة العاقلة .

ثم هذه المبالغة فى الزينة بلزوم ومن غير لزوم . إن نساءنا وفتياتنا لو فكرن قليلا

ورجعن إلى عقولهن ، لأدركن قيمة خطئهن ، وما وصلن إليه من إهدار لأنوثتهن بل لآدميتهن .

وأمسك عن تفصيل هذا الابتذال فهو أظهر من أن ينبه عليه قلم ! !

٢ — الأصل الثاني : وهو منع اختلاط الأطفال فى النوم عند بلوغ سن معينة ولو كانوا إخوة وأخوات وذلك الأصل قرره الحديث الشريف : « علموا أولادكم الصلاة لسبع سنين ، واضربوهم عليها لعشر ، وفرقوا بينهم فى المضاجع » .

فالأطفال قبل السابعة أو الثامنة مثلا لا يميزون ، ولا يدركون المسائل الجنسية ولكن متى بدأ شعورهم يتجه إلى هذه الناحية فى العاشرة وما بعدها فهنا تجب اليقظة ، والتفريق بين الذكر والأنثى فى مكان النوم ؛ لأن ذلك أدعى إلى صرف الذهن عن التفكير ، وخير ألف مرة من وعظ الطفل أو زجره فى هذه المرحلة .

إن الأطفال فى هذه السن لا يميزون بين أخوة أو غيرها ، ومن ثم فالحديث الشريف يرشدنا إلى عزل الأطفال الذكور عن الإناث فى أماكن النوم ؛ لأنها أكثر مظنة لتوجيه النظر عند ما تبدأ الغرائز الجنسية فى التفتح .

٣ — والأصل الثالث : هو تخصيص الصفوف الخلفية للنساء فى صلاة الجماعة بالمساجد .

فللمرأة الحق فى أن تنال فضل ثواب الجماعة بالمسجد أسوة بالرجل ، ولها أن تصلى الجمعة ، وهى لا تؤدى إلا فى جماعة بالمساجد ...

فماذا كان موقف التشريع من ذلك ؟ ؟

إن التشريع لم يمنع الاختلاط لأداء الصلاة ، ولكنه نظمه تنظيما دقيقا يتناسب وحالة الصلاة التى تتكرر فى اليوم خمس مرات طوال العمر .

لقد جعلت الصفوف الأولى للرجال ، والتى تليها للصبيان والأخيرة للنساء . أتدرى لماذا لم يترك الاختلاط هنا على إطلاقه كما ستري فى الحج ؟ ذلك لأن الصلاة فى الجماعة تؤدى فى صفوف منتظمة تتلاحق فيها الأكتاف والأيدى بل سائر الأجساد لفترة قد تبلغ خمس عشرة دقيقة فى كل صلاة ، وفى هذا ما فيه من تنبه الغرائز الجنسية عن قصد أو عن غير قصد رغم هيبة المكان والحالة التى يكون عليها المصلون من الخشوع والهيبة ... فلم يكن مناص إذن من منع الاختلاط على هذه الصورة فى المساجد وفى أثناء الصلاة بالذات .

أما الاختلاط من حيث هو فى مجموعة من النساء والرجال بالمسجد ، وائتمام النسوة برجل ، واستماعهن إلى وعظه ، وسؤاله عن

أمور دينهن فليس هناك ما يمنعه ما دامت قد روعيت الشروط الأخرى : فلا تبرج ولا تلاصق بالأجسام ولا خلوة بين اثنين .

٤ — والأصل الرابع : هو إباحة الاختلاط على إطلاقه فى مناسك الحج جميعا : فالرجال والنسوة يشتركون فى الطواف حول الكعبة وفى السعى بين الصفا والمروة ، وعند الوقوف بعرفة وعند رمى الجمرات ... دون تخصيص وقت لكل فريق أو تحديد صفوف للرجال وأخرى للنساء .

ولو تأملنا ذلك لوجدنا فلسفة عميقة وراء إباحة هذا الاختلاط فى أطهر الأماكن وأقدس الأوقات .

إن هذا الاختلاط فى تلك الظروف يعتبر مدرسة تدريب عملى ، وإعداد للنفوس إعدادا روحانيا حتى تواجه الاختلاط الذى يضطر إليه الناس فى ظروف كثيرة بعزيمة .

نعم : هناك فى المطاف وفى المسعى وفى عرفات ، يجد الرجل نفسه إلى جانب المرأة كتفاً لكتف . بل جسما إلى جسم ، ووجها إلى وجه فيتحاشى الالتصاق بها أو مسها ولو كانت زوجته ، وينفر من الاحتكاك بها على أية صورة نفوراً شديدا .

إنه لو خرج عن حدود الآداب قيد أنملة ارتكب جناية بل قد يفسد حجه نهائيا فهو إذن مضطر إلى الصبر ومقاومة النفس عن كل ما يتعلق بالمرأة ولو كانت حلالا .

ثم إن هذه المناسك تجمع النسوة من مختلف الجنسيات ، وقد يكون بينهن الفاتنات بقوامهن أو جمال وجوههن فلا يستطيع أن يفكر فى التأمل وإعطاء العين حقها كما يقولون أو التغزل ولو كان من المستهترين لهيبة الموقف والشعور الذى يستولى على المرء حينذاك بأنه يقف بين يدى أحكم الحاكمين .

إن مدة الإحرام التى يقضيها الحاج يكون فيها منع من أمور كثيرة مما هو مباح ، كالتطيب ولبس المخيط وقص الشعر ليشعر بعد الإباحة بقيمة النعيم ويحس بلذة امتثال الأمر ... وفى هذا ما فيه من تدريب النفوس على الصبر واحتمال المشقات عند الظروف التى تضطر الإنسان إلى الامتناع عن تناول المباح ... فما بالك إذن بتدريب النفس على منعها من المحرمات أو ما يؤدى إلى الحرام ؟؟ .

إن الزحام الذى يحدث فى المجتمعات العامة كالأسواق والسيارات يؤدى حتما إلى احتمال حدوث المفاسد ، فإذا أعدت النفس إعدادا قويا ، وتدربت على تذكر المثل العليا والقيم الروحية التى يعيش فيها الإنسان أثناء مناسك الحج . كان ذلك بمثابة مناعة تحول دون الشر .

وبعد : فهذه عجالة نحو موضوع هام يتصل بحياتنا العامة وما ينبغى أن تكون عليه من مثالية فى ظلال تعاليم الإسلام .

هدانا الله جميعا ووفقنا إلى الصواب .

سعد الدين الجيزاوى

الإسلام دين الوحدة الكبرى

للأستاذ أحمد عبد الجواد الدومى

يتميز الإسلام بأنه دين الوحدة لا الفرقة ، ودين الأمة لا الطبقة . وكانت هذه الميزة من الخصائص الذاتية للدين الإسلامى الحنيف ! ولذلك كان دينا ممتدا بطبعه ، زاحفا بقوانينه وشرعته !! .

ولقد أسس الإسلام هذه الوحدة على أقوى الدعائم وأمتن البنيان . بدأها بالوحدة فى الفرد ، فطلب منه أن يكون متناسق القلب والعقل ، والعاطفة والشعور ، واللسان والجوارح ، فلا يحب الإسلام من المسلم أن يكون العقل شاكا والقلب مؤمنا ، ولا يحب منه أن يكون اللسان مسلما واليد باطشة بظلم ، والبطن آكلا للحرام ، فلسان العاقل من وراء قلبه ، ولا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به ! !

وإذا كان الدم يتوزع فى الجسم كله من مكان واحد حساس ، فقد أعطى القلب هذه السلطة فى توزيع الإيمان على جميع الجوارح لتكون الوحدة فى السلوك متميزة كل التميز : « ألا وإن فى الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

وتوسع الإسلام فى الوحـــدة فجعلها فى الأسرة بين الزوج وزوجه : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » [1] : وكانت الوحدة بين الأب وأبنائه !! « وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » [2]

وإذا كانت الوحـــدة فى الفرد قائمة على الوازع النفسى المؤمن « ثم لم يرتابوا » . فإن الوحدة فى الأسرة قائمة على المودة والرحمة كما أشار القرآن الكريم ، والوحدة فى الأبوة مبنية على الطاعة والرعاية « إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما . واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا » [3] .

وتوسع الإسلام فى الوحدة فجعلها فى أخوة النسب ، وقرابة العصب ، وفى العائلة أو القبيلة

[1] الروم - ٢١ .
[2] الإسراء - ٢٣ .
[3] الإسراء - ٢٣ ، ٢٤ .

أو العشيرة ، فوكد التواصل ، ووزع المغانم والمغارم والديات ، ليكون العبء أخف ، والمصيبة أهون « وبذى القربى » ولذلك كانت الرحم مشتقة من اسم الرحمن ، من وصلها وصله الله ، ومن قطعها قطعه الله . واشترط الإسلام لهذه الوحدة أن تكون المناصرة على الحق لا على الظلم ، لأنه لا يقر العصبية ولا يعترف بها « ليس منا من قاتل على عصبية » . وبذلك تميز الإسلام عن وحدة العائلة ، أو القبيلة ، أو العشيرة فى الجاهلية وفى البيئات غير المتدينة .

ثم جعل الإسلام الوحدة بين الجار والجار « والجار ذى القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب »[(١)]. وقد أفاضت الأخبار فى التواصى على حسن معاملة الجار ، حتى ظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جبريل سيورثه . وليس معنى حسن الجوار مشاركة المجاملة فى كلمات التهانى والعزاء ، كما يفعل المتمدينون فى هذه الأيام ، إنما هى مشاركة تغوص فى أعماق النفس ، وتتبنى مشاكل الحياة .

وانظر إلى الحلقة الكريمة التى أحاط الإسلام بها الجوار عند ما جعلها تشمل الجار القريب والجار الجنب والصاحب بالجنب ، وهل الأمة إلا جار يتلوه جار .

ثم جعل الإسلام الوحدة بين أهل الحى الواحد ، وجعل كل فرد مسئولا فيهم عن أبناء

(١) ــ النساء ــ ٣٦ .

حيه فلا يصح أن يجوع أحدهم أو يعرى ، « أيما أهل عرصة بات امرؤ منهم جائعا فقد برئت منهم ذمة الله » ولقد مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعريين ؛ لأنهم كانوا متعاونين متراحمين متآلفين .

ثم جعل الإسلام الوحدة بين الحاكم والمحكوم ، وأسسها على العدل والرحمة ، والمشورة فى الأمر ، والتساوى فى الحقوق . « وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل »[(١)]

لقد كان الحاكم عند الأكاسرة من سلالة الآلهة ، وكان فى بعض الأمم لا يعارض ولا يدانى ، فجاء الإسلام بشرعة الوحدة بين الحاكم والمحكوم « لاخير فيكم إذا لم تقولوها لنا ، ولا خير فينا إذا لم نتقبلها » .

ثم توسع الإسلام فى الوحدة فجعلها بين أفراد الأمة المسلمة جميعا ، وجعلها قائمة على التعاون الحسن : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان »[(٢)] وعلى التواصى بالصبر والرحمة « وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة »[(٣)] « وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر »[(٤)] .

(١) ــ النساء ــ ٥٨ .

(٢) ــ المائدة ــ ٢ .

(٣) ــ البلد ــ ١٧ .

(٤) ــ العصر ــ ٣ .

وأسس الإسلام هذه الوحدة على التكافل الاجتماعي الصحيح ، فالأمة مسئولة عن الجوعى والعاطلين ، « وفى أموالهم حق للسائل والمحروم »[١] . « من كان عنده فضل ظهر ، فليعد به على من لاظهر له ، ومن كان عنده فضل زاد ، فليعد به على من لا زاد له » وأخذ رسول الله يعدد من أصناف المال حتى ظن الصحابة أنه لا حق لأحد منهم فى الفضل . وقال عمر : « والله ما أحد أحق بمال الدولة من أحد ، وما أنا أحق به من أحد ، والله ما من أحد من الناس إلا وله فى هذا المال نصيب ، فالرجل وبلاؤه ، والرجل وقدمه ، والرجل وحاجته . والله لئن بقيت لهم ليأتين الرجل بجبل صنعاء حظه من المال وهو فى مكانه يرعى » .

وكذلك اشترط الإسلام أن تكون الوحدة فى الأمة قائمة على الحقوق المشروعة ، والعدالة المفروضة ، ومراعاة إخواننا من أهل الذمة ما داموا قد عاشوا بيننا ، ولهم مالنا وعليهم ما علينا : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم . إن الله يحب المقسطين . إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم . ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون »[١] .

ونحب أن نضع هنا بعض البنود من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى رسم فيه سياسة الأمة المسلمة بعد هجرتها إلى المدينة : سياستها مع أفرادها المسلمين ، وسياسة المسلمين مع غيرهم من أبناء الديانات الأخرى . ولقد ورد هذا الكتاب فى سيرة ابن هشام وهذه هى البنود : —

١ — وحدة الأمة المسلمة من غير تفرقة بينها .

٢ — تساوى أبناء الأمة جميعاً فى الحقوق والكرامة .

٣ — إجارة أدناهم على أعلاهم .

٤ — تكاتف الأمة كلها دون الظلم والإثم والعدوان والفساد كائناً من كان الظالم والمفسد .

٥ — اشتراك الأمة فى تقدير العلاقات مع أعدائها ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن .

٦ — تأسيس المجتمع على أحسن النظم وأهداها وأقومها .

٧ — مكافحة الخارجين على الدولة ونظامها العام ووجوب الامتناع عن نصرتهم .

---

(١) ـ الذاريات ـ ١٩ .

(١) الممتحنة ـ ٨ ، ٩ .

٨ — حماية من أراد العيش مع المسلمين مسالما متعاونا والامتناع عن ظلمهم والبغى عليهم .

٩ — لغير المسلمين دينهم وأموالهم لايجبرون على دين المسلمين ، ولا تؤخذ منهم أموالهم .

١٠ — على غير المسلمين فى الدولة الإسلامية أن يتعاونوا معهم لدرء الخطر عن كيان الدولة ضد كل عدوان .

١١ — على غير المسلمين أن يسهموا فى نفقات الدولة كما يسهم المسلمون .

١٢ — وعليهم أن يشتركوا فى نفقات القتال ما داموا محاربين .

١٣ — وعلى الدولة أن تنصر من يظلم منهم كما تنصر كل مسلم يعتدى عليه .

١٤ — وعلى المسلمين وغيرهم أن يمتنعوا عن حماية أعداء الدولة ومن يناصرهم .

١٥ — إذا كانت مصلحة الأمة فى الصلح وجب على جميع أبنائها المسلمين وغير المسلمين أن يقبلوا الصلح .

١٦ — لا يؤاخذ إنسان بذنب غيره ، ولا يجنى جان إلا على نفسه .

١٧ — حرية الانتقال فى داخل الدولة وخارجها مصونة بحماية الدولة .

١٨ — لا حماية لآثم ولا لظالم .

١٩ — المجتمع يقوم على أساس التعاون على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان .

٢٠ — هذه المبادىء تحميها قوتان : قوة معنوية وهى إيمان الشعب بالله ومراقبته له ورعاية الله لمن بر ووفى ، وقوة مادية وهى رئاسة الدولة التى يمثلها النبى صلى الله عليه وسلم [١] .

على هذه المبادئ الكريمة سارت الأمة المسلمة موحدة الصفوف ، عالية البنيان ، شامخة الذرى ، فشادت وسادت وحافظت على الأمجاد وسجلت تاريخا دونه كل تاريخ .

ولقد أكد القرآن الكريم حرص الأمة الإسلامية على وحدتها فقال فى سورة الأنبياء « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون »[٢] . وفى سورة المؤمنون : « وإن هذه أمتكم امة واحدة وأنا ربكم فاتقون » [٣] .

والأمة المسلمة لم تعرف الهزيمة فى صفوفها أو التأخر فى ثقافتها إلا بعد أن فرط الاستعمار عقدها ، وجزأ حدودها ، وأوجد السدود بين دولها وإماراتها ، إن الفرقة غريبة عن طبيعة الإسلام ! .

ولم يقف الإسلام عند الوحدة بين الأمة المسلمة ، بل توسع فجعلها وحدة إنسانية بين الإنسان والإنسان فى كل زمان ومكان ، فالمسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ، والإنسان أخو الإنسان :

---

[١] راجع كتاب اشتراكية الإسلام .
[٢] الآية : ٩٢ .
[٣] الآية : ٥٢ .

ووحد بين الناس لا البعد مبعد
عن الساحة الكبرى ولا القرب مقرب
فليس لدى الإسلام شرق ومشرق
وليس لدى الإسلام غرب ومغرب

وقد أكد القرآن هذه الوحدة الإنسانية فقال : « يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء » [1] .

وقال : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، إن الله عليم خبير » [2] .

وهذه الوحدة الإنسانية تميز بها الإسلام من غيره من الأديان والشرائع ، فلم يكن ديانة شعب معين يسمى نفسه (شعب الله المختار) ولم يكن ديانة قلب يهتم بالوصايا الخلقية فقط ، بل كان دينا وشريعة ودستوراً ومنهاجا يضم إلى حناياه جميع البشر : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً » [3] .

وقد توسع الإسلام بعد هذه الوحدة الإنسانية القائمة على التعاطف والتواصل والتراحم ، فانتقل إلى الوحدة الكونية بين السماء والأرض ، إذ جعل العلاقة بين سكان السماء وسكان الأرض علاقة الود والرحمة ، فالملائكة حفظة لنا ، وحملة العرش يستغفرون للمؤمنين : « الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ، ويستغفرون للذين آمنوا » [1] .

والملائكة يرصدون حسناتنا ويتعاقبون فينا بالليل والنهار ، وتحف أجنحتهم بطلبة العلم وهكذا ، وهذه الوحدة الكونية تميز بها الإسلام عن الحضارات المادية التى تفصل الأرض عن السماء ، وتفصل بين سكان الأرض وسكان السماء حتى إن أرادت الحضارة المادية الاتصال بالفضاء فإنما تتصل به اتصال غزو واستكشاف لا اتصال إيمان ويقين .

وتوسع الإسلام مع هذا كله فجعل القلب المسلم يحمل فى طياته الوحدة بين الدنيا والآخرة ، وجعل العقل المسلم يذكر فى وقت واحد الموت والحياة .

« ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين » [2] : البقرة .

« الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا » . [3] .

---

[١] النساء : ١ .
[٢] الحجرات : ١٣ .
[٣] سبأ : ٢٨ .

[١] غافر : ٧ .
[٢] البقرة : ١٧٧ .
[٣] الملك : ٢ .

وبهذه الوحدة الممتدة من وحدة الفرد المنتهية بالوحدة بين الدنيا والآخرة انفرد الإسلام وتميز من غيره من جميع الأديان والشرائع والمذاهب الأرضية، ولعل اتحاد المسلمين على القبلة فى الصلاة وجعلها شرط صحة لهذه العبادة أكبر دليل على أنه دين التناسق والاجتماع.

ولقد كانت هذه الوحدة الكونية بارزة المعالم واضحة الخطوط فى هذا الدعاء الذى كان يستفتح به رسول الله صلى الله عليه وسلم تهجده عند ما كان يقف بين يدى ربه:

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يتهجد قال: اللهم ربنا لك الحمد أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت الحق، ووعدك الحق ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق: إلخ إلخ.

ثم شد الإسلام الإنسانية كلها فى حبل متين ورباط قويم إلى ماذا؟ إلى الله «فأينما تولوا فثم وجه الله»[1].

«واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»[2]

وبهذا كله كنا نحن المسلمين مأمورين بأن نكون دعاة وحدة، وقواد إصلاح نثور على الفرقة بجميع أنواعها، ونحاربها فى جميع أشكالها وألوانها:

«ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم»[1].

وإذا كان اليهود يتكتلون اليوم على صهيونيتهم، والرأسماليون يتكتلون اليوم على رأسماليتهم والملحدون يتكتلون اليوم على إلحادهم، فنحن معشر العرب يجب أن نتوحد اليوم على إسلامنا وعروبتنا.

ولغة الكفاح وحدها ستفرض نفسها لتزيل الأشواك من الطريق، وتصفى الماء من الكدر وما ذلك على الله بعزيز.

ولا يصح أبدا أن ننساق وراء الحوادث الانفصالية الأخيرة فى الإقليم الشمالى فيدب اليأس فى قلوبنا ونستبعد وقوع الوحدة الشاملة.

إن الحروب الصليبية قبيل عهد صلاح الدين استطاعت أن تمزق الوطن العربى وتصل إلى فلسطين وتبقى فيها عشرات السنين، ولكن صلاح الدين الأيوبى استطاع بتوفيق الله أن يحطم الجيوش الصليبية، ويوحد الوطن العربى من جديد.

أحمد عبد الجواد الدومى

---

[١] البقرة: ١١٥.
[٢] آل عمران: ١٠٣.

[١] آل عمران: ١٠١.

مع قضايانا

إننا عائدون

للأستاذ احمد الشرباصي

— ٢ —

إننا عائدون بإذن الله إلى فلسطين ، لأنها بلدنا ووطننا وحمانا ، نحن العرب ما بين مسلمين ومسيحيين ، ففلسطين تضم المسجد الأقصى ثالث المساجد المقدسة فى الإسلام ، كما تضم كنيسة المهد وهى أقدس الكنائس فى نظر أتباع المسيح عليه السلام ، وفلسطين تضم مسجد عمر كما تضم كنيسة القيامة ، وكنيسة القيامة هى التى أبى عمر الفاروق أن يصلى فيها يوم زارها عقب فتح الإسلام القدس باسم الله عز وجل ، وخرج فصلى صلاته على مقربة منها ، فأقام المسلمون مكان صلاته مسجدا سموه مسجد عمر ، وتكرر بناء المساجد التى يسمى كل منها مسجد عمر فى بلاد فلسطين ، وكأن هذه إشارة دقيقة وعميقة إلى أن هذا الوطن العربى الفلسطينى يصون حرية العبادة لهؤلاء وهؤلاء ، ويضم أشياء مقدسة فى نظر المسلمين ، كما يضم أشياء مقدسة فى نظر المسيحيين ، فيجب أن يتضافر الجميع على تحرير هذا الوطن وصيانته وإعزازه.

بل هناك ما هو مشترك القداسة بين المسلمين والمسيحيين: هناك المكان الذى ولد فيه عيسى ، وأقيم عليه بناء كنيسة المهد ؛ فإن هذا المكان يثير ذكريات جميلة وجليلة فى نفس المسلم ، وإن كان متعلقا بالمسيح ، وإذا ذكر الإنسان المسلم مهد عيسى تذكر آيات كريمة كثيرة فى كتاب ربه عز وجل تتصل بهذا المهد وهذا الميلاد ، كقوله تبارك وتعالى : « واذكر فى الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها مكاناً شرقيا . فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سويا . قالت إنى أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكيا . قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا . قال كذلك قال ربك هو على هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضيا . فحملته فانتبذت به مكانا قصيا . فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت ياليتنى مت قبل هذا وكنت

نسياً منسيا ، فناداها من تحتها ألا تحزنى قد جعل ربُّك تحتك سريا . وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا ، فكلى واشربى وقرى عينا ، فإما ترينَّ من البشر أحدا فقولى إنى نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا . » .

ولقد « زرت بيت لحم » أكثر من مرة ، وهى البلدة التى ولد فيها نبى الرحمة عيسى عليه السلام ، ونزلت فى أعماق كنيسة المهد بها ، ووقفت أمام المكان الذى ولد فيه عيسى .. وقفت ولا تكاد تحملنى قدماى . فقد مادت بى الذكرى . . إذن هنا جاءت مريم العذراء الطاهرة البتول سيدة نساء العالمين ، وهنا انتبذت من أهلها مكانا شرقيا ، ومكانا قصيا . وهنا جاءها رسول ربها ليهب لها غلاما زكيا ، ليجعله آية للناس ورحمة منه وكان أمراً مقضيا ، وهنا حملت مريم ابنة عمران « التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدَّقت بكلماتِ ربها وكتبه وكانت من القانتين » !.

وهنا وضعت طفلها المسيح الذى جعله ربه « وجيها فى الدنيا والآخرةِ ومن المقربين . ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين » !

هنا يقف المسلم خاشعا ويقف المسيحى خاضعا ، وهنا يلتقى المسيحى والمسلم على تكريم ذكرى المسيح وتنزيه البتول العذراء ، وهنا يتذكر المسيحى والمسلم على السواء أن هذه دارهما ، وتلك ذكرياتهما ، فلا يمكن لهما أن يفرطا فى هذا التراث الروحى العظيم ، ولا أن يهملا هذا الحمى الغالى العزيز ، ولا أن يتركاه ليستبد به الأخساء من الأعداء الدخلاء .

وإننا عائدون إلى فلسطين ، لأن فلسطين قد انتزعت من أيدينا بالميلى الخيانة والغدر ، ونحن لا نقبل أن نظل ضحية لهذه الخيانة وهذا الغدر ، وإلا لما كنا عربا ولما كنا مسلمين ففى مطلع الحرب العالمية الأولى ، وفى سنة ١٩١٥ بالذات خدع الإنجليز ـ وهم دهاقنة الاستعمار ـ الشريف الحسين بن على ، ومنوه بتاج يضعونه على رأسه عقب الحرب مباشرة وبأن يكون ملكا للعرب ، بعد أن يوحدوا له الدولة العربية الكبرى ، كما أوهموه يوم ذاك ، وتم التفاهم على هذا بين الملك حسين وبين الجنرال هنرى مكماهون المعتمد البريطانى وذلك فى مقابل أن ينضم العرب إلى انجلترا وحلفائها .

وبينما كان الحسين يهيم فى أودية الانخداع بهذا الوعد المكذوب ، كان الانجليز يعطون وعد بلفور فى الثانى من نوفمبر سنة ١٩١٧ لتكون فلسطين وطنا قوميا لليهود ، وبينما كانوا يمنون على اليهود بذلك كانت معاهدة (سايكس بيكو) قد سبقت هذا الوعد وهى المعاهدة التى عقدت بين انجلترا وفرنسا ،

وتضمنت تمزيق أوصال الدول العربية لتأخذ كل منهما نصيبها .

ثم كان التوطين ، والتهجير ، وبيع الأراضى وتتابع الثورات ، ومكائد الانتداب البريطانى وفظائع اليهود ، وإنهاء الانتداب اللئيم الخبيث الخسيس فى الرابع عشر من مايو سنة ١٩٤٨ بعد التمكين للصهيونية كى ترتكب فظائعها ومآثمها ، ثم كانت مأساة الحرب الفلسطينية ومهزلة الجيوش السبعة التى دخلت على غير اتفاق أو وفاق ، بل دخل بعضها بلا إخلاص من قادته أو أخلاق . وعجب الناس أن تنهزم سبعة جيوش عربية أمام حفنات من أبناء صهيون ، ولكن أحد المفكرين أجاب على هذا العجب بقوله : « لا يجوز أن يقال إن العرب خسروا معركة فلسطين ، مع أنهم كانوا سبع دول ، بل يجب أن يقال إن العرب خسروا معركة فلسطين لأنهم كانوا سبع دول » ! .

وإننا عائدون إلى فلسطين ، لأن ديننا الإسلامى قد علمنا العودة ، وتاريخنا قد علمنا العودة ، وإذا كنا نقرأ فى تاريخنا الإسلامى أن أسلافنا قد هاجروا مرة ومرة ومرة ، فنحن نقرأ كذلك أن هؤلاء الأسلاف قد عادوا من هجرتهم مرة ومرة ومرة ، ولقد أخرج الاحتلال الصهيونى الآلاف المؤلفة من أبناء فلسطين من ديارهم وعقارهم ، وشردهم فى بقاع الأرض ، وسماهم بالمهاجرين ولكن هؤلاء المهاجرين سيعودون كما عاد أسلاف لهم مهاجرون من قبل .

لقد هاجر المسلمون الأوائل إلى الحبشة ، وقال لهم النبى : « إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد ، وهى أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه » ، وخرجوا وكلهم أمل فى العودة ، وبعد شهور بلغتهم أنباء تقول إن قريشا قد عقلت فعدلت فاهتدت إلى سواء السبيل ، فرجع المهاجرون وعاد اللاجئون إلى ديارهم ولكنهم لم يجدوا تصديق الأنباء التى بلغتهم ، بل وجدوا الأذى أمامهم أشد مما كان ، فعادوا إلى الحبشة دون أن ينالهم يأس أو قنوط : « ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون » ؟ !

وكان هؤلاء المهاجرون فى أثناء لجوئهم وهجرتهم أعزة كراما ، لا يذلون ولا يهونون ؛ يقودهم جعفر بن أبى طالب ويدخل على النجاشى ، فيسألهم من بباب النجاشى : من أنتم ؟ فيجيب جعفر : جعفر بن أبى طالب ومعه حزب الله !

ويدخل جعفر فيسلم بتحية السلام والأمان قائلا : السلام على من اتبع الهدى ، فيقال له : ما لك لا تسجد للملك كما تفعل الرعية معه ؟ فيستنكر جعفر ذلك ويقول : نحن لا نسجد لغير الله عز وجل ! .

ويسألهم النجاشي عن تعاليم دينهم فيجيب جعفر دون أن يرائي أو يداهن ويقول فيما يقول : « بعث الله إلينا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه » . ثم يقول بعد أن يعدد تعاليم الإسلام : « فصدقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده لا نشرك به شيئا ، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك ، واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألا نظلم عندك» .

ولما أرسلت قريش وفدها بهداياها إلى النجاشي ، لتحاول إرجاع هؤلاء اللاجئين لتفتنهم عن دينهم ، وتعذبهم في دنياهم ، دافع المهاجرون عن أنفسهم حتى استبان للنجاشي الحق ، ولما قال الوفد للنجاشي: إنهم يخالفون عقيدتك في عيسى ، ذكر جعفر للنجاشي ماجاء في القرآن عن عيسى من تكريم وتمجيد من ناحية ، ومن وصف له بالنبوة مع العبودية من ناحية أخرى . . .

وهكذا لم يبال المهاجرون ولم يداهنوا ، مما جعل النجاشي يقدرهم ويصون حرمتهم ، ويرد الوفد القرشي خائبا ...

ومرحين من الزمن قويت فيه شوكة المسلمين ، فعاد المهاجرون الأولون ليأخذوا حظهم في خدمة الدعوة وإعزاز كلمة الإسلام ، وبقي منهم جعفر بن أبي طالب حتى عاد يوم فتح خيبر وإخراج اليهود البغاة منها ، ففرح به الرسول فرحا شديداً ، وقبله بين عينيه وقال : « ما أدري أنا بقدوم جعفر أسر أم بفتح خيبر » .

وقد هاجر المسلمون هجرة أكبر وأوسع بعد هجرة الحبشة ، هاجروا إلى المدينة ، وهاجر معهم رسولهم ، ويروى أنه نزل عليه في أثناء هجرته قول ربه : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ، قل ربي أعلم من جاء بالهدى ومن هو في ضلال مبين» .

وقد روى الضحاك أن النبي لما خرج من مكة وبلغ « الجحفة » اشتد شوقه إلى مكة فأنزل الله عليه قوله : « إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » وإذا كان هناك من المفسرين من يقول : إن المعاد هو يوم القيامة ، فإن الرازي المفسر يرجح أن المراد بالمعاد « مكة » ، لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه وفارقه وحصل العود ، وذلك لا يليق إلا بمكة ، وإن كان غير هذا التفسير محتملا . . .

وما هي إلا سنوات حتى عاد « المهاجر

الأعظم ، الذى خرج وليس معه فى هجرته إلا صديق واحد ، عاد ومعه جيش قديرى الرائى أوله ثم لا يرى آخره ، أو يرى آخره ثم لا يرى أوله ، لكثرته وامتداده ، وعاد إلى مكة التى آذته وأخرجته وألبت عليه الجوع والأحزاب . ودخلها فاتحا قادرا ، وبسط فيها يد الرحمة والمغفرة والتطهير والتعمير .

فمن كان يظن يومئذ أن هذه الخطوات المهاجرة اللاغبة ستكون هى الخطوات الفاتحة المعمرة ؟ ومن كان يظن أن الذى خرج وليس معه إلا رفيق واحد سيعود ومعه الآلاف والآلاف ؟ ومن كان يظن أن الذى اختبأ فى الغار سيسطع سطوع البدر، ويطوف بالكعبة ويحطم الأصنام قائلا : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا » ؟ ومن كان يظن أن الذى خرج مهاجرا مطاردا من قوم سيعود ليحكم هؤلاء القوم ويسيطر عليهم ، ويقودهم إلى ساحات المجد وميادين الفخار ؟ ومن كان يظن أن المهاجر الذى خرج مرغما مشتاقا كل الشوق إلى وطنه الذى أخرج منه ، حتى يقول لمكة يخاطبها وهو يغادرها : « والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ، وأكرمها على الله ، وإنك لأحب أرض الله إلىّ ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك قهرا ما خرجت » ، سيعود عزيزا كريما ، فلا يبغى ولا يطغى ، بل يمن على من قهروه بالأمس وعذبوه ، ويقول لهم يوم الفتح : ما تظنون أنى فاعل بكم ؟ فأرادوا أن يستثيروا نزعة الخير عند الكريم النبيل فقالوا : خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم . فقال : اذهبوا فأنتم الطلقاء !! .

وهكذا علمنا ديننا كيف تكون الهجرة مفتاحا للعزة والحرية : « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » ، وعلمنا تاريخنا الإسلامى أن الذين هاجروا عقدوا العزم على أن تكون هجرتهم طريقا للعودة ، وعلمنا إمامنا وقائدنا عليه الصلاة والسلام كيف تتصل الهجرة فى تاريخ المسلمين ، ليتخذوا منها منفذا نحو السيادة والقيادة فى عالمى المادة والروح فقال : « لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة . ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها » ، أى عند قرب انتهاء الدنيا وإقبال الآخرة ! .

فإذا كان المشردون من أبناء فلسطين قد هاجروا ولجئوا حتى صاروا يسمون باللاجئين والمهاجرين ، فعما قريب يعودون ، فيسمون بالعائدين المنتصرين : « إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا » ! .

وإننا لعائدون الى فلسطين ، لأننا مؤمنون راجون آملون ، علمنا ديننا ألا نعرف اليأس أو نألف القنوط ، فصار مما نرتله فى كتاب

ربنا ، ونتعبد بتلاوته وطاعته هذه الآيات البينات الساطعات : « إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » ، « لا تقنطوا من رحمة الله » ، « فلا تكن من القانطين » ، « إن رحمة الله قريب من المحسنين » ، « فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا » ، « وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد » .

ومن شعرائنا الذى قال :

إذا اشتملت على اليأس القلوب
وضاق لما به الصدر الرحيب
وأوطنت المكاره واطمأنت
وأرست فى مكامنها الخطوب
ولم تر لانكشاف الضر وجها
ولا أغنى بحيلته اللبيب
أتاك على قنوط منك غوث
يمن به اللطيف المستجيب
فكل النائبات إذا تناهت
فموصول بها الفرج القريب

ومنا الشاعر الذى قال :

وإنى لأرجو الله حتى كأننى
أرى بجميل الظن ما الله صانع

ومنا مصطفى كامل الذى قال : « لا حياة مع يأس ولا يأس مع الحياة » ، فمن واجبنا ألا نعرف اليأس ، وألا ينالنا القنوط ، بل نؤمن بأن فلسطين لن تضيع ، ونؤمن بأننا سنرجع إليها مستردين لها ونحن نهتف : إننا عائدون .

أحمد الشرباصى

من غريب قصص الحلم

قيل للأحنف بن قيس : ممن تعلمت الحلم ؟ قال : من قيس بن عاصم المنقرى ، رأيته قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه ، حتى أتى برجل مكتوف ورجل مقتول : فقيل له : هذا ابن أخيك قتل ابنك ! فوالله ما حلّ حبوته ، ولا قطع كلامه ، ثم التفت إلى ابن أخيه ، فقال له : يابن أخى ، أثمت بربك ، ورميت نفسك بسهمك ، وقتلت ابن عمك . ثم قال لابن له آخر : قم يا بنى فوار أخاك . وحلّ كتاف ابن عمك ، وسق إلى أمك مائة ناقة دية ابنها ! .

دراسات فى علم المعنى

« السيمانتيك »

للدكتور كمال بشر

— ٢ —

علم المعنى اللغوى :

تحدثنا فى المقال السابق[١] عن نقطتين رئيسيتين تتعلقان بالسيمانتيك أو علم المعنى ، وهاتان النقطتان هما :

١ — أهمية هذا العلم فى الدراسات المختلفة بوجه عام .

٢ — الاتجاهات الرئيسية التى اتبعت فى دراسته .

وهذه الاتجاهات أو الدراسات هى ـ بحسب ترتيبها الزمنى ـ دراسات لغوية ، وأخرى فلسفية ، ثم دراسات ذات طابع عام ، تستهدف تعريف عامة الناس بهذا العلم ، وترمى إلى محاولة علاج أدوائهم الاجتماعية عن طريق دراسته والبحث فيه .

والنوع الأول من هذه الدراسات هو الذى يعنينا فى هذا المجال بوجه خاص ؛ فهو الأصل الذى تفرعت عنه الاتجاهات الأخرى ، وهو الأساس الذى نما وامتدت جذوره حتى أصبح علما ذا قواعد ثابتة وأصول محددة . ويتضح من الفكرة التاريخية التى أشرنا إليها فى البحث السابق أن السيمانتيك أو علم المعنى اللغوى يعد أحدث فروع علم اللغة بمعناه الحديث . أما ما قد يدعيه البعض من أن علم الأصوات التنظيمى (Phonology) وعلم الأساليب (stylistics) ينازعانه هذه الحداثة ، فيمكن رفضه أو الرد عليه بأن هذين العلمين الأخيرين ما هما فى الواقع إلا فرعان تابعان ـ بوجه من الوجوه أو بصورة من الصور ـ لدراسات قديمة ثابتة : دراسات تتمثل فى علم الأصوات العام (Phonetics) وعلم التراكيب أو علم النحو بمعناه الصحيح (syntax)[١] . كما أنه من الجائز أيضا الحكم على هذين العلمين بأنهما مجرد طرق فنية حديثة فى هذه الدراسات القديمة ، أو أنهما مجرد مناهج تطبيقية أو تنظيمية للحقائق أو القواعد العامة التى تتوصل إليها هذه الدراسات . أما علم

---

[١] نشر بعدد ربيع الآخر ١٣٨١ هـ .

(١) ويرى البعض ـ وبخاصة ممن ينتمون إلى المدرسة الفرنسية ـ أن stylistics (أى علم الأساليب) ليس فرعا من فروع علم اللغة ، وإنما يعدونه شقيقا له ذا فروع مماثلة ، ولكن مناهج الدراسة فيه مختلفة .

See Ullmann, The Principles of Semantics,p 1.

المعنى فله استقلاله الخاص ، وهو - مع هذا أو فوق هذا - ذو حدود ومجالات معينة ، لا تختلط بحدود أو مجالات غيره من العلوم ، ومن ثم فهو فى نظرنا فرع قائم بذاته من فروع علم اللغة ، وهو بهذا المعنى أيضا يعد أحدث هذه الفروع جميعا .

ومهما يكن من شىء ، فإن دراسة المعنى على مستوى لغوى كانت فى بداية أمرها تتسم بالطابع التاريخى الصرف ، حيث كان الباحثون فى علم المعنى آنذاك يوجهون كل اهتمامهم وعنايتهم إلى البحث فى التغيرات التى تصيب معانى الكلمات على فترات متعاقبة من الزمن ، وحيث كانوا يعنون بتقسيم هذه التغيرات إلى أنواع ومجموعات مختلفة ، كالتوسع فى المعنى والتضييق فيه ، أو تعميمه وتخصيصه ، أو تحويله إلى معنى آخر عن طريق المجاز أو الاستعارة أو نحو ذلك .

ولقد ارتبط هذا المنهج التاريخى فى انجلترا بأسماء مجموعة من اللغويين الذين كانوا يعرفون « بالباحثين فى أصول الكلمات وتاريخها » (the Etynologists) كما كان هذا النوع من الدراسة معروفا ومألوفا فى الدراسات اللغوية قبل ظهور رسالة بريال (Bréal) المسماة Essai de Sémantique والتى كان لها دور الريادة فى كثير من القضايا التى تتعلق بدراسة المعنى . ومن هذه القضايا ابتكار المصطلح la Sémantique الذى انتقل إلى اللغة الانجليزية فيما بعد باسم Semantics والذى أصبح الآن علماً على كل الدراسات والبحوث التى تتعلق بالمعنى ومشكلاته . أما قبل ظهور هذا المصطلح . وفى أثناء القرن التاسع عشر كله تقريبا — فقد كان المتبع عند الدارسين الانجليز هو إطلاق الاسم Semasiology على هذه الدراسات التاريخية للمعنى وما يلحقه من تغيرات .

يتضح من هذا أن دراسة المعنى فى ذلك الوقت كانت فى الواقع دراسة تغير المعنى . والتغير — كما يتصوره أصحاب هذا المنهج — يعنى أن هناك شيئا ذا جوهر ثابت ومظاهر متغيرة ، أو شيئا مستمر الوجود فى صور مختلفة . أو بعبارة أخرى : يستلزم التغير وجود شىء أصلى أو أساسى لا يتغير إلى جانب وجود الصور الفرعية أو الثانوية المتغيرة لهذا الشىء الأصلى أو الأساسى فى الوقت نفسه . هذه الفكرة عن التغير كانت ولا تزال الأساس الذى بنى عليه الدارسون فى تغير المعنى فلسفتهم الخاصة بهذا الموضوع لقد كان هدف هؤلاء الدارسين البحث عن أصول الكلمات ومعانيها الأساسية أو الحقيقية ، ومحاولة ربط هذه المعانى بما اشتق منها أو تفرع عنها من معان أخرى وفى هذا الصدد يقول سكيت (Skeat) أحد الباحثين فى أصول الكلمات وتاريخها : « يمكننا أن نلخص الموضوع كله بقولنا :

إن هدفنا هو تاريخ الكلمات الذى بوساطته يمكننا أن نعطى فكرة صحيحة عن الأصل الحقيقى لهذه الكلمات » . وأصرح من هذا وأوضح فى بيان هذه الفلسفة وهذا الهدف الذى كان يرمى إليه هؤلاء اللغويون ما صرح به ترنش Trench — أحد رواد هذا المنهج التاريخى فى دراسة المعنى — حيث يقول : « إن متابعة القدر المشترك بين المعانى الكثيرة للكلمة ، ومتابعة ما يربط هذه المعانى بعضها ببعض لا يمكن أن تتم إلا بالوصول إلى الأساس ، أى إلى المعنى الأصلى الذى تتفرع عنه المعانى الأخرى ، شأنه فى ذلك شأن البذرة الخصبة المثمرة »(١) . ومضمون هذا الكلام أن الكلمة لها نوع من الأصل الحقيقى ، وأن لها معنى واحدا فى بادئ الأمر ، وأن كل المعانى الأخرى يمكن إرجاعها إليه وربطها به .

ولم تقتصر أعمال هؤلاء الباحثين وأمثالهم على وضع المبادئ والنظريات التى تعالج على ضوئها مشكلات تغير المعنى ، بل تعدوا ذلك إلى مجال التطبيق ، فأوردوا لنا الأمثلة الكثيرة التى يمكن أن يحتذيها كل من عنده الرغبة فى أن يسلك هذا المسلك فى دراسة المعنى من ذلك ما قام به ترنش من تتبع تاريخ الكلمة الانجليزية post ، ومن تتبع معانيها المختلفة فى الاستعمالات والسياقات المتنوعة . وجد ترنش أن هناك علاقة قوية تربط بين هذه المعانى جميعا ، هذه العلاقة تدور حول فكرة « الشىء الموضوع أو الثابت فى مكان ما » . كما وجد أن تاريخ هذه الكلمة يرجع إلى الكلمة اللاتينية positus التى تفيد هذا المعنى نفسه وكذلك فعل جرينو وكتردج (Greenough and kiettredge) ، بالنسبة للكلمة الانجليزية head ، فإنهما بعد أن سجلا عشرة معان مختلفة لهذه الكلمة ، يصرحان بأن « كل معنى من هذه المعانى يمتد امتدادا مباشرا من المعنى المركزى أو الأولى لها »(١) .

وكان من الضرورى أيضا أن يعرض الدارسون لمسألتين أخريين اقتضاهما منطق البحث فى تغير المعنى . المسألة الأولى ـ وقد أشرنا إليها آنفا ـ تتمثل فيما قام به هؤلاء اللغويون من تقسيم التغيرات التى تلحق بالمعنى إلى أنواع أو مجموعات ، كتعميم المعنى أو تخصيصه ، أو نقله إلى معنى آخر وهكذا . وكان الهدف من هذه الخطوة ـ فيما نرى ـ هو إخضاع الأمثلة الفردية الكثيرة لنوع من التنظيم والتنسيق بوضعها ضمن قاعدة أو إطار عام ، يضمن لها سهولة الحصر والمتابعة كما يضمن الحد نسبيا من ذكر التفاصيل والجزئيات .

(1) See J.R. Firth, Papers in Linguistics, 2nd.ed.pp. 815.

(١) انظر فيرث المرجع السابق ص ٩ .

أما المسألة الثانية التي نعنيها هنا فتختص بالبحث عن الأسباب التي تكمن خلف هذه التغيرات وعن الظروف التي دفعت بالمتكلم إلى مجاوزة المعنى الأصلي للكلمة واستغلالها في معنى أو معان أخرى .

ولقد اختلف الباحثون فيما بينهم إزاء الأسباب الحقيقية أو المباشرة للتغير في المعنى فبينما يميل البعض إلى رد التغيرات إلى أسباب منطقية ، نرى فريقا آخر يعزوها إلى أسباب نفسية ، وهناك فريق ثالث يرجع هذه التغيرات إلى أسباب اجتماعية صرفة ، وممن سلك المسلك الأول في هذه القضية دارمستتر الذي لخص الظروف والأسباب المنطقية لتغير المعنى تحت عنوان مألوف في الدراسات اللغوية ، هو « المجاز » بأنواعه .

وقد كان بريال أكثر ميلا إلى التفسير النفساني لتغير المعنى ، ولكنه في الوقت نفسه كان يبدى اهتماما ببعض الأسباب الاجتماعية ، أما الاعتماد على التفسير النفساني الصرف فيظهر واضحا فيما ذهب إليه سبيربار (Sperber) في هذا الشأن .

وقد ركز هذا العالم اهتمامه على مشكلات أو مجالات معينة ، هي مجالات الاستعارة (wetaphors) ، حيث يرى أن التفسير النفساني لتغير المعنى في هذه المجالات واضح بين ، أما مييه (Meillet) فيرى أن تغير المعنى يرجع إلى مجموعة من الأسباب أهمها وأوضحها الأسباب اللغوية والتاريخية والاجتماعية ، وقد تجتمع هذه الأنواع الثلاثة في المثال الواحد وقد تنفرد ، ويتبين لنا من هذا أن مييه يمثل مدرسة قائمة بذاتها في هذا المضمار .

والذي نود أن نؤكده هنا - على كل حال - هو ما تضمنه هذا المنهج التاريخي في دراسة المعنى من مبادئ . هذه المبادئ تتلخص في ثلاث نقاط مهمة ، هي أساس التفرقة بينه وبين المنهج الوصفي الذي سنشير إليه فيما بعد . هذه النقاط الثلاث هي :

١ - دراسة المعنى من الزاوية التاريخية تعني دراسة التغير الذي يصيب هذا المعنى من فترة زمنية إلى أخرى .

٢ - الكلمة الواحدة لها معنى أصلي واحد مستمر الوجود في صور أو معان مختلفة . هذه الصور أو المعاني يرتبط بعضها ببعض بوجه من الوجوه ، ويمكن إرجاعها جميعاً إلى هذا الأصل الأول .

٣ - هذا المنهج يستلزم تشقيق المعنى إلى أجزاء أو عناصر ، أي أنه يقتضي تشقيقه أو تحليله إلى ما يسمى بالمعاني الأصلية أو المركزية أو الأولية من جهة ، وإلى ما يسمى بالمعاني الفرعية أو الهامشية أو الثانوية (أو التطبيقية) من جهة أخرى . وهذه النقطة الأخيرة - كما ترى - تتضمن أن كلمة « المعنى » نفسها تستعمل في أكثر

من معنى أو مدلول ؛ فهى مرة تطلق على المعنى المركزى ، وأخرى على المعنى الهامشى وهذا .

وقد ظلت دراسة المعنى تسير على هـذا النهج التاريخى حتى جاء دى سوسيرى (de Saussure) فى أوائل هـذا القرن وفرق تفريقا فنيا بين نوعين من الدراسة فى البحوث اللغـوية : دراسة دياكرونية (diachronic) أو تاريخية (historical) ، ودراسة سينـكرونية (Synchronic) أو وصفية (descriptive) . وكان من الطبيعى أن يطبق هـذا التقسيم الثنائى على البحوث الخاصة بالمعنى ؛ فظهر فى الحقـل اللغوى ما يعرف بالمنهـج التاريخى أو الديناميـكى (dynamic) والمنهج الوصفى أو الإستاتيكى (static) فى دراسة المعنى . واختص المنهـج الأول بدراسة تغيرات المعنى والعلاقات بين هذه التغيرات من عصر إلى عصر ومن فترة زمنية إلى أخـرى . أما المنهـج الوصفى فوظيفته البحث فى المعنى فى حالة معينة من حالات اللغة وفى فترة زمنية محددة .

وبالرغم من أن دى سوسير قد حـدد مجالات كل منهـج واختصاصاته على حدة ، بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر ، هنـاك حالات كثيرة يجتمع فيها المنهجان ويعتمد فهم كل منهما على فهم الآخر . فالمشترك اللفظى مثلا (أى إذا أخـذ فى حالة وفترة معينة) ظاهرة لغوية ثابتة ، ويقع بحثه حينئذ فى نطاق المنهج الوصفى ولـكن التعارض أو الاختلاف فى المعنى بين أفراده لا يمكن فهمه أو الوقوف عليه إلا إذا تتبعنا تطوره التاريخى الذى أدى إلى هذا التعارض أو الاختلاف .

فكما ابتكر بريال المصطلح la Sémantique لإطلاقه على الدراسات الخـاصة بالمعنى ، أو بعبارة أدق ، لإطلاقه على دراسة تغيرات المعنى ، كان دى سوسير الرائد الأول فى التفريق العلمى بين منهجى البحث فى المعـنى المشار إليهما فيما سبق . ويفهم من كلامه فى هـذا المجال أنه يقصر (Semantics) La Sémantique على المنهـج الدياكرونى أو الدراسة التاريخية الخـاصة ببحث تغـير المعنى ، وهـذا فى الواقع ما فعله كثير من اللغويين القدامى منهم والمحدثين على السواء .

أما النظرة السنـكرونية أو علم المعنى الوصفى فهو فى نظر دى سوسير يمثل جانباً واحداً من جوانب علم عام لم يتطور بعد سماه Semiology (أو علم الرموز) . هذا العلم الأخير وظيفته دراسة استعمال الرموز بوجـه عام ودراسـة وظائفها فى غمار الحياة اليومية . ومن البديهى أن تطبق هذه الدراسة على الـكلمات والجمل ؛ فهى رموز أو مكونة من رموز لغوية .

ويعلق دى سوسير أهميـة بالغة على هـذا العـلم الجديد فى ميادين مختلفة . فلو أخذنا الطقوس والشعائر الدينية والعادات والتقاليد مثلا ، ونظرنا إليهـا على أنها رموز عرفية ،

لاستطعنا أن نلقى ضوءاً على حقائق اجتماعية كثيرة ، ولاتضح لنا فى الوقت نفسه ضرورة ضم هذه « الرموز » إلى بحوث هذا العلم (أى علم السيميو لوجيا) ؛ حيث إن قوانينه — فيما لو وجد وتطور — كفيلة بتفسيرها وتوضيحها . ويرى دى سوسير أن « علم اللغة نفسه ماهو إلاجزء من علم الرموز العام » كما يرى أن علم اللغة لا يستأهل أن يكون علما ، وان تصبح له قيمة للعلوم الأخرى إلا إذا اعترفنا بعلاقته وارتباطه الوثيق بهذا العلم(١).

ويؤخذ من هذا الكلام أن العلاقة بين « علم الرموز » وبين علم اللغة هى علاقة العام بالخاص ، ومن باب أولى تكون العلاقة بين العلم الأول وبين علم المعنى السنكرونى أو الوصفى ؛ حيث إن هذا الأخير ماهو إلا فرع من فروع علم اللغة(١) .

(1) See de Saussure, Cours in General Linguistics, translated into English by W. Baskin, pp. 16—17.

(٢) يفهم من كلام أستاذنا فيرث أن دى سوسير قد جعل المصطلح Semiology (علم الرموز) مرادفا للمصطلح Semantics Synchronic [أى علم المعنى السنكرونى أو الوصفى] . وقد تبع فيرث فى ذلك زميلنا الدكتور تمام حسان . والحق أن دى سوسير لم يجعل أحدهما مرادفا للآخر ، وكلامه واضح فى أن علم المعنى الوصفى (بل علم اللغة نفسه) ليس إلا جانباً من جوانب علم الرموز العام . انظر فيرث : المرجع السابق ص ١٧ ، والدكتور تمام حسان : مناهج البحث فى اللغة ص ٢٥١ ، ودى سوسير : المرجع السابق ص ١٦ — ١٧ .

ومهما يكن من أمر فإن هذا المنهج الجديد الذى ابتكره دى سوسير فى دراسة المعنى (وفى دراسة مشكلات اللغة بوجه عام يعد أخطر حدث ظهر فى الحقل اللغوى فى القرن العشرين ، كما يعد فاتحة البحوث اللغوية الدقيقة المتخصصة . ذلك بأن التفريق بين ما هو تاريخى وبين ما هو وصفى ، أو الفصل بين منهجين متميزين من مناهج الدراسة — قد جنب العلماء كثيراً من التخبط الذى وقع فيه السابقون من اللغويين ؛ إذ كانوا يعقدون قضاياهم ويطمسون حقائقهم بالخلط بين مناهج الدراسة وأساليب البحث فى اللغة .

ولما ظهر هذا المنهج الوجود أخذت تتلقفه العواصم الأوروبية المختلفة ، وعكفت على دراسته حتى استبانت معالمه واتضحت مزاياه ، ومنذ ذلك الوقت ودراسات المعنى (بل والدراسات اللغوية بوجه عام) تسلك مسلكين متميزين : مسلكا تاريخياً وآخر وصفيا ، وأصبح لكل مسلك أو منهج أنصار وأتباع بل ومدارس لغوية مستقلة . ويبدو أن المنهج الوصفى كان أكثر حظا من صاحبه ؛ حيث إنه اليوم أكثر شيوعا بين اللغويين المعاصرين ولعل ذلك راجع إلى سمة العصر الذى نعيش فيه من اهتمام بالحاضر والواقع الملموس .

الدكتور كمال بشر
مدرس علم اللغة العام بكلية دار العلوم

ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع

للأستاذ محمد محيي الدين المسيري

ولد عبد الرحمن بن خلدون فى تونس فى غرة رمضان سنة ٧٣٢ هـ (١٣٣٢ م) وهو سليل أسرة عز ومجد. تقلب أجداده فى قصور الأندلس والمغرب، وتولى كثير منهم مناصب الدولة الرفيعة. أما والده فقد أخلد إلى التحصيل والدرس وبرز فى الفقه وعلوم اللغة، وقد أخذ ابن خلدون عن أبيه حبه للعلم والتحصيل ودرس على أشهر أساتذة تونس، وكانت حلقات العلم فيها مزدهرة، فما بلغ العشرين إلا وقد قرأ القرآن وحفظه ودرس الفقه والحديث وبخاصة الفقه المالكى وهو المذهب السائد فى المغرب والأندلس، وقد دأب ابن خلدون على التحصيل كلما وجد إلى ذلك سبيلا فدرس المنطق والفلسفة وتفوق فيهما

وقبيل بلوغه العشرين نادته الحياة العامة كما نادت أجداده من قبل فنزل إلى ميادينها وخاض غمارها. وكانت نفسه تجيش برغبة تجديد تقاليد أجداده فى إدارة الدولة وتصريف أمورها، وكان والده قد جانب تلك التقاليد وآثر عليها العزلة والاعتكاف للدراسة والبحث العلمى. وقد استطاع ابن خلدون أن يحقق أمنيتين كبيرتين، وهما مجد الرياسة والمجد العلمى. فتابع سيرة أبيه من حيث العلم وجدد سيرة أجداده وبزهم من حيث السياسة، وكان العالم المبتكر النابه والسياسى الحاذق الماهر والمقاتل الصامد المدبر والسفير الحكيم الموفق ورجل الدولة البصير الحازم والكاتب البليغ والشاعر المبدع والقاضى العالم ... والأستاذ الفقيه ...

وقد تولى ابن خلدون بنفسه كتابة تفاصيل حياته فى كتابه: «التعريف والعبر» فأغنانا بذلك عن الغوص عليها والجهد فى اجتلائها.

تميز ابن خلدون فى حياته بكثرة الأسفار ونحن نراه قبل أن يكتب المقدمة ينتقل من تونس إلى فاس إلى غرناطة إلى بجاية إلى الجزائر ... تلك الأسفار أتاحت له فرصة الاختلاط بمختلف الأوساط العلمية، كما زودته بثروة نفيسة من التجارب. وهو فى تنقله بين تلك البلاد قد درس الحضر والبدو وحالة الأسواق والتجارة والصناعة وطرق المعاش مما أفاده اطلاعا وتجربة ستكون لها أثر كبير فى تدوين المقدمة ... فالمقدمة وإن استغرقت

كتابتها خمسة أشهر إلا أنها ثمرة تفكير وتحصيل وفير سابق .

لقد كانت الحضارة بلغت شأوها فى الأندلس والمغرب ، فهناك المكتبات الحافلة بالمؤلفات ، وهناك جامعات منتشرة بين أرجائها ، وهناك تكريم العلماء من قبل أصحاب الدول . إذ كانوا يقربون اليهم العلماء وكان تنافسهم على تقريب العلماء أحد أوجه التنافس السياسى الشديد الدائر بينهم . فالأندلس والمغرب شيع ودويلات . وحول كل قصر حاشية من أهل العلم يسعى صاحب الدولة إلى أن يكسب دولته بهم أبهة وشهرة .

فالوسط العلمى المحيط بابن خلدون كان مشجعا له على المضى فى تحصيله وإنتاجه لولا كثرة الفتن والاضطرابات السياسية ... وأما الأحوال المعيشية فقد شهد ابن خلدون منها البدو على شدة بداوتهم والحضر فى مزيد من تنعمهم فبادية المغرب يسكنها البربر الذين اشتهروا بشظف العيش . والأندلس وحواضر المغرب قد بلغت الحضارة فيها أوجها ... لذلك كانت تنقلات ابن خلدون فى بقاع المغرب والأندلس مكسبة له ثروة لا تقدر من المعلومات عن أحوال الناس المعيشية . فإذا أضفنا تجاربه إلى تحصيله العلمى إلى تشجيع أصحاب الدول على الإنتاج العلمى أدركنا أثر الزمان والمكان فى إنتاج ابن خلدون المبدع ، وخاصة فى مقدمته .

الطابع العلمى فى مؤلف ابن خلدون :

تمتاز النظرة العلمية الحديثة بتحكيم قانون السببية فى الظواهر المراد دراستها وتلك النظرة هى الفاصلة بين العتيق البالى من الدراسات وبين القديم المحافظ على قيمته العلمية . والعبرة فى الدراسات العلمية ليست فى الوصول إلى نتائج لا تخضع للإصلاح أو التقويم وإنما مقياس قيمتها فى الطريقة العلمية المتبعة فيها . أما نتائج الدراسات فلا زالت تخضع للتغيير والتبديل ، والنظريات الجديدة تحل محل النظريات القديمة أو تعدلها أو تكملها .

وقد بدأت تلك النظرة العلمية أول ما بدأت فى مجال الظواهر الآلية والمحسوسة مثل الكيمياء والطبيعة حيث يمكن للباحث تحقيق المسائل العلمية فى سهولة . ثم انتقلت تلك النظرة إلى مجال الظواهر الاجتماعية المجردة وأخذ العلماء يقررون أن بين الظواهر الاجتماعية علاقات تلازم ولزوم ، وأن هنالك قوانين ثابتة تحكمها وقد وضحت هذه النظرة العلمية فى دراسة الاقتصاد فى كتاب آدم سميث (ثروة الأمم) وإليه ينسب فضل تأسيس أول مدرسة علمية فى الاقتصاد .

وفى القرن الرابع عشر أى قبل آدم سميث بأربعة قرون درس العلامة ابن خلدون الظواهر العمرانية دراسة عميقة على أساس علمى متين مقرراً أن الظواهر العمرانية

فى تزاحمها وتواليها تحكمها قوانين . ومن تلك الظواهر العمرانية الظواهر الاقتصادية . وكانت وسيلته فى الدراســة الاستقراء والقياس وإن كان يغلب عليه طابع الملاحظة والاستقراء أكثر من مجرد تتبع الأفكار التجريدية . وهو إلى صواب طريقته وسعة آفاق بحثه وعمق تفكيره يمتاز باتزان فى الحكم واعتدال فى الرأى .

ربما لم يتصل الفكر الاقتصادى لابن خلدون بالمدرسة الاقتصادية الحديثة وقد يكون صوته قد ظل من غير صدى فى الأزمنة الحديثة التى شهدت تقدم علوم الاقتصاد . ولكن هذا لا يقلل من فضله فإن كتابته جديرة بأن تكون نقطة البدء للمدرسة العلمية فى الاقتصاد . فهى ليست مجرد جمع لمعارف منوعة ولكنها مجموعة معارف منظمة ومرتبة ينطبق عليها لفظ العلم فى معناه الدقيق او كما يلاحظ الأستاذ شميدت (١) أنها مما يطلق عليه لفظ (wissenscheft) وليس مجرد لفظ (wissen) ، وأن البحوث الحديثة وإن كانت تستند إلى وسائل بحث أنجع إلا أنها فى شكلها وموضوعها مماثلة لبحوثه (١) مما جعل الأستاذ فلينت يقول : « إن ما ألفه ابن خلدون عظيم الشأن كبير القيمة بحيث يحفظ اسمه وشهرته فى سجل الخالدين بين الأجيال المتعاقبة (٢) » .

لقد اكتملت لابن خلدون سبعة قرون من الحضارة الإسلامية تعاقبت فيها دول وظهرت أحزاب وشيع وتنازعت ممالك وإمبراطوريات وبدو وحضر وأدخلت صناعات جديدة وحاجات جديدة وأترفت مجتمعات . فوجد فى حوادث القرون السبعة مادة للتأمل ووجدت عبقريته فيهــا ، وفى حوادث التاريخ الآخر مجالا للبحث والتدقيق والتحليل والاستنتاج لكشف سير العمران واتجاهاته وأسباب قوة الشعوب وأسباب الانحلال ، من وجهة الاقتصادى

(1) "When Ibn Khaldoun speaks of science (ilm) he does not mean knowledge in the rough but that certain and systematized knowledge which to us is science not wissen but wissenschaft."

N, Schmidt, Ibn Khaldoun, Historian, sociologist and philosopher P. 21.

(1) "The work is of genuine merit. This .is best evidenced by the fact that a similar structure is being built to day ona more solid basis. In its genesis and growth it resembles his . . ."

N. Schmidt, P. 21.

(2) "The work he left is sufficiently great and valuable to preserve his name and fame to latest generations. . ."

R. Plint, Historical Philosophy 1893, P. 157.

ورجل الدولة السياسى والاجتماعى والعالم النفسانى . وأن تقديم المدرسة العلمية فى الاقتصاد أربعة قرون بنسبتها إليه لما له أهميته بالنسبة لتاريخ الحضارة عموما والحضارة الإسلامية خاصة وبالنسبة لعلم تاريخ النظريات الاقتصادية .

مقدمة ابن خلدون والغرض منها :

ومقدمة ابن خلدون هى أشهر كتبه وهى الجزء الأول من كتابه المكون من ثلاثة أجزاء المسمى كتاب العبر فى ديوان المبتدأ والخبر عن العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر وهو محاولة لتحرير تاريخ عالمى مع توجيه عناية خاصة بتاريخ المغرب ...

وقد لاحظ ابن خلدون عند كتابة تاريخه أن المؤرخين كثيراً ما يقتصرون على النقل مع أن الروايات التاريخية يختلط فيها الغث بالثمين والباطل بالصحيح على مر الزمن . فلابد من رد تلك الروايات على معيار يبين وجه الصحة أو الخطأ فيها .

فالتاريخ الجدير بهذا الاسم ليس مجرد تسجيل وقائع تاريخية وأسماء ملوك وسنين مواقع وتعاقب أناس ودول . إنما هو ذلك العلم الذى يخرج للناس صورة حقيقية واضحة لتطور العمران والمجتمع البشرى .

ولكى يحقق مثل هذا العلم المقصود منه يجب أن يستند إلى معرفة طبائع العمران . وعلى المؤرخ أن يستند فى نقده الخبيث من الطيب إلى علم العمران يقيس على قواعده الروايات التاريخية . فما اتفق منها والسير الطبيعى للعمران أخذه بعين الاعتبار . وما كان غير ذلك أسقطه وزيفه .

تلك هى مهمة المؤرخ أصلا . فالمؤرخ ليس فقط ناقلا عليه إثبات صحة النقل إنما هو ناقل وناقد يتحرى صحة النقل واحتمال صحة المنقول ويحاول أن يستخلص من الجزئيات كلا متماسكا يمثل سير العمران على مر السنين.

ومهمة المؤرخ هذه كما صورها ابن خلدون تفترض وجود قواعد للعمران مقررة ومسلم بها ، يستعين بها المؤرخ . وقد أحس ابن خلدون بالنقص الحاصل لزمنه فى هذا الباب فأخذ على عاتقه تقريرها . ومحاولته هذه استغرقت الجزء الأول من كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر وهو الجزء المعروف بمقدمة ابن خلدون .

يقول ابن خلدون موضحا غرضه هذا « وأما الإخبار عن الواقعات فلا بد فى صدقها وصحتها من اعتبار المطابقة فلذلك وجب أن ينظر فى إمكان وقوعه وصار فيها ذلك اهم من التعديل ومقدما عليه إذ فائدة الإنشاء مقتبسة منه فقط وفائدة الخبر منه ومن الخارج بالمطابقة ، وإذا كان ذلك فالقانون فى تمييز

الحق من الباطل فى الإخبار بالإمكان واستحالة أن ننظر فى الاجتماع البشرى الذى هو العمران وغير ما يلحقه من الأحوال لذاته وبمقتضى طبعه وما يكون عارضا لا يعتد به وما لا يمكن أن يعرض له - وإذا فعلنا ذلك كان ذلك لنا قانونا فى تمييز الحق من الباطل فى الإخبار والصدق من الكذب بوجه برهانى لا مدخل للشك فيه . وحينئذ فإذا سمعنا عن شىء من الأحوال الواقعة فى العمران علمنا ما نحكم بقبوله مما نحكم بتزييفه وكان ذلك لنا معياراً صحيحا يتحرى به المؤرخون طريق الصدق والصواب فيما ينقلونه وهذا هو غرض هذا الكتاب الأول من تأليفنا وكأن هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الإنسانى وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى ، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقلياً (١) » .

فالغرض من المقدمة إذا ايجاد مقاييس أو قواعد علم العمران تعرض عليها الروايات التاريخية (٢) . وعلى ذلك يكون موضوع المقدمة هو ما نسميه علم الاجتماع . ويكون ابن خلدون بذلك مكتشف علم الاجتماع أو العلوم الاجتماعية .

لم يقتصر ابن خلدون على وضع أسس علم الاجتماع بل اكتشف فوق ذلك علم التاريخ . ذلك أنه رأى بين الظواهر التاريخية علاقات تلازم وتباين واستنتج أنه لا بد من وجود قواعد وقوانين ثابتة تنظم تلك الظواهر فسعى لاستخلاصها وكانت محاولته هذه الحجر الأول فى بناء علم التاريخ .

ولو أنه سجل جزئيات من هذا العلم لكفاه ذلك فخرا . لكنه أراد أن يسلك تلك الجزئيات فى عقد منتظم فوصل إلى فكرة كلية شاملة فى تفسير التاريخ . وتدل كتابته على أن التاريخ يخضع إلى حد كبير لعوامل اقتصادية فيكون ابن خلدون المؤسس الأول لمدرسة تفسير التاريخ تفسيرا اقتصاديا .

وعلى ذلك تكون مقدمة ابن خلدون دائرة معارف فى علوم الاجتماع وفى علم التاريخ وفى تفسير التاريخ . وإن كان الغرض الأول منها مجرد إيجاد قواعد لضبط الروايات التاريخية .

أثر المقدمة فى تاريخ ابن خلدون :

أفاض ابن خلدون فى شرح آرائه العلمية عن سير العمران فى كتاب المقدمة وقصد بحشد آرائه فيها إلى إظهار ما لعلم العمران من طابع مستقل فهو يقول : « وكأن هذا علم مستقل بنفسه فإنه ذو موضوع وهو

(١) مقدمة ابن خلدون - المقدمة الأولى من الكتاب الاول ص ٣٦ .

(٢) يقول ابن خلدون : لا بد من رد الاخبار إلى الأصول وعرضها على القواعد المقدمة ص ٩ .

العمران البشرى والاجتماع الإنسانى وذو مسائل وهى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال لذاته واحدة بعد أخرى (١) » .

لذلك تناول فى الفصول التاريخية غرضا آخر فاقتصر على سرد كبريات حوادث التاريخ فى ترتيب محكم وتبويب دقيق وعالج تلك الحوادث لا على طريقة التأريخ (annaliste) أى حسب جداول السنين ، وإنما قسم تاريخه كتبا وقسم الكتب أبوابا وفصولا ، وضرب صفحا عن جداول السنين ، واتخذ الدولة المتصلة وحدة لمباحثه ، وإن كان قد سبقه إلى هذه الطريقة بعض المؤرخين المسلمين مثل المسعودى وابن عبد الحكم المصرى .

وقد رمى بعض المؤرخين ابن خلدون بالقصور فى بعض نواحى تاريخه ، على أنه هو نفسه يبادر بالاعتذار فيقول : « وأنا ذاكر فى كتابى هذا ما أمكننى منه فى هذا القطر المغربى إما صريحا أو مندرجا فى أخباره وتلويحا ، لاختصاص قصدى فى التأليف بالمغرب وأحوال أجياله وأممه . وذكر ممالكه ودوله دون ما سواه من الأقطار لعدم اطلاعى على أحوال المشرق وأممه وأن الأخبار المتناقلة لا توفى كنه ما أريده منه (٢) » . فالقصد الأول هو ذكر تاريخ بلاد المغرب وتسجيل غير المدون من حوادثها . وتناول بالإضافة حوادث المشرق فكان من المتوقع أن يكون فى كتابه بعض القصور فيما يخص أخبار المشرق .

وفى الكتاب فصول كثيرة قيمة تعتبر من المراجع التاريخية النفيسة ، خاصة ما تعلق منها بدول البربر ودولة العرب فى صقلية وتاريخ الدول المسيحية المعاصرة .

يقول دوزى عن تاريخ ابن خلدون : « إن مؤرخا نصرانيا لم يوفق إلى كتابة تاريخ أية دولة إسلامية بمثل الدقة والوضوح اللذين امتازت بهما كتابة ابن خلدون عن دولة النصارى فى أسبانيا » .

ويقول شميدت : « لو أن ابن خلدون لم يترك سوى كتابه فى التاريخ لظل هذا رمزا قائما للبحث العميق والعلم الغزير والحكم الدقيق » .

وتناول ابن خلدون تاريخه ، فى مصر ، ببعض الإضافة . وفى هذه الإضافات يظهر طابع ابن خلدون كناقد اجتماعى مثال ذلك الفصول الخاصة بدولة السلطان برقوق ، إذ تراه يطبق نظريته فى العصبية وطغيان الحضارة عليها واندثار الدولة بتأثير الترف وانتقال الملك إلى من كانوا أكثر بداوة وبثهم روحا جديدة فى الدولة ، وكذلك نراه يطبق نظريته هذه بالنسبة لدولة المماليك المصرية .

(البقية فى العدد القادم)

محمد محيى الدين المسيرى

(١) ابن خلدون المقدمة ص ٣٦ .

(٢) ابن خلدون المقدمة ص ٣٢ .

مقومات التطور فى الاسلام

للأستاذ عباس طه

تطور الجماعات فى الناحيتين الأدبيـــة والاجتماعية من الأمور التى يجب أن تعنى بها الشرائع لأنها من أمس الأمور بحياة الأمم فالجماعات التى تعيش على حالة واحدة . تقف حيث هى ، ويسبقها من كان دونها من الجماعات .

وقد جنت شرائع كثيرة على أهلها من هذه الناحية جنايات تعتبر غاية فى العنت والشذوذ فمن ذلك أن المسيطرين على أوربا بعد القرن الرابع الميلادى ألفوا أهلها فى حالة جمود أكثر من عشرة قرون ، فلم ينجح منهم عالم واحد فى علم من العلوم ، وانحط ما كان لديهم من آثار اليونانيين والرومانيين من المعارف والفنون حتى بعث الله المسلمين فاستخرجوا تلك الكنوز المدفونة وأرسلوها نورا ساطعا غمروا به الناس ، وبما زادوا عليه من نورهم قرونا كثيرة ، حتى استأهلوا أن يلقبوا ببناة المدنية الحديثة ، وما أوتيت الأديان من مأمنها ودب إليها الوهن إلا من ناحية إغفال قادتها هذه الناحية فى تعاليمهم : ناحية التطور فى كل مجال من مجالات النشاط العلمى والعملى والذى حدا بأولئك القادة إلى سد طريق التطور فى وجوه أتباعهم ، أنهم تخيلوا أن التطور يخرج بهم عن الأصول القديمة ، ويفضى إلى ضياع ما ائتمنوا على حفظه وغفلوا عن أن التطور الحق إذا عدا على شىء فإنما يعدو على الباطل ، أما الحق فيزيده جلاء ولألاء .

أما شريعة الإسلام فلا أقول : إنها قد احتاطت لهذه الناحية فحسب ، ولكنى أقول: إنها فرضت التطور على أهلها فرضا ودفعتهم إليه دفعا ، لأنها شريعة عهد الرشد للأمم ، وقد علم الله أن الأمم فى هذا العهد تطفر فى الترقى طفرا ، وتقطع المراحل إليه قفزا ، فهى بحاجة إلى شريعة لا تناسب حالتها الراهنة فحسب بل تهيء لها وسائل التقدم ، وتعبد لها طرقه ، وتمدها فيه بقوة معنوية فوق قواها الطبيعية .

قلنا : إن الإسلام قد فرض التطور على أهله فرضا ودفعهم إليه دفعا ، وإلا فكيف

نفسر انتقال المسلمين بعد أخذهم بهذا الدين من عداد الأمم الجاهلية المسودة، إلى مصاف الأمم العالمة السائدة، أستغفر الله بل إلى صف فوق الصفوف صارت فيه وحدها حافظة العلم والحضارة والفنون دون سائر الأمم. وقد اعترفت الأمم كافة لها بالزعامة قرونا طويلة كانت فيه تؤم عواصمها تأخذ عنها العلم والحكمة، وأسرار الصنائع والفنون، أليس هذا لأن الإسلام يفرض على متبعيه التطور فرضا، ولا يكتفي بأن يسمح لها به؟.

هل وضع الإسلام حدا للتطور:

لا: إن الدين الذي يقول لمتبعيه: «ويخلق مالا تعلمون» يفتح أمامهم باحة اللانهائية فلا يدع في أنفسهم حاجة إلى السؤال عن الحدود والغايات، لذلك كان المسلمون الأولون مندفعين وراء العلم اندفاعهم وراء الحياة، ولا عجب فإن الدين الذي يصرح بأن عقل آيات الله وإدراك أسرارها من حظ أهل العلم دون سواهم فيقول: «وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون» يجب أن يوصف بأنه دين العلم غير منازع.

هل وضع الإسلام لشهوات العقول حدا، وهل أوصد في وجه مستفيد مجالا؟.

اللهم لا. ولكنه أباح للعقول أن تجول في كل مجال، وأن تجوس خلال كل مجهول تظن أن وراءه فائدة مادية أو معنوية، وقد ندب الإسلام المسلمين إلى تعلم اللغات الأجنبية وحضهم على تعلم كل علم.

هذا تسامح عظيم بل مراعاة قيمة للطبيعة البشرية، فإن الإنسان مدفوع بطبعه لأن يرد كل مجهول ويتحسس من كل محجوب ويرمى بنفسه إلى كل مرمى ولو كان وراءه حتفه فإن الدين الفطرى الماشي لطبائع النفوس لا يسمح أن يوصد على العقول باحة، ولا أن يضع لمرماها حدا، ومما هو خليق بالإشادة به أن المسلمين اشتغلوا كثيرا بكمياء الذهب ووصلوا منها إلى نتائج عملية فقد صرح بعضهم بأنه نجح فيما تصدى له منها، وليس لنا أن نكذبهم كما كنا نفعل قبل سنين معدودة، إذ أعلن علماء من الكميائيين في أوربا بأنهم قد توصلوا إلى استخراج الذهب ولكن يمنعهم من صنع مقادير كبيرة منه أنه يتكلف قدر ما يصنع منه.

قال بعض المؤرخين الاجتماعيين: إن العرب وصلوا من بعض الفنون والصنائع إلى شأو لم يبلغه الأوربيون بعد. قال العلامه الدكتور (جوستاف لوبون) في كتابه (تمدن العرب): (العرب مع ولوعهم بالبحوث النظرية لم يهملوا تطبيقها على الصنائع والفنون فقد أكسبت علومهم لصنائعهم جودة عظيمة جداً، وإننا وإن كنا لم نزل نجهل أكثر الطرائق التي سلكوها لذلك فإننا نعرف نتائجها

(البقية على صفحة ٦٣١)

ما يقال عن الإسلام

أطلس العالم العربي والشرق الأوسط

للأستاذ عباس محمود العقاد

ظهر فى العهد الأخير أطلس العالم العربى والشرق الأوسط باللغة الانجليزية ، وفيه نحو أربعين خريطة جغرافية للبلاد العربية وبلاد الشرق الأوسط على العموم ، مع بيان مرسوم لمواطن المسلمين فى قارتى آسيا وإفريقية وبعض المواقع الأخرى من العالم المصطلح على تسميته بالعالم القديم .

واختتم الأطلس ببحث مطول عن تاريخ العرب والإسلام كتبه الأستاذ بكنجهام Beckingham أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة منشستر ، وقال فى فذلكته ما خلاصته .

« ويمكن أن يقال عن يقين : إن هناك عوامل ثلاثة هامة كلها جديد بحيث يصح عقلا أن نترقب منها بداءة صفحة أخرى من صفحات التاريخ العربى ، وهذه العوامل الثلاثة هى الوطنية وحركة التصنيع والحركة « العلمانية » أو حركة الانطلاق من الصبغة الدينية » .

« ففى القرن التاسع عشر أخذت الوطنية من الطراز الأوربى تعمل عملها بين أبناء البلاد العربية الذين تلقوا شيئا من التعليم على المنهج الأوربى ، وكان الكثيرون منهم ضباطا عسكريين ، وبدأت الحركة على أقواها فى سورية ومصر ، ... وقد أعقب سقوط الدولة العثمانية قيام عدد من الحكومات العربية يحد استقلالها حدا شديدا نظام الوصاية من قبل بريطانيا العظمى وفرنسا ويحول دون اتحادها الوطنى تنازع البيوت المالكة ومنافساتها ، ولم تتقرر روابط ء و ن بين هذه الحكومات حتى فى مواجهة الصهيونية ، ولا كان زوال البيوت المالكة قاضيا على منازعاتها ومنافساتها ، ولكن لا خلاف فى استطاعة الدعوات الوطنية أن تثير الشعور فى البلاد وبخاصة بين أبناء الجيل الجديد الذين يكاد هذا الشعور أن يكون بينهم أقوى من الشعور بالإسلام . »

« أما حركة التصنيع فقد كانت ضربة لازب بعد الاحتكاك بالغرب وبعد أن تحولت مواطن آبار النفط من بلاد فقيرة إلى بلاد من أغنى جهات العالم المعمور . وقد أصبح الناس فى الجزيرة العربية حيث بقيت أحوال المعيشة على ما كانت عليه قبل الإسلام — جمهرة من (البرولتارية) الحديثة أى جمهرة الصناع الفقراء فى مراكز التصنيع . وقد اشتركت كل من حركة الوطنية وحركة التصنيع معا فى التمهيد لظهور الروح « العلمانية » التى أضعفت العقيدة الإسلامية ضعفا لم تصب بمثله فى جميع أدوارها التاريخية ، ولو أن الوطنية العربية على الإجمال تجنح إلى موالاة الإسلام أكثر من جنوحها إلى أية عقيدة أخرى ، ومن المألوف الشائع أن ترى أناسا من العرب يدافعون عن ديانتهم مدافعة الغيرة والحماسة مع إهمالهم لأداء فرائضها والقيام بشعائرها ، وهى ظاهرة لا نراها مقصورة على الإسلام » .

« وإن طائفة من الأفكار القوية ذات الأثر الفعال فى العالم العربى لهى اليوم وليدة الحضارة الأوربية ، فإن فكرة الدولة الوطنية ذات السيادة كانت هى المثل الأعلى الذى توخاه الزعماء الوطنيون عند ثورتهم على السيطرة الأوربية وقد أفلحوا فى تحقيق استقلالهم السياسى باتباع الأساليب الإدارية وأساليب التنظيم والدعاية ، ومناورات السياسة الحديثة ، وهم يعتقدون أنهم إنما يحققون الاستقلال الاقتصادى باتباع الأساليب الفنية والصناعية الحديثة وأن محاولتهم أن ينهضوا بذلك كله دون مساس بتقاليدهم العربية والإسلامية لجديرة أن تكسبهم احترام الأمم الأخرى كما يكسبهم عطفها ... » .

* * *

ونرى كما يرى القارئ — فيما نحسب — أن صاحب هذه الدراسة يتحرى البحث العلمى فى ملاحظاته على تاريخ العرب والإسلام فى العصر الحديث ، وأن الخطأ إنما عرض له من جانب مذهب التفكير ولم يعرض له من جانب سوء النية .

فهو على عادة الكثيرين من المؤرخين المتأخرين يخلط عند الكلام على حركات التاريخ العربى بين الوطنية والقومية ، وهما على اقتراب الشبه بينهما مختلفتان بالنشأة والطبيعة ، وقد يقال فى التفرقة بينهما على وجه السرعة إن الوطنية أقرب إلى السياسة والاجتماع وإن القومية أقرب إلى العنصر والسلالة ، وأن الوطنية بمعناها فى مصطلح العلوم السياسية ظاهرة متأخرة نشأت فى الغرب بعد انحلال الدولة المقدسة وانفصال الحكومات عن سلطان الكنيسة ، مع ضعف النبلاء أصحاب الإقطاع وتقرير الحقوق

للشعوب بجميع طبقاتها ... أما القومية فهى بين العرب على الخصوص سابقة لتكوين الشعوب على الوضع الحديث ، ومنها القومية التى جمعت قبائل العرب فى وقعة ذى قار لمحاربة فارس ، ومنها كذلك قومية القبائل التى ساعدت بنى قومها العرب المسلمين عند فتح فلسطين وفتح مصر ، إذ كان عمرو ابن العاص ينتقل بجيشه من حدود فلسطين إلى المنزلة إلى الفيوم ولا يهتم بحماية ظهره من جنود الروم ، اعتماداً على معونة القبائل العربية فى تلك الأقاليم .

ولا يزال اسم الأمة باللغة العربية دليلا على صحة فهم هذه الكلمة ورجحانها بالاصطلاح العلمى على الكلمة الأوربية التى تجعل الوطنية علاقة اشتراك فى أرض المولد ، فإن الأمة بلغة الضاد تجعل الوطنية مرهونة بوحدة الوجهة والأمانة ، ولا تعلقها بموطنى الميلاد كما تتعلق به عند الأوربيين فى اصطلاحها الحديث .

وعلى هذا الاعتبار يخطىء المؤرخ الذى يتوهم أن الشعور القومى بين العرب طارىء جديد يخشى منه على قوة العقيدة الدينية ، فإنه كان على أقوى ما يكون فى صدر الإسلام بعد فتوح الإسلام الأولى ، ومن أجل هذا قيل أن الشعوبية بين شعوب الإسلام غير العربية كانت بمثابة رد الفعل لقيام الدولة أولا على العنصر العربى دون غيره من عناصر الدولة المتعددة .

* * *

والوهم فى مسألة « العلمانية » أظهر من هذا الوهم فى مسألة الشعور الوطنى أو الشعور القومى ، إذا كان المقصود بالعلمانية ما يقابل عندهم « الطقوس الكهنوتية » أو مراسم السلطة التى يفرضها رجال الدين على الدولة .

فالإسلام لم يعرف قط شيئاً من قبيل الطقوس الكهنوتية منذ قيام النبى عليه السلام بالأمر وقيام خلفائه به من بعده . ولم يرفض خلفاء بنى العباس إدارة الميزانية فى دولتهم على حساب السنة النيروزية ، بل لم يرفضوا الاحتفال بالنيروز فى موسمه المألوف عند الأقدمين ، ولم يتبع أحد من الخلفاء أو الأمراء المسلمين طقوسا كهنوتية فى شئون الولاية أو فى شئون المعيشة العامة ، بل كانت أزياؤهم وتقاليدهم على سنة الأمم فى عهودهم فارسية وتركية ومتشبهة بالفرس والترك فى أزيائها وتقاليدها ، وقد كان خلفاء الأندلس قدوة للأوربيين فى المعيشة « العلمانية » ، ومنهم تعلم هؤلاء الاستقلال عن طقوس الكهنوت وشعائر السلطة المفروضة من جانب رجل الدين ، وليست الكسوة ذات « الجكتة والبنطلون » أول كسوة غربية قبلها المسلمون بعد اتصالهم بشعوب العالم من المشرق إلى

المغرب ، وليس فى العصر الحاضر « علمانية » لم تسبق لها مثيلات كثيرة منذ قيام الدعوة المحمدية دون أن تصيب العقيدة بالضعف أو تمس الولاء للدين فى قلوب أبنائه ، ولعل الصليبيين فى أشد أيام العصبية الدينية بين المعسكرين قد تعلموا من « علمانية » المسلمين أضعاف ما تعلمه المسلمون من علمانية الغرب فى زمانهم ، ولم يحدث قط أن الإسلام كان يوماً ما أشد إحساسا بوجوده مما كان أيام الحروب الصليبية ، ولا نستثنى من ذلك جماعة المسلمين الذين خضعوا لدولة بيت المقدس نحو قرن من الزمان ، ولم يطمع فى إسلامهم أحد من حكامهم العلمانيين ولا الكهنوتيين .

* * *

ولا شك أن الأستاذ بكنجهام كان يكتب كلامه عن التصنيع وفى ذهنه منشور ماركس وأنجلز إلى طبقة العمال بين جميع الطبقات ، وهو ذلك المنشور الذى جعل عهد « التصنيع » فى النهاية ختاما لعهود الوطنية والدين ، وخيل إلى كاتبه أن طبقة العمال التى سموها بالبرولتارية مارقة جميعا من الدين ومن كل إيمان بالله والرسل بعد شيوع التصنيع فى أمم الحضارة الأوربية .

ولكن هذه النبوءة المادية لم تصدق بين عمال الغرب نفسه إلا بمقدار محدود كان من الجائز أن ينحرف عن الدين فى قطر من الأقطار لم يسمع بالصناعة العصرية ولم يخضع قط لنظام التصنيع الحديث ، فإن المتدينين من عمال البلاد الأوربية والأمريكية يزيدون كثيرا على المنحرفين منهم عن الدين ، وعدد الكتب الدينية التى تنتشر بينهم يزيد على أضعاف أمثالها قبل عهد التصنيع ، وليس عند المؤرخين الاقتصاديين حجة على أن العقائد « الصورية » ظاهرة خاصة بزماننا هذا دون الأزمنة الخالية ، فلا تزال أوصاف المجتمع الأوربى فى القصص قبل مائتى سنة تمثل لنا « التدين » فى تلك الأيام على مثال من « العادات الصورية » لا تختلف عنه عادات العصر كثيراً بين جماعات المتدينين المحسوبين فى زمرة المتحللين من فرائض التدين الصحيح .

ويعلم الأستاذ بكنجهام — ولا ريب — أن الحركة النقابية فى بلادنا الشرقية لم تكن وليدة التصنيع الحديث ، لأن نقابات الصناع وأصحاب الحرف شاعت فى القاهرة على عهد الفاطميين شيوعها اليوم فى لندن وباريس وواشنطون ، وكانت هذه النقابات قوام المواكب الدينية التى تخلفت بقاياها إلى العصر الحاضر ، فلم ينقطع ما بينها وبين المعالم الدينية لارتباطها بتقاليد الحرفة واقترانها عن الطوائف الأخرى من اتباع رجال الطرق وروّاد المساجد والأضرحة ، بل كان هؤلاء

جميعا « موكبا » واحداً فى كل احتفال عام ، يتسم بسمات العبادة أو يقوم على ذكرى من الذكريات الدينية .

* * *

إن العوامل الثلاثة التى أحصاها الأستاذ بكنجهام لها خطرها الذى لا يجهل ولا يهمل ولكنها على جدة أشكالها وأسمائها ليست بالعوارض الجديدة كل الجدة فى تاريخ الإسلام فقد سبقت لها فى هذا التاريخ مثيلات كثيرات ترددت عليه حقبة بعد حقبة ، وتركت آثارها حينا أو ذهبت بغير أثر يذكر ، وسيمر الإسلام بعوامل اليوم كما مر بمثيلاتها قبل اليوم بسلام .

عباس محمود العقاد

(بقية المنشور على صفحة ٦٢٦)

وآثارها . فنعرف مثلا أنهم احتفروا المناجم واستخرجوا منها الكبريت والنحاس والزئبق والحديد والذهب ، وأنهم برعوا جداً فى الصباغة . ومهروا فى سقى الفولاذ مهارة بعيدة المدى ، وأنهم فى كثير من فنون الصنائع . قد برعوا براعة لم يلحق لهم فيها شأو » .

نقول : — إذا كانت أوربا على ما وصلت إليه من الإبداع الفنى والصناعى تشهد على لسان أكابر ممثلى العلم والفنون فيها بأن المسلمين وصلوا من الكمال العملى فى كثير من الصنائع إلى أبعد مما وصلت هى إليه . فإن ذلك لا يمكن أن يكون ثمرة تعاليم دينية جامدة . وأزيد فأقول : ولا تعاليم حائمة عليه من الطراز المعروف ولكنها تعاليم من نوع أرفع تسندها بواعث تحضيض على الكمال . وبلوغ غايات السمو فى كل ضروب النشاط الروحى والعقلى قد مزجت مزجا مقيسا على القابليات البشرية فى كل دور من أدوارها .

عباس طه

آراء وأحاديث

من الأستاذ الأكبر إلى السيد الرئيس:

السيد الرئيس جمال عبد الناصر :

باسم الله الذى خلق الناس من نفس واحدة وجعل التوحيد أساس العقيدة الصالحة ، كما جعل الوحدة رباطا لعباده لتكون مبعثا للقوة وداعيا للنصر .

باسم الله نؤيدكم ، نقف صفا واحـدا لا نعرف الفرقة ولا التخاذل مؤمنين بالله مدافعين عن وحدتنا ، فلقد شددتم بهذا أزرنا وكسبتم حقوقا كثيرة لوطننا ورعيتم الله فيه حق رعايته ، وجمعتم بين إقليمين حبيبين ارتبطا برباط الأخوة الصادقة والمحبة العميقة كما أكد هذا الرباط وقواه لغة القرآن والتاريخ المجيد والغاية والهدف . فلم تكن الوحدة بينهما شيئا مصنوعا ولا أمراً مدفوعا إليه . وإنما انبثقت الوحدة من إيمان الشعب الذى يقدر مصالحه ويعرف أهدافه وواجباته . فكل خارج عليها يكون خارجا على مقومات الجماعة الفاضلة ، مفتتا لكيانها . ولن يرضى شعب أبى مؤمن حر كريم أن ينحرف مع من ينحرف ، أو أن يضل سواء السبيل ، أو أن يحقق ما قد يدعو إليه أعداؤنا وأعداء الحرية والإيمان ، فقد قهرناهم ورددنا سيوفهم إلى نحورهم ، وأصبحنا أمة قوية عملاقة يسير حاضرها مع ماضيها المجيد ، وترسم مستقبلها على واقع من الإيمان بحقها فى الحياة حقا كريما ، لا يعرف الضيم ولا الذل ، ولا تطأطىء رأسها ، وإنما تقف قوية أبية عزيزة كريمة .

إن يد الله مع الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار ، والله معك ما دمت معه يؤيدك بالحق ويؤيد الحق بك ، وإننا لندعو الله أن يجعل منا أمة قوية البناء متراصة حريصة على أمجادها ، فإن ديننا ليدعونا دائما إلى هذه الوحدة ، وهذا التماسك حتى تستطيع دائما أن نقف فى وجه أعدائها : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا . واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا » .

وإننا بوازع من إيماننا بالله وثقتنا بالوحدة التى تجمع شملنا لنقف جميعا من ورائكم يا سيادة الرئيس وأنت الرجل المؤمن الذى شد الله به أزرنا وقوى به كياننا حتى تكون وحدتنا شاملة جامعة .

« ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز » « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون » .

والله يرعاكم ويديم توفيقكم ويسدد خطاكم .

محمود شلتوت

إلى إخواننا العرب :

لمناسبة الحركة الانفصالية الرجعية التى قام بها شرذمة من ضباط الجيش فى الإقليم الشمالى أذاع الإمام الأكبر شيخ الجامع الأزهر البيان التالى : —

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد : فإن أسمى مبدأ فى بناء المجتمعات بعد توحيد الله تعالى ، والإيمان برسله واليوم الآخر مبدأ الاعتصام بحبل الله الذى حث الله عليه ، ودعا إليه ، وحذر من الخروج عن حدوده . فقال فى الدعوة إليه : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقال فى التحذير من الخروج عليه : « ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم » .

إنكم — إخوانى وأبنائى — لتعلمون حدب الإسلام وشديد حرصه على ائتلاف كلمة أهله ، وعلى أن يقيموا من قلوبهم وإيمانهم حصنا يقيهم شر الاعتداء عليهم ممن يعملون على كيدهم ، وتفرق شملهم ، وإضعاف نفوذهم ، وتضييع سلطانهم وتجريدهم من الحياة القوية الفاضلة ، وتعلمون : أن الله جعل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر من أبرز الواجبات ، وأقدس الفرائض التى بنى الإسلام عليها وأودع ذلك صريح كتابه فى آيات بينات ، وإنكم لتعلمون أن أنكر المنكرات وشرما يقوض دعائم الأمم هو الفتن التى تجعل الأمة أشتاتا وأحزابا ، بل تجعلهم أفرادا ولبنات فى بناء ضعيف ، لا يقوى على مقاومة الأحداث ، وإنكم لتعلمون بعد هذا كله أن الفتن التى تؤدى بالأمة إلى هذا المصير تضعف كيانها ، وتصرفها عن أهدافها ، وتجعلها مشغولة بتربص أعدائها بها — وإنكم لتعلمون أن أعظم ما يتقرب به الناس إلى ربهم فى مثل هذه الظروف أن يعملوا على إطفاء تلك الفتن ، وأن يعودوا إلى كلمة التوحيد ، وحدة فى العقيدة ، ووحدة فى السلوك ، ووحدة فى الأخلاق ، ووحدة فى الدعوة إلى ما يرضى الله ويقى البلاد من عوامل الضعف وأسباب الفرقة والانقسام .

أيها الأبناء والإخوان ، هذه دعوتنا لكم ، وهى دعوة الحق فى علاه نرسلها إليكم وندعوكم بها إلى الاعتصام بحبل الله والتمسك بوحدتكم لتبقى لكم العزة والكرامة بين الدول الطامعة فيكم ، المتربصة بكم « ياقومنا أجيبوا داعى الله » ، « إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » ، « وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم » .

ندعو الله لكم بالتوفيق والهداية إلى أقوم طريق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الكتب

نقـــد وتعريف

بقلم ـــ محمد عبد الله السمان

---

١ ـــ فلسفة أرسطو للفارابى :

تحقيق الدكتور محسن مهدى

نشرت الكتاب دار مجلة شعر ببيروت ، وقام بتحقيقه الدكتور محسن مهدى ، الأستاذ المساعد فى دائرة اللغات والحضارات الشرقية فى جامعة شيكاغو .

قدم المحقق للكتاب بدراسة مسهبة فى أربعين صفحة ، استطاع خلالها أن يزيل كثيراً من الإبهام عن حقيقة الكتاب التاريخية ، فالكتاب هو الجزء الثالث والأخير من كتاب أبى نصر الفارابى ، أما الجزء الأول فقد نشر فى حيدر آباد عام ٣٤٥ هـ تحت عنوان : تحصيل السعادة ، وأما الجزء الثانى فقد نشر فى لندن عام ٩٤٣ م تحت عنوان : فلسفة أفلاطون .

ثم عرض النص الكامل لكتاب الفارابى معتمداً على النسخة المخطوطة الوحيدة المحفوظة فى آيا صوفيا فى القسطنطينية ، ويتضمن النص فلسفة أرسطو طاليس الذى يرى كمال الإنسان مايراه أفلاطون ، فالمطلوبات الأول للإنسان أربعة : سلامة الأبدان ، سلامة الحواس ، سلامة القدرة على معرفة تمييز الأشياء التى بها سلامة هذه ، وسلامة القوة على السعى فيما يكون به سلامة هذه ، وفلسفة أرسطو ترى أن الإنسان ليس يمكنه استنباط الأشياء النافعة ما لم تعرف غاياتها ، وإذا كان الإنسان جزءا من العالم .. فمن اللازم أن تعرف أولا الغرض من كل العالم ـ ولما كانت الأشياء التى توجد للإنسان بالطبيعة والفطرة تتقدم فى الزمان الإرادة والاختيار، وجب أن يقدم النظر فيما هو موجود بالطبيعة .

وهكذا يعرض النص فلسفة أرسطو على لسان الفارابى الذى ناقشها وعلق عليها .

المجهود الذى بذله المحقق مجهود ضخم ، ولكن كثرة الرموز والحواشى والفهارس التى استغرقت أكثر من ثلث الكتاب من حقها أن تنتزع من القارئ جزءا كبيرا من الفائدة التى يرجوها . والمحقق عنى فى المقدمة بتحقيق

ثبوت النص دون أن تلقى ولو أضواء سريعة على ماهية النص نفسه ، كما أنه حين عرض النص لم يحاول شرح ما يبهم على القارئ المتوسط الثقافة من هذه الفلسفة الدسمة ، وإن كان نشر الكتاب بعد ذلك محاولة طيبة ، لاسيما وأنه من التراث الإسلامى الجليل .

* * *

٢ — خطوات فى النقد :

للأستاذ يحيى حقى

نشرت دار العروبة بالقاهرة هذا الكتاب للأستاذ يحيى حقى ، وعنوانه منطبق تماما على موضوعه ، إذ جاء مجموعة من المقالات النقدية خلال خمسة وثلاثين عاما ، فى عام ١٩٢٧ م نقد قصص الأستاذ طاهر لاشين التى نشرها على صفحات مجلة كوكب الشرق ، ثم توالى نقده لأغانى رامى بين عامى ٢٥ ، ٢٨ ولمصرع كليوباترة لشوقى عام ٣٠ ولكتاب الكاتب الفرنسى فرنسيس دى كرواسيه الذى يصف فيه رحلة طويلة بالهند عام ٩٣٠ ، والمخاصمة التى قامت بين تواستوى وتورجنيف عام ٩٢٣ ، ثم نقد قصص الأساتذة : توفيق الحكيم وعزيز أباظة وسعيد العريان ومحمد أبو طايلة وإحسان عبد القدوس ، ومحمد عبد الحليم عبد الله ، ويوسف الشارونى ، ومصطفى محمود . وأضاف إلى الكتاب دراسات عن القصة المصرية ماضيها وحاضرها ، وعن الأغنية وجدارتها بالدراسة الأدبية ، وعن حاجتنا إلى أسلوب جديد فى أوضاع مجتمعنا الجديد .

الواقع أن الأستاذ يحيى حقى ناقد يضفى على نقده ألوانا من الدراسات الجيدة لما ينقده ، والخبرة أساس فى نقده ، فهو لا يلقى الكلام على عواهنه ، بل يملن الحيثيات التى تسنده من ثقافته ، أما روح المجاملة للمنقود فلا تكاد تحس بها فى كتاباته . والذى نلاحظه من خلال أبحاثه ومقالاته المرتبة ترتيبا زمنيا هو تطور النقد فى بلادنا ، غير أننا كنا نود أن يستقل بدراسة لتطور النقد والأسس الفنية التى يجب أن تعتمد عليها ، وكذلك المثل الأخلاقية التى يجب أن يرتبط بها الناقد ارتباطا وثيقا ..

* * *

٣ — إسلامنا :

الأستاذ الشيخ سيد سابق

نشرت دار الكتاب العربى بالقاهرة هذا الكتاب الجديد للأستاذ الشيخ سيد سابق مدير الثقافة بوزارة الأوقاف ، والكتاب كما يذكر المؤلف فى مقدمته : دراسات إسلامية صحيحة لم يعول فيها إلا على المصادر الأصيلة للإسلام — ولم يشأ أن يقحم فيها نفسه أو يؤولها تأويلا يخرجها عن مضمونها الصحيح .

أما هذه الدراسات التى توضح بعض حقائق

الإسلام فى جوانبه الثلاثة : الروحى والخلقى والاجتماعى . فهى دراسات بمثابة موسوعة موجزة لكثير من المعانى الإسلامية يهضمها المثقف الناضج ، ويحتاج إليها من هو اقل منه ، ففى الجانب الروحى يتناول الفكر ، والإيمان ، والإخلاص ، والحب ، والشكر والخشية والثقة فى الله عز وجل ، ويتناول فى الجانب الخلقى : الخير والإحسان والحياء والأمانة ، والصدق ، والرفق ، وفى الجانب الأخير الاجتماعى : يتناول الأسرة وقضاياها المتشعبة وصلة المسلم بأخيه المسلم

قلت : إن هذا الكتاب بمثابة موسوعة موجزة ، لأن كل هذه المعانى الإسلامية التى تناولها أيدها بنصوص إسلامية معتمدة ، فأصبحت مرجعاً معتمداً للقارىء ولو أن المؤلف استوعب فى كتابه الجيد الجوانب الإسلامية الأخرى : من سياسية واقتصادية وعقيدية ، لجاء موضوع الكتاب مطابقا تماما لعنوانه ، ولو أنه قارن الأفكار الإسلامية بالأفكار الغربية لا سيما المذاهب الخلقية ، والاجتماعية ، لإبراز قيمة الفكر الإسلامى لجاء الكتاب وافيا .

* * *

٤ — السياسة الشرعية :

لشيخ الإسلام ابن تيمية :

نشرت هذا الكتاب مكتبة أنصار السنة المحمدية وقمت بمراجعته والتعليق عليه ، والسياسة الشرعية فى إصلاح الراعى والرعية من الكتب الجديرة بالتقدير لشيخ الإسلام والعالم المصلح ابن تيمية .

الكتاب قسمان : الأول أداء الأمانات يتناول الولايات والأموال ، والثانى يتناول الحدود والحقوق - وابن تيمية الفقيه والمحدث والعالم المصلح الجرىء . يكتب دائما عن عمق وشجاعة . فهو فى الحديث عن الولاية لايفوته إبداء رأى الإسلام فى الظلم الواقع من الولاة على الرعية ، ومحاباتهم فى المعاملة لأصناف من المحسوبين ، وهم من أكبر الظلمة الذين يحشرون فى توابيت من نار ، هم وأعوانهم وأشباههم ثم يقذفون فى جهنم

وعند الحديث عن وجوب اتخاذ الإمارة يذكر أهداف الولاية لدى الكثير : فمنهم من يريد العلو على الناس والفساد ، ومنهم من يريد الرياسة لذاتها ، ومنهم من يريدها دينا وقربة يتقرب بها إلى الله عز وجل، إنها رسالة فيها جوامع من السياسة الإلهية والإنابة النبوية ، وذلك كما يقول شيخ الإسلام فى مقدمتها :

* * *

٥ — السرقة فى التشريع الإسلامى :

للأستاذ إبراهيم الشهاوى :

هذه رسالة موجزة تناولت السرقة كإحدى

أمراض المجتمع ، عرفها المؤلف لغة وشرعا ووضح حكمها وحكمتها ، من واقع الكتاب والسنة والمراجع الفقهية والأصولية .

وتناولت معنى القطع وحكمه ، وحكمة مشروعيته ورد الشبهة الواردة عليه وشروط وجوبه ، ثم مسألة النصاب وقيمته ثم عرض مسائل اشتهر الخلاف فيها بين الفقهاء مثل : قطع الجماعة فى السرقة ، وقطع السارق إذا أظهر ملكه للمسروق وقطعه إذا رد المسروق إلى صاحبه ، وقطع من سرق من سارق ، وضمان المسروق . ثم ختم البحث بكلمة فى عقوبة السارق من الناحية التاريخية .

الحق أن فضيلة الأستاذ المؤلف ، وهو أستاذ بكلية الشريعة عرض قضية السرقة من الوجهة الفقهية والتشريعية بأمانة ودقة ، وناقش الخلاف فى الفرعيات بين الفقهاء ، واستطاع أن يجعل من بحثه مرجعا مركزا لمسألة السرقة ، إلا أن فضيلته لم يلتزم العنوان الذى اختاره ، فقد جعل عنوان كتابه : السرقة فى التشريع الإسلامى مقارنا بالقانون الوضعى ، أما هذه المقارنة فلا يكاد يحس بها القارئ مع أنها ضرورية فى المسألة ، وحين عرضها من الزاوية التاريخية اختصر إلى درجة فيها إسراف ، فقد تعرض لها فى زمن يعقوب وموسى ، وأهمل تشريعات الرومان والفرس وبعض الفلاسفة وغيرهم .

٦ — من تاريخ الصحابة :

للأستاذ محمود النواوى

هذا كتيب للأستاذ النواوى مراقب العلوم الدينية بالأزهر ، نشرته دار الدينى بالقاهرة ، ترجم المؤلف فيه لجماعة من الصحابة كالخلفاء الأربعة وابن عباس وعمر ، وسعد بن أبى وقاص وطلحة والزبير ، كما قدم بطاقات سريعة عن جماعة أخرى من الصحابة كأمهات المؤمنين ، وأنس بن مالك وجابر بن عبد الله وأنس بن النضر وأبى سفيان وأبى الدرداء والبراء بن عازب .

فضيلة المؤلف كتب تراجم مسهبة بعض الإسهاب عن جماعة من الصحابة امتلأت آلاف الكتب بهم ، وكتب فى بطاقات تراجم موجزة إلى حد الإسراف عن جماعة أخرى من الصحابة لم تنفرد بهم تآليف ولا مؤلفات ، وكنا نود أن يكون هناك جديد فى الدراسة ، ولو أنه أفرد كتابه للصحابة الذين لم تعن بهم مؤلفاتنا كثيرا ، وهم من الكثرة بمكان ، لكان أجدى وأنفع ، والعبرة ليست بالتأليف وحسب ، وإنما بأن يكون فى تآليفنا ما قصرت عنه مؤلفات السابقين .

محمد عبد الله السمان

مختار من الشعر القديم والحديث

هكذا أنشد

(من الملحمة التى أنشدها الأستاذ إبراهيم محمد نجا فى مهرجان الشعر العربى الذى عقد بمدينة دمشق فى المدة من ٢٣ سبتمبر إلى ٢٨ منه بدعوة من المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية فى القاهرة)

إننى أصنع بالقوة والعزم مصيرى　　إننى أبعث نورى ، ثم أمضى خلف نورى
إننى أسمو إلى القمة كالنسر الكبير　　هاتفا بالريح إنى : لست أخشاك فثورى
هازئا بالضجة الرعناء فى الرعد المثير　　رائيا للبرق يعدو فى الدجى كالمستجير

* * *

إننى أعبد ربى ، مثلما يرغب ربى　　وأراه أينما سرت مع الأيام ... قربى
فى ضميرى ، فى شعورى ، ملء نفسى ملء قلبى　　ويرى إشراق روحى فى مناجاة المحب
وإذا أذنبت يوما ، فهو يدرى سر ذنبى　　جل ربى ... إنه يعرف أشواقى وحبى

* * *

أنا نبع تتجلى روحه فى كل قطره　　ينبت البهجة فى الأرض ، وفى النفس المسرة
أنا ظل ليس يلقى الحر فيه مستقره　　أنا بحر قلبه الغضبان إعصار وثوره
مثلما كنت ترانى ، وترى قلبى ومره　　مرة نبعا وظلا ، وسوى ذلك مره

إننى ألمح خلف الأفق أسراب الحمام فوق أرض أينع الحب عليها والوئام
وعلى أغصانها الخضراء نور وابتسام إننى أهفو إليها فى حنين وهيام
لا أبالى قسوة الشوك ، وطغيان الضرام ومعى كل محب ، من رفاقى ، للسلام

* * *

نحن قوم قد نهضنا ، وجمعنا شملنا ورفعنا علم الوحدة خفاق السنا
وسيبقى ما بقينا ، ثم يبقى بعدنا نحن بالأرواح نحميه ، فنحمى مجدنا
فاخشوا يا من سعيتم كالأفاعى بيننا نحن ما دمنا جنود الله ، فالنصر لنا

من وحى الأحداث الحاضرة :

سلمت يا بلادى

سلمت يا بلادى ياموطن الأحرار
من سطوة العوادى وكيد الاستعمار
سلمت يا بلادى

* * *

سلمت للقومية والوحدة القوية
وعزة الحرية وروعة الأمجادِ
سلمت يا بلادى

* * *

سلمت للكفاحِ بالعلم والسلاحِ
فى موكب الإصلاحِ والخير والإسعادِ
سلمت يا بلادى

* * *

سلمت للسلامِ يضىء الأيامِ
بنوره البسام مثل المنار الهادى
سلمت يا بلادى

يا بسمة خضراءَ تمثلت رجاءَ
ونعمة فيحاءَ على ضفاف الوادى
سلمت يا بلادى

***

يا نغما نَسَّمار تشدو به الدنيا فما
قد شاق حتى الأنجما بروعة الإنشادِ
سلمت يا بلادى

***

يا قصة الحضارةِ وضيئة العبارةِ
تضئ كالمنارةِ من ساعة الميلادِ
سلمت يا بلادى

***

يا مأمن المهاجرِ من بغى كل جائرِ
وعون كل ثائرِ فى وجه الاستعبادِ
سلمت يا بلادى

***

نفديك بالدماءِ يا منحة السماءِ
وكلنا فدائىِ فى ساعة الجهادِ
سلمت يا بلادى

***

عيشى مع الخلودِ خفاقة البنودِ
وانتصرى وسودى على مدى الآبادِ
سلمت يا بلادى

ابراهيم محمد نجا

بريد المجلة

أبحاث ودراسات ... لحرب الاسلام

بعد نصف قرن من الدعاية الضخمة عن المادية الجدلية ، والحكم المباشر الذى يعمد إلى إخماد أنفاس الدين والمتدينين ...

بعد هذا الزمن الطويل ، والجهد المرير ، وجد (الإلحاد العلمى !) أنه فى حاجة لعقد مؤتمر : « لبحث موضوع مخلفات الدين الإسلامى ... ووسائل التغلب عليها ! » .

وتولت الدعوة إلى هذا المؤتمر جامعة حكومة داغستان ، وجمعية نشر المعارف السياسية والعلمية فيها . واشترك فيه ٣٥٠ شخصا من مدرسى التعليم العالى وممثلى الجمعية ، والعاملين فى ميدان الحزب ، وفى ميدان الانتاج ، والعلماء والكتاب ...

وكانت كلمة الافتتاح : « يتعين على المؤتمر أن يقدم للعمال مساعدات كبيرة فى الميدان المذهبى ، وأن يزود المحاضرين الإلحاديين بمواد واقعية للقيام بدعاية علمية إلحادية على أساس أحدث ما تحقق فى ميادين العلوم والتكنولوجيا والعلوم الطبيعية ، وأن يعمم الخبرات التى جمعتها المنظمات المحلية أثناء قيامها بهذه المهام بين العمال الكادحين .... » .

وجاء فى تقرير ا . ل . ليتيفوف عالم التاريخ : « ... إن إقامة الشعائر الدينية يصحبها فى عدد من الحالات انتهاك لنظم العمل والدولة ، ومن ثم فإنه يلحق الضرر بالاقتصاد ويفسد الناس من الناحية الروحية كما أن بقايا المخلفات الدينية تقف حجر عثرة فى سبيل تعزيز أواصر الصداقة بين الشعوب وتعمد إلى إبقاء المشاعر البورجوازية ... » .

وصاحب التقرير يشفق من تأييد المسلمين للاتجاهات الاشتراكية : « ومن ثم فلكى تكون الدعاية العلمية الإلحادية مجدية ، يتعين القيام بها بوسائل مختلفة ، على أن تضع نصب عينيها حاجات مختلف طبقات السكان : أى النساء والطاعنين فى السن والشبان والأطفال ، والفلاحين والعمال والمستنيرين .... الخ . ويتعين كذلك أن تستخدم على أوفى وجه جميع وسائل التأثير على الجماهير من الناحية المذهبية : أى الصحافة والسينما والإذاعة والتليفزيون والمعاهد الثقافية والتعليمية » .

وتتابعت التقارير : من دكتور فى العلوم التاريخية ، ورئيس لقسم الإلحاد العلمى ، وأستاذ فى الفلسفة والعلوم السياسية .... » .

وسوف نناقش فى هذه المجلة (موضوعيا) بعض المسائل التى أثيرت فى هذه التقارير . . لنعرف مواضع الهجوم ، ونتبين أساليب الدفاع .

ولعل دعاة الإسلام يقدرون ضخامة الجهود التى تبذلها أجهزة كبيرة مستعدة . . . . ما بين شرقية وغربية .

ويلتقى على حرب الإسلام (الماديون الملحدون) و (المبشرون المتدينون) . .

والله المستعان على ما يصفون

فتحى عثمان

حول مشكلة الأغانى :

بدأ أحد الصحفيين المنتمين إلى إحدى دور الصحف الكبرى فى القاهرة حملة شعواء على الأغانى الخليعة التى احتلت الجزء الأكبر من برامج الإذاعة .

وكانت الحملة من القسوة بدرجة أثارت ثائرة الذين أطلقنا عليهم عن رضا وطيب خاطر لقب « الفنانين » فدافعوا عن أنفسهم على موجات الأثير وفوق صفحات الصحف .

ولقد جاءت حيثيات الصحفى الذى تولى الحملة قوية أعتمدت على عرض بعض عبارات مثيرة من الأغانى الهزيلة ، التى يرددها الشباب الغض من الجنسين ، والتى لا تليق بشعب يريد أن يكون جادا لا عابثا ، وذا عزمة صارمة لا متخاذلا ، كما جاء دفاع الفنانين بدون حيثيات اللهم إلا أن الشعب « عاوز كده » .

والواقع أننا لم نقدر بعد الأثر السىء الخطير الذى يصيب المجتمع من جراء الأغنية الخليعة ، التى أصبحت تمثل جزءا من كيان المراهقين والمراهقات ، وأشهد أنى حين كنت مدرسا منذ سنوات فى إحدى مدارس البنات الإعدادية ، أزعجنى استعصاء حفظ النصوص الأدبية على تلميذات الفرقة العليا ، وتلاشى هذا الإزعاج حين أجريت تفتيشا على أدراجهن فوجدت خمسا وثلاثين من سبع وثلاثين يحتفظن بأغانى مطربى ومطربات العواطف ، تلك التى طبعت ، وكانت تباع بملاليم أمام أبواب المدارس .

ومنذ أقل من عام اطلعت على خطاب عاطفى أرسله طالب بالسنة السادسة الابتدائية فى إحدى المدارس المشتركة إلى مدرسته الشابة يفيض غزلا ، وكان من صفحتين طويلتين عريضتين ، ولم يهمل جانبا من جسدها دون أن يتفرس فيه ليتغزل ، أما مادة الخطاب العاطفى فقد استمده الطالب بلباقة من الأغانى العاطفية المسفة .

ونحن إزاء هذه المشكلة لا تدفعنا المغالاة إلى المطالبة بإلغاء الأغانى العاطفية من حياتنا وإنما نطالب بالسمو بألفاظ الأغنية حتى تضفى على إحساساتنا ومشاعرنا مسحة من الرفاهية البريئة ، وبالسمو بالأداء حتى لا يكون أداة لإثارة غرائز المراهقين والمراهقات .

ويأتى دور المؤلف فى الدرجة الأولى ، كما يأتى دور الملحن فى الدرجة الثانيـــة ، فالألفاظ السامية قد تحمل الملحن على احترام ألحانه ، ولكن مؤلف الأغنية العاطفية اليوم محترف ، أصبح كالخباز إزاء بطون جائعة لم تستقبل طعاما منذ أسابيع ، فهو يستطيع على أحد المقاهى أن يؤلف أغنية قبل أن ينتهى من رشف كوب من الشاى ، وكثيراً ما سمعنا أن أحد مؤلفى الأغانى العاطفية — وهو على سرير المرض — أملى أغنية عاطفية بالتليفون على أحد الملحنين ، وأشك أن يكون لمؤلف الأغانى العاطفية اليوم صلة بالأدب العربى ، ولا بلغة العرب ، إذ الألفاظ العامية المبتذلة لا تحتاج إلى هذه أو ذاك ...

ولكن لم نلق اللوم كله على المطرب أو المطربة أو الملحن ، وندع الإذاعة والمشرفين على توجيهها . ألا يستطيع هؤلاء المسئولون وضع حد للمهزلة ؟ نحن نعلم أن هناك جهازاً يسمى « لجنة الاستماع » ولا تمر أغنية دون أن يقرها هذا الجهاز ، فهل تأكسد إلى درجة فقد معها حاسة الاستماع ؟ .

وبعد ... ...

فليست الأغانى العاطفية المسفة وحدها تمثل الخطر الأكبر ، فهناك الصورة الخليعة ، والقصة الخليعة ، والتمثيلية الخليعة ، ثم أفلامنا السينمائية الهزيلة التى لا منهج لها ولا هدف .

إن أفلامنا هذه لا زالت دائبة على لصق صور مثيرة مغرية ، تقشعر منها النفوس ، نراها كل لحظة على الجدران وفوق لوحات الإعلانات ، فى أضخم وأهم شوارع العواصم ، ويقولون : إن هناك رقابة على الأفلام وإعلاناتها . ولكن يظهر أن الرقابة فى واد ، ومهازل الأفلام فى واد آخر .

إن مجتمعا محترما يريد أن يثبت أن له كيانا لا يقبل بحال أن تسلط عليه مثل هذه المهازل التى تتمثل فى أغانينا وصحافتنا وإذاعتنا وأفلامنا .

ولكن يظهر أن الكارثة أصبحت أضخم من أن تعالج ، لأن مهازلها تسد فراغا لا يمكن أن يسد بدونها .

والمجتمع هو الضحية أولا وآخراً .

محمد عبد الله السمان

ذو القرنين عربى مؤمن :

سأل أحد قراء مجلة المنار الغراء أستاذنا الإمام السيد محمد رشيد رضا عن ذى القرنين المذكور فى القرآن ، فأجابه بأنه عربى من أذواء اليمن ، كذى نواس . وذى رعين ، وذى يزن الخ .

قال الأستاذ الشيخ يرد على كاتب مجلة المشرق اليسوعية فى قوله :

« إن القرآن الكريم ذكر إسكندر ذا القرنين بما لا يوافق أخبار التاريخ المحققة » : وجوابه أن ذا القرنين المذكور فى القرآن ليس باسكندر المقدونى وإنما هو أحد أذواء اليمن ، ولو خالف أخبار التاريخ (أى القرآن الكريم) لكان ما خالفها فيه هو الحق . اه . كلام أستاذنا وأنت تراه قد حصر أن ذا القرنين من أذواء اليمن .

ويقول الإمام ابن خلدون فى الجزء الثانى من تاريخه صفحة ٥٢ مطبعة النهضة : « ثم ملك المنذر بن امرئ القيس وهو ذو القرنين لضفيرتين كانتا له من شعره » . وأمه ماء السماء بنت عوف وصل نسبها بالنحو بن قاسطة الذى تملك تسعاً وأربعين سنة . فالعرب تعرف من أسماء ملوكها اسم ذى القرنين .

ولما أرخ ابن خلدون مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنه كان فى عام الفيل لأربعين سنة من ملك كسرى أنو شروان وقيل لثمان وأربعين ولثمانمائة واثنتين وثمانين لذى القرنين . فذو القرنين معروف للناس يؤرخون بتوليته الملك كما يؤرخون بتولية كسرى أنو شروان وبالحوادث العظيمة الشأن . ويورد النظام النيسابورى فى تفسيره عدة أقوال فى ذى القرنين منها أنه من أذواء اليمن . وأرجح أن ما تقدم كاف كفاية قوية لنفى الفارسية عن ذى القرنين وإثبات أنه عربى يمنى بشهادة عمدة التاريخ وأستاذ المحققين. ثم نرجع إلى إيمانه فاسمع ما يقوله الله تعالى : قلنا ياذا القرنين إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنى . قال أما من ظلم (أشرك) فسوف نعذبه ثم يرد إلى ربه فيعذبه عذاباً نكراً . وأما من آمن وعمل صالحاً فله جزاء الحسنى وسنقول له من أمرنا يسرا » ، وأنت عليم بأن من يخاطبه الله تعالى بهذا الخطاب ويجيبه بما أجابه به ، لا يتصور أن يكون اسكندر المقدونى الوثنى المشرك ولا قورش الفارسى الكافر .

أبو يعلى
حافظ حسن البطة
خان يونس بفلسطين

من الصحف والمجلات

تصدر الرياسة الدينية الإسلامية بسيراجيفو من الجمهورية الشعبية الاتحادية بيوغوسلافيا مجلة إسلامية شهرية باسم « غلاسنيق » تعنى بشئون الإسلام والمسلمين باللغة اليوغوسلافية ، وتلحق بكل عدد منها خلاصة باللغة العربية لكل ما نشر فيها من آراء وأنباء ، وعن ملحق عددها الصادر فى سبتمبر سنة ١٩٦١ . ننشر هذه المقتطفات :

الإسلام فى فيليبين :

ألقى الحاج أحمد آلنتودوموكاو عضو مجلس الشيوخ والسفير الخاص لرئيس جمهورية فيليبين وزعيم مسلمى فيليبين فى قاعة كلية الشريعة بجامعة دمشق محاضرة حضرها جمع غفير من الوزراء والأساتذة والطلاب وكبار رجال الدين والعلم والأدب .

اقتطفنا من هذه المحاضرة المنشورة فى مجلة « حضارة الإسلام » بعض المعلومات عن مسلمى فيليبين ونقدمها لقراء مجلتنا « غلاسنيق » .

دخل الإسلام فى بلاد فيليبين قبل ستمائة وثمانين سنة ، عام ١٢٨٠م على يد القاضى مقدم من الغرب ثم توالى غيره من تجار العرب ونشروا الإسلام وأسسوا دولة إسلامية أخذ عدد المسلمين فى ظلها يزداد يوما إلى يوم حتى جاء الأسبانيون واحتلوا البلاد وحكموها أكثر من ٣٥٠ سنة ذاق المسلمون فيها من حكمهم الاضطهاد والظلم .

يعيش الآن فى فيليبين ٣ ملايين من المسلمين وهم من جراء ما لاقوا طوال قرون كثيرة من الظلم والاضطهاد ، فى تخلف وتأخر . ولكنهم أخذوا فى التقدم ، ولهم اليوم نشاط لا بأس به فى النهوض بحياتهم الدينية ، وبينهم الآن ثلاثة من علماء الأزهر يرشدونهم إلى الصراط المستقيم . وقد أوفدوا إلى الأزهر ٨٣ طالبا ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم .

فولتير ومأساة : « محمد » :

واصل الأستاذ أنور بن طاهر بحثه عن فولتير وموقفه من الإسلام فأتى بتحليل نفسيته وشخصيته تحليلا علميا دقيقا لم يسبق إليه .

كان فولتير فى أول الأمر ، مع الأسف الشديد، ممن بذلوا جهدهم وسعوا فى هذا السبيل وقد ألف ، كما رأينا فى العدد الماضى ، عدة مؤلفات أراد بها النيل من الإسلام ومن رسولنا صلى الله تعالى عليه وسلم بطريق الأكاذيب والمفتريات ولكنه لما نضج وأفاق رجع إلى الحق واعترف بكل صراحة بتطاوله على الإسلام وبأنه نسب إليه ما لا صلة له به كذبا وافتراء .

وإذا أردت أن تقف على حقيقة تطورات الفيلسوف فولتير وتغير رأيه فى الإسلام ورجوعه إلى الحق واعترافه بأخطائه وضلالاته فعليك بالاطلاع على رسائله التى كان يبعث بها إلى أخص أصدقائه ، وقد أعرب فيها عن أسفه الشديد على محمد لا فترائه ، وادعائه ما ليس بحق واتخاذه الأكاذيب والأباطيل وسيلة لتملق البابا وبعض الملوك عملا بقاعدة : الغاية تبرر الوسيلة .

وفق فولتير فى الطور الأخير من حياته فى أن يتحرر من ربقة العبودية للملوك والكنيسة والرأى العام المسيحى الذى كان سائدا فى عصره وأصبح مستقلا فى آرائه وأفكاره وأخذ يفكر تفكيرا علميا صحيحا مبنيا على المنطق والعقل لا على التلفيق والأكاذيب والمفتريات كما كان شأنه من قبل . ومن هنا ظهر لنا الفيلسوف فى لونه الحقيق ، والذى أنتجته عبقريته وقريحته فى هذا الحين إنما يمثل فى الحقيقة دفاعا قويا عن الحق والحقيقة.

فأنت ترى فى مؤلفاته التى ألفها فى هذه الفترة وهى : البحث عن العادات، ومحمد، والجزيرة العربية وقاموس الفلسفة، والقرآن الحكيم، والمسلمون . وغيرها ترى فيلسوفا جديدا غير الذى كنت تراه فى مأساته : محمد ، ترى باحثا مدققا لا يتحرى فى بحثه إلا الحق ، ولذلك تجده يدافع فى مؤلفاته المذكورة عن الإسلام وعن محمد صلى الله تعالى عليه وسلم ويقول : إن القرآن أفضل مجموعة من الأحكام وخير قانون أخرج للناس وإن محمدا غير وجه أعظم وأجمل جزء من العالم ، وأحدث انقلابا عاما جاء بفوائد لا تقدر فى صالح البشرية :

هذا هو الفيلسوف فولتير الذى أراد أولا ، لأغراض غير شريفة ، أن ينال من الإسلام فكتب ما كتب ثم اهتدى إلى الرشد واختتم حياته بخير خاتمة فى الدفاع عن الحق ...

هكذا ظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا — صدق ربنا العظيم ...

أوربا والإسلام :

لما انتهت الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين

وهى فى ظاهرها حروب دينية وفى حقيقتها حروب استعمارية على حد قول الأستاذ الكبير الدكتور مصطفى السباعى - لم ييأس الغربيون من العودة إلى احتلال بلاد العرب وبلاد الإسلام فأعادوا الكرة ثانية واتجهوا إلى دراسة هذه البلاد فى كل شئونها من عقيدة وعادات وأخلاق وثروات ، ليتعرفوا إلى مواطن القوة فيها فيضعفوها وإلى مواطن الضعف فيغتنموه ، ولما تم لهم الاستيلاء العسكرى والسيطرة السياسية حاولوا إضعاف المقاومة الروحية والمعنوية فى نفوس المسلمين، وبث الوهن والارتباك فى تفكيرهم ، وذلك عن طريق التشكيك بفائدة ما فى أيديهم من تراث وما عندهم من عقيدة وقيم إنسانية فيفقدون الثقة بأنفسهم ويرتمون فى أحضان الغرب .

وقبل أن نختتم هـذه الخلاصة نذكر أن مسلمى يوغسلافيا يتابعون ما تنشره أوربا من الدعاية ضد الإسلام لأغراضها المختلفة السياسية والدينية فيقومون بمهمة الرد وكشف نيتها ومقاصدها الخسيسة . وقد قام خصيصا بهـذه المهمة الأستاذ أنور ابن طاهر من أبناء البوسنة والهرسك ومن المثقفين ثقافة عصرية وله إلمام تام بعدة لغات أوروبية يساعده على تتبع ما كتبه علماء أوربا من المستشرقين . وله بحوث قيمة فى هذا الموضوع نشرتها له مجلتنا وهو لا يزال يواصل مهمته .

معنى العلم فى الإسلام :

رفع الإسلام من شأن العلم بحيث جعله خير العبادات . جاء فى الأثر أن فكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة ، وقال سبحانه وتعالى فى أول آية نزلت على الرسول : « اقرأ باسم ربك الذى خلق — هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » .

وقد جعل الله الرجل خليفة له فى الأرض لما أودعه فيه من ملكة العلم والمعرفة وسخر له جميع ما فى الأرض والسموات وفضله على سائر المخلوقات حتى الملائكة .

لذلك اهتم المسلمون الأولون بنشر العلم وفتح المدارس وأولوا عناية عظيمة للتعليم . كانوا لا يفرقون بين علم وعلم لأن العلم فى نظر الإسلام واحد . العلوم كلها إسلامية فلا يوجد علم دينى وعلم غير دينى . أما الذى وقع بعد ذلك من تقسيم العلم إلى دينى وكونى فهو باطل لا أساس له فى الإسلام . الإسلام دين ودنيا وهو يؤدى إلى سعادة الدارين — « ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار » .

سلك الأولون هذا المسلك فى فهم الإسلام ففهموه على أنه دين ودنيا فكانت مدارسهم

تدرس فيها جميع العلوم ، كان العالم فقيها فيلسوفا طبيبا رياضيا طبيعيا جغرافيا كيماويا ، كل ذلك فى آن واحد . ألا يكفيك أن الراهب الفرنسى جربرت الذى انتخب بابا لكنيسة روما عام ٩٩٩ م تعلم فى معاهد الأندلس . يقول الأستاذ الكبير مصطفى السباعى فى بحثه : « الاستشراق والمستشرقون » : من المؤكد أن كثيراً من الرهبان الغربيين قصدوا الأندلس فى إبان عظمتها ومجدها وتثقفوا فى مدارسها وترجموا القرآن والكتب العربية إلى لغاتهم وتتلمذوا على علماء المسلمين فى مختلف العلوم وبخاصة فى الفلسفة والطب والرياضيات ، منهم بطرس المحترم ١٠٩٢ — ١١٥٦ وجيراردى كريمون ١١١٤ — ١١٨٧ وغيرهما .

قامت المعاهد الإسلامية فى العصور الأولى من تاريخ الإسلام على فكرة عدم التفرقة بين الدين والاجتماع فكان للمسلمين ما كان من المجد والعظمة فى جميع ميادين الحياة .

وقد ذكر السيد وهبى حوفيتش فى المقال المذكور المراكز العلمية التى ازدهرت فيها العلوم ازدهارا لم يعهد له مثيل ، من تلك المراكز بغداد والقاهرة ودمشق وفاس وقرطبة وغرناطة وسمرقند وطاشقند وترمذ وبخارى والآستانة وغيرها ، وهذه المراكز كانت مصدر نشاط علمى وأدبى وفنى وثقافى وكانت مليئة بالمعاهد العلمية والمكاتب ، ويذكر المؤرخون أن بعض تلك المكاتب كان فيها من الكتب أكثر من ثلاثة ملايين كتاب ، أما مكتبة بغداد التى ألقت جيوش المغول بكتبها إلى دجلة حيث كنت تستطيع أن تعبر عليها النهر ، فشهرتها تغنى عن ذكرها .

الإسلام فى أوربا :

يختتم الأستاذ عبد الرحمن حوفتش بهذا البحث سلسلة من مقالات قيمة تناول فيها موضوع دخول الإسلام فى أوربا ، وقد تعرض فى مقاله الأخير لحالة الإسلام الراهن فى أوربا .

حاول المسلمون كما علمنا من المقالات السابقة ، فى عهد الصحابة رضى الله عنهم ، الدخول فى أوربا من ناحية الشرق ، فلما فشلت محاولاتهم المتعددة لفتح القسطنطينية اتجهوا نحو الغرب وفتحوا الأندلس ودام حكمهم فيها حوالى ثمانمائة سنة .

وفى نفس الوقت الذى قضت فيه محكمة التفتيش على الإسلام والمسلمين فى الأندلس فتح الأتراك القسطنطينية وتوغلوا فى أوربا واستولوا على شبه جزيرة البلقان واستمر حكمهم فى اليونان وبلغاريا ورومانيا وصربيا والبوسنة والهرسك وفى جزء من الجبل الأسود وهنغاريا أكثر من خمسمائة سنة .

ومما يجدر ذكره هنا أن الإسلام زال من الأندلس بزوال حكمه فلم يبق هناك أحد من المسلمين بعد ذهاب سلطتهم ، ولم يقع مثل ذلك بالإسلام الذى دخل فى أوربا من ناحية الشرق فإنه لم يزل بزوال حكمه، وإنما صمد وبقى إلى الآن برغم ماكان يتعرض له من الاضطهاد والانتقام فى بعض البلاد ، فأنت ترى اليوم الأقليات الإسلامية فى جميع البلاد المذكورة التى حكمها العثمانيون .

وفوق ذلك فإن الإسلام فى أوربا أخذ فى هذه الأيام يبدى نشاطا لا بأس به فى سبيل توسعة ونشر مبادئه وتعاليمه ومثله ، ففى فترة ما بين الحربين العالميتين وما بعد الثانية انتشر الإسلام وجاوز حدود البلقان فتجد اليوم المراكز الاسلامية فى معظم بلاد أوربا وأمريكا ، فهناك فى أغلب عواصمهما ومدنهما الكثيرة مساجد يذكر فيها اسم الله وتقوم برسالة الإسلام .

حاولت بعض العناصر المتطرفة من المسيحيين والقوميين تشويه الدور الذى لعبه الإسلام فى أوربا فجعلوا حكم الأتراك فى البلقان عنوانا للظلم والطغيان والاضطهاد والقتل على أشنع وأبشع أساليبه .

وقد رحب الاستعمار بهذا التشويه وشجع القائمين به وقدم لهم كل مساعدة راجياً بذلك تبرير احتلاله للبلاد الإسلامية واستغلاله لثرواتها .

ولا شك أن هذه الدعاية القوية المشتركة ضد الإسلام أثرت فى الرأى العام حتى فى نفوس بعض الضعاف من المسلمين .

والحقيقة التى لا سبيل إلى إنكارها والتى أخذ المؤرخون المنصفون يعترفون بها أن حكم الإسلام فى أوربا كان يمتاز بالتسامح التام والعدالة والمساواة وأن دوره كان إيجابياً تقدمياً .

أما فى الأندلس فلا حاجة بنا إلى الكلام فيه . فمن المعلوم أن الإسلام أتى فى الأندلس بمعجزات فى جميع ميادين الحياة ، فمن الثابت ثبوتا لا شك فيه أن الحضارة الأوربية قامت على أسس وعلوم أخذها الأوربيون عن مسلمى الأندلس ، وللاسلام نصيب عظيم فى حركات أوربا العلمية والسياسية التى خرجت بها من ظلام القرون الوسطى وتخلصت من ربقة وطغيان الكنيسة وتحررت حياتها الفكرية من استبداد الكهنة والرهبان .

أما فى بلاد البلقان فدور الإسلام فيها لم يكن أقل أهمية من دوره فى بلاد الأندلس وخصوصا فى العدالة الاجتماعية ، وقد ترك الإسلام فى البلقان من المؤسسات الاجتماعية ما يمكن لأعظم الدول حضارة

أن تفتخر وتعتز به اليوم . ففى عهد الحكم الإسلامى ما كنت تجد مدينة حتى ولا قرية إلا وفيها بيت المسافرين الذى كان يمكن للمسافر أن يبيت فيه ويأكل مجانا ، وكذلك ما كنت تجد مدينة فى البلقان إلا وفيها مطاعم عامة تقوم بإطعام الفقراء مجانا ثلاث وجبات كل يوم بدون تفرقة بين المسلمين وغيرهم من المسيحيين واليهود .

ومن ميزات حكم الإسلام فى البلقان عنايته الشديدة بالنظافة . فكان الأتراك لا يألون جهدا فى تزويد البلاد بالمياه وفى إقامة الأسبلة والحمامات العامة فكان فى القرن السابع عشر أثناء عهد الأتراك فى مدينة سراييفو مثلا عاصمة البوسنة والهرسك ١١ من الحمامات العامة واليوم لا يوجد فيها أكثر من حمامين .

هذه الأمور لا يجوز إغفالها وإهمالها عند النظر فى الدور الذى لعبه الإسلام فى بلاد البلقان . ولا بد من الملاحظة هنا أن نصيب مسلمى يوغسلافيا وعلى وجه الخصوص مسلمى البوسنة والهرسك فى تلك الخدمات الاجتماعية العامة كان غير قليل .

المسلمون فى اليونان :

فى اليونان طائفة إسلامية يصل تعدادها إلى ما يقرب من ١٥٠ ألفاً . منهم ١٠٠ ألف فى تراقيا الغربية و ٢٠ ألفاً فى دودكانيز و ٣٠ ألفا فى يانيا وأغلبهم ينتمون إلى أقلية تركية ومنهم أيضاً جراكسة وبوماق (الصقالبة) وأرناءود .

وإليك بعض المعلومات عن حياتهم الدينية : المفتى هو الرئيس الدينى الأعلى والمشرف العام على الحياة الدينية لمسلمى اليونان . ويوجد ثلاثة مفتين وبجانبهم هيئة دينية تنتخب أعضاءها لمدة أربع سنين . ولمسلمى اليونان أربع مدارس دينية ثانوية لتأهيل وإعداد الأئمة والوعاظ والخطباء ، وأكثر من ٣٠٠ من الكتاتيب لتعليم الأطفال مبادئ الإسلام . ولهم كذلك عدد عظيم من المساجد وثلاث جمعيات : جمعية اتحاد الإسلام وجمعية انتباه الإسلام وجمعية شبان الأتراك . وهذه الجمعيات تصدر أربع مجلات

These crimes were those which represented agression against the citizen's right for self-determination, property and his immediate family. The ruler was entrusted with the execution of these defined punishments according to what he consedered the best way of bringing about an orderly society. The ruler's aim was to provide tranquility for the citizens and security for their lives, property and immediate family.

This right which Islam gave the ruler is the "executive right" which is one pillar in the state system of the modern society. But Islam, nevertheless, concentrated Its primary attention on the reliance of the conscience of the people. Conscience is the creative power in the faithful individual. The ruler could not apply punishment in the absence of strong evidence. The Prophet, peace be upon him, says :"No punishment in lack of strong evidence". This shows the desirability of preventing the application of the prescribed punishment for certain crimes unless there is strong evidence against those who committed the crimes and consequently leaves room for the conscience in constructing the relationships among the citizens.

Islam, therefore, could not conceive of true believers committing such crimes, for the true believers are guided in their actions by the fear of God which crystallizes their conscience. The Prophet says : " The one who commits adultery would not do so if he were a true believer. He would not drink alcohol if he were a true believer. He would not steel if he were a true believer.

1) Thus, the foundation of the executive authority, which is one of the pillars of the state system in modern society, is also found in the nation which is the creation of God, but with the stress on conscience and belief in God. Belief in God is the path which leads to belief in humanity and brotherhood and consequently to cooperation, equality and happiness in life. Therefore, what the state system lost in neglecting the conscience of the individual by its complete reliance on the executive authority is found in the nation of God in addition to the executive authority and at the same time preserving the dignity of the human being. Human dignity is exemplified in the freedom of the individual and his free will in work and action. For this, the nation of God is far above the other societies which are controlled by outside force.

(Continued . .)

such a nation, its function would be to correct deviation which occurs in every society. However, security and tranquility among the people of this society depend, first of all, on conscience and understanding of the values as well as the difference between right and wrong instead of depending on the executive authority exerted by the state. It is the nation which has humanistic moral goals. From the beginning of its existence its targes and aims in life were clearly defined. These aims were humanity and discipline.

The individuals of this nation, at the time in which their moral and humanistic behavior sprang from their conscience and innate strong drives, carried the responsibilty for guidance to the degree that every individual was the guardian of himslf as well as of the others: " all of you are gurdians and all of you are responsible for those who are under the guardianship ". Man is guardian and he is responsible for his family, the woman is guardian in the home of her husband and she is responsible for her children, the servant is guardian of the property of his master and he is responsible for what he is entrusted with, therefore all the people are guardians and all of them are responsible for what they are entrusted with. Besides this responsibility of guardianship assumed by every individual in this nation, there existed the elements of personal freedom and collective cooperation among all the individuals. The etent of personal freedom, therefore, is limited by the conscience of the individual himself and his sense of responsibility for his activities. The source of collective cooperation is the sense of guardianship felt by each individual in his particular environment and the understanding of the environment of others and they all form one cohesive society. This means that when one takes care of himself in his particular environment, he provides for the others equal chances for coexistence. When man takes care of himself he knows his limitation according to his possibilities or to the conditions of society in which he lives.

As we mentioned before, the dependence of conscience which relies on the belief in God and his observance does not abolish the nation's need for the executive authority. But this authority does not play such an essential role as it does in the state system of the modern society.

Islam, which is the distinguished nation as the creation of God, gave the ruler the right to punish those who committed crimes in society.

explicitly for fear that the executive authority may harm them.

In brief, modern society by adopting the state system imposed disciplinary order on the individuals who obey regardless of their free will, and it is this free will that distinguishes man from other living creatures. In modern society the individuals are faced with the psychological struggle between the authority of state and religion. Modern society as a whole is not excluded from this struggle no matter how hard it tries to bridge the gap between the state system and belief in religion.

2. *The Nation which God Created*

" You were the best nation shaped for men, for you demand goodness, prevent evil and believe in God ". This is the nation that God created. It is the nation which knew good and evil and consequently demanded goodness and prevented evil and believed above all in God. It is, therefore, a nation with human maturity, discipline as well as high morals. It distinguished right from wrong and knew the ultimate truth : the divine being. This nation was disciplined, it did what was supposed to be done and avoided what man was supposed to avoid. It is a nation with strong will power as well as free will. It was able to distinguish between the patterns of human behavior and picked out the pattern which best represented true humanity.

It is a humanistic nation with true humanistic virtues. It does not interpret life in the light in which man tends to see it, but rather looks at it the way God wants it to be. This nation does not stumble on its way through life for it does not follow the path of man who is constantly under controversial and different influences, for he is the product of his particular environment, heredity, special indoctrination, political, religious or sectarian.

The individuals of this nation are not coevced to do good and to evade evil, but they choose their way voluntarily. A nation whose individuals have ambition and pride and whose actions are motivated by conscience is founded on the belief in God and His observance. And God is the center of all their higher values and ideals towards which the individuals strive and direct their actions.

The society of such a nation is a society without any surveillance system. It has no coercion for it does not need executive authority as fundamental basis of the state system. If an executive authority existed in

the church assumed in directing human life. It is the system of the "human age" and the human age is nothing but the period in which the human being sought to be independent of "control or guardianship" from any other source but himself. It is this period in which man became self-reliant to such degree that he overesimated the human mind and and what it creates. The system of the state, therefore, is the outcome of human philosophy, born from the self-recognition of man. Man, the owner and sustainer of this system, gives it its higher value as long as he believes in the independence of the human mind and its creativeness.

The original logic of the state system in modern society, according to this human philosophy, is the result of underevaluating the existing guiding values, which came out of religious missions, not originating from man, and which is the message from heaven. Perhaps the communistic society, at the present time, is the best example of following this logic. Other modern societies follow the same line but differ in degree. The greater the "duality between the state system and the faith in religion" the greater is the conflict of that society with the logic of human philosophy on which the state system is founded.

From another point of view, perharps, this conflict is inherent in the system of the state itself, for the structure of society is the exact pattern of the life of the individuals. But if the structure of society reflects the life of the individuals, the individuals themselves are the cells of the new as well as of the preceding society. It is not easy, even impossible, that individuals, after adopting the new system of society, detach themselves completely from old beliefs that are deep-rooted in their hearts. Therefore, the leaders of the new system of society try to keep the two aliaat elements, the modern state system and the system in which religious belief was prevailing. They follow this policy in order to maintain popularity among those people with strong religious belief.

This policy that the leaders of the new society seek to employ is actually a manifestation of the struggle between two powers, each of which desires to have the upper hand in guiding and orienting man's life: religion or state ?

The claim of the communistic society that it follows the logic of human philosophy by excluding religion from the system of society has no solid ground, for the individuals in such a system still express their belief in religion in different ways even though they don't declare it

from the factor that the legislators are influenced by their social background, environment, or the consideration of the people in power.

3) Neglecting the importance of the collective spirit in the relations among individuals to the degree that "individualism" became the prevailing feature of these relations.

The state system as seen cannot yield different results, for it is the product of man, and man is that being who has wisdom, mind, and drive. Man is the one who goes through the physical processes of infanthood till adulthood. He is the changing being who plans but does not create. His plans may materialize one time and fail another.

The architects of the state who constructed its system and advocated its validity thought that separation of the three authorities is sufficient guarantee for justice towards every citizen and for protecting the individual's rights : the right of freedom, of expression, belief and property ownership. They thought that this system was sufficient to bring about cooperation and strengthing social relations among the citizens. Separating the authorities, they claimed, is another cheek on the executive authority lest it trespasses the boundaries of the legislative and/or the judicial authority.

But the shortcomings inherent in this system does not spring from the fusion of the three authorities and can be corrected by such separation. Its fudamental defect results from enforcing control by outward coercion : the "police force" or the "security force" machinery. The state system relies on the "detective apparatus" regardless of whether people obey because of their belief or conviction in the validity of this system or not. This system, therefore, "pushes" the people to obey much against their true will. As a result it cannot suit man's nature which is distinguished from the nature of other kinds of living creatures. The actions of man are neither automatic nor the reflection of his nervous system, but rather the outcome of his flexible drive. His obedience or disobedience should come out of his volition or "free will" which springs from his innate conviction.

Man, the owner of this system in modern society, overestmates himself. He, as a matter of fact, exaggerates his own value and the value of his work. The state is the work of the human revolutionists who rebelled against being influenced and instructed by others — no matter how superior or wise the ruling power was.

The state system is the product of the European revolutions which opposed the influence of religion which in the past, exerted on the human mind and the responsibility

a high degree, on the three authorities. These authorities neither create consience nor initiate conviction, but rather force the citizen to follow and obey.

In drawing up the system of the communistic state, Karl Marx imagined that withdrawing the capital from the citizens and placing it in the hands of the state alone would eliminate the need for the "police" authority as a tool of security in the communistic state. The vindictive feelings as well as the friction among the citizens, he claimed, would be minimized once equality prevailed and the state owned the capital and paid the workers fair wages.

By eliminating the source of friction, Karl Marx envisaged the structure of a happy state which would not require control from above. Despite the withdrawal of the capital from the citizens and its concentration in the hands of the communistic state, the surreillance over the citizens because pervasive and itensified. That is because the state system in itself is founded on strict control over the people. This control did not spring from conscience or original creative power mobilizing the individuals towards the goal of society.

It is evidently clear from the system of surveillance the extreme importance the state attaches to the executive authority. This is apparent from the size of security-apparartus, and the numerous devices of control it exercises over the people. The great attention the state pays to the executive authority is again evidence that without the physical power, concentrated in the executive authority, the web of society would tear and the relationships among people, would result in chaos.

Apparently the state system seems to enclose the relationships among the people in the social frame, but in fact, the social relationships were not formed in this system. Individualism become the factor which shapes the relation - and interrelationships, for the numerous types of crimes reveal so many kinds of friction among the individuals of the society and consequently the superficiality of the state system is trying to cover these disharmonious relationships.

Thus, there are three factors characterizing the state system in the modern society :

1) Neglecting the importance of the conscience, or neglecting the importance of the creative drive of the individual toward collective work.

2) Neglecting the law to represent public welfare, justice, or equality of opportunity. This stems

is the ultimate value of society to protect its individuals and the purpose for which society exists.

The executive authority executes the law as codified by the legislative and applied by the judicial branch. The division of authority necessitates specialization in each field. The purpose of this specialization is to secure a high degree of perfection for the protection of public interest. This public interest may be harmed by entrusting this function to a non-expert.

This separation of powers entrusted to specialized persons enables the state to protect public interest and to ensures justice for its citizens as well as to provide equal opportunities in life. This improves the relationships among the people and fosters the spirit of cooperation to realize the ultimate aim of society. The system of the state, according to this conception, is an ideal one, but when applied, this system seems to be concerned only superficially with human behavior rather than exerting any influence on the people to work towards the ultimate goal set by the system of the state. The actual system of the state is concerned with the artificial picture of justice and the picture of public interest rather than urging the individuals to behave justly and to perform public interest by way of shaping their conscience.

The system of the state in modern society is imposed on the people by the executive authority. The subjects have to abide by the law which is codified by the legislative authority. Some people may not believe in the justice of this law or its suitability to their welfare as citizens of society. As to the law, no matter how carefully coded, the legislators themselves are exposed to so many kinds of influence. They may be influenced by high state officials, the environment in which they live, specific orientation, or particular outlook on life. Therefore, law is not necessarily the embodiment of justice, not is it the reflection of the " spirit of abstract " which shou,d guide in the making of the law.

The stability of state which rests on the individuals of the society, depends on the system of vigilance which is the machinery of executive authority. A shake-up of the state system as well as a fading of the relationships of the individuals in the society depends on the degree to which this apparatus succeeds to implement the law. That is, because the state system, as mentioned before, did not lay down as its principle the shaping of the creative conscience, but rather depended, to

THE STATE THAT MAN MADE AND THE NATION WHICH GOD CREATED

by

Dr. Mohammad El-Bahay

Director General of the Islamic culture Administration

---

1 — The State that Man Made:

Modern society is distinguished by the system of the "state", that is, society has executive authority delegated to what is called government. Society also has law codified by man and implemented for the sake of the citizen. Its legislative authority may amend or change an article or more of its constitution according to the circumstances the society and the surrounding conditions as seem fit for the existence or defence of society.

Thus exist three authorities: executive, judicial and legislative authority, each of which has specialized functions. However, on the whole, these three authorities cooperate in order to protect the structure of society as well as enable the individuals to perform their duties cooperatively in society and to strive towards the goal which unified them as a state.

The function of the legislative authority is to codify the law for organizing the inter-relationships of individuals, protecting their freedom of expression and belief, their rights to property, guarantee private life, and personal freedom. The legislative authority also provides equal opportunities for every citizen at every level, thus eliminating opportunistic infiltration initiated by outside elements such as religious, political or economic factors rather than personal qualification.

Since law is supposed to safe guard public interest, modern society entrusts the legislative function to a body which represents public opinion. This is done either by national election or the executive outhority appoints experts in every field connected with the life of society.

The function of the judicial authority is to apply the law codified by the legislative body. In applying the law, the judicial authority should always keep in mind the purpose for which the law was codified, that

out our hopes and prospects. In this respect, we should follow our leader's footsteps with faithful hearts and pure souls. And consequently, we shall have the ability to preach Islam faithfully. From the above mentioned, we can conclude that our nation is giving a great attention to Al-Azhar and its devine message, and this undoubtedly, denotes its carefulness, particularly, to the islamic religion, its teachinges and principles.

The Muslim nations all over the world look at Al-Azhar university with respectability and appreciation, they are waiting, indeed, for a great result from this reformation. Because Al-Azhar is the source of the islamic religion, as it contains the university which connects the United Arab Republic with all Arab and Muslim countries. And because it has an international position, it must teach the students both religious and temporal sciences which enable the graduate to know his religion completely.

This new organisation will satisfy the fifty-four nations that have delegates students in Al-Azhar university and this satisfaction will streach many fields as, religion, construction, production and reformation.

I ask God to support every one in doing completely his share in the re-organisation of Al-Azhar university, and to enable him to perform his devine message in the right way. I ask God to help us all, and to guide the leaders of our revolution to do every good for the religion "God will certainly aid those who aid His (cause) for verily God is full of strength exalted in might (able to enforce his will)". " O ye who believe! if you will aid (the cause of God), He will aid you, and plant your feet firmly " " There is no help except from God, the exalted, the wise".

our good society on solid foundations : Equality, fraternity and peace. We became a nation with self-sufficient production. Befor the revolution, we were depending upon the foreign nations for our different needs, but today, our Arabic factories which produce and manufacture all kinds of goods, are spreading here and there. So, we are now the the masters of our selves, depending not on East or west, but only on the help of God and our hands. Hence, we deserve to be the moderate nation as Qur'an states in the following verse " Thus we have made of you an ummat (nation) justly balanced, that might be witnesses over the nations, and Apostle a witness over your - selves ".

(Surah the Cow, verse 143).

The advent of Islam had cleared the situation of both believers and unbelievers, it was the revolution of belief against the idolatry. In this respect Qur'an says : " O ye who believe, truely the pagans are unclean, so let them not, after this year of theirs, approach the sacred mosque. And if you fear poverty ; soon will God enrich you, if He wills, out of his bounty, for God is all knowing, all wise ".

(Surah the Repentance, v. 28).

Our revolution - by the grace of God - declared its situation in relation to the imperialists. In olden times, it was the will of God to purify the land of Mecca from the idolators and their supporters, and in the present times, it is his will to clean our land from the imperialists and their followers. As a result of that, all our conditions changed from the badness to the goodness, our renaissance grew in the different fields and flourished very quickly, our brothers all over the world attached to us with a solid friendliness, and our Republic became the best place for freedom, peace and satisfaction.

It is a great opportunity to celebrate two feasts in one day : The feast of our revolution against the tyranny, and the other is the feast of the scientific revolution which is completely illustrated in the new law of the re-organisation of Al-Azhar university; Al-Azhar which lightened the way of knowledge and education for about one thousand and twenty years ago, and linked the whole Muslim's hearts all over the world.

Surely, the re-organisation of Al-Azhar university is a blessed step, and it will enable Al-Azhar to perform its message perfectly. By means of this new law, we the Arabs and Muslims all over the world, can resume our activity and carry

themselves to support the tyrants, and the imperialists who possissed the wealth of the nation and humiliated its people. During this period, it happened that we mislayed the ideas of our religion, the instructions of our constitution, and set away from the teachings of our prophet. Consequently, our unity had been devided into sects and different groups, every one hated the other, so, we lived in a complete darkness.

While we were passing through this bad condition, and while we failed to know our way through this darkness, the Will of God was preparing for our good and benefit. It was the will of God to uphold us from darkness to light, from this bad circumstances to the best one, and from difficulty to easiness. God had inspired some of our faithful youngmen to revolt against the tyrants and disruption, He supported them to accomplish their revolution : The revolution of 23d Joly 1952. It was the blessings of God to grant them help and success in this revolution, to kick the tyrants out, to evacuate the imperialists, and to cause our dream to come true. It is not astonishing that the revolution has done its best to realize the dream and the hope of the people. This is because, it is the revolution of, right against the wrong, Justice against the tyranny and the revolution of freedom against slavery and colonialism.

Hence, people believed that wrong must be defeated by right, whatever was the time it needs. This is because wrong is very weak in face of Right. The Qur'an states that wrong cannot last long time, but only right always stands longer, it says : "For the scum disappears like forth cast out; while that which is for the good of mankind remains on the earth ".

[Surah the Thunder, verse 17].

Surely, it was the will of the almighty God to revive our nation and to take it out of its bad condition. He bestowed it with some faithful free youngmen who were very glad to sacrifice themselves and to revolt against tyranny and slavery, And He also supported them with his care. Consequently, they succeeded in their revolution which is a good movement, not only for Egypt, but also for all mankind. This is because it expanded freedom, fighting against slavery and aggression, wherever they are, and gave people the opportunity to take a part in their legislation and their governmental affairs.

Today, we are celebrating the ninth anniversary of our revolution, so we are very happy to succeed in our movement, which led us to form

TWO FEASTS IN ONE DAY

BY

His eminence shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

How great and strong is, the nation which draws the way that leads it to its superiority, and the nation which is striving hard to achieve dignity and suitable standard of living which fits its situation. Indeed, there is no nation which has the ability to matirialize its hope or realize its dream, unless it has a perfect spiritual personality, which provides it with good opinions and spiritual existance. It is absolutely right to say that, the nation of the perfect spiritual personality, is actually the one which deserves life, because it understands the meaning of liberty and freedom, and this is one of the strongest factors of power and immortality in the life.

Hence, God creates mindful people for the above mentioned nation, as well as, He creates free leaders who refuse humbleness, and who sacrifice their lives and property for the sake of their homeland, and for its dreams to become true. As a matter of fact, a nation which has a perfect spiritual personality, sometimes this nation comes to decline, or rather, inclines to a weakness. And consequently, it passes its life with defficulty, and its people will live with a kind of humiliation in spite of their great number. This life of humiliation and weakness will encourage the independent and imperialist nations to try to dominate and occupy it fiercely. But the nation of the glorious past, never like to be governed by the rules of the imperialists or their regulations. Promptly, its people will strive hard to evacuate the imperialists and eradicate the dominators, and God will create among them the leader who sacrifices his life for the restoration of his nation strength and its happiness.

Our nation had passed through a crucial period of its history, it was the time of deterioration and the age of weakness, which caused man to stop his work, nation to come to deterioration and people to live almost in a complete poverty. Not only the result was that, but there were also other things, for example : the governors who ruled the country by force, the assistants who devoted

for the power of the society. This is because the existance of sects inside the frame of the society, leads to weakness and disintegration.

The agreement of Islam for the individual differences and the rule of opposition in the human life, is deffering from the communists thinking. Hence, we understand why communists are attacking Islam, and also why some of the socialist Arab writers are trying to lower the value of the Religion in man's life and replacing it with what, so called, " Science " and " Scientific way of conviction."

The Science, which is deified by the communists is really changeable, as long as man develops and endeavours to discover for more knowledges. Consequently, science does not represent a final actuality, and it cannot be considered a way of conviction for the whole human generation, because what satisfies one generation, will not satisfy the other.

Indeed, Socialism in its correct meaning, is to distribute the wealth among the people justly, to establish friendly relations among the individuals of the society, and to spread among them peace, love and brotherhood.

the society or the relations among its individuals.

The differences or the opposition rule, should not be the factor which leads to creation of the sectarianism, or the formation of classes among the individuals of the society. This because sectarianism or classes will prevent the actual meetings among the individuals, while it is supposed that the opposition is the way to the relation among them.

Surely, sectarianism, as well as classes is social sickness, ought to be removed. But opposition, itself, is an important factor for the power of the society, and the friendly relation among its members. So, it should be raised and preserved.

Presedent Gamal Abd El-Nasser, in his adress of the ninth anniversary of the revolution, declared that the socialist's laws which were issued by the government for the social organisation, were an end for the classes system, not for the individual differences. These differences form what we mean here by " opposition ".

In the following verses " God has bestowed his gifts of sustenance more freely on some of you than on others " (Surah the Bee, V. 71). " Are those equal, those who know, and those who do not know ? " (Surah the Crowds, v. 9). " It is He who hath made you (His) agents, inheritors of the earth : He hath raised you in ranks, some above others : that he may try you in the gifts He hath given you : For thy Lord is quick in punishment : Yet is indeed oft - forgiving, Most merciful ". (Surah the Cattle, v. 165). " God will raise up to (suitahle) ranks (and degrees), those of you who believe and who have been granted (mystic) knowledge ". (Surah the woman who pleads, verse, 11). Wheather they indicate to the preference in means of living or in the other human abilities such as knowledges, guidance or direction. Indeed Islam means the individual differences which are very important for the society, but in the mean time, it does not aim at forming classes or sects which are nothing but obstacles before the people.

God call to the believers as follows " O ye who believe ! let not some men among you laugh at others : it may be that the (latter) are better than the (former) ".

(Surah the Rooms, verse, 11).

This call gives people a clear expression that the individual differences are not reasons for the human valuation which classes and sects are based on it. And this human valuation should be a constructional factor

it does not express any aspect of its interval development. Also, the opposition of knowledges is a natural rule, and the specialization which is arising by it, is a natural and social feature.

Actually, it is impossible that all the individuals of any society, can be physicians, geologists, economical scientists or political experiants. As it is impossible that they can be at one rank or the same level. As a matter of fact, the life of the society dictates the necessity of the opposition, which should be in its life to realize its duration and firmness.

In the society, we find the physician, and the one who does not know about medicin, but he is a man of law, engineering or chemestry. As there are among physicians who does not know any thing about law or the other knowledges. On the other hand, we notice the opposition in leadership and direction, for example: There is the leader who gives orders to be obeyed, and there are people who always obey these orders. This opposition is a natural quality and an important factor, especially, for the continuace and firmness of the societies.

The identity of the leader who orders and finds obediance, is not based on violence, compulsion and aggression, but it is built on his intillegence, patience, the ability to face the difficulties and the well understanding of the spiritual and psycological problems of his people who exchange love with him, because he does all his utmost to realize welfare and high standard of living for them

With regard to the people who obey the orders of their leader, their obediance or acceptance springs from their love for him, and also from their understanding that he is the man of a good conduct, of ability, intelligence, of the good treatment for the internal and external crisises and of the aim to realize prosprity, progress and welfare for them.

It is impossible for all the individuals of the society, to be the leaders who order and find obediance. As it is also impossible for them all to obey, unless a good one from among them, has the ability to govern them justly.

Thus, opposition, as it is very clear between male and femal, it is also very obvious among the individuals, especially, between person and person, between people and their leader and vice versa. So the complete (similarity) equivalent is only a suppositive or a forged thing, and this does not express the actuality of

responsibility which man gives to himself - is the socialism that communist writers are making their utmost to convence people that it is a human principle. But their appeal does not spring from the dual human nature of both man and woman. This dual which is phisical and human characteristic, is clearing and distinguishing man from woman, in addition to the other human qualities.

Indeed, there is a difference between the misapplying of man for his human quality, and between the inconsideration of the natural quality of man and woman, This quality which distinguishes, phisically, man from woman. And this distinction can not be changed by the man.

The bad human conduct — whatever were its motives — never satisfies any human or social writer. But facts should be define according to its actuality, not due to certain personal pias of the writer, who tries to make it nearer to his intention.

To handle some of the social imperfect features, it cannot be, at all, cured with denying the natural and the actual rule of the life, but by means of following the sources of imperfect feature, it self — and improving it or stifling it out of the man's social life.

(2) Moving to the other social feature of the life, other than the family's one, we will find that opposition is very important, not only for the existance of the family as a seed of the society — but it is necessary also for the existance of the society, to assure the duration of the social life, and to last the society's power and firmness: The opposition of wealth and firmness, the opposition of enlightment, the opposition of leadership and direction, and the opposition of abilities which some of it can be considered as a compensation for the others among individuals. Hence, these abilities join the individuals in friendly relations.

To deprive individuals, absolutely, of their possessions, or to distribute the wealth among them with complete equality, is an upnormal feature in the society. Hence, the friendly relations among them will be cut, because the compensation rule which is based upon (opposition), is not founded at that time. So Communism — in the economical field — which based upon absolute deprivation from one's personal property, is a feature against the will of the society, and this of course does not emanate from its natural development needs.

The distribution of the nationa wealth — with equality — among the individuals, is the feature which springs also from out of the society, as

So we have, accordingly, such two families to be members in the powerful and united society. In regulating the family relations, holy Qur'an says : "Men are the protectors and maintainers of women, because God has given the one more (strength) than the other."
(Surah the women, verse 34.)

This verse expresses emplicitly the importance of opposition rule which, surely, causes the comfortable and the continuous happy life of the family. This happy life will be realized after the opposition rule-openly-assures the manly characteristics of the man which force him to be a leader, and this leadership-by turn-in need of a strong personality, especially, in lack of preponderance or distinction as well.

It is obviously known that this verse does not combine any indication which gives man-according to his supposed strong personality the right to misconduct his wife, or to misunderstand the real meaning of the right which is given to him as a protector of the family. But there is no doubt that the leadership of the man and his supposed strong personality are natural characteristics. The ability of acceptation and modification which distinguishes and differs woman from man, is also a natural characteristic in her-And both the two characteristics of man and woman are affirming the needs to the opposition rule which is very important for the duration of comfortable, suitable and long happy life.

Those who talk much about equality between woman and man, or rather who ask more freedom for the woman, if they actually means to prevent man from misapplying his strong personality towards his wife, or to advise him not to misuse his leadership to her, their appeal is naturally logic, also it is one of the teachings of Islam. But if their aim is to abolish the human natural differences between male and female as the communist writers are trying to do, they should remove the projection of the woman's breast, at frist, by means of "God of science", or at least to prominent the man's breast by means of the same God, to be equal to the woman's one. When this will be realized, the organic human nature will be similar, and its characteristic will be equal. But it will only differ into its growth and development, though united in its substance.

The Socialism-which some of our writers, after the ninth anniversary of the revolution, tried to presume it, as if it is a frist classe human organisation, which gives woman, intuitively, the same persona freedom of man, and the same

his aimlessly movements here and there. And if his mother is not of natural kindness and normal conformity, she will not be able anyhow to direct or control his manners, habits and conduct, or at least to turn him towards the desired direction.

The human nature compells man to follow one direction in his life, and this of course needs him to be of a strong personality and self-insistance. It also forces woman to modify her manner wherever modification is needed. This modification-by turn- needs her to have the ability of conformity, suitability, kindness and inclination, as we mentioned before.

Suppose that man is of a frail personality, he is in need of preponderance and firmness, and he is reluctant : turns once to the right side, and other to the left one, and at the same time, woman is of a strong personality, slight inclination and less experiences and modification, surely, any combination between the two will not last for a long time. This is because the woman, particularly, lost the main factor and the important element of her life as a wife. And consequently, she naturally feels manhood, and at the same time, she does not completely lost all her charcteristics as a woman.

Undoubtedly, there will be internal contradictions and conflict between the two discordant elements of her nature. In addition to that, if she gives a boy as a result of sexual meetings with her husband, she will not be able to guide or nurse him correctly, because her nature is confused and mixed up. So, it is very obvious that, this family can not be considered a good brick in the structure of the perfect and strong society.

And if we also suppose that every one of the two is of similar personality to the other, - wheather it is a strong or a weak one -, the matter in this case will not be more than a continuous struggle, disagreement and permanent friction. When every one of them is of a strong personality or a frail one, the matter will be exhaustion, confusion and perplexity.

The family which begins its life or relation with disagreement and continuous struggle, is exactly like the other one, which both of its members are of frail personality. This is because every one of them is similar to the other. In such family weariness and perplexity prevail upon the relations between the husband and his wife.

OPPOSITION - NOT SIMILARITY

Is one of the social development factors and one

OF THE NATURE'S RULES

BY

Dr. Mohammed El-Bahay

The Director General of Islamic Culture Administration

It is absolutely impossible to find the human society which consists of individuals of similar characteristics. For instance, is it possible to find the human society which combines only males or females ? or is it possible to find that its individuals have the same wealth, the same power or the same weakness ? Surely, it is absolutely impossible, because the opposition-not similarity, is the very important principle for the duration of any human society, especially, in its firmness and tenacity.

1 — The existance and the continuance of the family — the frist brick in the structure of the society — are not only the result of sexual meeting between male and female, which forms the new generations, but also the opposition between the psycological characteristics of male and female, plays a great part in this connection. And perhaps this will be followed by the dissimilar of bodily formation of man and woman. Certainly, the manly character compells him, by nature, to be of a strong and powerful personality, especially, in case of preponderance, firmness, determination and performance. It is obvious that preponderance needs meditation and studies, as it needs experiences and demonstrations. Also, determination needs self-control and intellegence.

On the contrary, the fiminine character enforces woman, by nature, to have the ability of conformity modification, acceptation, and suitability. Due to her interior motherhood inclination, she kindly nurses her child, takes care of him, supply him with all his needs and keeps an eye on him all the times. But the direction of the child is not stable during his childhood, it completely likewise

contingent from evey expedition remained behind, they could devote themselves to studies in Religion and admonish the people when they return to them-that thus they (may learn) to guard themselves (against evil.)" (Surah the Repentance, verse 122.)

This year, the United Arab Republic government issued the law of the re-organisation of Al-Azhar university. By means of this new law, Al-Azhar will combine both religious and temporal education. Muslims all over the world, will be gothered together around one table, it is the table of the holy Quran and the prophetic traditions and the table of seeking knowledges of the holy divine light.

O Muslims, I hope that you will receive this anniversary birthday of the prophet Mohamad with faithful hearts, as I hope that you will follow the prophet Mohamad's footsteps, especially in deeds and knowledges, taking signs and sermons from what had happened during his lifetime, because he was a continuous labour to create dignity and honour into believer's hearts and also to furnish your hearts with love and mercy for the poor and needy people.

O Prophet Mohamed, peace may be upon you.

Qur'an says : " Say : O men, I am sent unto you all, as the Apostle of God' to whom belongeth the dominion of the heavens and the earth : There is no God but He : It is He that giveth both life add death. So believe in God and his Apostle, the unlettered Prophet, who believeth in God and His words : Follow him that (so) ye may be guided." (Surah the Heights, verse 158.)

The spiritual Islamic call went deeper into the universal conscience and particularly into believer's hearts it consequently, turned the cruelty to a mercy, the error to a guidance, the weakness to a power, the ignorrance to a knowledge, the fear to a security and the confusion to a stability and peace. In this connection, Qur'an says : "God had promised to those among you who believe and work righteous deeds, that He will of a surety, grant them in the land, inheritance (of power), as He granted it to those before them; that He will establish in authority their Religion — the one which he has chosen for them; and that He will change (their state) after the fear in which they (lived), to one of security and peace : They will worship Me (alone) and not associate aught with Me, if any do reject faith after this, they are rebellious and wicked. So establish regular prayer and give regular charity and obey the Apostle; that Ye may receive mercy."

(Surah the light, verses 55-65)

This is Mohamed who all the Muslim countries wherever they are, celcbrate the memory of his birthday during the lunar month "Rabia Al-Awal" every year. It is a good opportunity and best luck for the United Arab Republic to adopt Islam, its sdtudise and teachings. Since the United Arab Republic embraced Islam, it has kept its sources specially, the holy Qur'an and the prophetic traditions. The university of Al-Azhar. which is one of the United Arab Republic universities, and which is the religious one, had shouldered to teach Islam many centuries ago. It contains thousands of the foreign students who left their countries and families and came to Al-Azhar for the sake of studying Islam and its teachins. They consider Al-Azher the second sanctuary, this because it provides them with knowledges and education, which they will preâch among their citizens after returning back to their homeland. In this respect Qur'an says : "Nor sould the believers all go forth together, if a

says : "When my servants ask thee concerning Me, I am indeed close (to them) : I listen to the prayer of every suppliant when he calleth on Me : let them also, with a will, listen to my call, and believe in Me : That they may walk in the right way" (Surah the cow, verse 186).

Hoping that they will be saved from their bad life and be guided to the straight path, people prayed to God, and He accepted their prayer, for He is all hearer, all knower and most kind, most mercifnl. A while after, good tidings of Mohamad's birth spread here and there. These tidings of his birth shaked the whole world, and human souls looked at the sky asking relief and support. After a short time, the message of Islam was revealed to him, it was a cure for the hearts' diseases as Qur'an diseribed that in the following werse "O mankind, there hath come to you a direction from your God and a healing for the (diseases) in your hearts — and for those who helieve a guidance and a mercy. Say : " In the bounty of God and in his mercy — In that let them rejoice : " that is better than the (wealth) they hoard ".

[Surah Younus, verses 57-58.]

Prophet Mohamad had been sent to mankind with the islamic guidance, Qur'an says in this aspect " Verily, this Qur'an doth guide to that which is most right (or stable), and giveth the glad tidings to the believers who work deeds of righteousness, that they shall have a magnificent reward ".

[Surah, the children of Israel, verse 9].

Indeed, Qur'an guides humanity to the straight way in every sphere of life, as it obviously clears up to the best way of relations between man and his Lord, man and his brother, man and his life affairs, man and his freedom, man and the universe in which he lives, and also clears up the relation between the surface of the earth and its bottom. Qur'an says : " Do thy see nothing in the government of the heavens and the earth and all that God hath created ? (Do they not see) that it may will be that their term is nigh drawing to an end ? In what message after this will they then believe ? ".

(Surah the Heights, verse 185.)

Moreover, Islam declares the relation between the wealthy person and the poor one, it guides humanity to live in peace and co-operation.

In addition to that, Qur'an declares God's blessings which had been granted to the descendants of the prophet Ebraham, those who believe in God and his messages, it says: "God did confer a great favour on the believers when He sent among them an Apostle from among themselves, rehearsing unto them the signs of God, sanctifying them, and instructing them in Scripture and wisdom, while, before that, they had been in manifest error."

[Surah the Family of Imran, verse 163]

Qur'an also indicates to the blissings once more, and mentions the relation between people and the prophet Mohamad who has the heart which is full of mercy and kindness, it says: "Now hath come to you An Apostle from amongst yourselves. It grieves him that should perish: Ardently anxious as he over you: to the believers as he most kind and mercful."

[Surah the Repentance, verse 128.]

Before the rovelation of the peophet Mohamad "peace may be upon him", people were living in complete darkness, and consequently, they denied the existance of God. They also did not consider the human vertues, and their souls filled with tyrany and agression. It was very difficult to guide them to the straight way, because they rejected faith, denied Divinity, cut all the relations between them and their creator, worshipped idols and prostrated to the useless stones. Moreover, people at that time, used to do bad social habits, they for example, buried girls alive in spite of their importance in formation of their families and society. They also compelled girls to commit adultery in spite of their purity and chastity. The worst habit was that they killed boys though they were the allurements and pillar of their life. Also they cut the relations between them and their society: They abandoned faiths, morality and the natural ways of life, They used the force as a solution for all problems. Consequently, mercy and kindness could not find any way to people's hearts.

There is no doubt that Islam guided human souls to the right way, after they had been corrupted by those who went astray. Indeed, the spirit of Islam is the pure one, which has no place in such society because it was full of tyrany and aggression. Islam is an easy Religion, it calls people to ask only God's help, and their application will benetrate the viels to the source of creating and existing, source of mercy and kindness, and also the source of relief and guidance. In this respect Qur'an

THE UNITED ARAB REPUBLIC CELEBRATES

The anniversary of the Prophet Mohamad birthday

WITH A FAITHFUL HEART

by

His Eminence Shaykh Mahmoud Shaltout

Rector of Al-Azhar University

Every year, on the lunar month "Rabia Al-Awal", Muslims everywhere celebrate the memory of the Prophet Mohamad birthday. God had sent Mohamad "peace may be upon him" to lead mankind to the right way of life, and to take peoples out of the darkness which they were living in. The revelation of the Prophet Mohamad was an expression declared that God had accepted the prayer of the two prophets "Ebraham and his son Ismail" while they were laying the foundation of the first sanctuary "The sacred Mosque". Qur'an repeats their prayer in the verse "Our Lord! accept (this service) from us: For thou art the all hearing, the all knowing. Our Lord! Make of us Muslims bowing to thy (will), and of our progeny a people Muslim, bowing to thy (will), and show us our places for the celebration of (due) rites, and turn unto us (in mercy); for thou art the oft-returning, most merciful. Our God sent amongst them an Apostle of their own, who shall rehearse thy signs to them and instruct them in Scripture and wisdom, and sanctify them: For thou art the exalted in might, the wise."

[Surah the Cow, verses 127 — 129]

This is Mohamad, who had been sent by God to humanity as an acceptance for the prayer of our father Ebraham and his son, and who Qur'an called him "The light" in the verse "Thre hath come to you from God a (new) light and a perspicuous Book. Where with God guideth all who seek his good pleasure to ways of peace and safety, and leadeth them out of darkness by his will, unto the light-guideth them to a path that is straight."

[Surah the table, verses 17 — 18]